المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
قسم التفسير

الكفاية في تفسير القرآن

لأبي محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني (ت 694هـ)

من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الحجر

دراسة وتحقيقاً

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه)

إعداد الطالب

أمين بن عائش المزيني

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور/ ملفي بن ناعم الصاعدي

العام الجامعي

1430-1431هـ

بسم الله الرحمن
الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على ما مَنّ به من معونة وتوفيق وتسديد، أحمده سبحانه حمد الشاكرين، وأثني عليه الخير كله، لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن استن بسنتهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فلم يزل في كل قرن منذ نزول القرآن من شرفه الله تبارك وتعالى بحمل لواء خدمة كتابه الكريم، والعناية بعلومه ومعانيه وأحكامه وقراءاته وتجويده، وقدوتهم في ذلك وإمامهم رسول اللهﷺ، ثم لحق بركابه أصحابه من بعده حين اتسع المصر الإسلامي، فكانوا مشاعل هدى، ومصابيح دجى في تلك الأمصار، واتبع نهجهم في ذلك التابعون وأتباعهم إلى يومنا هذا، فحقق الله تبارك وتعالى وعده بحفظ كتابه، وشرّف به من شاء من خلقه، فجعلهم من حملته ومن أهله، واصطفاهم لخدمته.

وإن من أولئك الذين عنوا بكتاب الله تعالى تفسيراً وغريباً وقراءاتٍ وتجويداً الإمام عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني، حيث ألف في علوم القرآن مؤلفات عديدة، في التفسير، وغريب القرآن، والقراءات، والتجويد.

ومن أشمل كتبه وأوسعها كتابه «الكفاية في تفسير القرآن» الذي هذب فيه واختصر كتاب «الهداية لمكي بن أبي طالب القيسي»، وأضاف عليه فوائد ولطائف وترجيحات، فخرج الكتاب بذلك في حلة زاهية بهية.

وقد اجتمع في هذا الكتاب مزايا جعلته حقيقاً بالعناية والتحقيق وإخراجه للنور، وأهم ذلك:

أولاً: أنه في تفسير كلام الله تعالى، وقد اتسم -على ما فيه من إيجاز- بالشمولية والإحاطة، ففيه بيان الغريب، وتحليل الألفاظ، وبيان المعاني إجمالاً، وذكر المناسبات، وبيان الأحكام، فضلاً عن القراءات وتوجيهها، والوقف والابتداء، وغير ذلك.

ثانياً: أهمية أصله الذي اعتمد عليه، وهو كتاب «الهداية» لمكي، إذ تميز هذا الكتاب بالشمولية، وسعة المراجع مما صيره مرجعاً مهماً يرجع إليه كبار المفسرين، ويكثرون العزو إليه كابن عطية، والقرطبي، وأبي حيان.

ثالثاً: ما تميز به مؤلفه من عناية فائقة بالتأليف في علوم القرآن الكريم على تعدد فنونها، بين بيان للغريب، وتفسير، وقراءات، وتجويد، وله في ذلك المؤلفات الكثيرة،

فكان حرياً بنا أن نسلط الضوء على ذلك التراث الضخم في علوم القرآن الكريم.

وأهم الأسباب التي حدتني لاختيار هذا الموضوع ما يلي:

1- أهمية الموضوع من الناحية العلمية، وأحقيته بالتحقيق والبحث و الدراسة، كما بينت ذلك قبل قليل.

2- خدمة كتاب الله تعالى، لأن هذا التفسير يساهم في بيان وفهم معاني القرآن الكريم وأحكامه.

3- تحقيق كتاب «الكفاية في تفسير القرآن»، وجعله في متناول أيدي طلاب العلم؛ مساهمة في نشر المعرفة، و إثراءً للمكتبة القرآنية، حيث لايوجد -حسب علمي واطلاعي- تحقيق لهذا الجزء من الكتاب فأحببت أن أضيف جديداً ينتفع الناس به.

4- إبراز شخصية الديريني رحمه الله وجهوده في التفسير و علوم القرآن، وفاءً بحقه إزاء ما قام به من خدمة كتاب الله تعالى.

5- التعرف على منهج الديريني في تفسيره الكفاية، وما تميز به هذا التفسير من فوائد علمية.

6- كسب الخبرة في خدمة كتب التراث وتحقيقها، والاستفادة من أساتذتي الأفاضل في هذا المجال، مع ما في التحقيق من فوائد متنوعة في فروع المعرفة المختلفة.

7- تشجيع أساتذتي الأفاضل وحثُّهم حينما استشرتهم في تقديم هذا الكتاب - دراسة وتحقيقاً- إلى القسم ليكون موضوعاً لرسالتي لنيل درجة الدكتوراه.

8-الرغبة في إتمام تحقيق المخطوط وعدم بقائه مبتوراً حتى تتم الاستفادة منه على الوجه المطلوب.

ولذلك تقدمت للقسم الموقر بطلب الموافقة على اختيار كتاب «الكفاية في تفسير القرآن للإمام أبي محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني رحمه الله، من أول سورة المائدة إلى نهاية سورة الحجر، دراسة وتحقيقاً»، وقد تمت الموافقة، والحمد لله

الذي بنعته تتم الصالحات.

وقد سبقني إلى تسجيل الموضوع في هذا الكتاب أخي عبد الرحمن بن صالح المحيميد من أول الكتاب إلى نهاية سورة النساء، وما يزال في إعداد الرسالة، كما تقدم بعدي عدد من الزملاء الأفاضل لإتمام تحقيق ما تبقى من الكتاب، وهم:

عبد القدير بن ناصر الشيخ: وقد سجل موضوع رسالته من أول سورة النحل إلى نهاية سورة النور.

صالح بن فلاح البدراني: وقد سجل موضوع رسالته من أول سورة الفرقان إلى نهاية سورة ص.

محمد امبالو فال: وقد سجل موضوع رسالته من أول سورة الزمر إلى نهاية القرآن.

وفقهم الله جميعاً، وسدد على طريق الخير خطاهم.

أما بعد، فقد ظهر هذا البحث بمنة الله وتوفيقه في مقدمة وبابين وفهارس كما يأتي:

المقدمة: وقد اعتنيت فيها ببيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات المسجلة فيه، وخطة البحث، ومنهجي الذي سرت عليه فيه.

الباب الأول: الدراسة: وقد اشتمل على تمهيد وفصلين:

التمهيد: عصر المؤلف «أبي محمد الديريني»، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة العلمية.

الفصل الأول: دراسة المؤلف، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : اسمه ونسبه ولقبه وكنيته.

المبحث الثاني : مولده ووفاته.

المبحث الثالث : حياته العلمية وشيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع : مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المبحث الخامس : عقيدته.

المبحث السادس : مذهبه الفقهي.

المبحث السابع : مؤلفاته وآثاره العلمية.

الفصل الثاني : دراسة الكتاب، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : تحقيق اسم الكتاب.

المبحث الثاني : توثيق نسبته لمؤلفه.

المبحث الثالث : منهج المؤلف في الكتاب.

المبحث الرابع : مصادر المؤلف في الكتاب.

المبحث الخامس : قيمة الكتاب العلمية.

المبحث السادس : وصف النسخ المعتمدة في التحقيق، ونماذج منها.

الباب الثاني : النص المحقق، ويتضمن النص المحقق، وهو من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الحجر، وعدد اللوحات (110 لوحات) من نسخة مكتبة خزانة القرويين بالمغرب، وعدد اللوحات على نسخة المكتبة العمومية (69 لوحة).

الفهارس : وتشتمل على :

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الآثار.

4- فهرس الأشعار.

5- فهرس الكلمات الغريبة.

6- فهرس المصطلحات العلمية.

7- فهرس الأعلام المترجم لهم.

8- فهرس الأماكن والبلدان.

9- فهرس المصادر والمراجع.

10- محتوى الموضوعات.

وقد حققت هذا الجزء من الكتاب على نسختين خطيتين، إحداهما مصورة من مكتبة خزانة القرويين بالمغرب، وقد رمزت لها بالحرف (م)، والأخرى نسخة مصورة من المكتبة العمومية باستانبول، وقد رمزت لها بالحرف (ك).

والنسختان متقاربتان من حيث الصحة والوضوح، إلا أن نسخة المغرب أقرب إلى الصحة في كثير من المواضع، ولذا فقد سرت في إثبات نص المؤلف على طريقة

اختيار النص الصحيح، مقدماً نسخة المغرب عند اختلافهما إذا كان ما في كل واحدة منهما يحتمل الصواب، واضعاً نصب عيني مبدأ (إخراج النص كما أراده المؤلف).

ولم أنبه على أخطاء المخطوط في كتابة الآيات القرآنية، إلا أنني إذا اختلفت النسختان في الاجتزاء ببعض الآية، وكانت الآية في النسخة الأخرى أتم، فإني أثبت الأتم إلا إذا دعت مراعاة السياق لغير ذلك.

وقد نبهت إلى الفروق بين النسختين فيما يختلف به رسم الكلمة، حتى ولو كان ما في إحداهما خطأ بيّناً، أما إن كان الفرق بين النسختين لا يختلف به رسم الكلمة كالحركات والنقط فلا أنبه إليه.

وإذا وقع سقط في إحدى النسختين فأذكره بين معقوفين في المتن، منبهاً في الحاشية على سقوطه من النسخة الأخرى.

وإذا وقع في النسختين ما ترجح لدي خطؤه فإني أثبت في المتن ما كان صواباً في حال ما إذا غلب على ظني أن الخطأ من النساخ، أما إن ترجح لدي أن المؤلف تعمد وضعه هنا فإني أثبته كما في النسختين، منبهاً على كل ذلك في الحاشية.

وقد كتبت الآيات معتمداً على مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي إلا في المواضع التي كُتبت فيها الآيات على ما يوافق غير رواية حفص من القراءات المتواترة، أو كان تفسير المؤلف لها على غير رواية حفص، فأكتبها حينئذ كما في المخطوط وعلى ما يوافق تفسير المؤلف.

وقد عزوت الآيات (غير المفسّرَة) بذكر السورة ورقم الآية.

كما عزوت القراءات القرآنية المتواترة مستوفياً عزوها إلى من قرأ بها من القراء العشرة ورواتهم، وذكرت توجيه العلماء لها باختصار إذا لم يكن المؤلف قد ذكر توجيهها، وأوثق كل ذلك من المصادر المعتمدة في هذا العلم.

أما القراءات الشاذة فأعزوها إلى أشهر من قرأ بها، مع ذكر توجيهها إن لم يكن المؤلف قد بيّن ذلك، وأوثقه من المصادر المعتمدة في ذلك.

وقد اعتنيت بتخريج الأحديث والآثار، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه ممن خرجه منهما، وإلا خرجته من كتب الحديث كالسنن والمسانيد والمعاجم، مع الاعتناء بذكر كلام المحدثين على درجة الحديث صحة وضعفاً، وإن لم أجد بذلت جهدي بذكر أقوال أهل الجرح والتعديل على رجال إسناد الحديث، وما لم أقف له على سند ذكرت أني لم أقف له على سند.

وإذا نقلت حكم الألباني رحمه الله على حديث في السنن الأربعة فهو من تعليقاته عليها في الطبعة التي اعتنى بها أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان[1]، ولذا فقد استغنيت بتخريج الحديث من السنن عن عزو كلام الألباني عليها؛ إذ هي مذيلة به.

وقد اعتنيت كذلك بتخريج الآثار من الكتب المسندة ما وجدت إلى ذلك سبيلاً

1) كان اتفاق الألباني رحمه الله مع دار المعارف لطباعة تعليقاته على السنن أن تكون بهيئتين: أن يطبع الصحيح على حدة، والضعيف على حدة، والهيئة الأخرى أن تطبع السنن مجموعة دون فصل الصحيح من الضعيف، وهذه الهيئة الأخرى لم تتم إلا بعد وفاته.(ذكر هذا أبو عبيدة مشهور آل سلمان في مقدماته على السنن الأربع جميعاً في الحاشية).

قائلاً: «رواه فلان» أو «أخرجه فلان»، وإن لم أجده مسنداً بينت ذلك بقولي:«لم أقف عليه مسنداً»، أو «أورده فلان»، أو «ذكره فلان».

وقد ذكرت كلام العلماء على الأثر بعينه إن وجدت من تكلم عليه، وما لم أجد فقد ذكرت كلام العلماء على الأسانيد المشهورة عند أهل التفسير، كرواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وطريق ابن جريج عن ابن عباس، وطريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، فأذكر الكلام عليه في أول موضع يرد فيه، وإذا مر هذا الطريق فيما بعد أشرت إلى موضع الكلام عليه سابقاً؛ أما ما لم يرو بهذه الأسانيد المشهورة عند المفسرين -ولم أجد من تكلم عليه بصحة أوضعف- فأعزوه إلى من أخرجه دون الكلام على حكمه أورجاله.

كما عنيت بتوثيق الأقوال والنصوص الواردة في النص المحقق من المصادر الأصيلة ما أمكن، وإن لم توجد فأوثقها من أقرب المصادر إلى مصادرها الأصيلة.

وقد وثقت المسائل العلمية في النص المحقق من المصادر الأصيلة، من مصدرين أو ثلاثة، ولا أكتفي بمصدر واحد إلا إذا لم أقف على غيره، أو كانت المسألة مشهورة شهرة لا تحتاج معها إلى عمق في التوثيق.

وكتاب الكفاية قد أراده المؤلف مختصراً، حيث اختصره من كتاب الهداية؛ ولذلك إذا انتخب المؤلف قولاً أو أقوالاً في مسألة في التفسير أو في الأحكام فأوردها في كتابه، وكان في المسألة أقوال أخرى غير ما ذكر المؤلف فلا أذكر هذه الأقوال إلا إذا كانت هذه الأقوال الأخرى مساوية في القوة والرجحان للقول الذي ذكره المؤلف، أو كانت في نظري أرجح منه، فأشير حينئذ إلى أن في المسألة أقوالاً أخرى، وقد أذكر بعض هذه الأقوال لرجحانها وقوتها.

كما نسبت الأبيات الشعرية إلى قائليها وعزوتها إلى دواوين أصحابها إن وجدت، وإلا عزوتها إلى المصادر الأصيلة من كتب اللغة والأدب.

وعرفت بالمصطلحات العلمية الواردة في النص المحقق، وكذا المواضع والبلدان، كما بينت الغريب وشرحته، وقد وثقت كل ذلك من المصادر الأصيلة ما أمكن.

كما ترجمت بإيجاز للأعلام الواردين في النص المحقق ما عدا الصحابة لشهرتهم في الغالب، ولتجاوزهم القنطرة، ولم أترجم لأحد من الأمم السالفة، ولا لمن عاش في زمن النبي ﷺ ولم يؤمن به، ككفار مكة والمنافقين.

وما كان من ثناء في تراجم الأعلام في الحاشية -غيرَ منسوب لقائل- فهو من سير أعلام النبلاء للذهبي في الغالب، وما كان من جرح أو تعديل -غير منسوب لقائل-

فهو من تقريب التهذيب لابن حجر، إلا فيما ندر.

هذا في النص المحقق، وأما الدراسة فلم أترجم فيها إلا للمغمورين، وأما المشاهير فلم أتطرق لتراجمهم.

وقد اعتنيت بالتعليق على ما يحتاج إلى تعليق من المسائل العلمية عموماً، والمسائل العقدية خصوصاً.

وراعيت أن يكون تفسير كل آية في فقرة مستقلة، إلا إذا طال الكلام وتشعب، بحيث حسُن قسمه إلى أكثر من فقرة؛ أو دمج المؤلف تفسير آية مع آية أخرى، فأجمع حينئذ تفسير أكثر من آية في فقرة واحدة.

وقد انتهجت في ذكر أسماء الكتب في الحواشي الأسلوبَ المختصر، دون ذكر المؤلف أو معلومات النشر، إلا إذا كان هناك أكثر من كتاب بالعنوان نفسه (ككتاب معاني القرآن)، فأرفع الإبهام عنه بذكر مؤلفه، وإذا اشتهر الكتاب باسم مؤلفه عزوت إليه باسم المؤلف (كتفسير الطبري، وتفسير ابن كثير).

وقد ذيلت الرسالة بالفهارس التي تلزم البحث العلمي، والتي سبق ذكرها.

أما بعد، فالحمد لله أولاً وآخراً، وقد تم بفضل الله هذا الجهد المتواضع الذي بذلت فيه وسعي، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان.

والشكر لشيخي وأستاذي الكريم أ.د. ملفي بن ناعم الصاعدي، الذي تكرم بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وكان معي خطوة بخطوة، وأعطاني من ثمين وقته ما أسأل الله أن يثيبه عليه أجزل المثوبة.

ولا أنسى أ.د. السيد إسماعيل علي سليمان، المشرف السابق على هذه الرسالة، وقد ابتدأ معي بناء هذا العمل العلمي حتى قام على سوقه، فجزاه الله خير الجزاء.

أما والداي الكريمان فجزاهما الله عني خير ما جزى والداً عن ولده.

كما أزجي شكري وعرفاني لكل من أسدى إلي معروفاً في هذا البحث بجلب مخطوط أو كتاب أو معلومة أو غير ذلك، فجزاهم الله خير الجزاء.

والحمد لله في البدء والختام، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الباب الأول:
الدراسة

التمهيد:
عصر المؤلف أبي محمد الديريني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحالة السياسية.
المبحث الثاني: الحالة العلمية.

المبحث الأول: الحالة السياسية[1].

عاش أبو محمد الديريني في القرن السابع من الهجرة، حيث ولد سنة 612هـ. وتوفي سنة 694هـ.[2].

وقد عاصر الدولة الأيوبية التي كانت تسيطر على مصر والشام وغيرها، ثم شهد سقوطها وانتقال الحكم للمماليك، وهاتان الدولتان وإن كانتا تدينان بالولاء للخليفة العباسي في بغداد، وكان يأتيهم منه التقليد بولاية مصر والشام إلا أن الخليفة العباسي لم يكن له في الحقيقة من الأمر شيء.

كما كان الديريني شاهداً على سقوط الخلافة العباسية بعد اجتياح التتار، ثم انتقال الخلافة العباسية إلى بلاد مصر.

وهذه التقلبات السياسية المتعددة، والولاءات المختلفة لا بد أن يكون لها أثر في البيئة المحيطة بالديريني، ناهيك عن التأثير الذي أحدثه اجتياح التتار لكثير من بقاع العالم الإسلامي، وربما كان أكثر منه تأثيراً في حياة الديريني الحملاتُ الصليبية المتعددة على أرض مصر والشام، والذي زاده تأثيراً الصراعات الداخلية بين الأمراء من بني أيوب، ثم بين المماليك أنفسهم.

وإليك شيئاً من تفصيل هذا الإجمال، فقد كانت ولادة الديريني في عهد الملك العادل من بني أيوب، وكان الوضع السياسي في عهده متماسكاً، بيد أن الديريني لم يمتع بهذا الاستمساك طويلاً ففي عام 615هـ. مات الملك العادل، وخلَفَه بنوه؛ فاختل بعض نظام مملكتهم، وآل الأمر إلى شيء من الاختلاف والفرقة بين أولاد الملك العادل، وكذلك أولادهم من بعدهم، وبقي الحال كذلك حتى ولي آخر بني أيوب.

وقد استغل الفرنج هذا الاختلال بعد موت الملك العادل فقد دخلوا أرض مصر

(1) هذا المبحث مستخلص من: البداية والنهاية 13/81-394، والسلوك 1/1/180-1/3/760، وحسن المحاضرة 2/3-124.

(2) على خلاف فيهما كما سيأتي في مبحث «مولده ووفاته» ص(25).

حين بلغهم خبر وفاته سنة 615هـ، واحتلوا دمياط وما جاورها[1]، بل كادوا يبلغون القاهرة، وبقيت دمياط بأيديهم حتى سنة 618هـ.

ثم احتلوها مرة أخرى سنة 647هـ.، وبقيت في أيديهم أقل من سنة.

وقد استمر التنازع بين بني أيوب حتى آل أمرهم إلى أن تولت المملكةَ شجرةُ الدر قرابة ثلاثة أشهر، وذلك من عام 648هـ.، وكان مقدمَ عسكرِها عزُّ الدين أيبك التركماني، وكانت تُسَك[2] باسمها العملة، وتصدر المناشير[3] بتوقيعها، حتى أتاهم كتاب من الخليفة العباسي في بغداد جاء فيه:«إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً»، واختل أمر الأمراء حولها، فتنازلت لمقدم عسكرها عز الدين أيبك، فتزوجها، وأصبح هو السلطان، فكان أول سلاطين دولة المماليك، وأتاه التقليد من الخليفة العباسي في بغداد بولاية مصر والشام.

هذا ما كان من شأن دولة بني أيوب ومبتدأ دولة المماليك، وأما الخلافة العباسية فحديثها ذو شجون، ولكن مداره حول التتار وما كان منهم حتى استبيحت بغداد، وسقطت خلافة العباسيين عام 656هـ.، وقد كان مبدأ أمر التتار قبل مولد المؤلف ، ولكن بدء توسعهم وانتشارهم كان في أوائل حياته سنة 616هـ.، وفي العام الذي يليه اجتاحوا كثيراً من بلدان المشرق الإسلامي، وهو ما صوره لنا ابن الأثير واصفاً أحداث سنة 617هـ. بقوله:

«لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً، إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم -وإلى الآن- لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.

---

(1) سيأتي في مبحث «مولد المؤلف ووفاته»ص(25) أنه ولد بديرين، وهي قريبة من دمياط.

(2) سكّ النقودَ: طبعَها على السِّكّة، والسِّكّة: حديدة منقوشة تطبع عليها النقود. انظر: القاموس المحيط (س ك ك) ص943، والمعجم الوسيط ص 440،439.

(3) جمع منشور، وهو ما كان غير مختوم من كتب السلطان. انظر: القاموس المحيط (ن ش ر) ص482.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بخت نصر ببني إسرائيل من القتل، وتخريب البيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد، التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج.

وأما الدجال فإنه يبقي على من اتبعه، ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، شقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها، وعم ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح، فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين، فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر، مثل سمرقند وبخارى وغيرهما، فيملكونها، ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان، فيفرغون منها ملكاً، وتخريباً، وقتلاً، ونهباً، ثم يتجاوزونها إلى الري، وهمذان، وبلد الجبل، وما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرانية، ويخربونها، ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينج إلا الشريد النادر في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع مثله.

ثم لما فرغوا من أذربيجان وأرانية ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه، ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم، وعبروا عندها إلى بلد اللان، واللكز، ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة، فأوسعوهم قتلاً، ونهباً، وتخريباً؛ ثم قصدوا بلاد قفجاق، وهم من أكثر الترك عدداً، فقتلوا كل من وقف لهم، فهرب الباقون إلى الغياض ورؤس الجبال، وفارقوا بلادهم، واستولى هؤلاء التتر عليها، فعلوا هذا في أسرع زمان، ولم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير.

ومضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها، وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان، ففعلوا فيه مثل فعل هؤلاء وأشد.

هذا ما لم يطرق الأسماع مثله، فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة، إنما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحداً، إنما رضي من الناس بالطاعة؛ وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأحسنه، وأكثره عمارة وأهلاً، وأعدل أهل الأرض أخلاقاً وسيرة، في نحو سنة، ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعها، ويترقب وصولهم إليه.

ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيهم، فإنهم معهم الأغنام، والبقر، والخيل، وغير ذلك من الدواب، يأكلون لحومها لا غير؛ وأما دوابهم التي يركبونها فإنها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير، فهم إذا نزلوا منزلاً لا يحتاجون إلى شيء من خارج.

وأما ديانتهم، فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئاً، فإنهم يأكلون جميع الدواب، حتى الكلاب، والخنازير، وغيرها، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة

يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه»[1].

وفي عام 650هـ ذكر المؤرخون أن الناس من بغداد قد حجوا، وكان لهم قبل ذلك عشر سنين لم يحج فيها -من بغداد- أحدٌ.

وفي عام 656هـ سقطت دولة الخلافة العباسية، وبقيت دار الخلافة في حال يشق على النفوس وصفها، فزحف التتار إلى بلاد الشام، وأخذوا كثيراً من مدنها، حتى وقف لهم الملك المظفر قطز (من سلاطين المماليك) في وقعة عين جالوت عام 658هـ، فنصر الله المسلمين فيها نصراً مؤزراً.

وقد كانت هذه المعركة للتتار بمثابة بداية النهاية لهم، فلم يمتد زحفهم بعد ذلك، إلا أنهم قد بقي لهم وجود في بلاد الشام إلى ما بعد وفاة الديريني.

أما الخلافة العباسية فبعد سقوطها سنة 656هـ شغر منصب الخلافة ثلاث سنين ونصف السنة، حتى بايع المماليكُ المستنصرَ العباسي خليفة وذلك في القاهرة سنة 659هـ فأصبحت القاهرة هي دارَ الخلافة.

وقد استمرت خلافة بني العباس بمصر إلى ما بعد وفاة الديريني، إلا أن سلاطين المماليك قد استبدوا بالأمر دون الخلفاء، فلم يكن لبيعتهم أثر كبير، وإنما كان الأمر والنهي بيد سلاطين المماليك.

وعَوداً على بدء؛ فقد عاصر الديريني دولة الأيوبيين، ثم دولة المماليك، والتي ألبست بعد ذلك لباس الخلافة العباسية بمصر.

وأهم القلاقل التي كانت في عصره: التتار، واحتلال الفرنج لشيء من مصر ولكثير من ديار الشام، والفرقة والتنازع بي بني أيوب.

ولكن بمقارنة حال مصر مع حال الشام أو العراق في زمن المؤلف نجد أن مصر هي أسعد هذه الأمصار حالاً، أما التتار فلم يدخلوا مصر، وأما الفرنج فإنهم قد عاثوا في أرض الشام وتملكوا كثيراً من مدن الساحل، بخلاف مصر التي كان تأثرها بهم محدوداً، وأما نزاع بني أيوب فقد كان رحاه يدور أكثره في بلاد الشام، ولم يصل مصر منه إلا قليل.

---

(1) هذا قول ابن الأثير في الكامل 10/400،399، وهو لم يشهد سقوط بغداد، بل مات قبله بست وعشرين سنة، وفي هذه السنين كانت فواجع.

المبحث الثاني: الحالة العلمية.

للحالة العلمية في أي عصر علاقة وطيدة بالحالة السياسية، لا سيما في عصر الديريني، ذلك أنه ولد في كنف الدولة الأيوبية التي عقبت الدولة العبيدية الفاطمية الرافضية.

فلم يكن في عهد العبيديين مدارس للفقه[1]، وشاع التشيع في عصرهم بمصر، وعمل به في القضاء والفتيا، وأنكر ما خالفه، حتى لم يبق مذهب سواه في العلن[2].

فلما ولي الأيوبيون كان عليهم عبء كبير لنقل كافة الناس من التشيع إلى السُّنِّيَّة، وذلك في العقيدة والفروع.

فأما العقيدة فقد كان الأيوبيون فيها على المذهب الأشعري، فحملوا الناس عليه، حتى كان ذلك من شرط صلاح الدين الأيوبي في أوقافه، فأقبل الناس على هذا المذهب حتى انتشر، وبطل التشيع بمصر[3].

وقد انتشر مذهب الأشاعرة في هذه الحقبة في بلدان العالم الإسلامي، في مصر والشام والحجاز والمغرب، وفي ذلك يقول المقريزي:«فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نُسي غيره من المذاهب وجُهل، حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلاّ أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه، فإنهم كانوا على ماكان عليه السلف، لايرون تأويل ماورد من الصفات»[4].

وأما الفروع فلما قام صلاح الدين الأيوبي بمصر نشر مذهب الشافعية ومذهب المالكية، وأنشأ مدرسة للشافعية، ومدرسة للمالكية، كما صرف قضاة الشيعة، وولى القضاءَ أهلَ السنة، فتمذهب الناس بمذهب الشافعية والمالكية، وفُقد مذهب التشيع من مصر كلها في تلك الحقبة، ثم انتشر في أواخر عهد الأيوبيين مذهب الحنفية ومذهب

---

(1) انظر: حسن المحاضرة 2/256.
(2) انظر: المواعظ والاعتبار 2/334.
(3) انظر: المواعظ والاعتبار 2/343.
(4) المواعظ والاعتبار 2/359،358.

الحنابلة، وبنيت لهم المدارس في مصر(1).

وفي عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ولى بمصر أربعة قضاة على المذاهب الأربعة، يحكم كل منهم بما يوافق مذهبه، وذلك عام 663هـ.، وفي العام الذي يليه فعل في دمشق مثل ذلك، فاستقر أمر هذه المذاهب في كافة أمصار الإسلام فيما بعد(2).

وقد اعتنى الأيوبيون والمماليك بعدهم برعاية العلم والعلماء، وبناء المدارس ، وقد بدئ ذلك في عهد صلاح الدين حيث أنشأ مدرسة للشافعية وأخرى للمالكية، ثم بنيت المدارس للمذاهب الأربعة، وكثرت المدارس في هذا العصر وما تلاه حتى بعد قيام دولة المماليك، حتى عد المقريزي من المدارس المنشأة في عهد الأيوبيين ومن بعدهم في مصر أكثر من سبعين مدرسة، وكثير منها أنشئ في زمن المؤلف(3).

كما كان للعلماء مكانتهم وتوقيرهم، ولا أدل على ذلك من موقف بيعة المستنصر الخليفة العباسي بمصر؛ إذ ابتدأ بالبيعة القاضي، ثم السلطان المملوكي بعده، وبعدهما العز ابن عبد السلام(4).

إلا أنه في هذا العصر أيضاً ظهر التقليد المذهبي للمذاهب الأربعة، حيث عودي من تمذهب بغيرها من المذاهب، ولم تقبل شهادة من لم يكن على أحدها، وأفتى الفقهاء في هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب، وتحريم ما عداها، واستمر العمل على ذلك زمناً طويلاً(5).

ومع كل هذا التشدد في التمذهب إلا أنه قد لمع في سماء العلم في هذا العصر من العلماء المجتهدين كُثُر، فمنهم ابن تيمية، والعز ابن عبد السلام، وابن دقيق العيد، وكمال الدين ابن الزملكاني، والنووي، والقرطبي، وأبو شامة، وابن خلكان.

---

(1) انظر: المواعظ والاعتبار 2/343.
(2) انظر: البداية والنهاية 13/285، المواعظ والاعتبار 2/344.
(3) انظر: المواعظ والاعتبار 2/343، 363-403، وحسن المحاضرة 2/256.
(4) انظر: البداية والنهاية 13/270.
(5) انظر: المواعظ والاعتبار 2/344.

وأهم الملامح التي استطاع الديريني من خلالها التأثير في عصره أمران:

أحدهما: ما كان يقوم به من تعليم الناس ووعظهم، فإنه كان كثير الأسفار في قرى مصر يفيد الناس وينفعهم[1].

والآخر: مؤلفاته ومصنفاته ونظمه للعلوم، حيث كانت كتبه شاملة للعلوم، بين تفسير وقراءات وتوحيد وفقه ولغة وسلوك ووعظ، كما أنه قد طرق في التأليف باباً غير مألوف، حيث أكثر من نظمه للعلوم، لما يمتاز به النظم من سهولة في الحفظ، وانتشار في الأقطار، وميل في جبلة النفوس إليه[2].

(1) انظر: الوافي بالوفيات 18/ 284.

(2) انظر مبحث «مؤلفاته» ص(42).

الفصل الأول:
دراسة المؤلف

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته.
المبحث الثاني: مولده ووفاته.
المبحث الثالث: حياته العلمية وشيوخه وتلاميذه.
المبحث الرابع: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.
المبحث الخامس: عقيدته.
المبحث السادس: مذهبه الفقهي.
المبحث السابع: مؤلفاته وآثاره العلمية.

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

هو عبد العزيز بن أحمد بن سعيد بن عبد الله، الدميري، الدِّيْرِيني، المصري ، الشافعي، الصوفي، الرفاعي[1].

ونسبة الدميري إلى دَمِيرة، قرية قديمة من قرى مصر، وتسمى اليوم «دمِيرة» ، وتقع بمركز طلخا، بمحافظة الدقهلية[2].

وشهرته بالديريني، نسبة إلى دِيْرِيْن، قرية قديمة من قرى مصر، تقع اليوم بمركز طلخا، بمحافظة الدقهلية، وتعرف باسم «درِين»[3].

وسيأتي التعليق على نسبته إلى «الشافعية، والصوفية، والرفاعية» فيما بعد[4].

وأما كنيته فأبو محمد، ولقبه عز الدين، ولم أقف على خلاف في كنيته أو لقبه عند من ترجم له[5]، غير أنه جاء في أول نسختي الكفاية التي بين يدي تلقيبه بضياء الدين[6].

---

1) انظر: الوافي بالوفيات 18/284، والمنهل الصافي 7/269، وطبقات المفسرين للداوودي 1/311،310، وهدية العارفين 1/580.

2) انظر: القاموس الجغرافي 2/2/86. وقد عد مؤلف القاموس الجغرافي مركز طلخا من مراكز محافظة الغربية، غير أن مركز طلخا اليوم تابع لمحافظة الدقهلية، وليس للغربية، والأمر ذاته ينطبق على قرية ديرين.

(3) انظر: القاموس الجغرافي 2/2/87،86، وقد ذُكر لي أنها ما يزال فيها مسجد عبد العزيز الديريني «المؤلف» ، ولم أتحقق منه.

(4) انظر: مبحث «عقيدته» ص(34)، ومبحث «مذهبه الفقهي» ص(40) من قسم الدراسة.

(5) انظر: الوافي بالوفيات 18/284، وطبقات المفسرين للداوودي 1/311.

(6) في بداية الكتاب، اللوحة (2) من النسختين.

المبحث الثاني: مولده ووفاته.

عاش المؤلف أكثر المائة السابعة من الهجرة، فقد ولد أبو محمد عبد العزيز الديريني سنة 612هـ. على المشهور، وقيل:سنة 613هـ.[1].

وكانت ولادته في ديرين[2].

واختلف في سنة وفاته اختلافاً كثيراً، فقيل: توفي سنة 694هـ.، وقيل: في حدود 690هـ.، وقيل: 689هـ.، وقيل: 697هـ.، وقيل: 699هـ[3].

وبذلك يكون عمره حين وفاته ثنتين وثمانين سنة أو زيادة، فرحمه الله رحمة واسعة.

وكما كانت ولادته في ديرين، فقد كانت وفاته فيها أيضاً، ودفن فيها[4]، وبقي قبره معروفاً فيها مدة طويلة من الزمن[5].

---

(1) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8/199، وطبقات المفسرين للأدنوي ص257.

(2) كما ذكر أيضاً أنهم ما زالوا يحتفلون بمولده إلى عهد قريب في ديرين. انظر: تاريخ الأدب العربي 8/437.

3) القول الأول هو قول السبكي، وهو -من بين أرخ وفاة المؤلف- أقربهم منه زمناً. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8/199، والسلوك 1/760،759، وطبقات الأولياء ص 447، وطبقات المفسرين للداوودي 1/311 ، والطبقات الكبرى للشعراني 1/172، وتصحيح أخطاء بروكلمان ص111.

(4) انظر: المنهل الصافي 7/271، والطبقات الكبرى للشعراني 1/172، والأعلام4/13.

(5) فقد ذكره وذكر أنه يزار: الشعراني في الطبقات الكبرى 1/172، كما ذكر الزبيدي (ت1205هـ.) أنه قد زاره . تاج العروس (ديرين) 11/357.

المبحث الثالث: حياته العلمية وشيوخه وتلاميذه.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حياته العلمية.

لم تذكر لنا المصادر كثيراً عن حياة عز الدين الديريني، لا في حال شبابه، ولا في حال كبر سنه، وأهم ما ذكروه من طلبه للعلم أنه تتلمذ على عز الدين ابن عبد السلام وغيره ممن عاصره، ثم صحب أبا الفتح بن أبي الغنائم الرسعني[1]، وبه تخرج.

غير أن للديريني قصيدة سماها «الأرجوزة الوجيزة»[2]، ذكر فيها كثيراً من شيوخه، وبعضهم ممن تلقى عنه الطريقة الرفاعية[3]، وفي هذه القصيدة ما يدل على طول صحبته لشيوخه، فقد صحب أحدهم خمساً وعشرين سنة، وصحب آخر سبع سنين.

وقد أفادت المصادر أنه «كان كثير الأسفار في قرى مصر، يفيد الناس وينفعهم»[4].

هذا وله من المؤلفات ما يبين مدى انشغاله بالعلم وكتابته وتحريره، وذلك لكثرتها وتنوع فنونها بين العقيدة والفقه والتفسير والقراءات واللغة والسلوك[5]، ولا غرو؛ ففيه يقول أبو حيان:«وله نظر كثير في غيرما فن، ومشاركة في فنون شتى»[6].

ومما يلفت الانتباه حسن عبارته ورصانتها ودقتها، سواء في ذلك نثره وشعره.

أما الشعر فله نظم كثير حفلت به كتب التراجم وغيرها، فقد ذكر السبكي له في

---

(1) لم أستطع تعيينه.
(2) سيأتي ذكر شيء منها بعد قليل.
(3) سيأتي التعريف بهذه الفرقة في مبحث «عقيدته» ص(34).
4) هذه عبارة عصريّه أبي حيان الذي زاره في القاهرة، كما في الوافي بالوفيات 18/284، وقد تبدل مضمون ذه العبارة حين تداولتها أقلام المؤلفين، فقال الأدنوي في طبقات المفسرين ص257:«كان متردداً في الريف النواحي من ديار مصر، ليس له مستقر»، وأصبحت بعد ذلك في تاريخ الأدب العربي 8/437 «تجول في البلاد رويشاً رحالاً دون أن يكون له محل ثابت في مصر»، والدّرويش عند الصوفية: الزاهد الجوال، كما في المعجم الوسيط ص280.
الذي يظهر أنه كان له مقر، ولكنه كان كثير الأسفار، وهذه الأسفار لم تكن مقصودة لذاتها، بل هي لإفادة الناس ي قرى مصر، وهذا هو المفهوم من كلام أبي حيان، ويؤيده قول ابن الملقن في طبقات الأولياء ص447:«وكان مقره الريف».
(5) سيأتي عند الكلام على مؤلفاته بيان كثرتها وتنوع علومها.
(6) الوافي بالوفيات 18/284.

ترجمته كثيراً من شعره، وأورد منه الأبيات المشهورة:

إذا ما مات ذو علم وتقوى	فقد ثلمت من الإسلام ثلمة
وموت العادل الملك المرجى	حكيم الحق منقصة ووصمة
وموت الصالح المرضي نقص	ففي مرآه للإسلام نسمة
وموت الفارس الضرغام ضعف	فكم شهدت له في العصر عزمة
وموت فتى كثير الجود محْلٌ	فإن بقاءه خصب ونعمة
فحسبك خمسة تبكي عليهم	وموت الغير تخفيف ورحمة[1]

ومن أبياته المشهورة قوله:

وما نزلت «كلا» بيثرب فاعلمن	ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى[2]

ومن أبياته التي تناقلها الأدباء الأبيات التي مطلعها:

أحب بنيتي وودت أني	دفنت بنيتي في قاع لحد[3]

وقد أكثر الديريني رحمه الله من نظمه للعلوم، فقد نظم في الفقه متوناً، ونظم في غريب القرآن، ونظم في السيرة، ونظم في التجويد[4].

والديريني في نظمه -على حسنه ومتانته وسلاسته- سريع العارضة، فقد نظم كتابه التيسير في التفسير في أربعين يوماً، وهو يزيد على ثلاثة آلاف بيت[5].

هذا عن الشعر، وأما النثر، فالناظر في كتبه يلحظ سلاسة في العبارة، مع وفاء بالمقصود، ووضوح في المعنى، وجودة في السبك[6].

(1) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8/201.

(2) انظر: البرهان 1/257، ولو قال الديريني:بطيبة، مكان (بيثرب) وسماها بما سماها به النبي ﷺ لكان أولى.

(3) انظر: المستطرف ص 333.

(4) سيأتي ذكر ذلك عند الكلام على مؤلفاته.

(5) انظر: التيسير 1/353.

(6) انظر كتابه «طهارة القلوب».

وقد ضم إلى هذه المزايا والمحاسن التي اتسم بها حسن الخط، فقد أورد السخاوي ما يدل على حسن خطه وجودته[1].

المطلب الثاني: شيوخه.

ذكر المترجمون للديريني أنه قد أخذ عن العز ابن عبد السلام وغيره ممن عاصره، وأنه قد صحب أبا الفتح بن أبي الغنائم الرسعني، وبه تخرج[2].

ولم أقف على من سمى غيرهما من شيوخه، إلا أن للديريني قصيدة سماها «الأرجوة الوجيزة»، وقد ذكر فيها بعض شيوخه، ويظهر أن بعضهم من شيوخه في العلم، وبعضهم من شيوخه في الطريقة، وهي طويلة، ومنها[3]:

الله أرجو ليس غير الله	الله حسب الطالب الأواه
ثم الصلاة والسلام	على النبي سيد الأنام
محمد خاتم رس·ل المولى	فإنه بالمؤمنيين أولى
وآله وصحبه وعترته	وكل من تابعه من أمته
وهذه أرجوزة وجيزة	ضمّنْتُها المقاصد العزيزة
بذكر مَنْ بالعلم والصلاحْ	بدا عليه عالمٌ ولاحْ
ممن صحبت لرجاء النفعِ	ولاجتماع الشمل يوم الجمعِ
مشايخ أئمة أبرار	وإخوة أحبة أخيار
منهم سراج الدين عبد اللهِ	كنا بفضل علمه نباهي
صحبته سبع سنين أوّلا	وكنت في خدمته مفضلا

1) الضوء اللامع 9/167 (ترجمة محمد بن محمد بن علي بن الشرف الجوجري)، وقد أورد الزركلي في الأعلام 4/13 نموذجاً جميلاً من خطه إلا أنه ليس بذاك الوضوح.

2) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 2/181، وطبقات المفسرين للداوودي 1/311، وشذرات الذهب 5/450.

3) ستجد في هذه الأرجوزة شيئاً مما ينبغي الوقوف عنده من اصطلاحات صوفية، وفيما لم أذكره من أبيات لأرجوزة من هذه المصطلحات أكثر مما في المذكور، -وسيأتي الكلام على تصوفه في مبحث «عقيدته» ص(34)-، هذا فضلاً عن مبالغات الشعراء؛ كما ستجد كثيراً من تجوزات قواعد علم العروض، وجلّه في نظري من النساخ، ثم من المحقق الذي أثبت في المتن ما وجده في الأصل الذي اعتمده، دون الالتفات إلى ما هو صواب.

عني من الله عليّ فضلا ... ما كنت في القدر لذاك أهلا

وكان بحراً في علوم النظرِ ... والفقه والتحرير ذا تحري

والشيخ تاج الدين بن بهرام البدل ... كان إمامي في العلوم والعمل

أوصافه في فضله مأثورة ... وكم له من كرامة مشهورة

صحبته خمساً وعشرين سنة ... حتى قطعت من زماني أحسنه

والشيخ زين الدين بالمحلة ... أعنِي أبا بكر، فما أجلّه

وعلمه وزهده معروفُ ... وشكره بين الورى موصوفُ

قد نلت منه دعوة مجابة ... وصحبة لي معها قرابة

والشيخ مجد الدين ذو الفنون ... هو ابن عبد الصمد الأمينِ

محمد المنتسب الأنصاري ... كالبحر في معرفة الآثار

رويت عنه كل ما يرويه ... من سائر العلوم أو يليه

وشيخنا عبد الوهاب بن خلف ... كان شبيهاً في السلوك بالسلف

له علوم جمّة وزهدُ ... وخشية وورع وقصدُ

وقد صحبت الشرف بن تغلبِ ... ونلت من جدواه أي مطلبِ

أفادني في مدة قليلة ... فوائدْ عظيمة جليلة

والشيخ عز الدين تاج العلما ... بدر الزمان إذا قام انعلما

لاحت لنا من نحوه المسرة ... طوبى لعين نظرته مره

والعالم الصالح إبراهيم ... ابن وليد، فضله عميم

عاش سليماً في جميع الرزقِ ... مستغنياً بالله، لا بالخلقِ

ذو الخُلق المستحسن الرضيِّ — والمنظر المستعظم البهيّْ

عّمر في نزاهة وطاعةْ — وعفه تتبعُها قناعةْ

وحج عامين ثم زار المصطفى — ثم الخليل، ذو العهود والوفا

فمات عندما أتى الخليلا — فحاز ث·م·· مغنماً جليلا

والشيخ إسماعيل من قُطورِ — راوي شفاء غُلّة الصدور

وقد صحبت العالم الصفراوي — ثم الذكي العالم النشاوي

كذا البرهان بالمحلةْ — وبعد داود رقي محله

كذا الإمام طاهر المحّلي — خطيب مصر الظاهر المجلّي

وصهره المجد، هو الأخميمي — المرتَضى، ذو المنهج القويم

وشيخه جبريل من أخميم — لقيته بمصر للتسليم[1]

ثم ذكر آخرين غيرهم.

ولكن ذكرهم في هذه الأرجوزة مما لا يعتمد عليه في ذكر شيوخه في العلم، لما قد قدمتُ من أن بعض هؤلاء هم من شيوخه في التصوف، وهو ما لا يعنينا في شيء في ذكر شيوخه، كما أنه قد ذكر كثيراً منهم بكنية أو لقب أو باسم غير مشهور، مما يجعل تعيينه والوقوف على ترجمته من العسير جداً، ثم إن بعض هؤلاء مغمور غير معروف[2].

ولا يعنينا من هذه القصيدة أسماء شيوخه لما ذكرت، ولكن الذي نستطيع أن نخلص به منها أنه قد تتلمذ على شيوخ كثر، وأنه قد بذل وقته في طلب العلم، فرحمه الله وغفر له، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: تلاميذه.

ذكر الشعراني أن الديريني قد صحبه جماعة كثيرة من العلماء[3]، ولكني لم أقف

(1) ساقها بتمامها في: طبقات الأولياء ص 524-533.
(2) ولهذه الأسباب المذكورة مجتمعة آثرت ألا أترجم لأحد منهم.
(3) الطبقات الكبرى 1/172.

على من سمى أحداً ممن تتلمذ على الديريني غير اثنين، وهما:

1- ابن الجباس، شهاب الدين أحمد بن منصور، وقد ذكره أبو حيان[1].

2- عثمان بن محمد بن يوسف السنباطي، وقد ذكره ابن حجر[2].

(1) فيما نقله عنه صاحب الوافي بالوفيات 18/284. وابن الجباس هو أحمد بن منصور بن أسطوراس الدمياطي، ولد سنة 653هـ له نظم كثير، وقرأ القراءات.انظر: الوافي بالوفيات 8/122. ويظهر أنه تأثر بالديريني في الاعتناءبالنظم.

(2) الدرر الكامنة 3/65. وهو عثمان بن محمد بن يوسف السنباطي، الكاتب، الحنفي، له ترجمة في الدرر الكامنة 3/65.

المبحث الرابع: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

حفلت عبارات المترجمين للديريني بكلمات الثناء والذكر الحسن له، وبيان أنه من أهل العلم وأهل الصلاح، وممن جمع بين العلم والعمل، وأنه بمكان مكين من العلوم الشرعية واللغوية، قال أبو حيان:«كان المذكور رجلاً متقشفاً مخشوشناً من أهل العلم ... وله نظر كثير في غيرما فن، ومشاركة في فنون شتى»[1].

وقد نقل السبكي كلام شيخه أبي حيان وقال:«وهذا من أبي حيان في حق المتصلحين كثير، ولولا أن هذا الشيخ ذو قدم راسخة بالتقوى لما شهد له أبو حيان بهذه الشهادة؛ فإنه كان قليل التزكية للمتصلحين»، وقال السبكي نفسه عن الديريني:«الشيخ الزاهد القدوة ... وكان سليم الباطن، حسن الأخلاق»[2].

وقد ذكر ابن تغري بردي كلام أبي حيان مصدراً به ترجمة الديريني، ثم ختمها بقوله -بقول ابن تغري بردي-:«وكان له معرفة جيدة بالفقه، ومشاركة في عدة فنون من العلوم، وله قدرة على نظم العلم وغيره، وكان رحمه الله تعالى ممن جمع بين العلم والعمل»[3].

وفيه يقول الداوودي:«الفقيه الشافعي العالم الأديب»[4]، ويقول السيوطي:«كان عالماً صالحاً»[5].

وقد ذكره ابن تيمية في معرض الاستشهاد بمقاله، قارناً إياه بكبار العلماء المشهورين، ملقباً له بالشيخ، فقال -في بيان بطلان أمر مشهد الحسين رضي الله عنه الذي بالقاهرة-:«فقد حدثني طائفة من الثقات : عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد، وطائفة عن الشيخ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، وطائفة عن الشيخ أبي محمد بن القسطلاني، وطائفة عن الشيخ أبي عبد الله

---

(1) الوافي بالوفيات 18/284.

2) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8/200،199، وتعليقه على كلام شيخه أبي حيان ذكره الداوودي في طبقات المفسرين 1/311، وذكره محقق طبقات الشافعية الكبرى للسبكي في الحاشية وذكر أنه من الطبقات الوسطى له.

(3) المنهل الصافي 7/269-271.

(4) طبقات المفسرين 1/311.

(5) حسن المحاضرة 1/421.

محمد القرطبي، صاحب التفسير وشرح أسماء الله الحسنى، وطائفة عن الشيخ عبد العزيز الديريني، كل من هؤلاء حدثني عنه من لا أتهمه، وحدثني عن بعضهم عدد كثير، كل يحدثني عمن حدثني من هؤلاء : أنه كان ينكر أمر هذا المشهد»[1].

هذ ومما يدلك على سعة علمه ما ذكره بعض المترجمين من أنه كان مقيماً بالريف، وتُرسَل إليه مشكلات المسائل من مصر، فيجيب عنها بأحسن جواب[2].

ولا أدل على سعة علمه، وتمكنه من العلوم من كثرة مؤلفاته وتنوعها في العلوم الشرعية واللغوية، فله في الاعتقاد –وإن كان على مذهب الأشاعرة–، وله في الفقه، وفي القراءات، والتفسير، وفي اللغة، والنحو، كما أن له مؤلفات في السلوك[3].

أضف إلى ذلك المنهج الصعب الذي انتهجه في التأليف؛ حيث أكثر من نظمه للمتون في شتى فنونها، ولا يخفى أن نظم العلوم أصعب من نثرها، ولا يقدم عليه إلا من تمكن من العلم المنظوم فيه، ومن العربية، وواتته قريحته الشعرية.

(1) مجموع الفتاوى 27/255.
(2) انظر: الطبقات الكبرى للشعراني 1/172.
(3) انظر: مبحث «مؤلفاته» ص(42).

المبحث الخامس: عقيدته.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أشعريته.

فقد نشأ الديريني في بيئة أشعرية، فقد سبق أنه عاش في عهد الدولة الأيوبية التي خلفت دولة العبيديين، وقد انتشر المذهب الأشعري في هذه المدة الزمنية التي عاشها المؤلف، وسطع نجمه، وانتشر في كافة أصقاع العالم الإسلامي، حتى يكاد لا يعرف غيره من المذاهب غير مذهب السلف (الذي عرف بأنه مذهب الحنابلة)[1].

ولم يكن الديريني بمعزل عن أهل بلده، فكان أشعري المعتقد، قال السبكي:«وكان يعرف علم الكلام على مذهب الأشعري»[2]، كما أن كتبه ناطقة بأشعريته، فتجده يؤول الصفات الاختيارية لله تعالى[3]، وفي أول كتابه هذا يقرر مذهب الأشاعرة في إثبات سبع صفات لله تعالى، وتأويل ما عداها[4]، كما أنه على مذهبهم في باب القضاء والقدر[5].

ومما لحظته في تقريره لهذا المذهب دقته في الكلام عليه، وعنايته به، والتنبيه عليه في كل موطن تسنح له فيه فرصة تقريره، مما يبرز بوضوح اهتمامه بهذا الجانب[6] ، وهذا يؤيد ما نقلت عن السبكي قبل قليل.

إلا أن الديريني -مع تقريره لهذا المذهب- كان عف اللسان، لا تجد عنده الغمز واللمز، وعبارات التهكم التي تجدها عند من ابتُلُوا بسلاطة اللسان من بعض المعتزلة والأشاعرة، فلم أقف على عبارة واحدة تحمل ما ذكرت، بل كان يقرر مذهبه برصانة

---

(1) انظر مبحث «الحالة العلمية» من التمهيد ص(20).

(2) طبقات الشافعية الكبرى 8/200.

3) انظر الأمثلة على ذلك ص (94)، وص(128)، وص(148) من النص المحقق. وانظر كذلك: طهارة القلوب ص 12.

(4) انظر: اللوحة (4،3) من النسخة (م).

(5) انظر: ص(93)، وص(382) من النص المحقق.

6) فقد تكلم على الصفات وفصل فيها في أول تفسير سورة الفاتحة، اللوحة (4،3) من النسخة (م)، وهو موضع لم تجر عادة المختصرات في التفسير التطرق لهذا الباب عنده.

وتأدب[1].

المطلب الثاني: تصوفه.

فهو صوفي من الطائفة الرفاعية المنتسبين إلى أحمد الرفاعي[2]، وقد نص على انتسابه إليهم الداوودي[3]، وقد ترجم له من عنوا بتراجم الصوفية[4].

كما أن مؤلفاته وكتاباته صريحة في تصوفه، فسيأتي أن من مؤلفاته: «طهارة القلوب»[5]، وهو في التصوف.

وله قصائد في التصوف[6]، منها قصيدة لامية، وهي صريحة في تصوفه حيث يقول:

إن الرفاعيين أصحاب الوفا ... والجود للعافي الملم المرمل

كم فيهم من عارف ذي همة ... أو صادق عن عزمه لم يفشل

لا أنتهي لا أنثني عن حبهم ... كرر ملامي يا عذولي واعذل

أنا أحمدي أنا أحمدي من أوجهٍ ... في ذكر أحمد كل معنى أجتلي[7]

ومن قصائده في التصوف: «الأرجوزة الوجيزة»، وفيها يقول:

وقد تعلقت بقطب العصر ... منهم فنحن في سناه نسري

شيخ الأنام أحمد الرفاعي ... حين أتانا من حماه داعي[8]

---

(1) ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند قوله تعالى﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ص(353) من النص المحقق.

2) ويسمون بالأحمدية، والبطائحية، وهم أتباع أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي، ولد سنة 512هـ، وتوفي سنة 57؛هـ، وكان فقيهاً زاهداً، فاجتمع حوله الفقراء، وصار له أتباع وأصحاب، ثم استجد لأصحابه -بعد وفاته بزمن- مخالفات وشعوذات منكرة، وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية معهم مناظرات. انظر: مجموع الفتاوى 6/244 وما بعدها، وتاريخ الإسلام 40/248 وما بعدها، والبداية والنهاية 6/840، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 2/2 ، والأعلام 1/174.

(3) طبقات المفسرين 1/311.

4) فقد ترجم له ابن الملقن في طبقات الأولياء ص 447، والشعراني في الطبقات الكبرى 1/172، والنبهاني في جامع كرامات الأولياء ص 72.

(5) انظر مبحث «مؤلفاته» ص(42).

(6) وفيها ما لا يقر عليه من تجاوزات الصوفية، ومبالغات الشعراء، وفيما أوردته نماذج قليلة من ذلك.

(7) أورد هذه القصيدة كاملة ابن الملقن في طبقات الأولياء ص 521 وما بعدها.

وفي هاتين القصيدتين طول، وقد أبرز فيهما أسماء كثير من المتصوفة في ثوب براق من الثناء والمديح.

ومن كتبه «الروضة الأنيقة في بيان الشريعة والحقيقة»، وفيه يقول:«قد علم الله تعظيمي للفقراء[9] ومحبتي فيهم، وأني لا أشتهي أن يتكلم أحد فيهم إلا بخير»[10].

وقد أورد في تفسيره «الكفاية» بعض المصطلحات الصوفية، مثل:«الحقيقة» ، و«الشريعة»[11]، و«البسط»[12]، و«الكشف»[13]، و«الدهش»[14].

ولما جاء ذكر أهل الصُّفة رضي الله عنهم قال:«وهؤلاء فقراء الصحابة، وأئمة الصوفية»[15].

ورغم كل هذا فإنه -غفر الله له- لم يكن غالياً في التصوف، فلم أقف له على عبارة شاطحة، أو انسلاخ من التكاليف الشرعية، أو نحو ذلك مما يكثر عند المتصوفة، بل وجدته على النقيض من ذلك.

فقد شدد النكير على من يزعم أن التمسك بالحقيقة يغني عن الشريعة، ففي كتابه «الروضة الأنيقة» بوّب باباً بعنوان «في بيان غلط من زعم أن التمسك بالحقيقة يغني عن الشريعة»، ومما قاله في هذا الباب:«وليت شعري! كيف ...[16] للمخالف لأوامر الله ، المستخف بشريعة الله، المتهاون بأحكام الله، إلى التوحيد، وهو من شرار العبيد، وإنما أهل التوحيد قوم اشتغلوا بالله تعالى عن حظوظ أنفسهم...» إلى آخر ما قال[17].

وقد أكد هذا المعنى في تفسيره حيث يقول عند قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ

---

(8) أورد هذه القصيدة كاملة ابن الملقن في طبقات الأولياء ص 524 وما بعدها.
(9) لفظ الفقراء مصطلح أطلق على الصوفية. انظر: فرق معاصرة 3/874.
(10) الروضة الأنيقة ق 11.
(11) انظر هذين المصطلحين ص (449،450) من النص المحقق.
(12) اللوحة (6) من النسخة (م).
(13) انظر ص (461). من النص المحقق.
(14) اللوحة (5) من النسخة (م)
(15) انظر ص (114) من النص المحقق.
(16) كلمة لم أستطع قراءتها.
(17) الروضة الأنيقة ق 4.

ﷲُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[1] : «وهذا توبيخ لمن عمل بما يخطر له من غير موافقة الشريعة»[2].

كما ينكر على بعض المتصوفة التساهلَ في الخلوة بالنساء والحديث معهن ، فيقول:«باب في حوادث حدثت في زماننا: اعلم أن الذي دعا إلى تصنيف هذا المختصر أن قوماً في هذا الزمان ابتدعوا طرقاً مخالفة لطريق القوم، وزعموا أن لهم فيها مقاصد صالحة، فمنها: الخلوة بالنساء والحديث معهن...»[3].

كما يؤكد على أن الكرامات والفتوحات إنما تكون علامة للقرب إذا كان صاحبها مستقيماً، فأما ظهورها مع التخليط ومخالفة الشرع فإنه علامة مكر واستدراج[4].

وقد نبه في كتابه «الروضة الأنيقة» على كثير من الأخطاء التي يقع فيها المتصوفة، فمنها ما ذكرتُ، ومنها ما لم أذكره، وفيما نشرت غنية عما طويت؛ إذ به يحصل المقصود، ويتبين المراد.

وكل هذا تنبيه على اعتدال منهج الديريني في تصوفه، وأنه وإن رفع شعار التصوف إلا أنه لم يؤد به تصوُّفُه إلى مخالفة الشريعة[5]، وهذا ما جعل الشيخين -ابن تيمية وأبا حيان- يثنيان عليه خيراً[6].

المطلب الثالث: مناوأته للرافضة.

وهذا جلي في كلامه رحمه الله، فقد كان في هذا الباب من أهل السنة، وقد أعانه على ذلك أن حياته كانت في عهد دولة الأيوبيين الذين عقبوا دولة الفاطميين الرافضة،

---

(1) سورة يونس، الآية (59).
(2) انظر ص(367) من النص المحقق.
(3) الروضة الأنيقة ق 5.
(4) الروضة الأنيقة ق 6.
5) لا شك أن خير الكلام كلام الله، وأن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وأن خير القرون القرن الذين بعث فيهم بينا ﷺ، وأن أفضل الطرق والسبل إلى الله ما كان عليه هو وأصحابه، فمن جعل طريق أحد من العلماء أو العباد أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئ، كما أن من جعل كل مجتهد في طاعة قد أخطأ في بعض الأمور مذموماً معيباً ممقوتاً فهو مخطئ. انظر: مجموع الفتاوى 11/12.
(6) سبق نقل كلامهما في مبحث «مكانته العلمية وثناء العلماء عليه»ص(33،32).

والتشيعُ وإن كان موجوداً قبل عهد الفاطميين في مصر إلا أنه استشرى فيها في تلك الحقبةحتى لم يكد يبقى مذهب غيره، فلما جاء الأيوبيون قطعوا دابر هذه الطائفة(1).

فتجد الديريني يصرح بهذه التسمية (الروافض) في تفسيره «الكفاية»، ويقول:«لأبي بكر فضائل في هذه الآية كثيرة، تقر بها أعين أهل السنة، وترغم أنوف الروافض»(2).

(1) انظر: المواعظ والاعتبار 2/334، وانظر ما سبق في المبحث الثاني من التمهيد «الحالة العلمية» ص(20).
(2) انظر ص(297) من النص المحقق.

المبحث السادس: مذهبه الفقهي.

كان الديريني رحمه الله على مذهب الشافعي في الفقه[1]، وهو ما كان عليه أكثر أهل مصر في زمنه[2]، وقد ترجم له المعتنون بتراجم فقهاء الشافعية[3].

وقد خدم المذهب الشافعي، فقد نظم «الوجيز» و«التنبيه»[4]، ونظمه للوجيز جاء في قرابة خمسة آلاف بيت، قال أبو حيان:«وأخبرني شهاب الدين المذكور[5] أن الشيخ عز الدين نظم وجيز الغزالي في قريب الخمسة آلاف بيت على حرف الراء، وأنشدني شهاب الدين المذكور من أوله جملة من كتاب الطهارة، وهو نظم متمكن» ثم ساق منه أبياتاً[6].

وله في الفقه كتاب «الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة»، وهو في مسائل في الفروع[7].

كما أن له في الفروع أيضاً كتاب «شرح التعجيز مختصر الوجيز»[8].

ولم يكن متعصباً للمذهب الشافعي، فلم أجد عنده ما قد يوجد عند غيره من التعصب للمذاهب الفقهية، أو لمز بعض المخالفين، مما يُحمد للمؤلف رحمه الله، بل إنه كان يرجح غير مذهب الشافعي أحياناً[9].

---

(1) انظر: المنهل الصافي 7/269، وطبقات المفسرين للداوودي 1/311، وشذرات الذهب 5/450.
(2) انظر ما سبق في المبحث الثاني من التمهيد «الحالة العلمية» ص(20).
3) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8/199، وطبقات الشافعية للأسنوي 1/551، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 2/181.
(4) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8/199، وشذرات الذهب 5/450.
(5) هو ابن الجباس، وقد مضى ذكره في التلاميذ.
(6) انظر: الوافي بالوفيات 18/285.
(7) في تسعين لوحة، وعندي منه نسخة مصورة من دار الكتب المصرية، وقد ابتدأ فيها من أول الطهارة، ووصل إلى مسائل الزكاة.
(8) انظر: هدية العارفين 1/581.
(9) انظر مثالاً على ذلك ص(87) من النص المحقق.

المبحث السابع: مؤلفاته وآثاره العلمية.

تنوعت مؤلفات الديريني رحمه الله في صياغتها بين نظم ونثر، كما تنوعت في فنونها بين التفسير والتجويد والقراءات والاعتقاد والفقه واللغة والسلوك.

وأياً ما يكن تأليفه نظماً أو نثراً، وفي أي فن فقد امتاز أسلوبه في كتبه بالرصانة، وبجودة السبك، وحسن إيصال المعلومة بأقل كلفة، كما امتازت بشيء آخر، ألا هو حسن الأدب، والرفق في القول حتى مع المخالف، مع تشديد النكير على من يستحقه ، مع المحافظة على الوقار، وعدم الإسفاف في القول[1].

وفيما يلي سرد لأهم ما ذُكر من كتبه رحمه الله مرتباً لها حسب الفنون -من دون فصل بينها[2]-:

1- الكفاية في تفسير القرآن، وهو هذا الكتاب الذي قمت بتحقيق جزء منه.

2- التيسير في التفسير، نظم في أكثر من ثلاثة آلاف بيت، وهو أشهر كتبه، وقد ذكره كثير ممن ترجم له، وهو مطبوع[3].

3- نظم غريب القرآن[4].

4- المصباح المنير في علم التفسير، في مجلدين[5].

5- الأنوار الواضحة في تفسير سورة الفاتحة[6].

6- قصيدة في ترتيب نزول القرآن[7].

---

(1) وقد وقفت على عدة من كتبه رحمه الله، ومنها: الكفاية، والتيسير، والروضة الأنيقة، والدرر الملتقطة، وقلادة الدر المنثور، وشرح قصيدة بانت سعاد.

(2) قدمت كتب التفسير وعلوم القرآن، ثم العقيدة، ثم الفقه، ثم السيرة، ثم اللغة، ثم السلوك.

3) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8/199، وطبقات المفسرين للداوودي 1/312، والأعلام 4/13، وكتاب التيسير قد طبع بتحقيق د. مصطفى الذهبي.

4) ذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى 8/199، وابن العماد في شذرات الذهب 5/450، وقد ذكر في الفهرس الشامل كتاب «تفسير غريب (مشكل) القرآن»، وذكرت له نسختان: إحداهما في مغنيسيا، ولم أطلع عليها، الأخرى في مكتبة جامعة قاريونس، وبعد تقصي زميلنا عبد الرحمن صالح المحيميد عن هذه الأخيرة وجدها هي منظومة التيسير. الفهرس الشامل (قسم مخطوطات التفسير) 1/345.

(5) ذكره غير واحد ممن ترجم له. انظر: طبقات المفسرين للداوودي 1/312، وشذرات الذهب 5/450.

(6) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/438، وهدية العارفين 1/581، والفهرس الشامل (قسم مخطوطات التفسير) 1/344، ومنه نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

(7) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/438، والفهرس الشامل (قسم مخطوطات التفسير) 1/345،344.

7- رسالة في مخارج الحروف[1].

8- منظومة في أرباع القرآن[2].

9- قصيدة وشرحها في ظاءات القرآن[3].

10- الميزان الوفي في معرفة اللحن الجلي واللحن الخفي، نظم في التجويد[4].

11- أرجوزة في وجوه «كلا» في القرآن[5].

12- في الفرق بين التاء والثاء[6].

13- في الفرق بين الدال والذال[7].

14- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى[8].

15- الوسائل الإلهية والرسائل المحمدية[9].

16- إرشاد الحيارى في رد من مارى في أدلة التوحيد ورد النصارى[10].

17- قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور[11].

18- أركان الإسلام في التوحيد والأحكام[12].

19- نظم «الوجيز» للغزالي، ويقع في قرابة خمسة آلاف بيت، وهو الذي وصفه أبو حيان بأنه نظم متمكن[13].

20- دقائق التنبيه في نظم «التنبيه» للشيرازي[14].

---

1) ومنه نسخة في دار الكتب المصرية. انظر: تاريخ الأدب العربي 8/440، والفهرس الشامل (قسم مخطوطات التجويد) 1/109.

(2) انظر: الفهرس الشامل (قسم مخطوطات التفسير) 1/346.

(3) انظر: الفهرس الشامل (قسم مخطوطات التجويد) 1/109.

(4) منه نسخة مخطوطة محفوظة في مكتبة مكة المكرمة العامة برقم (118/1).

(5) ومنه نسخة في دار الكتب المصرية. انظر: الفهرس الشامل (قسم مخطوطات التجويد) 1/108.

(6) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/439.

(7) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/439.

(8) وهو مطبوع. وانظر: طبقات المفسرين للداوودي 1/312.

(9) انظر: طبقات المفسرين للداوودي 1/312، وتاريخ الأدب العربي 8/240.

(10) وهو مطبوع. وانظر: تاريخ الأدب العربي 8/438، والأعلام 4/13، ومعجم المؤلفين 5/241.

(11) ومنه نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. وانظر: تاريخ الأدب العربي 8/438.

(12) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/438، وهدية العارفين 1/581.

13) انظر: الوافي بالوفيات 18/285، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8/199، وطبقات المفسرين للداوودي 1/312.

(14) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8/199، وهدية العارفين 1/581.

21- نظم «الوسيط» للغزالي، شرَع فيه، ولعله لم يتمه[1].

22- الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة، في مسائل الفروع[2].

23- شرح التعجيز مختصر الوجيز لابن منعة في الفروع[3].

24- نظم السيرة النبوية[4].

25- قرة الأبصار في سيرة الشفيع المختار ﷺ[5].

26- الشجرة في ذكر النبي ﷺ وأصحابه العشرة، أرجوزة[6].

27- جواهر الاقتباس في علم الجناس[7].

28- المخمس في النحو[8].

29- المربع في المثلثات اللغوية[9].

30- طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب، وهو في السلوك، وعنوانه معبر عن مكنونه، وهو من أشهر كتب المؤلف، وقد طبع مراراً[10].

31- الروضة الأنيقة في بيان الشريعة والحقيقة، تحدث فيه عن الفرق بين الشريعة والحقيقة، وبيان أنه لا مناص للمرء من الامتثال لأوامر الشريعة، وبيان بعض ما يقع فيه بعض المتصوفة من مخالفات للأحكام الشرعية[11].

وبعد، فهذا أهم ما اطلعت عليه من كتبه، وهناك رسائل وقصائد أخرى لم

---

(1) انظر: طبقات المفسرين للداوودي 1/312.

(2) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/439، والأعلام 4/13، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية، في تسعين لوحة، وصل فيها إلى مسائل الزكاة، وعندي صورة منها.

(3) انظر: هدية العارفين 1/581.

(4) انظر: حسن المحاضرة 1/421.

(5) منه نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

(6) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/439، ومعجم المؤلفين 5/241.

(7) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/439.

(8) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/439.

9) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/440، وفي مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كتاب للديريني تحت عنون «نظم مثلث قطرب»، ولعله هو المذكور في المتن.

(10) انظر: طبقات الشافعية الكبرى 8/200، وطبقات المفسرين للداوودي 1/312.

(11) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/439، وهدية العارفين 1/581، والكتاب قد طبع طبعة قديمة لم أقف عليها، ومنه نسخة مخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية، وعندي صورة منها، وتقع في ثلاث عشرة لوحة.

أذكرها[1]، وفيما ذُكر دلالة على المقصود من بيان تنوع علومه ومعارفه، وسعة اطلاعه على علوم الشريعة واللغة، رحمه الله تعالى.

1) انظر: تاريخ الأدب العربي 8/437-440، وهدية العارفين 1/581،580، وقواعد معلومات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

الفصل الثاني:
دراسة الكتاب

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب.
المبحث الثاني: توثيق نسبته لمؤلفه.
المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.
المبحث الرابع:مصادر المؤلف في الكتاب.
المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية.
المبحث السادس: وصف النسخ المعتمدة في التحقيق، ونماذج منها.

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب.

قدم المؤلف رحمه الله تفسيره «الكفاية» بمقدمة وجيزة ذكر فيها أنه سماه «كتاب الكفاية» ونص على ذلك بقوله :«وسميته كتاب الكفاية»[1].

وكذا جاء على وقفيةٍ مكتوبةٍ على غلاف النسخة (ك).

وقد جاء على غلاف النسخة (م) تسميته «الكفاية في تفسير القرآن الكريم»، وفي النسخة (ك) لم يكتب له عنوان.

غير أن الناسخ حين أتم نسخها كتب:«هذا آخر ما وجد من كتاب الكفاية في تفسير القرآن العظيم»[2].

وجاء في «فهرست مصنفات تفسير القرآن» تسميته بـ«الكفاية في التفسير»[3].

غير أن الاسم المشهور عند المتأخرين هو «الكفاية في تفسير القرآن»، فقد ذكره بهذه التسمية: بروكلمان[4]، وكذا هو في الفهرس الشامل[5]، وكذا هو أيضاً في بيانات خزانة القرويين[6].

وكل هذه الأسماء متقاربة، ولذا آثرت اختيار الاسم المشهور.

وإنما لم أقتصر على تسمية المؤلف لأنه لم يكتبه عنواناً للكتاب، بل كتبه أثناء المقدمة، ومن غير البعيد أن يكون قد اختصر التسمية في المقدمة، ولأن هذا الاسم لا يدل على الكتاب: في أي فن هو؟.

ولم أسمه بما جاء في غلاف النسخة (م)، ولا بما جاء في كلام الناسخ في ختام الكتاب في النسخة (ك) لانفراد كل منهما بتسمية، ولم أقف على من تابع الناسخَين على أيٍّ من هاتين التسميتين.

والأمر يسير، والله الهادي إلى الصواب.

---

(1) اللوحة (2) من النسخة (م).
(2) اللوحة الأخيرة من النسخة (ك).
(3) فهرست مصنفات تفسير القرآن 3/1112.
(4) تاريخ الأدب العربي 8/439.
(5) الفهرس الشامل (قسم مخطوطات التفسير) 1/345.
(6) قبل صفحة غلاف النسخة (م).

المبحث الثاني: توثيق نسبته لمؤلفه.

لم يذكركتاب الكفاية أحد من المتقدمين ممن ترجم للمؤلف -فيما وقفت عليه-، وذلك لأن المؤلف له مؤلفات كثيرة أشهر من كتابه الكفاية، وبعضها في التفسير كمنظومته التي انصب جل اهتمام المترجمين عليها، إذ لم يكن من دأبهم رحمهم الله تعالى استقصاء مؤلفات صاحب الترجمة، وإنما يذكرون له ما يتعرف به المترجَم له ، ولذا فلا غضاضة في أنهم لم يذكروا له هذا الكتاب، وانصرفت همَّتُهم لذكر منظومته «التيسير» التي حاز بها قصب السبق في نظم غريب القرآن، والتي هي أشهر بكثير من كتابه «الكفاية»[1].

ولكن المؤلف نفسه قد ذكر كتابه هذا في منظومته «التيسير» حيث يقول:

ويسر الله لي الكفاية ملخِّصاً فوائد الهداية[2]

وهذا كاف في ثبوت نسبة الكتاب للديريني.

أضف إلى ذلك ما جاء في مقدمة الكتاب حيث قال:«قال الشيخ العالم ... عبد العزيز بن أحمد الدميري المعروف بالديريني ... هذا كتاب اختصرته من كتاب الهداية في تفسير القرآن العزيز، وسميته كتاب الكفاية»[3].

أضف إليه أيضاً ما جاء في اللوحة الأخيرة النسخة (ك) من التصريح باسم الكتاب واسم مؤلفه حيث قال الناسخ: «وهذا آخر ما وجد من كتاب الكفاية في تفسير القرآن العظيم، تأليف سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة ضياء الدين عبد العزيز الديريني».

وبذلك يتبين ثبوت نسبة هذا الكتاب للديريني، ويكفي في ذلك ما قدمته من كونه قد صرح به في مقدمة أشهر كتبه «التيسير».

---

(1) فهي أشهر منظومة في غريب القرآن، واعتنى بحفظها العلماء قديماً. انظر: الضوء اللامع 1/332 و3/186.
(2) التيسير 1/3.
(3) اللوحة (2) من النسختين (م) و(ك).

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.

بين الديريني رحمه الله في مقدمة تفسيره هذا «الكفاية» أنه قد اختصره من كتاب «الهداية»[1]، والمقارِن بين الكتابين يلحظ بوضوح هذا الاختصار، وأن جل مادة الكفاية مستقاة من كتاب الهداية، وإن كان الديريني لم يقتصر على مجرد الاختصار، بل صبغ الكتاب بصبغته الخاصة، وظهرت شخصيته بوضوح، كما أضاف عليه كثيراً كما سيتبين لاحقاً.

وقد تميز أسلوبه في الاختصار بمنهج فريد، ذلك أنه لم يقتصر على مجرد الاختصار، بل كان يعيد ترتيب الأقوال في الآية، ويهذبها، ويصوغها صياغة واضحة مؤدية للغرض، ويحذف اسم صاحب القول في بعض الأحيان، ويستغني بحكاية بعض أقوال السلف عن بعض إذا كان مدلولها واحداً، كما كان في كثير من الأحيان يتجاوز بعض الأقوال لبعدها.

وربما استخلص حكايةً مِن أكثرَ من أثر، فحكاها حكاية واحدة، فيظنها الناظر لأول وهلة قولاً واحداً، وهو قد دمج أكثر من أثر، وكل هذا فيما لم يُسَمِّ قائلَه[2].

إلا أن تصرفه في العبارات بإعادة الصياغة قد يقع حتى في الأقوال المنسوبة إلى أصحابها، ولكن بما لا يحيل المعاني ولا يغيرها[3].

هذه أبرز ملامح طريقته في الاختصار، إلا أنه من الهضم لجهد الديريني في كتابه «الكفاية» أن يقال: هو اختصار من كتاب «الهداية»، ذلك أنه قد زاد كثيراً من الأقوال والاستنباطات والنكت على كتاب الهداية، فضلاً عن صياغته التي اختلفت كلياً عن صياغة مكي في «الهداية»، وفضلاً عن الترجيحات التي حلّى بها الديريني كتابه، وإن لم تكن بتلك الكثرة.

---

(1) اللوحة (2) من النسخة (م).

(2) انظر مثالاً عليه ص(69) من النص المحقق.

(3) بل إن غالب الآثار التي يسوقها يتصرف فيها بنحو ما ذكرت.

وبتتبع توثيق المسائل وجدت أن الزيادات التي يزيدها الديريني من أقوال أو استنباطات أغلبها عائد إلى ثلاثة كتب: المحرر الوجيز[1]، والتفسير الكبير[2]، والجامع لأحكام القرآن[3]، وهناك كتب أخرى ظهرت لي بالتتبع[4]، إلا أن الأغلب كان مما ذكر، وهناك من الأقوال والاستنباطات ما لم أقف على قائله.

إلا أنه كان من العسير جداً تحديد مصدر كل معلومة يوردها المؤلف؛ ذلك أنه لم يكن من منهجه أن ينقل العبارات بألفاظها، بل كان يصوغها بما يسهل به دمجها في نص الكتاب؛ لتأتلف مع بقية النص، ولا يظهر التفاوت في العبارات.

هذا ملخص بيان العلاقة بين «الكفاية» و«الهداية»، أما منهج الديريني في «الكفاية» ذاتِه بغض الطرف عن علاقته بأصله «الهداية» فإن الديريني قد اعتمد في كتابه هذا على الإيجاز في أغلب الأحيان، حيث يورد المقطع من الآية ويعقبه بتفسيره، وإن كان فيه أقوال حكاها باختصار، وربما ذكر الراجح عنده، بالنص أو بالإلماح، كأن يذكر بعض الأقوال بصيغة التمريض، إلا أن الأعم أنه لا يرجح.

ولربما ترك جملة أو بضع جمل من الآية دون تفسير، بل ربما ترك آية أو أكثر دون تفسير، وتكون من الآيات الواضحة التي لا تحتاج إلى بيان[5].

وقد انتهج في تفسيره هذا منهج التفسير التحليلي للألفاظ، وبيان معانيها باختصار، إلا أنه قد ينحو منحى التفسير الإجمالي في مواضع كثيرة من كتابه[6]، بل إنه

(1) انظر ص(52)، وص(54) من النص المحقق.

(2) انظر ص(198)، وص(538) من النص المحقق.

(3) حيث لحظت توافقاً بين العبارات بين الكفاية والجامع لأحكام القرآن مما يرجح ما ذكرت من نقله عنه.

(4) كغريب القرآن لابن قتيبة، وتفسير الطبري (حيث نقل منه مباشرة في مواضع متعددة)، ومشكل إعراب القرآن، وغيرها.

(5) فعلى سبيل المثال لم يفسر الآيات (68)(70)(72)(74) من سورة المائدة.

(6) انظر ص(98)، و(204،205) من النص المحقق.

يدمج التفسير بين ثنايا الآية في أحيان كثيرة[1].

وقد أولى الغريب عناية واضحة في كتابه، ولا غرابة، فهو صاحب منظومة «التيسير» في غريب القرآن.

وقد كان لصلته بالهداية أثر واضح في الاعتناء بالوقف والابتداء، إلا أن ذلك محصور في المواضع التي يقع فيها لبس، أو يتغير المعنى تبعاً للاختلاف في الوقف فيها.

وقد تميز أسلوبه في الكتاب بالوضوح والسلاسة وحسن الترتيب في غالبه، وقد يغمض أسلوبه في مواضع قليلة من كتابه بحيث لا يتضح إلا بعد مراجعة وتأمل[2].

كما تميز أسلوبه بالرفق، والأدب الجم، وحسن طرح الأقوال، دون تشنيع أو تسفيه أو شدة في العبارات حتى مع المخالفين[3].

ولتفسير القرآن بالقرآن نصيب في «الكفاية» وإن لم يكن كثيراً، إلا أنه قد ورد في مواضع متعددة منه[4].

وقد اعتنى المؤلف بذكر القراءات المتواترة -وإن لم يستقص مواضعها جميعاً-، فيوردها على ما يوافق قراءة أبي عمرو في الأغلب[5]، ثم يثَنِّي بذكر ما فيها من قراءات -دون تسمية من قرأ بها إلا في النادر[6]-، معرِّجاً على توجيه كل قراءة من ناحية المعنى ومن ناحية اللغة بإيجاز، وذلك بانتقاء أصح الأقوال في توجيهها، وقد أبان في هذا الباب

---

(1) انظر ص(531) من النص المحقق.

(2) كما وقع في ص(158) من النص المحقق.

(3) تأمل ما قاله في ص(194،193) من النص المحقق.

(4) انظر ص(107)، وص(121) من النص المحقق.

(5) وقد خرج عن هذا الأصل في مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ ص(175) من النص المحقق، فقد أوردها بقراءة حمزة.

(6) انظر ص(83) من النص المحقق.

عن علم جم بالقراءات وإتقانٍ لها[1].

ولم يذكر الديريني من شواذ القراءات إلا قليلاً جداً بالمقارنة مع المتواتر، إلا أنه عاش في عهد لم يكن تواترُ القراءات الثلاث فيه مشتهراً، لذا فقد عدها في الشواذ[2].

وقد حلى الديريني كتابه هذا بذكر أحاديث النبي ﷺ مستشهداً بها في مواضع عديدة، لكن الذي يؤخذ عليه أنه كان يورد حتى الضعاف والموضوعات دون إشارة إلى الصحيح من الضعيف من الموضوع[3]، بل ربما أورد الحديث الصحيح بصيغة التمريض[4]، وأورد الحديث الموضوع بصيغة الجزم[5].

أما أقوال الصحابة والتابعين فقد تعددت طرق إيراده لها، فإنه أحياناً لا يذكر أصحابها، وإنما يذكر ملخص القول على أنه قول في تفسير الآية ولا ينسبه لقائله ، وأحياناً ينسب الأقوال إلى قائليها، فيذكر قولاً في الآية، ثم يقول: وهو قول فلان، كما أنه في أحيان أخرى يذكر نصوص أقوالهم وينسبها إلى أصحابها، وإن كان لا يعتني باللفظ الذي قاله صاحب القول، بل يكتفي بذكر فحواه وتلخيصه في كثير من المواضع، والذي يبدو للقارئ أنه لفظ الصحابي أو التابعي، ولا يخفى أن هذه الطريقة في حكاية الأقوال قد يحصل من جرائها تجوز في حكاية بعض الأقوال، وعدم دقة في التعبير عنها.

هذا ولم يخل الكتاب من الإسرائيليات، شأنه في ذلك شأن أغلب التفاسير، إلا أنها لم تكن بتلك الكثرة، بل إنه قليل الإيراد لها بالنسبة لأصله «الهداية» و لكثير من التفاسير.

وقد طعم كتابه هذا بأقوال أهل اللغة ناسباً إياها لأصحابها كالخليل، وسيبويه ،

---

(1) تأمل ما قاله ص(145،144) من النص المحقق.

(2) انظر ص(559) من النص المحقق.

(3) فقد أورد عدداً من الأحاديث الموضوعة. انظر ص(292)، وص(311)، وص(404) من النص المحقق.

(4) انظر ص(418) من النص المحقق.

(5) انظر ص(387) من النص المحقق.

والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، والكسائي، وغيرهم[1].

ولم يكن العنصر اللغوي -من إعراب وصرف- في كتاب الديريني إلا بقدر ما يخدم تفسير الآيات، وأكثر ما يكون في توجيه القراءات.

ومما لحظته بهذا الصدد أنه كثيراً ما يقول بقول نحاة الكوفة، وقد تكرر هذا في عدة مواضع من الجزء الذي قمت بتحقيقه[2].

ومما يعد في محاسن الديريني اعتناؤه بجانب التدبر، وذكره لبعض الفوائد والاستنباطات، وكذلك اعتناؤه ببيان مناسبات بعض الآيات دون تكلف أو تمحل.

وقد لمست منه عناية خاصة بذكر مناسبات الأسماء الحسنى في خواتم الآيات.

كما اعتنى رحمه الله بذكر بعض مباحث علوم القرآن المتعلقة بالسور، كذكر مكية السورة أو مدنيتها، وفضائل السور، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ونحو ذلك.

هذا وإن كان الديريني قد تواضع فذكر أنه قد اختصر كتاب الهداية في كتابه هذا، فإن من الإنصاف أن نقول: إن عمل الديريني في هذا الكتاب لا يقل أهمية عن غيره من التفاسير؛ لما أسلفت من أنه لم يقتصر على الاختصار المجرد، بل هو تهذيب وترتيب للهداية، كما تضمن زيادات كثيرة جداً عليها، ناهيك عما تميز به من أسلوب مغاير، وطريقة منفردة في كتابته، رحمه الله تعالى.

---

(1) انظر فهرس الأعلام.

(2) انظر ص(173)، وص(206)، وص(109) من النص المحقق.

المبحث الرابع:مصادر المؤلف في الكتاب.

لقد بين المؤلف في مقدمته أنه اختصر كتاب الهداية لمكي بن أبي طالب[1] ، وألمحت فيما سبق إلى أن عمله وجهده لم يقتصر على الاختصار، بل أضاف إضافات كثيرة لها قيمتها العلمية[2].

والذي يعنينا الآن أن أول مصادر المؤلف في هذا الكتاب هو كتاب الهداية، ويأتي في المرتبة الثانية الكتب التي عزا إليها، وإن كان أكثرها مما نقل منه بواسطة كتاب الهداية لمكي، وفي المرتبة الثالثة تأتي الكتب التي لاحظتُ توافقاً بينه وبينها ولم يعز إليها، وهي قليلة؛ لأن الديريني لم يكن ينقل بالنص إلا في النادر، وأكثر نقله بالمعنى، مما يجعل من العسير التأكد من المصدر الذي نقل منه المؤلف رحمه الله.

ومما تجدر إليه الإشارة أن الديريني قد بين أهم مصادره في منظومته «التيسير» حيث قال:

مما روته السادة الأئمة ... وحررته علماء الأمة

كالطبري والثعلبي ومكي ... أئمة التفسير دون شك

والهروي الحبر والقتيبي ... إذ نقلوا الغريب دون ريب

والواحدي جامع البسيط ... وواضع الوجيز والوسيط

والمهدوي البحر ذي الفضل الجلي ... والدامغاني والقشيري الولي[3]

وأكثر هذه المراجع لكتابه التيسير تمثل مراجعَ مهمةً لكتابه الكفاية، وهذا ظاهر كما سيتبين بعد قليل.

ذلك أن الديريني قد نص في كتابه هذا -في الجزء الذي قمت بتحقيقه- على

---

(1) انظر اللوحة (2) من النسخة (م).

(2) انظر المبحث السابق.

(3) التيسير 2/ 1.

ستة عشر كتاباً، لم ينص فيها على أسماء الكتب، بل ذكر أسماء المؤلفين، وهذ الكتب هي:

1- تفسير الطبري.

2- مجاز القرآن لأبي عبيدة.

3- إعراب القرآن للنحاس.

4- الناسخ والمنسوخ للنحاس.

5- معاني القرآن للفراء.

6- معاني القرآن للزجاج.

7- معاني القرآن للأخفش.

8- معاني القرآن للكسائي.

9- الكتاب لسبويه.

10- المقتضب للمبرد.

11- الوقف والابتداء لأبي حاتم.

12- إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري.

13- الكامل للمبرد.

14- العين للخليل بن أحمد.

15- الغريبين لأبي عبيد القاسم بن سلام.

16- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

ولكن أكثر هذه الكتب مما ترجح لدي أنه قد نقل منها بواسطة الهداية لمكي، وإن كان بعضها قد ترجح لدي أنه قد نقل منها مباشرة، كتفسير الطبري، والناسخ والمنسوخ للنحاس.

كما لحظت أن من مصادره التي نقل منها مراراً دون أن يصرح بها ثلاثة كتب :

المحرر الوجيز لابن عطية، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والتفسير الكبير للرازي[1].

هذه المصادر التي ترجح لدي أنه قد نقل منها بما أكاد أجزم به جزماً، أما الكتب التي غلب على ظني نقله منها فلم أتطرق لها، فضلاً عما لم تبين لي مصدره فيها لوجود المعلومة في أكثر من مصدر، أو لأني لم أقف على المعلومة أساساً، وستقف في هذا البحث المتواضع على أقوال ونكت واستنباطات لم أقف على من ذكرها أو أشار إليها[2].

---

(1) انظر ما سبق ص(52).

(2) انظر المبحث اللاحق «قيمة الكتاب العلمية» ص(59).

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية.

يدخل هذا الكتاب في تصنيفه تحت أفضل العلوم وأشرفها، فهو في تفسير كلام الله تعالى، وفي دراسة هذا الكتاب وتحقيقه تقريب لما يحويه من علوم ومعارف مختلفة، وتقديم لفوائده الجليلة، واستخراج لكنوزه الفريدة.

فمادة هذا التفسير قد أخذت قسطاً وافراً من الشمولية والإحاطة والتنوع في العلوم القرآنية، حيث يشتمل على القراءات القرآنية وتوجيهها، وبيان الغريب والمعاني ، وأسباب النزول، والتفسير بالمأثور بأقسامه، وحكاية أقوال المفسرين، ووقائع النسخ، والأحكام الفقهية، ومبهمات القرآن، والوقف والابتداء، وغيرذلك.

وكل ذلك بإيجاز ووضوح، مجمّلاً بالأدب والرفق في تقرير الأقوال، متحلياً بحلية جمال اللفظ.

وإن مما زاد قيمة الكتاب العلمية أصله الذي تواضع المؤلف فذكر أنه قد اختصره منه، وهو كتاب الهداية لمكي بن أبي طالب القيسي، فإن كتاب الهداية قد كان من التفاسير المستوعبة الشاملة، وقد أوضح ذلك مؤلفه حيث يقول: «جمعت فيه علوماً كثيرة، وفوائد عظيمة، من تفسير مأثور، أو معنى مفسر، أو حكم مبين، أو ناسخ أو منسوخ، أو شرح مشكل، أو بيان غريب، أو إظهار معنى خفي، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جل ذكره، من قراءة غريبة، أو إعراب غامض أو اشتقاق مشكل، أو تصريف خفي، أو تعليل نادر، أو تصرف فعل مسموع، مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها، ويطول ذكرها، جعلته بداية إلى بلوغ النهاية في كشف علم ما بلغ إليّ من علم كتاب الله تعالى ذكره، وما وقفت على فهمه، ووصل إليّ علمه من ألفاظ العلماء، ومذاكرات الفقهاء، ومجالس القراء، ورواية الثقات من أهل النقل والروايات ، ومباحثات أهل النظر والدراية»[1].

وقد استفاد مكي في الهداية من كتاب شيخه أبي بكر الأدفوي «الاستغناء»، ومن

(1) الهداية 1/72.

جامع البيان للطبري، وغيرهما، من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والمشكل، قال:«حيث انتخبته من ألف جزء أو أكثر مؤلفة من علوم القرآن مشهورة مروية»[1].

وإذا كان أصل الكتاب بهذه القوة العلمية، فهذا ينبيك عن قوة الفرع الذي استقى منه، هذا لو كان الديريني قد اقتصر على الاختصار المجرد، فكيف به وهو قد أعاد تهذيبه وترتيبه، وأعاد صياغته بأسلوبه الخاص، وأضاف عليه كثيراً من الأقوال والترجيحات والاختيارات والفوائد والفرائد والتنبيهات، فظهرت شخصية المؤلف وبرزت بروزاً ظاهراً فاعلاً[2]، بما لا يجعله أقل أهمية من أكثر كتب التفسير التي لم تنهج منهج الاختصار؛ فإن النقل بين التفاسير مشهور أمره غير مستنكر، فإن كثيراً من كتب التفسير تنقل عن تفاسير أخرى بأعيانها نقلاً مكثراً، ولعل أقرب مثال على ذلك كتاب الهداية حيث جُمع أكثره من كتاب الاستغناء[3].

ومن الجدير بالذكر مما يلفت النظر عنايةُ المؤلف البالغةُ بالتأليف في القرآن وعلومه، من قراءات، وتفسير، وغريب، وتجويد، وغيرها[4]، مما يجعله حرياً بأن يسلط الضوء على تراثه في هذا المجال، والعناية بجهوده جزاء ما اعتنى بكتاب الله تعالى.

---

(1) الهداية 75/1.

(2) انظر مبحث «منهج المؤلف في الكتاب» ص(51).

(3) انظر: الهداية 74/1.

(4) انظر مبحث «مؤلفاته» ص(42).

المبحث السادس: وصف النسخ المعتمدة في التحقيق، ونماذج منها.

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسختين خطيتين، لم أقف لهما على ثالثة:

الأولى: مصدرها: مكتبة خزانة القرويين -فاس - المغرب، ورقمها (934)[1].

وتقع في جزأين، الأول في (246ورقة)، وينتهي بنهاية سورة الكهف، والثاني (299ورقة) من أول سورة مريم، إلى آخر سورة الناس.

وكل ورقة من وجهين، في كل وجه ثلاثة وعشرون سطراً، ويبلغ متوسط عدد الكلمات في السطر الواحد عشر كلمات.

وقد كتبها: علي الطلاع[2]، وانتهى من نسخها بتاريخ 917/ 1/ 18هـ.

وقد حصلتُ منها على مصورة فلمية، وأُدخلت بعد ذلك في الحاسب.

وهي مكتوبة بخط مشرقي واضح في الغالب، وضبطت بعض الألفاظ فيها بالشكل، وليس على حواشي هذه النسخة تعليقات إلا فيما ندر.

وعلى غلاف هذه النسخة كتب الناسخ:«الجزء الأول من الكفاية في تفسير القرآن الكريم، تأليف الشيخ الإمام العالم الصالح، بقية السلف الصالحين، عز الدين عبد العزيز الديريني».

وقد ختمها بقوله:«نجز الكتاب ... وكتبه لنفسه فقير رحمة ربه علي الطلاع ثامن عشر محرم عام سبع عشر (كذا) وتسعمائة».

وفي بيانات المكتبة على هذه النسخة أن واقفها على خزانة القرويين هو أحمد المنصور، حبّس الجزء الأول منها سنة 1011هـ. وحبس الجزء الثاني سنة 1008هـ.

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (م).

الثانية: مصدرها: المكتبة العمومية - استانبول - تركيا، ورقمها (283-36).

وتقع في جزء واحد، في (212ورقة)، في كل ورقة وجهان، وفي كل وجه تسعة

---

1) في تاريخ الأدب العربي 8/439 أن رقمها في المكتبة هو (204)، والذي يحمل هذا الرقم في المكتبة اليوم كتاب آخر.

(2) لم أقف له على ترجمة.

وعشرون سطراً، ويبلغ متوسط عدد الكلمات في السطر الواحد ست عشرة كلمة.

وقد كتبها أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد المنعم المشهور بابن جلال[1].

ولم أتبين تاريخ نسخها، فقد قيد الناسخ التاريخ في العاشر من المحرم سنة خمس وتسعين، ولم يبيِّن في أي المئِين؟.

غير أن الوقف على غلاف النسخة، والمؤرخَ في 979هـ. يبين أن نسخ هذه المخطوطة كان في عام 695 أو 795 أو 895هـ. والله أعلم.

وقد حصلت منها على نسخة حاسوبية مصورة بالألوان[2].

وقد كتبت بخط نسخي جيد جميل، وكتبت الآيات فيها باللون الأحمر، وباقي النص بالأسود، وفي حواشيها كثير من التعليقات التي كتبت باللغة العربية بالقلم الفارسي.

وليس لهذه النسخة عنوان، وإنما كتب على غلافها كتابات، أهمُّها أن هذا الكتاب قد وقفته «خير النساء بنت مراد بن بهادر»،وقد وقفته في سلخ رجب من عام 979هـ. على الشيخ محرم بن ...[3] محمد بن مزيد القسطموني ثم على أولاده وأولاد أولاده.

وقد ختم الناسخ النسخة بقوله: «ووافق الفراغ من تعليقه يوم الخميس المبارك بعد زوال الظهر عاشر شهر الله المحرم الحرام، افتتاح عام سنة خمس وتسعين من الهجرة النبوية أحسن الله عاقبتها وما بعدها إلى خير عل يد فقير عفو ربه المعترف بتقصيره وذنبه أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد المنعم الشهير بابن جلال».

---

(1) كذا في ختام النسخة، ولم أعثر له على ترجمة.

2) وصلت صورتان حاسوبيتان من هذه النسخة في وقت واحد إلى اثنين من الزملاء المشاركين في تحقيق الكتاب، ومنهما استفدتها، فجزاهما الله خيراً.

(3) كلمة لم أستطع قراءتها في الأصل.

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ك)[1].

والنسختان متقاربتان في الصحة، غير أن النسخة الأولى -حسب ترتيبها في الذِّكر- أصح من الثانية، وأقل سقطاً، وقد اشتركتا في بعض الأخطاء، مما يرجح أنهما قد كتبتا عن أصل واحد[2].

وأبرز الفروق وأكثرها تكراراً بين النسختين أن ناسخ نسخة خزانة القرويين يختصر في كتابة الآيات المفسَّرَة في مواضع كثيرة من الكتاب، فلا يكتبها تامة، أو أن ناسخ نسخة المكتبة العمومية يكمل الآيات اجتهاداً منه[3].

وفيما يأتي نماذج من النسختين:

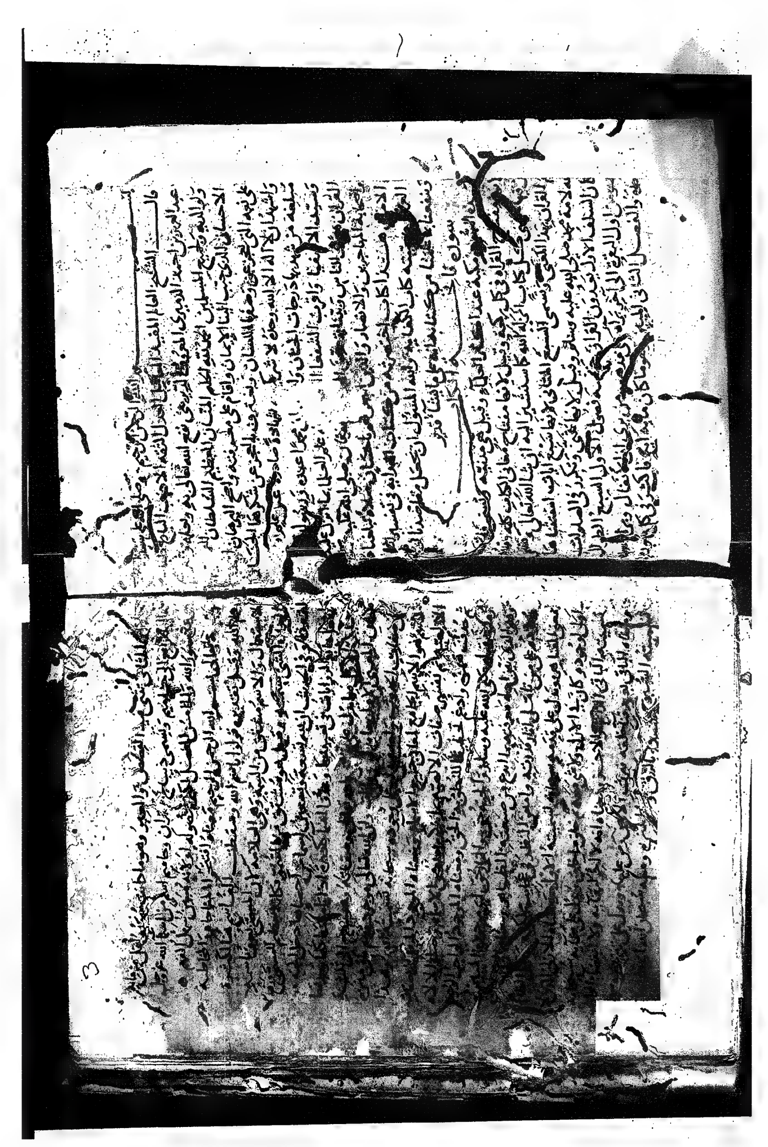
1) ذكر في الفهرس الشامل (قسم مخطوطات التفسير) 1/346،345 نسختين للكفاية: إحداهما: نسخة خزانة القرويين، والثانية: نسخة في مكتبة أيا صوفيا برقم (396-33)، إلا أن البحث بهذا الرقم في تلك المكتبة لم يسفر عن نتيجة، فقد كان الكتاب الذي تحت هذا الرقم لا يمت للتفسير بصلة، وقد تم البحث في بيانات المكتبة فلم يوجد كتاب الكفاية فيما بينها، والله أعلم.
وبهذا الصدد أسجل شكري وامتناني لكافة الزملاء الذين بذلوا الجهد من أجل الوصول إلى هذه المخطوطات، وكان لهم الفضل بعد الله في جلبِ مخطوطة المكتبة العمومية، والبحثِ في مكتبة أيا صوفيا، بل في جميع مكتبات تركيا، مكتبة مكتبة، فجزاهم الله خير الجزاء.

(2) انظر الأمثلة على ذلك ص(58)، وص(59)، وص(88)، وص(300) من النص المحقق.

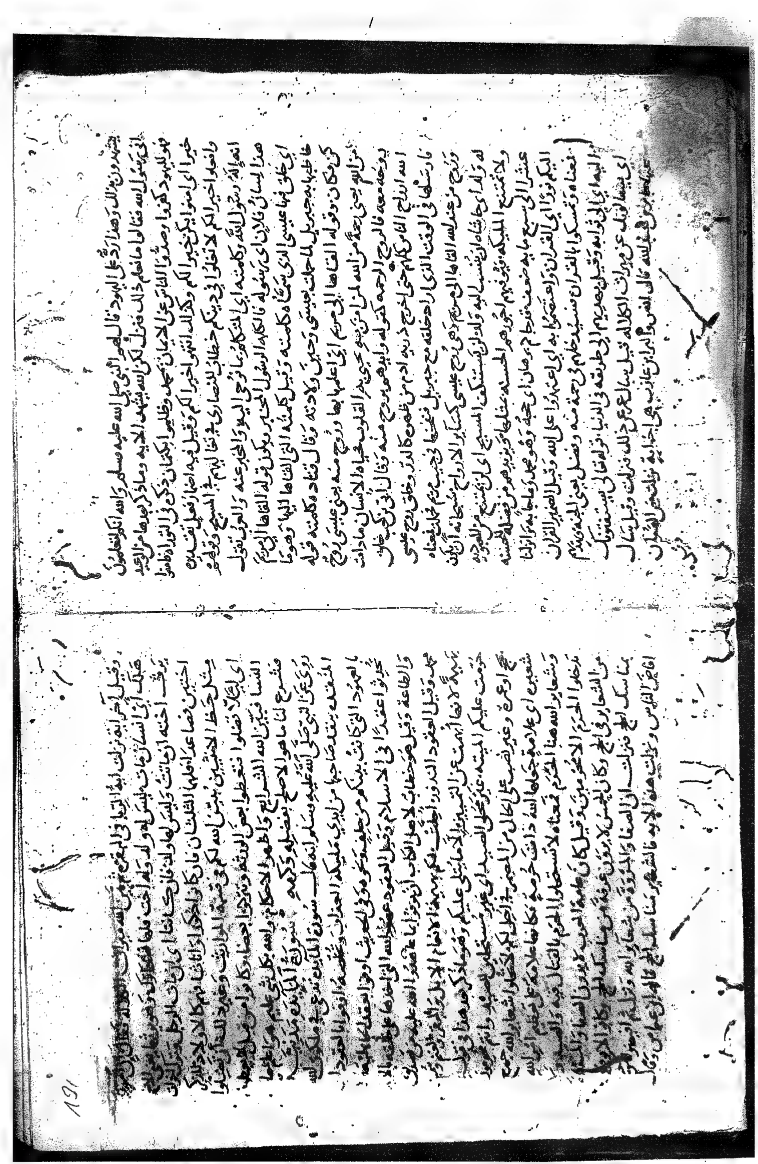
(3) ولم أستطع الجزم بأيٍّ منهما هو المتصرف في النسخ.



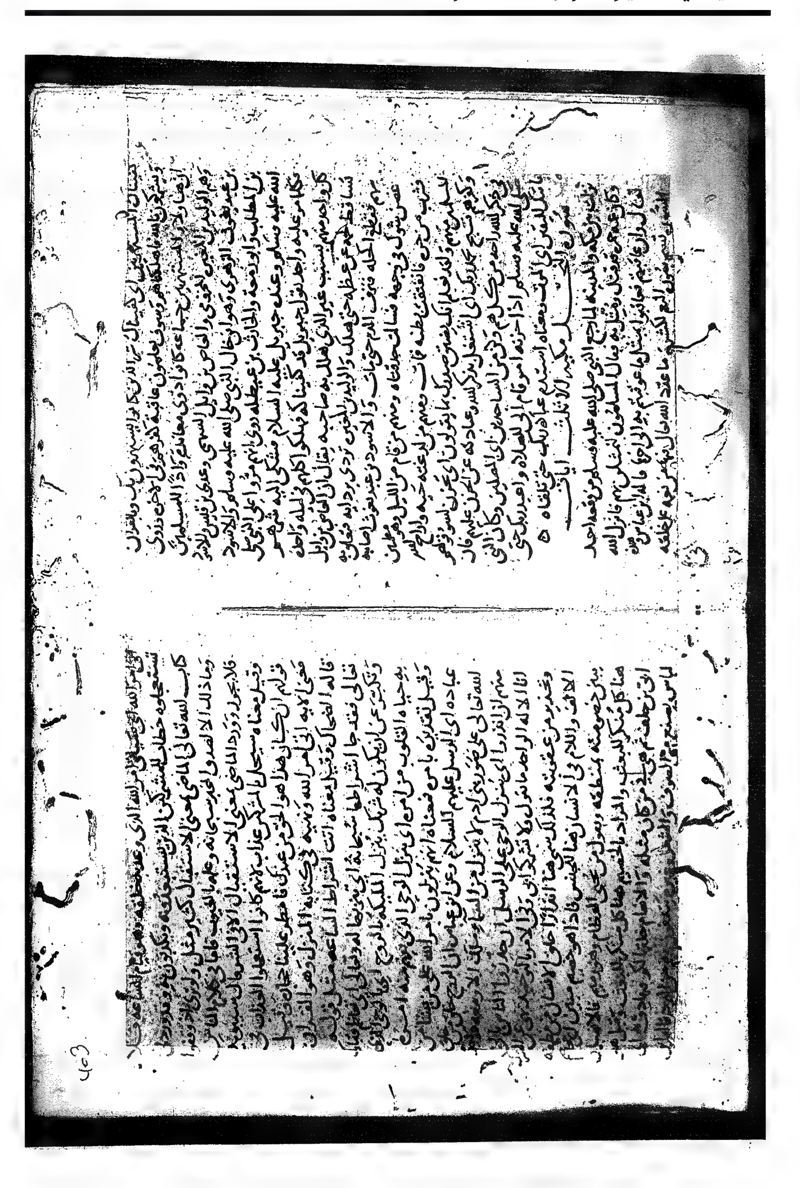
غلاف النسخة (م).



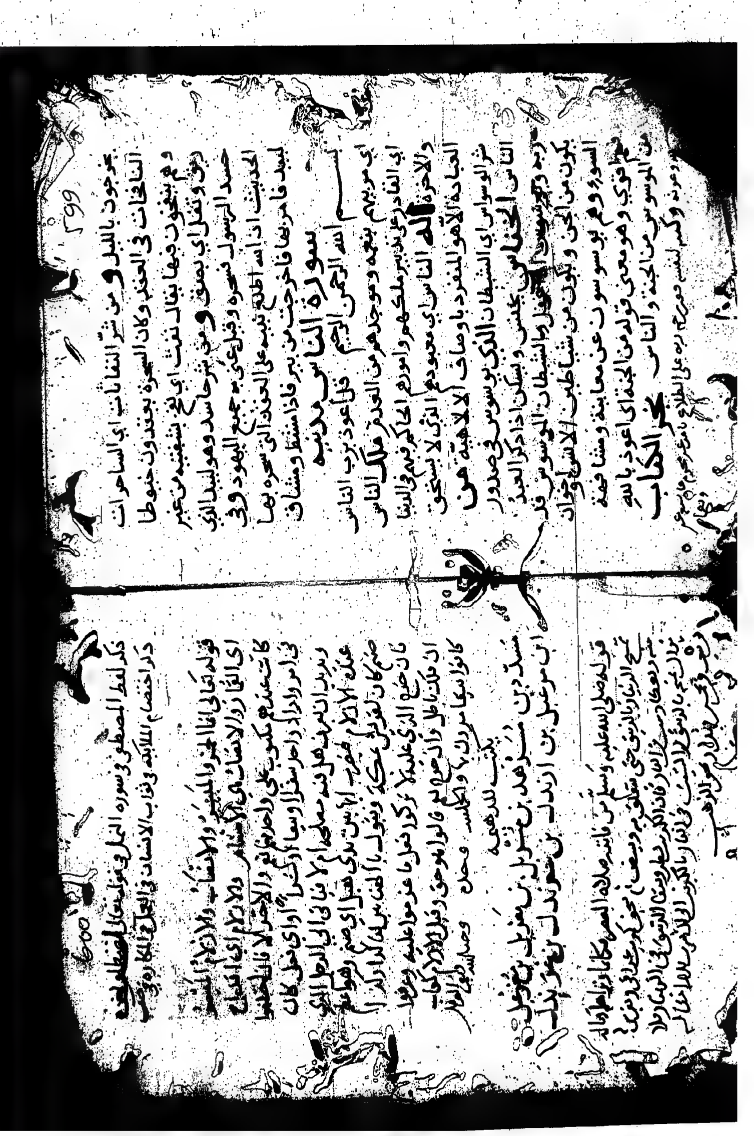
اللوحة الثانية من النسخة (م)، وهي أول الكتاب.



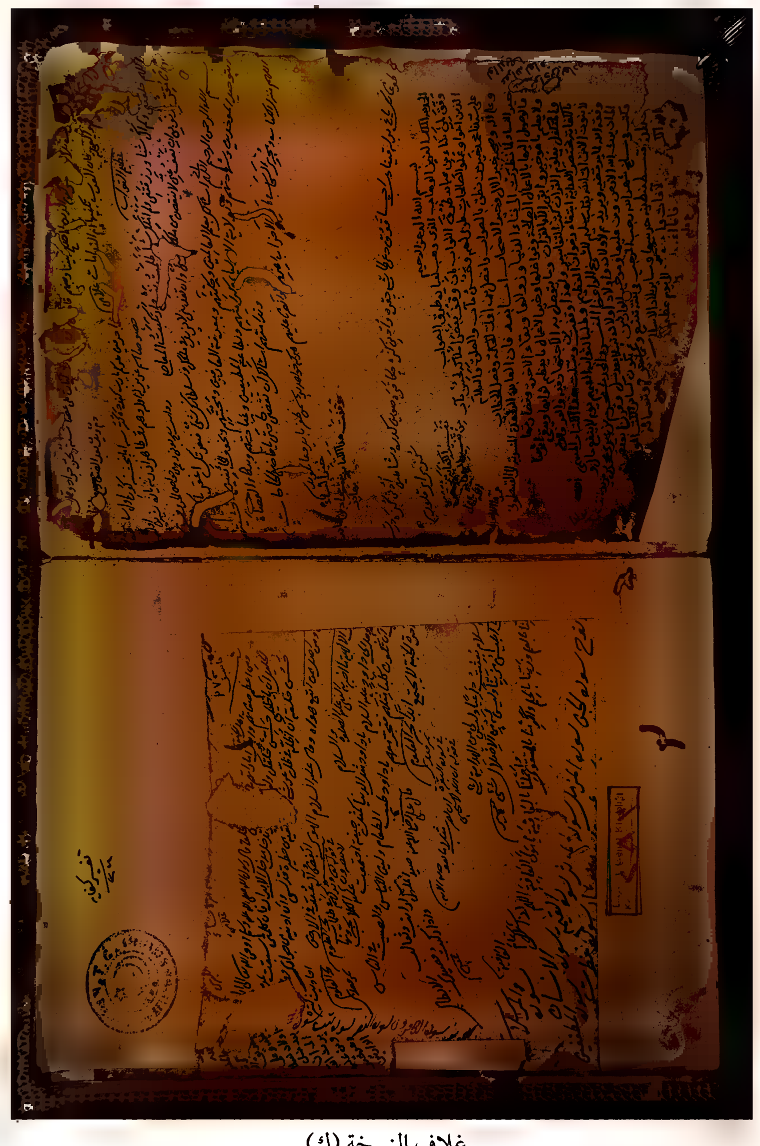
أول سورة المائدة في النسخة (م)، وهي بداية الجزءالذي قمت بتحقيقه من الكتاب.



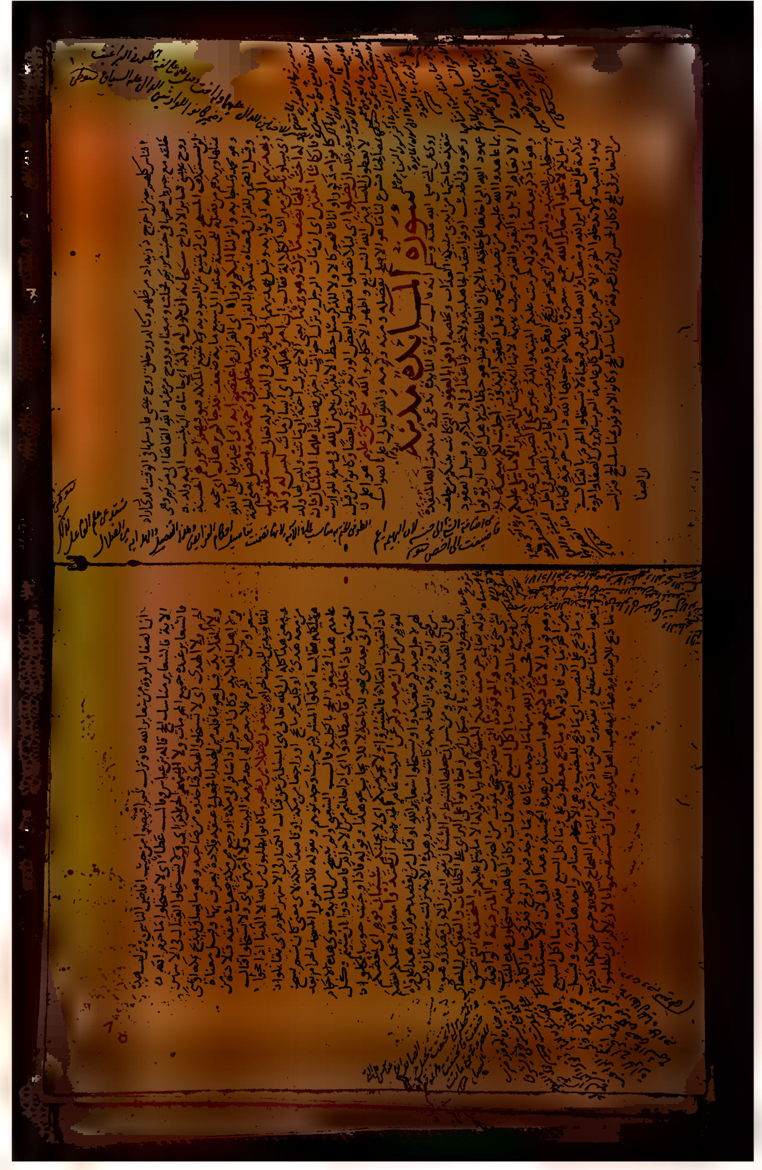
نهاية سورة الحجر من النسخة (م)، وهي نهاية الجزء الذي قمت بتحقيقه من الكتاب.



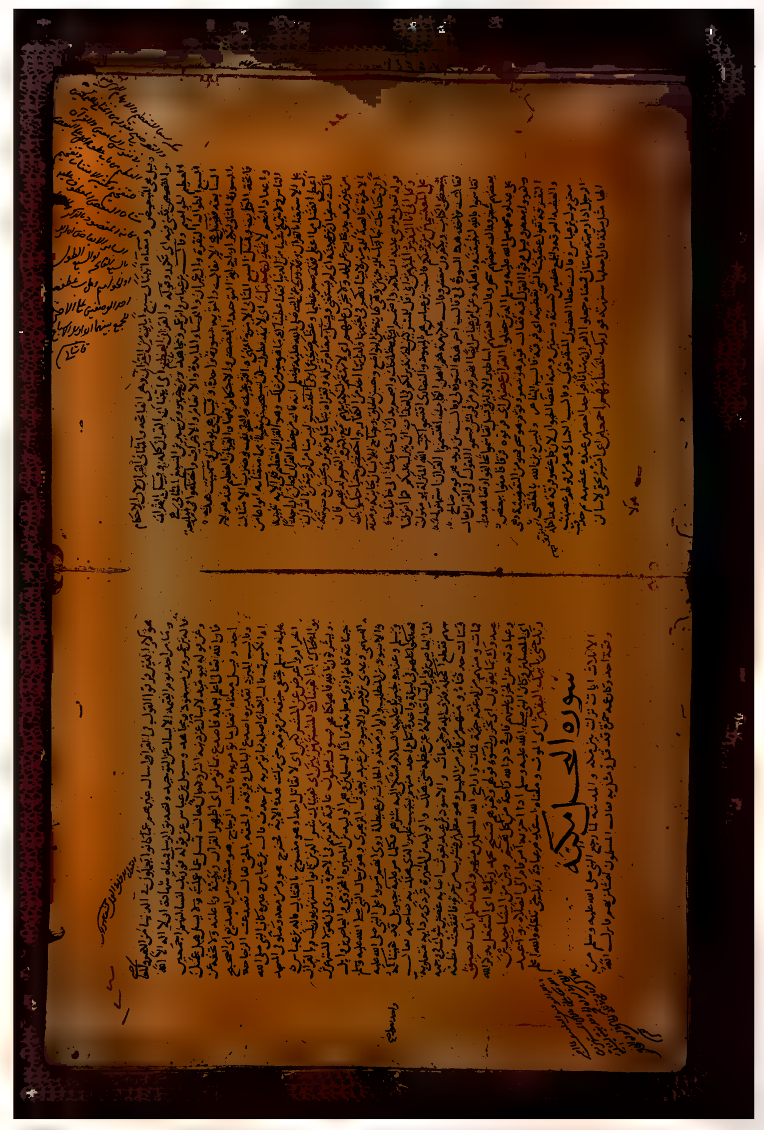
اللوحة الأخيرة من النسخة (م).



غلاف النسخة (ك).



بداية سورة المائدة في النسخة (ك) وهي بداية الجزء الذي قمت بتحقيقه من الكتاب.



نهاية سورة الحجر، وهو نهاية الجزء الذي قمت بتحقيقه من الكتاب.



اللوحة الأخيرة من النسخة (ك).

الباب الثاني:
النص المحقق

سورة المائدة

مدنية[1].

روي عن النبي ﷺ أنه قال:«سورة المائدة تدعى في ملكوت الله: المنقذة، تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب وتخلصه»[2].

(أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ)[الآية:1] [بالعهود][3] التي كانت بينكم من حلف ونحوه، وفي الحديث: «أوفوا بعقد الجاهلية، ولا تحدثوا عقداً في الإسلام»[4]، وقيل: العقود: عهود الله التي أخذها على خلقه بالإيمان والطاعة، وقيل: هو خطاب لأهل الكتاب أن يوفوا بما عاهدوا الله عليه من تصديق محمد [ﷺ]، وقيل: العقود النذور[5].

(أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ) الإبل والبقر والغنم[6]، وسميت بهيمة لأنها أبهمت عن التمييز[7].

(إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ) وهو ما ذكر بعد هذا في قوله (حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ [وَٱلدَّمُ])[8] صدق الله

(غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ) أي: غير مستحلين للصيد.

---

(1) بالاتفاق. انظر: تفسير البغوي 1/629، والبرهان 1/139، والإتقان 1/29-34.

2) أورده بصيغة التمريض -كما فعل المؤلف- مكي في الهداية 3/1827، وأورده كذلك ابنُ عطية في المحرر الوجيز 2/143، وابن الفرس في أحكام القرآن 2/294، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن 6/30 ثلاثتهم من دون لفظة «وتخلصه». ولم أقف على الحديث مسنداً.

(3) سقطت من (ك).

4) رواه بهذا اللفظ الطبري في تفسيره 4/386. من طريق بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، وفيه: ذكر لنا أن رسول الله كان يقول:«أوفوا بعقد الجاهلية، ولا تحدثوا عقداً في الإسلام». فبشر بن معاذ هو العقدي، صدوق. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل 2/368، وتقريب التهذيب (709)، ويزيد هو ابن زريع، ثقة ثبت. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 8/296، وتقريب التهذيب (7764)، وسعيد هو ابن أبي عروبة، ثقة حافظ له تصانيف، لكنه كثير التدليس والخطأ، وكان من أثبت الناس في قتادة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 6/413، وتقريب التهذيب (2378). فالإسناد حسن إلى قتادة. انظر: التفسير الصحيح 1/50-53. ولكن الحديث هنا مرسل.

والحديث قد رواه الترمذي في سننه، كتاب النذور والأيمان عن رسول الله ، باب ما جاء في الحلف، (1585) ص375، بلفظ: أن رسول الله قال في خطبته:«أوفوا بحلف الجاهلية؛ فإنه لا يزيده -يعني الإسلام- إلا شدة» ، وقد حسنه الألباني في تعليقه عليه.

(5) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري 4/385-388، والهداية 4/1553-1556، والجامع لأحكام القرآن 6/32.

(6) انظر: تفسير الطبري 4/389،388، ومعالم التنزيل 1/630.

(7) سميت بذلك إما لإبهامها عن التمييز والفهم أو لإبهامها من جهة النطق. انظر: معاني القرآن للنحاس 2/249، ومفردات ألفاظ القرآن ص149، ومعالم التنزيل 1/631، والمحرر الوجيز 2/145.

(8) ما بين المعقوفين سقط من (م)، وانظر: تفسير الطبري 4/390، ومعالم التنزيل 1/631.

﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: محرمون بحج أو عمرة[1]، و﴿غَيْرَ﴾ نصب على الحال من المضمر في أحل لكم[2].

﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾[الآية:2] جمع شعيرة، أي: علامة، جعلها الله ذات حرمة، فكأنها علامة على تعظيم أمر الله[3].

وشعائر الله هنا الحرم، فمعناه: لا تستحلوا الحرم بالقتال فيه والصيد، ولا تدخلوا الحرم إلا محرمين[4].

وقيل: كان عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من الشعائر في الحج، وكان الحمس[5] لا يرون عرفة من مناسك الحج، وكانوا لا يوفون بمناسك الحج فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[6]، ونزل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[7]، ونزلت هذه

---

(1) انظر: التفسير الكبير 11/100، والجامع لأحكام القرآن 6/36.

2) كررت كلمة (أحل) في (ك)، وهي بتذكير الفعل (أحل) في النسختين والآية ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾ وما ذكره المؤلف من أن ﴿غَيْرَ﴾ منصوبة على الحال، وصاحبها الضمير المجرور في ﴿لَكُم﴾ هو قول جمهور النحاة والمفسرين.

انظر: الكشاف 1/589، والمحرر الوجيز 2/145، والدر المصون 4/178-185.

(3) انظر: تفسير الطبري 1/47، الكشف والبيان 4/9، والهداية 1/521، 520، و3/1564.

(4) انظر: معاني القرآن للنحاس 2/250، ومعالم التنزيل 1/632، وزاد المسير ص352، والتسهيل 1/223.

(5) جمع أحمس، وهو لقب لقريش وبعض قبائل العرب ممن تابعهم، سموا بذلك لأنهم تحمسوا في دينهم أي: شددوا، وقيل: لغير ذلك، وكانوا لا يخرجون من الحرم إلى عرفة في الحج. انظر: النهاية في غريب الحديث ص233 (ح م س)، والقاموس المحيط ص539 (ح م س).

(6) سورة البقرة، الآية (158).

(7) سورة البقرة، الآية (199).

(8) من قول المؤلف: (وقيل: كان عامة العرب...) هذا القول مروي عن الكلبي. انظر: الهداية 3/1566، 5165، والمحرر الوجيز 2/146، ولكن ليس فيه التصريح بأن ما ذكره هو سبب نزول آيتي سورة البقرة، وإنما صرح فيه بآية سورة المائدة.

فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ فقد روي ما يعضد كلام المؤلف من أن عامة العرب لم يكونوا يطوفون بهما، أنهما كانا مما اختصت به الحمس. انظر: تفسير الطبري 2/50، وأسباب النزول للواحدي ص42، 41، والعجاب 1/41، ولكن الذي في الصحيحين أن الأنصار هم الذين كانوا يتحرجون من الطواف بهما، قالت عائشة رضي الله عنها: «ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كا نوا يعبدوها عند المشلل، فكان من أهلّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فلما أسلموا سألوا رسول الله عن ذلك...». انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة (1643) 3/628، وصحيح مسلم، كتاب الحج (1277) 3/401.

أما قوله تعالى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فما ذكره المؤلف -من أنها نزلت في الحمس الذين لم يكونوا قفون بعرفة- موافق لما في الصحيحين. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) (4520) 8/234، وصحيح مسلم، كتاب الحج (1219) 3/351.

الآية[8]، فالشعائر مناسك الحج، قاله ابن عباس[1].

وقال عطاء[2]: أي: لا تستحلوا ما حرم الله[3]، فالشعائر عنده جميع المحرمات.

﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي: ولا تستحلوا القتال في الأشهر الحرم[4].

﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾ أي: لا تستحلوا الهدي فتأخذوه من صاحبه[5]، وهو ما يساق ليذبح بمكة أو بمنى[6].

﴿وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ قيل: هو ما قلد من الهدايا فجعل في عنقه قلادة يعرف بها، وقيل: معناه: ولا أهل القلائد، وكان الرجل إذا سافر إلى مكة أو رجع من مكة يجعل في عنقه قلادة من شعر أو من شجر[7] الحرم، فلا يتعرض له أحد لحرمة البيت[8].

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ﴾ أي: ولا تستحلوا قتال القاصدين[9] للبيت الحرام[10].

---

1) انظر: تفسير الطبري 4/393. وهي عنده من رواية ابن جريج عن ابن عباس، وهو لم يلقه، بل مات ابن عباس قبل أن يولد ابن جريج بسنين، وابن جريج ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل. انظر: سير أعلام النبلاء 6/334، وتقريب التهذيب (3431) (4221)، وانظر: العجاب 1/220، والإتقان 2/533، والتفسير والمفسرون 1/85.

2) هو ابن أبي رباح (أسلم) القرشي ولاء، المكي، أبو محمد، مفتي الحرم، ثقة فقيه فاضل، مات سنة 114هـ على المشهور. انظر: سير أعلام النبلاء 78/ 5، وتقريب التهذيب (4623) ص677.

3) رواه الطبري في تفسيره 4/392، قال: «حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، قال: حدثنا حبيب المعلم، عن عطاء:...»؛ وابن وكيع هو سفيان بن وكيع بن الجراح، كان إلا أنه ابتلي ه فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح لم يقبل فسقط حديثه. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 12/152، وتقريب التهذيب (2469). وعبد الوهاب الثقفي هو ابن عبد المجيد، ثقة تغير قبل موته بثلاث سنين، قال الذهبي: لكن ما ضره تغيره؛ فإنه لم يحدث زمن التغير بشيء، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 9/237، وتقريب التهذيب (4289)، وحبيب المعلم صدوق، انظر ترجمته في: تقريب التهذيب (1123).

4) جماهير المفسرين على أن المنهي عنه في هذه الآية هو استحلال القتال. وقد اختلفوا في المراد بالشهر الحرام هنا: أهو جنس الشهر الحرام، فيعم جميع الأشهر الحرم -كما هو قول المؤلف-، أم المراد شهر بعينه؟ ثم اختلف القائلون بالتعيين في أي شهر هو، فقيل: رجب -وهو اختيار الطبري-، وقيل: ذو القعدة، وقيل: ذو الحجة. وغالب أقوال المفسرين تدور بين اختيار المؤلف وبين اختيار الطبري. انظر: تفسير الطبري 4/394، والهداية 3/156، وأحكام القرآن لابن العربي 2/19، والمحرر الوجيز 2/146، والجامع لأحكام القرآن 6/38، والبحر المحيط 3/434.

(5) انظر: تفسير الطبري 4/394، والتسهيل 1/223.

(6) انظر: تفسير الطبري 4/394، والتفسير الكبير 11/102، والتحرير والتنوير 5/15.

(7) بياض في (ك) مكان كلمة (شجر).

(8) انظر: تفسير الطبري 4/395، وأحكام القرآن لابن الفرس 2/311،310.

(9) في (ك): (للقاصدين).

(10) انظر: أحكام القرآن لابن العربي 2/20، والمحرر الوجيز 2/147.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ما كانوا يطلبون من الله إذا حجوا إلا الدنيا[1].

ومعنى هذا كله أن الله تعالى نهى المسلمين عن قتال الكفار في الأشهر الحرم أي: تقاتلوا[2] من معه هدي، أو كان محرماً بحج، أو راجعاً من مكة [مقلداً][3]، أو قاصداً مكة لأي معنى كان، ثم نسخ هذا كله فقال: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[4]، وبقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[5] فمنعوا الحج بالكلية[6].

قال الشعبي[7]: لم[8] ينسخ من المائدة سوى هذه الأحكام الخمسة[9].

﴿وَإِذَا[10] حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي: إذا حللتم من الإحرام فاصطادوا إن شئتم[11]، وكل أمر أتى بعد نهي فهو للإباحة لا للإيجاب، نحو هذا، وقوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا﴾[12]،

---

1) في (ك): (ما كانوا يطلبون من الله إلا الدنيا إذا حجوا)، وقد اختلف المفسرون رحمهم الله في الفضل الرضوان المرادان هنا: فقيل: الفضل التجارة، وقيل: رحمة الله، وأما الرضوان: فقيل رضوان الله تعالى عنهم رحمته ومغفرته-وإن كان لا يحصل لهم إلا أنهم يرجونه ويطلبونه-، وقيل: المراد به الرضوان في الدنيا بتأخير العذاب عنهم، والإنعام عليهم بالأموال والأولاد ونحو ذلك. انظر: تفسير الطبري 4/401، والهداية 3/1575، والمحرر الوجيز 2/147.

(2) كذا في النسختين، ولعل مراده: أن تقاتلوا.

(3) سقطت من (ك).

(4) سورة التوبة، الآية (5).

(5) سورة التوبة، الآية (28).

(6) اختلف المفسرون رحمهم الله تعالى في هذه الأحكام الواردة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بناء على اختلافهم في المراد بكل واحدة منها -على ما مضى-، والذي يظهر رجحانه -والعلم عند الله- أن الواقع في الآية تخصيص لا نسخ، فما كان متصوَّراً من هذه الآية في المسلمين فحكمه ماض، نُسخ منها ما كان خاصاً بالمشركين من عدم صدهم وصد هَدْيهم وقلائدهم عن البيت؛ إلا النهيَ عن الشهر الحرام إنه منسوخ في قول جماهير المفسرين.انظر: تفسير الطبري 4/398-401، والمحرر الوجيز 2/147، ونواسخ القرآن ص139-142، وتفسير ابن كثير 2/6،5، والإتقان 2/65.

7) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كِبار، الإمام، علامة عصره، الهمْداني الشعبي، نسبة إلى شَعْب، بطن من همْدان، ثقة مشهور فقيه فاضل، مات سنة 104هـ على الأشهر. انظر: الأنساب 3/431، وتاريخ دمشق 25/335، وسير أعلام النبلاء 4/294، وتقريب التهذيب (3109) ص475.

(8) في (ك): (ولم).

9) رواه عبد الرزاق في تفسيره 1/181، والطبري في تفسيره 4/399، كلاهما بلفظ «لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾». وقد رواه عبد الرزاق عن الثوري عن بيان عن الشعبي، الثوري هو سفيان، أمير المؤمنين في الحديث، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 7/229، وتقريب التهذيب (2458)، وبيان هو ابن بشر الأحمسي، ثقة ثبت. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 6/124، وتقريب التهذيب (797).

(10) في (ك): (فإذا).

(11) انظر: تفسير الطبري 4/402، وتفسير ابن كثير 2/6.

(12) سورة الحج، الآية (36).

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ﴾(1)، [ونحوه](2).

﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ أي: لا يحملنكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾ أي: بغضكم لقوم من أجل ﴿أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ﴾ البيت عام الحديبية ﴿أَن تَعۡتَدُواْ﴾ ومعناه(3): لا يحملنكم بغضكم لهم لأجل صدكم فتعتدوا وتستحلوا شعائر الله أو قتال من يقصد حرم الله، هذا على قراءة من فتح ﴿أَن﴾، ويؤيده أن الحديبية كانت سنة ست(4)، وهذه الآية نزلت [في](5) سنة ثمان، فيدل(6) على أن الصد قد وقع، ومن كسر ﴿إِن﴾ جعلها للشرط(7).

---

(1) سورة الجمعة، الآية (10).

(2) سقطت من (ك).

المسألة التي بينها المؤلف من مباحث علم الأصول، وهي مسألة الأمر بعد الحظر، فقال بعض العلماء: إن الأمر بعد الحظر يفيد الوجوب، وقال بعضهم: بل يفيد الإباحة، وهو ما اختاره المؤلف، وقال بعضهم: بل يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل التحريم، وهذا ما رجحه الزركشي وابن كثير والأمين الشنقيطي رحمهم الله تعالى. انظر: روضة الناظر 2/612-615، وتفسير ابن كثير 2/7،6، والبحر المحيط للزركشي 3/302-307، وأضواء البيان 2/4،3 ، ومذكرة في أصول الفقه ص229-232.

إذا تبين ذلك فإن من الأمثلة التي ذكرها العلماء على هذه المسألة آية سورة المائدة التي نحن بصددها، وكذلك آية سورة الجمعة التي أوردها المؤلف، أما آية سورة الحج ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ فإنها حسب ما ظهر لي- ليست من هذه المسألة في شيء، فإنها لم يسبق الأمرَ فيها حظرٌ أصلا، كما لم أجد من مثّل بها لهذه المسألة، وذلك بعد البحث عنها في مظانها من كتب الأصول والتفسير، بل كل ما هنالك أن الأمر فيها هل هو باق على أصله في إفادته الوجوب أم أنه يفيد حكماً آخر؟ فالجمهور على أنه للاستحباب، وقيل: للوجوب على أصله، وقيل: للإباحة. انظر: تفسير الطبري 9/156،155، والمحرر الوجيز 4/123، والجامع لأحكام القرآن 12/43، وتفسير ابن كثير 3/233، وأضواء البيان 5/411-413.

والذي ظهر لي أن ما وقع من المؤلف رحمه الله إنما هو سبق قلم، فإن مكي بن أبي طالب في كتابه الهداية -وهو بمثابة المصدر الرئيس عند الديريني- قال عند هذه الآية ما نصه: «قوله ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ هذا إباحة وليس بحتم. قال عطاء بن أبي رباح: أربع رخصة وليس بعزيمة ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾». الهداية 3/1576. فمكي كما هو واضح من السياق لم يتطرق لمسألة الأمر بعد الحظر، وذكر عن عطاء أمثلة صائبة في بابها، فسها المؤلف وأورد هذا المثال في غير موضعه؛ إلا إذا كان مراد المؤلف بالحظر: ما سبق من النهي العام عن التعرض للهدي وإحلال شعائر الله، وهذا بعيد. والله تعالى أعلم.

(3) في (ك): (معناه)، دون واو.

(4) بلا خلاف. انظر: البداية والنهاية 2/552.

(5) سقطت من (ك).

(6) في (ك): (فدل).

(7) انظر معنى الآية وتوجيه القراءتين في: تفسير الطبري 4/403-405، والحجة لأبي علي الفارسي 2/112،111، والمحرر الوجيز 2/149، والجامع لأحكام القرآن 6/43-45.

والقراءة بفتح الهمزة في ﴿أَن صَدُّوكُمۡ﴾ هي قراءة الجمهور، وقرأ بالكسر ابن كثير وأبو عمرو. انظر: النشر 2/191.

والشن·آن بفتح النون الأولى: مصدر، وهو البغض والعداوة، وبالإسكان: اسم[1].

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾أي: على الطاعات ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ترك المعاصي[2].

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[الآية:3]هذا بيان قوله ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[3].

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾التي تخنق بشيء حتى تموت[4]﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾التي تضرب حتى تموت من الضرب[5]﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾الواقعة من موضع عال فتموت، [يقال تردى: أي: وقع[6]﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المنطوحة، تنطحها بهيمة أخرى فتموت][7] ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾بعض·ه فمات[8].

وكان الجاهلية[9] يستحلون هذه الميتات الخمسة[10]، فحرم الله منها ما وجد ميتاً، وما وجد فيه الروح فذكي جاز أكله، وهو قوله ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾فهو استثناء من هذه الخمسة، وهذا أولى؛ لأن الاستثناء أتى بين المحرمات، فإن قوله ﴿وَمَا ذُبِحَ﴾معطوف على ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ تقديره[11]: وما أكل السبع وما ذبح على النصب -أي: ما ذبح للنصب، وهي الأصنام، واحدها ن·ص·ب[12]-، وقيل: هو استثناء منقطع، وتقديره: لكن ما ذكيتم من البهائم الصحاح فكلوه، وحرم عليكم مما ذكيتم ما ذبح للأصنام، وهذا مذهب أهل

---

1) قرأ الجمهور بفتح النون على أنه مصدر، وقرأ ابن عامر وشعبة وأبو جعفر بالإسكان على أنه مصدر أيضاً، وقيل: بل على أنه وصف بمعنى (مُبغِض قوم، أو بغيض قوم) وهذا هو ما أشار إليه المؤلف بقوله: اسم. نظر: تفسير الطبري 4/403، والحجة لابن خالويه ص67، والحجة لأبي علي الفارسي 2/101-111، والمحرر الوجيز 2/149، والبحر المحيط 3/437، وتحبير التيسير ص106، والنشر 2/191،190.

(2) انظر: تفسير الطبري 4/405، وزاد المسير ص353، وتفسير ابن كثير 2/7.

(3) كما بين ذلك المؤلف سابقاً عند الآية التي ذكرها.

(4) انظر: تفسير الطبري 4/408،407، ومعالم التنزيل 1/634.

(5) انظر: معاني القرآن للنحاس 2/256، والهداية 3/1579.

(6) انظر: معاني القرآن للنحاس 2/257، والجامع لأحكام القرآن 6/47، ولسان العرب 5/195 (ر د ي).

(7) ساقط من (ك). وانظر تفسير النطيحة في: تفسير الطبري 4/409، والكشاف 1/591.

(8) انظر: تفسير الطبري 4/411، والمحرر الوجيز 2/151.

(9) كذا في النسختين.

(10) انظر: الهداية 3/1579، والكشاف1/591.

(11) في (م): (معطوف على أن ما أكل السبع تقديره...).

12) يطلق النصب على الصنم، ويطلق على الحجارة التي كانت تُنصَبُ ليذبح عليها، قيل: تنصب بين يدي الصنم ليسيل عليها دم المذبوح، وغالب المفسرين على أن المراد هنا الحجارة التي يذبح عليها لا الأصنام، وقال بعضهم بمثل قول المؤلف. انظر: معجم مقاييس اللغة 5/434 (ن ص ب)، والهداية 3/1584، والكشاف 1/592،591، والتفسير الكبير 11/107،106، والتحرير والتنوير 5/25،24.

المدينة[1].

﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ﴾ [أي: وحرم عليكم أن تستقسموا][2] ﴿بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ أي: تطلبوا بها القسم، وهو الحظ والنصيب، والأزلام قداح[3] كانت مكتوب على واحد[4] منها: نعم ، وعلى الآخر: لا، وهي عند رجل منهم، فإذا اختلفوا في أمر أو أراد[5] واحد منهم سفراً أو شراء أو بيعاً أو أي فعل كان، ويريد أن يعرف فيه مصلحة أم لا، فيأتون إلى صاحب الأزلام فيضرب بها بين يدي هبل، وهو أعظم صنم كان لقريش بمكة، ويقول: يا إلهنا بي··ن لنا كذا وكذا، فإن خرج: (لا) تركوا فعل ما عزموا عليه، أو عرفوا أن الذي اختلفوا فيه باطل، وإن خرج: (نعم) قالوا: هو حق، وقيل: الأزلام كعاب كانوا يتقامرون بها[6].

﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾ يعني: إتيان شيء من هذه المحرمات المذكورة[7].

[قوله تعالى][8]: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ أي: يئسوا أن تتبعوهم وتتركوا دينكم، وكانوا قبل ذلك يطمعون في إبطال دينكم[9]، ونزل هذا إلى قوله ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ

---

1) انظر هذه المسألة في: تفسير الطبري 4/411-414، وأحكام القرآن لابن العربي 2/24،23، والجامع لأحكام القرآن 6/49،48. وقد انفرد المؤلف في استدلاله على ترجيحه بإدخال الاستثناء بين المحرمات قبل المذبوح على النصب، ولم أطلع عليه عند غيره من المفسرين.

(2) ساقط من (ك).

(3) الزَّلَم أو الزُّلَم هو القِدْح، وهو السهم قبل أن يوضع له الريش ويركب له النصل. انظر: فقه اللغة ص 174 ، ولسان العرب 6/75 و 11/51، والمصباح المنير ص 292.

(4) في (ك): (على كل واحد).

(5) في (ك): (وأراد).

(6) انظر: تفسير الطبري 4/415-417، والهداية 3/1584-1587.

قول المؤلف «كعاب كانوا يتقامرون بها» الكعاب هي فصوص النرد، وإنما يتقامر بها الفرس والروم كما عند الطبري من أثر مجاهد. انظر: تفسير الطبري 4/416، والنهاية في غريب الحديث ص 791 (ك ع ب)، والمعجم الوسيط ص 790 (ك ع ب).

(7) انظر: تفسير الطبري 4/417، والتفسير الكبير 11/107.

(8) سقطت من (ك).

(9) انظر: تفسير الطبري 4/417، ومعالم التنزيل 1/636.

ﭐلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا) في حجة الوداع يوم عرفة[1]، وقيل: يوم النحر[2]، فتوفي النبي ﷺ بعدها بنحو من ثمانين ليلة[3].

(فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ)أي: لا تخافوا أن يبطلوا دينكم[4].

(ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ) بإتمام الفرائض، ومعرفة الأحكام، وتيسير الحج، ومنع المشركين عن البيت، وغير ذلك من الفتح والنصر والنعم[5].

(وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا) فدوموا عليه، وهذا كله كلام توس··ط· ذ·ك·ر· أحكام التحليل والتحريم[6]، ثم يرجع الكلام إلى ما تقدم، وهو قوله (فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ)أي : إلى أكل الميتات التي حرمتها عليكم، والمخمصة المجاعة، من خمص البطن وهو انهضامه[7].

(غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ)أي: مائل، والجنف: الميل، ومعناه: فمن اضطر فليأكل غير مائل إلى الإثم بالأكل من غير ضرورة، فهو مثل قوله (غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ)[8].

(وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ)[الآية:4] وأحل لكم صيد ما عل··متم من الكواسب كالكلب والباز وغير ذلك، والجارح الكاسب، ومنه (مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[9]، ومنه (ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[10].

---

(1) وكان يوم جمعة. وذلك ثابت في الصحيحين. فقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ) (4606) 8/341، ومسلم في صحيحه، كتاب التفسير (3017) 6/435، وانظر: تفسير ابن كثير 2/15.

(2) انظر: فتح القدير 2/16.

(3) انظر: تفسير الطبري 4/419.

(4) انظر: الهداية 3/158، وزاد المسير ص357.

(5) انظر: تفسير الطبري 4/419،418، والهداية 3/1590.

(6) في (ك): (التحريم والتحليل).

(7) انظر: تفسير الطبري 4/424، ومعاني القرآن للنحاس 2/262.

8) تكررت في عدة آيات، وأول ورودها في سورة البقرة، الآية (173). وانظر تفسير المتجانف في: الهداية 3/1594،1593، وزاد المسير ص357، الجامع لأحكام القرآن 6/63.

(9) سورة الأنعام، الآية (60).

(10) سورة الجاثية، الآية (21). وانظر: معاني القرآن للنحاس 2/265،264، والكشاف 1/594.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي: مشجعين محرشين للجوارح، وقيل: أي: أصحاب كلاب[1]، وهو منصوب على الحال من ﴿عَلَّمْتُم﴾[2].

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من الشجاعة والأدب، حتى يصير الجارح إذا أرسل انبعث ، وإذا زجر وقف أو رجع[3].

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ﴾ أي: مما اصطادوه [لكم][4] وإن أدركتموه ميتاً، فليس حكمه حكم الميتة، فهذه رخصة وتوسعة[5].

﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ أي: وقت إرسال الجارح[6] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تتعدوا ما أحل لكم[7].

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾[الآية:5] أي: بينا لكم ما أحل لكم وما حرم[8].

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ أي: ذبائحهم في غير الأعياد، فأما الذي يذبحونه في أعيادهم فهو مما أهل لغير الله به[9].

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ أي: يحل لكم أن تطعموا أهل الكتاب [إلا][10] من الضحايا والهدايا وما تقربتم به إلى الله تعالى، فلا يُطعَمْ كافرٌ منه شيئاً[11].

---

(1) انظر القولين في: معاني القرآن للنحاس 2/265،263، والهداية 3/1599، وزاد المسير ص359.
(2) انظر: الكشاف 1/594، والتسهيل 1/225.
(3) انظر: تفسير الطبري 4/430-437، والهداية 3/1560،1599، وأحكام القرآن لابن العربي 2/35، والجامع لأحكام القرآن 6/67.
(4) سقطت من (ك).
(5) انظر: المحرر الوجيز 2/158، وتفسير ابن كثير 2/18.
(6) انظر: تفسير الطبري 4/439، وتفسير ابن كثير 2/18.
(7) انظر: تفسير الطبري 4/439.
(8) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/74، وتفسير ابن كثير 2/21.
9) غالب المفسرين على أن المراد بالطعام هنا الذبائح. انظر تفسير الطبري 4/442، والجامع لأحكام القرآن 6/75.
الإجماع على أن ما ذكروا اسم الله عليه من ذبائحهم حلال لنا، واختلف فيما سمي عليه غير الله، وفيما ذبحوه لأعيادهم وكنائسهم، وعند الشافعية أن ما ذبحوه لأعيادهم وكنائسهم محرم. انظر: الهداية 3/1605-1608، وأحكام القرآن لابن الفرس 2/347،346، وبداية المجتهد 4/128، والمغني لابن قدامة 13/295،294، والجامع لأحكام القرآن 6/75، وتفسير ابن كثير 2/21.
(10) سقطت من (ك).
(11) انظر معنى الآية في: تفسير ابن كثير 2/22، والتسهيل 1/227، وقد اختلف العلماء في الأضحية -والهدي في حكمها-: أيجوز أن يطعم منها الكافر؟ فقيل بالجواز، وقيل بالكراهة، وقيل بالتحريم، وهو قول أكثر الشافعية . انظر: المغني لابن قدامة 13/381، والمجموع 8/404، وتحفة المحتاج (وحاشية الشرواني عليه) 9/364.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [حل][1] ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [أي][2]: الحرائر منهن حلال إذا آتيتموهن مهورهن[3].

﴿مُحْصِنِينَ﴾ أي: أعفاء[4]، وهو حال من ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾[5]، غير زانين[6]﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ من النساء، وهذا وصف الرجال هنا، وفي سورة النساء: ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ و﴿مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ و﴿مُتَّخِذَٰتِ﴾[7]، فهو وصف النساء.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[الآية: 6] أي: أردتم القيام[8]، كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[9]، ومعنى ﴿قُمْتُمْ﴾ أي: إذا قمتم من النوم إلى الصلاة فتوضئوا، هذا قول أهل المدينة، وقيل: فيه إضمار، وتقديره: إذا قمتم وقد أحدثتم، وقيل: على ظاهره، وهو ندب في حق المتوضئ وفرض في حق المُحْدِث،

(1) سقطت من (ك).
(2) في (م): (إلا).
(3) اختلف المفسرون في المراد بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب على قولين، فقيل: المراد الحرائر، وقيل: بل العفيفات. وغالب المفسرين على ما اختاره المؤلف. انظر: تفسير الطبري 4/444-448، ومعالم التنزيل 1/641، وفتح القدير 2/23.
(4) انظر: الكشاف 1/596.
(5) انظر: فتح القدير 2/23.
(6) قوله «غير زانين» هو تفسير لقوله تعالى (غير مسافحين) كما في الهداية 3/1612.
(7) الكلمات الثلاث في سورة النساء، الآية (25).
(8) انظر: التفسير الكبير 11/119،118، والبحر المحيط 3/449، وفتح القدير 2/25.
(9) الآية من سورة النحل، ورقمها (98). وانظر: تفسير ابن كثير 1/14، والبحر المحيط 3/449.

قاله علي بن أبي طالب[1]، وقيل: معناها وجوب القيام لكل صلاة، ثم نسخت بفعل النبي ﷺ يوم الخندق حين صلى العصر والمغرب بوضوء واحد[2].

ثم وصف الوضوء فقال تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أي: مع المرافق[3]، وقيل: هي على بابها، إلا أن الصحيح عند أهل اللغة أن الحد داخل في المحدود إذا كان من جنسه، واليد عند [العرب إلى] المنكب[4]، فالحد داخل في المحدود لأنه من جنسه، وكذلك قوله ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فإن كان من غير

---

1) قال مكي في الهداية 3/1621،1620:«وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هي على الندب، ندب كل قائم [إلى] الصلاة إلى الوضوء وإن كان على وضوء... وروي أن علياً رضي الله عنه كان يتوضأ لكل صلاة» ولعل الأثر الذي أشار إليه المؤلف تبعاً لمكي هو ما رواه الدارمي في سننه، باب ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ...﴾ من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، قال حدثنا شعبة، قال: حدثنا مسعود بن علي عن عكرمة وفيه: [أ]ن علياً كان يتوضأ لكل صلاة ويقرأ هذه الآية ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ...﴾، وعبد الصمد [ص]دوق، ثبت في شعبة، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 9/516، وتقريب التهذيب (4108)، وشعبة هو ابن [ال]حجاج ثقة حافظ متقن، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 7/202، وتقريب التهذيب (2805)، ومسعود بن علي قال عنه يحيى القطان: لم يكن به بأس، وقال الإمام أحمد: ليس به بأس، انظر ترجمته في: التاريخ الكبير 7/423، [و]الجرح والتعديل 8/283، وعكرمة ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه من ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة. انظر [ت]رجمته في: سير أعلام النبلاء 5/12، وتقريب التهذيب (4707)، ورواه الطبري في تفسيره 3/453،452، والنحاس [ف]ي الناسخ والمنسوخ 2/251، بإسناديهما إلى شعبة ثم بنحو إسناد الدارمي ومتنه، وللطبري إسناد آخر من رواية سفيان بن حبيب عن مسعود عن عكرمة.

[و]هذا الأثر -كما ترى- ليس فيه أن علياً رضي الله عنه نص على أن الوضوء ندب، بل أورده بعض العلماء في [م]عرض الاستدلال على وجوب الوضوء حتى على من لم يحدث، كما في الناسخ والمنسوخ للنحاس 2/250، ولكن [ق]ال النحاس بعد ذلك:«ومن قال: هي على الندب احتج بفعل النبي ﷺ وبأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم [ي]قل: هذا واجب، فيتأول أنه يفعل هذا إرادة الفضل، والدليل على هذا أنه قد صح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه توضأ وضوءاً خفيفاً ثم قال: هذا وضوء من لم يحدث» الناسخ والمنسوخ 2/255،254، ومن هنا يتبين مأخذ [ا]لاستدلال بأثر علي رضي الله عنه على ندب الوضوء في حق من لم يحدث -وإن لم ينص عليه علي رضي الله عنه (بخلاف ما أورده المؤلف)-، وغني عن الذكر أن الوضوء واجب على من أحدث.والله تعالى أعلم.

2) صلى النبي ﷺ صلاة العصر يوم الأحزاب بعد غروب الشمس، وصلى بعدها المغرب، وقد أخرجه [ال]بخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، (4112) 7/506، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد [و]مواضع الصلاة، (631) 2/271، ولفظ البخاري «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء يوم الخندق بعد ما [غ]ربت الشمس جعل يسب كفار قريش وقال يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب قال [ال]نبي ﷺ والله ما صليتها فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت [ال]شمس ثم صلى بعدها المغرب»، وهو وإن كان يغلب على الظن أن النبي ﷺ قد صلى العصر والمغرب بوضوء واحد-بناء على ما يوحي به السياق- إلا أنه ليس صريحاً في ذلك.

وانظر ما ذكره المؤلف من أقوال في توجيه الأمر بالوضوء عند القيام إلى الصلاة في: تفسير الطبري 4/450-454، والناسخ والمنسوخ للنحاس 2/250-256، والهداية 3/1621،1620، والجامع لأحكام القرآن 6/78-81.

(3) انظر: أحكام القرآن لابن العربي 2/58، ومعالم التنزيل 1/644.

4) كذا في (ك)، وفي (م): (واليد عند الكعب). والعبارة عند مكي في الهداية 3/1623:«لأن اليد عند العرب حدها إلى الكتف»، فلعل صواب عبارة المؤلف ما أثبته.

الجنس لم يدخل في المحدود عندهم، كقولك[1]: بعتك هذه الأرض إلى تلك[2] النخلة، فلا تدخل النخلة في البيع[3].

﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء هنا للتوكيد لا للتعدية، [ومعناه][4]: امسحوا رؤوسكم[5].

﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب عطفاً على ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾ تقديره: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤوسكم[6]، وهذا ظاهر، وأما من خفض (أرجلكم) فإنه عطفه[7] على الرؤوس لاشتراك الجميع في أنها أعضاء الوضوء وإن لم يقع الاشتراك في المسح[8]، ومثله قراءة من خفض[9] ﴿وحورٍ عينٍ﴾ في الواقعة[10] بالعطف على ما قبله، ولا مشاركة بين الحور وبين الفاكهة واللحم في الطواف بها؛ لأن الحور لا يطاف بهن، ولكن لما وقع الاشتراك في التنعم جاز العطف[11]، وهذا سائغ في اللغة، ومنه قول الشاعر:

ورأيت زوجك قد غدا   متقلداً سيفاً ورمحاً[12]

---

(1) في (ك): (كقوله).
(2) في (ك): (هذه).
3) هذه المسألة التي أوضحها المؤلف هي مسألة (هل الحد داخل في المحدود؟) أو (هل الغاية داخلة في ‌مغيا؟)، وهي مسألة تتجاذبها أقلام اللغويين والمفسرين والأصوليين، وقد اختلف فيها على أقوال كثيرة، فمن ‌علماء من يدخل الحد في المحدود، ومنهم من يخرجه، ومنهم من يوقفه على القرينة، ومنهم من يقول: إن كان الحد ‌ن جنس المحدود دخل وإلا فلا، وهو القول الذي اختاره المؤلف وقال إنه هو الصحيح عند اللغويين، وهو قول ‌مبرد والزجاج وغيرهما من أهل اللغة وغيرهم، وقد خالفهم كثير، وليس هناك من قول تظاهرت على رجحانه ‌قوال العلماء، بل كل يرجح ما رآه، وبهذا يتبين أن ما أورده المؤلف من أن الصحيح عند اللغويين كذا وكذا غير ‌قيق. والله أعلم. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/153، والهداية 3/1624،1623، والكشاف 1/598، والتفسير الكبير 11/125، ولسان العرب (مادة: إلى) 1/196، والبحر المحيط لأبي حيان 3/450، والبحر المحيط للزركشي 4/462-464، والنحو الوافي 2/468.
(4) كررت في (م).
(5) في الباء أقوال أخرى غير ما أورده المؤلف. انظر: الكشاف 1/598، والبحر المحيط 3/451.
(6) انظر: تفسير الطبري 4/467،466، والبحر المحيط 3/452.
(7) في (ك): (عطف).
8) ومن العلماء من وجهها بغير ذلك، فقيل: جر (وأرجلكم) على المجاورة، وقيل: المراد بها المسح على ‌خفين، وقيل: بل المراد بالمسح: الغسل الخفيف، ووجهه بعضهم بأن الأرجل لما كانت مظنة الإسراف في الماء به تعالى على الاقتصاد في ذلك بعطفها على الممسوح. انظر: الهداية 3/1614، والكشاف 1/599،598، وأحكام القرآن لابن العربي 2/72، والجامع لأحكام القرآن 6/94، والدر المصون 4/210-215، وتفسير ابن كثير 2/28،27 ، والبرهان 1/214،213.
(9) في (ك): (بن حفص).
(10) الآية (22)، وهي قراءة أبي جعفر وحمزة والكسائي. انظر: النشر 2/286.
(11) انظر: معاني القرآن للزجاج 5/111، والهداية 3/1615،1614، والدر المصون 10/202.

[وقيل تقديره: وامسحوا بأرجلكم فكنى بالمسح][13] عن الغسل تجوزاً[14].

﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ أي: اغتسلوا[15]، و(جنب) يقع للواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، لأنه مصدر، كعدل ورضى وزور وضيف، والفعل منه: أ·ج·ن·ب·، وج·ن·ب·، وج·ن·ب·، بفتح النون وضمها[16].

وقال بعض العلماء: في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: إذا قمتم من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فاغسلوا إلى قوله ﴿[إِلَى][17] ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ وإن كنتم جنباً فاطهروا؛ وإن كنتم مرضى أو على سفر ولم تجدوا ماء فتيمموا، وهذا قول حسن لمن تأمله[18].

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ أي: ضيق، فأباح لكم التيمم، ووسع لكم فيما كلفكم[19]﴿لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ أي: يطهركم من ذنوبكم[20]، والوضوء كفارة للذنوب كما ورد

(13) في (ك): (وامسحوا برؤوسكم فكنى بالمسح).
(14) انظر: الهداية 3/1617، والمحرر الوجيز 2/163.
(15) انظر: تفسير الطبري 4/477، والجامع لأحكام القرآن 6/102.
(16) انظر: تفسير الطبري 4/477، والهداية 3/1626،1625، والقاموس المحيط (ج ن ب) ص69، وتاج العروس (ج ن ب) 2/190،189.
(17) سقطت من (م).
(18) قال به محمد بن مسلمة -من أصحاب مالك-، وقد جاءت حكاية المؤلف لقوله شديدة الغموض -على غير عادته-، وإيضاح كلامه أن الله تبارك وتعالى بين لنا في هذه الآية ثلاثة أحكام: الحدث الأصغر، والحدث الأكبر، والتيمم الذي يشمل التطهر من النوعين (الأصغر والأكبر)، فبين سبحانه أولاً حكم المحدث حدثاً أصغر: إذا قمتم إلى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء ملامسة صغرى فاغسلوا وجوهكم...الآية؛ ثم ذكر تعالى حكم المحدث حدثاً أكبر: وإن كنتم جنباً فاطهروا؛ ثم بعد ذلك بين الله جل ذكره حكم التيمم في الحدثين الأصغر والأكبر: وإن كنتم مرضى أو على سفر فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً...، وجمهور العلماء على خلاف هذا القول، ولا يخفى ما فيه من تفكيك وتشويش ينزه عنه كتاب الله تعالى. انظر: المحرر الوجيز 2/161، والجامع لأحكام القرآن 6/81، والبحر المحيط 3/449.
(19) انظر: تفسير الطبري 4/477، وتفسير ابن كثير 2/31.
(20) بهذا قال جمهور المفسرين، وقيل: من الأحداث والجنابة، وقيل: منهما معاً. انظر: تفسير الطبري 3/477، معالم التنزيل 1/647، وزاد المسير ص363. وعلى قول الجمهور بأن المراد الطهارة من الذنوب فإن عموم الذنوب مخصوص بما في الحديث الصحيح «ما اجتنبت الكبائر»، وقد رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة (233) 1/469، وانظر: فتح الباري 2/18،17.

(12) البيت من مجزوء الكامل، وهو لعبد الله بن الزبعرى رضي الله عنه. انظر: الكامل 1/275، بلفظ (يا ليت زوجك...)، وهذا البيت كما قال الشيخ محمود شاكر: «وهو بيت مستشهد به في كل كتاب». تفسير الطبري (طبعة دار المعارف) 1/140، الحاشية رقم (4).

في الحديث الصحيح[1].

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[الآية:7]نعمة الإسلام فما دونها[2].

﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ هو عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[3]، وقيل: عهدهم مع الرسول[ﷺ] وقت الإسلام، وقيل: بيعة الرضوان تحت الشجرة[4].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾[الآية:8] أي: لا يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا في الحكم والشهادة[5]، و﴿تَعْدِلُوا﴾ تمام الكلام[6]، ثم قال: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ قيل: نزلت لما هم بعض اليهود بقتل النبي ﷺ[7]، وهو قوله: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾[8].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[الآية:9] كلام تام، وتقديره[9]: وعدهم وعداً حسناً، ثم بينه فقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ الآية، وليس الكلام متصلاً؛ إذ لا يجوز أن يقال: وعدت فلاناً [له][10] كذا، وإذا قلت: وعدت·· فلاناً، وسكت··، لم يفهم منه إلا الوعد بخير،

---

1) الأحاديث في ذلك كثيرة، ومنها ما رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة (244) 1/481 بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال:«إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيا من الذنوب».

(2) انظر: تفسير الطبري 4/480، والكشاف 1/600، وزاد المسير ص364.

(3) سورة الأعراف، الآية (172)، وسيأتي سياق الآية كاملة.

(4) أما قول المؤلف:« عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾» فإنه يريد به الوارد في قوله تعالى﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ سورة الأعراف، الأيتان (172،173).

أما قوله:«عهدهم مع الرسول وقت الإسلام» فإنه يريد به ما بايع عليه المسلمون رسول الله عند إسلامهم من السمع والطاعة، ومثل له بعض العلماء بما وقع ليلة العقبة، وبعضهم مثل له ببيعة الرضوان، وهو ما عده المؤلف قولاً مستقلاً.

الذي عليه جمهور المفسرين هو أنه ما بايع عليه المسلمون رسول الله من السمع والطاعة. انظر: تفسير الطبري 4/481، والهداية 3/1629، والكشاف 1/600، والجامع لأحكام القرآن 6/108، وتفسير ابن كثير 2/32.

(5) انظر: الهداية 3/1630، وتفسير ابن كثير 2/32.

(6) انظر: الكشاف 1/600، ومنار الهدى ص242.

(7) انظر: تفسير الطبري 4/483، وزاد المسير ص 364.

(8) سيأتي كلام المؤلف على هذه الآية بعد قليل.

(9) في (ك): (تقديره)، دون واو.

(10) سقطت من (ك).

وتقول في الشر: أوعدت[1].

﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾[الآية:11]وهم بنو النضير[2]، ذهب النبي ﷺ إلى بني النضير يستعين بهم في دية رجلين أصابهما عمرو بن أمية، فقالوا: نعم، والحب لك والكرامة يا أبا القاسم[3]، فجلس تحت الحصن، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ψ، فتشاور اليهود أن يرسلوا عليهم حجارة من فوق الحصن فيقتلوهم، فأوحى الله [تعالى][4] إلى نبيه بذلك، فقام هو وأصحابه، فمضى وأرسل[5] إليهم محمد بن مسلمة الأوسي يأمرهم[6] بالرحيل من جواره، فتلقوه، فقال: إني أرسلت إليكم برسالة، ولست أبلغكموها حتى أسألكم عن شيء قلتموه لي، فقالوا: سل عما بدا لك، فقال: أتذكرون وقد قلتم لي يوماً: كأنك تريد الشريعة الحنيفية؟، فقلت: نعم، فقلتم: [أما][7] إن صاحبها قد رَهِقَكَ[8] خروجه من مكة، وهو الضحوك[9] القتال، يركب البعير، ويلبس الشملة[10]، ويجتزئ بالكسرة، سيفه على عاتقه، ليكونن على يديه في هذه البلاد ملاحم وملاحم[11]، فقالوا: قد قلنا ذلك، ولكن ليس هو هذا، فقال محمد بن مسلمة: أشهد ألا الله إلا الله [وحده لا شريك له][12]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، [هو][13] والله هذا قد بعثني إليكم فارتحلوا، فقالوا: أخرنا عشرة أيام، فرجع فأخبر النبي

---

(1) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف والتفريق بين «وعد» و«أوعد» في: الهداية 3/1631،1630 ، والكشاف 1/601، والبحر المحيط 3/455، ومنار الهدى ص242.

(2) قبيلة من قبائل اليهود، من ولد هارون عليه السلام، سكنوا المدينة، وحالفوا الخزرج قبل الإسلام. انظر : الأنساب 5/503.

(3) سقطت الألف المهموزة من (أبا) في (م).

(4) سقطت من (ك).

(5) في (ك): (فقام هو وأصحابه فأرسل).

(6) في (ك): (الأسي فأمرهم).

(7) سقطت من (م).

(8) أي: دنا منك. انظر: القاموس المحيط (ر هـ ق) ص889.

(9) في (ك): (الضحاك).

(10) هي كساء يلتف به لابسه فيديره على جسده. انظر: النهاية في غريب الحديث (ش م ل) ص487 ، والقاموس المحيط (ش م ل) ص1020.

(11) جمع ملحمة، وهي الوقعة العظيمة القتل. انظر: النهاية في غريب الحديث (ل ح م) ص818، والقاموس المحيط (ل ح م) ص1157.

(12) ساقط من (ك).

(13) سقطت من (ك).

ﷺ بذلك فأخرهم عشرة أيام، وأمر بحراسة المدينة، فدب إليهم المنافقون، وقالوا لهم: إنما نزل محمد بكم ولم تنـزلوا به، وأنتم أهل البلاد فقاتلوه، فإن قوتلتم لننصرنكم، وإن خرجتم لنخرجن معكم، فبعثوا إلى النبي ﷺ وهم يقولون: لسنا بخارجين فاصنع ما أنت صانع، فغزاهم وجلاهم من ديارهم[1]، وقصتهم في سورة الحشر، فذكّر الله المؤمنين نعمه بكف أيدي اليهود عنهم حتى جلوهم وأخذوا أموالهم[2].

وقيل: إن قوله ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ نزلت في قصة بني ثعلبة[3] إذ هموا أن يميلوا على المسلمين وهم في الصلاة، فأنزل الله صلاة الخوف، وذلك ببطن نخلة[4]، في الغزوة

---

(1) أورد هذه القصة بنحو من سياق المؤلف الواقدي في مغازيه 1/308-311، وابن هشام في سيرته 4/144، 143، ومكي في الهداية 3/1632-1636، والصالحي في سبل الهدى والرشاد 4/320، 319.

(2) انظر: تفسير الطبري 4/485-487، وتفسير ابن كثير 2/33.

(3) هم بنو ثعلبة بن سعد، من غطفان. انظر: الأنساب 1/505، وفتح الباري 7/522.

4) وردت لفظة (نخلة) هنا وبعد عدة كلمات، وكلتاهما كذلك في (م)، وكلتاهما في (ك): (مكة)، وهي كذلك في حدى نسخ الهداية 3/1637، الحاشية (12)، ومثله في الكشف والبيان 4/35، وإذا أطلقت (نخلة) فالمشهور أنها (الشامية أو اليمانية)، وأين هم منها؟ فإنها بجوار مكة، تبعد عنها أكيالاً معدودة. انظر: معجم البلدان 8/381، وأطلس الحديث النبوي ص359.

والمشهور في هذه القصة أنها (نخل). انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (4127) 7/520، وتفسير الطبري4/487، وفتح الباري 7/522. وهي من المدينة على يومين، واختلف في تعيينها، فقيل: جوار (الحناكية) بينها وبين الشقرة، على بعد 100 كيل من المدينة، وقيل: بل هي شمال خيبر. انظر: معجم البلدان 8/381، وفتح الباري 7/522، وأطلس الحديث النبوي ص179.

السابعة، فنـزلت الآية في بطن نخلة ذلك اليوم، قاله قتادة[1].

ومما كف الله عن الرسول ﷺ قضية الطعام المسموم الذي صنعه اليهود، فأعلمه الله به فلم يأكله[2].

ومن ذلك أن جاء[3]، فوجد النبي ﷺ تحت شجرة وسيفه معلق، فجذب السيف، فاستيقظ رسول الله ﷺ فوجد الرجل على رأسه والسيف بيده، فقال الرجل:

---

1) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، الحافظ، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب، كان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، ثقة ثبت، مات سنة بضع عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء 5/269، وتقريب التهذيب (5553) ص798، وطبقات المفسرين للأدنوي ص14.
وأما الأثر فقد ساقه الطبري بنحو ما ذكره المؤلف إلا أنه ليس فيه أنهم هموا أن يميلوا على النبي والمسلمين، بل فيه أنهم أرادوا أن يفتكوا بالنبي ، وأن رجلاً انتدب لذلك، وإليك رواية الطبري حيث قال: «حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: قوله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ)... الآية، ذكر لنا أنها نزلت على رسول الله وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة، فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به، فأطلعه الله على ذلك؛ ذكر لنا أن رجلاً انتدب لقتله، فأتى نبيّ الله وسيفُه موضوع، فقال: آخذه يا نبي الله؟ قال: خذه، قال: أستلّه؟ قال: نعم، فسلّه، فقال، من يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعُني منك»، فهدّده أصحاب رسول الله وأغلظوا له القول، فشامَ السّيف، وأمر نبيُّ الله أصحابَه بالرحيل، فأنزلت عليه صلاة الخوف عند ذلك. تفسير الطبري 4/487، وقد سبق أن هذا الإسناد حسن ص (2)، إلا أنه مرسل هنا. وأورده مختصراً عبدُالرزاق في تفسيره 1/185 عن معمر عن قتادة، وهو مرسل كذلك، ومن طريقه الطبري في تفسيره 4/487.
وقد روى البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (4135) 7/532،531 من حديث جابر رضي الله عنه أنه غزا مع رسول الله قبل نجد، فلما قفل رسول الله قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ، وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله تحت سمرة، وعلق بها سيفه، قال جابر: فنمنا نومة، ثم إذا رسول الله يدعونا، فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله : إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله . فليس في الحديث أنهم أرادوا أن يميلوا على المسلمين، والله أعلم.
وقوله: «في الغزوة السابعة» كذا في النسختين، ومثله في تفسير الطبري 4/487، وكذلك في الهداية 3/1637، والغزوة المشار إليها هنا هي غزوة ذات الرقاع، وقد اختلف في أي سنة وقعت؟ فقيل: في السنة الرابعة، وقيل: في الخامسة، وقيل: في السابعة، وقد روى البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (4125) 7/520 عن جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى بأصحابه في الخوف في غزوة السابعة غزوة ذات الرقاع. وقد اختلف شراح الحديث في لفظة «غزوة السابعة»، فقيل: أي: الغزوة السابعة، والمراد: سابع الغزوات التي خرج فيها النبي بنفسه-وإن لم يقاتل-، فالأولى بدر، ثم أحد، ثم الخندق، ثم قريظة، ثم المريسيع، ثم السادسة خيبر، فتكون السابعة ذات الرقاع، وقيل: أي: غزوة السَّفْرَة السابعة، وقيل: أي: غزوة السنة السابعة، وأولى هذه الأقوال بالأثر الذي أورده المؤلف هو القول الأول لتعريف لفظة «الغزوة» في الأثر، بخلاف حديث البخاري الذي نكرت فيه. انظر: فتح الباري 7/521-524.

2) من الملحوظ أن المؤلف لم يورد هذه القصة -وكذلك التي تليها- على أنها سبب نزول الآية، وإنما أوردها مثالاً، وإن قال بعض العلماء بأنها سبب نزول الآية كما في: تفسير الطبري 4/487،486.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين (2617) 5/283، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام (2190) 5/349. والذي فيهما أن راوي الحديث (أنس رضي الله عنه) صرح بأن النبي أكل منها، بخلاف ما أورده المؤلف. والله أعلم.

(3) هو غورث بن الحارث. انظر: صحيح البخاري كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (4136) 7/532.

من يمنعك مني؟ قال: الله، فألقى الله الرعب في قلب الرجل، فرمى بالسيف ومضى[1].

ويقال: إنه أعرابي أرسله[2] قريش لقتل النبي ﷺ[3].

وروي أن النبي ﷺ أخذه، وأخبر أصحابه بخبره، ثم عليه، وأطلقه، ولم يعاقبه[4].

وقيل: إن السيف وقع من يده، وضرب برأسه[5] الشجرة حتى انتشر دماغه، فنزلت الآية وقوله ﴿والله يعصمك من الناس﴾[6].

قوله تعالى: (۞ وَلَقَدْ[7] أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)[الآية:12]هو قوله (لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ) أي: نصرتموهم[8](وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ) أي: تصدقتم[9](لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ)هذا هو الميثاق[10].

(وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا)أي: أميناً[11]، وكانوا اثني عشر سبطاً، فجعل الله من كل سبط منهم [رجلاً][12] أميناً [عليهم][13]، فهو معنى (وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ)[14].

وقيل: إن موسى عليه السلام لما أراد فتح بيت المقدس -وكان فيه الجبارون- بعث هؤلاء النقباء إلى بيت المقدس، فوجدهم رجل، فعلق الجميع في حبل كان في وسطه، ودخل بهم -وقال ابن عباس[15]: أخذهم في كمه مع فاكهة

---

1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (4135) 531،7/532، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، (843) 444،5/445، ولكن ليس فيهما أنه رمى بالسيف ومضى، بل فيهما أنه دعا الصحابة رضي الله عنهم، وهو جالس بجواره، ولم يعاقبه .
(2) كذا في النسختين.
(3) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز 2/167.
(4) كذا في الصحيحين. انظر تخريج الحديث.
(5) في (ك): (بيده).
(6) الآية من سورة المائدة، ورقمها (67). وهذا القول أورده ابن عطية في المحرر الوجيز 167،2/218.
(7) في (ك): (لقد)، دون واو.
(8) انظر: الكشاف 1/603، وتفسير ابن كثير 2/34.
(9) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/1112، وتفسير ابن كثير 2/34.
(10) وقيل فيه غير ذلك. انظر: الهداية 3/1643، وزاد المسير ص365.
(11) انظر: تفسير الطبري 4/489، والجامع لأحكام القرآن 6/110.
(12) سقطت من (ك).
(13) سقطت من (م).
(14) انظر: تفسير الطبري 4/489، وزاد المسير ص 366، وتفسير ابن كثير 33،2/34.
(15) في (ك): (قاله ابن عباس).

كانت معه[1]- فدخلوا فوجدوا عندهم فاكهة لا يقدر الرجل أن يحمل منها إلا حبة واحدة، ويدخل في قشرة الرمانة خمسة أنفس، فرجع كل نقيب فنهى سبطه عن القتال، إلا يوشع بن نون وآخر[2]، فهذا هو بعث النقباء المذكور في هذه الآية، ويكون قوله

---

(1) رواه الطبري في تفسيره 4/515، بسنده عن سفيان عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس، قال ابن كثير : «وفي هذا الإسناد نظر». تفسير ابن كثير 2/40. وأبو سعيد هذا ورد بهذه الكنية في عدة مواضع من تفسير الطبري 4/517، 515، وورد بكنية: أبي سعد في موضع 10/193 (طبعة دار المعارف) وخطّأ هذه الكنية الشيخُ أحمد شاكر في الحاشية رقم (2) من الصفحة المشار إليها استناداً إلى الموضع الآخر الذي ورد فيه (أبو سعيد)، وبعد البحث عنه في كتب الرجال ترجح لدي أن المقصود هو أبو سعد، سعيد بن المرزبان البقال الأعور، ضعيف مدلس. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال 11/52، وتقريب التهذيب (2402)، وإنما ترجح لدي لأنه يروي عن عكرمة، ويروي عنه سفيان بن عيينة. انظر: تهذيب الكمال11/53، 52، وهو وإن لم أجد من نص على أنه يكنى أبا سعيد إلا أنه قد ورد في ثنايا كتب التراجم -وغيرها- بهذه الكنية كثيراً، بحيث يعسر أن يقال: إنها كلها تصحيف . انظر على سبيل المثال: تاريخ ابن معين (رواية الدوري) 4/40، وتفسير ابن أبي حاتم 1/123، وتهذيب الكمال 11/53، 52.

ثم تأكد ما ترجح لدي حين وجدت أبا إسحاق الفزاري روى هذا الأثر «عن سفيان بن عيينة عن أبي سعد الأعور عن عكرمة» موقوفاً عليه بنحو ما رواه الطبري. السير لأبي إسحاق الفزاري ص265.

ثم إني بعد ذلك وجدت الألباني رحمه الله قد ذكر الإشكال الذي ذكرته، ورجح أنه ليس بتصحيف، بل هو خلاف في كنيته، أو أنه يكنى بالكنيتين. السلسلة الضعيفة (5973) المجلد الثاني عشر/ القسم الثاني/ 947.

(2) هذا القول الذي ساقه المؤلف روي بعضه عن السدي (وهو ما قبل قول ابن عباس)، وروي بعضه عن مجاهد (وهو ما بعد قول ابن عباس)، وقد رواهما الطبري في تفسيره 4/490، 498؛ وقد روي هنا في كتب التفسير شيء من ذكر عظم خلق الجبارين، وأن منهم الرجل الذي أشار المؤلف إلى صنيعه، -وهو المسمى: عوج بن عنق-، ويغلب على الظن أنها مما تُلقيَ من أخبار بني إسرائيل، وهي تعارض بعض الأحاديث الصحيحة، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره 2/40: «وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخباراً من وضع بني إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأنه كان فيهم عوج بن عنق، بنت آدم، عليه السلام، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع، تحرير الحساب! وهذا شيء يستحى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله قال: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»، ثم قد ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب السفينة، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ وقال تعالى:﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾، وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق، وهو كافر وولد زنية؟! هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق نظر، والله أعلم». وانظر: المنار المنيف 1/77، 76، وفتح القدير 2/40.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡ﴾صدق الله.[1]، والصحيح أنه خطاب لبني إسرائيل كلهم، ويؤيده ما بعده: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾[2][الآية:13]، و(ما) زائدة[3]، ومعناه[4]: فبنقض هؤلاء اليهود الميثاق الذي أخذ على آبائهم ﴿لَعَنَّٰهُمۡ﴾ أي: أبعدناهم ﴿وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ﴾ لا تلين للخير ولا تقبله[5]، و﴿قَٰسِيَةٗ﴾ و﴿قسية﴾ بمعنى واحد، كعالية وعلية[6].

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ أي: يبدلون التوراة، وقيل: يتأولونها على خلاف تأويلها[7].

﴿وَنَسُواْ حَظّٗا﴾ أي: تركوا نصيباً مما ذكروا به من التوراة، ومعناه تركوا العمل، ففاتهم حظهم من درجة التوراة[8].

---

1) كذا في النسختين، والظاهر أن في الجملة سقطاً، ولعل تقديره: ويكون قوله ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡ﴾ (خاصاً بالنقباء)، وهذا القول قال به الربيع بن أنس ومقاتل، ثم قال به الرازي، وخالفهم جماهير المفسرين. انظر: تفسير الطبري 4/492، وزاد المسير ص366، والتفسير الكبير 11/146، والجامع لأحكام القرآن 6/112.
ويفهم من كلام المؤلف -إن صح التقدير الذي قدرتُه لِمَا سقط من كلامه- ترتيب (القول بأن جملة ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ...﴾ موجهة للنقباء) على (القول بأن بعث النقباء هو بعثهم لتحسس أحوال مدينة الجبارين)، وهذا لم أجده عند غير المؤلف، بل على كثرة القائلين بأن بعث النقباء إنما كان لتحسس أخبار مدينة الجبارين إلا أني لم أجد من قول بتخصيص خطاب ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ...﴾ للنقباء إلا من سميتُ قبل قليل، وبالتأمل يتبين أنه لا تلازم بين هذين القولين كما لازم بينهما المؤلف. والله أعلم. انظر المراجع السابقة.
(2) وهو قول جمهور المفسرين. انظر: تفسير الطبري 4/492، ومعالم التنزيل 1/652، والمحرر الوجيز 2/168، والتسهيل 1/229، وفتح القدير 2/31.
استدلال المؤلف رحمه الله على عموم الخطاب لبني إسرائيل كلهم بالآية التالية (فبما نقضهم ميثاقهم...) لم أجد من أشار إليه بوضوح، على أنه استدلال جميل.
(3) انظر: معالم التنزيل 1/652، والمحرر الوجيز 2/169.
(4) في (ك): (فمعناه).
(5) انظر: تفسير الطبري 4/495، والهداية 3/1644، ومعالم التنزيل 1/652، والجامع لأحكام القرآن 6/112، تفسير ابن كثير 2/35. ولم أجد من جعل الآية في المتأخرين من اليهود كما صنع المؤلف حين قال:«فبنقض هؤلاء اليهود الميثاق الذي أخذ على آبائهم»، بل غالب المفسرين يفهم من كلامهم خلاف ذلك، فالآية عامة في جميع اليهود، المستقدمين منهم والمستأخرين، وليست خاصة فيمن عاصر النبي منهم حتى يقول المؤلف «الميثاق الذي أخذ على آبائهم».
(6) قرأ الجمهور (قَٰسِيَةٗ)، وقرأ حمزة والكسائي (قسِيّة)، واللفظان متقاربان في المعنى على قول الجمهور، لا أن (قَٰسِيَةٗ) اسم الفاعل، و(قسية) صيغة مبالغة. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/113، والبحر المحيط 3/461، والنشر 2/191، وإتحاف فضلاء البشر ص251.
(7) انظر: معالم التنزيل 1/652، والتسهيل 1/230، وتفسير ابن كثير 2/35.
(8) انظر: الهداية 3/1645، والمحرر الوجيز 2/169، وتفسير ابن كثير 2/35.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ أي: فرقة خائنة من اليهود، كخيانة بني النضير حين هموا بقتلك تحت حصن مدينتهم، وقيل: خائنة أي: خائن، والهاء للمبالغة، مثل ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①﴾[1]، وقيل: ﴿خَآئِنَةٍ﴾ أي: خيانة، كقائلة بمعنى قيلولة[2].

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ لا تقتلهم وأخرجهم من البلاد، فجلا النبي ﷺ بني النضير ولم يقتل منهم أحداً، وقيل: معناه: اعف عمن بينك وبينه عهد، وقيل: هو منسوخ بآية السيف، وقيل: بعد[3].

ثم ذكر الله أنه أخذ الميثاق على النصارى أيضاً، فنقضوا؛ ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ﴾[الآية:14] أي: ألقينا [بينهم][4] وأثرنا العداوة، يقال: أغريت الرجل على كذا[5] أي: استنهضته إليه وحرضته عليه[6].

وأراد به العداوة بين النصارى، فإنهم افترقوا أربع فرق، وأربعة مذاهب متباغضين، وقيل: العداوة التي بين اليهود والنصارى، وقيل: هي العداوة التي في اليهود فيما بينهم، والنصارى فيما بينهم[7].

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾[الآية:15] أي: تبدلون من الكتاب، كرجم

---

1) سورة الهمزة، الآية (1). وتمثيله بهذه الآية فيه تجوز، فإن الذي في كتب التفسير عند هذه الآية أن وزن (فُعَلَة) اطرد في وصف من كثر منه الفعل فالوزن للمبالغة، لا أن هاءه مزيدة للمبالغة. انظر: الكشاف 4/788 ، والدر المصون 11/106.

(2) انظر: تفسير الطبري 4/498،497، والكشاف 1/603، والبحر المحيط 3/462.

(3) كذا في (م)، وفي (ك): (بعده)، ولعل مراده: «وقيل: بالآية التي بعد آية السيف»، وهي قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ...﴾ سورة التوبة، الآية (29).

وآية السيف هي الآية الخامسة من سورة التوبة، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ...﴾. انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس 2/318، وتفسير ابن كثير 2/350، والإتقان 2/67.

وانظر الأقوال التي ساقها المؤلف رحمه الله في توجيه الأمر بالعفو والصفح هنا في: تفسير الطبري 4/498 ، والهداية 3/1647، والجامع لأحكام القرآن 6/114.

(4) سقطت من (ك).

5) كذا في النسختين اللتين بين يدي، ولم أجد من وافق المؤلف على تعدية الفعل (أغرى) بعلى، وإنما يعدى بالباء. انظر: الكشاف 1/604، والجامع لأحكام القرآن 6/115، ولسان العرب (غ ر ي) 10/62، والقاموس المحيط (غ ر ي) ص1317.

(6) انظر: تفسير الطبري 4/499، والكشاف 1/604.

(7) انظر: تفسير الطبري 4/501،500، والهداية 3/1649،1648، وتفسير ابن كثير 2/35.

الزاني المحصن، وقتل النفس بالنفس، فكان إعلام الرسول لهم بذلك ﷺ على صدقه[1].

وقوله: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾أي: مما بدلتم، وهو ما لم يؤمر بإظهاره، وقيل: أي: ويخفف عنكم كثيراً مما شدد عليكم في التوراة[2].

﴿قَدْ[3] جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ وهو نور محمد [ﷺ][4] ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ القرآن[5].

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾[الآية:16] أي: بالقرآن ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي: من آمن فاتبع رضوان الله، يهديه ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾أي: طرق السلامة، فيوفقهم للعمل بما يقربهم لديه، وقيل: السلام: الله، فمعناه: يهديهم ويرشدهم للطريق إليه، ويخرجهم من ظلمات الكفر[6].

قال محمد بن كعب القرظي[7]: أول ما نزل بالمدينة هاتان الآيتان[8].

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[الآية:17]أي: من يقدر على رد ما أراد الله ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ [ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ الآية، أي: لو أراد أن يهلك][9] الخلق، فلو كان المسيح إلهاً لقدر على رد ذلك؛ فإن من صفات الإله أن يكون قادراً[10].

ثم قال:﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[11] الكل ملكه،والمسيح من جملة عبيده[12] ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ فخلق عيسى من غير أب[13] ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ صدق الله

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/115، وتفسير ابن كثير /35.
(2) انظر: زاد المسير ص368، والبحر المحيط 3/463.
(3) في (م): (فقد).
(4) انظر: تفسير الطبري 4/502، ومعالم التنزيل 1/654، وزاد المسير ص 368.
(5) انظر: تفسير الطبري 4/503.
(6) انظر: تفسير الطبري 4/503، والجامع لأحكام القرآن 6/116،115، وتفسير ابن كثير 2/35.
7) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، أبو حمزة، تابعي، كان من أئمة التفسير، ثقة عالم، ولد سنة 40هـ، وتوفي سنة 120هـ أو قبلها. انظر: سير أعلام النبلاء 5/65، وتقريب التهذيب (6297) ص891.
(8) أورده مكي في الهداية 3/1650، وابن عطية في المحرر الوجيز 2/170، وأبو حيان في البحر المحيط 3/463 . ولم أقف على إسناده.
(9) ساقط من (م).
(10) انظر: تفسير الطبري 4/504، والجامع لأحكام القرآن 6/116، وتفسير ابن كثير /36.
(11) في النسختين: (ولله ما في السماوات وما في الأرض).
(12) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/116.
(13) انظر: الكشاف 1/605.

قوله ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾[الآية:18] يوم القيامة وقد قلتم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾[1] فأقررتم بالعذاب، وقيل: معناه: لم مسخت طائفة منكم قردة، وطائفة منكم خنازير؟[2].

ويروى أن سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وعقبة بن وهب قالوا لليهود: اتقوا الله؛ فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، لقد[3] كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته، فأنكروا ما قالوا لهم، فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ﴾[4][الآية:19] أي: انقطاع وحي ومضي مدة لم يبعث فيها رسول، وهي المدة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام[5]، وهي خمسمائة سنة، وقيل: ستمائة سنة[6].

﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا﴾ أي: لئلا تقولوا ما جاءنا[7] ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ﴾ لمن آمن ﴿وَنَذِيرٞ﴾[8] لمن كفر.

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾[الآية:20]أي: وجعل منكم ملوكاً، وقيل: جعلكم مالكين أمركم بعد أن كنتم تحت حكم فرعون، وقيل: الملوك هنا: الأغنياء[9]، وفي الحديث «من كان له بيت وخادم فهو ملك»[10].

---

(1) سورة البقرة، الآية (80).

(2) انظر: معالم التنزيل 1/655، وزاد المسير ص369، وتفسير ابن كثير 2/37،36.

(3) في (ك): (ولقد).

(4) رواه الطبري في تفسيره 4/507من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد ابن جبير أو عكرمة عن ابن عباس، وهذا إسناد تكرر كثيراً عند الطبري، فابن إسحاق هو محمد بن إسحاق بن يسار، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 7/33، وتقريب التهذيب (5762)، ولكنه صرح بالتحديث هنا، ومحمد بن أبي محمد مدني مجهول. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال 6/321، وتقريب التهذيب (6316)، ولكن قوى هذا الطريق ابن حجر في العجاب 1/204-206، والسيوطي في الإتقان 2/534، وغيرهما. وانظر: تعليق الشيخ أحمد شاكر على تفسير الطبري 1/219 (الحاشية)، والتفسير الصحيح 1/37-45.

(5) انظر: تفسير الطبري 4/508،507، والجامع لأحكام القرآن 6/118.

6) وقيل غير ذلك، وغالب الأقوال بين خمسمائة سنة وبين ستمائة سنة. انظر: تفسير الطبري 4/508، والهداية 3/1656،1655، وزاد المسير ص369، والدر المنثور 2/477.

(7) انظر: البحر المحيط 3/467.

(8) في (م): (نذير)،دون واو.

(9) انظر: زاد المسير ص370، الجامع لأحكام القرآن 6/120،119.

10) رواه الطبري في تفسيره 4/510 من طريق زيد بن أسلم عن النبي ﷺ مرسلاً، وقال ابن كثير في تفسيره 2/39: «وهذا مرسل غريب».

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ قبلكم، وهو المن والسلوى وما أعطوه من الآيات البينات[1].

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾[الآية:21]أي: المطهرة المباركة[2]، وهي أرض الشام، أمر موسى بأخذها من الجبارين، وقيل: هي أريحا من أرض الأردن، وقيل: فلسطين، وقيل: دمشق[3].

﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: وهبها لبني إسرائيل، وقد ملكوها[4] وسكنوها، لكن لم يسكنها الذين خاطبهم موسى، وإنما سكنها أبناؤهم، وقيل: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أمركم بدخولها مجاهدين[5].

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟﴾أي: لا ترجعوا عن قتال عدوكم[6].

﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟﴾أي: حتى يخرج الجبارون[7].

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾[الآية:23]وهما اثنان من النقباء يوشع بن نون وكالوب بن مافنه[8]﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله[9]، فلم يخافوا من الجبارين ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بقوة الإيمان[10]، فكتموا أمر الجبارين، وقالوا لبني إسرائيل: ادخلوا عليهم الباب -أي: باب أريحا- وتوكلوا على الله تغلبوهم، وأما بقية النقباء فإنهم خوفوا قومهم، فقال بنو إسرائيل:

---

(1) انظر: تفسير الطبري 4/512،511، والكشاف 1/607، والمحرر الوجيز 2/173، وزاد المسير ص370، تفسير ابن كثير 2/39، وتفسير أبي السعود 3/23.وتوجيه المؤلف لإيتاء بني إسرائيل ما لم يؤتَ أحدٌ من العالمين أنه من قبلهم لم أجد من صرح به غير أبي السعود، ويحتمله كلام الزمخشري وابن كثير، والجمهور على أن المراد به عالمو زمانهم.

(2) انظر: تفسير الطبري 4/513، وزاد المسير ص370.

(3) انظر: تفسير الطبري 4/513،512، والجامع لأحام القرآن 6/121، والتسهيل 1/231.

(4) في (ك): (ملكها).

(5) انظر: تفسير الطبري 4/514،513، ومعالم التنزيل 1/657

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/121.

(7) انظر: البحر المحيط 3/470.

(8) أما يوشع بن نون فاسمه ظاهر، وأما الآخر ففي النسختين (كالوت بن ماقيه)، وما أثبته من الهداية، وقد اختلف في رسم اسمه ونقطه على أقوال كثيرة. انظر: تفسير الطبري 4/518،517، والهداية 3/1664.

(9) انظر: البحر المحيط 3/470.

(10) انظر: تفسير الطبري 4/517، والكشاف 1/608.

أنصدق اثنين ونكذب عشرة، ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾[1][الآية:24].

وعن ابن عباس أن الرجلين كانا من مدينة الجبارين أنعم الله عليهما بالإسلام[2].

وقرأ بعضهم: (من الذين يُخافون) بضم الياء، أي: ممن له أمر مطاع ويُخاف[3].

﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ أي: اذهب وليعنك ربك، فتقاتلهم، وينصرك ربك، فتغلبهم وحدك[4] ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ حتى تأتي.

فقال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾[الآية:25] أي: لا أملك حكماً إلا على

---

(1) انظر: تفسير الطبري 4/517-519، والجامع لأحكام القرآن 6/123.
قد وردت هذه القصة في غالب كتب التفسير، وجاءت على وجوه كثيرة، وفي أكثرها ذكر ذلك الرجل العظيم الهائل المسمى عوج بن عنق، وأن الجبارين قوم ضخام الأجسام، وفيها أن النقباء الاثني عشر الذين بعثهم موسى عليه السلام لتحسس أخبار مدينة الجبارين (الذين ذكرهم المؤلف ورجح هناك في النقباء قولاً غير هذا القول) لما رجعوا أمرهم موسى بكتمان ما رأوه لئلا يتثبط بنو إسرائيل فأخبر النقباء بذلك إلا الرجلين اللذين سماهما المؤلف. وقد سبقت -ص(25) (في الحاشية)- حكاية كلام ابن كثير في توهين خبر عوج بن عنق، وتوهين ما ذكر من عظمة خلق هؤلاء الجبارين.
وقد سبق أن المؤلف عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾ اختار في تفسير النقباء أنهم الأمناء على بني إسرائيل، من كل سبط منهم رجل، وذكر القول الآخر أن المراد بهم ما جاء في هذه القصة بصيغة التمريض، وهذا فيه مخالفة لما أورده هنا من تلك القصة.
وكل هذه الأخبار لا يمكن الوصول إليها إلا بخبر عن المعصوم -وهذا بعيد-، أو باستقائها من أهل الكتاب، فلا ينبغي تصديقهم في اتهام النقباء الذين اختارهم الله على قومهم وبعثَهم نقباء عليهم، وتخوينهم لهم حين أظهروا ما أمرهم موسى عليه السلام بكتمانه، وحين خوفوا قومهم من قتال الجبارين. والله أعلم.
(2) رواه الطبري في تفسيره 4/519، 518، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وفي هذا الطريق خلاف مشهور، فممن اعتد به الإمام أحمد، وأبو حاتم، والنحاس، وابن حجر، وغيرهم، وهو قول الأكثرين. وممن ضعف هذه الطريق الألباني وأحمد شاكر، وذلك من أجل الانقطاع بين علي وابن عباس. وحجة الأولين أنه إنما حمل عن ثقات أصحابه، والله تعالى أعلم بالصواب. انظر: المراسيل لابن أبي حاتم ص 118، والشريعة ص 82، والناسخ والمنسوخ للنحاس 1/462، 461، والعجاب 1/206، 207، والتنكيل 2/292، وتعليق أحمد شاكر على تفسير الطبري 2/527 الحاشية (1)، والتفسير الصحيح 1/46-49.
(3) وهي قراءة شاذة، رويت عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد، وتوجيهها على نحو ما ذكره المؤلف. انظر: المحتسب 1/315، والبحر المحيط 3/470.
(4) انظر نحوه في: الهداية 3/1667، والجامع لأحكام القرآن 6/123، وقد قال الطبري رحمه الله: «وكان بعضهم يقول في ذلك: ليس معنى الكلام: اذهب أنت، وليذهب معك ربك فقاتلا، ولكن معناه: اذهب أنت، يا موسى، وليعنك ربك. وذلك أن الله عز ذكره لا يجوز عليه الذهاب، وهذا إنما كان يحتاج إلى طلب المخرج له، لو كان الخبر عن قوم مؤمنين. فأمّا قومٌ أهلُ خلافٍ على الله -عز ذكره- ورسولـه، فلا وجه لطلب المخرج لكلامهم فيما قالوا في الله عز وجل وافتروا عليه، إلا بما يشبه كفرهم وضلالتهم». تفسير الطبري 4/521، وانظر نحوه في: الكشاف 1/608.
هذا ويحتمل أن يكون مراد المؤلف ومن قال بهذا القول من المعتزلة والأشاعرة ليس تنزيهَ الله تعالى عما لا يليق من الذهاب لمقاتلة هؤلاء القوم، وإنما هو للمذهب الذي التزموه من نفي الصفات الاختيارية عن الله تعالى، كنزوله إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، وكمجيئه يوم القيامة، ومذهب أهل السنة إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفات دون الخوض في كيفياتها. انظر: مجموع الفتاوى 3/73، 72.

نفسي وأخي، وقيل: تقديره وأخي أيضاً لا يملك إلا نفسه[1] ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٥﴾أي: الكافرين[2].

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾[الآية:26] حرم الله الأرض المقدسة على الذين خالفوا موسى، فما دخلها أحد منهم؛ والوقف على ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ وقف حسن، ثم قال: ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ﴾ فمكثوا أربعين سنة في ستة فراسخ[3] جادين المسير ما بين أيلة وإيلياء[4]، يبيتون في مكان فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في المكان الذي ارتحلوا منه بالأمس، ثم بعد الأربعين سنة أمروا أن يأتوا مدينة الجبارين ويدخلوها.

والصحيح أن موسى عليه السلام فتح مدينة الجبارين بعد التيه، وقتل عظيم الجبارين بها، وهو عاج بن عناق، وقصته مشهورة[5].

وقيل: إن قوله[6]﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾كلام متصل، وأنهم دخلوها بعد التيه.

وقال[7] ابن عباس: مات في التيه كل من جاوز عمره عشرين سنة، ومات هارون، ثم مات موسى، ونبي الله بعده يوشع بن نون ففتح مدينة الجبارين ومعه أبناؤهم[8].

﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾أي: لا تحزن على هؤلاء المخالفين إذا ابتلاهم الله بالتيه، أي: بالحيرة[9]، فسماهم بالمخالفة فاسقين، وفي هذه القصة تسلية للرسول

---

(1) انظر: تفسير الطبري 4/522، والتسهيل 1/232.

(2) انظر: تفسير الطبري 4/522.

3) الفرسخ: مقياس قديم، يقدر بثلاثة أميال هاشمية (الميل القديم، وليس الميل الانجليزي الحديث)، والميل القديم قدر بـ1925 متراً، فيكون طول الفرسخ بالأمتار 5775متراً، وقيل في تحديده غير ذلك. انظر: المعجم الوسيط فرسخ) ص681، (ميل) ص894، والمكاييل والأوزان الإسلامية ص95،94، والمكاييل والأوزان والنقود العربية ص43-53.

(4) أيلة هي المعروفة اليوم بالعقبة، وإيلياء هي مدينة القدس. انظر: أطلس الحديث النبوي ص58،57.
والمسافة -على ما قرره المؤلف من كون التيه بين أيلة وإيلياء في ستة فراسخ-(6فراسخ×5775متراً=34650متراً = رابة 35 كيلاً)، والواقع أن المسافة -على خط مستقيم- بين القدس والعقبة يتجاوز مائتي كيل (حسب مواقع الخرائط على الشبكة العالمية للمعلومات)، إلا أنه قد يكون مراد المؤلف أن أرض التيه واقعة بين هاتين المدينتين، لا أنها ممتدة على طول المسافة كلها؛ وعلى كل فهذا التقدير بالفراسخ لم يرد به خبر يعتمد عليه، والأمر قريب، والله أعلم.

5) المشهور في تسميته: عوج بن عنق كما سبق ص(25)، وسبق معها التنبيه على عدم ثبوت قصته، وقيل في سمه: عاج بن عناق، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 4/525، والهداية 3/1672، والجامع لأحكام القرآن 6/121، والقاموس المحيط (ع و ج) ص200.

(6) في (م): (وقوله إن قوله).

(7) في (ك): (قال)، دون واو.

ﷺ، وتثبيت للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾[الآية:27] قيل: اتل على اليهود، ليعلموا عاقبة الظلم والمعصية[10].

روي أن آدم عليه السلام كان يولد له في كل بطن غلام وجارية، وأ٠م٠ر أن يزوج أنثى كل بطن لذكر البطن الأخرى، وكان له ابنان اسمهما قابيل وهابيل، فأراد قابيل أن يتزوج أخته التي ولدت معه، وكانت جميلة، وأراد[11] آدم أن يزوجها لهابيل، فقربا قرباناً ليأخذ الجارية من ق٠ب٠ل٠ قربان٠ه، فقبل قربان هابيل، ولم يقبل قربان قابيل، وكان

---

8) رواه الطبري في تفسيره 4/524 بسنده عن أبي سعيد، عن عكرمة عن ابن عباس، وقد سبق الكلام على ضعف هذا الإسناد ص(25).
وكلام المؤلف هنا عن هذه المسألة غير واضح، وهما مسألتان -إحداهما مبنية على الأخرى-:
الأولى: هل دخل موسى عليه السلام الأرض المقدسة أم إن الذي فتحها يوشع بن نون؟ فالذي رجحه المؤلف في هذه المسألة أن موسى دخل الأرض المقدسة، وقتل عظيم الجبارين بها، وبه قال الطبري مستدلاً بإجماع أهل العلم بأخبار الأولين على أن موسى قتل عوج بن عنق، ولو كان قتله في التيه لما بقيت رهبة الجبارين في نفوس بني إسرائيل، وعليه فإن موسى عليه السلام قد دخل الأرض المقدسة، واستدل كذلك بإجماع أهل العلم بأخبار الأولين على أن بلعام بن باعور أعان الجبارين على موسى بالدعاء عليه، قال ابن كثير «هذا استدلاله»، والصحيح أن موسى لم يدخل الأرض المقدسة كما روى البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة (1339) 3/264، 263، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل (2372) 5/512 من حديث أبي هريرة أن الله تعالى أرسل ملك الموت إلى موسى فصكه موسى ففقأ عينه... الحديث، وفيه: «فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر»، والصحيح أن يوشع بن نون هو الذي فتح الأرض المقدسة بعد التيه كما روى الإمام أحمد في مسنده (8315) ص590 عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال:« إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس»، وصححه ابن حجر في فتح الباري 6/265، وهذا قول ابن كثير وابن حجر وجمهور المفسرين، ولا ريب أن الأخذ بكلام سيد المرسلين أولى من الأخذ بأخبار أهل العلم بأخبار الأولين التي يغلب على الظن أنهم أخذوها من بني إسرائيل، وقد مضى الكلام على قصة عوج ابن عنق. انظر: تفسير الطبري 4/526، 525، والهداية 3/1672، وزاد المسير ص373، 372، وتفسير ابن كثير 2/42، وفتح الباري 3/264.
المسألة الثانية: هل عامل النصب في (أَرۡبَعِينَ سَنَةً) هو (مُحَرَّمَةٌ) أم هو (يَتِيهُونَ)؟ وبعبارة أخرى: هل حسن الوقف على قوله تعالى (مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ)، ثم يستأنف (أَرۡبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)؟ أم لا بد من وصلها بما بعدها؟، وهي مبنية على المسألة الأولى: فمن قال: إن موسى لم يدخل بيت المقدس-وهو الصحيح على خلاف ما رجحه المؤلف- استحسن الوقف على (مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ) أي: هي محرمة عليهم بإطلاق، كما جاء في رواية ابن عباس التي أوردها المؤلف -على ضعفها-، ومن قال: إن موسى دخل الأرض المقدسة -كما هو قول المؤلف- وجب الوصل (مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةً)، وذلك أن مدة التحريم إنما كانت أربعين سنة، هكذا ربط غالب المفسرين بين هاتين المسألتين، وهذا على خلاف صنيع المؤلف حيث اختار في المسألة الأولى أن موسى دخل الأرض المقدسة، واختار في المسألة الثانية الوقف على (مُحَرَّمَةٌ) وهذا غريب. انظر: تفسير الطبري 4/525، وزاد المسير ص373، 372، والجامع لأحكام القرآن 6/125، والتسهيل 1/232، ومنار الهدى ص246.
(9) انظر: تفسير الطبري 4/526.
10) انظر: تفسير الطبري 4/527، وتفسير ابن كثير 2/43. ولم يتبين لي وجه حكاية المؤلف لهذا القول بصيغة التمريض؛ فإن هذا القول هو الذي صرح به غالب المفسرين.
(11) في (ك): (فأراد).

قبول القربان أن تنـزل نار فتأكله، وكان القربان بأمر آدم لهما، فقال قابيل: لأقتلنك، فقال هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت إلي يدك بالقتل فإني لا أبسط يدي، فـإني[1] أخاف الله[2]، غلب عليه خوف الله فلم يبسط يده، وكان أقوى منه، قاله ابن عمر[3].

(إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي)[الآية:29] معناه: أريد بكف يدي أن لا أكون آثماً ولا متعدياً، فإن قتلتني تحملت إثم قتلي وآثامك المتقدمة التي من أجلها لم يقبل قربانك، وقيل: ﴿بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾: أي: بإثمي لو قتلتك وإثم قتلك لي[4]، ولم يكن يريد لأخيه الإثم؛ لأنه لم يكن يريد أن يقتل، وإنما هو مجاز ومبالغة على جهة الموعظة[5].

ومعنى تبوء: أي: ترجع، وقيل: تلزم وتحمل[6].

(فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ)[الآية:30] أي: زينت وسولت حتى أطاعها[7]، فوجده نائماً فرمى على رأسه حجراً فقتله، ثم حمله على عنقه لا يدري ما يصنع، فنظر إلى غراب

---

(1) في (ك): (إني).

2) ورد ذلك بأسانيد كثيرة عن السلف، جود بعضها ابن كثير في تفسيره، غير أن الطبري قال:«وأما القول في قربيهما ما قربا؟ فإن الصواب فيه من القول أن يقال: إن الله عز ذكره أخبر عباده عنهما أنهما قد قربا، ولم يخبر ن تقريبهما ما قرّبا كان عن أمر الله إياهما به، ولا عن غير أمره، وجائز أن يكون كان عن أمر الله إياهما بذلك، وجائز أن يكون عن غير أمره، غير أنه أي ذلك كان، فلم يقرّبا ذلك إلا طلب قربة إلى الله إن شاء الله». انظر: تفسير الطبري 4/531، وتفسير ابن كثير 2/44،43.

3) كذا في النسختين، وكذا أيضاً في الهداية3/1675، والصواب أنه: ابن عمرو؛ فقد رواه الطبري بسنده عن عبد لله بن عمرو في موضعين 4/532،527، ونقله عنه ابن كثير في تفسيره 2/42 كذلك، وفي سنده أبو المغيرة، وهو قواس، لا يعرف اسمه، وقد ثقه يحيى بن معين. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل 9/439، وميزان الاعتدال 7/430.

4) انظر: تفسير الطبري 4/534،533، والمحرر الوجيز 2/179، وحكى الطبري الإجماع على أن المراد: بإثم قتلك لي، وآثامك السابقة.

5) وقيل فيها غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 4/534، والهداية 3/1681، وزاد المسير ص375، والتفسير الكبير 11/164،163، والتحرير والتنوير 5/84.

(6) انظر: الهداية 3/1683، ومعالم التنزيل 1/363.

(7) انظر: تفسير الطبري 4/536،535.

يبحث في الأرض، فبحث ودفنه[1].

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ۝٣١﴾على قتل أخيه[2].

ووقف نافع[3] على ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾[الآية:32] أي: ندم من أجل ذلك، ثم يبتدئ ﴿كَتَبْنَا﴾[4].

والصحيح أن بداية الكلام ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾[5] أي: من أجل قتل قابيل لأخيه[6].

﴿كَتَبْنَا﴾أي: حكمنا وفرضنا في التوراة[7]﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا﴾مؤمنة بغير قصاص عن قتل نفس، وبغير فساد في الأرض أي: محاربة[8].

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ يقتل قصاصاً كمن قتل جميع الناس، [وقيل: تضاعف عليه السيئات كمن قتل جميع الناس، وقيل: يدخل النار كما يدخلها من قتل جميع الناس][9]، وقال ابن عباس: هو فيمن قتل نبيا٠ أو إماما٠ عادلا٠[10].

---

1) وردت صفة القتل هذه في عدة روايات عن السلف. انظر: تفسير الطبري 4/537،536، وأياً ما كانت صفة تله فإن العبرة بأن القتل قد وقع، ولا دليل يبين لنا كيف كان القتل، وهذا الأمر ينسحب على كل تفاصيل هذه القصة وما شابهها، يقول الطبري رحمه الله -بعد ذكره لاختلاف الروايات في كيفية قتله-:«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عز ذكره قد أخبر عن القاتل أنه قتل أخاه، ولا خبر عندنا يقطع العذر بصفة قتله إياه» . تفسير الطبري 4/537.

وكذلك ما ورد من حمله أخاه على عاتقه، وقد روى الطبري في تفسيره 4/538عن ابن عباس من طريق الضحاك، فيه: أنه حمل أخاه في جراب على رقبته سنة، والضحاك لم يلق ابن عباس. انظر: العجاب 1/211، والإتقان 2/535.

روى الطبري في تفسيره 4/539 نحوه عن مجاهد من طريق ليث، وفيه: أنه حمل أخاه مائة سنة، وليث هو ابن أبي سليم صدوق اختلط جدا٠، ولم يتميز حديثه فترك. انظر ترجمته في: تقريب التهذيب (5721).

(2) انظر: الكشاف 1/613، والتسهيل 1/233.

3) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم، وقيل في كنيته غير ذلك، أحد القراء السبعة، صدوق ثبت في القراءة، انتهت إليه رئاسة الإقراء في المدينة، وأقرأ الناس بها ما نيف على سبعين سنة، توفي سنة 169 هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء 7/336، وغاية النهاية 2/330، وتقريب التهذيب (7127) ص995.

(4) انظر: الهداية 3/1685، وروح المعاني 3/287.

(5) انظر: تفسير الطبري 4/541،540، ومنار الهدى ص248،247ز

(6) انظر:.تفسير ابن كثير 2/49.

(7) انظر: المحرر الوجيز 2/182، والتسهيل 1/234.

(8) انظر: الهداية 3/1686، والمحرر الوجيز 2/182، وتفسير ابن كثير 2/49. والمحاربة وجه من وجوه الفساد في الأرض عند أكثر المفسرين.

(9) ساقط من (ك).

10) رواه الطبري في تفسيره 4/541 عن الحسين بن حريث المروزي، عن الفضل بن موسى، عن الحسين بن اقد، عن عكرمة، عن ابن عباس. ورجاله كلهم ثقات، إلا أن الحسين بن واقد ثقة له أوهام. انظر تراجمهم في التقريب -على الترتيب-: (4707،1367،5454،1323).

وانظر ما حكاه المؤلف من أقوال في معنى الآية في: تفسير الطبري 4/541-545، والمحرر الوجيز 2/182، وزاد المسير ص377.

﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾ أي: ومن أنقذ نفساً من [هلاك][1] أو من غرق أو يد ظالم ونحوه، وقيل: معناه[2]: عمن وجب [له][3] عليه قصاص فكأنما أحيا الناس جميعاً، فضاعف له الحسنات، وقال ابن عباس: هو فيمن نصر نبياً أو إماماً[4] عادلاً فمنعه من القتل[5].

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ أي: جاءت بني إسرائيل الرسل[6].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾[الآية:33] أي: يظهرون الحرب للمسلمين، فيخالفون الله[7]، ويحاربون أولياء الله، وهم الذين يقطعون الطريق[8]، نزلت في قوم من أهل الكتاب محاربين[9]، وقيل: نزلت في العرنيين[10] الذين ارتدوا، وقتلوا راعي إبل الصدقة، وأخذوها[11].

فجعل الله حد المحارب إذا أُخذ[12] أن يقتل بالسيف، أو يصلب -أي: يقتل ثم يعلق، ولا يعلق وهو حي-، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف -وهو أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو بالعكس-، أو ينفوا من الأرض: أي: يحبسوا في أرض أخرى[13].

---

(1) غير واضحة في (م).

(2) كذا في النسختين، وفي الهداية 3/1687:«من عفا» مكان (معناه).

(3) سقطت من (ك).

(4) في (ك) (أو ماماً)

5) هذا جزء من الأثر الذي سبق قبل قليل عن ابن عباس، ومضى تخريجه، وانظرما ساقه المؤلف من أقوال في معنى الآية في المحرر الوجيز 2/182، والبحر المحيط 3/483.

(6) انظر: تفسير الطبري 4/546.

(7) في (ك): (فيخالفون الله ورسوله).

(8) انظر: التفسير الكبير 11/169، وتفسير ابن كثير 2/50.

(9) انظر: تفسير الطبري 4/547،546، والجامع لأحكام القرآن 6/142.

(10) العرنيون: قبيلة منسوبة إلى عرينة بن نذير بن قسر بن عبقر (بجيلة) بن أنمار. انظر: الأنساب 4/182، وفتح الباري 1/439.

11) انظر القول بنزول الآية في العرنيين في: تفسير الطبري 4/547، وتفسير ابن كثير 2/50-52. وأما أصل قصة العرنيين فهي في الصحيحين، فقد أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها (233) 1/436، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة (1671) 4/308. ولكن ليس فيهما التصريح بنزول الآية في قصتهم. والله أعلم.

(12) في (ك): (إذا حُدّ) مضبوطة.

13) اختلف في الأحكام المترتبة على المحاربة في هذه الآية: أهي على التخيير كما هو ظاهر كلام المؤلف، أم هي منزلة على أحوال مختلفة؟ والجمهور على القول الثاني؛ وعليه فمن قتل وأخذ مالاً قطعت يده ورجله من خلاف وصُلب، ومن قتل ولم يأخذ مالاً صلب دون قطع يده ورجله، ومن أخذ مالاً ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف ولم يصلب، ومن أخاف السبيل ولم يأخذ مالاً ولم يقتل نفي من الأرض. انظر: تفسير الطبري 4/552-556، والجامع لأحكام القرآن 6/145،144 وتفسير ابن كثير 2/53.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾[الآية:34]عن المحاربة من قبل أن يؤخذوا ويقدر عليهم، فلا حد عليهم إلا أن يكون لإنسان عليهم حق [فيطلبه][1] فله طلبه[2]، ومعنى ﴿تَقۡدِرُواْ﴾ تملكوا، أوتضيقوا عليهم، من قدر: بمعنى ضيق[3].

﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[الآية:35] أي: اطلبوا الوسيلة إليه بطاعته، والوسيلة: القربة والمحبة، وتوسل: أي: تقرب، وقيل: معناه اطلبوا منه الوسيلة، وهي درجة في الجنة[4].

ثم ذكر حد السارق، وقوله ﴿جَزَآءَۢ﴾[الآية:38]مفعول من أجله، وكذلك ﴿نَكَٰلٗا﴾[5]، ثم ذكر سبحانه أنه تقبل توبة السارق وغيره.

[قوله تعالى][6]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾[الآية:41]أي: يجتهدون فيه[7] ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ وهم المنافقون، ومن اليهود أيضاً ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾أي: هم سماعون للكذب: يسمعون الكذب من أحبارهم، ويسمعونه من قوم آخرين من اليهود لم يأتوك، -قيل: السماعون: يهود المدينة، كانوا يسمعون من يهود فدك[8] الذين لم يأتوا النبي[ﷺ]-، وقيل[9]: معناه: يسمعون منك ليكذبوا عليك، ويسمعون منكم لينقلوا لقوم آخرين[10] لم يأتوك، فهم جواسيس لهم[11].

---

(1) سقطت من (م).

2) اختلف في سقوط المطالبة بحقوق الأدميين عمن تاب من المحاربين من المسلمين، فاختار المؤلف عدم سقوطها، وقال بعض العلماء بسقوطها، قال ابن كثير:«وعليه فعل الصحابة». انظر: زاد المسير ص379، والجامع لأحكام القرآن 6/151،150، وتفسير ابن كثير 2/54.

3) زاد في (ك): (والله أعلم). ولم أجد من نص على أن القدرة عليهم من (القدْر) بمعنى التضييق، إلا أن ابن عاشور أشار إليها إشارة محتملة. انظر: التحرير والتنوير 5/96.

4) وعلى هذا القول يكون سؤالها للنبي . وانظر القولين اللذين ساقهما المؤلف في معنى الآية في: تفسير الطبري 4/567،566، والمحرر الوجيز 2/187،186، وتفسير ابن كثير 2/55.

(5) انظر: الكشاف 1/619، والبحر المحيط 3/495.

(6) سقطت من (ك).

(7) انظر: التفسير الكبير 11/183.

8) قرية في الحجاز، شمالي المدينة، وهي أقرب إليها من خيبر، أفاءها الله على رسوله صلحاً بعد فتحه خيبر، وهي اليوم قرية (الحائط). انظر: معجم البلدان 6/417، وأطلس الحديث النبوي ص292.

(9) هذا القول الثاني في معنى ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾، وليس قولاً ثانياً في تحديد هؤلاء السماعين.

(10) في (م): (يسمعون منك ليكذبوا عليك، ويسمعون منكم ليكذبوا عليك ويسمعون منكم لينقلوا لقوم آخرين)، وفي (ك): (يسمعون منك ليكذبوا عليك ويسمعون منك لينقلوا لقوم آخرين). والظاهر أن مراد المؤلف ما أثبته.

(11) انظر: تفسير الطبري 4/575، والبحر المحيط 3/499، وتفسير ابن كثير 2/60.

وهذه الآيات نزلت في اختلاف جرى بين اليهود فحكموا فيه النبي ﷺ، قيل: اختلفوا في حد الزاني المحصن، فأتوا بالزاني والزانية، فأمر النبي ﷺ برجمهما، فقالوا: إنما الحد عندنا الجلد، وكانوا يطلبون أن يجلدهما، فأمر النبي ﷺ أن يؤتى بالتوراة، فأتوا بها وقرئت بين يديه، فأخرج عبد الله بن سلام منها آية الرجم، فرجم الزانيين عند باب المسجد[1].

وقيل: إن النبي ﷺ دعا ابن صوريا اليهودي -وكان من علمائهم- فأقسم عليه بالله، فأقر بأن الرجم في التوراة، وأنهم غيروه، وجعلوا الحد الضرب بسوط ملطخ بزفت، ثم قال: والله لو قلت٠ غير هذا لاحترقت بين يديك، والله يا محمد إنهم ليعلمون أنك [نبي][2] حق، ولكنهم يحسدونك[3].

وقوله ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ هذا قول يهود فدك ليهود المدينة، قالوا: إن حكم لكم محمد بالجلد فخذوا به، وإن حكم بالرجم فاحذروا، أي: لا تقبلوا، وقولوا: هذا ليس في كتابنا[4].

وقال قتادة وغيره: كان في حكم حيي بن أخطب يفضل بني النضير على بني قريظة، فكان القرظي إذا قتل النضيري عمداً أو خطأً قتل به، وإذا قتل النضيري القرظي عمداً أو خطأً ففيه نصف الدية من غير قصاص، وهذا حكم أخذه من عند نفسه، وخالف فيه حكم الله، فقتل نضيري قرظياً، فطلبت بنو قريظة المحاكمة عند النبي ﷺ لعلمهم أنه يسوي بينهم في الدية والقصاص، فقال المنافقون لبني النضير: إن حكم عليكم محمد بالدية فاقبلوا، وإن حكم عليكم بالقصاص فاحذروا، فهو قولهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) (4556) 8/282، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود (1700) 4/352.

(2) سقطت من (ك).

(3) انظر: تفسير الطبري 4/573،572، والهداية 3/1709.

4) قال الطبري في تفسيره 4/576 عن هؤلاء السماعين:« وقد يجوز أن يكون أولئك كانوا من يهود المدينة، المسموعُ لهم من يهود فدك، ويجوز أن يكون كانوا من غيرهم، غير أنه أي ذلك كان، فهو من صفة قوم من يهود، سمعوا الكذب على الله في حكم المرأة التي كانت بغت فيهم وهي محصنة...». وانظر: زاد المسير ص383.

فَخُذُوهُ)[1].

(وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ)أي: ضلاله عن الحق، وهم اليهود[2].

(سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ)[الآية:42] تأكيد للكلام الأول، وقيل: هما بمعنيين: أحدهما: يسمعون الكذب، والآخر: يسمعون ليكذبوا عليك[3].

قال قتادة والحسن[4]: [هم][5] حكام اليهود: يسمعون الكذب ويأكلون الر٠٠شا[6].

(لِلسُّحۡتِ)والسحت: الحرام؛ لأنه يسحت الحسنات: أي: يذهبها[7].

(فَإِن جَآءُوكَ)أي: جاءوا يتحاكمون عندك، فاحكم بينهم أو اتركهم[8].

وقيل: إنهم لما أرادوا تحكيمه جعلوا الجواسيس ليسمعوا بماذا يحكم فينقلوه لهم: (سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ)□ فالقوم الآخرون: أولياء القتيل، أو أولياء الزاني والزانية -على الخلاف- وهم الذين قال فيهم: (فَإِن جَآءُوكَ) أي: [إن][9] جاءك القوم الآخرون[10] الذين لم يأتوك[11].

وقوله (فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ)منسوخ عند أكثر العلماء بقوله [(وَأَنِ

---

1) رواه الطبري في تفسيره 4/578، 577 من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وقد مضى ص(2) أنه طريق حسن، غير أنه مرسل هنا.

(2) انظر: معالم التنزيل 1/677، والجامع لأحكام القرآن 6/173.

3) القول الأول هو المشهور عند المفسرين، والقول الثاني ذكره مكي في الكفاية 3/1721 قائلاً:«ويجوز أن يكون الأول معناه...»، فكأنه اجتهاد منه. وانظر: المحرر الوجيز 2/193، والجامع لأحكام القرآن 6/174.

4) هو الحسن بن أبي الحسن (يسار) البصري، أبو سعيد، ولد سنة 21هـ، اشتهر بالقرآن والوعظ والفقه التفسير والشجاعة، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، توفي سنة 110هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 4/563، وتقريب التهذيب (1237) ص236، وغاية النهاية 1/235.

(5) سقطت من (ك).

6) رواه الطبري في تفسيره 4/579 عن قتادة وعن الحسن، وروايته عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وإسناده حسن كما مضى ص(2)، وروايته عن الحسن من طريق المثنى عن مسلم بن إبراهيم، عن أبي عقيل، سَمِع الحسن، ورجاله ثقات، والمثنى هو ابن سعيد القسام، وأبو عقيل هو الدورقي بشير بن عقبة الناجي. انظر تراجمهم في تقريب التهذيب على ترتيبهم في الإسناد (724، 6660، 919).

(7) وقيل: لأنه مسحوت البركة، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 4/582، 581، والكشاف 1/622، والجامع لأحكام القرآن 6/174.

(8) انظر: تفسير الطبري 4/582.

(9) سقطت من (ك).

(10) في (م): (الآخرين).

(11) انظر: تفسير الطبري 4/583، 582، 575، وزاد المسير ص 384.

(12) سورة المائدة، الآية (49).

﴿أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[12]، وقيل: هي محكمة، ويكون قوله][1] ﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾ أي: احكم إن شئت[2].

ثم وبخ الله اليهود حيث بدلوا ما في التوراة وحكموا[3] النبي ﷺ ً أنه يحكم بأهوائهم، فقال: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾[الآية:43]في القصاص أو الرجم[4].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾[الآية:44]أي: بيان رسالة محمد [ﷺ][5] ﴿وَنُورٌ﴾أي: أحكام[6].

﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾[أي: آتينا بني إسرائيل[7].

﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ أي: سلموا الأحكام[8]، وانقادوا لأوامره، فهو وصف للنبيين[9].

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي: يحكم بها الأنبياء لليهود، وقيل: تقديره: فيه هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون][10] والربانيون والأحبار[11].

﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾[12] أي: بما استودعوا[13]﴿مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟﴾ على صحته[14]﴿شُهَدَآءَ﴾صدق الله

والأحبار جمع حبر، بفتح الحاء وكسرها[15]، وسمي[16] المداد ح·براً على

---

(1) سقطت من (ك).
2) انظر: تفسير الطبري 4/584-586، والمحرر الوجيز 2/194، وزاد المسير ص384، والجامع لأحكام القرآن 6/176-178، وتفسير ابن كثير 2/62.
(3) هذه الكلمة وعدة كلمات قبلها غير واضحة في (م).
(4) انظر: زاد المسير ص 385.
(5) انظر: زاد المسير ص385، والجامع لأحكام القرآن 6/179.
(6) يريد: يبين ما استبهم من الأحكام. انظر: الهداية 3/1726، والكشاف 1/623.
(7) كذا في (م)، ولم يتبين لي مراد المؤلف.
(8) كذا في (م)، ولعل صوابها: لأحكامه.
(9) انظر: تفسير الطبري 4/588، والبحر المحيط 3/503.
(10) ساقط من (ك)، وجاء فيها مكان ما سقط: (الذين أسلموا للذين هادوا).
(11) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/179، والبحر المحيط 3/503.
(12) زاد في (م): (من كتاب الله).
(13) انظر: تفسير الطبري 4/591.
(14) أي: صحة الحكم وموافقته لكتاب الله المنزل. انظر: تفسير الطبري 4/591، والهداية 3/1730.
(15) انظر: تفسير الطبري 4/590، والجامع لأحكام القرآن 6/179، ولسان العرب (ح ب ر) 3/14.
(16) في (ك): (ويسمى).

الحذف، أي: مداد ح ٓبر، وقيل: الحبرة أثر سواد أو صفرة[1].

﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ خطاب لأحبار اليهود[2].

ثم بين الله تعالى أن في التوراة القصاص، وأنهم غيروه، فأسقطوا القصاص عن النضيري إذا قتل القرظي[3]﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: من[4] جرح فتصدق بقصاص جرحه أو بالدية فذلك كفارة لذنوبه[5]، قيل: إن كانت الدية كاملة غفرت جميع ذنوبه، وإن عفا عن نصف الدية غفر نصف ذنوبه، وعلى هذا الحساب[6].

﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾[الآية: 46] أي: أتبعنا على آثار النبيين الذين كانوا يحكمون بالتوراة بعيسى، فأرسلناه على أثرهم[7]﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا﴾ يعني الإنجيل، فمصدقاً الأولى وصف لعيسى، والثانية وصف للإنجيل[8]، وهما منصوبان على الحال[9].

وقفا يقفوا: بمعنى: تبع[10].

والإنجيل [إفعيل من النجل، والنجل: الأصل في اللغة، فمعناه: أنه أصل في دين الله[11].

---

(1) ذكر المؤلف هنا قولين في تسمية المداد حبراً، فقال الفراء: هو على الحذف: أي: مداد حبر، وقال الأصمعي: ل سمي بذلك لتأثيره، من حبرة الأسنان -بفتح الحاء وضمها مع سكون الباء، وبكسر الحاء والباء معاً- والحبرة ي الأسنان هي أثر الصفرة أو السواد فيها. انظر: الهداية 3/1729، 1728، وزاد المسير ص385، والجامع لأحكام القرآن 6/180، 179، ولسان العرب (ح ب ر) 3/16.

(2) انظر: تفسير الطبري 4/591، ومعالم التنزيل 1/680.

(3) قيل: إن الآية إشارة إلى ما حكاه المؤلف. انظر: تفسير الطبري 4/598، والبحر المحيط 3/505.

(4) في (ك): (أي فمن).

5) الضمير في ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ يعود إلى القصاص في قول غالب المفسرين، ولم أجد من أشار إلى عوده على الدية كذلك إلا مكياً في الهداية 3/1762، وانظر: تفسير الطبري 4/599-601، والمحرر الوجيز 2/198، وزاد المسير ص387، والجامع لأحكام القرآن 6/196، وتفسير أبي السعود 3/43، وفتح القدير 2/66.

6) روى الإمام أحمد بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «ما من رجل يجرح في جسده جراحة فيتصدق بها إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به» مسند الإمام أحمد (23078) ص1667، وقال الهيثمي مجمع الزوائد 6/302 «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(7) انظر: البحر المحيط 3/510، وتفسير ابن كثير 2/67.

(8) انظر: تفسير الطبري 4/604، والجامع لأحكام القرآن 6/197.

(9) انظر: المحرر الوجيز 2/199، والبحر المحيط 3/510.

(10) انظر: لسان العرب (ق ف ا) 11/263، والبحر المحيط 3/510.

11) وقيل في اشتقاقه غير ذلك. انظر: معاني القرآن للزجاج 1/375، ولسان العرب (ن ج ل) 14/58، والبحر المحيط 2/387.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾[الآية:47] [1] من كسر اللام فهي لام كي، أي: وآتيناه الإنجيل ليحكموا به، ومن قرأ بالإسكان فهي لام الأمر، أمر النصارى أن يحكموا بما في الإنجيل من تصديق محمد[ﷺ]، وقيل: هو إخبار أنهم أمروا بالحكم بما فيه[2].

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[الآية:48] أي: القرآن[3]﴿مُصَدِّقًا﴾ للتوراة والإنجيل[4] ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ أي: شاهداً على صدق الكتب المتقدمة[5]﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فيصدوك[6]﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾[7] أي: شريعة، وأصله: الطريق في اللغة[8]، ومعناه: لكل أمة أيها الناس جعلنا شريعة، وهذه ناسخة لجميع الشرائع[9]، قال ابن عباس: الشرعة السبيل، والمنهاج السنة[10].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [أي: لو شاء لأرسل الرسل كلهم بشريعة واحدة][11] ﴿وَلَٰكِن﴾ جعل الشرائع مختلفة ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ [أي: ليختبركم][12] فيما يكلفكم به في كل شريعة[13]﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا إلى الطاعات[14].

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾[الآية:49]أي: وأنزلنا إليك الكتاب الحق، وبأن احكم بينهم[15].

---

(1) ساقط من (ك).

2) قرأ حمزة بكسر اللام، وقرأ الباقون بإسكانها، وحجة القراءتين هي كما أوضحها المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/119، والبحر المحيط 3/511، والنشر 2/191.

(3) انظر: تفسير الطبري 4/606.

4) الآية تشمل كل الكتب التي أنزلها الله تعالى قبل القرآن، ومنها التوراة والإنجيل. انظر: تفسير الطبري 4/606، ومعالم التنزيل 1/683، والجامع لأحكام القرآن 6/198، وتفسير ابن كثير 2/68.

(5) انظر: تفسير الطبري 4/606، والمحرر الوجيز 2/199.

6) ضُمِّن الفعل ﴿تَتَّبِعْ﴾ معنى: تنصرف أو تنحرف، وذلك لتعديته بعن. انظر: تفسير ابن كثير 2/68، والبحر المحيط 3/513.

(7) زاد في (ك): (ومنهاجا).

(8) انظر: تفسير الطبري 4/609، والجامع لأحكام القرآن 6/199، والبحر المحيط 3/514.

(9) انظر: تفسير الطبري 4/610،609، وتفسير ابن كثير 2/69.

10) رواه الطبري في تفسيره 4/612،611 من طرق متعددة يقوي بعضها بعضاً، وأورده في التفسير الصحيح 2/187.

(11) ساقط من (ك). وانظر: تفسير الطبري 4/612، والهداية 3/1771.

(12) ساقط من (ك).

(13) انظر: المحرر الوجيز 2/201، وتفسير ابن كثير 2/69.

(14) انظر: تفسير الطبري 4/613

(15) انظر: البحر المحيط 3/515.

﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ عن الحق بأهوائهم في الأحكام، وقال ابن عباس: تواصى أحبار من اليهود أن يفتنوا النبي ﷺ، فأتوا وقالوا: يا محمد، إنا علماء اليهود، وإن آمنا بك آمنوا كلهم، ولنا خصوم نأتي بهم[1]، فاحكم لنا عليهم ونؤمن بك، فأبى النبي ﷺ. فنزلت [هذه][2] الآية[3].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن حكمك[4] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ أي: يعاقبهم[5] ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ صدق الله

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[الآية:50] أي: أتطلب اليهود أن تحكموا برأيهم[6] على خلاف حكم الله كما كانت الجاهلية [يحكمون][7].

ومن قرأ ﴿تبغون﴾ بالتاء فهو خطاب لليهود، وبالياء إخبار عنهم[8].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ [يُوقِنُونَ] ﴿٥٠﴾﴾[9] أي: عند قوم يوقنون[10].

﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾[الآية:51] هذا خطاب عام، نهى الله المسلمين عن موالاتهم[11].

قيل: إن المسلمين لما أصابهم ما أصابهم يوم أحد هَمَّ بعض الناس أن يتخذ حلفا مع اليهود؛ خوفاً أن تعود الدولة لهم، فنزلت الآية[12].

وقيل: إن أبا لبابة الأوسي بعثه رسول الله ﷺ إلى قريظة حين نقضوا العهد،

---

(1) في (م): (ولتأتي خصوم نأتي بهم).
(2) سقطت من (ك).
3) رواه الطبري في تفسيره 4/614 من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، وقد مضى الكلام على هذا الإسناد ص(30).
(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/201.
(5) انظر: تفسير الطبري 4/614.
(6) في (ك): (بوايهم).
(7) كذا في (م)، وما بين الحاصرتين ساقط من (ك). وانظر: تفسير الطبري 4/614، والبحر المحيط 3/516.
8) قرأ ابن عامر بالخطاب، والباقون بالغيبة، وتوجيهها على نحو ما ذكره المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/120،119، والنشر 2/191.
(9) سقطت من (م).
(10) انظر: تفسير الطبري 4/614، والبحر المحيط 3/517،516.
(11) انظر: تفسير الطبري 4/616، والهداية 3/1775.
(12) في (ك): (فأنزل الله الآية). وقد رواه الطبري في تفسيره 4/616 عن السدي.

فاختاروا أن ينـزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه، يعني أنه يذبحكم، فنـزلت [هذه][1] الآية[2].

وقوله ﴿بَعْضُهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ والنصارى فيما بينهم [كذلك][3]، فكونوا أنتم أيها المسلمون [أولياء][4]، ولا تتخذوا أولياء من غيركم[5].

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ يعني أن المنافقين الذين يحبون اليهود ويوالونهم حكمهم كحكمهم عند الله[6]، وهو قوله ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[الآية52:]أي: نفاق[7] ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾أي: في موالاة اليهود[8] ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾أي: نخاف أن تدور الدولة لليهود فيقاتلونا، قاله ابن عباس وغيره[9].

وقيل: خافوا أن تغلو الأسعار فلا ينفعوهم في وقت الغلاء، فوالوهم لأجل ذلك[10].

وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي·· بن سلول حين شفع في أسارى بني قريظة، فخلاهم [له][11] النبي ﷺ وقال: «خذهم، لا بارك الله لك فيهم» فماتوا كلهم في مدة

(1) سقطت من (ك).
(2) رواه الطبري في تفسيره 4/616 عن عكرمة.
(3) سقطت من (ك).
(4) في (ك): (كذلك).
(5) انظر: تفسير الطبري 4/617، والهداية 3/1778.
(6) انظر: تفسير الطبري 4/617، والجامع لأحكام القرآن 6/204.
(7) انظر: تفسير ابن كثير 2/71.
(8) انظر: البحر المحيط 3/520، وتفسير ابن كثير 2/71.
9) لم أقف عليه مسنداً عن ابن عباس، وقد أورده عنه مكي في الهداية 3/1779، والبغوي في معالم التنزيل 1/686، وأبو حيان في البحر المحيط 3/520، وأورد السيوطي في الدر المنثور 2/515 ما يدل عليه -ضمن قصة- وعزاه لابن مردويه.
وقد سبق من كلام السدي قبل قليل.
(10) انظر: زاد المسير ص 291، والجامع لأحكام القرآن 6/204.
(11) سقطت من (ك).

قريبة[1].

ثم رد الله تعالى على المنافقين ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ أي: سوف يأتي الله بالحكم والنصر على اليهود وغيرهم، وقيل: هو فتح مكة[2].

﴿أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ قهر المسلمين لأهل الكتاب[3] ﴿فَيُصۡبِحُواْ﴾ أي: يصبح المنافقون[4] ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من موالاة اليهود[5] ﴿نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ صدق الله

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ﴾[الآية:53]وهم المنافقون، كانوا يحلفون أنهم مؤمنون[6].

ونصب ﴿جَهۡدَ﴾على المصدر، وكسر ﴿إِنَّهُمۡ﴾على الحكاية[7].

وقرئت [﴿يقول﴾][8] بغير واو، [وبواو][9] مع رفع اللام، أي: ويقول المؤمنون إذا أتى الفتح.

وقرئت ﴿ويقولَ﴾ بالنصب عطفاً على (يصبحوا)، والمعنى في الكل واحد، ومعناه: يقول بعض المؤمنين لبعض: هؤلاء الذين أقسموا إنهم مؤمنون ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾

---

1) رواه ابن إسحاق في السيرة 3/295 من رواية عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً بلفظ «هم لك»، وليس فيها الدعاء عليهم بمحق بركتهم، ولا قلة لبثهم بعد الدعاء عليهم.
رواه الواقدي في المغازي 1/166، وفيه «خلوهم، لعنهم الله ولعنه معهم»، وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد 2/29.
قول المؤلف «بني قريظة» وهمٌ بلا ريب، بل هم بنو قينقاع كما في جميع ما اطلعت عليه ممن ذكر القصة، بمن يهم مكي في الهداية 3/1779، أما بنو قريظة فقد ثبت في الصحيح أن النبي قد قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم. كما خرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي من الأحزاب (4121) 7/514،513، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير (1768) 4/440،439.

(2) انظر: تفسير الطبري 4/620، والمحرر الوجيز 2/205.
(3) انظر: تفسير الطبري 4/620.
(4) انظر: تفسير ابن كثير 2/71.
(5) انظر: تفسير الطبري 4/620، وتفسير ابن كثير 2/71.
(6) انظر: تفسير الطبري 4/621، وزاد المسير ص 391.
(7) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/205، والبحر المحيط 3/522.
(8) سقطت من (م).
(9) سقطت من (ك).

صلاتهم وجهادهم وعباداتهم؛ إذ لم يكن معها إيمان[1]، وهذا إخبار من الله أنه لا يقبل إلا عمل مؤمن.

قال ابن عباس: فأتى الله بالفتح فقتل النبي ﷺ مقاتلة بني قريظة، وسبى ذراريهم، وأخرج بني النضير من أرضهم إلى الشام[2].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[الآية:54] خطاب عام يدخل فيه في مثل هذا الموضع المنافقون؛ لأنهم آمنوا بظواهرهم[3].

﴿مَن يَرْتَدَّ ﴾ أي: يرجع منكم عن الإسلام[4]، وهم المنافقون[5]، وتقديره: فإن الله ورسوله [ﷺ] والمؤمنين أغنياء عنكم، فسوف يأتي الله بقوم ينصرون دينه، يحبهم [الله][6] ويحبونه[7].

وكل من أحبه الله فأراد تقريبه و[إكرامه][8] أحب الله، فبذل روحه في طاعته[9]، وهؤلاء القوم كل من اتبع الرسول من المؤمنين.

---

(1) في (ك): (إذا لم يكن معها إيمان).
وفي قوله تعالى (ويقول) ثلاث قراءات متواترة:
الأولى: (ويقولُ) بإثبات الواو ورفع الفعل، وبها قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف، على أن الواو ليست عاطفة عل على فعل، بل عاطفة جملة على جملة، وانقطع الفعل بعدها عن تأثره بالعوامل السابقة فبقى على أصله (الرفع).
الثانية: (ويقولَ) بإثبات الواو ونصب الفعل، وبها قرأ أبو عمرو ويعقوب، على أن الواو عطفت الفعل (يقول) على الفعل (يأتي) من قوله تعالى (فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ).
الثالثة: (يقولُ) بحذف الواو ورفع الفعل، وبها قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر، وهي كذلك في مصحف مكة والمدينة.
القراءة وإن اختلفت فيما تدل عليه من المعاني الدقيقة التي أفاض بعض المفسرين في بيانها إلا أنها تتحد في دلالة على المعنى الذي ذكره المؤلف. انظر القراءات الواردة فيها وتوجيهها ومعنى الآية في: تفسير الطبري 4/62، والحجة لابن خالويه ص69، والحجة لأبي علي الفارسي 2/121،120، والهداية 3/1781-1783، والجامع لأحكام القرآن 6/205، والبحر المحيط 3/522،521، والنشر 2/191.
(2) أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن 6/205 منسوباً إلى ابن عباس، ولم أقف عليه مسنداً.
(3) انفرد به -فيما اطلعت عليه- ابن عطية في المحرر الوجيز 2/208.
(4) انظر: تفسير الطبري 4/622، وتفسير ابن كثير 2/72.
(5) سبق التعليق على دخول المنافقين في الآية قبل قليل.
(6) سقطت من (ك).
(7) انظر: تفسير الطبري 4/622.
(8) سقطت من (م).
(9) مذهب أهل السنة في صفات الله تعالى إثباتها على ما يليق بجلال الله تعالى، ومن ذلك صفة المحبة، يثبتون أن الله تعالى يحب رسله وعباده الموصوفين في هذه الآية، كما أن أهل السنة يثبتون أن الله تعالى يُحبه مؤمنون، وهي محبة تعبد وتدين وتذلل، وأنكر غير أهل السنة أن الله يُحِبُّ أو يُحَبُّ. انظر: مجموع الفتاوى 10/43-54، وشرح العقيدة الواسطية لابن قاسم ص 51،50،23، وشرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص54.

وقد وصفهم فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾أي: رحماء فيما بينهم[1].

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾أي: لا يسمعون من كافر يلومهم على الإسلام، وقيل: تقديره: من يرتد بعد موت الرسول [ﷺ] -كبني حنيفة- فسوف يأتي الله بقوم مؤمنين ينصرون دين الله، وهم الصحابة ومن جاء بعدهم من المؤمنين[2].

وقوله ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي الذين استخلفهم الله على دينه، فقاتلوا بني حنيفة حين ارتدوا، وقد كان الناس لاموهم كثيراً على قتال بني حنيفة، فلم يخافوا لومة لائم، وقد نصر الله بهم الدين، رضي الله عنهم أجمعين[3].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾[الآية:55]هذا رد على من والى أصحاب الكتاب[4] ليعتز بهم[5].

وقيل: شكا عبد الله بن سلام ومن آمن من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ مقاطعة قومهم وعداوتهم حين أسلموا، فنـزل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾[6] الآية، فقالوا رضينا بالله ورسوله والمؤمنين[7].

ثم وصف المؤمنين بأنهم ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي: كثيرو الركوع[8].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 4/626، ومعالم التنزيل 1/689.
(2) انظر: تفسير الطبري 4/627، والجامع لأحكام القرآن 6/207،206.
3) الآية عامة في لفظها، وإن كان أولى من تنطبق عليه من سماهم المؤلف من الخلفاء الراشدين المهديين، ولذا نص عليهم أكثر المفسرين. انظر: تفسير الطبري 4/623، والمحرر الوجيز 2/207، وتفسير ابن كثير 2/73،72.
(4) في (ك): (أهل الكتاب).
(5) انظر: الهداية 3/1788،1787، والتفسير الكبير 12/32،22.
(6) زاد في (ك): (ورسوله).
(7) أورده الواحدي في أسباب النزول ص193 عن جابر، ولم يسق له إسناداً، ورواه كذلك -في الصفحة ذاتها- عن ابن عباس من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، والسدي الصغير متهم بالكذب. انظر ترجمته في: الكامل 6/263، وتقريب التهذيب (6324)، والكلبي محمد بن السائب، متهم بالكذب، ورمي بالرفض. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 6/248، وتقريب التهذيب (5938)، وأبو صالح باذام أو باذان مولى أم هانئ، ضعيف مدلس. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 5/37، وتقريب التهذيب (639)، وهذه الطريق أوهى الطرق عن ابن عباس، وهي سلسلة الكذب. انظر: العجاب 1/210، والإتقان 2/535.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور 2/520 إلى ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
8) في النسختين: (كثيرون الركوع)، ولا يصح لغة لأن نون جمع المذكر السالم وما يلحق به تحذف منه إذا أضيف. انظر: شرح ابن عقيل على الألفية 2/41.

وقيل: (رَٰكِعُونَ) أي: خاضعون لله، والركوع في اللغة: الخضوع والانكسار[1].

وقيل: الزكاة هنا الطاعة، فمعناه يتقربون إلى الله بطاعة أخرى وهم راكعون قاله السدي[2]، قال: وسبب نزولها أن علي بن أبي طالب[3] مر به سائل وهو راكع، فأعطاه خاتمه من أصبعه[4].

(وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ)[الآية:56] أي: يرضى به ولياً يتولى أموره، فيكل أموره[5] إليه، ويشتغل بطاعته[6] (فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ) أي: الطائفة الذين ينصرون دين الله[7] (هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾) لأن العاقبة لهم، وكذلك كان، غلبَ أنصارُ الله، وظهر دينُ الله، وملك المسلمون بلاد أعدائهم الذين كانوا يقاتلون رسول الله وغيرهم من أعداء الله.

ثم كرر الله النهي تأكيداً[8]، فقال: (لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا)[الآية:57] أي: يستهزئون

---

(1) انظر القولين اللذين ساقهما المؤلف في معنى (وهم راكعون) في الكشاف1/635، والمحرر الوجيز 2/208 ، وزاد المسير ص392، والبحر المحيط 3/525.

(2) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، نسبة إلى سدة المسجد، أي: باب المسجد، أبو محمد، أحد موالي قريش، صدوق يهم ورمي بالتشيع، توفي عام 127هـ. انظر: الأنساب 3/238، وسير أعلام النبلاء 5/264 ، وتقريب التهذيب (467) ص141.

لم أجد من نسب هذا القول إلى السدي، بل لم أجد من ذكر هذا القول أصلاً إلا ابن عطية في المحرر الوجيز 2/208 حيث جعل المراد بالزكاة جميع أعمال البر.

(3) في (ك):(سبب نزولها علي بن أبي طالب).

(4) الذي رواه الطبري في تفسيره وذكره بعض المفسرين عن السدي أن المقصود في الآية جميع المؤمنين ، ولكن علياً رضي الله عنه مر به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه. انظر: تفسير الطبري 4/628 ، والمحرر الوجيز 2/208. وليس فيها التصريح بنزول الآية في ذلك، وإن كانت تحتمل.

وقد أورده الثعلبي ومكي والبغوي والقرطبي على أن قول السدي هو أن الآية إنما هي في علي رضي الله عنه . نظر: الكشف والبيان 4/80، والهداية 3/1787، ومعالم التنزيل 1/690، والجامع لأحكام القرآن 6/208، ويغلب على ظن أنهم تصرفوا فرووه بالمعنى كما فعل السيوطي في الدر المنثور 2/520 فنسب إلى الطبري إخراجه هذه الرواية التي فيها أن هذه الآية نازلة في علي، وقد تقدمت رواية الطبري بمعناها وليس فيها ذكر نزول الآية.

أياً ما كان قول السدي فإن أهل العلم قد بينوا أن الروايات الواردة في إعطاء علي لهذا السائل، ونزولَ الآية سبب ذلك دائرة بين الوضع والضعف. انظر: منهاج السنة 2/30-32، وتفسير ابن كثير 2/74، والكافي الشاف (بحاشية الكشاف) 1/636.

(5) في (ك): (أمره).

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/209، وتفسير ابن كثير 2/74.

(7) انظر: تفسير الطبري 4/629، ومعالم التنزيل 1/691.

8) تكرر النهي لتعميم الحكم على أهل الكتاب وغيرهم من الكفار، بعد أن كانت الآية التي مضت خاصة في هل الكتاب، وبياناً لعلة النهي عن اتخاذهم أولياء، وتهييجاً لنفوس المؤمنين بأن من اتصف بهذه الصفة جدير بأن لا يتخذوه ولياً. انظر: المحرر الوجيز 2/209، والبحر المحيط 3/526، وتفسير أبي السعود 3/53.

به ويلعبون: يحكون بـالمسلمين[1] ويضحكون[2]﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾[3] ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ معطوف عليه، ومن نصب ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ أي: لا تتخذوا الكفار أولياء[3]،﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فلا توالوهم[4].

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[الآية:58]أي: أذنتم وأقمتم يحكون بـالمؤذن[5] ويضحكون[6]، قال السدي: كان رجل من النصارى إذا سمع النداء «أشهد أن محمداً رسول الله» يقول[7]: احترق الكاذب، فوقعت شرارة في بيته، فاحترق هو وأهله[8].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾[الآية:59]أي: هل تنكرون منا إلا إيماننا لله[9] ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ أي: القرآن، وما أنزل من قبله من التوراة والإنجيل؟[10].

[وقوله][11] ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي: وهل ذلك إلا لأن أكثركم فاسقون[12]؟، وقيل: تقديره: هل تنكرون علينا وتكرهوننا إلا لأجل إيماننا بالله وبكتبه ولأن أكثركم فاسقون خارجون عن الحق مبدلون للكتب؛ فتكرهوننا لأنا نظهر عيوبكم، وهذا قول حسن[13].

وقال ابن عباس: قال قوم من اليهود: من تؤمن به يا محمد من الرسل؟ فذكر لهم

---

1) كذا في (ك)، وهذه الكلمة وكلمتان قبلها غير واضحة في (م) بسبب عدم تصوير جزء من السطر الأول في ورقة، ولعل صوابها: (يحكون المسلمين)؛ لأن الفعل (حكى) يتعدى بنفسه، تقول حكيت فلاناً وحاكيته أي: فعلت فعله أو قوله سواءً. انظر: القاموس المحيط (ح ك ى) ص 1275.

2) حكى هذا القول أبوحيان في البحر المحيط 3/526، ولكن جماهير المفسرين على أن الاستهزاء المذكور في هذه الآية هو اللعب بالدين: يظهر أحدهم الإيمان ويبطن الكفر، ويؤمن أحدهم ثم يرجع إلى كفره بعد ذلك ونحو ذلك. انظر: تفسير الطبري 4/630، والهداية 3/1789، ومعالم التنزيل 1/691، والكشاف 1/636، وزاد المسير ص 393.

3) قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب بخفض ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾، وقرأ الباقون بالنصب، وتوجيههما على نحو ما ذكر المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/123، والبحر المحيط 3/526، والنشر 2/192.

(4) انظر: تفسير الطبري 4/631.

(5) كذا في النسختين، وقد سبق قبل قليل أن الفعل (حكى) يتعدى بنفسه.

(6) انظر: تفسير الطبري 4/631، والجامع لأحكام القرآن 6/211، وتفسير ابن كثير 2/75.

(7) في (ك): (فيقول).

8) رواه الطبري في تفسيره 4/631 من طريق محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي. وقد حسن د. حكمت بشير هذا الإسناد في عدة مواضع من كتابه التفسير الصحيح. انظر: التفسير الصحيح 4/199، 200، 202، 203.

(9) في (ك): (إلا أن آمنا بالله).

(10) في (ك): (من قبل التوراة والإنجيل). وانظر: تفسير الطبري 4/632، والتفسير الكبير 12/30.

(11) سقطت من (ك).

(12) انظر: تفسير الطبري 4/632، والكشاف 1/637.

(13) اختلف في هذه الآية على أقوال عديدة، إلا أني لم أقف على هذا القول الذي حكاه المؤلف.

الرسل إلى ذكر عيسى، فقالوا: نحن لا نؤمن بعيسى، فنـزلت [الآية][1].

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾[الآية:60] معناه: أنتم تنكرون علينا إيماننا بعيسى والإنجيل، وتزعمون أن إيماننا به شر: أخبركم بما هو شر من هذا؟[2] ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ وهم اليهود[3] ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أي: عظم غير الله، كقولهم: عزير ابن الله، وتعظيمهم لأحبارهم كتعظيم الكفار لأصنامهم[4].

﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يعني: اليهود الذين هذه أوصافهم أقبح مكاناً عند الله ﴿وَأَضَلُّ﴾ عن الطريق[5].

وليس في الإيمان بعيسى ومن قبله شر ولا ضلال، وإنما أتى بلفظ المبالغة[6] على زعمهم، وقيل: معناه: هؤلاء اليهود شر مكاناً، أي: أقبح من أسلافهم وأضل؛ لأنهم بدلوا أكثر منهم وكفروا بمحمد ﷺ[7].

ومن قرأ: ﴿وع·ب·د· الطاغوت·﴾ بضم الباء وخفض الطاغوت فمعناه: وخدم الطاغوت وعبيده، فيكون ﴿عَبُدَ﴾: اسما· أضيف إلى الطاغوت[8].

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾[الآية:61] هم منافقو أهل الكتاب، وهم يدخلون كفاراً ويخرجون كفاراً، لا يكتسبون بسماع القرآن خيرا·[9].

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾[الآية:62] أي: من اليهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾ أي: الكفر ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ مجاوزة

---

1) سقطت من (ك). وقد روى هذا الأثر الطبري في تفسيره 4/632 من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس، وقد مضى الكلام على هذا الإسناد ص (30).

(2) انظر: تفسير الطبري 4/632، والهداية 3/1793، والبحر المحيط 3/528.

(3) انظر: معالم التنزيل 1/692.

(4) انظر: زاد المسير ص395، والتفسير الكبير 12/32.

5) انظر: تفسير الطبري 4/636، والبحر المحيط 3/531، وتفسير المؤلف لـ(شر): بـ(أقبح): فيه غرابة، فليس من المعهود تفسيرها بها، ولم أجد من عبر بهذه اللفظة.

(6) يريد (أفعل) التفضيل.

7) انظر هذين القولين في الهداية 3/1794، وزاد المسير ص 395، والجامع لأحكام القرآن 6/223، وتفسير ابن كثير 2/77.

8) هذه قراءة حمزة، وتوجيهها على نحو ما ذكره المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/124، والبحر المحيط 3/530، والنشر 2/192.

(9) انظر: تفسير الطبري 4/636، ومعالم التنزيل 1/693.

أحكام الله[1](وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ) تمام الكلام[2]، ثم يبتدئ (لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾) وهي لام توكيد، تقديره: لبئس الفعل فعلهم، وكذلك قوله بعدها (لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾)[3].

(لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ)[الآية:63] أي: لم لا ينهاهم العلماء عن الكفر بمحمد، وعن الكذب وأكل الحرام، كما نهاهم الله في التوراة[4].

والوقف أيضاً على (وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ)[5].

و(لَوْلَا) هنا [لا][6] جواب لها؛ لأنها بمعنى لم لا، والضمير في (يَصْنَعُونَ) للعلماء في عدم نهيهم عن المحارم[7].

(وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ [مَغْلُولَةٌ][8]) [الآية:64] أي: نعمة الله مقبوضة، كانوا يقولون ذلك إذا أصابهم ضيق، وهذا مجاز، يقال: فلان مبسوط اليد، أي: كثير العطاء، وفلان مقبوض اليد، أي: بخيل، فأخبر الله تعالى أنهم نسبوه إلى البخل، ورد عليهم فقال: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)[9] أي: [هو][10] كثير العطاء (يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ) أي: يوسع ويضيق لا عن بخل، والعرب تسمي النعمة يداً، فيقولون: لفلان عندي يد، أي: له علي نعمة، فقيل: [معناه][11]: بل نعمتاه الظاهرة والباطنة، وقيل: نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، وتسمي القدرة

---

(1) انظر تفسير الآية بنحو ما ذكره المؤلف في: تفسير الطبري 4/637، والهداية 3/1795.
(2) انظر: منار الهدى ص 254.
3) تظاهرت أقوال المفسرين على أنها لام القسم (والقسم إنما يكون للتأكيد)، والمعنى على نحو ما ذكر المؤلف انظر: تفسير الطبري 4/638، والهداية 3/1797،1796، وتفسير ابن كثير 2/77.
(4) انظر: معالم التنزيل 1/693، وتفسير ابن كثير 2/77.
(5) انظر: منار الهدى ص 254.
(6) سقطت من (ك).
(7) انظر: تفسير الطبري 4/638.
(8) سقطت من (م).
(9) زاد في (ك): (ينفق كيف يشاء)، وسترد هذه الجملة من الآية بعد قليل.
(10) سقطت من (ك).
(11) سقطت من (ك).
(12) في النسختين (بيده الخير)، والآية من سورة آل عمران، ورقمها (26).

أيضاً يداً، ومنه ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[12] و﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[1].

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ أي: وليزيدن القرآن كثيراً من اليهود طغياناً لكفرهم به[2].

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ﴾ أي: بين اليهود والنصارى[3]﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا﴾ هو مجاز، ومعناه: كلما أضمروا شراً ودبروا حيلة أبطلها الله[4].

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بنهيهم الناس عن الإسلام[5].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[الآية: 66] أي: عملوا بما فيهما[6] قبل بعث محمد ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: القرآن فعملوا به بعد بعث محمد وآمنوا به، فمعنى الآية: لو أنهم عملوا بكل كتاب في وقته ولم يبدلوا منه شيئاً لوسعنا عليهم الأرزاق، فأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وهو مجاز، وقيل: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ كثرة المطر ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ طيب النبات[7].

﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي: منهم من آمن بالله ورسله، وآمن بعيسى ومحمد، فسلك قصد [السبيل][8]، والاقتصاد: العدل[9].

وقيل: منهم أمة مقتصدة في عيسى، لم يكذبوا به كاليهود، ولم يتخذوه إلهاً

---

(1) سورة الملك، الآية (1).
قد تظاهرت أقوال المفسرين على أن اليهود قد وصفوا الله عز وجل بأنه بخيل، فرد الله سبحانه عليهم بأنه عطاء، ولم يشذ عن هذا القول إلا قليل، فروي عن الحسن أن مراد اليهود: أن يد الله مقبوضة عن عذابهم فلا يعذبهم.
أما إثبات صفة اليدين لله تعالى فإن أهل السنة مثبتون لما أثبته الله تعالى لنفسه من وصفه باليدين على ما يليق بجلاله سبحانه، وغيرهم أولها صرف اللفظ عن ظاهره كما فعل المؤلف. انظر: تفسير الطبري 4/639-642، الهداية 3/1797-17299، والكشاف 1/641، وزاد المسير ص 395، ومجموع الفتاوى 6/217-224، والبحر المحيط 3/533، وتفسير ابن كثير 2/78.

(2) انظر: البحر المحيط 3/536، وتفسير ابن كثير 2/78.

(3) انظر: تفسير الطبري 4/642.

(4) انظر: تفسير الطبري 4/643، والبحر المحيط3/536، وتفسير ابن كثير 2/78.

5) وقال بعض المفسرين: السعي بالفساد يعم كل عمل بمعصية الله من تكذيب رسله، والكفر بآياته، ومخالفة أمره ونهيه. انظر: تفسير الطبري 4/644، والجامع لأحكام القرآن 6/227، وتفسير ابن كثير 2/79.

(6) في (ك): (بما فيها).

7) في (ك): (طيبات النبات). وهم لو عملوا بما لديهم من كتب من غير تحريف ولا تبديل لقادهم ذلك إلى لإيمان بالنبي كما نبه إليه الزمخشري في الكشاف 1/644، وابن كثير في تفسيره 2/79. وانظر ما ساقه المؤلف في معنى الآية في تفسير الطبري 4/645،644، وزاد المسير ص 396، والجامع لأحكام القرآن 6/227.

(8) سقطت من (م).

(9) في (م): (والعدل).

كالنصارى، بل قالوا: إنه عبد الله ورسوله[1].

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم كفارهم[2]﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ صدق الله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾[الآية:67]هو أمر بالجد، وكان قبل ذلك يؤمر بالرفق[3].

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾أي: [إن][4] لم تبلغ جميع القرآن فما بلغت الرسالة[5]، ولا تخف فإن الله يعصمك[6]، أي: يمنعك ويحميك، فلا يقدر أحد أن يؤذيك[7]، وكان قبل ذلك يحرسه الصحابة بالليل، فلما نزلت قال:«لا تحرسوني؛ فإن ربي قد عصمني»، واستلقى، وقال:«من شاء فليخذلني»، فسكن إلى وعد الله[8].

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾[9][الآية:69] رفع الصابئين هنا مشكل، وهو الحرف الثالث من الحروف الأربعة التي استشكلها عثمان وعائشة[10]، وأحسن ما قيل فيه: ما قاله الخليل[11] وسيبويه[12]: أنه معطوف على موضع إن واسمها، فإنها في موضع رفع

---

1) هذا القولان اللذان ذكرهما المؤلف هما في تعيين هذه الأمة المقتصدة: أهم من آمن بعيسى عليه السلام من هل الكتاب ولم يغل فيه ولم يجفه، أم هم من آمن منهم بنبينا ؟. انظر: تفسير الطبري 4/645، المحرر الوجيز 2/217، وزاد المسير ص 397.

(2) انظر: تفسير الطبري 4/646،645.

3) يظهر من كلام المؤلف أنه يرى أن سياق الآية في الفترة المكية من النبوة، وأن النبي كان يرفق بالناس في أول الإسلام وابتدائه، فأمر بالاجتهاد في التبليغ. وهذا القول -كما قررته- ظاهر عند مكي في الهداية 3/1805 ، والرازي في التفسير الكبير 12/41، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن 6/228.

لكن هذه الآية ليست مكية، بل ولا في أوائل العهد المدني، بل هي في أواخره، وهذا يبعد القول الذي قال به مؤلف، والذي يظهر رجحانه أن المقصود بالآية: أمر النبي بتبليغ جميع ما أنزل إليه، والمضي فيه قدماً لا خشى أحداً، ولا يحذر أن يصاب بمكروه، فإن الله عاصمه وواقيه، وقد رجح الطبري أن الآية تأكيد لأمر النبي بتبليغ هذه السورة وما ماثلها من القرآن، مما اشتمل على معايب المشركين وأهل الكتاب، غير ملتفت إلى قوتهم عديدهم ومكايدهم، فإن الله عاصمه منهم. انظر: تفسير الطبري 4/646، والكشاف 1/645، والمحرر الوجيز 2/217، والجامع لأحكام القرآن 6/228، وتفسير ابن كثير 2/81،80.

(4) سقطت من (ك).

(5) وذلك أن ترك تبليغ شيء منه -ولو قل- أمر عظيم فيما رتب عليه من الذنب، وذلك بمثابة تركه كله. انظر : تفسير الطبري 4/647،646، والكشاف 1/645، والتسهيل 1/244.

(6) زاد في (ك): (من الناس).

(7) انظر: تفسير ابن كثير 2/81.

8) روى الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (3046) ص 682 عن عائشة رضي لله عنها قالت: كان النبي يحرس حتى نزلت هذه الآية (وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ) فأخرج رسول الله رأسه من القبة فقال لهم:«يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله»، وقد حسنه الألباني في تعليقه عليه.

أما قول المؤلف: (واستلقى، وقال: «من شاء فليخذلني») فقد رواه الطبري في تفسيره 4/648 عن ابن جريج مرسلاً.

(9) في (ك): (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون).

بالابتداء، فتقديره: الذين آمنوا[13].

﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ أي: كذبوا الرسل ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝٧٠﴾ الرسل، وهذا من فعل اليهود خاصة[14].

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[الآية:71]أي: ظنوا أن الله لا يفتنهم ولا يعاقبهم بما فعلوا.

---

10) أما ما روي عن عائشة رضي الله عنها فقد أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن 2/24 بسنده إلى عروة بن الزبير قال: سألت عائشة عن لحن القرآن: عن قوله ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾، وعن قوله ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وعن قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ فقالت: « يا ابن أختي، هذا عمل الك·ت··اب أخطئوا ي الك·ت·اب»، وأخرجه كذلك بنحوه سعيد بن منصور في سننه (769) 4/1507، ورواه الفراء في معاني القرآن 1/10، والطبري في تفسيره 4/364، جميعهم من طريق أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه، قال السيوطي ي الإتقان1/496: «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين»، وقد نوزع في تصحيح هذا الأثر فإن في رواية أبي عاوية عن هشام اضطراباً كما في تهذيب التهذيب 9/139، وقد اختلف العلماء في توجيه قول عائشة هذا -بعد تفاقهم على أن القرآن لا لحن فيه، وأنه ما من كلمة فيه إلا ولها وجه نحوي صحيح من كلام العرب- فقيل: إن هذا أي لعائشة رضي الله عنها، وقيل: إنما أرادت أن الكُتَّاب قد أخطئوا في اختيار الأولى، لا أنه لحن لا يجوز في اللغة، وقيل غير ذلك. انظر: تأويل مشكل القرآن ص104-106، وتفسير الطبري 4/365، والإتقان 1/496-500 ، روح المعاني 1/32. وانظر: تعليق محقق الإتقان (طبعة المجمع) 4/1237،1236، وتعليق محقق سنن سعيد بن منصور 4/1510-1514.

أما أثر عثمان رضي الله عنه فقد رواه أبو عبيد في فضائل القرآن 2/166 بسنده عن عكرمة، قال: لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان، فوجد فيها حروفا من اللحن، فقال: «لا تغيروها فإن العرب ستغيرها، أو قال: ستعربها بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف، والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف»، قال السيوطي في الإتقان 2/497 «فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع».

قد ذكر المؤلف أن هذا الموضع هو الثالث من أربعة حروف، وأثر عثمان لم يأت فيه تعيين أي حرف، وأثر عائشة إنما فيه ثلاثة حروف: آية سورة النساء ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ (162)، وآية سورة المائدة ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ (69) ، آية سورة طه ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ (63). وإنما الآية الرابعة التي أشار إليها المؤلف ألحقت بهذه الحروف شبهها بها، وهي قوله تعالى في سورة البقرة (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) (177). انظر: تأويل مشكل القرآن ص105.

(11) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، أبو عبد الرحمن، أحد أعلم العربية، ومنشئ علم العروض ، صاحب كتاب العين، صدوق عالم عابد، ولد سنة 100هـ، وتوفي بعد 160هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 7/429 ، وتقريب التهذيب (1760) ص 301، وبغية الوعاة1/557.

(12) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ثم البصري، الملقب بسيبويه، ومعناه: رائحة التفاح، قيل: لقب بذلك لطافته، وقيل غير ذلك، إمام النحو، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، عاش 32 سنة، وقيل: بلغ الأربعين، ومات سنة 180هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 8/352، وبغية الوعاة 2/229.

13) اختلف العلماء في توجيه رفع ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ مع أنها منسوقة ضمن المنصوبات، فقيل: هي مرفوعة على أنها مبتدأ، والنية فيه التأخير، ويغني في الإخبار عنه خبر (إن) المَنْويّ تقديمه، كأن السياق: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم، والصابئون كذلك.

وقيل: بل هي معطوفة على موضع اسم إن، لأنه -قبل دخول إن- مرفوع بالابتداء، وهذا هو القول -الذي ذكره المؤلف ونسبه إلى الخليل وسيبويه تبعاً لمكي في الهداية 3/1808- إنما هو قول الكسائي والفراء؛ والذي قاله الخليل وسيبويه هو ما سقته أولاً. انظر: الكتاب 2/155، والكشاف 1/647، والجامع لأحكام القرآن 6/232، والبحر المحيط 3/541، والدر المصون 4/353-362.

14) يعني أن التكذيب اشتركت فيه اليهود والنصارى، وأما القتل فاختصت به اليهود. انظر: تفسير الطبري 4/650، والهداية 3/1810.

و[قيل][1]: قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وظنوا أنه لا يمتحنهم[2].

﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ لما كفروا بعيسى لم ينتفعوا بما رأوا من معجزاته ولا بما سمعوا منه، فكأنهم عمي صم[3].

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على من آمن منهم، وقيل: معنى تاب عليهم: أي: عرض عليهم التوبة والإيمان بالقرآن على لسان محمد[4].

﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من المضمر في ﴿عَمُوا۟﴾ وقيل: تأكيد، وقيل: هو على لغة من يجمع فْعْلْ الجماعة إذا تقدم، فيقول: أكرموني القوم[5].

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[الآية:73] رد على النصارى.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾[الآية:75] أي: [قد][6] مضت رسل من قبله، فما هو بأول الرسل، فلم تعجبتم منه وتغاليتم فيه وقلتم هو إله؟[7].

وسمي عيسى مسيحاً لأنه كان يمسح بيده على ذوي العاهات فيعافيهم الله ويشفيهم ببركاته[8]، وقيل: لأنه كان يمسح الأرض، أي: يسيح فيها، وقيل: لأنه أمسح الرجل، فـلا[9] أَخْمَصْ له[10].

---

(1) سقطت من (ك).

(2) ما ساقه المؤلف ثانياً داخل في القول الأول، فإن زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه هو من جملة ما فعلوه. انظر: تفسير الطبري 4/651، والهداية 3/1811،1810، والجامع لأحكام القرآن 6/233.

(3) انظر: تفسير الطبري 4/651، والهداية 3/1812، وتفسير ابن كثير 2/83.

(4) انظر: تفسير الطبري 4/651، وزاد المسير ص 399، والجامع لأحكام القرآن 6/233.

5) فالواو في (أكرموني) ليست فاعلاً بل هي علامة الجمع على هذه اللغة، وهي لغة قليلة لا ينبغي حمل القرآن عليها. وانظر ما ساقه المؤلف من أقوال في: الهداية 3/1811، والكشاف 1/650، والبحر المحيط 3/543، والدر المصون 4/370-372.

(6) سقطت من (م).

(7) انظر: الهداية 3/1815، وتفسير ابن كثير 2/84.

8) جعل الله عز وجل من آيات عيسى عليه السلام أنه يبرئ الأكمه والأبرص، وهذا الأمر وإن كان معجزة دالة على صدقه، وحجة على أن الله تعالى هو الذي أرسله إلا أنه بركة من الله وضعها في نبي من أنبيائه.

(9) في (ك): (لا)، دون فاء.

(10) الأَخْمَص: هو الجزء من القدم الذي لا يلتصق بالأرض عند الوطء عليها. انظر: لسان العرب (خ م ص) 4/219. وانظر ما حكاه المؤلف من أقوال في سبب تسمية عيسى بالمسيح في المفردات للراغب ص767، والجامع لأحكام القرآن 4/89، والبحر المحيط 2/481،480، وتفسير ابن كثير 1/372، وروح المعاني 2/154.

(وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ) أي: صالحة كثيرة الصدق[1].

(كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ) كسائر الناس، ومن يأكل كيف يكون إلهاً؟، وقيل: هو كناية عن خروج الحدث[2].

(ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ) في دعواهم في عيسى[3] (ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾) أي: كيف يقلبون عن الحق؟، يقال: أفكته، أي: قلبته، ومنه سمي الكذب إفكاً، لأنه قلب وتغيير للحق، ومنه (المؤتفكات) قريات لوط التي قلبت[4].

(قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)[الآية:76] خطاب للنصارى[5]، وكذلك قوله (لَا تَغْلُوا)[الآية:77] أي: لا تتغالوا فتقولوا: عيسى إله[6](وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ) وهم أسلافهم الذين اقتدوا بهم في الكفر، وقيل: هم اليهود، ضلوا من قبل النصارى[7].

(وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا) ممن اتبعهم، وقيل: وأضلوا المنافقين[8].

(وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾) تكرار للتأكيد[9]، ويجوز أن يكون معناه ضلوا من قبل، وضلوا الآن[10].

(لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ)[الآية:78] في الزبور، وعلى لسان عيسى في الإنجيل[11].

---

(1) أو من التصديق فهي مؤمنة بآيات الله مصدقة بها. انظر: تفسير الطبري 4/654، ومعالم التنزيل 1/699، وتفسير ابن كثير 2/84.
(2) انظر هذين القولين في تفسير الطبري 4/654، ومعالم التنزيل 1/699، والجامع لأحكام القرآن 6/235.
(3) انظر: تفسير الطبري 4/654.
(4) انظر: تفسير الطبري 4/654، ومفردات ألفاظ القرآن ص 79.
(5) انظر: البحر المحيط 3/546.
6) الخطاب فيها للنصارى، وقيل: لهم ولليهود، ومعنى ﴿لَا تَغْلُوا﴾ هو كما قال المؤلف. انظر: تفسير الطبري 4/655، والهداية 3/1817، والبحر المحيط 3/546.
(7) انظر القولين في تفسير الطبري 4/655، والتسهيل 1/246، والبحر المحيط 3/547.
(8) انظر القولين في الهداية 3/1819،1818، والبحر المحيط 3/547.
(9) في (م): (تكرار التأكيد).
(10) انظر: الكشاف 1/652، والمحرر الوجيز 2/223، والجامع لأحكام القرآن6/236، والبحر المحيط 3/547.
(11) انظر: تفسير الطبري 4/656، وتفسير ابن كثير 2/85.

وقيل: اللعن هنا: المسخ قردة على زمن داود بصيدهم السبت، وخنازير في زمن عيسى[1]؛ قيل: هم أصحاب المائدة -وسيأتي ذكرهم[2]- وقيل: حبسوا صبيانهم عن عيسى وهو صبي، فجاء فوجدهم في بيت، فقال: ما في هذا البيت؟ قالوا: خنازير، فقال: اللهم اجعلهم خنازير، فمسخوا خنازير[3].

فمعنى على لسان داود وعيسى أي: بدعائهما -على هذا القول-، والأول أظهر.

(ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ) أي: لعناهم لأنهم عصوا واعتدوا ولم يتناهوا عن المنكر: أي: لم ينه بعضهم بعضاً[4].

(تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ)[الآية:80] أي: من اليهود (يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) أي: يوالون المشركين، وقيل: هم المنافقون، والصحيح أن معناه: ترى كثيراً من اليهود -وهم المنافقون منهم- [يتولون اليهود الذين][5] يظهرون الكفر[6].

(لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ) أي: لبئس ما كسبوا، وهو سخط الله عليهم وخلودهم[7] في العذاب[8].

1) وإيضاح هذا القول أن أهل القرية التي كانت حاضرة البحر لما عدوا يوم سبتهم دعا عليهم داود عليه السلام، فأصبحوا قردة، ولما كفر النصارى بالمائدة دعا عليهم عيسى عليه السلام، فأصبحوا خنازير، ونسبه أبو حيان لأكثر المفسرين. انظر: الهداية 3/1819، والبحر المحيط 3/548، 547. غير أن الجزم بأن القرية التي كانت حاضرة البحر في زمن داود عليه السلام يفتقر إلى الدليل.

2) انظر هذا القول في: معالم التنزيل 1/700، والبحر المحيط 3/547. وسيأتي ذكر أصحاب المائدة في نهاية السورة.

3) لم أجده محكياً عن عيسى ، بل عن داود عليهما السلام، وليس فيه أنه كان صبياً، وقد رواه الطبري في تفسيره 4/657، 656 بسنده عن ابن جريج قال: وقال آخرون:... مر داود على نفر منهم وهم في بيت، فقال: من في البيت؟ قالوا خنازير، فقال: اللهم اجعلهم خنازير. وأورده مكي في الهداية 3/1821، وأبو حيان في البحر المحيط 3/547.

4) انظر: تفسير الطبري 658، والبحر المحيط 3/548، وتنبيه المؤلف على أن سبب لعنهم هو كونُهم لم يكونوا يتناهون عن منكر فعلوه أمر يشكر له، وقد نص عليه أبو حيان، وقل من ذكره من المفسرين.

(5) ساقط من (ك).

(6) ذكر المؤلف هنا قولين: أحدهما: أن المراد أن اليهود يتولون المشركين، وعلى هذا القول غالب المفسرين ، والقول الثاني: أن المراد أن المنافقين يتولون اليهود، ثم صحح المؤلف هذا القول، ووجهه، وأوضحه بأن المراد بالمنافقين هم منافقو اليهود، أي: من دخل منهم الإسلام نفاقاً، يتولون سادتهم من اليهود الذين ما زالوا يظهرون الكفر. انظر: تفسير الطبري 4/660، 659، ومعالم التنزيل 1/701، والمحرر الوجيز 2/225، 224، وزاد المسير ص 401، والجامع لأحكام القرآن 6/238، والبحر المحيط 3/549.

(7) في (ك): (وتخليدهم).

(8) انظر: تفسير الطبري 4/659.

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ ﴾[الآية:81] يعني المنافقين، لو كانوا مؤمنين[1] -كما يزعمون- ما اتخذوا اليهود أولياء[2] ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ أي: كافرون[3].

[قوله تعالى][4]: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ﴾[الآية:82] أي: لتجدن اليهود والمشركين أشد الناس عداوة للمؤمنين[5]، و﴿أَقْرَبَهُم ﴾ أي: أقرب الناس مودة للمؤمنين النصارى[6]،كان المشركون[7] يعادون من آمن بمكة، واليهود يعادون من آمن بالمدينة.

قال ابن عباس: بعث النبي ﷺ وهو بمكة جماعة من أصحابه إلى الحبشة حين[8] ضاق عليهم الأمر: منهم ابن مسعود، وجعفر بن أبي طالب، فعلم بذلك المشركون، فبعثوا رسلاً سبقوهم إلى النجاشي ملك الحبشة، وقالوا له: إن رجلاً خرج فينا سف··ه عقول قريش، وقد بعث إليك رهطاً ليفسدوا عليك قومك، وأتوا إليه بهدايا من عند رؤساء مكة، وطلبوا أن يسلم إليهم المسلمين ليرجعوا بهم إلى مكة، فلما جاء المسلمون وقفوا على باب النجاشي، وقالوا: استأذنوا الملك لأولياء الله، فقال النجاشي: مرحباً بأولياء الله، فأذن لهم، فدخلوا، فقال [لهم][9]: ما هذا الدين الذي دخلتم فيه؟ فقام إليه جعفر بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما كان عليه الجاهلية من الكفر والقبائح، وأن الله أرسل إليهم رسولاً صفته كذا[10]، وأخذ يذكر محاسن الرسول وما جاء به من الخير ومكارم الأخلاق، فأعجب النجاشي ذلك، وقال: ماذا يقول محمد في عيسى؟ فقال جعفر: أنا أحفظ شيئا مما نزل في عيسى، ثم قرأ ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾[11] إلى آخر قصة عيسى، وعند النجاشي جماعة من خواصه ومن القسيسين والرهبان، فلما

---

(1) في (ك): (يؤمنون).
(2) هذا بناء على ما اختاره المؤلف في الآية السابقة.
(3) انظر: تفسير ابن كثير 2/88، وتفسير أبي السعود 3/70.
(4) سقطت من (ك).
(5) انظر: تفسير الطبري 5/3.
(6) انظر: تفسير الطبري 5/3.
(7) في (ك): (النصارى).
(8) في (ك): (حتى).
(9) سقطت من (ك).
(10) في (ك): (صفته كيت وكيت).
(11) سورة مريم، الآية (1).

سمعوا ما أنزل إلى الرسول بكوا كلهم، وعرفوا الحق، وآمنوا بمحمد، وقالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الآية، وقال النجاشي: والله ما زاد عيسى عما قال صاحبكم، وآمن، ورد[1] رسل قريش وهداياهم، وقال: والله ما أخذ الله الرشوة مني [حين رد][2] علي ملكي فـآخذ الرشوة فيه. ففي هذه القصة نزلت هذه الآيات[3].

وروي أن النجاشي أرسل سبعة من القسيسين، وخمسة من الرهبان، وجماعة من قومه بهدايا إلى رسول الله ﷺ، وبعث معهم هؤلاء الجماعة المسلمين الذين كانوا عنده، فوصلوا إلى المدينة وقت رجوع النبي ﷺ من فتح خيبر، فلما حضروا وسمعوا القرآن بكوا، وقالوا ما حكاه الله عنهم، فنـزلت فيهم هذه الآيات[4]، وفيهم نزل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ الآيات[5].

وقول النجاشي «ما أخذ الله الرشوة مني» هو أن قومه كانوا قد اتفقوا عليه وخلعوه من ملك أبيه، وملكوا عمه، فوقعت على عمه صاعقة فمات، وردوا[6] هذا إلى

---

(1) في (ك): (وأمر برد).

(2) ساقط من (ك).

3) رواه بنحوه الطبري في تفسيره 5/4 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وليس فيه ذكر قراءته لأول سورة مريم، ولا قول النجاشي «والله ما أخذ الله الرشوة مني...»، ورواه الإمام أحمد بنحوه في مسنده 1740) ص 159 عن أمّ سلمة، وفيه القراءة وقول النجاشي. أما إسناد الطبري فقد مضى بيان قوته ص(33)، وأما رواية الإمام أحمد فقال عنها الهيثمي في مجمع الزوائد 6/27:«رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع».

(4) هذه الرواية ملفقة من روايتين: **إحداهما:** عن السدي مرسلة، وفيها: أن النجاشي أرسل سبعة قسيسين، وخمسة رهباناً، ينظرون إليه ويسألونه فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل الله بكوا وآمنوا فأنزل الله فيهم هذه الآيات، آمنوافرجعوا إلى النجاشي فهاجر النجاشي معهم فمات في الطريق...، وقد رواها الطبري في تفسيره 5/4، وقال بن كثير في تفسيره 2/88: «وهذا من أفراد السدي، فإن النجاشي مات وهو ملك الحبشة، وصلى عليه النبي يوم مات، وأخبر به أصحابه، وأخبر أنه مات بأرض الحبشة».

الأخرى: عن مجاهد قال: هم الوفد الذين جاؤوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة. رواه الطبري في تفسيره 5/4، 3 من طريق عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهو طريق صحيح. انظر: العجاب 1/204، والتفسير الصحيح 1/56، 55.

وبهذين الأثرين تتم الرواية التي أوردها المؤلف إلا ما ذكره من كونهم وافوا رسول الله مرجعه من خيبر، ذلك ثابت في الصحيحين، انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (4230) 7/605، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (2502) 6/52.

5) الآيات (52) وما بعدها من سورة القصص. والأثر قد رواه الطبري في تفسيره 5/6 عن سعيد بن جبير مرسلاً.

(6) في (ك): (ورد).

مملكته[1].

والقسيس: العالم، من قولك: تقسست الخبر، أي: بينته[2]، والراهب: العابد، من الرهبة، وهي الخوف[3].

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[الآية:87]نزلت في الذين أرادوا أن يترهبوا: عثمان بن مظعون وأصحابه: أرادوا أن يجبوا مذاكيرهم فلا يأتوا النساء[4]، ولا يفطروا نهاراً، ولا يناموا ليلاً، وحديثهم مذكور في الصحاح[5].

وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ أي: لا تحرموا الطيبات، وقيل: معناه: لا تتعدوا ما أحل لكم، فمعناه: لا تحرموا حلالاً، ولا تقربوا حراما.[6].

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾[7][الآية:89] هو اليمين من غير قصد ﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾ أي: ما حلفتم وأنتم معتقدوه بقلوبكم.

وقيل: اللغو: ما تحلف به على شيء تظنه ثم يتبين خلافه، واليمين المنعقدة: أن تحلف على شيء مستقبل أنك تفعله أو تتركه[8].

﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾ أي: كفارة المنعقدة[9] ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ من أوسط عيشك، أو كسوة عشرة، أو عتق رقبة[10]، هذا على التخيير[11].

---

1) هذه قصة مبسوطة روتها عائشة لعروة بن الزبير، وقد رواها ابن إسحاق في السيرة 4/197-199 عن الزهري عن عروة، وقد اختصرها المؤلف رحمه الله تعالى.

(2) كذا في النسختين، ولعل صوابها: تتبعته. وانظر معنى القسيس واشتقاقه في معجم مقاييس اللغة (قس) 5/9 ، والمفردات للراغب ص670، والبحر المحيط 4/4، والقاموس المحيط (ق س س) ص566،565.

(3) انظر: زاد المسير ص 402، والبحر المحيط 4/7، والقاموس المحيط (ر هـ ب) ص92.

(4) زاد في (ك): (ولا ينظروا إليها).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (5063) 9/131، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح (1401) 3/525 دون تسميتهم ودون النص على نزول الآية فيهم، وقد جاءت تسميتُهم -على ما فيها من خلاف- وذكرُ نزول الآية فيهم في آثار كثيرة عن السلف: ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وأبي قلابة وأبي مالك وغيرهم. انظر: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (3054) ص684، وتفسير الطبري 5/9-13، والتسهيل 1/110، وتفسير ابن كثير 2/91،90، وفتح الباري 9/132.

(6) انظر القولين في تفسير الطبري 5/13، وزاد المسير ص 403.

(7) زاد في (ك): (في أيمانكم).

(8) انظر: تفسير الطبري 2/416-429، وزاد المسير ص 403،134، والجامع لأحكام القرآن 6/248-250.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/15، ومعالم التنزيل 1/707.

(10) في (ك): (أو تحرير رقبة).

(11) انظر: الكشاف 1/659، والجامع لأحكام القرآن 6/258-262.

(فَمَن لَّمْ يَجِدْ) شيئاً من الثلاث المذكورة فكفارته صيام ثلاثة أيام.

(وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ) أي: عن الحنث[1].

(إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ)[الآية:90] تقديره: ليس[2] الطيبات ، إنما الخمر...[3]، وهو كل مسكر[4] (وَٱلْمَيْسِرُ) القمار، لخروجه بيسر[5] (وَٱلْأَنصَابُ) الأصنام، جمع نُصُب[6] (وَٱلْأَزْلَٰمُ) قد تقدم[7]، (رِجْسٌ) أي: خبيث حرام، وأصل الرجس النتن[8] (مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ) أي: من العمل الذي يرضي الشيطان. [ويوسوس][9] به[10] (فَٱجْتَنِبُوهُ) أي: اجتنبوا[11] هذا الرجس المذكور، وهو الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، قرن الله في هذه الآية الخمر والقمار مع عبادة الأصنام[12].

(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ)[الآية:91] لأن الخمر مذهب للعقل، فيقع الشتم بين السكارى، وربما أدى إلى القتل، فتقع العداوة، والقمار: يقامر الإنسان على ماله فيصير إلى غيره فيعاديه[13].

قال ابن عباس: تقاتل حيان من أحياء العرب وهم سكارى، فوقع بينهم جراح،

---

(1) وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 5/32، ومعالم التنزيل 1/709.

(2) كذا في النسختين، وهو جائز لغة. انظر: شرح ابن عقيل على الألفية 1/438، 437.

3) هنا كلام مقدر، ومراد المؤلف أن هذه الآية متعلقة بما قبلها من الآيات، إذ نهى الله تبارك وتعالى أولئك الذين هموا أن يحرموا بعض الطيبات عما هموا به، وبين لهم أنها حلال، ونهاهم عن تحريم ما أحله الله، ثم أرشدهم الله تعالى إلى كفارة أيمانهم، ثم عطف الكلام على ما سبق مبيناً ما المحرم؟ وأنه ليس ما امتنعتم عنه من الطيبات بل هو الخمر والميسر والأنصاب والأزلام. انظر: تفسير الطبري 5/33، والهداية 3/1860.

(4) انظر: التسهيل 1/108.

5) انظر: معجم مقاييس اللغة 6/156، 155، والكشاف 1/258. وأكثر المفسرين واللغويين على أنهم كانوا تقامرون، فإذا نال أحدهم شيئاً من صاحبه قال: يَسَرَ لي، بمعنى وجب لي، فمن هنا سمي الميسر. انظر: تفسير الطبري 2/369، والجامع لأحكام القرآن 3/52، ولسان العرب (ي س ر) 15/448.

(6) سبق بيان المراد بالنصب ص(9).

(7) في تفسير الآية (3) من سورة المائدة.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/33، ومعالم التنزيل 1/709، والقاموس المحيط (ر ج س) ص548.

(9) سقطت من (ك).

(10) انظر: تفسير الطبري 5/33، والهداية 3/1860.

(11) في (ك): (فاجتنبوا).

(12) في (ك): (الأوثان). وانظر: البحر المحيط 4/16.

(13) انظر: معالم التنزيل 1/710، والبحر المحيط 4/17.

(14) في (ك): (أثارت).

فثارت[14] بينهم العداوة، وكانوا قبل ذلك إخوة، فنزلت الآية[1].

وكان عمر رضي الله عنه كلما نزل في الخمر شيء[2] قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً [شافياً][3]، حتى نزلت هاتان الآيتان، فقال عمر: انتهينا انتهينا[4].

ثم أخبر الله تعالى أن ما مضى من شرب الخمر والقمار[5] قبل نزول الآية معفو عنه، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾[الآية:93]أي: ما أكلوا فيما مضى ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾فتجنبوا الحرام من الآن[6].

ويقال: إنها بقية قصة عثمان بن مظعون وأصحابه حيث أرادوا أن يحرموا الطيبات، فمعناه ليس على المؤمن إثم فيما أكل من المباحات إذا اتقى الله[7].

وقوله ﴿ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ أي: اتقوا الشرك وآمنوا بالله، ثم اتقوا الكبائر وآمنوا: أدوا الفرائض، فإنها من كمال الإيمان، ثم اتقوا الصغائر وأحسنوا: تقربوا بالنوافل[8].

وقيل: اتقوا الشرك ثم اتقوا البدع ثم اتقوا المعاصي[9].

[قوله تعالى][10] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾[الآية:94] أي: ليختبرنكم[11] بتحريم الصيد في الإحرام، وتقديره بتحريم شيء من الصيد الذي[12] ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ

---

1) رواه الطبري في تفسيره 5/35، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 7/18: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(2) في (ك): (كلما نزلت في شيء).

(3) سقطت من (ك).

(4) رواه بنحوه أبو داود في سننه كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر (3670) ص555، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (3049) ص 683، والنسائي في سننه كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر (5540) ص835،834. وقد صححه من المتقدمين علي بن المديني كما في تفسير ابن كثير 2/96، وصححه من المتأخرين الألباني في تعليقه على السنن. انظر العزو السابق إليها.

(5) في (ك): (وقمار).

(6) انظر: تفسير الطبري 5/37، ومعالم التنزيل 1/711.

(7) انظر: روح المعاني 4/17.

(8) انظر: الهداية 3/1868، والجامع لأحكام القرآن 6/276.

(9) لم أقف عليه.

(10) سقطت من (ك).

(11) انظر: تفسير الطبري 5/40.

(12) لم أقف على من قدر هذا التقدير.

مَن يَخَافُهُ بِٱلْغَيْبِ) إذا غاب عن أعين الناس[1](فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ) أي: تعلى فاصطاد بعد ذلك، أي: بعد التحريم[2].

(لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ)[الآية:95]أي: محرمون بحج أو عمرة[3]، فمن (قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ) أي: فعليه جزاء مثل ما قتل[4]، أي: يهدي إلى مكة من النعم -أي: من بهيمة الأنعام- مثل ما قتل: إن قتل نعامة فعليه بدنة، وإن قتل ظبيا· فعليه شاة، لأنها قدر ما قتل وشبهه[5].

(يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ)[6] يقولان له: الصيد الذي قتلته يماثله[7] بقرة، أو شاة، فيهدي ما قالا[8].

(هَدْيًۢا)نصب على البيان[9](بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ)أي: يهديه إلى مكة[10].

(أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ) ي·ق·و··م· الذي عليه بطعام، فيطع·م كل مسكين مداً (أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا)يصوم يوما· بدل كل مد[11].

(لِّيَذُوقَ وَبَالَ)[12] أي: عقوبة الأمر الذي أتاه، وهو قتل الصيد في الحرم[13].

(أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ)[الآية:96]ولو كنتم محرمين[14].

(وَطَعَامُهُۥ)ما قذفه البحر ميتاً، وقيل: طعامه: أي[15] أكله، ومعناه أحل لكم اصطياده

---

1) وقيل: وهو لا يرى الله تعالى في هذه الدنيا. انظر: تفسير الطبري 5/41، ومعالم التنزيل 1/712، والبحر المحيط 4/20.
(2) انظر: الهداية 3/1870، ومعالم التنزيل 1/712.
(3) انظر: تفسير الطبري 5/41.
(4) انظر: الكشاف 1/664، والبحر المحيط 4/22.
(5) انظر: تفسير الطبري 5/45، وتفسير ابن كثير 2/102.
(6) زاد في (ك): (منكم).
(7) غير واضحة في (م).
(8) انظر: تفسير الطبري 5/49،48، ومعالم التنزيل 1/713.
(9) أو على الحالية. انظر: المحرر الوجيز 2/239، والبحر المحيط 4/23.
(10) انظر: الكشاف 1/665، والجامع لأحكام القرآن 6/293.
(11) انظر: تفسير الطبري 5/57، ومعالم التنزيل 1/713، والجامع لأحكام القرآن 6/292-294.
(12) زاد في (ك): (أمره).
(13) انظر: تفسير الطبري 5/59، وتفسير ابن كثير 2/104.
(14) انظر: تفسير الطبري 5/66.
(15) في (م): (الذي) مكان (أي).

وأكله[1].

﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾ أي: المسافرين[2]، و﴿مَتَٰعٗا﴾ مصدر، أي: م·ت··عت·م به متاعاً ومنفعة[3].

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾[الآية:97] أي: العظيم[4] الحرمة، الذي يحرم الصيد فيه، ومن دخله كان حرماً له[5].

﴿قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ أي: قواما· لدينهم، يأتون البيت فيصلون إليه، ويقصدونه لغفران ذنوبهم[6].

وقيل: قياماً لأرزاقهم[7]، فببركات الحج ترزق جميع الخلق، فلو تركوا الحج كلهم ما أمطروا[8].

وقيل: كانت العرب في الجاهلية لهم ملوك يحتمون بهم[9]، وأهل [مكة][10] يحتمون بحرمة البيت فكان قياما· لهم[11]، وهذا المعنى في سورة لإيلاف قريش[12].

وقيل: قياما· أي: أمنا· يكون سبباً لقيام أمورهم، فمن قصده كان آمنا·، ومن دخله

(1) والقول الأول هو الأشهر. انظر: تفسير الطبري 5/70،69، والهداية 3/1880، والكشاف 1/666.
(2) جمع سيّار. انظر: تفسير الطبري 5/70، والمحرر الوجيز 2/241.
(3) انظر: المحرر الوجيز 2/241، والبحر المحيط 4/26.
(4) غير واضحة في (ك).
(5) انظر: تفسير الطبري 5/78.
(6) انظر: الهداية 3/1884، والتفسير الكبير 12/83.
(7) انظر: التفسير الكبير 12/83، والبحر المحيط 4/28.
8) روى عبد الرزاق في مصنفه 5/13 عن الثوري وسفيان بن عيينة، عن سالم بن أبي حفصة، عن ابن عباس ال: لو ترك الناس زيارة هذا البيت عاماً واحداً ما مطروا. وسالم بن أبي حفصة صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غال. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل 4/180، وتقريب التهذيب (359).
(9) في (م): (يجتمعون بهم)، وقوله: «كانت العرب...»، كذا في النسختين، والذي في تفسير الطبري 5/79 ، الهداية 3/1883: كان الناس كلهم فيهم ملوك يدفع بعضهم عن بعض، ولم يكن في العرب ملوك يدفع بعضهم عن بعض.
(10) زيادة لا يتم المعنى دونها.
(11) انظر: تفسير الطبري 5/79، والهداية 3/1884، وزاد المسير ص 410، والجامع لأحكام القرآن 6/302.
12) قال تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾ الآيتان الثالثة الرابعة من سورة قريش. والمعنى أن الله تعالى امتن على قريش بأن جعل لهم حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم. انظر: تفسير الطبري 12/704،703.
(13) في (ك): (ورجع).

أو رجع[13] منه كان آمناً، فهو كقوله: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾[الآية][1].

وقيل: هي منسوخة بقوله ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[2].

﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ كل ذلك قياماً للناس في دينهم، وأمناً لهم[3] في أسفارهم، على الخلاف المذكور[4].

﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كما علم مصالحكم فجعل [لكم][5] البيت قياماً، فكنتم تحفظون[6] به في الجاهلية، وترزقون ببركاته اليوم[7].

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾[الآية:99] فأما علم أسراركم في الإيمان والكفر فراجع إلى الله.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾[8] قيل: هو خطاب للمنافقين[9].

[﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾[الآية:100] أي: لا يستوي الكفار والمؤمنون ولو أعجبكم كثرة الكافرين[10].

وقوله][11] ﴿أَعْجَبَكَ﴾ خطاب للرسول [ﷺ]، والمراد به الناس[12].

﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾[الآية:101] أي: تبين لكم[13] ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ أي: تحزنكم[14].

---

1) سقطت من (ك)، وهي الآية الثاني من سورة المائدة، وهذا القول لم يظهر لي فرق بينه وبين القول الذي سبقه. انظر توثيق القول السابق.

(2) سورة التوبة، الآية (5)، ولم أجد من قال بنسخ هذه الآية بآية السيف.

(3) في (م): (أو أمثالهم).

(4) انظر: تفسير الطبري 5/78.

(5) سقطت من (ك).

(6) في (م): (محفوظون).

7) هنا كلام محذوف، تقديره: كما علم مصالحكم فهيأ لكم ما وصف في الآية فاعلموا أن ذلك إنما هو لأن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض. انظر: تفسير الطبري 5/80، ومعالم التنزيل 1/719.

(8) لم يكتب لفظ الجلالة في (م).

(9) انظر: الهداية 3/1886.

(10) وقيل: المراد الحلال والحرام، أمر الله عباده أن يقنعوا بالحلال ويكتفوا به. انظر: تفسير الطبري 5/81،80، وزاد المسير ص 411، وتفسير ابن كثير 2/108،107.

(11) ما بين الحاصرتين تكرر في (م).

(12) هذا على أنه ليس من جملة المأمور بقوله بالفعل (قُلْ)، وقيل: هو من جملة المأمور بقوله، فيكون المراد: ولو أعجبك أيها السامع. انظر: تفسير الطبري 5/81، والبحر المحيط 4/31، وتفسير ابن كثير 2/108.

(13) انظر: زاد المسير ص 412.

(14) انظر: الكشاف 1/669.

قيل: كانوا ي·سألون، فيقول أحدهم: من أبي يا رسول الله؟ وربما كان ولد زنا، ويقول آخر: أين أنا[1] يا رسول الله؟ يعني في الآخرة، وربما كان في النار، فنهوا عن هذه الأسئلة[2].

وقيل: نهوا عن كثرة السؤال إذا أمروا بشيء، كسؤال بني إسرائيل حين أمروا بذبح بقرة، فلو ذبحوا بقرة أجزأتهم كائنة ما كانت، لكنهم شددوا في السؤال، فقالوا ما هي؟ وما لونها؟ فشدد الله عليهم، ونهى هذه الأمة عن كثرة السؤال[3].

وقال علي بن أبي طالب: نزلت لما ألحوا في السؤال عن الحج أهو في كل عام أم مرة؟[4].

ويكون قوله (قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ)[الآية:102] أي: قد أكثر من كان قبلكم السؤال حتى شدد عليهم فكفروا وبدلوا أحكام الله، كاليهود ونحوهم[5].

وقال ابن عباس: الأشياء هنا ما ذكر من البحيرة والسائبة وغيرها، سئل عنها رسول الله ﷺ قبل أن ينـزل فيها القرآن[6].

وهو قوله (عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا) أي: عن ما مضى منها قبل إسلامكم، وقيل: عفا عنكم في سؤالكم عنها فلا تعودوا، وقيل: سأل قوم عن غيوب، وقوم عن أحكام، ولم ينـزل في تلك الغيوب ولا في تلك الأحكام قرآن قبل ذلك، فنـزلت[7].

---

(1) في (م): (أين أبانا).

(2) في (ك): (الأمور). والقصة التي أشار إليها المؤلف رواها البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) (4621) 8/354، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال (7294) 13/325، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل (2359) 5/499.

(3) هذا القول مخرّج على ما يلي من أثر علي رضي الله عنه. انظر: زاد المسير ص 412.

4) رواه الترمذي في سننه، كتاب الحج عن رسول الله ، باب ما جاء كم فرض الحج (814) ص199، وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب فرض الحج (2884) ص 489. وقد ضعفه الألباني في تعليقه عليهما. وانظر: إرواء الغليل 4/150.

(5) انظر: زاد المسير ص 412، والبحر المحيط 4/37، والتسهيل 1/253.

(6) رواه الطبري في تفسيره 5/85، وفي سنده خصيف بن عبد الرحمن، صدوق سيء الحفظ، خلط بآخره، ورمي بالإرجاء. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 6/145، وتقريب التهذيب (1728).

(7) انظر ما ساقه المؤلف من أقوال في المراد بالآية في معاني القرآن للزجاج 2/211، تفسير الطبري 5/86، والهداية 3/1892، والجامع لأحكام القرآن 6/310، وفتح القدير 2/116.

وقوله ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ أي: قد سأل قوم قبلكم أنبياءهم آيات، فلما رأوها كفروا بها، كناقة صالح، ومائدة عيسى[1].

وقيل: القوم هنا قوم بمكة سألوا النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فأعرض عنهم، وسألوه آية، فانشق له القمر، ثم كفروا، فقال الله للمؤمنين في المدينة: قد سألها قوم من قبلكم، أي: أهل مكة[2].

[قوله تعالى][3]: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ الآية[الآية:103]، هذه الأربعة المذكورة كانت في الجاهلية يحرمونها، فأخبر الله [تعالى][4] أنه لم يحرم شيئاً منها[5].

والبحيرة (فعيلة) بمعنى (مفعولة)[6]، من قولك: بحرت الشيء، أي: شققته : كانت الناقة [إذا][7] ولدت اثنتي عشرة أنثى سيبوها وأعتقوها[8]، فلا ينتفعون منها بشيء أصلا، فهذه السائبة، وإن ولدت بعد ذلك أنثى بحروا أذنها، أي: شقوها وأعتقوها مثل أمها، فالبحيرة بنت السائبة.

والوصيلة: الشاة إذا واصلت سبع بطون متوالية عناقين عناقين يقولون: وصلت، ويعتقونها كالسائبة.

ومهما ولدت هذه البهائم المعتقة[9] من الإناث أعتقوه، وما ولدت من الذكور أكله الرجال دون النساء، وهو قولهم: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾[10].

والحامي: البعير إذا نتج عشر إناث متتابعات، أو ألقح ولد ولده، يقولون: حمى

---

(1) انظر: تفسير الطبري 5/87،86، ومعالم التنزيل 1/721.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/87، والهداية 3/1892.
(3) سقطت من (ك).
(4) سقطت من (ك).
(5) انظر: تفسير الطبري 5/87.
(6) في (ك): (مفعول).
(7) سقطت من (م).
8) جاءت العبارة في (ك): (من قولك بحرت الشيء أي: شققته والسائبة كانت الناقة إذا اثنتي عشر أنثى سيبوها وأعتقوها).
(9) الذي ظهر لي أنه لا يقصد الوصيلة وحدها، بل حتى البحيرة والسائبة.
(10) سورة الأنعام، الآية (139). وانظر في تفسيرها: تفسير الطبري 5/357.
قد اختلفت أقوال العلماء في أوصاف هذه المسميات المذكورة في الآية على أقوال كثيرة، وأشهرها ما قاله مؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/88-93، والهداية 3/1895-1898، والجامع لأحكام القرآن 6/312، والبحر المحيط 4/33.

ظهره، ويعتقونه، ولا ينتفعون منه بشيء، ولا يمنع من مرعى، ويضرب في أي إبل شاء[1].

فكانت هذه الأربع محرمة في [حكم][2] الجاهلية، فأخبر الله أنه ما جعل شيئا· من هذا محرما·، ورد عليهم في هذا بـآيات كثيرة، منها قوله في سورة الأنعام ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ إلى قوله ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ الآيات[3].

﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾[الآية:105] أي: اشتغلوا بإصلاح أنفسكم بالإيمان والتقوى، فإنكم لا تطالبون إلا بأنفسكم[4]، ونصب ﴿أَنفُسَكُمۡ﴾ على الإغراء[5].

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ قيل: هو منسوخ بالقتال، وقيل: منسوخ بقوله ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾[6]، وقيل: هي لمن عجز عن الأمر بالمعروف، وقيل: هي لأهل آخر الزمان، كما ورد في الحديث:«إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك»[7]، وقيل: معناه: لا يضركم من ضل إذا أمرتموه فلم يطع[8].

وقال ابن زيد[9]: كان الرجل إذا أسلم قال له المشركون: سفهت أباك في دينه،

---

(1) انظر: تفسير الطبري 5/89-93، والبحر المحيط 4/34.

(2) سقطت من (ك).

3) سورة الأنعام، الآيات (138-151). وقد جاءت هذه العبارة في (ك) كالتالي: (ورد عليهم في آيات كثيرة منها في سورة الأنعام إلى قوله أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات).

(4) انظر: تفسير الطبري 5/94، وتفسير ابن كثير 2/112.

(5) والإغراء حاصل باسم الفعل (عليكم). انظر: تفسير الطبري 5/94، والبحر المحيط 4/41.

6) سورة الأعراف، الآية (199)، ولم أجد -ممن قال بأن آية المائدة منسوخة- من عيّنَ هذه الآية بعينها نسخها، بل قالوا: هي منسوخة بآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمؤلف -فيما يظهر- قد مثّل بهذه الآية تمثيلاً، وإلا فإن سورة المائدة مدنية والأعراف مكية. وانظر هامش التوثيق.

7) رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في الأمر والنهي (4341) ص 647، والترمذي في سننه، كتاب فسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (3058) ص 684، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) (4014) ص 663، وقد ضعفه الألباني في تعليقه عليها.

8) وأرجحها الأخير. انظر: تفسير الطبري 5/94-100، والهداية 3/1901-1905، وأحكام القرآن لابن الفرس 2/536-539، ونواسخ القرآن ص 149-151، والتفسير الكبير 12/94،93، وتفسير ابن كثير 2/112-114.

9) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، العدوي بالولاء، ضعيف في الحديث، وكان صاحب قرآن وتفسير، وكتب كتاباً في الناسخ والمنسوخ، توفي سنة 182هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 8/349، وتقريب التهذيب (3890) ص578.

فنـزلت الآية[1].

قوله [تعالى][2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾[الآيات:106-108] في هذه الآية خمسة أقوال[3]:

الأول: أن معناه: الشهادة التي تجوز بها الوصية بينكم شهادة عدلين منكم، أي: من المسلمين، فإن كان في السفر -ولم يجد مسلمين- فرجلان من غيركم، أي: من غير المسلمين، يشهدهما في الوصية للضرورة، ثم لا يقبل قولهما إلا بأن يحبسا، أي: يوقفا بعد الصلاة، قيل صلاة العصر، وقيل صلاة ملتهم[4]، فيحلفان بالله لا نشتري بحلفنا رشوة ولو كان الذي نشهد له ذا قرابة منا[5]، ولا نكتم شهادة الله [علينا][6]، ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾ إن كتمنا الشهادة[7].

﴿فَإِنۡ عُثِرَ﴾ أي: تبين كذبهما[8] فيما بعد بشيء قوي يعارض ما شهدا به، فظهر أنهما استحقا إثما بكذبهما فآخران من الورثة يقومان، فيحلفان بالله: إنهما أصدق من الكافرين في هذا، وإنهما لم يعتديا، أي: لم يظلما[9].

---

1) رواه الطبري في تفسيره 5/100،99، وليس فيه «فنزلت الآية»، بل فيه:«فقال الله تعالى»، فإذا كان يريد أن هذا سبب نزول الآية فهو مرسل.

(2) سقطت من (ك).

3) استشكل كثير من العلماء أن ظاهر الآية يدل على قبول شهادة كافرَين على المسلمين، وأن شهادة الفاسق لا تقبل، والكافر فاسق، كما استشكلوا أن هذا الموضع فردٌ في الشريعة إذ طولب الشاهد فيه باليمين، وليس في الشريعة موضع آخر طولب فيه الشاهد باليمين، والحنابلة وحدهم على جواز شهادة الكافر هنا للضرورة، ونظراً لكفره فقد طلب منه تأكيد شهادته باليمين على غير ما جرت به الشريعة، والحنفية والمالكية والشافعية على عدم جواز شهادة الكافر بحال، وتأولوا الآية بحمل الشهادة على اليمين، أو حمل الشهادة على التحمل دون الأداء، أو على أن المقصود بالآية المسلمين من غير عشيرة الميت -على ما سيأتي تفصيله من كلام المؤلف-، والقول الأول أسعد بالدليل. انظر: تفسير الطبري 5/102، والناسخ والمنسوخ للنحاس 2/305، والمغني لابن قدامة 14/170-173، وتفسير ابن كثير 2/115.

قد كثرت أقوال العلماء في المراد بهذه الآية، وهذا التقسيم الذي ذكره المؤلف قد سبقه إليه النحاس في الناسخ والمنسوخ 2/30، وهو تقسيم يجمع شتات غالب ما قيل في الآية، وسيكون توثيق كل قول بإذن الله تعالى عند تمامه وفراغ المؤلف منه.

4) والأرجح أن الصلاة هي صلاة العصر. انظر: تفسير الطبري 5/110-112، ومعالم التنزيل 1/727، وتفسير ابن كثير 2/115.

(5) انظر: معالم التنزيل 1/727، وتفسير ابن كثير 2/115.

(6) سقطت من (ك).

7) هذا قول الحنابلة، وقد سبقت الإشارة إليه في الحاشية قبل قليل. وانظر: معالم التنزيل 1/727، والمغني لابن قدامة 4/171.

(8) في (ك): (لديهما).

(9) نظر: تفسير الطبري 5/122،113، ومعالم التنزيل 1/728.

وأصل (عثر): وقع[1]، ومن تبين له شيء فكأنه وقع عليه[2].

وتقدير الكلام هنا[3]: فآخران من الورثة الذين[4] استحق عليهم الحكم [بشهادة الكافرين[5].

وقوله ﴿ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ تثنية الأَوْلَى، ومعناه: الأولى بمال الميت، وهو الوارث[6].

وقرأ حمزة[7] وأبو بكر[8] ﴿الأَوَّلِيْنَ﴾ بالجمع، وتقديره: من الأولين الذين استُحِق عليهم الحكم][9] بأيمانهما[10].

فيكون الأوليان هنا الشاهدين[11]، فعلى هذا القول تكون الآية مخصوصة [بالوصية][12] في السفر، فتقبل شهادة كافرين فيها مع يمينهما، وهذا[13] قول ابن عباس وجماعة من التابعين[14].

والقول الثاني: أن هذا الحكم منسوخ، فلا تجوز شهادة الكافر بحال[15]، وهو مذهب أكثر العلماء[16].

والقول الثالث: أن معنى ﴿مِّنكُمۡ﴾ أي: من عشيرتكم [﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ أي: من غير عشيرتكم][17]، فيكون المنسوخ منها تحليف الشهود، فلا يمين على الشاهد بالإجماع[18].

والقول الرابع: أن الشهادة بمعنى الحضور، يقال: شهدت كذا، أي: حضرته،

---

(1) في (ك): (رفع).

(2) انظر: تفسير الطبري 5/113، والناسخ والمنسوخ للنحاس 2/312.

(3) في (ك): (هاهنا).

(4) في (ك): (الذي).

(5) هذا المعنى على قراءة الجمهور ببناء الفعل (استُحِقّ) لما لم يسم فاعله، وسيأتي توثيق هذا المعنى وبيان القراءات في هذه الآية وتوجيهها بعد قليل.

(6) انظر: تفسير الطبري 5/113، ومعالم التنزيل 1/728.

(7) هو حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة، أحد القراء السبعة، كان إماماً قيماً لكتاب الله، قانتاً لله، ثخين ورع، رفيع الذكر، عالماً بالحديث والفرائض، توفي سنة 156هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 7/90، وغاية النهاية 1/1190، وتقريب التهذيب (1526) ص 271.

(8) هو أبو بكر بن عياش بن سالم، الحناط، قيل: اسمه شعبة -وهو المشهور-، وقيل: اسمه كنيته، وفي اسمه أقوال عشرة، المقرئ الفقيه المحدث، روى القراءة عن عاصم، وقد ولد سنة 95هـ،وتوفي سنة 194هـ أو نحوها. انظر: سير أعلام النبلاء 8/495، وغاية النهاية 1/325، وتقريب التهذيب (8042) ص 1118.

(9) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) وجاء مكانه ما نصه: (أولا وقرأ حفص استحق بفتح التاء والحاء وتقديره من الذين استحق عليهم الأوليان).

فتكون الآية أمراً[19] بإحضار الأقارب عند الوصية، فإن كان في السفر فالأجانب، فإن

---

(10) هنا ثلاث قراءات متواترة، وقد اختلف العلماء في توجيه القراءات -المتواترة والشاذة- الواردة في هذه لآية على أقوال كثيرة نافت على سبعين قولاً، وسأقتصر في توجيه كل قراءة على ذكر الأقوال التي تواطأت عليها ألسنة العلماء:

لأولى من هذه القراءات: (من الذين استُحِقّ عليهم الأوليان) ببناء الفعل لما لم يسم فاعله، ولفظ (الأوليان) مثنى (أولى)، وبها قرأ الجمهور، وهم من عدا المذكورين في القراءتين الآتيتين.

قيل: المعنى: فآخران يقومان مقام الشاهدين الكافرين، ويكون هذان الآخران من جملة الورثة الذين استُحِق عليهم الإيصاء، والذي استحق الإيصاء هم الورثة أولياء الميت، ينتدبان الأوليين منهما للشهادة، ثم استُؤنف الكلام فقيل: ما الأوليان: أي: أولى بالميت قرابة، وأولى به بماله، فالمعنى إذاً: (فآخران يقومان مقام الشاهدين الكافرين، من ولياء الميت الذين استحقوا على الشاهدين الكافرين أن يوصوا إليهما بأن يؤدوا الوصية حسب ما أوصى بها الميت، وهذا الشاهدان الآخران هما الأوليان بالميت). والحظ -أيها القارئ- أن مفعول (استحق) محذوف، وتقديره: الإيصاء.

قيل: مفعول (استحق): يقدر بـ(الإثم)، و(عليهم): بمعنى (فيهم) أو (منهم)، فالمعنى: فآخران يقومان من القوم الذين جُنِيَ عليهم -وهم أولياء الميت-، فاستُحق الشاهدان الكاذبان الإثم فيهم (أو منهم)، ثم استأنف فقال: هما الأوليان.

قيل: بمثله إلى أنه أضاف لفظة (الإثم) إلى الأوليين، ثم حذف لفظة (الإثم) وأقام مقامها المضاف إليه فاكتسب عرابها، فيكون المعنى: فآخران يقومان من القوم الذين جني عليهم -وهم أولياء الميت-، فاستُحق فيهم (أو منهم) إثم الأوليين منهم، ثم حذف لفظ (الإثم) وأقام لفظ (الأوليين) مقامه، وهذا قول المؤلف، وسيأتي.

على هذين القولين فلفظة (ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ) مرفوع على الخبرية، والمبتدأ محذوف تقديره: هما الأوليان، كأنه سئل عن شاهدين الآخرين: من هما؟ فقيل: الأوليان. وعلى القول الثالث: مرفوع على تقدير حذف مضاف حل محله لفظ (ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ).

لثانية: (مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ) ببناء الفعل للمعلوم، ولفظ (ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ) مثنى (أولى)، وبها قرأ حفص عن عاصم وحده.

المعنى: فآخران يقومان مقام الشاهدين الكافرين، وهذا الآخران من الورثة الذين يرثون الميت، وقد استحق هذان شاهدان الآخران على بقية الورثة أن يقدموهما للشهادة، ففاعل (استحق) هو: الأوليان، ومفعوله: محذوف قديره:(أن يقدموهما للشهادة)، وقيل: تقديره (الإيصاء)، وتقدير الكلام: فآخران يقومان مقامهما من الورثة الذين استحق عليهم -أي: على الورثة- الأوليان من الورثة أن يقدموهما للشهادة، أو أن يوصوا إليهما.

لثالثة: (من الذين استُحِقّ عليهم الأوَلِين) ببناء الفعل لما لم يسم فاعله، ولفظ (الأولِين) جمع (أوّل)، وبها قرأ شعبة عن عاصم وحمزةُ وخلف ويعقوب.

المعنى: هو معنى قراءة الجمهور، إلا أن لفظة (الأولِين) هنا تعرب صفة لـ(ٱلَّذِينَ)، والتقدير: من القوم الأولين لذين استحق عليهم الإيصاء، أو استحق فيهم الإثم -على ما سبق من الخلاف-، وظاهر كلام المؤلف هنا أنه يقدر (الحكم) ولم أجد من قدره، وسيأتي من كلامه فيما بعد أنه يقدر (الإثم). ووصفهم بالأولِين لأنهم هم المذكورون أولا في الآية (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ) فقدم في الذكر الذين من أولياء الميت على الأجانب، وقيل: لفظة (الأولِين) منصوبة على المدح، ومعنى الأولية هنا: التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها.

هذا ذكر للقراءات المتواترة في هذه الآية، ونكرٌ لما رأيت العلماء قد تواطأت أقلامهم عليه من توجيه، وإن كان من خلل فعذري فيه ما قاله السخاوي:«ما رأيت أحداً من الأئمة تخلص كلامه فيها من أولها إلى آخرها».

انظر: معاني القرآن للزجاج 2/217، وتفسير الطبري 5/119-122، والناسخ والمنسوخ للنحاس2/313،312، الهداية3/1921، ومعالم التنزيل 1/728، والكشاف 1/674، وزاد المسير ص 417، والبحر المحيط 4/43-46، والدر المصون 4/473-480، والنشر 2/192، وفتح القدير 2/125، والتحرير والتنوير 5/251.

(11) هذه الجملة ظهر لي أنها على القول الأول في الآية، وليس مرتباً على قراءة حمزة ومن معه، فالمؤلف وكد هنا أنهما شاهدان وليسا بحالفين فقط كما سيأتي في القول الخامس(وهذا هو الفرق بين القولين: الأول والخامس).

(12) سقطت من (ك).

(13) في (ك): (هذا)، دون واو.

ادعى أحد ممن حضر [أن][20] الميت أوصى له بشيء حلف، فتكون الأيمان في دعاوى بين الحاضرين[21].

والقول الخامس: أن الشهادة بمعنى اليمين، فيكون تقديرها [اليمين][22] التي ُس·ت·حق بها الوصية اثنان، أي: يمين اثنين مسلمين، ثم حذف المضاف[23] مثل (وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ)[24]، وهذا اختيار النحاس[25]، وروى ً أسنده إلى تميم الداري أن الآية نزلت في قضية جرت، وذلك أن تميما· الداري وعدي بن بداء[26] سافرا إلى الشام بتجارة وهما نصرانيان، فمات مولى لبني سهم معهما[27]، ودفع ماله إليهما ليوصلاه إلى ورثته[28]، فسرقا من المال جاما·[29] من فضة و[باعاه][30] بألف دينار[31]، وأتيا بالمال إلى

14) رواه الطبري عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة -وقد مضى بيان قوة هذا الطريق ص (33) - ومن غير طريق علي بن أبي طلحة، وهو قول سعيد بن المسيب ومجاهد وابن زيد ويحيى بن يعمر وغيرهم. تفسير الطبري 5/114، 113، 101. وانظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس 2/30، 301، والهداية 3/1919، وتفسير ابن كثير 2/117، 115.

(15) في (م): (فلا تجوز شهادة لعله الكافر بحال).

16) فهو قول أبي حنيفة ومالك والشافعي. انظر: الهداية 3/1919، وزاد المسير ص 416، والجامع لأحكام القرآن 6/324، وتفسير ابن كثير 2/115.

(17) ساقط من (م).

18) أما القول بأن المراد: ذوا عدل من العشيرة أو آخران من غير العشيرة، فهو قول الحسن وعكرمة والزهري. انظر: تفسير الطبري 5/107، 106، والناسخ والمنسوخ للنحاس 2/304.
أما ما نسبه المؤلف إليهم من أنهم يرون نسخ تحليف الشهود فلم أجده، بل الظاهر من كلام المفسرين الذين ذكروا هذا القول أن قائلي هذا القول لا يرون نسخاً في الآية مطلقاً لا أن الآية كلها منسوخة ولا أن بعضها منسوخ.
انظر: الناسخ والمنسوخ 2/304، وأحكام القرن لابن العربي 2/251، وزاد المسير ص 416، وتفسير النسفي 1/358 .
ل إن ابن الفرس في أحكام القرآن 2/542 فصل المسألة وأوضحها -على هذا القول- وأوضح أن حلف الشاهدين محكم غير منسوخ على قول الحسن ومن معه. والله أعلم.

(19) في (م): (أمرٌ) مضبوطة.

(20) سقطت من (ك).

(21) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس 2/305، والهداية 3/1914، والجامع لأحكام القرآن 6/322.

(22) سقطت من (ك).

(23) في (ك): (مضاف).

(24) سورة يوسف، الآية (82).

(25) واختيار الطبري أيضاً. انظر: تفسير الطبري 5/103، 102، والناسخ والمنسوخ للنحاس 2/307-310.
وأما النحاس فهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، النحاس، نسبة لعمل الأواني الصّفرية وبيعها، أبو جعفر، ن كتبه الناسخ والمنسوخ، ومعاني القرآن، مات سنة 338هـ إذ ركله بعض العوام في النيل لما سمعه يُقطِّع بيتاً من الشعر بتفعيلته فظنه يسحر النيل. انظر: الأنساب 5/465، وإنباه الرواة 1/136، وسير أعلام النبلاء 15/401.

(26) ولم يسلم -على الأرجح- كما سيأتي في الأثر. وانظر: الإصابة 4/387.

(27) اختلف في اسمه فقيل: بديل بن أبي مريم، وقيل: بزيل، وقيل: بديل بن أبي مارية. انظر: فتح الباري 5/501.
وانظر هامش تخريج الأثر فيما بعد.

(28) في (ك): (ليوصلاه لورثته).

(29) أي: إناءً. انظر: فتح الباري 5/502.

(30) سقطت من (م).

(31) المروي أنه بألف درهم. انظر تخريج الأثر.

الورثة، ففقدوا الجام، فطلبوه من النصرانيين، وتحاكموا كلهم إلى النبي ﷺ، فنـزلت هذه الآية، فاستحلف النصرانيين، فحلفا ما كتما شيئا، ولا أعطيا من ماله لأحد شيئا، ولا لذي قرابة منهم، ثم إن الجام عرف بمكة مع المشتري من النصرانيين، وكان تميم قد أسلم، فاعترف، وشهد على رفيقه، فحلف مع شهادته رجلان من بني سهم[1]، وأخذ السهميون الجام[2]. فهذه القصة تزيل الإشكال، والله أعلم.

[وقوله][3] ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ﴾[4] أي: يميننا أحق من يمينهما، أي: أصدق[5].

﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ على هذا، أي: لا نكتم اليمين بالله، مثل قوله ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ﴾[6] يعني[7]: الأيمان في اللعان[8].

وقيل: ﴿استحق [عليهم][9]﴾ بمعنى: منهم، وقيل: فيهم، وتقديره: استحق فيهم إثم الأوليين[10]، ثم حذف (إثم)[11].

ومعنى ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي: شككتم في صدقهما[12].

---

(1) قيل: هما عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة. انظر: فتح الباري 5/502.

(2) رواه النحاس في الناسخ والمنسوخ 2/309،308 من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وقد مضى كلام على هذا الإسناد ص (54). ورواه من الطريق عينه الترمذي في سننه،كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (3059) ص 685 وقال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح».

وأصل القصة رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ...﴾ (2780) 5/500، ولفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا من ذهب، فأحلفهما رسول الله ، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أوليائه فحلفا ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾، وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾.

(3) سقطت من (ك).

(4) زاد في (ك): (من شهادتهما).

(5) وهذا على القول الخامس الذي اختاره النحاس. انظر: تفسير الطبري 5/122، وتفسير ابن كثير 2/116.

(6) سورة النور، الآية (6).

(7) في (ك): (بمعنى).

(8) انظر: تفسير الطبري 5/112، والجامع لأحكام القرآن 6/333.

(9) سقطت من (م).

(10) في النسختين (الأولين)، وقد مضى توجيه المؤلف لقراءة (الأولين)، وهو الآن بصدد توجيه قراءة الجمهور.

(11) سبق تقرير هذا القول في الحاشية في معرض توجيه القراءات الواردة في الآية.

(12) انظر: تفسير الطبري 5/110، وزاد المسير ص 416.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أي: هذا الحكم بالأيمان[1] أقرب أن يأتي الذين حلفوا[2] بالأيمان على وجهها ولا يكذبا، فترد[3] أيمان الورثة بعد أيمانهما[4].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الأيمان وغيرها[5] ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ أي: أطيعوا أمره سبحانه[6].

قوله [تعالى][7] ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾[الآية:109] أي: احذروا يوم يجمع الله المرسلين[8]، فيقول لهم: بماذا[9] أجابكم قومكم؟ هل صدقوكم أو كذبوكم؟[10].

وإنما يسأل الرسل توبيخاً لمن كذبهم، كما تسأل الموءودة توبيخاً لقاتلها[11].

﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ تقول الرسل: لا علم لنا بسرائر قومنا وما عملوه بعدنا[12] ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝١٠٩﴾ تعلم ما أضمروه من إيمان ونفاق وغيره[13].

---

(1) في (ك): (بالإتيان).

(2) في النسختين: (الذين حلفا)، ولا يسوغ في اللغة، ذلك أن من شرط الضمير العائد على الاسم الموصول أن يطابقه في الإفراد أو التثنية أو الجمع. انظر: شرح ابن عقيل على الألفية 1/146.

(3) في (م): (فرد).

(4) في كلام المؤلف هنا شيء من الغموض، وإيضاحه: أن الله سبحانه يخبر عباده أن هذا التشريع الذي شرعه ن تحليف الشاهدين الكافرين، وحبسهما وقيامهما بعد الصلاة للشهادة، ثم إقامة الشاهدين الأخرين من أولياء ميت إن حصلت الريبة من الشاهدين الكافرين، كل ذلك أقرب للشاهدين الكافرين أن يأتوا بالشهادة على الوجه مرضي ولا يكذبا فيها، وأن يخافا من إعادة أيمان الورثة وكرّها وإرجاعها بعد أيمانهم، وذلك تعظيماً للأيمان خوفاً من الافتضاح. انظر: تفسير الطبري 5/123 والكشاف 1/674، وتفسير ابن كثير 2/118،117، والتحرير والتنوير 5/254.

(5) انظر: تفسير الطبري 5/124، وتفسير ابن كثير 2/118.

(6) انظر: تفسير ابن كثير 2/118.

(7) سقطت من (ك).

(8) وقيل: اذكروا يوم يجمع الله الرسل. انظر: تفسير الطبري 5/125، والبحر المحيط 4/52.

(9) في (ك): (ماذا).

(10) انظر: تفسير الطبري 5/125، والمحرر الوجيز 2/256.

(11) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/218، والكشاف 1/675.

(12) وقيل: بل ذهلت الرسل في ذلك اليوم العظيم ووكلوا الأمر إلى عالم الغيب والشهادة، ثم في موقف آخر سألون عن أقوامهم فيشهدون عليهم، وقيل: بل نفوا علمهم بالنسبة إلى علم الله المحيط، وقيل: بل الكلام جار على سَنن ما سبق، فلما كان سؤال الله إياهم سؤال توبيخ للكافرين، أجاب الأنبياء الذين كابدوا الصعاب من أقوامهم ، احتملوا شقاقهم وتكذيبهم وتعنتهم وسوء إجابتهم، فأجاب الأنبياء الله سبحانه بأنه هو الأعلم بشأن قومهم إظهاراً للشكاية، ولجوءاً إليه سبحانه في الانتقام لهم. انظر: تفسير الطبري 5/125-127، ومعاني القرآن للزجاج 2/218 ، والكشاف 1/676،675، وتفسير ابن كثير 2/118.

(13) هذا مبني على اختيار المؤلف في المسألة السابقة.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ﴾[الآية:110] أي: اذكر[1] ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ﴾ أي: فـي الرسالة[2] ﴿إِذۡ أَيَّدتُّكَ﴾ [أي: قويتك][3] ﴿بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ وهو جبريل عليه السلام، يدل عليه قوله تعالى ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾[4]، ومعناه: أنزلت عليك الوحي[5].

﴿وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: الإنجيل[6] ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي: الفهم في دين الله[7].

﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ كان قرأ التوراة قبل أن ينـزل عليه الإنجيل.

ثم ذكر الإنجيل هنا بياناً لقوله ﴿عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وتأكيداً له، وقيل: الكتاب هنا: الكتابة بالقلم، لأن الإنجيل مذكور فيما بعد[8].

﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ﴾ أي: رددت أيدي اليهود ومنعتهم عن قتلك حتى شبهوا بك رجلاً فصلبوه[9].

﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾[الآية:111] أي: على لسانك فيما أوحيت إليك[10].

﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾[الآية:112] أي: هل يفعل؟ تقول: هل تقدر أن تمضي معي؟ فلم[11] يشكوا في القدرة، وإنما طلبوا معاينة آية ليزدادوا إيماناً، وقيل: قالوا ذلك في بداية إسلامهم[12].

---

(1) في (ك): (واذكر). وقد اختلف في موقع جملة ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ هنا، فقيل: اذكر إذ...، وقيل: هي متعلقة بالآية السابقة، والمعنى: احذروا يوم يجمع الله الرسل .. إذ قال الله يا عيسى... انظر: تفسير الطبري 5/127، والدر المصون 4/491.

2) النعمة هنا جنس النعم، ومنها: الرسالة. انظر: تفسير الطبري 5/127، ومعالم التنزيل 1/730، والمحرر الوجيز 2/257، والبحر المحيط 4/55.

(3) سقطت من (ك). وانظر المعنى في: تفسير الطبري 5/127.

(4) سورة النحل، الآية (102). وانظر: تفسير الطبري 5/127.

5) لا شك أن من أعظم أوجه تأييد الله لعيسى بجبريل إنزال الإنجيل بواسطة جبريل، ولكنه ليس الوجه الوحيد لتأييد الله لعيسى بجبريل. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/219،218.

(6) لم أجد هذا القول، وسيأتي القول المشهور عند كافة المفسرين بعد قليل.

(7) في (م): (الإنجيل والحكم الفهم في دين الله). وانظر: الهداية 3/1925، وتفسير ابن كثير 2/119.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/128، والهداية 3/1925، ومعالم التنزيل 1/730.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/128، والكشاف 1/676.

(10) أو هو بمعنى: ألهمتهم. انظر: الكشاف 1/677، وتفسير ابن كثير 2/118.

(11) في (ك): (فلا).

(12) انظر: تفسير الطبري 5/130، والهداية 3/1929،1928، والجامع لأحكام القرآن 6/337.

ومن قرأ ﴿تستطيع﴾ بالتاء ونصب ما بعده فمعناه: هل تسأل ربك فيجيبك؟[1].

والمائدة من قولهم (ماد): أي: تحرك، ولا تسمى مائدة إلا أن يكون عليها طعام، فإن لم يكن فهو خوان[2]، وكذلك يقال: قدح، فإذا كان فيه شراب فهو كأس[3].

وقوله (وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا)[الآية:113]أي: نزداد إيمانا.[4].

(تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا)[الآية:114] أي: لأول [أهل][5] شريعتنا وآخرهم[6]، وسمى العيد عيداً لعود السرور فيه[7].

(قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ)[الآية:115] فنـزلت عليهم سفرة حمراء، فوقها غمامة، وتحتها غمامة، وعليها سبعة أرغفة وزيتون وتمر وسمكة فيها طعم كل طعام وعند ذنبها ملح وحولها بقول فأكل منها ألف وثلاثمائة[8].

وقيل: إن الذين طلبوها لم يأكلوا منها خوفاً أن يكون نزولها غضباً[9].

ويقال: أكل منها الفقراء فاستغنوا والمرضى وذووا العاهات فشفاهم الله.

وقال ابن عباس: نزلت مراراً[10]، وقال غيره: نزلت يوماً· بيوم أربعين صباحاً[11]، وقيل: نزلت يوم الأحد مرتين، فلهذا اتخذوه عيداً[12].

---

1) قرأ الكسائي (هل تستطيع ربّك)، وتوجيهها على نحو ما ذكره المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/143، والبحر المحيط 4/58، والنشر 2/192.

(2) انظر: تفسير الطبري 5/131، وفقه اللغة ص 34، ولسان العرب (م ي د) 13/229.

(3) وفيها خلاف. انظر: فقه اللغة ص 34، ولسان العرب (ك أ س) 12/7

(4) انظر: تفسير ابن كثير 2/120.

(5) سقطت من (ك).

(6) انظر: تفسير الطبري 5/133،132، وتفسير ابن كثير 2/120.

(7) في (ك): (إليه). وقيل: سمي عيداً لأنه يعود. انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/340، ولسان العرب (ع و د) 9/461.

(8) جاء هذا في أثر رواه ابن أبي حاتم وغيره عن سلمان الفارسي موقوفاً، قال القرطبي: في هذا الحديث مقال، لا يصح من قبل إسناده، وقال ابن كثير: هذا أثر غريب جداً، وقال أبو حيان: واختلفوا في كيفية نزولها وفيما كان عليها، وفي عدد من أكل منها، وفيما آل إليه حال من أكل منها اختلافاً مضطرباً متعارضاً، ذكره المفسرون، ضربت عن ذكره صفحاً إذ ليس منه شيء يدل عليه لفظ الآية. انظر: تفسير ابن أبي حاتم 4/1250،1249، والهداية 3/1933-1939، والجامع لأحكام القرآن 6/343، والبحر المحيط 4/61، وتفسير ابن كثير 2/121-123.

(9) هذا القول والذي يليه جزء من الأثر المشار إليه.

(10) رواه الطبري في تفسيره 5/134، وفيه يوسف بن خالد السمتي، تركوه وكذبه ابن معين. انظر ترجمته في: تقريب التهذيب (7918).

(11) هذا جزء من الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم، والذي أورده المؤلف قبل قليل.

(12) حكاه الفراء في معاني القرآن 1/326.

قال ابن عباس: نهوا أن يدخروا منها، فادخر أناس منهم شيئا· [منها][1] فمسخوا خنازير، ورفعت[2].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى﴾[الآية:116] [أي][3]: واذكر إذ يقول الله يوم القيامة[4]: [يا عيسى][5]: يسأله هل دعا الناس إلى أن يعبدوه؟ وسؤاله توبيخ لمن عبده[6].

﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ تنزيها· لك[7] عن الشريك والولد[8].

﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ أي: لا أعلم غيبك الذي انفردت بعلمه، والنفس هنا : الذات، والعرب تؤك··د بالنفس والعين، وليس المراد بها ظاهرها، فيقولون: رأيت زيداً نفسه، عينه، على وجه التأكيد، فمعنى الكلام: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك[9].

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾[الآية:117][أي][10]: أخذتني من بينهم[11].

(1) سقطت من (م).

2) لم أجده عن ابن عباس، وإنما رواه الترمذي عن عمار بن ياسر مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أصح عند الترمذي حيث قال:«وهذا (يعني الموقوف) أصح من حديث الحسن بن قزعة (يعني المرفوع) ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً»، وقد ضعّف إسناديهما الألباني في تعليقه على السنن. انظر: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة المائدة (3061) ص 686.

(3) سقطت من (ك).

(4) انظر: الهداية 3/1945.

(5) سقطت من (ك).

(6) انظر: زاد المسير ص 422، والجامع لأحكام القرآن 6/346.

(7) في (ك): (له).

(8) انظر: الكشاف 1/679، والجامع لأحام القرآن 6/347.

9) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى9/156 بعد أن ذكر آية المائدة هذه وأدلة أخرى فيها إضافة (النفس) إلى الله تعالى:« فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ».

(10) سقطت من (ك).

(11) انظر: المحرر الوجيز 2/263، والجامع لأحكام القرآن 6/348.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[الآية:118] والمالك يفعل في عباده ما يشاء[1] ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يعني: فأنت أهل المغفرة، ولو شاء الله لغفر كل ذنب، لكن[2] قد أخبر أنه لا يغفر الشرك عدلاً منه سبحانه، فتكلم عيسى على الجواز العقلي[3].

وقال السدي والطبري[4]: هذا قول الله لعيسى حين رفعه، فيكون قوله ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لمن هو الآن حي فيوفقه للإسلام ويغفر له[5]، والأول أصح، لقوله ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[الآية:119] يعني يوم القيامة[6]، ومعناه: من كان صادقاً في الدنيا في توحيده وطاعاته نفعه صدقه يوم القيامة[7].

﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: أراد تقريبهم وإكرامهم[8] ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أعطاهم حتى أرضاهم[9].

ثم رد الله على من عبد عيسى وغيره، فقال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾[الآية:120] فكل ما عبدتم من دونه فهو ملكه، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)﴾ يخلق ما يشاء من غير

---

1) الجبرية على أن الله تعالى يجوز عليه أنه يعذب عباده لكونهم عباده ولو كانوا طائعين، وهذا مبني على اعتقادهم أن الله تعالى يجوز أن يكلف عباده بما لا يطيقون، وتابعهم الأشاعرة في ذلك، وأهل السنة على خلافه . انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص 448-456، ومجموع الفتاوى 11/368-370، وشفاء العليل ص 234.
ومعنى الآية على مذهب أهل السنة: أنه تبرؤ من عيسى عليه السلام ورد المشيئة فيهم إلى الله، قاله ابن كثير، وقال الطبري: المعنى إن تعذبهم فلا يقدر أحد على رد العذاب عنهم، وقيل: بل هي بيان حال أولئك القوم وأنهم كانوا من أخس العبيد، ذلك أن السيد لا يعذب عبده المطيع وإنما يعذب عبده العاصي، ولولا أن هؤلاء قد بلغوا من الخسة وسوء العمل لما عذبهم الله تعالى. انظر: تفسير الطبري 5/140، وتفسير ابن كثير 2/124، ومدارج السالكين 2/382.

(2) في (ك): (ولكن).

(3) انظر: البحر المحيط 4/66، وحاشية ابن المنير على الكشاف (مطبوع بحاشية الكشاف) 1/682. وسيأتي تفصيل لهذا الكلام في تفسير سورة إبراهيم، عند الآية (36)، وهي قوله تعالى ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)﴾.

4) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، من طبرستان، ولد سنة 224هـ، كتب التفسير في ثلاثين ألف ورقة، ثم اختصره في ثلاثة آلاف، فهو الموجود بين يدي الناس، توفي رحمه الله سنة 310هـ. انظر: معجم الأدباء 5/242، وسير أعلام النبلاء 14/267.

5) رواه الطبري في تفسيره 5/140، 137 عن السدي من طريق أسباط، وإسناده حسن كما سبق ص (56)، وهو القول الذي اختاره الطبري. انظر: تفسير الطبري 5/137.

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/346، وتفسير ابن كثير 2/124.

(7) انظر: تفسير الطبري 5/142، 141، والجامع لأحكام القرآن 6/350.

8) قد مضى أن مذهب أهل السنة في أسماء الله تعالى وصفاته إثبات ما أثبته الله ورسوله لنفسه دون تعطيل أو تأويل أو تكييف أو تمثيل، ومن ذلك صفة الرضى. انظر: ص(53، 33)، وانظر: مجموع الفتاوى 3/89.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/142.

أب، كما خلق عيسى عليه السلام[1]، [والله أعلم][2].

(1) فهذه الآية لمناسبة الرد على النصارى الذين عبدوا عيسى، بيّن فيها سبحانه عبودية عيسى وأنه من جملة ما خلق، وقيل: هي مناسبة لذكر ثواب المؤمنين أن لهم الجنات تجري من تحتها الأنهار، والله على ما يشاء قادر . انظر: تفسير الطبري 5/142، والهداية 3/1954،1953، والجمع لأحكام القرآن 6/351.

(2) سقطت من (م).

سورة الأنعام

مكية، وقيل: فيها آيات مدنية[1].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[الآية:1] إخبار من الله أنه مستحق الحمد، وفيه معنى الأمر، أي: قولوا الحمد لله[2].

ويقال: لما علم عجز خلقه عن القيام بحق حمده حمد نفسه[3].

[وقوله][4] ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أي: خلق النور والظلمة، وفيه رد على المجوس في عبادتهم النور والظلمة[5].

﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ أي: يشبهون، [والعديل: الشبيه][6].

﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾[الآية:2] أي: خلق أباكم آدم من طين[7].

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أي: قدر أجل الدنيا فجعله على مقدار يعلمه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ يعني: يوم القيامة، وقيل: الأول: أجل حياة الإنسان، والثاني: مدة إقامته في القبر[8].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾ أي: تشكون في البعث[9].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾[الآية:3] أي: هو المعبود المستحق العبادة[10] في السماوات وفي الأرض، فحق على أهل السماوات وأهل الأرض أن لا يعبدوا إلا إياه، وهذا كما تقول: فلان ملك في الغرب وملك في الشرق، وتعني[11] أن الجميع تحت

---

(1) انظر: زاد المسير ص 424، وتفسير ابن كثير 2/127، 126، والإتقان 1/29.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/143، ومعالم التنزيل 2/6، والتفسير الكبير 12/121، وتفسير ابن كثير 2/127.
(3) في (ك): (بحقه حمد نفسه). وانظر: الجامع لأحكام القرآن 1/180، 179.
(4) سقطت من (ك).
(5) انظر: المحرر الوجيز 2/266، 265، والتسهيل 1/261.
(6) سقطت من (ك). وقد عبّر المفسرون بعبارات أدق مما عبّر به المؤلف، فقالوا: أي: يسوون غير الله به، أي: جعلون له عديلاً مساوياً. انظر: الهداية 3/1957، والمحرر الوجيز 2/266، وزاد المسير ص 424، والتفسير الكبير 12/126.
(7) انظر: تفسير الطبري 5/146، 145، ومعالم التنزيل 2/6.
8) وفي الأجلين أقوال كثيرة، من أشهرها ما حكاه المؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/147، 146، وزاد المسير ص 425، 424، وتفسير ابن كثير 2/127.
(9) انظر: تفسير الطبري 5/148.
(10) في (ك): (أي: المعبود أي: المستحق العبادة).
(11) في (ك): (يعني) دون واو.

مملكته، ومثل هذه الآية قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[1]، فهو إله من آمن ومن كفر، وجحود الكافر لا يزيل ملك الله، فهو الإله لكل أحد سبحانه[2].

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾[الآية:5] أي: بالقرآن ومحمد [ﷺ][3] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ أي: أخبار[4]﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ معناه: سيرون عقوبة تكذيبهم[5]، قيل: عنى به ما وقع يوم بدر من القتل والسبي[6].

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾[الآية:6]أي: من الأمم الماضية -بكفرهم- فيعتبروا بهم[7].

ثم قال: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ فأتى بلفظ الخطاب بعد لفظ الغيبة، كقوله ﴿كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[8]، ومعناه: مكنا للأمم[9] الماضية ما لم نمكن لهؤلاء، وأعطيناهم[10] ما لم نعطهم من البسطة[11] والقوة، ثم أهلكناهم بكفرهم[12].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾[الآية:7] أي: ولو جاءك كتاب في قرطاس يعاينونه[13] وهو نازل من السماء -يلمسونه[14] بأيديهم- لقالوا: هذا سحر[15]، ولـ قـ الوا: لم [لا][16] أنزل عليه ملك، وقيل: هو ابتداء كلام، أخبر أنهم يقولون: لم لا أنزل إليه[17]

(1) سورة الزخرف، الآية (84).

2) وهذا القول هو الذي رجحه ابن كثير وغالب المفسرين، وقيل في معنى الآية غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 5/148، ومعاني القرآن للزجاج 2/228، ومعالم التنزيل 2/7، والتسهيل 1/261، والبحر المحيط 4/78،77، وتفسير ابن كثير 2/128،127.

(3) انظر: معالم التنزيل 2/8، والمحرر الوجيز 2/268.

(4) انظر: تفسير الطبري 5/149.

(5) انظر: معالم التنزيل 2/8، وتفسير ابن كثير 2/128.

(6) انظر: التفسير الكبير 12/131، والبحر المحيط 4/79.

(7) انظر: تفسير الطبري 5/149، ومعالم التنزيل 2/8.

(8) سورة يونس، الآية (22). وانظر: تفسير الطبري 5/150، ومعالم التنزيل 2/8، والبحر المحيط 4/80.

(9) في (ك): (مكنا الأمم).

(10) في (ك): (وأعطيناكم).

(11) في (ك): (من البسط).

(12) انظر: معالم التنزيل 2/8، والكشاف 2/6، والتسهيل 1/262.

(13) في (ك): (يعاينوه).

(14) في (ك): (فلمسوه).

(15) انظر: تفسير الطبري /150، وتفسير ابن كثير 2/129.

(16) سقطت من (ك).

(17) في (ك): (عليه).

ملك نعاينه بأبصارنا، وهو قولهم: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾[1].

فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾[الآية:8] أي: لو أنزلنا معك ملكاً يعاينونه ثم كفروا لقضي الأمر، أي: لهلكوا من وقتهم ولم يُنظَروا، وهي سنة الله في كل أمة: إذا سألوا آية ثم أتتهم فكفروا عاجلهم العذاب ولم ينظروا[2].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[الآية:9] أي: لو رأوا ملكاً في صورة رجل لالتبس عليهم الأمر[3] وقالوا: ما هذا ملكاً، إنما[4] هذا رجل، ومعنى (لبسنا): خلطنا عليهم وأعمينا قلوبهم، ﴿يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ بمعنى: يشكون، ومنه ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾[5].

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾[الآية:10] أي: نزل وأحاط بالكفار الذين سخروا منهم، أي: الذين استهزءوا بهم عقوبة ما كانوا به يستهزئون[6]، وهذا تسلية للرسول ﷺ، ووعيد للكفار[7].

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[8][الآية:12] أي: كتب الرحمة للمؤمنين في اللوح المحفوظ[9]، و﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ تمام الكلام، واللام في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ لام تأكيد، تقديره: أقسم ليجمعنكم[10].

1) سورة هود، الآية (12). والقول الذي بدأ به المؤلف، وهو أن هذه الآية معطوفة على التي قبلها قل من ذكره من المفسرين. انظر: تفسير الطبري 5/151، والهداية 3/1963، والبحر المحيط 4/82، وتفسير أبي السعود 3/112.

(2) انظر: تفسير الطبري 5/151، ومعالم التنزيل 2/9.

(3) في (ك): (أمرك).

(4) في (ك): (وإنما).

5) سورة ق، الآية (15). وانظر: تفسير الطبري 5/153، والكشاف 2/8،7، والتفسير الكبير 12/134، والجامع لأحكام القرآن 6/394،393 (ط. دار الشعب).

(6) في (ك): (عقوبة لهم ما كانوا به يستهزئون).

(7) انظر: تفسير الطبري 5/154،153، والمحرر الوجيز 2/271،270.

(8) في النسختين: (كتب ربكم على نفسه الرحمة).

(9) هذا من الأقوال في الآية، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي أنه قال: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، هو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (7404) 13/469، ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة (2751) 6/224، واللفظ لمسلم . وانظر: تفسير الطبري 5/155، ومعالم التنزيل 2/10، والبحر المحيط 4/86، وتفسير ابن كثير 2/129.

10) هذا على الأرجح، وقيل: جملة ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ في موضع نصب بدلاً من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾، والمعنى: كتب على نفسه الرحمة أن يجمعكم إلى يوم القيامة. انظر: تفسير الطبري 5/157،156، والبحر المحيط 4/86.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: كفروا، فأهلكوا أنفسهم وخسروها[1].

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[الآية:13] أي: استقر[2].

﴿[قُلۡ][3] أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾[4][الآية:14] أي: رباً يعبد من دونه[5]﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ﴾ أي: يرزق خلقه[6]﴿وَلَا يُطۡعَمُ﴾ أي: لا يحتاج إلى أحد من خلقه[7].

﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ [فَقَدۡ رَحِمَهُۥ]﴾[8][الآية:16] [أي: من يُصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله، وتقرأ: ﴿يَصرِف﴾ بفتح الياء][9]، أي: من يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه[10].

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[الآية:18] أي: القادر الحاكم عليهم، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾[11] أي: قادر، وليس المراد به جهة، تعالى الله عن الجهات سبحانه[12].

﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗ﴾[الآية:19][أي٠][13]: قل: أي٠٠ الشهود أعظم شهادة[14]﴿قُلِ ٱللَّهُۖ

---

(1) انظر: تفسير الطبري 5/157.
(2) غير واضحة في (م). وانظر: معالم التنزيل 2/11.
(3) سقطت من (م).
(4) في (ك): (قل أغير الله أبغي رباً).
(5) انظر: تفسير الطبري 5/158، ومعالم التنزيل 2/11.
(6) انظر: تفسير الطبري 5/159.
(7) انظر: تفسير ابن كثير 2/130.
(8) سقطت من (م).
(9) سقطت من (ك).
10) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف وشعبة عن عاصم (يَصرف) بفتح الياء وكسر الراء، وقرأالباقون بضم الياء وفتح الراء، وتوجيه القراءتين على نحو ما ذكره المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/151،150، والبحر المحيط 4/91، والنشر 2/193.
(11) سورة البروج الآية (20).
12) في (ك): (وليس المراد جهته، تعالى الله عن الجهات سبحانه). ولفظ الجهة لفظ حادث، وهو محتمل، ولذا لا ينبغي إثباته أو نفيه دون الاستفصال في معناه، فإن كان المراد به: أن الله في جهة وقد حل في شيء من خلوقاته فهذا منفي، وهو قول الحلولية، وإن لم يكن المراد حلوله في شيء من مخلوقاته، بل ما يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه فهذا مثبت، فأهل السنة يثبتون لله تعالى علوه وفوقيته كما أثبتها الله سبحانه لنفسه، وأما نفيه بهذا المعنى فإنه مذهب المبتدعة. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص 258-272 ، مجموع الفتاوى 5/12-14، 162-188، ومختصر الصواعق المرسلة ص 113، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين 1/386 وما بعدها.

أما قول الله تعالى (وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠) فمعناه عند السلف: أنهم لا يعجزونه، بل هو قادر عليهم قاهر لا فوتونه، فليست الإحاطة كإحاطة الفلك، بل هي إحاطة علم وقدرة وعظمة. انظر: تفسير الطبري 12/530، وشرح العقيدة الطحاوية ص 259، وتفسير ابن كثير 4/530.
(13) سقطت من (م).
(14) انظر: تفسير الطبري 5/161، والبحر المحيط 4/95،94.

شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ) وهو أعظم الشهود (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ) خطاب للعرب[1](وَمَنۢ بَلَغَ) أي: وأنذر من بلغه القرآن من سائر الناس إلى يوم القيامة[2].

(أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰ) توبيخ للمشركين[3](قُل لَّآ أَشۡهَدُ) كما تشهدون.

(أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ)[الآية:22] أي: أصنامكم الذين زعمتم أنهم شركاء لله، ونسبهم إليهم لدعواهم فيهم[4].

(ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ)[الآية:23] أي: لم تكن فتنتهم إلا قولهم (وَٱللَّهِ رَبِّنَا) أي: نقسم بالله ربنا (مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ)صدق الله

ومن نصب ﴿فتنتَهم﴾ جعلها خبر كان، ومن رفعها جعلها اسم كان، ومثله (مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ)[5].

ومن قرأ [﴿ربَّنا﴾][6] بالنصب فعلى النداء، تقديره: والله يا ربنا ما كنا مشركين[7].

(وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾) أي: لم تنفعهم أصنامهم، فكأنها ضلت عنهم[8].

(عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً)[الآية:25] أي: أغطية تمنعهم أن يفقهوا القرآن، والكِنُّ: الغطاء[9](وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرًا)[10] أي: صمم، وأصل الوَقْر: الثقل[11].

والأكنة والوقر هنا تجوز، وإنما هو الخذلان، فلم يوفقهم للقبول[12].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 5/161، ومعالم التنزيل 2/13.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/161، وتفسير ابن كثير 2/130.
(3) انظر: الهداية 3/1980، والمحرر الوجيز 2/276.
(4) انظر: الهداية 3/1983، والبحر المحيط 4/98.
5) سورة الجاثية، الآية (25). وقد قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. وتوجيهها على نحو ما ذكره المؤلف، إلا أن آية الجاثية التي استشهد بها المؤلف توافق قراءة الجمهور لا قراءة ابن كثير ومن معه، بخلاف ما يتبادر إلى ذهن القارئ. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/152، والبحر المحيط 4/99، والنشر 2/193.
(6) سقطت من (ك).
7) قرأ حمزة والكسائي وخلف بنصب لفظة (ربنا) على النداء، وقرأ الباقون بالجر على أنها وصف لله سبحانه. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/153، والبحر المحيط 4/100، والنشر 2/193.
(8) انظر: تفسير الطبري 5/167، والبحر المحيط 4/101.
(9) انظر: تفسير الطبري 5/168، ولسان العرب (ك ن ن) 12/172.
(10) في (ك): (وقرّ) مضبوطة.
(11) انظر: تفسير الطبري 5/169، ومعجم مقاييس اللغة (و ق ر) 6/132.
12) في (ك): (للقول). ولم يقل أحد من المفسرين إن قلوب الكافرين في أغلفة كأغلفة المحسوسات، ولا أنهم لا يسمعون البتة. انظر: الهداية 3/1989، وشفاء العليل ص 171،169.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ أي: أحاديث سطرها الأولون[1].

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[الآية:26] أي: ينهون الناس عن الإيمان بالقرآن والرسول ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ أي: يبعدون فلا يؤمنون [به][2]، وقيل: المراد به أبو طالب ونفر معه، كانوا ينهون عن أذى محمد [ﷺ] وينأون عنه، فلا يؤمنون به، والأول أظهر[3].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[الآية:27] [أي: لو ترى[4] يوم القيامة إذ وقفوا على النار][5] أي: عاينوها وحبسوا عندها[6]، وهو قوله ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾[7].

﴿فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ [أي:][8] إن رُدِدْنا إلى الدنيا[9].

وجواب لو[10] محذوف، وهو أعظم للتأكيد في الأمر والتهويل، تقول[11]: لو أدركت فلاناً!، كأنك تعظم القضية أن تذكرها، وتقدير الكلام: لو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً، وأمثال هذا كثيرة[12].

﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾[الآية:28] أي: إلى الكفر، وهذا دليل على أن الله تعالى يعلم ما لم يكن لو كان كيف كان[13].

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾[الآية:29] هذا قولهم في الدنيا، فإنهم ينكرون البعث[14].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 5/170.
(2) سقطت من (ك).
3) في (ك): (والأول أصح وأظهر). وانظر: تفسير الطبري 5/171-173، والهداية 3/1992، وتفسير ابن كثير 2/132.
(4) في (ك): (أي: ولو ترى).
(5) كررت في (م).
(6) انظر: تفسير الطبري 5/174، وتفسير ابن كثير 2/132.
(7) سورة الصافات، الآية (24).
(8) سقطت من (م).
(9) انظر: تفسير الطبري 5/175،174، والهداية 3/1993.
(10) في (ك): (وجواب لا).
(11) في (ك): (يقولون).
(12) انظر: البحر المحيط 4/105،104، والدر المصون 2/214، وقواعد التفسير 1/372.
13) في (ك): (لو كان كيف كان يكون)، وتلحظ في عبارة كلتا النسختين شيئاً من الغرابة. وانظر: الهداية 3/1997.
14) وقيل: بل هو حكاية مقالتهم لو عادوا إلى الدنيا. فالمعنى: ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولقالوا: إن هي إلا حياتنا الدنيا. انظر: تفسير الطبري 5/176، وتفسير ابن كثير 2/133.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ﴾[الآية:30]أي: عرضوا على الله ووقفوا بين يديه[1]، قال: أليس هذا البعث حقاً كائناً؟[2] قالوا: بلى وعزة[3] ربنا.

﴿قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾[الآية:31]أي: في الدنيا[4].

﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ﴾ قيل: هو كناية عن معاقبتهم بآثامهم، وقيل: هو حقيقة: يأتي للإنسان شخص في صورة جميلة، فيقول: أنا عملك الصالح، طال ما ركبتك في الدنيا، فاركبني اليوم، فيركبه إلى المحشر، وأما العمل القبيح فيأتي في صورة قبيحة، فيقول لصاحبه: أنا عملك القبيح، طال ما ركبتني في الدنيا، فاليوم أركبك، فيركبه على عنقه[5]، فهو قوله تعالى: ﴿يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡ﴾[6].

وأصل الوزر: الثقل، ومنه ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾[7].

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾أي: بئس ما يحملون[8].

﴿قَدۡ نَعۡلَمُ﴾[الآية:33] أي: قد علمنا أنك تحزن[9] لقولهم ساحر وكاذب[10]﴿ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي: لا يعتقدون تكذيبك، بل يعلمون صدقك، ولكن يجحدون لأجل الحسد[11].

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير 2/133.
(2) فالإشارة بـ(هَٰذَا) إلى البعث، وقيل: إلى العذاب. انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/377، والبحر المحيط 4/110.
(3) في (ك): (وغيره).
(4) وقيل غير ذلك. انظر: البحر المحيط 4/111.
(5) في (ك): (فأنا اليوم أركبك فهو يركبه على عنقه).
6) والراجح أنه حقيقة، غير أن هذه الهيئة التي وصفها المؤلف تحتاج إلى دليل صحيح. انظر: تفسير الطبري 5/178، ومعالم التنزيل 2/18، والجامع لأحكام القرآن 6/379، وتفسير ابن كثير 2/133.
7) سورة طه، الآية (87). وقد أبى الطبري أن يكون الوزر هو الثقل، بل هو عنده الإثم، وخالفه كثير من أهل اللغة والمفسرين. انظر: تفسير الطبري 5/178، ومعاني القرآن للنحاس 2/416، ومعجم مقاييس اللغة 6/108، والبحر المحيط 4/89.
(8) انظر: معالم التنزيل 2/18.
(9) في (ك): (إنك لتحزن).
10) وقيل في توجيه الإتيان بالفعل المضارع بعد (قد) أقوال أخرى. انظر: تفسير الطبري 5/180، والبحر المحيط 4/114-116.
11) وقيل في معناها غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 5/181،180، وزاد المسير ص 434، والبحر المحيط 4/116.

وكان حزنه شفقة على قومه ورحمة لهم، ويقال: إن رجلا· من ثقيف[1] لقي أبا جهل، فسأله عن رسول الله ﷺ، فقال: يا أخا ثقيف، والله إنا لنعلم أنه رسول الله، ولكن إذا ذهب بنو قصي[2] باللواء والحجابة والسقاية[3] والنبوة فما يكون لسائر قريش[4].

ومن قرأ ﴿ي·ك·ذ·بونك﴾ مخففاً[5] فهو من أكذبت الرجل، أي: وجدته كاذباً، م·ثل:[6] أحمدته، إذا وجدته محموداً[7].

(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ)[الآية:34]أي: فاصبر حتى يأتيك نصر الله[8].

(وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ)أي: لا مغير لما وعدك من النصر[9].

(وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٤) أي: من خبرهم، فاقتد بهم في الصبر على الأذى[10].

(وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ)[الآية:35]أي: تكذيبهم[11]، معناه: إن كنت تحزن ويعظم عليك كفرهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً –أي: سر·ب·اً[12]– في الأرض فانزل فيه، أو

(1) هو الأخنس بن شريق كما سيأتي في تخريج الخبر.

2) هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، واسمه زيد أو يزيد، وقيل غير ذلك، وإنما لقب بقصي لبعده عن بلاد قومه في طفولته، سيد قريش في عصره، وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي الشريف. انظر : أنساب الأشراف 1/21-23، والأعلام 5/198.

3) اللواء: العلم، وهو راية القائد، والحجابة: هي حجابة الكعبة، والمراد صيانتها وحفظها، ويكون بأيديهم فاتيحها، وسقاية هي سقاية الحاج، وكانوا ينبذون الزبيب في الماء، ويسقونه الحجيج. انظر: زاد المسير ص 573، والنهاية في غريب الحديث ص 184،431، ولسان العرب (ح ج ب) 3/50، و(س ق ي) 6/300، و(ل و ي) 12/370.

4) رواه الطبري في تفسيره 5/181 مرسلاً عن السدي من رواية أسباط، وقد مضى الكلام على هذا السند ص (56).

(5) في (م): (مخفف).، وفي (ك): (تخففا).ولعل الصواب ما أثبته.

(6) في (ك): (من).

7) قرأها بالتخفيف نافع والكسائي، وتوجيهها على نحو ما ذكره المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/159، والبحر المحيط 4/116، والنشر 2/193.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/182.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/182، وتفسير ابن كثير 2/135.

(10) انظر: تفسير الطبري 5/182، وزاد المسير ص 434.

(11) انظر: الكشاف 2/18، والجامع لأحكام القرآن 6/.382.

(12) وهو المدخل المحفور في الأرض ولا منفذ له. انظر: زاد المسير ص 435، ولسان العرب (س ر ب) 6/227، والمعجم الوسيط (س ر ب) ص425.

سلماً إلى السماء فارق فيه، وأتهم بآية كما يطلبون[1].

وسمي السلم سلماً؛ لأنه يسلمك إلى المكان الذي ترقى إليه سالماً[2]، وتقديره: إن استطعت هذا فافعل[3].

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ الذين يتمنون ما لا يقدرون عليه، فإنك لا تقدر على هدايتهم، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات[4].

وهذا كله تسلية للرسول [ﷺ] ليخف حزنه على كفر قومه، فلما خف عنه واستراح وضع عن قلبه ثقل الهم الذي كان قد أثقل ظهره حمله، فهو قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ على أحسن الأقوال[5].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾[الآية:36] أي: إن هؤلاء الكفار كأنهم صم إذ لم يوفقوا، فهم لا يسمعون، وما يستجيب لدعوتك والإيمان بك إلا من يسمع[6]، ثم أخبر الله بالبعث رداً على منكريه.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا﴾[الآية:37] أي: لم لا نزل على محمد آية كعصا موسى وناقة صالح؟[7].

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ كما سألوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وجه المصلحة، وذلك أن الأمم المتقدمة كانوا إذا أتتهم الآيات فكفروا أهلكوا[8]، وأراد الله تأخير هذه الأمة فلم يجبهم لما سألوا من الآيات، وهو قوله ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا

(1) انظر: تفسير الطبري 5/183، 182، والجامع لأحكام القرآن 6/383، 382.
(2) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/244.
(3) انظر: تفسير الطبري 5/183، ومعاني القرآن للزجاج 2/244.
(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن 6/383.
(5) سورة الشرح، الآيتان (2، 3)، وفي المراد بالوزر هنا أقوال، منها ما أشار إليه المؤلف، والمشهور: أن المراد ثقل الذنوب التي كانت أيام الجاهلية، كما قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ سورة الفتح، الآية (2)، ولم يذكر الطبري ولا ابن كثير غيره. انظر: تفسير الطبري 12/626، وزاد المسير ص 1564، وتفسير ابن كثير 4/560، وروح المعاني 15/389.
(6) انظر: تفسير الطبري 5/184، ومعاني القرآن للزجاج 2/245.
(7) انظر: زاد المسير ص 435.
(8) في (ك): (هلكوا).

ٱلْأَوَّلُونَ)[1].

(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ)[الآية:38]كل ما يدب أو[2] يمشي فهو داب٠٠، والهاء للمبالغة[3].

وقوله (يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) تأكيد؛ لأن جري الآدمي وغيره يسمى طيرانا تجوزاً، فهو كقولك: قال فلان بلسانه، فإنه قد يتجوز بالقول عن الكتابة ونحوها[4].

ومعنى الآية أن جميع الحيوانات أمم أمثال بني آدم في الأرزاق والآجال[5]، ك٠ت٠ب٠ في اللوح المحفوظ أمور٠ الجميع، وهو قوله (مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ) يعني اللوح المحفوظ، فيه علم كل شيء، ومن قال: إن الكتاب هنا القرآن فقد أبعد[6].

وقوله (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾) دليل على بعث جميع الحيوانات ووقوفها في المحشر[7].

(وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي[ٱلظُّلُمَٰتِ)[الآية:39] أي: في][8] ظلمات الكفر، لا يسمعون الهدى، ولا ينطقون بالحق والإيمان، فكأنهم صم خ٠رس[9].

من يشأ الله إضلاله[10] يضلله، ومن يشأ هدايته يجعله على طريق[11] مستقيم[12].

---

1) سورة الإسراء، الآية (59). وانظر: تفسير الطبري 5/185، والتفسير الكبير 12/174، وتفسير ابن كثير 2/135.
(2) في (م): (أي).
(3) أو على تقدير:نفس دابة. انظر: تفسير الطبري 2/69، والبحر المحيط 1/630،629.
(4) وقيل: بل هو تأكيد لشمولية لفظ طائر لكل ما يطير بجناحين. انظر: الهداية 3/2014، والبحر المحيط 4/125 ، والتحرير والتنوير 6/88.
(5) انظر: الهداية 3/2015، وزاد المسير ص 436.
(6) انظر: تفسير الطبري 5/187، ومعالم التنزيل 2/21، وزاد المسير ص 436.
(7) وهو الراجح، وهذا على أن ضمير (يُحْشَرُونَ) عائد إلى الأمم المذكورة في الآية، وأن الحشر هو البعث يوم قيامة لا موتها كما هو قول بعض المفسرين. انظر: تفسير الطبري 5/187 والبحر المحيط 4/126، وتفسير ابن كثير2/136.
(8) سقطت من (م).
(9) انظر: تفسير الطبري 5/188، والجامع لأحكم القرآن 6/386.
(10) في (ك): (ضلالته).
(11) في (ك): (صراط).
(12) فمفعول (يَشَأْ) محذوف، وتقديره كما قال المؤلف. انظر: البحر المحيط 4/128.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾[الآية:40]أي: أرأيتم أنفسكم[1] إن أتاكم عذاب الله في الدنيا، أو أتتكم الساعة: أغير الله تدعون؟ أي: أتسألون[2] أصنامكم كشف الضر عنكم إن كنتم صادقين أنهم آلهة؟[3].

﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾[الآية:41]أي: بل تدعون الله وحده[4]﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ﴾من أجله[5] ﴿إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ﴾آلهتكم، وهذا مثل قوله ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[6].

ثم خوفهم الله بإهلاك من قبلهم لما جاءتهم الرسل وامتحنوا بالبأساء، أي: الفقر، والضراء: البلايا والأمراض [والأوجاع][7]، فلم يتضرعوا إلى الله ويؤمنوا به.

﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم [بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ]﴾[8] [الآية:43] أي: فلم لا آمنوا وتضرعوا [في][9] وقت البلاء، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان الكفر[10].

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[الآية:44] أي: تركوا العمل بما ذكروا به من كتب الله[11]﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾أي: أبواب النعم[12]، يعني: وسعنا عليهم الأرزاق على وجه الاستدراج[13]﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾أي: فرحوا بما أعطاهم الله في الدنيا، فأمنوا مكر الله وعقابه أخذهم بغتة على غفلة[14]﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾أي: هالكون، وقيل: آيسون،

(1) هذا مذهب الكسائي وغيره: أن الكاف في محل نصب على المفعولية، فيؤول المعنى بما أوّله به المؤلف، ونحاة البصرة على أن الكاف حرف خطاب لا محل له من الإعراب. انظر: تفسير الطبري 5/189، والجامع لأحكام القرآن 6/387، والبحر المحيط 4/129، والتحرير والتنوير 6/93، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم 1/266.

(2) في (ك): (تسألون).

(3) انظر: تفسير الطبري 5/190.

(4) فتقديم ضمير المفعول به للحصر، وقيل غير ذلك. انظر: الكشاف 2/21، والبحر المحيط 4/132.

(5) انظر: الهداية 3/2020.

(6) سورة الإسراء، الآية (67)

(7) سقطت من (م)، وتفسير البأساء والضراء هو كما قال المؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/190، وتفسير ابن كثير 2/137.

(8) سقطت من (م).

(9) سقطت من (ك).

(10) انظر: الهداية 3/2022، 2021.

(11) انظر: تفسير الطبري 5/192، ومعالم التنزيل 2/22.

(12) في (ك): (أبواب النقم).

(13) انظر: الهداية 3/2022، والمحرر الوجيز /292.

(14) انظر: تفسير الطبري 5/193، 192، والجامع لأحكام القرآن 6/389.

وقيل: أي: لا حجة لهم، وسمي إبليس· إبليس· من هذا[1].

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[الآية:45] أي: كفروا[2]، ومعناه: استأصلهم العذاب، فلم يبق منهم أحد[3]﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ على إظهار أهل طاعته، ونصرهم على عدوهم[4].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾[الآية:46] أي: إن أصمكم وأعماكم[5]﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فأذهب عقولكم[6]﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يخلق لكم سمعاً أو بصراً أو عقلاً، والضمير في ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ أي: بما ذهب من الإدراك[7].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نتابع الحجج وضرب الأمثال[8]﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [أي: يعرضون][9]، ومنه: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾[10] أي: أعرض[11].

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: الكافرون، فأما المؤمنون فلا يصيبهم العذاب[12].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾[الآية48:] للمؤمنين بالثواب ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ للكافرين بالعقاب[13]، ومعناه: ما أرسلناهم لتقترح عليهم أممهم الآيات[14]،﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: صدق برسالتهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله فهو من الآمنين من العذاب[15].

---

(1) انظر هذه الأقوال وغيرها في معنى ﴿مُّبْلِسُونَ﴾ في: تفسير الطبري 5/194، 193، وزاد المسير ص 438، 437، والبحر المحيط 4/134.
(2) انظر: البحر المحيط 4/134.
(3) انظر: تفسير الطبري 5/194، ومعالم التنزيل 2/22.
(4) انظر: تفسير الطبري 5/194، وزاد المسير ص 438.
(5) انظر: تفسير الطبري 5/195، ومعالم التنزيل2/23.
(6) انظر: معالم التنزيل 2/23، والكشاف 2/23.
(7) انظر: تفسير الطبري 5/195، والبحر المحيط 4/135.
(8) انظر: تفسير الطبري 5/195.
(9) سقطت من (ك). وانظر: معاني القرآن للزجاج 2/249، والكشاف 2/23.
(10) في (ك): (صدف عنها) دون واو. والآية من سورة الأنعام، ورقمها (157).
(11) انظر: تفسير الطبري 5/403.
(12) انظر: معالم التنزيل 2/23، وتفسير ابن كثير 2/138.
(13) انظر: تفسير الطبري 5/196، وتفسير ابن كثير 2/138.
(14) انظر: الكشاف 2/23، والجامع لأحكام القرآن 6/392.
(15) انظر: تفسير الطبري 5/197.

(قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ)[الآية:50] أي: قل للمشركين: لا أقول لكم إني إله عندي خزائن الأرزاق[1]، وقيل: خزائن العذاب، وقيل: معناه: لا أقدر أن آتيكم بآية إلا أن يفعلها الله [لي][2].

(وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ) من الملائكة (إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ) أي: إنما أنا بشر مثلكم، وما أتبع إلا ما يوحي الله به إلي.

(قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ) عن آيات الله، وهو الكافر، أعمى القلب (وَٱلۡبَصِيرُۚ) المؤمن[3](أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠) في آيات الله، فتستدلون على وحدانيته وكمال قدرته وأنه يحيي الموتى[4].

(وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ)[الآية:51] أي: ذكر بالقرآن الذين آمنوا به، فهم يخافون الوقوف بين يدي ربهم، وقيل: [معناه][5]: يعلمون أنهم مبعوثون[6].

(لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ) أي: لم يعتقدوا من دونه إلها آخر، فيتخذوه وليا ناصراً، أو شفيعاً عند الله، كما يقول الكفار: نعبد الأصنام ليقربونا إلى الله[7](لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٥١) أي: أنذر المؤمنين بالقرآن؛ فإنهم يتعظون ويتقون[8].

[قوله تعالى][9] (وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ)[الآية:52]الآيات.

---

(1) في (ك): (عندي خزائن الله خزائن الأرزاق).

2) سقطت من (ك). وانظر في المراد بخزائن الله: معاني القرآن للزجاج 2/250، ومعالم التنزيل 2/23، والجامع لأحكام القرآن 6/393، والبحر المحيط 4/137.

(3) انظر في تفسير الأعمى والبصير: تفسير الطبري 5/197.

(4) انظر: تفسير الطبري 5/197.

(5) سقطت من (ك).

(6) والقول الثاني هو قول الطبري. انظر: تفسير الطبري 5/24، ومعالم التنزيل 2/24، والبحر المحيط 4/138.

(7) يشير إلى قوله تعالى (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ) سورة الزمر، الآية(3).

وما قاله المؤلف في معنى آية سورة الأنعام هو أحد القولين فيها، والقول الآخر: أنه حكاية الحال في يوم القيامة، أن الناس يوم ذاك لا ولي لهم ولا شفيع من عذاب الله إن عذبهم. انظر: تفسير الطبري 5/198، المحرر الوجيز 2/294، والبحر المحيط 4/138، وتفسير ابن كثير 2/139.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/198.

(9) سقطت من (ك).

هذه الآيات نزلت في قضية[1] الفقراء الذين كانوا يجالسون رسول الله ﷺ، كبلال وصهيب وخباب وعمار ونحوهم، وهم الذين لما قدموا المدينة أقاموا في ص·ف··ة المسجد، فس·م··وا أهل الص··ف··ة[2]، فأما هذا الذي نزل في أمرهم[3] فإنما نزل بمكة حين كانوا يجلسون حول رسول الله ﷺ، فيأتي رؤساء العرب من قريش وغيرهم، فيقولون: يا محمد، إن أردت أن يتبعك رؤساء الناس فاطرد هؤلاء الفقراء [عنك، فإنا نستحي أن ترانا العرب جلوساً بين هؤلاء][4] الأعبد[5].

قيل: إن قائل هذا أبو طالب[6].

وقيل: الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري[7]، وكانا رئيسين وأسلما، وفي إيمانهما[8] ضعف، وكان النبي ﷺ يلاطفهما رجاء تقوية إيمانهما.

وفي هذه القضية أيضاً نزلت الآيات في سورة الكهف ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾[9].

ومعنى ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ أي: يذكرونه ويسألونه في كل وقت، وقيل: عنى بالغداة صلاة الصبح، والعشي صلاة العصر، وقيل: عنى به الصلاتين اللتين كان المسلمون

---

(1) في (ك): (قصة).

2) الصفة: موضع مظلل في آخر المسجد النبوي، قد أعد للغرباء الذين لا أهل لهم ولا مأوى، وأكثرهم من فقراء المهاجرين، يقل عددهم ويزيد حسب اختلاف أحوال من يتزوج منهم ويسافر ويموت إلى غير ذلك، فقيل: لغوا أربعمائة، غير أن أبا نعيم قد عد منهم قرابة المئة، وذكر فيهم كل من ذكر المؤلف إلا عمار بن ياسر، ولم جد فيما اطلعت عليه من ذكر أن عماراً كان من أهل الصفة. انظر: حلية الأولياء 1/337-2/33، والنهاية في غريب الحديث ص 513، وفتح الباري 6/727 و11/345-347، والمعجم الوسيط ص 517، وأطلس الحديث النبوي ص 237.

(3) هذه الكلمة غير واضحة في (ك).

(4) سقطت من (ك).

(5) رواه بمعناه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة (2413) 5/560، وانظر: تفسير الطبري 5/199-201.

(6) رواه الطبري في تفسيره 5/200 من رواية ابن جريج عن عكرمة مرسلاً.

7) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء (4127) ص 687 من حديث خباب رضي الله عنه، وقال ابن كثير في تفسيره 2/139:«وهذا حديث غريب، فإن الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر»، وقد صححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

(8) في (ك): (إسلامهما).

(9) سورة الكهف، الآية (28). وقد جاء هذا في الرواية التي أخرجها ابن ماجه، وقد سبقت قبل قليل.

(10) في (ك): (يصلونها).

يصلونهما[10] قبل أن تفرض الصلوات الخمس[1].

وقوله ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي: يخلصون، لا يعملون إلا لله تعالى[2].

ويقال: إن أهل الصفة كانوا ثمانين رجلاً[3]، لهم ثوب واحد، وفي وسط كل واحد سترة[4]، فمن أراد أن يخرج لبس هذا الثوب[5].

وهؤلاء فقراء الصحابة، وأئمة الصوفية[6]، وكان خادمَهم أبو هريرة[7]، وكان النبي ﷺ إذا رآهم يقول: «مرحباً بمن عاتبني ربي فيهم»[8].

ومنهم البراء بن مالك[9] -أخو أنس- الذي قال النبي ﷺ فيه: «رب أشعث أغبر ذي طِمْرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبر قسمه»[10].

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[الآية:53] أي: جعلناه سبب فتنته؛ وذلك أن الرؤساء

---

1) وقيل: هي إشارة إلى الصلوات الخمس. انظر: تفسير الطبري 5/201-204، ومعالم التنزيل 2/25، وزاد المسير ص 440.

(2) انظر: معالم التنزيل 2/25، وتفسير ابن كثير 2/139.

3) في (م): (وكان يقال أهل الصفة ثمانين رجلاً). وقد سبق في بداية تفسير الآية أن عددهم يقل ويزيد بحسب اختلاف الأحوال.

4) السترة في اللغة ما يستر به. انظر: القاموس المحيط (س ت ر) ص 404، ويبين صفتها ما ورد في الحاشية اللاحقة.

5) هذا معارض بما رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد (442) 1/694 عن بي هريرة رضي الله عنه قال: رأيت سبعين من أصحاب الصفة، ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته.
كذا ما رواه الإمام أحمد في الزهد 1/7 قال: حدثنا وكيع قال: حدثني فضيل -يعني ابن غزوان-، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: رأيت سبعين من أهل الصفة، يصلون في ثوب. ثوب.، فمنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من هو سفل من ذلك، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته. ورجاله ثقات. انظر تراجمهم في تقريب التهذيب -على ترتيب الإسناد- (2492،5469،7464).

6) لكنهم إنما كانوا يقيمون في الصفة لفقرهم وحاجتهم وعدم المأوى، وليس اختياراً منهم للفقر، وتركاً للتكسب كما هو دأب المتصوفة، فما وجه انتمامهم بهم؟. انظر: مجموع الفتاوى 11/29،28، وفرق تنتسب إلى الإسلام 3/869-873.

7) قال أبو نعيم في الحلية 1/377،376:«وهو أشهر من سكن الصفة واستوطنها طول عمر النبي ﷺ، ولم ينتقل عنها، وكان عريف من سكن الصفة من القاطنين ومن نزلها من الطارقين، كان النبي إذا أراد أن يجمع أهل الصفة لطعام حضره تقدم إلى أبي هريرة ليدعوهم ويجمعهم، لمعرفته بهم وبمنازلهم ومراتبهم».

8) الوارد أن النبي قال ذلك لابن أم مكتوم، وقد عده أبو نعيم في أهل الصفة. انظر: حلية الأولياء 2/4. وهذا الحديث الوارد في ابن أم مكتوم لم أجده مسنداً، وإنما أورده الثعلبي في الكشف والبيان 10/131، والواحدي في أسباب النزول ص 479 بلا إسناد.

(9) ذكره أبو نعيم في أهل الصفة. انظر: حلية الأولياء 1/350.

(10) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك (3854) ص 867، وصححه الألباني في تعليقه عليه.
الأشعث: هو متفرق شعر الرأس، والأغبر: مغبرُّ البدن، و«ذي طمرين» أي: صاحب ثوبين خلقين، و«لا يؤبه له» أي: لا يبالى به ولا يلتفت إليه. انظر: تحفة الأحوذي 10/240.

قالوا: لو كان هذا الدين خيراً ما سبقنا هؤلاء الفقراء إليه، فكان ذلك فتنة في حقهم[1]، وهو قولهم ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ﴾ أي: بالإسلام[2]، وقولهم ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾[3]، فرد الله سبحانه عليهم فقال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ أي: هو أعلم [منكم][4] بمن هو خير، وقد علم أن هؤلاء يؤمنون ويشكرون، وأنتم تكفرون[5].

وقيل: إنما قصد قريش طرد الفقراء عن النبي ﷺ لأن أهل الكتاب كانوا يقولون: من سبق إلى الإيمان به؟ فيقال لهم: إنما سبق إليه الفقراء، فيقولون: هو رسول الله؛ فإن كل رسول أرسل أول من يتبعه الفقراء، فقصدت قريش طرد الفقراء لأجل هذا، ليخفوا هذه الدلالة والعلامة على صدقه ﷺ[6].

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[الآية:54] يعني: الفقراء[7]، فقل لهم: سلام عليكم، فكان يبالغ في إكرامهم بعد نزول هذه الآية[8].

﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ أي: تفضل بأن جعل الرحمة للمؤمنين، وكتب كتاباً فيه: «رحمتي سبقت [غضبي]»[9].

﴿أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ أي: ذنباً بجهل، وكل من عمل معصية فإنما عملها جهلاً بقدر الذنب وقدر عقوبته وإن علم تحريمه[10]، فإن التعظيم والخشية [والخوف][11] معان تجعل في القلب زائدة على العلم، كما أن المحبة زائدة على

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/25، والمحرر الوجيز 2/296، وتفسير ابن كثير 2/140.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/205.
(3) سورة الأحقاف، الآية (11).
(4) سقطت من (ك).
(5) انظر: الكشاف 2/27، والبحر المحيط 4/142، وتفسير ابن كثير 2/140.
(6) أورد هذا القول في الهداية 3/2034.
(7) وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 5/205، ومعالم التنزيل 2/26.
8) جاء هذا في الرواية التي أخرجها ابن ماجه من روايات سبب نزول الآية السابقة، وقد مضى تخريجها قبل قليل.
9) سقطت من (م). وانظر: معالم التنزيل 2/26، وتفسير ابن كثير 2/140. وقد وقد ثبت في الصحيحين عن النبي قال:«لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ (7404) 13/469، ومسلم في صحيحه -واللفظ له-، كتاب التوبة (2751) 6/224.
(10) انظر: معالم التنزيل 2/26، والتفسير الكبير 13/5، وتفسير أبي السعود 3/140.
(11) سقطت من (ك).

العلم، فقد تعلم وجود شيء من الأشياء ولا تحبه ولا تعظمه.

ومن فتح الهمزة في (أَنَّهُۥ) جعلها بدلاً من (ٱلرَّحۡمَةَ) وتقديره: كتب أنه، ومن كسرها فعلى الابتداء، ويقف على (ٱلرَّحۡمَةَ)[1].

(وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ)[الآية:55]أي: نبينها ونأتي بها مفرقة لتفهم[2].

(وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٥٥﴾) بالرفع أي: وليظهر لكم طريق المجرمين وتبين لكم فتحذروها[3]، وتقرأ (وَلِتَسۡتَبِينَ) بالتذكير والتأنيث والمعنى واحد، ومن قرأ ﴿سبيلَ﴾ بالنصب فالتاء في (لتستبين) تاء الخطاب عنده، أي: ولتعلم يا محمد طريق المجرمين فتنهى الناس عنها[4].

(قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ)[الآية:56]أي: في عبادة غير الله[5](قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا)أي: إن وافقت أهواءكم[6].

(قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ)[الآية:57] أي: [على][7] حجة بينة، وطريق واضح من عند ربي، ويعني به: القرآن، (وَكَذَّبۡتُم بِهِۦ) أي: بالقرآن، وقيل: أتى بالتذكير على المعنى؛ لأن البينة بمعنى البيان[8].

(مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ)أي: العذاب ليس بيدي[9]، ما الحكم في ذلك إلا لله.

---

1) قرأ بفتح الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب، وقرأ الباقون بكسرها، ومن كسر وقف على (ٱلرَّحۡمَةَ)، ثم استأنف وابتدأ الكلام (أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا...)، وتوجيه الفتح على نحو ما ذكر المؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/206، والحجة لأبي علي الفارسي 2/163، والبحر المحيط 4/144، والنشر 2/194.

(2) انظر: تفسير الطبري 5/207، وزاد المسير ص 441.

(3) في (ك): (فتجدوها).

4) قرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة (وليستبين) بالتذكير، وقرأ الباقون بالتأنيث (وَلِتَسۡتَبِينَ)، وذلك لأن (السبيل) يذكر ويؤنث.
وقرأ نافع وأبو جعفر (سبيلَ) بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع، وتوجيه القراءتين على نحو ما ذكر المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/164-166، والبحر المحيط 4/145،144، والنشر 2/194.

(5) انظر: تفسير الطبري 5/208.

(6) انظر: الكشاف 2/28، والجامع لأحكام القرآن 6/399.

(7) سقطت من (ك).

(8) وقيل: المعنى: إني على برهان بيان من توحيدي وعبوديتي لله، وكذبتم أنتم بربكم. قيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 5/209، ومعالم التنزيل 2/27، والكشاف 2/29، والبحر المحيط 4/145.

(9) كتبت في (ك): (لبئس يبتدئ). وانظر: تفسير الطبري 5/209.

﴿ي·ق·ض· الحق﴾ بضاد معجمة، من القضاء، أي: يقضي بالحق، ويحكم بالعدل، ومن قرأ بصاد مهملة فهو من قص يقص، أي: يخبر بالصدق[1].

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ أي: خير الحاكمين، يفصل بين الحق والباطل بحكمه وعدله[2].

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى﴾[الآية:58]أي: لو كان العذاب بيدي لعج··لته[3]﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ بيننا.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾[الآية:59] أي: الغيوب التي كأنها مغلقة عندنا لعدم علمنا بها عند الله مفاتحها، أي: هو عالم بها، فهي مفتوحة معلومة عنده[4]، ومفاتح جمع مفتح، ومفاتيح جمع مفتاح[5].

وروي أن النبي ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس، ثم قرأ آخر لقمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية[6].

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في بطون الأودية[7]﴿فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ أي: في اللوح المحفوظ[8].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[الآية:60]أي: يقبض أرواحكم وقت النوم[9]، كقوله ﴿وَٱلَّتِى

---

1) قرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر ﴿يَقُصُّ﴾ بالصاد، وقرأ الباقون بالضاد، وتوجيه القراءتين على نحو ما ذكر المؤلف، غير أنه قيل في قراءة من قرأ بالصاد: إنها من قص الأثر بمعنى اتباع الأثر، فالله تعالى يجري حكمه وقضاءه على أثر الحق. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/167،166، والبحر المحيط 4/146، والنشر 2/194، والتحرير والتنوير 6/133.

(2) انظر: الهداية 3/2041، وتفسير ابن كثير 2/141.

(3) انظر: زاد المسير ص 442، وتفسير ابن كثير 2/141.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/6، وتفسير أبي السعود 3/143.

(5) انظر: تفسير الطبري 5/210، وزاد المسير ص 443.

(6) الآية من سورة لقمان، ورقمها (34). والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (4627) 8/368.

7) انظر: الهداية 3/2044، والمشهور أن المراد باطن الأرض. انظر: معالم التنزيل 2/29، وزاد المسير ص 442، والجامع لأحكام القرآن 7/8، والبحر المحيط 4/149.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/211.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/211، وتفسير ابن كثير 2/142.

(10) سورة الزمر، الآية (42).

لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا)[10] [أي: يتوفاها في منامها][1]، وإذ نام الإنسان خرجت روحه، ثم تعود إليه إذا استيقظ، فالنوم هو الموت الأصغر[2].

(وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم) أي: [ما][3] اكتسبتم من طاعة ومعصية ومباح، ومنه سميت الأعضاء جوارح[4](ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) أي: في النهار[5]، ومعنى (يَبْعَثُكُمْ) أي: يرد إليكم أرواحكم فتستيقظون[6](لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى)أي: يرد أرواحكم حتى تنقضي آجالكم فيقبضها عند الموت[7].

(وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً)[الآية:61]هم الذين يكتبون الأعمال[8](تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا)أي: قبضت الملائكة روحه، فيسلمونها إلى ملك الموت، وقيل: إن ملك الموت هو الذي يقبضها، ثم يسلمها لملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب[9].

(ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ)[الآية:62]أي: رد الناس كلهم إلى حكم الله[10](مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ) وهو مولاهم على الحقيقة، ومن اتخذ مولى غيره فليس بحق[11](أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾) أي: المحاسبين، لا يشغله حساب عن حساب[12].

---

(1) سقطت من (ك). وانظر: زاد المسير ص 1232.

2) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/9، وتفسير ابن كثير 143،142. وقد اختلف العلماء في كيفية توفي الأنفس حين نامها، وهل فيه خروج للروح من البدن؟ أم هو حد من اتصالها به؟ أم غير ذلك؟ ولا دليلَ قاطعٌ يجب التسليم له شيء من ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سورة الإسراء، الآية (85). انظر: الجامع لأحكام القرآن 15/227-231، والروح ص 103، وفتح القدير 4/612، 611.

(3) سقطت من (م).

(4) وقيل: ما كسبتم من الآثام. انظر: تفسير الطبري 5/212، والهداية 3/2046، والبحر المحيط 4/150.

(5) انظر: البحر المحيط 4/151.

(6) انظر: تفسير الطبري 5/213، ومعاني القرآن للزجاج 2/258.

(7) انظر: تفسير الطبري 5/213، والجامع لأحكام القرآن 7/9.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/214، ومعالم التنزيل 2/29.

(9) انظر القولين في تفسير الطبري 5/215،214، والجامع لأحكام القرآن 7/10.

10) في (ك): (إلى حكمه). وقال الطبري:«ثم رَدّت الملائكةُ الذين توفوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم إلى الله سيدهم الحق» تفسير الطبري 5/216، وانظر: معالم التنزيل 2/29، وتفسير ابن كثير 2/143، ولا حاجة لهذا التقدير الذي أقحمه غير أهل السنة، وهو ما حكاه المؤلف بقوله «إلى حكم الله». انظر: الكشاف 2/31، والتفسير الكبير 13/15، والبحر المحيط 4/153.

(11) انظر: المحرر الوجيز 2/301، والجامع لأحكام القرآن 7/11.

(12) انظر: الهداية 3/2052.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[الآية:63] أي: من شدائدهما وكروبهما[1]﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾بألسنتكم ﴿وَخُفْيَةً﴾ في نفوسكم[2]، فإذا نجاكم أشركتم وعبدتم غيره.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[الآية:64]كالرجم والمطر والطوفان ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف[3]﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أي: يخلطكم فرقاً[4]، ويذيقكم الفتن [فيما بينكم][5].

وتقدير الكلام: أتشركون إذا أنجاكم[6] من البحر وتظنون أنكم قد أمنتم؟ وهو قادر على أن يعذبكم في غير البحر: رجم، أو خسف، أو سيف[7]، فهو مثل قوله ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ الآية[8].

وقيل: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾نسلط عليكم ملوكاً ظلمة ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾نبتليكم برعاع الناس وعوامهم فيؤذونكم، والأول أصح[9].

وروي أن النبي ﷺ سأل الله أن يكفي أمته عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم، [فاستجيب له][10]، وسأل الله أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم يستأصلهم كلهم، فاستجيب له، وسأل الله أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنع من ذلك، فلا يزال الهرج[11]

---

(1) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/258، والهداية 3/2052.

(2) انظر معنى ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ في معاني القرآن للزجاج 2/259، والمحرر الوجيز 2/302.

(3) انظر تفسير ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ في: تفسير الطبري 5/217، ومعالم التنزيل 2/30.

(4) في (ك): (فريقاً).

(5) سقطت من (ك). وانظر: تفسير ابن كثير 2/144، والجامع لأحكام القرآن 7/12.

(6) في (ك): (نجاكم).

(7) انظر: تفسير ابن كثير 2/144، وتفسير أبي السعود 3/146.

(8) سورة الإسراء، الآية (68).

(9) انظر: تفسير الطبري 5/218، وتفسير ابن كثير 2/148.

(10) سقطت من (ك)، والكلمة بعدها بفاء لا بواو (فسأل).

(11) الهرج: القتال والاختلاط. انظر: النهاية في غريب الحديث ص 991.

إلى يوم القيامة[1].

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ﴾ أي: ب‍القرآن[2]﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾﴾ أحفظ عليكم أعمالكم، إنما أنا رسول[3]، وقيل: إنه منسوخ بالسيف[4].

﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ [مُّسۡتَقَرّٞ]﴾[5] [الآية:67] أي: لكل خبر قرار ونهاية، وستعلمون نهاية هذا الخبر، فعلموه يوم بدر[6].

[قوله تعالى][7] ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾[الآية:68] يعني: المشركين الذين يستهزئون بالقرآن[8]﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: لا تجالسهم[9]، وكان المشركون يجالسون الرسول [ﷺ] ليستهزئوا بالقرآن، فنهاه الله عن مجالستهم[10].

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ [ٱلشَّيۡطَٰنُ]﴾[11] أي: وإن ينسينك، وما زائدة[12]، ومعناه إن نسيت فجلست معهم، ثم تذكرت ما نزل إليك في ذلك ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي: بعد أن تتذكر النهي[13].

1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة (2890) 6/341 بلفظ «سألت ربى ثلاثا، فأعطانى نتين، ومنعنى واحدة، سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالسنة، فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها». وروى البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ...﴾ (4628)8/369 عن جابر رضي لله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ قال رسول الله : «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ قال رسول الله : « هذا أهون» أو «هذا أيسر».

(2) في (ك): (أي القرآن). انظر: تفسير الطبري 5/224، والبحر المحيط 4/156.

(3) انظر: تفسير الطبري 5/224، والكشاف 2/33.

(4) وقد رده العلماء. انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس 2/318،317، ونواسخ القرآن ص 154،153.

(5) سقطت من (ك).

6) وقيل: سيعلمون عاقبة الأخبار التي أخبروا بها، فما كان في الدنيا علموه فيها، وما كان في الآخرة علموه فيها. انظر: تفسير الطبري 5/224، ومعالم التنزيل 2/32، والبحر المحيط 4/156.

(7) سقطت من (ك).

(8) انظر: تفسير الطبري 5/225، والكشاف 2/33.

(9) في (ك): (فأعرض عنهم ولا تجالسهم). وانظر: تفسير الطبري 5/225، ومعالم التنزيل 2/32.

10) هذا ظاهر كلام ابن جريج كما في تفسير الطبري 5/227، والهداية 3/2059، ولا مانع من كون النبي هو الذي جلس إليهم ليدعوهم، كما في الجامع لأحكام القرآن 7/15.

(11) سقطت من (م).

(12) وزيادتها للتأكيد. انظر: الدر المصون 1/299،298.

(13) انظر: تفسير الطبري 5/225، والجامع لأحكام القرآن 7/17.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾[الآية:69]أي: وما على المؤمنين من إثم ما يستهزئون شيء[1] ﴿وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ﴾ أي: ولكن قيامكم عنهم ذكرى وموعظة وتأديب في حقهم لعلهم يتقون[2].

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾[الآية:70] قيل: إنه منسوخ بالسيف[3]﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ﴾ أي: بالقرآن[4] ﴿أَن تُبۡسَلَ﴾ أي: لئلا تبسل[5]﴿نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ ومعنى تبسل: ترتهن وتحبس، وقيل: تخزى[6]، وقيل: تفضح، وأصل أبسلت المكان: أي: حرمته ومنعته[7]﴿وَإِن تَعۡدِلۡ﴾أي: تفتدي بكل فدية[8].

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا﴾[الآية:71]أي: نرجع عن الإسلام، والعرب تقول لكل من رجع إلى نقصان أو خسران: قد ر·د·· على عقبيه[9].

ثم ضرب [الله][10] مثلاً للذي يرد على عقبيه فقال: ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أي: أضلوه عن الطريق، أو زينوا له هواه[11]﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾أي: حائر عن الطريق[12]، يقولون: ائتنا؛ فإن الطريق عندنا، وهو حائر مع الشياطين، ومعنى الآية: أيرجع[13] عن الإسلام،

---

(1) انظر: تفسير الطبري 5/226، ومعالم التنزيل 2/32، والكشاف 2/33.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/227، ومعاني القرآن للزجاج 2/261.
(3) يريد: بآية السيف. انظر: الهداية 3/2062، ونواسخ القرآن ص 155.
(4) انظر: تفسير الطبري 5/228، والبحر المحيط 4/160.
5) وقيل: مخافة أن تبسل، أو كراهة أن تبسل. انظر: الكشاف 2/34، والبحر المحيط 4/160، وتفسير ابن كثير 2/149.
6) لم يتبين لي: أهي تخزى، أم تجزى؟، فكتبت في (م) بالخاء، وهي في (ك) غير معجمة، واختلفت نسخ الهداية 3/2036 فكتبت في بعضها بالجيم، وفي بعضها بالخاء، وهي عند الطبري في تفسيره 5/229 بالجيم، وانظر (طبعة دار المعارف) 11/444، وفي معالم التنزيل2/33: تجازى، ولكن قد يختلف قائلها، والله أعلم.
7) في (م): (وأصل أبسلت المكان حرمته وسعته). وانظر هذه الأقوالَ وغيرَها وأصلَ الكلمة في: تفسير الطبري 5/229، 228، والهداية 3/2063، 2062، ومعالم التنزيل 2/33، زاد المسير ص 447، 446. وهي أقوال متقاربة. انظر: تفسير ابن كثير 2/149.
(8) انظر: تفسير الطبري 5/230، والكشاف 2/34.
(9) انظر: تفسير الطبري 5/231 والكشاف 2/35، والبحر المحيط 4/161.
(10) سقطت من (ك).
(11) في (ك): (وزينوا). وانظر: الهداية 3/2065، والبحر المحيط 4/161.
12) الفعل: (حار) يتعدى بـ (في)، فيقال: حار في كذا، ولم أجد أنه يقال: حار عن كذا. انظر: تفسير الطبري 5/232، وتاج العروس(ح ي ر) 11/116، 115.
(13) كذا في (ك)، وفي (م): (أرجع) مضمومة الألف.

فيكون كمن حار عن الطريق؟[1].

ويقال: إن المشركين أرادوا أن يغروا بعض المسلمين فنـزلت الآية[2].

ثم قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ والمعرض عنه كالحائر عن الطريق ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي: أمرنا أن نسلم[3] ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[الآية:72] صدق الله

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾[الآية:73] أي: بقوله كن، وقيل: معناه: خلقها حقاً، وقيل: خلقها لإقامة الحق، والأمر والنهي، والثواب والعقاب[4] ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: يوم القيامة يعيد الأشياء بقوله كن[5] ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو المنفرد بالحكم في ذلك اليوم[6]، والصور: قرن تجعل فيه الأرواح، ثم ينفخ فيه إسرافيل، فتخرج كل روح إلى جسدها في النفخة الأخيرة[7].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾[الآية:74] أي: واذكر إذ قال إبراهيم [لأبيه][8] آزر[9]، وكان اسم أبيه: آزر، وتارح، كإسرائيل ويعقوب[10].

وقيل: هو منادى حذف منه حرف النداء، فتقديره: يا آزر، وهو الشيخ بلغتهم،

---

1) سبق قبل قليل التنبيه على أن الفعل (حار) لا يتعدى بـ في. وانظر في معنى الآية: الهداية 3/2065، والكشاف 2/35.

2) روى الطبري عن السدي من طريق أسباط أن المشركين قالوا للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد ، فقال الله: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾، وقد سبق الكلام على هذا الإسناد ص (56).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/21، والبحر المحيط 4/163.

(4) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري 5/236،235، ومعالم التنزيل 2/32، وزاد المسير ص 447.

(5) وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 5/236، وتفسير ابن كثير 2/151.

(6) كقوله تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ سورة غافر، الآية (16). انظر: معالم التنزيل 2/34 ، والكشاف 2/37، وتفسير ابن كثير 2/151.

7) في (ك): (الأخرة). وقد جاء ما يدل على هذا الخبر في حديث الصور الطويل، وقد رواه الطبراني في لأحاديث الطوال 1/266-277، وروى بعضه البيهقي في شعب الإيمان 1/537-539 وضعفه، وقد بيّن ابن كثير في فسيره 2/154 غرابة هذا الحديث، وأن في بعض ألفاظه نكارة، وأن لبعضها شواهد، وأن في إسناده إسماعيل بن رافع، وقد تفرد برفعه، وهو ممن اختلف في شأنه، وأن من العلماء من نص على نكارة حديثه، والله أعلم.

(8) سقطت من (ك).

(9) انظر: تفسير الطبري 5/238، والمحرر الوجيز 2/310.

(10) انظر: تفسير الطبري 5/239، والجامع لأحكام القرآن 7/23.

وقيل: معناه: يا معوج، وقرأ بعضهم (آزر) بالضم على أنه منادى[1].

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[الآية:75]أي: ملك السماوات والأرض، والواو [والتاء][2] في ﴿مَلَكُوتَ﴾ للمبالغة[3].

وروي أن إبراهيم لما خافت عليه أمه من نمرود[4] ذهبت به إلى سرب[5] في جبل، فجعلته فيه، وبنت عليه الباب، فجعل الله رزقه في أصابعه، وألهمه مصها، فمكث [فيه][6] خمس عشرة سنة، ثم أتت أمه إلى السرب، فوجدته ، فلما خرج نظر إلى الشمس والقمر والنجوم[7] والجبال والشجر، فألهمه الله النظر فيها بعين الاعتبار، واحتج بها على قومه في إثبات العلم بالله، فهو قوله [تعالى][8] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ هذا قول ابن عباس وغيره[9].

وقال السدي: كشف لإبراهيم، فرأى ما فوق السماوات، وما تحت الأرضين، [ورأى الجنة][10]، فهو قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾[11] أي: أريناه مكانه في

---

(1) قرأ يعقوب (آزر) بالضم على النداء، ويصح عليها أن يكون (آزر) بمعنى: معوج، أو الشيخ. انظر: محتسب 1/332، والهداية 3/2074، المحرر الوجيز 2/310، والبحر المحيط 4/169، والنشر 2/195، وإتحاف فضلاء البشر ص 266.

(2) سقطت من (ك).

(3) انظر: تفسير الطبري 5/241، ومعاني القرآن للزجاج 2/265.

(4) بالدال والذال. انظر: لسان العرب (نمرد) (نمرذ) 14/291، 290، والقاموس المحيط(نمرود) ص 323.

(5) السرب: المدخل المحفور في الأرض ولا منفذ له. انظر: زاد المسير ص 435، ولسان العرب (س ر ب) 6/227، والمعجم الوسيط (س ر ب) ص425.

(6) سقطت من (ك).

(7) في (ك): (نظر إلى النجوم والشمس والقمر والنجوم...).

(8) سقطت من (ك).

(9) هذه المسألة: ما الذي أراه الله إبراهيم من ملكوت السماوات والأرض؟ فقول ابن عباس وجماعة من السلف: أنه أراه شمس والقمر والنجوم وما شابهها، وسيذكر المؤلف القول الثاني عن السدي: أنه كشف له السماوات والأرض، وهذه رواية التي ساقها المؤلف ونسبها إلى ابن عباس وغيره قد رواها الطبري عن ابن عباس مختصرة من رواية علي بن أبي طلحة -وقد مضى الكلام على قوة روايته عن ابن عباس ص(33)-، ورواها مختصرة كذلك عن مجاهد والضحاك، ورواها مبسوطة عن قتادة دون ذكر السنين، ورواها مطولة عن ابن إسحاق، وفيها أنه لم يلبث في المغارة إلا خمسة عشر ، أوردها في الهداية 3/2081، 2080 وجاء فيها: أنه «بلغ إبراهيم في المغارة خمس عشرة»، هكذا دون ذكر تمييز العدد: أسنوات ي أم أشهر؟، وفي بعض نسخها ذكر التمييز بالسنوات كما ذكر المؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/243، ومعالم التنزيل 2/38، والمحرر الوجيز 2/312. ولكن هذا كله لا يثبت إلا بخبر عن المعصوم ﷺ.

(10) سقطت من (ك).

(11) سورة العنكبوت، الآية (27).

الجنة[1].

وقوله ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ أي: لينظر عجائب المملكة، ويزداد يقيناً ومعرفة بالله[2].

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾[الآية: 76]أي: ستره بظلامه، ومنه الجُنة -بالضم- أي: السترة[3].

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ إنما قال هذا كله احتجاجاً على قومه في بطلان عبادة الأصنام، كأنه رتب عليهم دليلاً على التدريج:

لما طلع الكوكب قال: هذا خير من أصنامكم وأنور وأرفع؛ فهو أحق منهم بالعبادة، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ الكوكب -أي: غرب[4]- ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ۝٧٦﴾ يعني: أن هذا متغير زائل، والإله لا يتغير، فأبطل عبادة الكوكب[5].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾[الآية:77]أي: طالعاً[6]، قال لهم: هذا أنور من الكوكب، وأحق بالإلهية ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ أي: إن لم يرشدني ضللت مثل[7] ضلالكم[8]، وكان يخبرهم أن الهدى والضلال من أفعال الله تعالى[9].

ولما طلعت الشمس قال: هذا أكبر من القمر، واستدل على بطلان عبادة كل ما

---

(1) رواه الطبري في تفسيره 5/242 عن السدي من طريق أسباط، وقد مضى الكلام على هذا الإسناد ص (56)، وانظر: الهداية 3/2077.

(2) انظر: تفسير الطبري 5/243، والبحر المحيط 4/171.

(3) انظر: تفسير الطبري 5/244، ومعاني القرآن للزجاج 2/266، والجامع لأحكام القرآن 7/26.

(4) في (ك): (أي أغرب). وانظر: تفسير الطبري 5/246.

5) إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يقل هذه المقولة لما رأى الكوكب يتحرك، بل قالها لما أفل، فكان من الواضح أن مقصوده: أي: غاب أو غطاه ضوء الشمس، وحمل الآية على معنى الحركة والتغيّر تأويل بغير مسوغ. انظر: مجموع الفتاوى 5/326،325. وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة بعد قليل.

(6) انظر: تفسير الطبري 5/247، ومعاني القرآن للزجاج 2/267.

(7) في (ك): (مع).

(8) انظر: تفسير الطبري 5/247.

9) انظر: الكشاف 2/38. والهدى والإضلال من أفعال الله تعالى، ولكن الجبرية غلو في إثبات ذلك حتى سلبوا العبد إرادته وكسبه واختياره. انظر: شفاء العليل ص121-151.

دون الله بكونه متغيراً، فإن كل متغير حادث[1]، وقال عند ذلك: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨﴾صدق الله

وهذا دليل على أنه كان في مجادلة مع قومه، ويؤيده قوله ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ وقوله ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ ولا يجوز أن يعتقد في إبراهيم أنه شك في الله، ونظر في المصنوعات ليستدل بها؛ فإن رسل الله تعالى يخلقهم عارفين موحدين معصومين[2] عن الكبائر، فكيف لا يحفظون عن الشك والشرك؟[3].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾[الآية:79]أي: صرفت كليتي في العبادة [لله][4]، فالوجه هنا يراد به الذات[5]، ومعنى ﴿حَنِيفًا﴾مائلا عن الباطل إلى الحق[6].

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾[7][الآية:80] أي: خلق لي الهداية والمعرفة[8]، فخوفوه أن آلهتهم ربما أصابوه بسوء لأجل سبه إياهم[9]، فقال: ﴿وَلَآ أَخَافُ

1) هذا المذهب -وهو الاستدلال بالحركة والتغير على الحدوث- مذهب مبتدع، وقد نسبه المبتدعة إلى نبي الله براهيم عليه الصلاة والسلام، وكلامه واضح ظاهر، فإنه إنما استدل على عدم استحقاقها للعبادة بأنها زائلة، قال تادة: «علم أن ربه دائم لا يزول» ولذلك قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ٧٦﴾ وقد سبق من كلام المصنف أن الأفول هو الغروب، وتأويله بمعنى الحركة لا دليل عليه.
هذا الأصل الذي توهمه المبتدعة أصلاً -وهو أن الحركة تدل على الحدوث- لما التزموه ألجأهم إلى نفي جميع الصفات الاختيارية للباري جل وعلا.
والصحيح أن لفظ الحركة والانتقال وما شابهها لا يثبت لله تعالى ولا ينفى لكون الشرع لم يرد بإثباته ولا نفيه، وإنما نثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفات على ما يليق بجلاله، ومن ذلك مجيء الله يوم القيامة للحساب، وحديث نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا، وإن كان من أهل السنة من أثبت لفظ الحركة، وبعض أهل السنة يقول: معنى صحيح ولكن نمسك عن إطلاق اللفظ لعدم ورود النص بذلك، ولكن الصواب ما تقدم من وجوب الوقوف عند النص. انظر: تفسير الطبري 5/245-247، ومجموع الفتاوى 5/322-345، و16/236،235.

(2) في (ك): (فإن رسل الله تعالى بخالقهم عارفين موحدون معصومون).

3) وقد رجح هذا القول كثير من المفسرين كابن الجوزي والرازي وابن كثير للأدلة التي ذكرها المؤلف لغيرها، مخالفين بذلك الطبري رحمهم الله تعالى. انظر: تفسير الطبري 5/246، وزاد المسير ص 450، والتفسير الكبير 13/40،39، وتفسير ابن كثير 2/157،156.

(4) سقطت من (م).

5) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/268، والمحرر الوجيز 2/314، والجامع لأحكام القرآن 7/28، والبحر المحيط 4/174،173، وتفسير ابن كثير 2/157.

(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/268، والبحر المحيط 4/174.

(7) كتبت في (م): (هداني).

8) يشير بذلك إل أن الهداية من الله تعالى، وليست كناية عن إزاحة العلل ونحو ذلك. انظر: التفسير الكبير 13/46.

(9) في (م): (إبراهيم).

مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦ)أي: لا أخاف من أصنامكم إلا أن يشاء ربي أن يصيبني بسوء[1].

وكيف أخاف من أصنامكم وأنتم لا تخافون من الإله الحق، وقد أشركتم به ما لم ينـزل عليكم [فيه][2] حجة، ولا أمركم بعبادته (فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ)[الآية:81] يعني: من تركه[3] عبادة صنم، أو من تركه عبادة الله أيهم أحق أن يأمن من العذاب؟[4].

(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ)[الآية:82]أي: يخلطوا إيمانهم بشرك[5]، هذا من قول إبراهيم، وقيل: إخبار من الله تعالى[6].

ويقال: إن قوله هذا هو معنى قوله (ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ)[الآية:83]▯ ومعناها: إذا[7] كنتم تخوفوني بما لا يضر ولا ينفع فلم لا تخافون[8] أنتم ممن هو على كل شيء قدير؟[9].

(نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ)من قرأ (▯▯▯▯▯)بغير تنوين أضافها إلى (مَّن)▯ ومن ن٠و٠٠ن جعل (مَّن)في موضع نصب، تقديره: نرفع من نشاء درجات٠: درجة٠ الإسلام، ودرجة٠ الإيمان، ودرجة٠ الإحسان، ودرجة٠ النبوة، ودرجة٠ الرسالة، فاختص الله الرسل بهذه الدرجات[10].

(وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ)[الآية:84]أي: يعقوب بن إسحاق، ذكر إسحاق وولده؛

(1) انظر: تفسير الطبري 5/248، والكشاف 2/40.
(2) سقطت من (ك).
(3) كذا في النسختين، في هذه اللفظة، وبعد قليل مثلها، ولم يتبين لي وجهها، غير أن مراد المؤلف مفهوم.
(4) انظر: تفسير الطبري 5/249، والهداية 3/2089.
(5) انظر: تفسير الطبري 5/250-255.
(6) انظر: تفسير الطبري 5/250، والجامع لأحكام القرآن 7/30،29.
(7) في (ك): (إذ).
(8) في النسختين: (فلم لا تخافوا). وليس ثم ناصب ولا جازم.
9) والراجح أن الإشارة في قوله تعالى (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ) إلى مجمل ما حاج به إبراهيم قومه، من إظهاره عدم استحقاق النجوم والقمر والشمس للعبادة، إلى إظهاره عدم استحقاق جميع آلهتهم للعبادة بكونها لا تضر ولا تنفع. انظر: المحرر الوجيز 2/316،315، والجامع لأحكام القرآن 7/30، والبحر المحيط 4/176.
10) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب بالتنوين، وقرأ الباقون بلا تنوين، وتوجيهها كما قال المؤلف، إلا أني لم أجد من صرح بتعداد الدرجات التي فضل بها إبراهيم على قومه، وغالب المفسرين على أن المراد أن الله رفعه درجات بالعلم والفهم، وقيل: بالرسالة، ولا شك أن الله تعالى قد رفع إبراهيم على قومه درجات كثيرة، منها ما ساقه المؤلف وغيرها. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/177، ومعالم التنزيل 2/41، وزاد المسير ص 451، والنشر 2/195.

لأن الله تعالى وهبهما له من سارة، وكانت عجوزاً عاقراً، فكانا على خلاف العادة، ولم يذكر إسماعيل لأن هاجر ولدته وهي شابة، فليس فيه آية خارقة للعادة، وهذا[1] مثل قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾[3] أي: على خلاف العادة[4].

﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم[5] ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾ فالضمير في ﴿ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ لنوح فيما اختاره الطبري، وقيل: لإبراهيم[6].

ثم ذكر الله الرسل، فقال: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا﴾[الآية:86]أي: فضلنا الرسل على سائر الناس[7].

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾[الآية:87]أي: أولادهم[8]﴿وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾أي: إخوتهم[9]، وتقديره: ومن أقاربهم من هديناه[10]﴿وَاجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾أي: اخترناهم[11]، من (جبيت)، بمعنى: جمعت[12].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾[الآية:89] منهم من أنزل عليه كتاب، ومنهم من يقرأ

---

(1) في (ك): (وهو).
(2) سورة هود، الآية (71).
(3) سورة الأنبياء، الآية (72).
4) الذي يظهر لي أنه قول المؤلف «أي على خلاف العادة» ليس تفسيراً للفظة ﴿نَافِلَةً﴾ فإنها مترددة بين تفسيرين: «زيادة»، فيكون المقصود يعقوب وحده، أو: «عطية»، فيكون المقصود إسحاق ويعقوب، انظر: زاد المسير ص 935، ولم أجد من ذكر أن معنى ﴿نَافِلَةً﴾ أي: على خلاف العادة، ولعل مراد المؤلف أن هذه الآية سابقتها من الآيات إنما نُصّ فيها على يعقوب لأن إنجاب أبيه إسحاق كان على خلاف العادة، فإن أمه سارة قد لدته على كبَر، وهذا ما أوضحه ابن كثير رحمه الله بقوله «ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم (يعقوب)، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية» تفسير ابن كثير 2/158.
(5) انظر: تفسير الطبري 5/256.
(6) انظر القولين وحججهما في تفسير الطبري 5/256، ومعاني القرآن للزجاج 2/269، وزاد المسير ص 452، والتفسير الكبير 13/53، والبحر المحيط 4/177، وتفسير ابن كثير 2/160.
7) وقال كثير من المفسرين: المراد عالمو زمانهم. انظر: تفسير الطبري 5/258، ومعالم التنزيل 2/42، وزاد المسير ص 452، والتفسير الكبير 13/54، والبحر المحيط 4/178.
(8) انظر: تفسير ابن كثير 2/160.
(9) في (ك): (أي اخواتهم).
(10) انظر: تفسير الطبري 5/258، والجامع لأحكام القرآن 7/33.
(11) في (ك): (واحتبيناه أي اختبرناهم).
(12) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/269، والهداية 3/2094.

الكتاب الذي قبله[1]، ويقال: إن أنبياء بني إسرائيل كلهم كانوا[2] يقرؤون التوراة، وليس لهم شريعة إلا ما فيها[3] ﴿وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ الحكم: فهم الكتاب[4]﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾ أي: بآيات الله[5]﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: قومك المشركون[6]﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا﴾ لا يكفرون بها، وهم الأنبياء المذكورون، وقيل: الملائكة، وقيل: المؤمنون من هذه الأمة[7].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾[الآية:90] يعني: الأنبياء[8]﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ أي: برشدهم وطريقهم اقتد واتبع يا محمد، يعني: اقتد بهم في الإيمان والتوحيد، وأما الشرائع فهذه الشريعة ناسخة لشرائعهم[9].

والهاء في ﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾ هاء السكت، مثل [﴿مَالِيَهۡ﴾][10] ﴿مَا هِيَهۡ﴾[11]﴿سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[12]، ولهذا حذفها بعض[13] القراء في الوصل[14].

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: على تبليغ الرسالة والقرآن ﴿أَجۡرًا﴾ أي: أجرة ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا

---

(1) فيكون المراد بالكتاب جنس الكتب كالتوراة والزبور والإنجيل، ويكون المراد بإيتاء من لم ينزل عليه كتاب: فهمَ التام في الكتب المنزلة. انظر: تفسير الطبري 5/259، ومعالم التنزيل 2/43، والمحرر الوجيز 2/318، والتفسير الكبير 13/56، وتفسير أبي السعود 3/159، والتحرير والتنوير 6/203.

(2) في (ك): (كانوا كلهم).

3) لم أجد من قال إن المراد بالكتاب هو التوراة وحدها، بل أطبق المفسرون على القول الأول الذي ساقه المؤلف في الآية، وأوضحته في الحاشية.

(4) انظر: تفسير الطبري 5/259، والبحر المحيط 4/179.

5) قاله الطبري، وقال غيره: الضمير عائد إلى النبوة، وإليه مال ابن كثير، ومؤدى القولين واحد، وقال بعض المفسرين: الضمير عائد على ﴿ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾. انظر: تفسير الطبري 5/259، والبحر المحيط 4/179، وتفسير ابن كثير 2/161.

(6) انظر: تفسير الطبري 5/260،259، ومعالم التنزيل 2/43.

7) انظر هذه الأقوال وغيرها في: تفسير الطبري 5/259-261، وزاد المسير ص 452، والجامع لأحكام القرآن 7/34

(8) انظر: البحر المحيط 4/179.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/262،261، والهداية 3/2096، والمحرر الوجيز 2/319، والتفسير الكبير 13/58،57.

(10) سقطت من (ك). والكلمة من سورة الحاقة، الآية (28).

(11) سورة القارعة، الآية (10).

(12) سورة الحاقة، الآية (29).

(13) في (م): (بعد).

14) أما موضع الأنعام فقد حذف هاءه في الوصل حمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وأثبتها الباقون، وأما بقية المواضع فحذف هاءها في الوصل حمزة ويعقوب، وأثبتها الباقون، وجميع القراء على إثبات الهاء حال الوقف . انظر: النشر 2/106.

﴿ذِكۡرَىٰ﴾ أي: موعظة ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾[1].

[قوله تعالى][2] ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾[الآية:91] أي: ما عظموه كما أمر أن يعظم[3]؛ وذلك لأنهم كفروا برسله وكتبه، فقالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾[4]، وهذا قول المشركين من العرب[5]، فكفروا بجميع الكتب ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة[6] ﴿نُورٗا وَهُدٗى﴾ أي: بيانا·[7] ﴿لِّلنَّاسِ﴾ أي: لبني إسرائيل[8] ﴿يجعلونه﴾ بلفظ الغيبة إخباراً عن اليهود[9]، جعلوا التوراة ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي: ً، فأظهروا منها شيئا·، وأخفوا صفة محمد [ﷺ]، ً من أحكام الله[10].

ومن قرأ: ﴿تَجۡعَلُونَهُۥ﴾ وما بعدها بتاء الخطاب فهو خطاب لليهود[11]، ويؤيده [قوله][12] ﴿وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡ﴾ أي: علمتم في التوراة، ويصح أن يكون ﴿وَعُلِّمۡتُم﴾ خطاباً للعرب، أي: علمتم في هذا القرآن[13].

وقيل: إن الآية كلها في اليهود، وذلك أن يهوديا·[14] جاء يجادل النبي ﷺ -وكان حبراً من أحبارهم، وكان جسيما·- فقال له النبي ﷺ: «أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟» فغضب اليهودي، وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فنزلت

---

1) انظر تفسير هذا الجزء من الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 5/262، والمحرر الوجيز 2/320، والجامع لأحكام القرآن 7/35.
(2) سقطت من (ك).
(3) انظر: تفسير الطبري 5/262، ومعالم التنزيل 2/43.
(4) في (ك): (بكتبه ورسله إذ قالوا ما أنزل على بشر من شيء).
(5) في المراد بهذه الآية قولان: أحدهما: أنها في المشركين، والآخر: أنها في اليهود، وسيأتي من كلام المؤلف.
(6) انظر: معالم التنزيل 2/44، والبحر المحيط 4/181.
(7) انظر: تفسير الطبري 5/265.
(8) انظر: التحرير والتنوير 6/212.
(9) في الآية قراءتان وسيأتي تفصيلهما وتوجيههما.
(10) انظر: معالم التنزيل 2/44، والكشاف 2/42.
11) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا)، وقرأ الباقون بالتاء، وتوجيه القراءتين على نحو ما ذكر المؤلف على المشهور، وقيل غير ذلك. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/187، والبحر المحيط 4/182،181، والنشر 2/195، والتحرير والتنوير 6/213،212.
(12) سقطت من (م).
(13) انظر: تفسير الطبري 5/265، والمحرر الوجيز 2/321، والبحر المحيط 4/182.
(14) هو مالك بن الصيف -على حد ما جاء في الرواية إن صحت-. انظر: تفسير الطبري 5/262.

الآية[1].

والأقرب أن يكون هذا من قول العرب لكفرهم بالرسل، ولأن السورة مكية على الأصح[2].

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾[الآية:92] بالتاء: خطاب للرسول [ﷺ]، وبالياء: ضمير الكتاب[3]، وأم القرى: مكة لأن منها[4] بسطت الأرض، ولأنها تقصد من كل قرية من قرى المسلمين، ولأن بها أول مسجد وضع في الأرض[5]، ومعناه: لتنذر أهل مكة ومن حولهم[6]، يعني: جميع الناس كافة[7].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن، يعني: مؤمني هذه الأمة[8]، وقوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يؤيد[9] قراءة من قرأ[(لينذر)][10] بلفظ الغيبة[11].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[الآية:93]أي: ادعى الرسالة وهو كاذب[12].

﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ قال ابن عباس: هو مسيلمة الكذاب، والذي قال: سأنزل مثل ما أنزل الله: عبد الله بن سعد بن أبي سرح[13]، كان يكتب القرآن بين يدي رسول الله ﷺ، فكتب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ الآيات[14]، فقال في

1) رواه الطبري في تفسيره 5/262 عن سعيد بن جبير مرسلاً، ورواه الواحدي في أسباب النزول ص 215 عن سعيد بن جبير كذلك مرسلاً ودون إسناد. وانظر: المقاصد الحسنة ص207.

(2) وهذا القول هو ما رجحه الطبري وابن كثير. انظر: تفسير الطبري 5/262-264، وتفسير ابن كثير 2/161.

(3) روى شعبة عن عاصم (ولينذر) بالياء، وقرأ الباقون بالتاء، وتوجيه القراءتين على نحو ما ذكر المؤلف . انظر: البحر المحيط 4/183، والنشر 2/195.

(4) في (ك): (فيها).

5) انظر: الهداية 3/2102، والكشاف 2/42، والبحر المحيط 4/183. ولكن كون الأرض بسطت من تحت مكة يحتاج إلى دليل صحيح.

(6) في (ك): (ومن حولها).

(7) انظر: معالم التنزيل 2/45، والمحرر الوجيز 2/322.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/268، والكشاف 2/43.

(9) في (ك): (يؤيده).

(10) سقطت من (ك).

11) في (ك): (يؤيده قراءة من قرأ بلفظ الغيبة)، وهذا الذي ذكره المؤلف قد ألمح إليه ابن خالويه في الحجة ص 78، وذلك حتى يكون سياق الآية من أولها إلى آخرها في القرآن.

(12) انظر: تفسير الطبري 5/268، والكشاف 2/43.

13) وقد أسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه، قال ابن عبد البر في الاستيعاب ص 435:«وأسلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح أيام الفتح، فحسن إسلامه، فلم يظهر منه شيء ينكر عليه بعد ذلك».

(14) سورة المؤمنون، الآيات (12-14).

نفسه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ فلما أملاها عليه النبي ﷺ افتتن بكونه صادف القرآن، فارتد عن الإسلام، وقال: سأنزل مثل ما أنزل الله[1].

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: الكفار[2]﴿فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ أي: سكراته التي تغمر العقل وتغشاه[3]﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وهم ملائكة العذاب، وقيل: باسطو أيديهم بعذاب الكفار، فيكون ذلك في القبر، أو في النار يوم القيامة[4]، يقولون لهم: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ من هذا العذاب[5]﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ الهوان والخزي[6]، والهَوْن في سورة الفرقان بفتح الهاء[7]: بمعنى الرفق[8].

---

(1) أما الجزء الأول من الأثر، وهو أن القائل ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ هو مسيلمة فلم أجده عن ابن عباس، وإنما أورده الطبري عن عكرمة وقتادة، وأورده السيوطي عن ابن جريج وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر. انظر: تفسير الطبري 5/269،268، والدر المنثور 3/56.

أما الجزء الآخر من الأثر، وهو أن القائل ﴿سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح عندما كان كتب للنبي آيات من سورة المؤمنون فقد أورده الواحدي في أسباب النزول ص 216، ثم قال: «وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي». وهذا إسناد قد سبق التنبيه على ضعفه الشديد ص (54)، وانظر: الكافي الشاف (بحاشية الكشاف) 2/43.

قد روى الطبري في تفسيره 5/268 عن قتادة وعكرمة بعض هذا مختصراً دون ذكر آيات سورة المؤمنون، بل ما هنالك أنه هو الذي قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، وأنه كان يكتب «غفور رحيم» مكان «عزيز حكيم»، أو «عليماً حكيماً» مكان «سميعاً عليماً»، ثم شك ولحق بقريش.

(2) انظر: تفسير الطبري 5/270، والمحرر الوجيز 2/323.

(3) انظر: تفسير الطبري 5/270، والكشاف 2/44.

(4) في كلام المؤلف هنا شيء من الغموض، وإيضاح ذلك أنه قد اختلف في المراد بالملائكة هنا، فقيل: هم ملائكة قبض الروح، وهم أعوان ملك الموت، وقيل: هم ملائكة العذاب، فالذين قالوا: هم ملائكة قبض الروح -وهو الأرجح- اختلفوا في المراد ببسط أيدي الملائكة، فقيل: بسطها بضرب الكفار وتعذيبهم، وهذا الراجح لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ سورة الأنفال، الآية (50)، وقيل: بسطها طلباً لإخراج أرواح الكفار إلحاحاً عليهم، وتعنيفاً في سياق الموت، وتعجيلاً لنزعهم من غير إمهال.

والذين قالوا: إن الملائكة هنا ملائكة العذاب قالوا: يكون هذا يوم القيامة في النار، وأشار بعضهم إلى أنه قد يكون في البرزخ كما صرح به المؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/271،270، ومعاني القرآن للزجاج 2/272، والكشاف 2/44، والمحرر الوجيز 2/323، وزاد المسير ص 455، والبحر المحيط 4/185،184، وتفسير ابن كثير 2/163،162، وروح المعاني 4/212،211، وأضواء البيان 2/155.

(5) وقيل: المراد: أخرجوا أرواحكم، وعليه كثير من المفسرين. انظر: تفسير الطبري 5/271،270، ومعالم التنزيل 2/46، والمحرر الوجيز 2/323، وزاد المسير ص 455، وتفسير ابن كثير 2/163.

(6) انظر: تفسير الطبري 5/272، والكشاف 2/44.

(7) في (ك): (بالفتح في الهاء)، والآية من سورة الفرقان، ورقمها (63)، وهي قوله تعالى ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/272، والهداية 3/2106.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾[الآية:94] أي: من المال[1]﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ[أَوَّلَ مَرَّةٍ]﴾[2] أي: عراة حفاة[3] ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أي: ما أعطيناكم من الأموال[4]﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ أي: الأصنام التي كنتم تعتقدون أنهم يشفعون لكم[5]، وزعمتم أنهم فيكم شركاء، أي: زعمتم أنهم شركاء لله[6] في عبوديتكم[7].

﴿لقدتقطع بينكم﴾ أي: وصلكم، و﴿بينكم﴾ بالرفع[8]، ومن قرأ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالنصب فمعناه: لقد تقطع الوصل والنسب بينكم[9].

﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ أي: لم تنفعكم أصنامكم، فكأنها ضلت عنكم، وأصل ضل في اللغة: جار[10]، ثم يقال: للذاهب الهالك[11] ضال، ومنه: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى الْأَرْضِ﴾[12] أي: هلكنا وذهبت أجسامنا[13].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾[الآية:95]أي: فالق الحب عن السنبل، والنوى عن النخل[14].

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾[الآية:96] أي: مضيء الصبح عن سواد الليل، والإصباح مصدر[15]

(1) هذا مثال، وإلا فهم كذلك لا ولد معهم ولا أزواج ولا خدم ولا شيء مما خولهم الله وملكهم في الدنيا. انظر: تفسير الطبري 5/272، ومعالم التنزيل 2/46، وزاد المسير ص 455.
(2) سقطت من (م).
(3) انظر: تفسير الطبري 5/272، والمحرر الوجيز 2/324.
(4) انظر: تفسير الطبري 5/273، والبحر المحيط 4/186.
(5) في (ك): (فلكم).
(6) في (ك): (شركاء الله).
(7) انظر: الكشاف 2/45، والجامع لأحكام القرآن 7/40، وتفسير ابن كثير 2/163.
(8) في (ك): (ونسبكم بالرفع).
9) قرأها بالنصب نافع والكسائي وأبو جعفر وحفص، وقرأها الباقون بالرفع، وتوجيه القراءتين على نحو ما ذكر المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/188-190، والبحر المحيط 4/186، والنشر 2/195.
(10) والجور: هو الميل عن الطريق. انظر: معجم مقاييس اللغة (ج و ر) 1/493.
(11) في (ك): (للهالك الذاهب).
(12) سورة السجدة، الآية (10).
13) انظر الكلام على أصل (ضل) ومعنى آية سورة السجدة في معجم مقاييس اللغة (ضل) 3/356، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ص 509-512، ولسان العرب (ض ل ل) 8/80،79، والبحر المحيط 7/195.
(14) انظر: تفسير الطبري 5/175، وتفسير ابن كثير 2/163.
(15) انظر: تفسير الطبري 5/277، معالم التنزيل 2/47.

﴿وجاعل الليل سكنا﴾[1] لخلقه يسكنون فيه[2](وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا) أي: يجريان بحساب، وجعلهما ع·ل·ما· يعرف به[3] الحساب[4](ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ) قدره العزيز في سلطانه (ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾)بمصالح خلقه.

﴿ ﴾[الآية:98] بكسر القاف، أي: قار·· مستوط·ن، وبفتح القاف [بمعنى][5]: أن الله أقره وأسكنه، وتقدير الكلام: فمنكم مستق·ر ومنكم مستود·ع، ويجوز عند من فتح القاف أن يراد بالمستق·ر موضع القرار، وكذلك المستود·ع، فيكون التقدير: فلكم مستقر، ولكم مستودع[6].

قال ابن عباس: المستقر: على الأرض، وفي القبر، والمستودع:في الأصلاب[7] ، وقيل: المستقر: [في][8] القبر، والمستودع: في الدنيا[9]، وقيل: المستقر: الرحم، لقوله تعالى (نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾)[10]، والمستودع: الصلب[11].

---

1) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا)، وقرأ الباقون (وجاعل الليل سكنا).انظر: النشر 2/196.

(2) انظر: تفسير الطبري 5/279، وزاد المسير ص 456.

(3) في (ك): (بهما).

4) هذان قولان جمع بينهما المؤلف: أحدهما: أن الشمس والقمر يجريان بحساب مقدر لا يختلف، والثاني: أن جريانهما سبب لمعرفة الشهور والأعوام. انظر: زاد المسير ص 456، والبحر المحيط 4/190.

(5) سقطت من (م).

6) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورَوح (فمستقِرٌ) بكسر القاف، وتوجيهها على نحو ما ذكر المؤلف، وقرأ الباقون فتح القاف، وتوجيهها على نحو ما ذكر المؤلف آخِراً، حيث قال:« ويجوز عند من فتح القاف أن يراد بالمستق·ر وضع القرار، وكذلك المستود·ع، فيكون التقدير: فلكم مستقر، ولكم مستودع»، وأما ما ذكره أولاً بقوله «بمعنى ن الله أقره وأسكنه» فقد وافق المؤلف فيه الطبريَ إذ يقول:«بمعنى: فمنهم من استقره الله في مقره فهو مستقرٌ به... وأولى القراءتين بالصواب عندي -وإن كان لكليهما وجه صحيح- (فَمُسۡتَقَرٌّ) بمعنى: استقره الله في مقره ، يأتلف المعنى فيه وفي (المستودع) في أن كل واحد منهما لم يسم فاعله...»، ووافق فيه كذلك مكي بن أبي طالب في الهداية، وقد نص أبو علي الفارسي وأبو حيان والسمين وغيرهم على أنه لا يمكن حمله على أنه اسم مفعول ، ذلك لأن الفعل (استقر) لا يتعدى -كما عداه الطبري- ولذا لا يبنى منه اسم المفعول، والله أعلم. انظر: تفسير الطبري 5/286، والحجة لأبي علي الفارسي 2/192، والهداية 3/2116، والبحر المحيط 4/191، والدر المصون 5/66، والنشر 2/196، وروح المعاني 4/223.

7) ساق الطبري روايات كثيرة متعددة الطرق عن ابن عباس، اتفقت على تفسير المستودع بالصلب، واختلفت ي تفسير المستقر على وجهين: أحدهما: ما كان في الأرض على ظهرها أو في بطنها، والآخر: الأرحام، وفي بعضها الجمع بين هذين الوجهين. انظر: تفسير الطبري 5/282-285.

(8) سقطت من (ك).

(9) انظر: تفسير الطبري 5/286، وزاد المسير ص 456.

(10) سورة المؤمنون، الآية (13).

(11) وهو قول أكثر أهل التفسير. انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/44، وتفسير ابن كثير 2/165.

وهذا كله استدلال على البعث، ثم استدل بالماء والنبات.

وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾[الآية:99] أي: ً أخضر[1]، ُخرج من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾بعضه فوق بعض[2]﴿قِنْوَانٌ﴾جمع ق·ن·و، وهي العراجين[3]﴿دَانِيَةٌ﴾أي: قريبة[4].

﴿وَجَنَّاتٍ﴾ أي: وأخرجنا بالماء ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ﴾ وأخرجنا به الزيتون[5]﴿مُشْتَبِهًا﴾[6] يشبه بعضه بعضاً ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾أي: مختلف، لا يشابه بعضه بعضاً، وقيل: مشتبه في الصورة، غير متشابه في الطعم[7].

﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ أي: تدبروا فيه وتفكروا[8]﴿وَيَنْعِهِ﴾ أي: وانظروا[9] إلى نضجه وزهرته وبهجته[10]، إن في ذلك لآيات على الوحدانية وإحياء الموتى.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾[الآية:100] كان الجاهلية يعبدون الأصنام، ويعتقدون أن الملائكة تكلمهم فيها[11]، وأنهم يعبدون الملائكة، وإنما كان الشياطين

---

(1) انظر: زاد المسير ص 457، وتفسير ابن كثير 2/165.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/287، ومعالم التنزيل 2/49.
(3) القنو هو العِذق، ويسمى الكباسة، وأما العرجون فهو عُود العذق، إلا أنه قد يطلق على العذق نفسه: عرجون. نظر: أدب الكاتب ص 80، وتفسير الطبري 5/287، والبحر المحيط 4/188، والقاموس المحيط (عرجون) ص 1215.
(4) انظر: تفسير الطبري 5/288، ومعاني القرآن للزجاج 2/275.
(5) في (ك): (وأخرجنا منه الزيتون)، وانظر: الكشاف 2/49، والبحر المحيط 4/194.
(6) في (ك): (متشابها).
7) انظر هذين القولين في معنى ﴿مُشْتَبِهًاوَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ في تفسير الطبري 5/289، والكشاف 2/50، وزاد المسير ص 457.
(8) انظر: تفسير ابن كثير 2/165.
(9) في (ك): (أي انظروا).
(10) انظر: معالم التنزيل 2/49، والجامع لأحكام القرآن 7/47،46.
(11) كذا في النسختين، ولعل الأصوب: تكلمهم منها.

يكلمونهم[1]، فمعناه: جعلوا الجن شركاء لله[2]، مثل قوله ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ﴾[3].

(وَخَلَقَهُمۡ) أي: والله خلقهم وحده بلا معين[4] (وَخَرَقُواْ) أي: كذبوا، ومن شدد الراء فعلى التكثير[5]، ومعناه: نسبوا إليه الأولاد بغير علم بل باختلاقهم، اليهود والنصارى اختلقوا البنين، والعرب اختلقوا البنات، فكانوا يصورون الأصنام إناثاً، ويعتقدون أنها صور الملائكة، وأن الملائكة بناته، تعالى الله عن قولهم[6].

(بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)[الآية:101] أي: مبدع المخلوقات وفاعلها من غير مثال سابق[7] (أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ) أي: كيف يكون له ولد وكل شيء سواه مخلوق بقدرته؟[8] (وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ) أي: زوجة[9] (وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٍ) فكيف يتخذ مما خلق زوجة أو ؟ تعالى الله[10].

---

(1) في كيفية عبادة المشركين للجن أقوال، فقيل: عبدوهم بأن أطاعوهم فيما سولوا لهم من عبادة الأصنام، وقيل: عبدوهم بأن كانوا يتعوذون بهم في الأودية ونحوها، وقيل: عبدوهم بأن نسبوا إليهم بعض مالا يليق إلا بالله كزعم عض العرب أن الشيطان خلق السباع والهوام والعقارب والشرور، وكنسبة بعض العرب للجن علم الغيب، وقيل غير لك، وبعض المفسرين يجعل كل هذه الأقوال من عبادة المشركين للجن وليست ا كلها صحيحة ثابتة عن العرب. انظر: تفسير الطبري 5/291، ومعاني القرآن للزجاج 2/277، ومعالم التنزيل 2/49، والكشاف 2/50، زاد المسير ص 458، والتفسير الكبير 13/92-94، والبحر المحيط 4/196،195، وتفسير ابن كثير 2/165، والتحرير والتنوير 6/244.
غير أن القول الذي أورده المؤلف، ولم يذكر غيره، وهو أنهم عبدوهم ضمن عبادة الأصنام، إذ كانت الجن تكلمهم من لأصنام، وكانوا يظنون أنهم الملائكة، فعبدوهم منهم أنهم الملائكة، هذا القول لم أجد من ذكره عند هذه الآية، وقد كره الزمخشري وقليل من المفسرين عند آية سورة سبأ التي أوردها المؤلف. انظر: الكشاف 3/570، وروح المعاني 11/325.

(2) فلفظة (ٱلۡجِنَّ) مفعول به أول، و(شُرَكَآءَ) مفعول به ثان، أو بدل. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/277، والكشاف 2/50، والبحر المحيط 4/196.

(3) سورة سبأ، الآية (41).

4) واختلف في الضمير، أهو عائد إلى المشركين أم إلى الجن؟ انظر: تفسير الطبري 5/291، ومعاني القرآن للزجاج 2/277، والكشاف 2/50، والبحر المحيط 4/197،196.

(5) قرأ نافع وأبو جعفر بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، وتوجيه القراءتين على نحو ما ذكر المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/196، والنشر 2/196.

6) كون العرب صوروا أصنامهم على أنها صور للملائكة، وأنهم صوروها إناثاً من أجل ذلك أشار إليه الرازي في التفسير الكبير 28/266، وابن كثير في تفسيره 4/135، وأما أن اليهود والنصارى قد اختلقوا البنين، اختلق العرب البنات، فعليه جميع المفسرين -كما قال ابن عاشور-، وقد خالفهم -أعني ابن عاشور- وقال: الآية لها في مشركي العرب، وهم قد نسبوا إلى الله تعالى البنين والبنات. انظر: تفسير الطبري 5/292، ومعالم التنزيل 2/50، والكشاف 2/50، والتحرير والتنوير 6/246.

(7) انظر: تفسير الطبري 5/293، ومعالم التنزيل 2/50.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/293، والبحر المحيط 4/198.

(9) انظر: معالم التنزيل 2/50.

10) قال ابن كثير رحمه الله: «فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء، وأنه بكل شيء عليم، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه وهو الذي لا نظير له؛ فأنى يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً». تفسير ابن كثير 2/166.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[الآية:103]أي: لا تكيفه [ولا تحيط به][1]، قاله ابن عباس[2].

وإن الله عز وجل يراه المؤمنون في الآخرة من غير تكييف ولا تشبيه ولا جهة[3].

وقيل: معناه: لا يرى في الدنيا[4].

وقيل: الأبصار هنا: البصائر، فمعناه: لا تكيفه العقول، ولا تدركه الأوهام[5].

﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ يعلم ويرى[6].

﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾[الآية:104]أي: آيات يستبصر بها من تدبرها[7]﴿فَمَنۡ أَبۡصَرَ﴾ قلبه الحق فآمن فلنفسه، ومن عمي قلبه فكفر فعلى نفسه يرجع وبال كفره[8].

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾ أي: بحافظ ولا رقيب[9]، قيل: هو منسوخ بالسيف، وكذلك قوله ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾[10].

﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾[11][الآية:105] أي: هذا شيء قرأته، وما نزل عليك شيء، و﴿دار٠س٠ت٠﴾ بالألف: قرأت مع غيرك، وخالط٠ت٠ العلماء، و﴿د٠ر٠س٠ت٠﴾

---

(1) سقطت من (ك).

(2) رواه الطبري في تفسيره 5/294، بلفظ «لا يحيط بصر أحد بالملك»، وقد رواه الطبري عن محمد بن سعد العوفي، عن أبيه، عن عمه، عن أبيه، عن أبيه عطية العوفي عن ابن عباس، فمحمد بن سعد قال عنه الدارقطني: لا بأس به، وقال خطيب: وكان ً في الحديث. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد 5/322، ولسان الميزان 5/174. وأبوه سعد بن محمد بن حسن بن عطية قال عنه الإمام أحمد: لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه ولا كان موضعا لذاك. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد 9/126،ولسان الميزان 3/18، وعمه الحسين بن الحسن بن عطية ضعيف. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 9/395، والجرح والتعديل 3/48، وأبوه الحسن بن عطية بن سعد العوفي ضعيف. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل 3/26، تقريب التهذيب (1266). وأبوه عطية بن سعد العوفي كثيوق يخطئ ن ً ا. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 5/325، وتقريب التهذيب (4649)، وقد حكم السيوطي على هذا الإسناد بالضعف. انظر: الإتقان 2/535.

(3) لفظ الجهة من المصطلحات الحادثة التي قد تفهم على أكثر من معنى، ولذا لا ينبغي إثباتها ولا نفيها بإطلاق، إنما يستفصل في المراد بها، وإن كان المراد بالجهة علوّ الله تعالى وفوقيته فهذا مثبت غير منفي. وقد سبق ذلك ص (100).

(4) انظر: تفسير الطبري 5/296، وتفسير ابن كثير 2/166.

(5) ذكر هذا القول في الهداية 3/2136، والتفسير الكبير 13/109، والجامع لأحكام القرآن 7/50.

(6) انظر: تفسير ابن كثير 2/168.

(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/279، ومعالم التنزيل 2/51.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/299، والبحر المحيط 4/199.

(9) انظر: الكشاف 2/52، وتفسير ابن كثير 2/168.

(10) قيل في هذه الآيات: إنها منسوخة بآية السيف. انظر: نواسخ القرآن ص 155،156، والجامع لأحكام القرآن 7/53-56.

(11) في (ك): (دارست).

بإسكان التاء، [أي][1]: هذه أخبار درست ومضت، وقد سمعناها قبلك[2]، واللام في (وَلِيَقُولُواْ) لام العاقبة[3]، (وَلِنُبَيِّنَهُۥ) أي: نبين الحق في القرآن للعالمين بالله[4].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾[الآية:107] معناه: فلا تهتم لأجلهم[5].

(وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ)[الآية:108] أي: لا تسبوا أصنامهم فيسبوا إلهكم عدواناً بغير علم منهم أن الله ربكم وربهم[6] (كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ [عَمَلَهُمْ])[7] من خير وشر، كما زينا لهؤلاء كفرهم[8]، ونصب (عَدْوًا) على المصدر، وقيل: هو مفعول من أجله[9].

(وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ)[الآية:109] أي: حلفوا[10](جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ) عاينوها[11]، كناقة صالح، وعصا موسى[12](لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا) فأكذبهم الله، وقال: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) أي: وما يدريكم[13](أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾) هذا على قراءة من فتح (أَنَّهَآ) وقيل: (لَا) هنا زائدة، وتقديره: وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون، كقوله: (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ)[14] أي: أن تسجد، ومن قرأ ﴿تؤمنون﴾ بالخطاب جعله خطاباً للمشركين، أي: وما يدريكم أنها إذا جاءتكم لا تؤمنون.

---

(1) سقطت من (ك).

2) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (دارسْتَ) بألف بعد الدال، وقرأ ابن عامر ويعقوب (دَرَسَتْ)، وقرأ الباقون دَرَسْتَ)، وتوجيهها على نحو ما ذكر المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/197، 196، والبحر المحيط 4/200، والنشر 2/196.

3) وتسمى لام الصيرورة أو لام المآل، ومن النحويين من ينكرها ويقول: إنما هي لام التعليل. انظر: معالم التنزيل 2/51، والكشاف 2/5352، ومغني اللبيب 1/240، 239، والبحر المحيط 4/201، 200.

4) قال الطبري في تفسيره 5/303: «ولنبين بتصريفنا الآيات الحقّ لقوم يعلمون الحق إذا تبين لهم فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بين لهم عموا عنه فلم يعقلوه وازدادوا من الفهم له بعداً». وانظر: زاد المسير ص 460، والبحر المحيط 4/201.

(5) انظر: التفسير الكبير 13/113.

(6) في (ك): (فيسبوا إلهكم عدواً بغير علم منهم أن الله ربهم). وانظر: تفسير الطبري 5/304، والهداية 3/2142، والجامع لأحكام القرآن 7/56.

(7) سقطت من (م).

(8) انظر: تفسير الطبري 5/306، 305، وزاد المسير ص 460.

(9) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/281، والهداية 3/2141، والدر المصون 5/100.

(10) انظر: تفسير الطبري 5/306.

(11) في (م): (يعاينوها).

(12) انظر: تفسير الطبري 5/306.

(13) انظر: تفسير الطبري 5/306، والكشاف 2/55، والتحرير والتنوير 6/269-271.

(14) سورة الأعراف، الآية (12).

ومن قرأ ﴿إنها﴾ بالكسر فتقديره: وما يشعركم بما كانوا يفعلون، ثم أخبر، فقال: إنهم لا يؤمنون، والضمير في ﴿يُشۡعِرُكُمۡ﴾ خطاب للمؤمنين عند من قرأ ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ بلفظ الغيبة، سواء [إن][1] فتحت ﴿أَنَّهَآ﴾ أو كسرت[2].

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ﴾[الآية:110] [أي: قلوبهم][3] ﴿وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ معطوف[4] على ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ وتقديره: إذا جاءت الآية لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم[5]، أي: قلوبهم ﴿وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ فلا يفقهون ولا ينظرون، ونصرفهم عن الحق بعد رؤية الآيات، فلا يؤمنون به[6]﴿كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ والضمير في به للحق، وهو القرآن[7]﴿وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ أي: في كفرهم وجهلهم يتحيرون[8].

[قوله تعالى][9] ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ﴾[الآية:111] أي: لو نزلنا إلى هؤلاء الذين أقسموا ﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَا﴾ الملائكة، فيعاينونهم[10] نازلين من السماء -يشهدون

---

(1) سقطت من (ك).

(2) في (ك): (أو كسرتها).

الخلاصة أن القراء قد اختلفوا في قراءة (أنها) فقرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وخلف وشعبة في رواية الكسر، وقرأها الباقون بالفتح، واختلفوا (يؤمنون) فقرأها ابن عامر وحمزة بتاء الخطاب، وقرأها الباقون بياء الغيب، فترتبت ثلاث قراءات:

الأولى: (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) وقرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وخلف وشعبة بخلف عنه.

الثانية: (أنها إذا جاءت لا تؤمنون) وقرأ بها ابن عامر وحمزة.

الثالثة: (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) وقرأ بها نافع وعاصم بخلف عن شعبة والكسائيُّ وأبو جعفر.

القسمة العقلية تقتضي وجود قراءة رابعة بكسر همزة (إنها) وتاء الخطاب في (لا تؤمنون)، ولكن لم يقرأ بها أحد من العشرة، ولذا اقتصر المؤلف على توجيه القراءات الثلاث المقروء بها، مما يدل على معرفته بالقراءات، قد أجاد في التوجيه الذي ذكره، باختياره أصح الوجوه، واختصاره لها، مع وضوح في العبارة، وحسن في ترتيب. انظر: تفسير الطبري 5/308، 307، ومعاني القرآن للزجاج 2/283، 282، والحجة لأبي علي الفارسي 2/199-201، والهداية 3/2145-2149، والبحر المحيط 4/204، 203، والدر المصون 5/101-110، والنشر 2/196.

(3) سقطت من (ك).

(4) يقصد الفعل ﴿وَنُقَلِّبُ﴾ ولا يقصد (أبصارهم).

(5) وقال بعض المفسرين: هي مستأنفة. انظر: الكشاف 2/55، والبحر المحيط 4/205.

(6) انظر: تفسير الطبري 5/309، والكشاف 2/55.

(7) لم أقف على من نص على أنه يعود على (الحق)، وإنما قالوا: يعود على القرآن، أو الله تعالى، أو النبي أو التقليب المذكور، أو ما طلبوا من الآيات. انظر: الهداية 3/2150، والمحرر الوجيز 2/334، وزاد المسير ص 462، والتفسير الكبير 13/122، وتفسير أبي السعود 3/173.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/310، وتفسير ابن كثير 2/171.

(9) سقطت من (ك).

(10) في (ك): (فيعاينوهم).

بصدقك[1]- وكلمهم الموتى بصدقك[2]﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: جمعنا لهم كل شيء يشهد بصدقك، وقيل: أريناهم كل آية سألوها[3]﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ أي: جهلوا أن الإيمان بمشيئة الله، فأقسموا لئن جاءتهم آية ليؤمنن[4].

وقوله[5] ﴿قِبَلاً﴾ بكسر القاف وفتح الباء، أي: عِياناً، وبضمتين، أي: مقابلة، وقيل: جمع قبيل، وهو الضمين[6]، ومنه: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾[7] أي: ضمينا بصدقك[8].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾[الآية:112] أي: كما جعلنا لك أعداء كذلك جعلنا لكل نبي[9] قبلك أعداء شياطين من الإنس ومن الجن، أي: كفارهم[10]، و﴿شَيَٰطِينَ﴾ بدل[11] من ﴿عَدُوًّا﴾[12]، ومعنى عداوتهم[13] للأنبياء أنهم يدعون إلى خلاف ما يدعو الأنبياء إليه[14].

﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يعلم بعضهم بعضاً[15]﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: الباطل

---

(1) انظر: تفسير الطبري 5/311، وتفسير ابن كثير 2/171.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/311، والمحرر الوجيز 2/335.
(3) انظر القولين في: الجامع لأحكام القرآن 7/60، وتفسير ابن كثير 2/171.
(4) انظر: تفسير الطبري 5/311، وتفسير أبي السعود 3/175.
(5) انظر: تفسير الطبري 5/311، والمحرر الوجيز 2/335.
(6) قرأها (قِبَلًا) بكسر القاف وفتح الباء نافع وابن عامر وأبو جعفر، وقرأها الباقون (قُبُلًا) بضم القاف والباء، توجيهها كما بينه المؤلف، وقد ذكر في توجيه القراءة بضمتين قولين: أحدها: معاينة، والثاني: جمع قبيل، وهو كفيل، ويزاد قول ثالث قال به كثير من المفسرين، وهو أنه جميع قبيل بمعنى النوع، فيكون معنى الآية على هذه القراءة وعلى هذا التوجيه: وحشرنا عليهم كل شيء قبيلاً قبيلاً، ونوعاً نوعاً. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/283، والحجة لأبي علي الفارسي 2/202،201، والبحر المحيط 4/208، والنشر 2/197،196.
(7) سورة الإسراء، الآية (92).
8) فيها الأقوال الثلاثة الواردة في قراءة (قُبُلًا) بضمتين: معاينة، أو جمع قبيل بمعنى الكفيل، أو جمع قبيل بمعنى النوع. انظر تفسير الطبري 8/148،147، ومعالم التنزيل 2/716، وزاد المسير ص 832.
(9) في (ك): (شيء).
10) انظر: تفسير الطبري 5/313، وزاد المسير ص 462، والجامع لأحكام القرآن 7/61، وتفسير ابن كثير 2/172.
(11) في النسختين: (بدلا)، ولم يتبين لي وجه لنصبها.
(12) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/284، والكشاف 2/56، والبحر المحيط 4/209.
(13) في (ك): (عداواتهم).
14) وليس الأمر محصوراً على الدعوة إلى خلاف ما يدعو إليه الأنبياء، فمن الأنبياء من قتل، وقد حاربت قريش رسول الله . وانظر: تفسير الطبري 5/313.
(15) انظر: الكشاف 2/56، وتفسير ابن كثير 2/173.

الزخرف· من القول، يزينونه للناس لي·غ·ر··وهم[1]، وأصل الوحي في اللغة: الإعلام في خفية[2]، ولو شاء ربك ما فعلوا ذلك، ثم هددهم فقال: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ أي: فسيعلمون عاقبة افترائهم.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾[الآية:113] أي: ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالبعث، وتقديره: يزخرفون القول ليغروا به الناس، ولتميل إليه قلوب الكفار، وليرضوا به[3]، وليقترفوا -أي: يكتسبوا- ما هم مكتسبون من المعاصي[4].

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾[5][الآية:114] أي: أطلب حاكماً، ومعناه: أن الله أنزل الكتاب مفصلاً، بي·ن فيه الأحكام، فكيف أطلب غير حكم الله؟[6].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: أهل الكتابين[7]، يعلمون أن القرآن[8]﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ أي: الشاكين[9].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾[الآية:115]أي: ما علمه ربك وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ، أو أخبر به في كتابه[10]، فالكل حق صدق من الله، وعدل في حكمه[11]، لا مبدل ولا مغير لما أخبر[12]،﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقول الذين أقسموا ليؤمنن بالآيات ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ بمن يؤمن ومن لا

---

(1) كأن المؤلف يختار أن لفظة (غُرُورًا) منصوبة على أنها مفعول لأجله، وقد قيل فيها غير ذلك. انظر معنى (زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ) وإعرابَ (غُرُورًا) في: زاد المسير ص 462، والتفسير الكبير 13/127، والجامع لأحكام القرآن 7/61، والبحر المحيط 4/210،207.

(2) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 858، والتفسير الكبير 13/127.

(3) في (ك): (وليرضوه).

4) والقول بأن الفعل (وَلِتَصْغَىٰٓ) على نسق (غُرُورًا) وقد سيق للتعليل هو قول غالب المفسرين، فيكون معنى لآية كما ساقه المؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/316، والهداية 3/2159، وزاد المسير ص 463، والجامع لأحكام القرآن 7/63، والبحر المحيط 4/211،210.

(5) في النسختين: (قل أغير الله أبتغي حكما).

(6) انظر: تفسير الطبري 5/318، وزاد المسير ص 463.

(7) انظر: تفسير ابن كثير 2/173.

(8) فالحديث عائد إلى القرآن. انظر: معالم التنزيل 2/57.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/318، ومعالم التنزيل 2/56.

10) أهل السنة يثبتون لله تعالى صفة الكلام كما أثبتها لنفسه. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص 127 وما بعدها، ومجموع الفتاوى 3/91.

(11) ·فيما قال ·فيما حكم. انظر: تفسير الطبري 5/319،318، وزاد المسير ص 463، وتفسير ابن كثير 2/173.

(12) انظر: تفسير الطبري 5/319.

يؤمن[1].

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾[الآية: 116]لأن أكثر الناس كانوا كفاراً[2].

قال عكرمة[3]: نزلت هذه الآية في قضية الميتات الخمس: المنخنقة وأخواتها، قال المشركون: يا محمد تأكل مما ذبحت، ولا تأكل مما ذبح الله، فنـزلت الآية[4].

وقيل: إن المجوس كاتبوا العرب بهذا ليجادلوا به المسلمين[5]، وهو قوله ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾أي: المجوس ﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾أي: العرب ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾أي: في أكل الميتة[6].

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[الآية: 116]أي: من غير كتاب ولا رسول[7].

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾[الآية:118]أي: مما سميتم الله عليه وقت الذبح، ومعناه: لا تأكلوا الميتة[8].

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟﴾[الآية:119]أي: وما يحل لكم أن تأكلوا إلا المذكى، فما يمنعكم من أكل المذكى، وترك الميتة، وقد فصل الله لكم الحلال والحرام، وبينه في كتابه؟[9]﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾من الميتة؛ فإن أكله جائز عند الضرورة[10].

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ أي: كثيراً من الناس، وهم المجوس وعبدة

---

(1) انظر في معنى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١١٥﴾: تفسير الطبري 5/319، والهداية 3/2163.

(2) انظر: تفسير الطبري 5/319، والمحرر الوجيز 2/338، والبحر المحيط 4/212.

(3) هو عكرمة البربري أصلاً، القرشي ولاءً، أبو عبد الله، مولى ابن عباس، ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه من ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة، مات سنة 104هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 12/ 5، وتقريب التهذيب (4707) ص687، وطبقات المفسرين للداوودي 386/ 1.

(4) رواه الطبري في تفسيره 5/326،325 عن عكرمة من عدة طرق، إلا أنه لم يذكر فيه هذه الآية، وإنما ذكر أنه قد نزل فيها قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾.

(5) هذا جزء من الأثر الذي ذكره المؤلف قبل قليل عن عكرمة.

(6) انظر: تفسير الطبري 5/325-330، ومعالم التنزيل 2/60.

(7) انظر: الهداية /2163، وتفسير ابن كثير 2/174.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/321،320، والمحرر الوجيز 2/338، وتفسير ابن كثير 2/174.

(9) ألمح إلى هذا المعنى الذي ذكره المؤلف: الطبري في تفسيره 5/321، وابن عاشور في التحرير والتنوير 7/27،26، ولم أجد من أشار إليه غيرهما.

(10) انظر: تفسير الطبري 5/322، والجامع لأحكام القرآن 7/66.

الأصنام[1]﴿لي·ض·لون﴾ بفتح الياء، أي: يت‌ميزون[2] عن الحق، وبالضم: ي·ض·لون غيرهم[3]، وضلالتهم هنا إباحة الميتة ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾ بأهواء أنفسهم، من غير علم[4] ولا كتاب من عند الله.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[الآية:120]أي: اتركوا الفواحش ما ظهر منها للناس وما بطن، [قيل][5]: هو رد على الجاهلية، فإنهم كانوا يبيحون الزنا إذا كان سراً، وقيل: ظاهر الإثم كشف عوراتهم في الطواف، وباطنه الزنا[6].

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾[الآية:121]أي: لا تأكلوا الميتة؛ فإن أكلها فسق[7]، ويدخل في الآية ذبائح الكفار غير أهل الكتاب، فإنهم لا يذكرون اسم الله على الذبح[8]، وما ذبحه المسلم وترك التسمية فإنه يؤكل، والتسمية سنة، وليست بفريضة على الصحيح، وإنما المراد بالآية أكل الميتة[9].

[قوله تعالى][10] ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[الآية:122]أي: كان قلبه ميتاً بالكفر، فأحييناه بالإيمان والمعرفة[11]﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ[فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي][12]: ظلمات كفره، لا يخرج منها، ولا يوفق لخير[13].

(1) انظر: تفسير الطبري 5322، والمحرر الوجيز 2/339، والجامع لأحكام القرآن 7/66.
(2) في (ك): (يتحيرون).
3) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء، وقرأ الباقون بفتح الياء، وتوجيه القراءتين على نحو ما ذكر المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/205-208، والهداية 3/2166، والنشر 2/197.
(4) في (ك): (بغير علم).
(5) سقطت من (م).
6) قيل بهذه الأقوال وغيرها، والصواب عموم ذلك كله. انظر: تفسير الطبري 5/323-325، ومعالم التنزيل 2/59،58، والمحرر الوجيز 2/339، وزاد المسير ص 464، وتفسير ابن كثير 2/174.
(7) انظر: تفسير الطبري 5/325، ومعالم التنزيل 2/59.
(8) انظر: الهداية 3/2169.
9) في التسمية على الذبيحة ثلاثة أقوال: فقال الحنفية والمالكية والحنابلة: التسمية واجبة مع الذكر، ساقطة مع نسيان، فيؤكل ما تركت التسمية عليه ن ما تركت التسمية عليه و ل الشافعية: التسمية مستحبة غير اجبة، فيؤكل ما تركت التسمية عليه ولو تركت ل الظاهرية: بل التسمية فرض على الإطلاق، فلا يؤكل ما تركت التسمية عليه ولو تركت . انظر: بداية المجتهد 4/117-112، والمغني 13/290، وتفسير ابن كثير 2/176،175.
(10) سقطت من (ك).
(11) انظر: معالم التنزيل 2/60، والجامع لأحكام القرآن 7/70.
(12) سقطت من (ك).
(13) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/288، ومعالم التنزيل 2/60.

وسبب نزول هذه الآية مفاوضة جرت بين حمزة بعد[1] إسلامه وبين أبي جهل[2]، وقيل: إن قوله ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾[3] يعني: حمزة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ﴾ يعني أبا جهل[4]، فالآيتان نزلتا فيهما، ثم المعنى عام في كل مؤمن وكافر[5].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾[6][الآية:123] أي: رؤساء كفاراً، كما جعلنا في مكة[7]﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ أي: ليكيدوا المسلمين ويؤذوهم[8]، واللام لام العاقبة[9]﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: وما ترجع[10] عاقبة مكرهم إلا عليهم[11]،﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ بذلك.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[الآية:124] أي: لن نؤمن حتى ينـزل إلى كل واحد منا ملكان من عند الله[12]، فرد الله عليهم بقوله ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ أي: ما جعلكم أهلاً أن ينـزل عليكم الملائكة؛ فإن الرسالة اختصاص من الله[13] ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ﴾ أي: ذلة[14].

---

(1) في (م): (بين).

2) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص 219 عن ابن عباس دون إسناد، وفيه أن أبا جهل رمى رسول الله فرث، فأخبر حمزة -وهو عائد من قنصه ومعه قوسه- بما فعل أبو جهل، ولم يكن حمزة قد أسلم بعد، فاقبل غضبان فعلا أبا جهل بالقوس، فقال أبو جهل: ألا ترى ما جاء به؟ سفه عقولنا، وسب آلهتنا، فقال حمزة: ومن أسفه عقولاً منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله؟ ثم أسلم.

(3) سورة القصص، الآية (61).

(4) رواه الطبري في تفسيره 10/93 عن مجاهد مرسلاً.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/70، وتفسير ابن كثير 2/178، و3/407.

(6) سقطت من (م).

(7) انظر: معالم التنزيل 2/61، وتفسير ابن كثير 2/178.

(8) انظر: زاد المسير ص 466، والجامع لأحكام القرآن 7/71.

9) عند من يثبت لام العاقبة. انظر: المحرر الوجيز 2/341، والبحر المحيط 4/218،217. وقد سبق التنبيه على الخلاف في هذه اللام، وأن كثيراً من العلماء يعتبرها لام التعليل عينها. انظر ص (144).

(10) في (م): (أي ما ترجع) دون واو.

(11) انظر: تفسير الطبري 5/333.

(12) في الأمر الذي طلبوه أقوال: منها: أنهم طلبوا أن يوحى إليهم كالرسل، ولعل هذا ما يقصده المؤلف، ومنها: نهم طلبوا أن يجري على أيديهم المعجزات كالأنبياء، ومنها: أنهم طلبوا أن يأتي الملائكة شهوداً على صدق النبي ، ولم أجد من نص على أنهم طلبوا ملكين اثنين -كما قال المؤلف-، لا للشهادة على صدق النبي ، ولا لتنبئتهم سوة بأنبياء الله. انظر: تفسير الطبري 5/334، والمحرر الوجيز 2/342، والجامع لأحكام القرآن 7/71، والبحر المحيط 4/218.

(13) انظر: البحر المحيط 4/218، وتفسير ابن كثير 2/179.

(14) انظر: تفسير الطبري 5/335.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾[الآية:125]أي: يفسح قلبه، وينوره للإسلام[1]﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾بكسر الراء، بمعنى: ضيـ‍ق، وكر··ر· -بلفظ آخر- للتأكيد، وبفتح الراء: مصدر[2]، ومعنى ذلك: يجعل صدره ضيقاً عن قبول الخير، لا يسمع موعظة، ولا ينشرح لذكر[3]،﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾أي: الإسلام والطاعة عنده كصعود السماء، يستعظم ذلك ويستصعبه، فـلا[4] ينشرح له[5]﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾أي: الخذلان والعذاب[6].

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾[الآية:126] أي: طريقه، وهو دين الإسلام[7]﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾[الآية:127] أي: الجنة، والسلام من أسماء الله، فمعناه: دار الله، وقيل: أي: دار السلامة[8]﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾أي: متوليهم بفضله[9].

﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾[الآية:128] أي: نحشر الشياطين من الجن، وأولياءهم الكفار من الإنس[10]، ثم[11] يقال للجن: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾أي: أضللتم كثيراً منهم، فكثر أتباعكم منهم[12]﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾أي: انتفع في الدنيا، كان الجن يفرحون بتعظيم الإنس لهم وطاعتهم لأمرهم، فهو استمتاعهم بالإنس، وكان الإنس إذا نزل أحدهم وادياً يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي،

---

(1) انظر: تفسير الطبري 5/335، والمحرر الوجيز 2/342.
(2) قرأ نافع وأبو جعفر وشعبة (حرجا) بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتحها، وتوجي القراءتين كما بينه المؤلف . انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/210،209، والجامع لأحكام القرآن 7/73، والبحر المحيط 4/220، والنشر 2/197.
(3) انظر: تفسير الطبري 5/337، ومعالم التنزيل 2/62.
(4) في (ك): (ولا).
(5) انظر: تفسير الطبري 5/339، ومعالم التنزيل 2/63، وزاد المسير ص 467، وتفسير ابن كثير 2/181.
(6) انظر: تفسير الطبري 5/341،340، والبحر المحيط 4/220.
(7) انظر: معالم التنزيل 2/63، والمحرر الوجيز 2/344.
(8) انظر: تفسير الطبري 5/342، والكشاف 2/61.
(9) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/74، والبحر المحيط 4/222.
(10) انظر: تفسير الطبري 5/342، والمحرر الوجيز 2/345.
(11) في (م): (لم).
(12) انظر: معاني القرآن للزجاج /291، والكشاف 2/62.
(13) في (ك): (فيسمعون).

فيستمتعون[13] بالسكون إلى خفارتهم، وما يحسنونه لهم من شهواتهم[1]، ومعناه[2]: انتفعنا في الدنيا حتى بلغنا أجل الموت الذي أجلته لنا[3]، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ أي: مسكنكم كلكم[4]﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من مدتهم الماضية قبل دخولهم النار[5]، وهذا كقوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[6] فتأمله هناك[7].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾[الآية:129] أي: كما ولينا بعض الظالمين ، فجعلناهم أولياء في الدنيا، كذلك نجعلهم أولياء في النار، يقرن الشيطان والكافر في سلسلة، وقيل: ﴿نُوَلِّي﴾ نتبع ونوالي في العذاب[8] ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ في الدنيا من الكفر والإغواء[9].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ [مِّنكُمْ﴾[الآية:130] الرسل][10] من الإنس خاصة، وقال: ﴿مِّنكُمْ﴾ وهذا شائع في اللغة[11]، تقول: أخذت الشيء من بلد كذا، وإنما أخذته من دار منها، ومنه قوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾[12]، وإنما يخرج من الملح خاصة[13]، وقال ابن عباس: الرسل من الجن هم الذين استمعوا القرآن عند رسول الله ﷺ، ثم ولوا إلى قومهم

---

1) ما ذكره المؤلف من استعاذة الإنس بالجن إنما هو تمثيل على استمتاع الجن بالإنس، وقد ذكره أكثر المفسرين، وإلا فأمثلة استمتاع الفريقين ببعضهم كثيرة. انظر: تفسير الطبري 5/343، والمحرر الوجيز 2/345 ، وزاد المسير ص 468، والجامع لأحكام القرآن 7/75، وتفسير ابن كثير 2/182.

(2) في (ك): (فمعناه).

(3) نظر: تفسير الطبري 5/343، والبحر المحيط 4/223.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/75.

(5) في هذا الاستثناء أقوال كثيرة، منها ما ذكره المؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/343، والبحر المحيط 4/224.

(6) سورة هود، الأيتان (107،108).

(7) سيأتي في تفسير سورة هود مزيد إيضاح لهذه المسألة في الموضع الذي أشار إليه المؤلف.

(8) في معنى الآية أقوال، أحدها: ما قاله المؤلف، وقيل: نجعل بعضهم لبعض أولياء كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾،وهذا اختيار الطبري، وقيل: نتبع بعضهم بعضاً، من الموالاة، وقيل: سلط بعضهم على بعض. انظر: تفسير الطبري 5/344، والكشاف 2/63، وزاد المسير ص 468، وتفسير ابن كثير 2/183.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/344، والكشاف 2/63.

(10) سقطت من (ك).

(11) في (ك): (في اللغة العربية).

(12) سورة الرحمن، الآية (22).

13) انظر: تفسير الطبري 5/345، والكشاف 2/63، والبحر المحيط 4/226،225.، وفي المثال الأخير نزاع، لقوله عالى في سورة فاطر ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ الآية (12). انظر: أضواء البيان 160/2.

منذرين[1] ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ بأنا قد كذبنا الرسل[2].

(ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ)[الآية:131] أي: فعلنا ذلك، ومعناه: أنذرنا هؤلاء ووعظناهم لأن ربك لم يكن ليهلك القرى بظلم، أي: بشرك (وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾) لم يأتهم رسول ولا كتاب[3].

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ)[الآية:132] أي: لكل قوم درجات[4] (مِّمَّا عَمِلُوا) أي: على قدر أعمالهم[5]، [للمؤمنين][6] درجات في الجنة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض[7].

(وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ)[الآية:133] أي: غني عن جميع خلقه، فلو شاء أذهبهم وأهلكهم[8]، ولكنه ذو الرحمة فيمهلهم ويرحمهم[9] (وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ) على أي: صورة شاء[10] (كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) أي: من ذرية من مضى من الأمم الهالكين، وقيل: أنشأكم بدلاً وعوضاً من ذرية قوم آخرين، تقول: أعطيتك من دينارك ثوباً، أي:

---

(1) رواه الطبري في تفسيره 5/345 من طريق ابن جريج، وقد سبق بيان ضعف هذا الطريق ص (301).

2) غالب المفسرين على أنهم شهدوا هنا على أنفسهم بأن الرسل قد بلغتهم وأنذرتهم، لأن شهادتهم جاءت جواباً على تقرير الله تعالى لهم بقوله (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا)، وقال بعضهم بمثل ما قال المؤلف: أنهم شهدوا على أنفسهم بالكفر والتفريط، ولا شك أن القول الذي قدمته وهو قول غالب المفسرين متضمن للقول الثاني، فإنهم إنما قرّرُوا بمجيء الرسل إليهم لأنهم لم يكونوا مؤمنين، أجابوا إجابة معترف منخذل، فالمقام ظاهر الدلالة على كفرهم، ولذلك أخبر الله عنهم في آخر الآية أنهم شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، وكذلك القول الثاني متضمن للقول الأول؛ لأنهم حين اعترفوا بالتكذيب كان هذا عترافاً منهم بأن الرسل قد بلغتهم وأنذرتهم. والله أعلم. انظر: تفسير الطبري 346، والمحرر الوجيز 2/347، وزاد المسير ص 469، والبحر المحيط 4/226.

3) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 5/347، 346، ومعالم التنزيل 2/66، والجامع لأحكام القرآن 7/78، 77، والبحر المحيط 4/227، 226. وقيل في معنى قوله سبحانه (بِظُلْمٍ): أي: لم يكن الله ليعذبهم ولم يرسل إليهم رسلاً ينذرونهم فيكون قد ظلمهم.

(4) غالب المفسرين على تقدير: لكل عامل درجات. انظر: تفسير الطبري 5/347، والهداية 3/2189، وزاد المسير ص 469، والجامع لأحكام القرآن 7/78، وتفسير ابن كثير 2/184.

(5) انظر: تفسير الطبري 5/347، ومعالم التنزيل 2/66.

(6) سقطت من (ك).

7) روى البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله (2790) 6/15 بلفظ «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة (1884) 5/26.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/347.

(9) وقيل: ذو الرحمة بأوليائه وأهل طاعته. انظر: زاد المسير ص 469، والبحر المحيط 4/227.

(10) قيل: إن المراد خلق غير الإنس والجن، ولعله مراد المؤلف، والمفهوم من كلام أكثر المفسرين أن المراد: يستأصل جيلكم هذا، وينشئ جيلاً آخر غيره، فالقوم المنشَؤون هم من الإنس أيضاً. انظر: تفسير الطبري 5/348، والتفسير الكبير 13/165، والجامع لأحكام القرآن 7/78، والبحر المحيط 4/228، وتفسير ابن كثير 2/185.

عوضاً وبدلاً منه[1].

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾[الآية:134] يعني البعث[2]، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [أي: معجزي][3] ربكم هرباً، فلا تفوتونه، ولا يعجز عن جمعكم وحسابكم[4].

﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾[الآية:135] أي: على حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على الحال الذي أمرني به ربي[5]، وقوله ﴿اعْمَلُوا﴾ تهديد بلفظ الأمر[6]﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ ﴿مَن﴾ -هنا- مفعول، وقيل: استفهام[7]، و﴿مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: الحسنة[8].

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ الهاء في ﴿[إِنَّهُ]﴾[9] ضمير الأمر[10]، تقديره: إن الأمر أن الظالمين لا يفلحون، كما قال: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ﴾[11] ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾[12] ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ﴾[13] ومثله كثير[14].

[قوله تعالى][15] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾[الآية:136] كانوا يقسمون أموالهم، فيقولون: هذا لله، وهذا للصنم الفلاني، فما كان للصنم فهو لا يصل إلى الله -أي: لا يتقربون به إلى الله-، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم: كانوا يذبحون بين يدي الصنم، فربما ذبحوا له ما سموه لله، وقيل: كانوا يجعلون بعض ثمارهم وزروعهم[16] صدقة لله، وبعضها للأصنام، فإن وقع شيء من نصيب الله في

---

(1) انظر القولين في: تفسير الطبري 5/348، والكشاف 2/64، والبحر المحيط 4/228، وتفسير أبي السعود 3/187.
(2) انظر: زاد المسير ص 469، وتفسير ابن كثير 2/185.
(3) سقطت من (ك).
(4) انظر: تفسير الطبري 5/348، ومعالم التنزيل 2/67.
(5) انظر: معالم التنزيل 2/67، والكشاف 2/65.
(6) انظر: الهداية 3/2191، والجامع لأحكام القرآن 7/79.
(7) انظر: الكشاف 2/65، والبحر المحيط 4/229.
(8) في (ك): (الجنة). ومراده: العاقبة الحسنة. انظر: الهداية 3/2192، والكشاف 2/65.
(9) سقطت من (م).
(10) انظر: تفسير أبي السعود 3/188، وروح المعاني 4/275.
(11) سورة الأنعام، الآية (54).
(12) سورة يوسف، الآية (90).
(13) سورة طه، الآية (74).
(14) يسمى ضمير الأمر، وضمير الشأن، وضمير القصة، وضمير الحديث، وضمير المجهول، وهو كما أوضحه المؤلف. انظر: مغني اللبيب 2/565،564، والنحو الوافي 1/250-255.
(15) سقطت من (ك).
(16) في (ك): (يجعلون في بعض ثمارهم ورزقهم).

نصيب الأصنام تركوه، وإن وقع نصيب الصنم، فاختلط، أخلفوه[1] وأتوا بمثله[2].

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾ أي: بئس الحكم هذا أن يجعلوا لله شركاء[3]، والزّعم -بفتح الزاي- لغة أهل الحجاز، وبضمها لغة أسد، وبكسرها لغة تميم وقيس[4].

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾[الآية:137] بفتح الزاي، فعل ماض، والفاعل ﴿شُرَكَآؤُهُمۡ﴾ و﴿قَتۡلَ﴾ مفعول، تقديره: زين لكثير من المشركين شركاؤهم قتلَ أولادهم[5]، ويعني بشركائهم هنا: الشياطين التي كانت في الأصنام، زينوا للمشركين قتل بناتهم[6].

ومن قرأ ﴿[زُيِّن]﴾[7] بفعل لم يسم فاعله، ورفع ﴿قتلُ﴾ لأنه مفعول لم يسم فاعله، ونصب ﴿أولادَهم﴾ لأنه مفعول، وخفض ﴿شركائِهم﴾ بإضافة القتل إليه،

---

1) لعل مراده بقوله (أخلفوه): أتوا له بخلف، أو خالفوا في موضعه فأعادوه إلى نصيب الأصنام، وسيأتي مزيد إيضاح لهذا القول بعد قليل.

2) ذكر المؤلف رحمه الله هنا قولين، ولم يتضحا لي إلا بعد تأمل ومراجعة للتفاسير، والذي ظهر لي أن القولين ليسا في الشيء الذي حصلت فيه القسمة والتقرب إلى الله أو إلى الآلهة، بل القولان في كيفية التصرف في هذه القسمة ومعنى قوله سبحانه ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡ﴾، فعلى القول الذي ساقه المؤلف أولاً :يقسم المشركون حرثهم ومواشيهم قسمين، ثم ما كان لأصنامهم من هذه القسمة فإنهم يصرفونه لأصنامهم، ولا يتقربون به إلى الله، وما كان لله من هذه القسمة فإنهم ربما تجاوزوا واعتدوا وصرفوا بعضه إلى أصنامهم، سواء ما كان من الزروع منها أو من الأنعام؛ وعلى القول الثاني: يقسم المشركون حرثهم ومواشيهم قسمين، فما كان منها لأصنامهم فوقع واختلط بشيء مما عينوه لله ردوه إلى نصيب أصنامهم، وما كان من النصيب الذي عينوه لله فوقع في نصيب أصنامهم تركوه وقالوا: هذه محتاجة . هذان قولان في معنى الآية. انظر: تفسير الطبري 5/349-351، والهداية 3/2193-2195، ومعالم التنزيل 2/68،67 ، وزاد المسير ص 470، والتحرير والتنوير 7/73.

3) أساؤوا من وجهين، فقد أساؤوا أولاً في أنهم جعلوا لله شركاء، وحاشاه جل في علاه، ثم أساؤوا في أنهم لم حفظوا القسمة، بل جاروا فيها، واعتنوا واحتفوا بقسم أصنامهم وحفظه وضبطه، دون ما سمّوه لله، وعلى هذه الوجه الثاني أكثر المفسرين، وقد نص على الوجهين ابن كثير. انظر: تفسير الطبري 5/352، والكشاف 2/65 ، والبحر المحيط 4/231،230، وتفسير ابن كثير 2/186.

(4) قرأ الكسائي بضم الزاي، وقرأ الباقون بفتحها، ولم يقرأ أحد بالكسر. وهي لغات كما حكاها المؤلف. انظر : الحجة لأبي علي الفارسي 2/213، والهداية 3/2195، والبحر المحيط 4/230، والنشر 2/197.

5) انظر تفسير الآية وإعرابها في تفسير الطبري 5/353،352، والجامع لأحكام القرآن 7/81 والبحر المحيط 4/231.

6) في (ك): (أبنانهم). وكثير من المفسرين قالوا: إن المراد بالشركاء هنا الشياطين، وقيل: سدنة الأصنام، إلا أنهم لما حكوا القول الأول -أعني أن المراد الشياطين- لم يعينوا هذه الشياطين أنها التي كانت في الأصنام، والذي يظهر من كلامهم أن المراد: بوسوستها وتزيينها وإيحائها؛ والله أعلم. انظر: تفسير الطبري 5/352، ومعالم التنزيل 2/68، والكشاف 2/66، وزاد المسير ص 470.

(7) سقطت من (ك).

فتقديره: زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ شركائِهم أولادَهم[1]، كانوا يقتلون البنات، وينسبون قتلهم إلى آلهتهم؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة، ويقولون: هم بنات الله، فيقتلون البنات لئلا يشاركوا الله، وينسبون قتلهم إلى الملائكة[2].

وفي هذه القراءة الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، كقول بعضهم:

فزجَجْتُها بمزَجَّة زجَّ القلوصَ أبى مزادة[3]

وقوله ﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾ أي: ليردي الشياطين الكفار، بمعنى: يوقعونهم في الهلاك بقتل أولادهم[4] ﴿وَلِيَلۡبِسُواْ﴾ أي: يخلطوا عليهم دينهم[5].

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾[6][الآية:138] أي: حرام ممنوع[7] ﴿لَّا يَطۡعَمُهَآ﴾ أي: لا

---

1) هذه قراءة ابن عامر، وقد نَكِرَهَا بعض المفسرين والنحاة، ولا حجة لهم في ذلك إلا أنهم لا يجيزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به -كما جاء في هذه القراءة-، وممن أنكرها -أو ضعّفها أو استبعدها- الطبري وأبو علي الفارسي ومكي والزمخشري وابن عطية، ومن المتأخرين الشوكاني، وغيرهم كثير، وقد رد عليهم أئمة القراءة وأهل التحرير من النحاة، وتواترت عليه فيما بعدُ أقلامهم، وليس المقام ملائماً لإيراد خطاباتهم في تقرير هذه القراءة -على قوة كلامهم وأهميته ووضوحه في تجلية برهان القراءة- وذلك أنهم ركبوا متن الإطناب في بيان صوابها مجانسة لقوة نكير من أنكرها، والخلاصة أن القراءة ليست بالتشهي والهوى، وإنما هي التلقي والرواية، ثم إن ابن عامر عربي صريح النسب، وقد كان من كبار التابعين، في عصر الاحتجاج باللغة، وقد كان إماماً للجامع الأموي زمناً، وهذا الجامع ملاصق لدار الخلافة الأموية التي كان الأعراب -أهل اللغة- يفدون إليها من كل الأقطار، ثم كانت قراءة ابن عامر هي المنتشرة في بلاد الشام وما جاورها حتى حدود القرن الخامس الهجري، ولم يكن حينذاك من ينكر هذه القراءة، ومما يوضح ذلك رسمها في مصحف الشام الذي بعث به عثمان رضي الله عنه إليهم، ثم إن لهذه القراءة من الشواهد ما يدفع توهين من وهّنها، وليس مناسباً الاستطراد بذكرها، ولا ينتهي العجب ممن يفرح ببيت مجهول قائله، لا يدرى لعله مصنوع، ثم ينكر قراءة ثابتة رواها عربي قُحّ. هذا مجمل الرد على من أنكر هذه القراءة. والله تعالى أعلم. انظر: تفسير الطبري 5/353، والحجة لأبي علي الفارسي 2/214-216، والهداية 3/2196، والمحرر الوجيز 2/350،349، والكشاف 2/67،66، والبحر المحيط 4/231-233، والدر المصون 5/161-176، والنشر 2/197-199، وفتح القدير 2/233،232، وروح المعاني 4/277، والتحرير والتنوير 7/78،77، والنحو الوافي 3/53.

2) لم أجد هذا القول، وإنما قال بعضهم: إن شركاءهم -كما سبق- هم الشياطين أو سدنة الأصنام، ونسب القتل إلى الشركاء لأنهم هم الذين زينوا ذلك لهم، وقيل فيها غير ذلك. انظر: معالم التنزيل 2/69، والتحرير والتنوير 7/77.

(3) هذا أحد الشواهد على صحة هذه القراءة، وقد سبق قبل قليل التعليق عليها، أما الشاهد فلم أقف على قائله، وهو من مجزوء الكامل. انظره في: معاني القرآن للفراء 1/358، والخصائص 2/406.
الزّج: هو الطعن، ويقصد بالمزجة: الرمح القصير، لأنه آلة الزّج، والقلوص: الناقة الشابة، والمعنى: فطعنته برمح كطعن أبي مزادة للقلوص. انظر: مشاهد الإنصاف (بحاشية الكشاف) 2/67.

(4) ولما كان في قتل الأولاد مضرة شديدة استعمل لفظ الإرداء. انظر: التحرير والتنوير 7/78.

(5) انظر: تفسير الطبري 5/353، والكشاف 2/67.

(6) في (ك): (وقوله: وقالوا...) الآية.

(7) انظر: تفسير الطبري 5/354، والكشاف 2/68.

يأكلها[1] (إِلَّا مَن نَّشَآءُ) أي: قوام الأوثان، وهي أنعام وزروع[2]، كانوا يجعلونها للأصنام، ويقولون: هذه حجر، أي: يمنع منها كل أحد، فلا يأكلها إلا خدام الأصنام[3].

والحجر من قولك: حجرت، بمعنى: منعت، وفيه أربع لغات: فتح الحاء، وضمها، وكسرها، وفتح الحاء [وتقديم الراء][4] على الجيم[5].

(وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا) وهي السائبة وأخواتها، وقد تقدمت في المائدة[6].

(وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا) وهو ما ذبحوه للأصنام[7]، كل هذه الأحكام كانت افتراء منهم، أي: كذباً، ولم تأت بها الشريعة[8].

(وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ)[الآية:139] أي: حلال يختص به الرجال[9] (وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا) أي: نسائنا[10].

وأنث (خَالِصَةٌ) على تأنيث لفظ (مَا) وذكر ﴿□□□□﴾ على المعنى، فأتى باللفظ ثم بالمعنى[11]، وهو فرد في القرآن، وأما حمل اللفظ على المعنى أولاً، ثم على اللفظ ثانياً فكثير، مثل: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ)[12]، ثم قال: (وَظِلَٰلُهُم) فجمع

---

(1) انظر: البحر المحيط 4/233.
(2) في (ك): (وزرع).
3) وقال بعض المفسرين: بل المراد تحريمها على الرجال دون النساء. انظر: معالم التنزيل 2/69، والكشاف 2/68، والجامع لأحكام القرآن 7/84.
(4) سقطت من (م).
(5) لم أجد من ذكر اللغة الأخيرة أعني تقديم الراء مع فتح الحاء، وإنما ذكروا تقديم الراء مع كسر الحاء. انظر : فسير الطبري 5/354، والجامع لأحكام القرآن 7/83، ولسان العرب (ح ج ر) 3/56، و (ح ر ج) 3/108، والبحر المحيط 4/233.
(6) انظر: تفسير الطبري 5/356، وزاد المسير ص 471، والجامع لأحكام القرآن 7/84. والمراد بأخوات السائبة: الوصيلة والبحيرة والحامي، وقد تقدمت في سورة المائدة، ص (80).
7) في (ك): (ما ذبحوه على اسم الأصنام). وقد قيل في معناها غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 5/356، والهداية 3/2201، وزاد المسير ص 471.
(8) انظر: تفسير الطبري 5/356.
(9) انظر: الكشاف 2/68، وتفسير أبي السعود 3/190.
(10) انظر: تفسير الطبري 5/358، والمحرر الوجيز 2/352.
(11) في (ك): (ثم المعنى).
(12) سورة الرعد، الآية (15).

على اللفظ[1].

وقرأ بعضهم﴿(خالص) بالتذكير[2].

(وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً) قرئت ﴿يَكُن﴾ بالتذكير والتأنيث، على المعنى أو اللفظ[3]، معناه: وإن يكن الذي ولدته البهيمة المعتقة ميتة اشترك في أكله الرجال والنساء[4](سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ)أي: كذبهم، ومعناه: عاقبة وصفهم[5].

(قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ)[الآية:140]ربيعة ومضر، كانوا يقتلون البنات خوفاً من السبي أو الفاقة[6]، وكان قتلهم إياهم سفها· منهم بغير شريعة اتبعوها (وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ

---

1) أولاً: قد انقلبت هذه القاعدة على المؤلف رحمه الله تعالى، وذلك أنه ذكر أن هذا الموضع قد تميز عن غيره ن المواضع بأن حُمِل على اللفظ ثم حمل على المعنى، وكانت الجادة في القرآن بالبدء بالحمل على المعنى أولاً ثم على اللفظ، ومثل لكل حال بمثال، وهذا سهو منه عفا الله عنه، وإنما الجادة الحمل على اللفظ أولاً ثم الحمل على المعنى، ومثاله (وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ) بإفراد (مَن) مراعاة لإفراد لفظ الفعل (يَسۡجُدُ) ثم حمل على المعنى فجمع(ظِلَٰلُهُم)، وإنما كانت تلك هي الجادة لأن المعنى أقوى من اللفظ، فالانصراف من الحمل على اللفظ إلى الحمل على معنى -الذي هو الأقوى- سائغ، بخلاف الانصراف من الحمل على المعنى إلى الحمل على اللفظ -الذي هو الأضعف، وهذا الموضع -أعني موضع الأنعام- قد خولف فيه هذا النظام، فروعي المعنى فيه أولاً (وَقَالُواْ مَا بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ) بتأنيث (خَالِصَةٞ) على معنى (مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ)، لأن المعنى: أجنة، ثم روعي اللفظ بعد ذلك (وَمُحَرَّمٌ) بالتذكير مراعاة لتذكير لفظ (مَا).

ذا تقرير كلام المؤلف، وإلا ففي موضع الأنعام نزاع. انظر: الهداية 3/2205،2204، والكشاف 2/68، والبحر المحيط 4/234، والبرهان 3/237، والإتقان 1/512،511، والكليات ص 568، وقواعد التفسير 1/406.

انياً: قد ذكر المؤلف هنا أن هذا الموضع فرد في القرآن، وكذلك قال مكي في كتابه مشكل إعراب القرآن، وكذلك ال علم الدين العراقي فيما نقله تلميذه أبو حيان، والزركشي، ولكن مكي بن أبي طالب في الهداية ذكر آيتين خريين، وفيهما نزاع، وقد ذكر السمين الحلبي ثلاث آيات أخرى، وذكر السيوطي في الإتقان آية أخرى. والله تعالى أعلم. انظر: مشكل إعراب القرآن 1/272، والبحر المحيط 4/234، والدر المصون 5/186، والبرهان 3/237 ، والإتقان 1/512.

2) لم يجر من عادة المؤلف أن يذكر قراءات شاذة، وإنما ذكرها هنا لتعلقها بمسألة مراعاة اللفظ أو المعنى فيما تردد بينهما. وقد قرأ بها ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: تفسير الطبري 5/354، وزاد المسير ص 471، والبحر المحيط 4/234.

3) قرأ ابن عامر وأبو جعفر وهشام في أحد وجهيه -من طريق الطيبة- وشعبة بالتاء على التأنيث، حملاً على معنى (مَا)؛ لأن التقدير، وإن تكن الأجنة (أو النسمة) ميتة، وقرأ الباقون بالياء على التذكير، حملاً على لفظ (مَا) سابق. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/217،216، والهداية 3/2206،2205، والبحر المحيط 4/235،234، وتحبير التيسير ص 112، والنشر 2/199.

في كلام المؤلف لف ونشر مشوش، ذلك أنه ذكر قراءة التذكير ثم قراءة التأنيث، فلما ذكر توجيه القراءتين بدأ بالحمل على المعنى (وإنما هو توجيه قراءة التأنيث) ثم ثنى بالحمل على اللفظ (الذي هو توجيه قراءة التذكير).

(4) انظر: البحر المحيط 4/234.

(5) انظر: تفسير الطبري 5/359، ومعالم التنزيل 2/70، والجامع لأحكام القرآن 7/85.

(6) انظر: تفسير الطبري 5/361،360، وزاد المسير ص 472.

ٱللَّهُ﴾من السائبة وأخواتها[1].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾[الآية:141]أي: خلق لكم بساتين[2]﴿مَّعۡرُوشَٰتٍ﴾على ع٘ر٘ش معلقة كالكروم المعلقة[3]﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ﴾صدق الله

﴿مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾[4] أي: طعمه[5]، مع كونه يسقى بماء واحد ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ أي: قبل أن ييبس[6]، والثمر -بثاء مثلثة والفتح فيها وفي الراء- بمعنى: الثمار الرطبة[7].

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾[8] يطعم منه المساكين عند قطعه، وهذا ندب، وليس بفرض، وقيل: كان فرضاً، ثم نسخ بالزكاة، لأن السورة مكية، والزكاة مدنية[9].

والح٘صاد بفتح الحاء لغة بني تميم، وبالكسر لغة أهل الحجاز[10]﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾أي: لا تحرموا على أنفسكم ما لم يحرمه الله، كالسائبة وأخواتها، وكقولهم ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾أي: محرمة، هذا رد عليهم في تحريم الحرث[11].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 5/361، ومعالم التنزيل 2/70.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/361، ومعاني القرآن للزجاج 2/296.
3) تنصب أعواد حتى تكون عريشاً كالسقف، ثم يوضع فوقه العنب ونحوه من الزرع الذي وصفه الله تعالى قوله ﴿جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ﴾، ويجمع على عُرُش وعروش وأعراش وعِرَشة. انظر: القاموس المحيط (ع ر ش) ص 597، والتحرير والتنوير 7/89،88، والمعجم الوسيط ص 593.
(4) في (ك): (وقوله مختلفاً أكله).
(5) انظر: معالم التنزيل 2/70، والكشاف 2/70.
(6) انظر: تفسير الطبري 5/362.
(7) كلمة (الرطبة) غير مقروءة في (م). وقوله «بثاءمثلثة» يعني: في النقط لا في الضبط، فإني لم أقف على من قل الكسر في الميم، وقوله «والفتح فيها وفي الراء» هكذا في النسختين، وحركة الراء علامة إعراب لا علاقة لها تصريف الكلمة، وإنما يريد: «الميم». وأما ما ذكره المؤلف من أن لفظ «الثمر» خاص بالثمار الرطبة فلم أقف عليه.
(8) في (ك): (قوله وآتوا حقه...) الآية.
9) في هذه الآية قولان، فقيل: المراد الزكاة، وقيل: بل صدقة غير الزكاة، والقائلون بهذا القول قال بعضهم: هو ندب، وحكمه باق، وقال بعضهم: هو واجب، ونسخ بالزكاة، وقد مال ابن كثير إلى أن هذا لا يسمى نسخاً، بل كان ي الآية فريضة واجبة، فلما فرضت الزكاة بين مقدار هذا الحق وكيفية إخراجه، ولا نسخ في الآية. انظر: تفسير الطبري 5/362-369، و زاد المسير ص 472، وتفسير ابن كثير 2/189،188.
10) قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم ويعقوب بفتح الحاء، وقرأ الباقون بكسرها، وتوجيه القراءتين كما ذكره المؤلف. انظر: الهداية 3/2210، وزاد المسير ص 472، والنشر 2/200.
11) من الأقوال في الآية: أنها نهي عما كان المشركون يفعلونه من تحريم بعض الأنعام كالسائبة والبحيرة والوصيلة والحامي، وتحريم بعض زروعهم وحرثهم، وفي الآية أقوال أقرب إلى ظاهر اللفظ، فقيل: لا تبسطوا يديكم كل البسط فتقعدوا فقراء، وقيل: لا تمنعوا الزكاة، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 5/371،370، ومعالم التنزيل 2/71، والكشاف 2/70، وزاد المسير ص 473،472، والبحر المحيط 4/240.

ثم رد عليهم في تحريم الأنعام فقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾[الآية:142]أي: وأنشأ لكم من بهيمة الأنعام حمولة، وهو ما يحمل عليه من الإبل[1]﴿وَفَرْشًا﴾وهو ما لا يركب، كالبقر والغنم وصغار الإبل[2]﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بتحريم السائبة وأخواتها[3].

ثم قال: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾[الآية:143]أي: وأنشأ لكم ثمانية أنواع[4]، والزوج في اللغة: النوع، ومنه: ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾[5]، وقوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾[6] أي: نوع من النبات، وسمي الرجل والمرأة زوجين لأنهما نوعان[7].

ثم فسر الأزواج الثماني[8]، فقال: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: ذكر وأنثى[9]﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾كذلك، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾هذه ثمانية أنواع ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾أي: قل يا محمد: هل حرم الله الذكر من الضأن والمعز؟ أم من الإبل والبقر؟ أم الأنثيين من ذلك؟ أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين؟ -أي: ما في بطون الأنثيين من الحمل[10]-، وقيل: معناه: إن كنتم تحرمون الذكور فحرموا كل ذكر، وكل أنثى، أو كل

(1) انظر: تفسير الطبري 5/372، 371، والكشاف 2/70.
(2) انظر: الهداية 3/2218، وتفسير ابن كثير 2/189.
(3) انظر: تفسير الطبري 5/374، والكشاف 2/70.
(4) في (م): (أي أنشأ لكم ثمانية أزواج). وانظر: الهداية 3/2219، والبحر المحيط 4/241.
(5) سورة يس، الآية (36).
(6) سورة لقمان، الآية (10).
(7) انظر: لسان العرب (ز و ج) 6/108، والبحر المحيط 7/321، 320، 180، والتحرير والتنوير 7/96.
(8) في (ك): (الثلاثة).
(9) انظر: تفسير الطبري 5/375.
(10) انظر معنى ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ في تفسير الطبري 5/376.

حمل[1].

﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ أي: خبروني عن هذا بأمر من الله؟[2].

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي: شهوداً، وقد[3] وصاكم الله بهذا[4]﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ صدق الله

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ [عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا]﴾[5] أي: كذب على الله في تحريم ما أحل[6] ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منه بالحلال والحرام.

---

(1) في تفسير الآية قولان:
الأول: أن الآية استفهام يراد به الإنكار على هؤلاء المشركين أن يكون الله تعالى قد حرم من هذا شيئاً، وأطنب في تفصيل أنواع الأنعام للمبالغة في الإنكار عليهم والرد عليهم، وبيان أن الله سحانه لم يحرم أي نوع من أنواع الأنعام، لا ذكورَ الضأن ولا إناثها، ولا ذكورَ المعز ولا إناثها، ولا ذكورَ الإبل ولا إناثها، ولا ذكورَ البقر ولا إناثها، وخرج هذا الإنكار في صيغة الاستفهام الإنكاري، وليس ثمة سوى النكير عليهم، ومطالبتهم بالدليل على ما زعمون من تحريم هذه الأنعام، وليس عندهم دليل ولا أثارة من علم على ما زعموا، وعلى هذا القول قلة من المفسرين، وأول من قال به -فيما أعلم- هو الرازي، ثم المؤلف وأبو السعود والألوسي، وهو الظاهر من كلام ابن عاشور، ولكن كلام قتادة -عند الطبري- يحتمله.حيث قال في معنى الآية:«إن كل هذا لم أحرم منه شيئاً»، وفي رواية عنه «لم أحرم من هذا شيئاً».
والثاني: أن الآية استدلال على أن الله تعالى لم يحرم مما زعموا شيئاً، وبرهان ذلك أن الأنعام ثمانية أزواج ، ذكوراً وإناثاً، فإذا حرمتم أيها المشركون صنفاً من هذه الأصناف وجب عليكم أن تحرموا كل أفراد ذلك الصنف ، فإذا حرمتم ذكراً لذكورته وجب أن تحرموا كل ذكر، وإن حرمتم أنثى لأنوثتها وجب أن تحرموا كل أنثى، وإن حرمتم حملاً -ولا يكون إلا ذكراً أو أنثى- وجب أن تحرموا كل الذكور والإناث. وعلى هذا القول أكثر المفسرين ، كالطبري ومكي والبغوي وابن عطية وابن الجوزي والقرطبي وابن كثير، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما من رواية علي بن أبي طلحة(وقد سبق الكلام على قوة هذا الطريق ص(33)). وهذا القول هو ما أشار إليه المؤلف بقوله:«وقيل: معناه: إن كنتم تحرمون الذكور حرموا كل ذكر وكل أنثى أو كل حمل»، وفي كلامه حذف، وتقديره: إن كنتم تحرمون الذكور فحرموا كل ذكر، وإن كنتم تحرمون الإناث فحرموا كل أنثى، وإن كنتم تحرمون الحمل فحرموا كل حمل.
وقد استبعد الرازي هذا القول جداً، وذلك أن قائلي هذا القول علقوا علة تحريم المشركين لما حرموه بالذكورة أو الأنوثة أو الحمل، وجعلوا الدليل: إن كنتم تحرمون الذكور فحرموا كل ذكر، وإن كنتم تحرمون الإناث فحرموا كل أنثى، وإن كنتم تحرمون الحمل فحرموا كل حمل، قال الرازي:«لأن لقائل أن يقول: هب أن هذه الأنواع الأربعة -أعني: الضأن، والمعز، والإبل، والبقر- محصورة في الذكور والإناث، إلا أنه لا يجب أن تكون علة تحريم ما حكموا بتحريمه محصورة في الذكورة والأنوثة، بل علة تحريمها كونها بحيرة أو سائبة أو وصيلة أو حاماً أو سائر الاعتبارات، كما أنا إذا قلنا: إنه تعالى حرم ذبح بعض الحيوانات لأجل الأكل؛ فإذا قيل: إن ذلك الحيوان إن كان قد حرم لكونه ذكراً وجب أن يحرم كل حيوان ذكر، وإن كان قد حرم لكونه أنثى وجب أن يحرم كل حيوان أنثى، ولما لم يكن هذا الكلام لازماً علينا، فكذا هذا الوجه الذي ذكره المفسرون في تفسير هذه الآية».
وللرازي في تفسير الآية وجه آخر. والله تعالى أعلم. انظر: معاني القرآن للفراء 1/360، وتفسير الطبري 5/376،375، ومعاني القرآن للزجاج 2/299، والهداية 3/2221، ومعالم التنزيل 2/73، والكشاف 2/71، وزاد المسير ص 473، والتفسير الكبير 13/178،177، والجامع لأحكام القرآن 7/102، والبحر المحيط 4/241، وتفسير أبي السعود 3/193، وروح المعاني 4/285، والتحرير والتنوير 7/98،97.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/102.

(3) في (ك): (إذ).

(4) انظر: الهداية 3/2222، ومعالم التنزيل 2/73.

(5) سقطت من (م).

(6) انظر: تفسير الطبري 5/377، والكشاف 2/71.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾[الآية:145]أي: لا أجد فيما أوحي إلى تحريم سائبة ولا وصيلة ولا شيء من هذه البهائم[1]﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ أي: دماً جارياً، بخلاف الذي يبقى في العروق، فإنه معفو عنه، وهو غير مسفوح[2]﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ أي: فإن هذا كله خبيث محرم[3]﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [أي: أو يكون المذبوح ذبح فسقاً][4] وكفراً، وهو ما ذبح للصنم[5]﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي: ألجأته الضرورة إلى أكل الميتة، فلا بأس[6].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾[الآية:146]أي: ما لم يكن متصل الأصابع، كالإبل والنعام[7]، وحرم عليهم من البقر والغنم الشحوم، إلا ما حمل[8] الظهر من الشحم، أو حملت الحوايا، وهي المباعر، جمع حوية[9]﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ من الشحم[10].

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ أي: هذا إنما حرمناه عليهم ببغيهم وذنوبهم، فعلى هذا يكون تحريمها عليهم بنهي من الله على لسان موسى جزاء لمعاص وقعت منهم، وهو قوله ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ [أُحِلَّتْ لَهُمْ]﴾[11].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 5/378، والإتقان 1/85.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/379، ومعالم التنزيل 3/74،73.
3) قيل: الضمير يعود على لحم الخنزير، وقيل: يعود على الخنزير، وقيل بما قال به المؤلف: أنه يعود على كل ما ذكر سابقاً، وهو خلاف الظاهر. انظر: البحر المحيط 4/243،242، وتفسير أبي السعود 3/194، وروح المعاني 4/287.
(4) سقطت من (ك).
(5) انظر: الكشاف 2/72، وزاد المسير ص 474، والبحر المحيط 4/244.
6) ذكر الميتة هنا مثال، ولا يقصد المؤلف أنه لا يجوز له في حال الضرورة أن يأكل من غير الميتة، وأنه لا يجوز له أكل الدم المسفوح أو لحم الخنزير أو ما أهل لغير الله به، وإنما ذكر الميتة مثالاً لأنها كالعنوان لما ذكر الله تعالى معها في هذه الآية ونظائرها. وانظر: تفسير الطبري 5/381، ومعالم التنزيل 2/75، والتفسير الكبير 13/182.
(7) انظر: تفسير الطبري 5/381، والجامع لأحكام القرآن 7/112.
(8) في (ك): (حملت).
9) وهي الأمعاء، وتسمى: المباعر لاجتماع البعر فيها. وانظر: تفسير الطبري 5/383-385، والجامع لأحكام القرآن 7/112.
(10) انظر: تفسير الطبري 5/385.
(11) سقطت من (م). والآية من سورة النساء، ورقمها (160). وانظر: الجامع لأحكام القرآن 7/114، وتفسير ابن كثير 2/192.

وتقدير الكلام: قل يا محمد للمشركين: إنما حرم الله في القرآن كذا، وحرم في شري‌عة[1] موسى كذا، وأما السائبة وأخواتها فما حرمت في شريعة من الشرائع[2].

ثم قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾[الآية:147] أي: كذبك المشركون فيما جئت به من تحليل ما حرموه وغير ذلك[3] فقل لهم: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ أي: رحمته تسعكم في الدنيا، فيمهلكم[4]، فإذا جاء بأسه -أي: عذابه- فلا مرد له.

وأخبر الله أنهم يقولون: لو شاء الله ما أشركنا ولا حرمنا شيئاً من هذا، وهذا احتجاج غير مقبول، فإن العبد مكلف بالإيمان والطاعة، فتعليقه[5] بمشيئة الله مع تركه لأمر الله تعطيل وكذب منه، لأنه لا يعتمد على المشيئة في أمور دنياه، بل يبذل جهده في تحصيل شهواته ومناه، فظهر أن اعتماده على المشيئة في أمر دينه استهزاء بـأمر الله[6].

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: كتاب من عند الله بأنكم على الحق فيما تعبدون وما تحرمون[7]، إن تتبعون إلا ظنونكم ﴿وَإِنْ أَنتُمْ﴾ أي: وما أنتم ﴿إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ أي: تكذبون[8].

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[الآية:149] بما أنزل من الكتب، وأوضح من الآيات، فله الحجة والقدرة التامة[9] ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ [أَجْمَعِينَ] ﴿١٤٩﴾﴾[10].

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾[الآية:150] أي: قل للمشركين: اجمعوا شهودكم بتحريم هذا وأتوا بهم[11] ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾ فلا تشهد معهم يا محمد، فإن شهادتهم إنما هي مبينة على الظن

(1) في (ك): (شرعة).
(2) انظر: التحرير والتنوير 7/106.
(3) وقيل: فإن كذبك اليهود... انظر: زاد المسير ص 475، وتفسير أبي السعود 3/196، وتفسير ابن كثير 2/193.
(4) انظر: تفسير الطبري 5/386، والجامع لأحكام القرآن 7/114.
(5) في (م): (فيعلقه).
(6) في (ك): (استهزاء بالله).
(7) انظر: زاد المسير ص 476، والجامع لأحكام القرآن 7/115.
(8) انظر: تفسير الطبري 5/388، وزاد المسير ص 476.
(9) انظر: تفسير الطبري 5/388، ومعالم التنزيل 2/77.
(10) سقطت من (م).
(11) انظر: الهداية 3/2236، ومعالم التنزيل 2/77.
(12) انظر: تفسير الطبري 5/389.
(13) في (م): (هيا ألمم).

والوهم[12]، وأصل (هَلُمَّ)﴿ ها أُل ـم ·م[13]، ثم أدغمت، وأسقطت الألف للوصل[1].

قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ)[الآية:151] أي: [إن][2] السائبة وأخواتها ليست بحرام[3].

(تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) فذكر الشرك، ثم عقوق الوالدين بقوله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾، أي: وأوصى بالوالدين إحساناً[4]، فحرم العقوق (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ) أي: لا تقتلوا البنات لأجل فقركم وفاقتكم[5](نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ) ولو كنتم فقراء (وَإِيَّاهُمْ) أي: ونرزق الأولاد، وقال في سبحان: (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ)[6]، فبدأ بذكر الأولاد لأن أولئك كانوا أغنياء، وقتلوا الأولاد خشية إملاق، أي: خوفاً من حدوث الفقر، فقال: (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ) فلا ينقصوا من رزقكم شيئاً، وفي هذه السورة ذكر قتل الفقراء لأولادهم، فقال: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ) فبدأ بذكر الآباء هنا لفقرهم[7].

(وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) رداً على الجاهلية في قولهم: ما بطن من الزنا لا بأس به، وما ظهر فهو لوم[8].

(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) فهو أن يقتل عمداً في ·قتل، أو يرتد عن الإسلام، أو يزني بعد إحصان[9].

---

(1) أصل (هلم) على المشهور: ها لُمّ، مكونة من (ها) التنبيه، وفعل الأمر (لُمّ)، والمعنى: اجمع نفسك إلينا، وأصل (لُمّ): الْمُم، ويجوز فيه الفك والإدغام، فيجوز في فعل الأمر من (اللم) أن تدغم عينه في لامه، ويجوز فكها، تقول (لُمّ، والْمُمْ)، فإذا أدغمت عينه في لامه -وهي هنا الميم في الميم- استغنيتَ عن همزة الوصل التي جيء بها للتوصل إلى النطق بالساكن، وهذا معنى قول المؤلف (ثم أدغمت)، وأما قوله (ثم أسقطت الألف للوصل) فيريد بها ألف (ها) التنبيه. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/303، وزاد المسير ص 476، ولسان العرب (هـ ل م) 15/127 ، والبحر المحيط 4/237، والدر المصون 5/212، والقاموس المحيط (هـ ل م) ص 1171، وشرح ابن عقيل على الألفية 2/543،542.

(2) سقطت من (ك).

(3) انظر: تفسير الطبري 5/390، والبحر المحيط 4/250.

(4) بتقدير: وأوصى... انظر: تفسير الطبري 5/390، ومعاني القرآن للزجاج 2/304.

(5) انظر: معالم التنزيل 2/78، وزاد المسير ص 477.

(6) سورة الإسراء، الآية (31).

(7) انظر: البحر المحيط 4/252،251، وتفسير ابن كثير 2/196.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/392،391، ومعالم التنزيل 2/78.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/393، والمحرر الوجيز 2/362، وتفسير ابن كثير 2/196.

(ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ) أي: هذا كله وصاكم به[1] لعلكم تتقون[2] وتعلمون أمره ونهيه فتطيعوه.

(وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ)[الآية:152] وهو أن يتجر له ويقصد زيادته وحصول المصلحة له[3] (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ) أي: يبلغ الحلم، وتقديره: حتى يبلغ أشده فادفعوا إليه ماله إذا ظهر رشده[4].

(وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟) يعني: في الشهادة في الحقوق[5] (وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟) أي: سائر العهود: عهد الله في قوله: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)[6]، وعهودكم مع الخلق[7].

(وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا)[الآية:153] يعني: الإسلام[8]([فَٱتَّبِعُوهُ])[9] (وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ) أي: الطرق الخارجة عن الإسلام[10](فَتَفَرَّقَ [بِكُمْ])[11] أي: فتتفرق بكم عن سبيل الله[12].

(ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ)[الآية:154] أي: التوراة، أنزلناها[13] على موسى بعد أن وصينا له[14] بهذا المتقدم في جميع الكتب قبل التوراة، لأن هذا مذكور في كل شريعة، ويجوز أن يكون (ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم [بِهِۦ])[15] في القرآن، ويكون (ثُمَّ ءَاتَيْنَا) لترتيب الخبر، لا

---

(1) انظر: البحر المحيط 4/252.
(2) في (ك): (وصاكم ربكم به لعلكم تتقون)، ففي النسختين (لعلكم تتقون)، ولا يبدو أن المؤلف يريد لفظ الآية، وإلا فلفظها إنما هو (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).
(3) انظر: تفسير الطبري 5/393، والجامع لأحكام القرآن 7/121،120.
(4) انظر: تفسير الطبري 5/394، والبحر المحيط 4/252.
5) قيل: المراد: في الشهادة، وقيل: في الحكم بين الناس، والراجح أنه عام. انظر: الهداية 3/2242، والمحرر الوجيز 2/363، وزاد المسير ص 477، وتفسير ابن كثير 2/197.
(6) سورة الأعراف، الآية (172).
7) أما كون المراد بالعهد هنا ما عهد الله به إلى خلقه من عهود -ومنها عهد (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)- فظاهر، وأما كون العهد هنا ما تعاقد الناس عليه فقاله بعض العلماء، وإنما أضيف إلى الله سبحانه من حيث إنه أمر بحفظه والوفاء به. انظر: تفسير الطبري 5/395، والمحرر الوجيز 2/363، والبحر المحيط 4/253.
(8) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/123.
(9) سقطت من (م).
(10) انظر: الكشاف 2/77، وزاد المسير ص 478.
(11) سقطت من (م).
(12) انظر: الكشاف 2/77، والتحرير والتنوير 7/129.
(13) في (ك): (الذي أنزلناها).
(14) في (ك): (وصيناكم).
(15) سقطت من (ك).

لترتيب المخبر به، وتقديره: ثم اذكر إذ آتينا موسى الكتاب[1].

(تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ) أي: إتماماً للنعمة على من أحسن وأطاع الله[2](وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ) من الأمر والنهي[3](وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٤﴾) بالله ورسله.

(وَهَٰذَا كِتَٰبٌ) يعني القرآن، أنزلناه مباركاً على من آمن به[4].

(أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ [أُنزِلَ])[5] [الآية: 156] أي: إنما أنزلناه لئلا تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وهم اليهود والنصارى[6](وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾) أي: وما كنا عن قراءتهم لكتبهم إلا غافلين[7]، لا نفهم ما يقرءون، لأنه بغير لغتنا[8].

(أَوۡ)[الآية: 157] لئلا (تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ) بلغتنا (لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡ) أي: أرشد وأقوم[9](سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ) أي: يعرضون عن آياتنا[10](سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ) أي: أشده[11].

(هَلۡ يَنظُرُونَ)[الآية: 158] أي: هل ينتظر المشركون[12](إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ) لقبض أرواحهم[13](أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ) أي: أمره وحكمه بين خلقه[14](أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ) قيل: طلوع

1) والقول الثاني هو قول جماهير المفسرين. انظر: تفسير الطبري 5/396، وزاد المسير ص 478، والتفسير الكبير 14/4، والبحر المحيط 4/255، وتفسير أبي السعود 3/201.
2) وقيل: المراد: موسى عليه الصلاة والسلام، أحسن في قيامه بأمر الله تعالى، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 5/398-400، والتفسير الكبير 14/4، والبحر المحيط 4/256،255.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/81، وتفسير ابن كثير 2/199.
(4) انظر: البحر المحيط 4/256.
(5) سقطت من (م).
6) يقدر السياق هنا: لئلا تقولوا، أو لأجل أن لا تقولوا، أو كراهة أن تقولوا، على أقوال، والطائفتان هما اليهود والنصارى. انظر: تفسير الطبري 5/402،401، والبحر المحيط 4/257.
7) هذا قول نحاة الكوفة، وقال نحاة البصرة: بل: (إن) هنا هي المخففة من الثقيلة، واللام فارقة، تفرق بين النافية وبين المخففة من الثقيلة، وتفيد التوكيد. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/307، والمحرر الوجيز 2/365، والتفسير الكبير 14/6، والبحر المحيط 4/257.
(8) انظر: معالم التنزيل 2/81، وتفسير ابن كثير 2/200.
(9) انظر: تفسير الطبري 5/403.
(10) انظر: معالم التنزيل 2/82، والمحرر الوجيز 2/366.
(11) انظر: معالم التنزيل 2/82.
(12) انظر: المحرر الوجيز 2/366، وزاد المسير ص 479.
(13) انظر: تفسير الطبري 5/404، وزاد المسير ص 479، والجامع لأحكام القرآن 7/129.
(14) مذهب أهل السنة إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه دون تأويل ولا تمثيل ولا تكييف، والمراد بالإتيان هنا: تيان الله تعالى للفصل بين خلقه في موقف القيامة. انظر: تفسير الطبري 5/404، وتفسير ابن كثير 2/200، والعذب النمير 2/895-917.

الشمس من المغرب[1].

وقيل: إن المشركين كانوا يقولون: لا نؤمن حتى نرى الله ع·ياناً، أو نرى الملائكة، ويأتي إلى كل واحد منا رسول منهم، أو نرى آية تنزل[2] من السماء ونعاينها، فهو معنى الآية[3].

ثم قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ أي: لو أتتهم آية -كما يطلبون- لم ينفع الكافر[4] إيمانه إن لم يكن آمن من قبل، ولا ينفع التائب توبته إن لم يكن كسب قبل ذلك خيراً[5]، وهذه سنة الله في الأمم الماضية، إذا أتتهم الآيات أو أتاهم العذاب لم يقبل منهم إيمان بعد ذلك، إلا قوم يونس، فإن الله قبل منهم الإيمان بعد مجيء العذاب، وهو قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾ الآية[6].

وقيل: إن معنى الآية إذا طلعت الشمس من الغرب لا ينفع نفساً إيمانها إذا لم تكن آمنت من قبل ذلك، فلا يقبل حينئذ إيمان ولا توبة[7].

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾[8] حكم الله بين خلقه يوم القيامة[9]، إني منتظر ذلك.

﴿ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ﴾[الآية:159] بالألف، من المفارقة، يعني: تركوا

1) روى مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (158) 1/347 عن أبي هريرة مرفوعاً «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» . وانظر: تفسير الطبري 5/405، وتفسير ابن كثير 2/201.

(2) في (ك): (نزلت).

3) ذكر هذا القول في: البحر المحيط 4/259، وتفسير أبي السعود 3/203، والأول أشهر وأرجح، وعليه يدل الحديث المذكور قبل قليل.

(4) في (ك): (لم يكن ينفع الكافر).

(5) هذا على القول بأن المراد بالآيات: أي: التي طلبوها. انظر: تفسير أبي السعود 3/204.

(6) سورة يونس، الآية (98).

(7) انظر: تفسير الطبري 5/412، 411، ومعالم التنزيل 2/82.

(8) في (م): (قل فانتظروا).

(9) بنى المؤلف كلامه هذا على ما قدمه من تأويل إتيان الله تعالى يوم القيامة للفصل بين العباد بإتيان حكمه، قد تقدم بيان مذهب أهل السنة في هذه الآية ونظائرها، ومعنى الآية عند الطبري: انتظروا ما توعدكم الله به من تيان الملائكة لقبض أرواحكم، أو إتيان الله تعالى لفصل القضاء، أو طلوع الشمس من مغربها. تفسير الطبري 5/412.

دينهم وشرائعهم[1]، وصاروا ف·ر·قاً، والش··ي·ع: الف·ر·ق، جمع شيعة[2]، وهم أهل الكتاب، افترقوا يهوداً ونصارى، وبدلوا كتب الله[3].

(إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ) يجزيهم يوم القيامة، قيل[4]: إن هذا منسوخ بالسيف[5].

وقال أبو هريرة: هذه الآية في أهل البدع من هذه الأمة[6]، والأول أظهر[7].

(مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا) [الآية:160] يجزي الحسنة بعشرة، والسيئة بسيئة واحدة.

﴿دينا· ق·ي··ما·﴾ [الآية:161] بالتشديد، أي: مستقيما·، وبتخفيف الياء: مصدر، بمعنى: قياما·، أي: دينا· أقامه الله قيما·[8]، و(دِينًا) بدل من (صِرَٰطٍ) على الموضع، التقدير: هداني ربي صراطاً مستقيما· دينا· قيما·[9] (مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًا) حال لإبراهيم[10].

(قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي) [الآية:163] أي: وطاعتي، والنسك: ما يذبح تقربا· إلى الله في الضحايا والهدايا[11] (وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي) أي: حياتي وموتي لله، ومعناه: إنما أصلي وأنسك

---

1) قرأ حمزة والكسائي (فارقوا دينهم) وتوجيهها كما بينه المؤلف، وقرأ الباقون (فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ) من التفريق، والمراد افتراق اليهود والنصارى، أو افتراق أهل الأهواء من الملل السماوية على أنحاء مختلفة، أو الإيمان ببعض الدين والكفر ببعض. انظر: تفسير الطبري 5/413،412، والحجة لأبي علي الفارسي 2/228، والبحر المحيط 4/260، والنشر 2/200.

(2) انظر: معالم التنزيل 2/83، والمحرر الوجيز 2/367.

(3) انظر: تفسير الطبري 5/414،413، والجامع لأحكام القرآن 7/134.

(4) كذا في النسختين، دون واو.

5) والصواب ما قدمه المؤلف من أن الآية محكمة، ومعناها: إنما حسابهم على الله، يجزيهم يوم القيامة. انظر القولين في: تفسير الطبري 5/415، والمحرر الوجيز 2/368،367، ونواسخ القرآن ص 161.

6) رواه الطبري من عدة طرق، أحدها -وهو أجودها- عن محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ليث، عن طاووس، عن أبي هريرة موقوفاً. فمحمد بن بشار هو بندار، وعبد الرحمن هو ابن مهدي، وسفيان هو الثوري، وليث هو ابن أبي سليم، وطاووس هو ابن كيسان، وكلهم ثقات غير ليث، فإنه صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك. انظر تراجمهم في تقريب التهذيب -على ترتيبهم في الإسناد- (3026،5721،2458،4044،5791)، وكل طرق الطبري تدور على ليث بن أبي سليم. تفسير الطبري 5/414، وانظر: تفسير ابن كثير 2/204.

(7) انظر: تفسير الطبري 5/414، وتفسير ابن كثير 2/204.

8) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف (قِيَمًا)، وقرأ الباقون (قيّما)، وتوجيه القراءتين كما وضحه المؤلف. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/311،310، والحجة لأبي علي الفارسي 2/229، وزاد المسير ص 481، والنشر 2/200.

(9) وفي إعرابه أوجه أخرى. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/229، والبحر المحيط 4/262.

(10) انظر: المحرر الوجيز 2/369.

11) قيل في معنى (وَنُسُكِي) أي: طاعتي، وقيل: ديني، وقيل: ذبحي، وقيل: النسك: الطاعة، إلا أنه غلب في الذبح، ولعل هذا هو قول المؤلف. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/311، وزاد المسير ص481، والجامع لأحكام القرآن 7/137، وتفسير ابن كثير /206.

لله، وأقر بالوحدانية لله، وأعبده أيام حياتي، وأموت على ذلك، وألقى الله به[1] صدق الله

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [هو][2] سابق السابقين ﷺ، والعرب تقول: كن أول من يفعل كذا، يريدون بذلك المبالغة والتأكيد في الأمر[3].

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾[الآية:164] أي: أطلب سواه إلها·[4] ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: خالقه ومدبره، وأصل هذه التسمية من قولهم: رب·· الشيء، يرب··ه، أي: دبره، وهو مصدر استعمل منه، كعدل، ورضى[5]﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا تكسب ذنبا· إلا عليها وزره، فـلا[6] أطالب أنا بكفركم[7]﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمل نفس حاملة وزر نفس أخرى، فلا يطالب أحد بذنب أحد[8].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾[الآية:165] جمع خليفة، أي: جعلكم خلفاً ممن سلف، ويأتي بعدكم من يخلفكم، فلا تزالون خلائف، يخلف بعضكم بعضاً إلى يوم القيامة[9] ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ جعل بعضكم أغنياء، وقوما· فقراء، وملوكاً ورعية وأذلة، إلى غير ذلك[10]﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم بالنعم التي آتاكم، فتظهر الحجة عليهم بظهور من يشكر النعم أو يبطر، ومن[11] يصبر على البلاء أو

(1) وقيل: أي: حياتي ووفاتي لا يملكهما إلا الله، وقيل: حياتي بيد الله، ومرجعي بعد مماتي إليه، وقيل: أحيا على ين الله وبذلك أوصي بعد وفاتي. انظر: زاد المسير ص 481، والجامع لأحكام القرآن 7/137، والبحر المحيط 4/262.

(2) سقطت من (ك).

(3) كأن مراد المؤلف أن معنى الآية المسارعة إلى الإسلام والثبات عليه والاغتباط به، وهو قول ابن عاشور، قال غالب المفسرين: أول المسلمين من أمته. انظر: تفسير الطبري 5/421، وزاد المسير ص 481، والبحر المحيط 4/263، وتفسير ابن كثير 2/206، والتحرير والتنوير 7/152.

(4) انظر: تفسير الطبري 5/421، والمحرر الوجيز 2/370.

(5) انظر: الهداية 3/2266.

(6) في (ك): (ولا).

(7) انظر: الهداية 3/2266، وزاد المسير ص 481، والبحر المحيط 4/263.

(8) انظر: معالم التنزيل 2/86، والمحرر الوجيز 2/370.

9) وقيل: هذا لأمة محمد ، وهم آخر الأمم، وقد خلفوا سائر الأمم في هذه الأرض. انظر: تفسير الطبري 5/422، ومعاني القرآن للزجاج 2/312، والكشاف 2/81.

(10) انظر: معالم التنزيل 2/87، والكشاف 2/81.

(11) في (ك): (من) دون واو.

يضجر[1].

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ للكافرين ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ للمؤمنين ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾[2].

جمع في الآية بين التخويف والترغيب، مثل قوله [تعالى][3] ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ ثم خوفهم، فقال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[4] والمؤمن المستقيم من لم يغلب خوفه فيؤدي إلى القنوط، ومن يقنط من رحمة ربه[5] إلا الضالون؟ بل يكون بين الخوف والرجاء، ولا يغلب رجاؤه فيأمن مكر الله، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون[6]، [اللهم أمنا من مكرك يا الله][7].

(1) انظر: زاد المسير ص 482، وتفسير ابن كثير 2/208.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/423، 422.
(3) سقطت من (م).
(4) سورة الحجر، الآيتان (49، 50).
(5) في (ك): (الله)
(6) في (ك): (ولا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون)، ثم زاد بعدها: (اللهم أمنا من مكرك يا الله).
انظر نحو ما ذكره من اجتماع الخوف والرجاء في بعض الآيات، وأن المؤمن في سيره إلى الله يكون بين الخوف والرجاء، انظر ذلك في: تفسير ابن كثير 2/208، ومدارج السالكين 1/502، وبعض السلف يستحب تغليب جانب الخوف في حال الصحة، وتغليب جانب الرجاء في حال الخروج من الدنيا، ذكره في مدارج السالكين.
(7) سقطت من (م).

سورة الأعراف

مكية[1].

(الٓمٓصٓ ۝١) الألف إشارة إلى اسم الله الإله الأحد الأول الآخر، واللام إشارة إلى اسم الله اللطيف[2]، والميم إشارة إلى اسم [الله][3] الملك المهيمن المقتدر المتكبر المجيد المقدم المؤخر المعطي المانع، والصاد إشارة إلى اسم الله الصادق الصمد الصانع الصبور[4].

وقيل: إن الله تعالى أقسم بهذه الحروف لأنها مفاتيح[5] أسمائه، وبها تفهم كتبه المنزّلة[6].

(كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ)[الآية:2] أي: هذا كتاب أنزله الله إليك[7] (فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ)

---

(1) الأكثرون على أنها كلها مكية إلا خمس آيات، من قوله تعالى (وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ) ورقمها (163). انظر: معالم التنزيل 2/89، وزاد المسير ص 487، والإتقان 1/29.

(2) في (ك): (اللطيف الخبير).

(3) سقطت من (ك).

4) روي عن بعض السلف أن الحروف المقطعة إنما هي حروف تدل على بعض أسماء الله تعالى، وقال به بعض المفسرين، ثم الظاهر من كلام أكثر من قال بهذا القول أنه يعين لكل حرف اسماً من أسماء الله تعالى ، الألف من اسم (الله)، واللام من اسم (اللطيف)، والميم من اسم (المجيد)، والصاد من اسم (الصادق)، وبعض انلي هذا القول يجعلون كل حرف دالاً على أسماء الله المبتدأة بما يماثل هذا الحرف، وهو قول المؤلف. وكل هذا حتاج إلى توقيف، وللمسألة بقية بعد قليل. انظر: تفسير الطبري 1/120،119، وزاد المسير ص 483، والتفسير الكبير 2/6، والتحرير والتنوير 1/205.

(5) في (ك): (مفاتح).

(6) روى الطبري في تفسيره 1/119 من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال:«هو قسم أقسم الله به وهو ن أسمائه»، وقد سبق الكلام على قوة رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ص(33). وانظر: التفسير الكبير 2/7.

الحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن قد اختلف فيها العلماء سلفاً وخلفاً، وتعددت أقوالهم فيها، حتى أوصلها ابن عاشور -بعد حذف المكرر والمتداخل- إلى واحد وعشرين قولاً، ولم يسلم قول منها من اعتراض، بيد ن أشهر ما قيل فيها وأولاه بالصواب أحد قولين: أولهما: أنها مما استأثر الله بعلمه، والآخر: أنها أنزلت لبيان أن قرآن الذي تحدى الله تعالى العرب أن يأتوا بمثله إنما هو مؤلف من هذه الحروف التي يتحدثون بها. والله تعالى علم بالصواب. انظر: تفسير الطبري 1/118-121، والتفسير الكبير 2/4-12، وتفسير ابن كثير 1/38-41، والتحرير والتنوير 1/203-214.

(7) هذا التقدير مبني على ما اختاره المؤلف في المراد بالحروف المقطعة. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/314.

(8) انظر: تفسير الطبري 5/425، والبحر المحيط 4/267.

أي: ضيق وشك[8]، قال ابن عباس وغيره: هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره[1]، كقوله تعالى ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2] ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ أي: لتخوف[3] الكفار العقوبة، وتذكر المؤمنين ما أعد لهم[4] من المثوبة[5].

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ أي: تذكركم وانتفاعكم بالموعظة قليل[6].

﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾[الآية:4] يعني العذاب ﴿بَيَٰتًا﴾ أي: بالليل ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ أي: في وقت القائلة بالنهار[7].

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾[الآية:5] أي: دعاؤهم إلا إقراراً بالظلم[8].

فلنسألن الأمم الذين أرسل إليهم [الرسل][9] توبيخاً وتعنيفاً، ولنسألن الرسل [عن التبليغ][10] تعريفاً وتشريفاً[11]، ثم نقص على الجميع ما عملوا بعلم منا بأسرارهم، وما كنا غائبين عن إحصاء أعمالهم[12].

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[الآية:8] توضع الصحائف في الميزان، ويخلق الله فيها ثقلاً

---

1) قال مكي في الهداية 4/2274:«قال قتادة ومجاهد: الحرج هنا الشك، المراد به المرسل إليهم لا النبي، وهو ول ابن عباس وغيره». وهذا القول -على شهرته- لم أقف على من نسبه إلى ابن عباس، والظاهر أن الضمير في ول مكي «وهو قول ابن عباس» عائد إلى تفسير الحرج بالشك، وهذا مشهور في كتب التفسير، وليس راجعاً إلى أن القول بأن الخطاب للنبي والمراد أمته، فإذا كان كذلك فإن المؤلف قد وهم في نسبة هذا القول إلى ابن عباس، إنما المنسوب إليه هو تفسير الحرج بالشك. انظر: تفسير الطبري 5/425، ومعالم التنزيل 2/89، وزاد المسير ص 483، والجامع لأحكام القرآن 7/145، والبحر المحيط 4/267، والدر المنثور 3/126.

(2) سورة الزمر، الآية (65). وانظر: زاد المسير ص 1235، والجامع لأحكام القرآن 15/242.

(3) في (ك): (لتخوف به).

(4) في (ك): (ما أعد الله لهم).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/145.

(6) انظر: معالم التنزيل 2/89، وزاد المسير ص 484، والبحر المحيط 4/268.

(7) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 5/427، ومعالم التنزيل 2/89.

8) في (ك): (دعاؤهم الإقرار بالظلم). وقيل في معنى الآية: فما كانت عاقبة الدعوى التي ادعوها في آلهتهم باطلة حتى عبدوها إلا أن اعترفوا بأنهم كانوا ظالمين فيما ادعوه فيها. انظر: تفسير الطبري 5/429، ومعاني القرآن للزجاج 2/318، الكشاف 2/85،84.

(9) سقطت من (ك).

(10) سقطت من (ك).

(11) انظر: الهداية 4/2283،2282، والجامع لأحكام القرآن 7/147.

(12) انظر: الكشاف 2/85، وتفسير ابن كثير 2/210.

على مقدار العمل عنده[1].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الآية:10] يسرنا لكم سكناها، والعمارة فيها، والحرث، والأسفار، وطلب المعاش، وقليل شكركم للمنعم[2].

ولقد خلقنا أباكم من تراب، ثم صورناه في هذه الصورة، ثم أمرنا الملائكة بالسجود له[3].

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[الآية:12] أي: أن تسجد، وتكون ﴿أَلَّا﴾ زائدة، وقيل: تقديره: ما أحوجك ألا تسجد؟[4].

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾[الآية:13] أي: لا يسكن الجنة متكبر[5]، وفي الحديث «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»[6] يعني به الكفر، لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾[7].

﴿قَالَ أَنظِرْنِي﴾[الآية:14] أي: قال إبليس: يا رب أخر أجلي وامدده إلى يوم البعث[8]،

1) وقيل: توزن الأعمال بعد أن تصير أجساماً، وقيل: يوزن العامل، وقيل: يوزن الجميع: الصحائف والأعمال العامل، واختلف في كيفية الجمع بينها على أقوال. انظر: تفسير الطبري 5/434،433، والجامع لأحكام القرآن 7/14،147، وتفسير ابن كثير 2/210، وشرح العقيدة الطحاوية ص 416-419، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين 2/139-143.

2) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري5/435، والمحرر الوجيز 2/377، والجامع لأحكام القرآن 7/150.

3) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 5/438437، ومعاني القرآن للزجاج 2/322،321، والكشاف 2/86.

4) وعلى القول بزيادة (لا) فهي تفيد التوكيد، وانظر القولين في: تفسير الطبري 5/440،439، ومعاني القرآن للزجاج 2/323،322، والبحر المحيط 4/273.

(5) انظر: تفسير الطبري 5/441، ومعالم التنزيل 2/92.

(6) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (91) 1/269.

(7) الآية من سورة غافر، ورقمها (60). ومن العلماء من قال في الحديث بمثل قول المؤلف مستدلاً بهذه الآية، منهم من قال: هذا جزاؤه إن جازاه. والله أعلم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 1/270،269، ومجموع الفتاوى 7/414،413.

(8) انظر: زاد المسير ص 487، والجامع لأحكام القرآن 7/155.

(9) في (ك): (الأول).

فمتعه الله ذلك، وأمهله إلى يوم النفخة الأولى[9]، وهو الوقت المعلوم، قاله سفيان[1].

وقوله ﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾[الآية:16] أي: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي، ويحتمل أن يكون تقديره: فلأجل إغوائك إياي أزين لهم حتى يكونوا مثلي في المعصية، وأقعد لهم على طريقك المستقيم، وهو طريق الإسلام والطاعة، فأصدهم عن ذلك[2].

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾[الآية:17] [أنسيهم ما بين أيديهم][3] من أمور الآخرة، وأحبب لهم ما يتركونه خلفهم من الدنيا[4] ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أكسلهم عن الطاعات ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أزين لهم المخالفات[5].

قال الله تعالى: ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾[الآية:18] أي: معيباً، يقال: ذأمت الرجل: بالغت في مذمته، أبلغ من ذممته[6]، قال ابن [عباس][7]: مذءوما: ممقوتاً[8] ﴿مَّدْحُورًا﴾

---

(1) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، نسبة إلى ثور بن عبد مناة، ولد سنة سبع وتسعين بالاتفاق، أمير المؤمنين في الحديث، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، مات سنة 126هـ. انظر: المعرفة والتاريخ 1/713، والأنساب 1/517، وسير أعلام النبلاء 7/229، وتقريب التهذيب (2458) ص394.

انظر قوله في: تفسير سفيان الثوري ص 261، و الهداية 6/3894، وقد روى ابن أبي حاتم وابن مردويه -كما في الدر المنثور- نحو هذا عن ابن عباس، ولم أطلع على سنده، وروى الطبري مثله عن السدي من رواية أسباط عنه، وقد سبق الكلام على هذه الطريق ص(56)، واشتهر هذا القول عن السدي. انظر: تفسير الطبري 5/442، والجامع لأحكام القرآن 7/155، والدر المنثور 4/184.

هذا القول يقتضي أن الله تعالى لم يجب إبليس إلى ما طلب، وأن يوم الوقت المعلوم المذكور في الآية ليس هو يوم البعث، بل هو حين النفخة الأولى، وهو ما نص عليه أكثر المفسرين، غير أن ابن كثير رحمه الله قال:«أجابه تعالى إلى ما سأل...»، ومدلول كلامه أنه يرى أنه أنظره إلى يوم البعث، وفي المسألة أقوال أخرى. والله أعلم . انظر: تفسير الطبري 5/442، ومعاني القرآن للزجاج 2/324، ومعالم التنزيل 2/93، والمحرر الوجيز 2/380،379 ، الكشاف 2/87، وزاد المسير ص 487، والجامع لأحكام القرآن 7/155، وتفسير ابن كثير 2/571،212، وروح المعاني 4/331-333، والتحرير والتنوير 8/36،35.

(2) في (م): (قاصدين عن ذلك). وانظر القولين اللذين حكاهما المؤلف مع نحو ما ذكره من تفسير للآية في تفسير الطبري 5/443، والمحرر الوجيز 2/380، والبحر المحيط 4/275.

(3) سقطت من (ك).

(4) في (ك): (ما يتركونه خلفه من الدنيا).

(5) هذا أحد الأقوال في الآية، وقد اختلف فيما تدل عليه كل جهة من هذه الجهات المذكورة، وقال بعض المفسرين: إنما المراد: آتيهم من جميع وجوه الخير والشر، فأصدهم عن الخير وأرغبهم في الشر، وذكر الجهات إنما هو توكيد، وهذا اختيار الطبري وجماعة من المفسرين. انظر: تفسير الطبري 5/445-447، والمحرر الوجيز 2/381،380، وزاد المسير ص 487.

(6) انظر: تفسير الطبري 5/448، ومعالم التنزيل 2/94.

(7) في آخر اللوحة في (م) نقص في التصوير، وهذه الكلمة غير ظاهرة.

(8) رواه الطبري في تفسيره 5/448 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد سبق الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).

مطروداً[1](لَّمَن تَبِعَكَ)اللام جواب لقسم محذوف[2].

(وَقَاسَمَهُمَآ)[الآية:21]أي: أقسم لهما، كقولك: عاقبت اللص[3].

(فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ)[الآية:22]خدعهما باليمين الكاذبة[4]، وظن آدم عليه السلام أن أحداً لا يتجرى[5] أن يحلف بالله كاذباً[6].

(لِيُبْدِيَ لَهُمَا)[الآية:20] أي: ليظهر ما ووري -أي: ستر- عنهما من عوراتهما[7]، وسميت العورة سوءة لأن انكشافها يسوء صاحبها[8]، واللام في (لِيُبْدِيَ) لام العاقبة، وليست ب‍لام كي[9].

(تَكُونَا مَلَكَيْنِ) بالفتح من الملائكة، وبالكسر من الملوك[10](وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ)[11] أي: وجعلا يرقعان من ورق الجنة[12].

(وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ)[الآية:24]ولكم فيها مستقر[13]، أي: سكن على ظهر الأرض،

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/94، وتفسير ابن كثير 2/214،213.

2) يعني أنها اللام الموطئة لجواب القسم، وهي لام تدخل على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها، لا على الشرط، وجواب القسم هنا هو قوله سبحانه (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ)، وهو ساد مسد جواب الشرط. انظر: الكشاف 2/90، والجامع لأحكام القرآن 7/157، والبحر المحيط 4/278، ومغني اللبيب 1/262.

3) يريد أن صيغة المفاعلة التي تكون من اثنين، والتي دل عليها لفظ (وَقَاسَمَهُمَآ) ليس مراداً هنا أن تدل على حقيقة المفاعلة الحاصلة من طرفين، بل الفعل هنا من جانب واحد، وهو جانب إبليس، كما تقول: عاقبت اللص، إنما المعاقبة من جانب واحد، وقال بعض المفسرين: بل المفاعلة هنا من طرفين، فتوجه آدم وحواء للقسم إقبالهما عليه بمثابة القسم، أو أنهم استقسموه فأقسم، أو أقسموا له بقبول نصيحته وأقسم بالنصح. انظر: الهداية 4/2312، والكشاف 2/91، والمحرر الوجيز 2/385، والجمع لأحكام القرآن 7/159، وتفسير ابن كثير 2/214.

(4) انظر: تفسير الطبري 5/451، والجامع لأحكام القرآن 7/159.

(5) كذا في النسختين، والمراد: لا يتجرأ، ولم أجد فيما بين يدي من معاجم ترك همزه في الفعل.

(6) رواه الطبري في تفسيره 5/452،451 عن ابن عباس موقوفاً، وفي سنده الحسن بن عمارة، وهو متروك. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال 2/265، وتقريب التهذيب (240).

(7) انظر: معالم التنزيل 2/94، والجامع لأحكام القرآن 7/158.

(8) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/158.

9) في (ك): (وليست لام كي). وقد سبق ص(144) خلاف النحويين في مثل هذه اللام: أهي لام العاقبة، أم أنه ليس هناك لام خاصة تدل على العاقبة، وإنما هي لام التعليل ذاتها، والتي عبر عنها المؤلف بلام كي، وحتى من يثبت لام العاقبة فإن بعضهم في هذا الموضع قال: هي لام التعليل؛ لأن إبليس قد قصد كشف عوراتهما. انظر: الهداية 4/2315، والمحرر الوجيز 2/384، والبحر المحيط 4/279.

10) القراءة بكسر اللام قراءة شاذة، وقد رويت عن ابن عباس والحسن بن علي وغيرهما، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/450، والبحر المحيط 4/280.

(11) في (م): (فطفقا يخصفان).

(12) انظر: تفسير الطبري 5/452، ومعالم التنزيل 2/95.

(13) كذا في النسختين، والآية (وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ).

ومنفعة تتمتعون بها إلى حين انقضاء آجالكم[1].

(قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا)[الآية:26]أي: خلقنا لكم ثياباً، والإنزال هنا الخلق، كقوله (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ)[2] أي: خلقنا، وقيل: معناه: أنزلنا الماء الذي هو أصل اللباس كله[3].

(وَرِيشًا)أي: لباساً وزينة، وقيل: هو المال، وقيل: الجمال[4].

﴿ولباسَ التقوى﴾ بالنصب، أي: وأنزلنا عليكم لباس التقوى (ذَلِكَ خَيْرٌ) يعني: هذا الذي خلقناه لكم من اللباس خير من التجرد في الطواف، وكان الجاهلية يطوفون عراة، ومن رفع (وَلِبَاسُ)[5] فتقديره: لباس التقوى خير من الثياب الظاهرة، ولباس التقوى هو ما يكون على المؤمن الصالح من سمت حسن وظهور آثار خشية الله[6].

(يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا)[الآية:27]هو تساقط ثياب الجنة عن حواء وآدم، وقيل: كان على جسمهما ظفر، فنـزع عنهما، وأدركتهما التوبة وقد بقي على أطراف الأصابع[7].

(إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) أي: إن إبليس وقومه الشياطين يرون الإنس، والإنس لا يرونهم، فهم أقوى على الخداع والمكر[8] (إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ [لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ][9]﴿٢٧﴾) أي: أعواناً للكافرين على الكفر[10].

(وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً)[الآية:28]يعني: الطواف بالبيت عراة، كان الرجال يطوفون بالبيت في

---

(1) انظر: الكشاف 2/93، والمحرر الوجيز 2/388،387.
(2) سورة الحديد، الآية (25).
(3) انظر هذين القولين وغيرهما في معالم التنزيل 2/96، والمحرر الوجيز 2/388، والتحرير والتنوير 8/57.
4) انظر هذه الأقوال في معالم التنزيل 2/96، وزاد المسير ص 489، وقد رجح ابن كثير أن المراد باللباس في هذه الآية ما يستر العورات، وأن الريش ما يتجمل به ظاهراً، الأول من الضروريات، والثاني من المكملات. تفسير ابن كثير 2/216.
(5) في (ك): (ولباس).
6) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع، وتوجيه القراءتين على نحو ما ذكره المؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/460،459، والحجة لأبي علي الفارسي 2/234، والهداية 4/2324،2323، والنشر 2/202.
7) قيل: كان لباسهم الظفر، وقيل: نور، والمتيقن أنه لباس يواري سوءاتهم، وجائز أن يكون ظفراً أو يكون وراً أو يكون غير ذلك، وما من خبر تثبت به الحجة في تعيين نوع اللباس، وهذا ما اختاره الطبري، ولعله هو ما أشار إليه المؤلف أولاً حيث قال:«تساقط ثياب الجنة» ولم يعين ما هذه الثياب. انظر: تفسير الطبري 5/462،461، وزاد المسير ص 490.
(8) انظر: معالم التنزيل 2/97، والجامع لأحكام القرآن 7/165.
(9) سقطت من (م).
(10) انظر: تفسير الطبري 5/463.

الجاهلية بالنهار عراة، والنساء بالليل كذلك، وكانوا يعتقدون أنه أبلغ في الخضوع[1].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[الآية:29] الآيات، أي: بالعدل والإحسان، رداً على قولهم: إن الله يأمر بالتعري في الطواف[2]﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾أي: صلوا إلى الكعبة، وقيل: أي: صلوا حيث ما أدركتكم الصلاة[3]﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾إخبار بالبعث، و﴿تَعُودُونَ﴾تمام الكلام على هذا، وقيل: معناه: كما بدأكم سعداء يعيدكم سعداء، ومن بدأه ضالاً· أعاده ضالاً، فيكون تمام الكلام ﴿عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾[4][الآية:30].

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾[الآية:31] أي: استروا عوراتكم عند كل مسجد، ولا تطوفوا عراة[5] ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ رداً على الجاهلية، حيث كانوا يحرمون الودك في الإحرام[6]﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ فتحرموا ما أحله الله[7]، مثل قوله[8]﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾[9].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾[الآية:32] يعني: اللباس في الطواف[10]﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ يعني: الودك في الإحرام[11]﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: الطيبات للمؤمنين في الدنيا يشاركهم فيها الكفار، وهي خالصة للمؤمنين في الآخرة، لا حظ لكافر فيها[12].

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ﴾[الآية:33] الفواحش كالزنا ونحوه، كان الجاهلية يبيحون الزنا سراً، فرد الله عليهم، والإثم: المعصية، والبغي: الظلم للناس[13].

---

(1) انظر: الكشف والبيان 4/227، وتفسير ابن كثير 2/217.

(2) انظر: تفسير ابن كثير 2/217، والبحر المحيط 4/289.

(3) ورجح الطبري أن يكون المراد: أخلصوا دينكم لله، فتوجهوا بصلاتكم لربكم، لا إلى الأصنام والأوثان. انظر الأقوال في تفسير الآية في: تفسير الطبري 5/465،464، وزاد المسير ص 490.

(4) انظر القولين في ذلك في تفسير الطبري 5/465-468، والهداية 4/2339،2338، والبحر المحيط 4/290.

(5) انظر: الكشاف 2/96، وزاد المسير ص 491، وتفسير ابن كثير 2/219،218.

6) الودك: الدسم. انظر: القاموس المحيط (و د ك)، وتحريم أهل الجاهلية الودك في حال الإحرام قد رواه الطبري في تفسيره 5/472 عن السدي من طريق أسباط، وقد سبق الكلام على هذه الطريق ص(56).

(7) هو جزء من أثر السدي السابق. وانظر: الجامع لأحكام القرآن 7/175،174.

(8) في (ك): (مثل قولهم).

(9) سورة يونس، الآية (59).

(10) انظر: معالم التنزيل 2/99، وزاد المسير ص 492.

(11) انظر: معالم التنزيل 2/99، والكشاف /97.

(12) في (ك): (منها). وانظر: تفسير الطبري 5/473، والمحرر الوجيز 2/394،393.

13) وقيل في الفواحش: طوافهم بالبيت عراة، وانظر المراد بالفواحش والإثم والظلم في: تفسير الطبري 5/476،475، ومعالم التنزيل 2/100، والجامع لأحكام القرآن 7/180.

﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾[الآية:35]أي: إن يأتكم، وما زائدة[1].

﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾[الآية:37] يعني: اللوح المحفوظ، ومعناه: يصل إليهم في الدنيا ما كتب لهم من الأرزاق[2]﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ يعني: ملائكة العذاب، لقبض أرواحهم، يقولون لهم: أين ما كنتم تعبدون من الأصنام يدفعوا عنكم الموت؟ فيقول الكفار: إن آلهتنا ضلوا عنا، أي: ذهبوا وتركونا[3] في وقت الحاجة[4]، وقيل: هذا يقال للكفار يوم القيامة[5].

ثم يقال لهم: ادخلوا النار مع أمم قد خلت من قبلكم ممن سبقكم بالكفر، كلما دخلت جماعة لعنت الجماعة التي مثلها في الملة، حتى إذا أدرك بعضهم بعضاً واجتمعوا احتج المتأخرون بأن الأوائل أضلوهم، فإنهم اقتدوا بآثارهم، فيقولون: ربنا هؤلاء أئمتنا في الكفر؛ فزدهم ضعفاً من العذاب، فيقول الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾[الآية:38] أي: لكل منكم عذاب يضعف له[6].

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾[الآية:40]أي: لأرواحهم وأعمالهم[7]﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ [فِي سَمِّ الْخِيَاطِ][8]﴾ أي: يدخل فحل الإبل في عين الإبرة[9]، وكل منفذ يسمى: سم٠٠١٠، بفتح السين وضمها، والجمع: سموم، وجمع السم القاتل: سمام[10].

وقرئت (الج٠م٠٠ل) بضم الجيم وتشديد الميم، وهو الحبل الغليظ، كحبل

---

(1) للتأكيد. انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/182،181، والبحر المحيط 4/296، ومغني اللبيب 1/344.

2) وقيل: المراد عمله ورزقه وعمره، وهو قريب مما ذكره المؤلف، وهو اختيار الطبري وابن كثير، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 5/478-481، ومعالم التنزيل 2/101، وتفسير ابن كثير 2/221.

(3) في (ك): (ضلوا عنا وتركونا أي ذهبوا وتركونا).

(4) انظر: تفسير الطبري 5/482،481، والكشاف 2/98، والجامع لأحكام القرآن 7/183،182.

5) فيكون معنى قوله تعالى ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي: يستوفون عددهم في السّوق إلى جهنم. انظر: معاني القرآن للزجاج2/336، والمحرر الوجيز 2/398، وزاد المسير ص 493.

(6) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 5/483،482، ومعالم التنزيل 2/102 ، والجامع لأحكام القرآن 7/184،183.

(7) انظر: تفسير الطبري 5/486،485، والكشاف 2/99.

(8) سقطت من (م).

(9) انظر: الهداية 4/2365، ومعالم التنزيل 2/103.

10) نُقل في السم -بمعنييه- تثليث السين، والسم -بمعنييه كذلك- يجمع على سموم، وسِمام، إلا أن الأفصح -عند الطبري- ما ذكره المؤلف. انظر: تفسير الطبري 5/487، والهداية 4/2365، ولسان العرب (س م م) 6/372 ، والقاموس المحيط (س م م) ص 1123.

السفينة[1].

(لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ)[الآية:41]أي: فراش (وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ)أي: أغطية، جمع غاشية[2].

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ[لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا][3]) [الآية:42] أي: أطاعوا على قدر طاقتهم، فإن الله لا يكلف نفساً إلا ما تطيق[4].

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ)[الآية:43] أي: حقد وغش وحسد[5](وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا) أي: أرشدنا إلى الطاعات، فوصلنا إلى هذا النعيم[6]، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾[7] أي: أعطيتموها بدلاً من الكفار[8].

(وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ)[الآية:46]أي: بين الجنة والنار موضع مرتفع، وهو الأعراف، ومنه يقال: عُرْف الديك لارتفاعه[9]، والأعراف يحبس فيها قوم مسلمون تتساوى حسناتهم وسيئاتهم حتى يفرغ الحساب، فيقال لهم: ادخلوا الجنة برحمة الله[10]، وقيل: سُمّوا أصحاب الأعراف لأنهم يعرفون أهل الجنة وأهل النار[11]، فيعرفون كلا بسيماهم، أي: بعلامتهم في وجوههم[12]، فينادون أصحاب الجنة: سلام عليكم، وينادون رجالاً قد أُمر بهم إلى النار -فيعرفونهم بسواد وجوههم-: ما أغنى جمعكم الجنود والأموال في الدنيا ولا

1) هذه قراءة شاذة، وقد رويت عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وغيرهم، وتوجيهها كما قاله المؤلف. انظر: المحتسب 1/361،360، والبحر المحيط 4/300.
(2) انظر تفسير المهاد والغواشي في: معاني القرآن للزجاج 2/338، ومعالم التنزيل 2/103.
(3) سقطت من (م).
(4) انظر: المحرر الوجيز 2/401، والبحر المحيط 4/301.
(5) انظر: معالم التنزيل 2/103، وتفسير ابن كثير 2/224.
(6) انظر: تفسير الطبري 5/493، ومعاني القرآن للزجاج 2/339.
(7) في (ك): (وتلك الجنة أورثتموها). وهما آيتان: آية الأعراف (وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾)، وآية الزخرف (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾) الآية (72).
(8) انظر: تفسير الطبري 5/494، والتفسير الكبير 14/68،67.
(9) انظر: تفسير الطبري 5/497، ومعالم التنزيل 2/105.
(10) سيأتي مزيد تعريف لأصحاب الأعراف بعد قليل.
(11) انظر: معالم التنزيل 2/105، وتفسير ابن كثير 2/225.
(12) انظر: زاد المسير ص 498.

استكباركم[1].

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي: لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة [في][2] وقت سلامهم على أهلها، ولكنهم طامعون بدخولها؛ لأنهم يمشون في نور إيمانهم إلى الجنة، فيوقفون على الأعراف، ونورهم باق، فبذلك يطمعون[3].

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾[الآية:47]إلى جهة أهل النار استعاذوا بالله من صحبتهم[4].

ثم يقال للكفار: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾[الآية:49]أي: حلفتم أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة؟ ثم يقال لأصحاب الأعراف: ادخلوا الجنة برحمة الله[5].

قال ابن عباس: يؤمر بهم إلى نهر الحياة، ترابه المسك والزعفران، وحافاته قصب الذهب[6] مكللا· باللؤلؤ، فيغتسلون فيه مراراً، فيزدادون بياضاً ونوراً، ويقال لهم: تمنوا، فيتمنون شيئا· في الجنة، فيقال[7] لهم: [لكم][8] هذا وسبعون ضعفاً، فهم مساكين أهل الجنة[9]، دخلوها بشفاعة محمد ﷺ[10].

قال ابن عباس وابن مسعود وحذيفة: أصحاب الأعراف هم الذين تتساوى

---

1) اختلف في (ما) في قوله سبحانه ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ﴾ فقيل: هي نافية، وقيل: استفهامية، ورجح أبو حيان أنها استفهامية، بخلاف ما يظهر من كلام المؤلف. انظر: المحرر الوجيز 2/405، والبحر المحيط 4/306.

(2) سقطت من (ك).

(3) انظر: المحرر الوجيز 2/405، والبحر المحيط 4/305.

(4) انظر: تفسير الطبري 5/505، ومعالم التنزيل 2/107.

(5) هذا أشهر ما قيل في الآية. انظر: تفسير الطبري 5/508، وزاد المسير ص 498، والتفسير الكبير 14/75.

(6) هو ما كان مستطيلاً مجوفاً من الذهب. انظر: المعجم الوسيط 2/737.

(7) في (ك): (فيقولون).

(8) سقطت من النسختين، والزيادة من تفسير الطبري.

9) رواه الطبري في تفسيره 5/500 عن ابن عباس من طريق حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس، ورواه أيضاً عن عبد الله بن الحارث من قوله، قال ابن كثير:«وهذا أصح». تفسير ابن كثير 2/226.

10) هذا ليس من أثر ابن عباس الذي ساقه المؤلف، وإنما ورد عن حذيفة، وقد رواه الطبري 5/508،507 بسنده عن السدي عن حذيفة، والسدي لم يلق حذيفة، فقد ولد سنة إحدى وستين، وحذيفة توفي سنة ست وثلاثين(انظر: سير أعلام النبلاء 2/361، 5/264)، وأما سند الطبري عن السدي فهو من طريق أسباط عنه، وقد سبق الكلام عليه ص (56).

حسناتهم وسيئاتهم[1].

فيوقفون على السور حتى يفصل بينهم.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[الآية:50] -أي: إذا عاينوا أهل الجنة فيها-: أن أرسلوا إلينا شيئا من الماء أو مما رزقكم الله من الطعام، وذلك لما يجدون من ألم الحريق والعطش والجوع، فيقول أهل الجنة: إن الله حرم شراب الجنة وطعامها على الكافرين[2].

ثم وصف الله تعالى الكافرين أنهم كانوا يستهزئون بدين الحق، ويغترون بالدنيا[3]، وينسون الآخرة ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾[الآية:51]أي: نتركهم في العذاب[4].

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ﴾[الآية:52]يعني: القرآن، أنزل مفصلا مبينا ليعلمهم بما يصلحهم[5].

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾[الآية:53] أي: هل ينتظرون إلا مآله الذي وعدوا به؟[6] ومثله قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[7] أي:أحسن عاقبة ومآلا[8]﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾أي: يوم القيامة[9].

﴿قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ حيث خلدوا في النار، كما ربح أهل الجنة نفوسهم، وضل عن الكفار[10] أصنامهم الذين كانوا يفترون على الله بشركهم[11].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾[الآية:54]روى ابن

---

(1) قال ابن كثير رحمه الله:« واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله». تفسير ابن كثير 2/225.
فأما الرواية عن ابن عباس فقد أخرجها الطبري عنه بألفاظ مختلفة من عدة طرق. تفسير الطبري 5/501،500،498.
أما الرواية عن ابن مسعود فقد أخرجها الطبري في تفسيره 5/499، وفي سنده أبو بكر الهذلي، أخباري متروك الحديث. انظر: تقريب التهذيب (8059)، وتفسير ابن مسعود 2/297.
أما الرواية عن حذيفة فهي أشهر ما روي عن الصحابة في ذلك، وقد أخرجها الطبري من طرق عن الشعبي عنه. تفسير الطبري 5/498-500.
(2) انظر: تفسير الطبري 5/509،508، ومعالم التنزيل 2/108،107.
(3) في (ك): (بالذنب).
(4) انظر: تفسير الطبري 5/510، وتفسير ابن كثير 2/228.
(5) انظر: معالم التنزيل 2/108، وزاد المسير ص 499.
(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/341، وتفسير ابن كثير 2/229.
(7) سورة النساء، الآية (59)، وسورة الإسراء، الآية (35).
(8) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/68، وزاد المسير ص 295.
(9) انظر: البحر المحيط 4/308، وتفسير ابن كثير 2/229.
(10) في (ك): (وضل عنهم ضل عن الكفار).
(11) انظر: تفسير الطبري 5/513.

عباس أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن الخلق، فقال ﷺ: «خلق الله الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين، وخلق الجبال ومنافعها يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة أيام، فهو قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ إلى قوله ﴿أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾[1]، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر»[2].

قال وهب بن منبه[3]: أول ما خلق الله القلم قبل المخلوقات بألف عام[4].

وفي الحديث:«أول ما خلق الله [القلم][5]، فقال له: اكتب، فجرى تلك الساعة بما هو كائن»[6].

وقوله ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ يجب صرفه عن الظاهر؛ فإن الله عز وجل لا يجوز عليه محاذاة الأجسام، ولا مجاورتها، فمن العلماء من وقف عن التأويل -مع التنزيه لله تعالى عن الجهة-، كما قال الإمام مالك رحمه الله[7]: الاستواء غير مجهول، والكيف فيه غير معقول[8]، أشار إلى أن الاستواء يطلق كما ورد من غير تشبيه ولا تكييف.

ومن العلماء من تأول الاستواء بمعنى علو القدرة والتنزيه والتعظيم، لا بمعنى

---

(1) سورة فصلت، الآيتان (9،10).

2) رواه الطبري في تفسيره 11/87، والواحدي في أسباب النزول ص 420، وقال ابن كثير في تفسيره 4/10:«هذا الحديث فيه غرابة»، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (5973) المجلد الثاني عشر/القسم الثاني/945:«منكر».

3) هو العلامة الأخباري القصصي، وهب بن منبه بن كامل، أبو عبد الله الصنعاني، وهو من أبناء فارس في يمن، ولد في زمن عثمان سنة 34هـ. وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات وصحائف أهل كتاب، وهو ثقة في روايته، توفي سنة بضع عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء 4/544، وتقريب التهذيب (7535)ص 1045

4) ساقه مكي في الهداية 4/2402 عقب سياقه لأثر عن وهب، وأغلب الظن أنه ليس من أثر وهب، وعلى كل هو مخالف لما صح عن النبي من قوله «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر (2653) 6/152، مع الحديث الذي ساقه المؤلف بعد هذا الأثر. والله أعلم.

(5) سقطت من (ك).

6) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر (4700) ص 705، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة نون (3319) ص 752، وقد صححه الألباني في تعليقه عليهما.

(7) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، أحد الأئمة الأربعة، توفي سنة 179هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 8/48، والأعلام 5/257.

8) مشهور عنه رحمه الله، وممن رواه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية ص66، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 3/398، والبيهقي في الأسماء والصفات 2/306،305.

المكان.

ومنهم من تأول بمعنى القهر والاقتدار على جميع المخلوقات، وخص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات.

ومنهم من تأوله قصد خلق شيء في العرش، وهو تأويل سفيان الثوري، واحتج بقوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾[1].

وعلى الجملة فيجب على من وقف ومن تأول أن يعتقد أن الاستواء -بمعنى الاستقرار في مكان- لا يجوز على الله تعالى[2].

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يغطي نور النهار، فيذهبه بظلمة الليل[3]، يطلع عشاء[4]، فتطلب الظلمة النور طلباً حثيثاً -أي: سريعاً- حتى تدركه عند مغيب الشفق[5].

﴿وَٱلشَّمْسَ﴾ أي: وخلق الشمس والقمر، ومن قرأ بالرفع فعلى الابتداء، ومثله في النحل[6].

---

(1) لم يتبين لي مراده بقوله «واحتج بقوله ثم استوى»، ولم أجد من ذكره عن سفيان، وأما أصل القول -وهو أن الاستواء هنا بمعنى «فعل في العرش سماه استواء»- فقد ذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز 2/408، وأبو حيان في البحر المحيط 4/310 وغيرهما، ولم أره عند المتقدمين الذين يروون بالأسانيد، وإنما الذي عندهم عن سفيان هو مذهب السلف قاطبة من إمرار أحاديث الصفات كما جاءت. انظر: الشريعة ص 327، والأسماء والصفات 2/377، وتفسير ابن كثير 2/230.

(2) مذهب أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفات، ومن ذلك استواؤه على العرش ، والاستواء في كلام العرب معلوم ما هو، وأما كيفيته فإنها مجهولة، وهذا هو معنى كلام الإمام مالك رحمه الله، ما الظاهر -المتبادر إلى أذهان المشبهين- فإنه منفي عن الله تعالى، ولذا فما ذكره المؤلف من وجوب صرفه عن الظاهر مردود. انظر: معالم التنزيل 2/109، الجامع لأحكام القرآن 7/196، ومجموع الفتاوى 3/163-166، و13/165، وتفسير ابن كثير 2/230.

وانظر ما حكاه المؤلف من أقوال في معنى الاستواء في: الأسماء والصفات 2/308-310، والمحرر الوجيز 2/408، والتفسير الكبير 14/96، 95.

(3) انظر: تفسير الطبري 5/513، ومعالم التنزيل 2/109.

(4) كذا في النسختين (عشا).

(5) انظر: تفسير الطبري 5/513، ومعالم التنزيل 2/109.

(6) لفظ الآية هنا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، وآية النحل ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ الآية (12) فقرأ ابن عامر هنا وفي النحل برفع لفظ الشمس وما بعدها، ووافقه حفص في ﴿ٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ في النحل، وقرأ الباقون بالنصب عطفاً على ما سبق، وهو ما أشار إليه المؤلف بقوله «وخلق الشمس والقمر». انظر: الحجة لابن خالويه ص 85، والبحر المحيط 4/311، والنشر 2/227، 202.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ فيخلق ما يشاء، و[له][1] الأمر، فيأمر وينهى بكلامه القديم[2] ﴿تَبَارَكَ﴾ أي: تعاظم وتعالى[3].

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾[الآية:55] أي: على وصف الخضوع ﴿وَخُفْيَةً﴾ أي: سراً[4] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ الذين تعدوا فدعوا غير الله[5].

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الآية:56] أي: بالشرك، بعد إصلاح الله أهلها ببعث الرسل[6] ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه[7] ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: ثوابه[8] ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ فهم صائرون إليه بعد أمد يسير[9]، وأتى ﴿قَرِيبٌ﴾ بلفظ التذكير على المعنى؛ لأن رحمة ورحماً بمعنى واحد[10].

﴿وهو الذي يرسل الرياح نُشُراً﴾[الآية:57] بضم النون والشين، جمع نشور، وهي الريح التي تأتي من جهتين، وقيل: هو مصدر، ومن أسكن[11] الشين فإنما أسكنها تخفيفاً، ومن فتح النون فهو مصدر، كقوله ﴿وَٱلنَّـٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾[12]، وقيل: النشر: الريح

---

(1) سقت من (ك).

2) مذهب أهل السنة أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم بحرف وصوت سمع. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص 129، 128. وانظر معنى الآية بنحو مما ذكره المؤلف -دون ذكر كلامه القديم- في تفسير الطبري 5/514، ومعالم التنزيل 2/109.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/199.

(4) انظر معنى ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ بنحو ما ذكر المؤلف في: معالم التنزيل 2/110، والبحر المحيط 4/312.

(5) انظر: التحرير والتنوير 8/132.

(6) والفساد عام في كل معصية، وأعظمه الشرك. انظر: تفسير الطبري 5/515، والمحرر الوجيز 2/410.

(7) انظر تفسير ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ بنحو ما ذكره المؤلف في: معالم التنزيل 2/111.

8) مذهب أهل السنة إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفات الكمال دون تأويل أو تشبيه أو تعطيل، ومن ذلك صفة الرحمة. انظر: مجموع الفتاوى 3/89.

قد حمل بعض العلماء من السلف الرحمة -في هذا الموضع- على الثواب من أجل مجانسة تذكير لفظ ﴿قَرِيبٌ﴾ في الآية. انظر: معالم التنزيل 2/111، وتفسير ابن كثير 2/230.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/515، والتفسير الكبير 14/112.

(10) هذا أحد التوجيهات في الآية، وفيها أقوال أخرى. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/344، والكشاف 2/107، والجامع لأحكام القرآن 7/204، والبحر المحيط 4/314-316، وبدائع الفوائد ص 388-398.

(11) في (ك): (سكن).

(12) سورة المرسلات، الآية (2).

اللينة التي تنشئ السحاب، ومن قرأ (بُشْرًا) بالباء فهو مصدر من البشارة[1].

(بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) يعني: بالرحمة، والرحمة المطر؛ لأن الريح تأتي قبلها (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ) أي: حملت الرياح (سَحَابًا ثِقَالًا) بالماء (سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ) أي: جدب (فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ) أي: بالبلد (فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ) أي: بالماء[2].

وهذا كله استدلال على البعث، وبيانه: (كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ)[3].

وقد ورد في الآثار أن السماء تمطر بين النفختين أربعين سنة ماء كمني الرجال، فينبت الله به الناس كما ينبت الزرع بالماء[4].

---

(1) قرأ عاصم (بُشْرا)، وقرأ ابن عامر (نُشْرا)، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (نَشْرا)، وقرأ الباقون (نُشُرا)، توجيه القراءات كما أوضحه المؤلف، وفي بعضها توجيهات أخرى أشهر مما ذكر. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/243-246، والهداية 4/2408-2410، والبحر المحيط 4/320،319، والنشر 2/203،202.

2) انظر: تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في:تفسير الطبري 5/517، ومعالم التنزيل 2/112، والبحر المحيط 4/321،320.

(3) انظر: معالم التنزيل 2/112، والكشاف 2/107.

(4) هما أثران: أحدهما عن ابن مسعود، وهو طويل، وفيه أن السماء تمطر ماء كمني الرجال أربعين يوماً، الآخر عن أبي هريرة، وفيه أن الناس بعد موتهم من النفخة الأولى يمطر عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين سنة، فينبتون كما ينبت الزرع من الماء، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا.

أما أثر ابن مسعود فقد رواه الطبري في تفسيره 10/397، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم السيوطيُّ في الدر منثور 5/461، وقد رواه كذلك الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم (8519) 4/541-543، وقال الحاكم والذهبي في التلخيص (بحاشية المستدرك): «على شرط البخاري ومسلم»، وقال البيهقي في شعب الإيمان 1/541 : «وروينا بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود في أشراط الساعة في النفخة الأولى...». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 10/330: «وهو موقوف مخالف للحديث الصحيح وقول النبي «أنا أول شافع».

أما أثر أبي هريرة فقد ذكره الطبري في تفسيره 5/518 دون إسناد أو من رواية قتادة عنه (انظر تعليق الشيخ حمد شاكر على تفسير الطبري 12/494 طبعة دار المعارف)، وأورده كذلك الثعلبي في الكشف والبيان 4/243 دون إسناد.

ذا كله في الموقوف عليه، وقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون ... ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل...» هذا لفظ مسلم. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ) (4814) 8/701، وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (2955) 6/394.

معنى قوله (أبيت) أي: امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنه ليس عندي فيه توقيف. انظر: شرح صحيح مسلم 6/394، وفتح الباري 8/702.

قد قال النووي في شرح صحيح مسلم 6/394 في تعيين المدة: «وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم ربعون سنة»، ولم يشر إلى من أخرج هذا التعيين، وقد قال ابن حجر في الفتح 8/702: «وزعم بعض الشراح أنه قع عند مسلم أربعين سنة ولا وجود لذلك، نعم، أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في ذا الإسناد (أربعون سنة) وهو شاذ، ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال: ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة. ذكره في أواخر سورة ص... ووقع في جامع ابن وهب: أربعين جمعة، وسنده منقطع».

وقد روى الطبري في تفسيره 11/30 عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾) قال نبي الله: «بين النفختين أربعون» قال أصحابه: فما سألناه عن ذلك ولا زادنا على ذلك، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة. وإسناد الطبري حسن، وقد مضى الكلام عليه ص (2).

ثم ضرب الله مثلا لقلب المؤمن وانتفاعه بالقرآن فقال: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾[الآية:58] ينبت في قلب المؤمن كل حال حسن، كالخوف، والرجاء، والخشية، وغير ذلك ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ مثل القلب الكافر لا ينبت فيه خير[1]، كذلك يبين الله الآيات، فيبين بالأدلة الظاهرة في المصنوعات علامات يستدل بها على قدرة الله تعالى[2].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾[الآية:59] [الآيات][3]، سمي نوح نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خشية الله تعالى[4]، وأرسل إلى قومه وهو ابن أربعين سنة على قول ابن عباس[5]، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاما·[6].

وقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي: أعلم من أحكام الله وثوابه وعقابه ما تجهلون[7].

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾[الآية:63] أي: موعظة وتذكير[8]﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: مع رجل، وقيل: تقديره: على لسان رجل منكم[9].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ عمى القلوب عن الحق[10].

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[الآية:65] أي: وأرسلنا إلى عاد رجلا· من قبيلتهم، وهو هود[11]، من نسل نوح عليهما السلام، بينهما سبعة آباء[12]، وعاد قبيلة أبوهم إرم بن ع·وص بن

---

(1) انظر: المحرر الوجيز 2/414، والتفسير الكبير 14/117.
(2) انظر: التفسير الكبير 14/119، 118.
(3) سقطت من (ك).
4) نسب هذا القول إلى ابن عباس وعكرمة وجويبر ومقاتل، ولا يخفى بُعده. انظر: الهداية 4/2413، ومعالم التنزيل2/113، وروح المعاني 4/388.
5) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه 7/18، والحاكم في المستدرك، ذكر نوح النبي (4005) 2/595، وفي سندهما علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، انظر: تقريب التهذيب (4768).
(6) وقيل غير ذلك، والعلم عند الله تعالى. انظر: الهداية 4/2416، وزاد المسير ص 1079.
(7) انظر: معلم التنزيل 2/114، والتفسير الكبير 14/123.
(8) انظر: تفسير الطبري 5/521.
9) وقيل: بل ضمن الفعل (جَآءَكُم) معنى (نزل إليكم على رجل منكم). انظر: تفسير الطبري 5/521، والبحر المحيط 4/325.
(10) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/210، وتفسير ابن كثير 2/233.
(11) انظر: تفسير الطبري 5/522، ومعالم التنزيل 2/114.
(12) في نسبه وعددِ من بينه وبين نوح من آباء خلاف كثير. انظر: الهداية 4/2418، ومعالم التنزيل 2/115، 114، والجامع لأحكام القرآن 7/211.

سام بن نوح[1]، وكانت ذات قوة وعظم خلقة، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[2]، وكانوا بأرض اليمن يعبدون الأصنام، فأرسل إليهم هود، فكذبوه، فأهلكوا بالريح، ولحق هود وطائفة آمنت معه بمكة فأقاموا بها[3].

وقوله: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾[الآية:67]أي: خفة عقل[4].

﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾[الآية:69]أي: ن·ع·م·ه عليكم[5].

﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾[الآية:71]أي: خبث، وهو ما ابتلاهم به من الكفر إذ غضب عليهم[6]، قال ابن عباس: الرجس هنا السخط[7].

﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني: الأصنام[8]﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾أي: ما أمركم بعبادتها فيكون· لكم في ذلك حجة[9]﴿فَانْتَظِرُوا﴾ العذاب، فإني منتظر الظفر والنصر عليكم[10].

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[الآية:73]ثمود قبيلة من نسل عاد، أبوهم ع·اب·ر[11] بن إرم بن ع·وص بن سام بن نوح[12]، كان مسكنهم بين الحجاز والشام[13]، وصالح هو ابن

---

1) أكثر المفسرين على تقديم عوص على إرم. انظر: تفسير الطبري 5/524، ومعالم التنزيل 2/114، وزاد المسير ص 504، والجامع لأحكام القرآن 7/210، وتفسير ابن كثير 2/233، والتحرير والتنوير 8/154.

(2) سورة الفجر الآية (8).

(3) انظر: الهداية 4/2419، وسيأتي تخريجه قريباً.

(4) انظر: الكشاف 2/112، والجامع لأحكام القرآن 7/211.

(5) انظر: تفسير الطبري 5/424،523، ومفردات ألفاظ القرآن ص 84.

(6) وأكثر المفسرين على أن الرجس هنا العذاب. انظر: تفسير الطبري 5/529، والمحرر الوجيز 2/420، والجامع لأحكام القرآن 7/212.

7) رواه الطبري في تفسيره 5/529 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد سبق الكلام على قوة هذا الإسناد ص(33).

(8) انظر: زاد المسير ص 504، وتفسير ابن كثير 2/234.

(9) انظر: تفسير الطبري 5/529، والبحر المحيط 4/329.

(10) انظر: معالم التنزيل 2/116، وزاد المسير ص 504.

11) هذا الاسم سيرد بعد قليل، وقد اختلف نقطه في النسختين بين (عابر) و(غابر)، والذي في تفسير الطبري 5/530 والهداية 4/2426 (غاثر)، والذي في القاموس (جاثِر). القاموس المحيط (ج ث ر) ص 361، وهو الصواب عند أبي حيان، و(عابر) عنده تصحيف.البحر المحيط /330، والله أعلم ما كان اسمه.

12) لم أر خلافاً في أنهم أبناء غاثر (على الخلاف في رسمه وضبطه) بن إرم بن سام بن نوح -بإسقاط عوص-، قالوا: وعوص هو ابن إرم، فهو أخو غاثر. انظر: تفسير الطبري 5/530، وتاريخ الرسل والملوك 1/12، والكشف والبيان 4/251، والجامع لأحكام القرآن 7/212. ولكن بالرجوع إلى نسب عاد فيما سبق فإن هناك من قال: إن عوصاً هو أبو إرم، وليس ابنه، وهو قول المؤلف.

(13) انظر: تفسير الطبري 5/530.

عبيد بن عابر بن إرم[1]، أرسل إليهم، وآيته الناقة، أخرجها الله له من جبل، وقصتها مشهورة.

وقوله: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[الآية:74] أي: أسكنكم[2]، وكانوا يتخذون في الأرض السهلة المستوية قصوراً مبنية، وينحتون في الجبال مغائر[3].

﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تطغوا، والعثو أشد الفساد[4]، وكان صالح قد آمن معه الفقراء المستضعفون، وكفر به الرؤساء المتكبرون، وعقروا الناقة، فرفع الله فصيلها[5]، وأرسل عليهم صيحة من السماء، فأصبحوا موتى جاثمين على الركب باركين.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾[الآية:79] أي: أعرض صالح عنهم[6]، وذهب بمن آمن معه محرمين إلى مكة، وأقاموا بها حتى ماتوا، وقبورهم ما بين [دار][7] الندوة والحجر[8].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾[الآية:80] وهم أهل الغ·ور[9]، كان أرسل إليهم، وهو ابن أخي إبراهيم عليه السلام[10].

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ كانوا أول من أتى الذكور، فلما نهاهم قالوا[11]: أخرجوا لوطاً ومن معه ﴿إِنَّهُمْ [أُنَاسٌ][12] يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي: يتنزهون عما نفعل من إتيان الذكور وغيره[13].

---

1) ذكره مكي في الهداية 4/2431، وهو خلاف ما قاله جمهور المفسرين. انظر: الكشف والبيان 4/251، والبحر المحيط 4/330.

(2) انظر: معالم التنزيل 2/120، وزاد المسير ص 505.

(3) المغارة: الكهف. انظر: القاموس المحيط (غ و ر) ص 452.

(4) انظر: تفسير الطبري 1/349، 348.

(5) في (م): (فصيلتها). وفصيل الناقة: ولدها إذا فصل عنها. انظر: القاموس المحيط (ف ص ل) ص 1042.

(6) انظر: معالم التنزيل 2/121.

(7) سقطت من (ك).

8) ذكر مكي في الهداية 4/2431 عن وهب بن منبه أن صالحاً ارتحل بمن معه إلى مكة محرمين، فأقاموا بها حتى ماتوا، فقبورهم بين دار الندوة والحجر. والحجر معروف، ودار الندوة لقصي بن كلاب، ثم ورثها ابنه عبد الدار، وآل بها الأمر إلى أن اشتراها معاوية رضي الله عنه بمائة ألف درهم، وجعلها دار الإمارة، وهي شمالي المسجد الحرام، وقد دخلت فيه في عهد أبي جعفر المنصور. انظر: معجم البلدان 2/276، وأخبار مكة للفاكهي 2/163، 162.

9) الغور: غور الأردن، وهو منخفض من الأرض، وفيه البحر الميت وبحيرة طبرية، وهو وخم شديد الحر غير طيب الماء. انظر: معجم البلدان 3/400، 399.

(10) انظر: معالم التنزيل 2/127، وتفسير ابن كثير 2/240.

(11) في (م): (قال).

(12) سقطت من (م).

(13) انظر: تفسير الطبري 5/541، والهداية 4/2440.

فأنجى الله لوطاً وأهله، يعني[1]: ابنتيه، ما آمن به غيرهما[2]، فلما خرجوا قلبت مدائنهم، وهي المؤتفكة التي ذكرها الله تعالى[3]، وبقيت امرأته في الغابرين، أي: الباقين في الهلاك، والغابر من أسماء الأضداد، يراد به الذاهب والباقي[4]، وأمطر الله عليهم مطراً، فبلادهم اليوم بحيرة منتنة بالغور معروفة[5].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[الآية:85] سموا باسم أرضهم، وقيل: باسم أبيهم[6]، ويقال: إن شعيباً كان قد تزوج بابنة لوط[7]، وكان قوم شعيب في خصب ونعمة حتى نقصوا المكيال والميزان، وكانوا كفاراً، فكانوا يقعدون بكل طريق ليصدوا من يأتي إلى ش·عيب، ويتوعدونه بالقتل[8].

﴿وَاذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾[الآية:86] في العدد، وقيل: معناه: مقلين، فكثر أموالكم[9].

ثم إنهم توعدوا ً بالطرد، فقال: ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾أي: أتخرجوننا كرها·؟[10].

قد كذبنا على الله[11] إن عدنا إلى كفركم وقد طهرنا الله منه، قيل: إن هذا قول

---

(1) في (م): (بمعنى).
(2) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/353، ومعالم التنزيل 2/128.
3) قال الله تعالى ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ سورة النجم، الأيتان (54،53)، وانظر: زاد المسير ص 1367.
(4) انظر: الهداية 4/2440-2442، والجامع لأحكام القرآن 7/220، والبحر المحيط 4/319.
(5) وتسمى (البحيرة المنتنة)، وهي البحر الميت اليوم، وتقع غربي الأردن. انظر: معجم البلدان 1/280.
(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/221، وتفسير ابن كثير 2/241.
(7) وقيل بل جدته ابنة لوط، والله أعلم. انظر: الهداية 4/2443، ومعالم التنزيل 2/128.
(8) وهو معنى قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾. انظر: معالم التنزيل 2/129، وتفسير ابن كثير 2/242،241.
(9) في (ك): (أموالهم). وانظر القولين في تفسير الطبري 5/545، والكشاف 2/124.
10) الاستفهام عائد على الحالين المذكورين: الإخراج أو الرد إلى الكفر، وقد نص المؤلف على واحدة مثل مكي. انظر: تفسير الطبري 6/3، والهداية 4/2449، والدر المصون 5/380.
(11) شرع المؤلف في تفسير هذه الأية ولم يذكر نصها، وهي قوله تعالى ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

المؤمنين لشعيب[1]، ثم اعترفوا بالعبودية، وأنهم مقهورون تحت المشيئة، واعتمدوا على علم الله بأحوالهم، وتوكلوا والتجئوا إلى الله في الحكم بينهم وبين الكفار، والفتح هنا الحكم[2].

فسلط الله على مدين حراً من جهنم[3]، لم ينفعهم معه ظل، ثم أرسلت عليهم ظ·ل··ة -أي: سحابة[4]- فاستظلوا تحتها، فانطبقت عليهم ناراً، فأصبحوا في منازلهم هلكى[5]، كأنهم لم يغنوا[6]، أي: لم يسكنوا [فيها][7]، والمغاني في اللغة: المنازل العامرة[8]، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾[9] أي: لم تعمر بالنبات[10]، وكان شعيب قد خرج قبل مجيء العذاب، فذهب بالمؤمنين إلى مكة، فأقاموا بها حتى ماتوا[11].

وقوله: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾[الآية:93]أي: أحزن على قوم كافرين[12].

ثم أخبر الله تعالى أنه كان ينعم على كل أمة فتبطر ولا تشكر، ويبتليها بالضراء والمحن فتكفر ولا تتضرع[13]، ثم يبدل السيئات والبلايا بالنعم ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾[الآية:95]أي: كثروا وتناسلوا[14]، وقالوا: هكذا الدهر، لم يزل يتقلب بمن قبلنا، فينتظرون في البلاء

---

1) وجه قائل هذا القول أن شعيباً لم يكن على ملتهم حتى يقول ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾. انظر القولين في: تفسير الطبري 6/3، والهداية 4/2449، والبحر المحيط 4/346.

(2) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/4، والجامع لأحكام القرآن 7/224.

3) جاء ذلك في رواية عن السدي عند الطبري في تفسيره 6/4، ويؤيده قول النبي «اشتكت النار إلى ربها، قالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير». رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر، (537) 2/25، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (617) 2/262.

(4) قال الله تعالى:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ سورة الشعراء، الآية (189). وانظر: زاد المسير ص 1036.

(5) انظر: تفسير الطبري 6/5.

(6) في (ك): (كأن لم يغنوا).

(7) سقطت من (ك).

(8) انظر: معالم التنزيل 2/131، والمحرر الوجيز 2/430.

(9) سورة يونس، الآية (24).

(10) انظر: زاد المسير ص 622،621.

(11) ذكره في الهداية 4/2453.

(12) انظر: تفسير الطبري 6/7، ومعاني القرآن للزجاج 2/359.

(13) انظر: تفسير ابن كثير 2/243.

(14) انظر: معالم التنزيل 2/131، والكشاف 2/127.

تقلب الدهر، وينسون تصرف المقادير، ويكفرون؛ فتأخذهم العقوبات على غفلة[1].

ثم وبخهم الله حيث أمنوا العقوبة، وهو قادر على فعلها بالليل والنهار، وقيل: قوله ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾[الآية:99]توبيخ لمن كذب[2] بمحمد ﷺ[3].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾[الآية:100]أي: أولم يبين -لهؤلاء المكذبين الذين ورثوا الأرض بعد الأمم الماضية المهلكين- إهلاك الله آباءهم وأسلافهم، فيظهر لهم بهلاك من تقدم أنه لو شاء أصابهم[4] بعذاب، وأهلكهم بذنوبهم[5].

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾[الآية:101] يا محمد من أخبارها، بشارة لمن آمن، لمن كذب[6].

وكررت القصص في سور كثيرة مكية، تأكيداً للإبلاغ، وتعجيزاً للفصحاء، ففي موضع تأتي القصة بتطويل وإيضاح وزيادة فوائد، وفي موضع تأتي باختصار وإيجاز، وهذا غاية الفصاحة والبلاغة، ومن تأمل القصص المكررة وجد في كل قصة -وإن كانت مختصرة- زوائد وفوائد، ومن تدبر القرآن فإن فوائده لا تتناهى[7].

وقوله: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ [أي: من قبل][8] مجيء الرسل لهم، وقيل: بما كذبوا يوم أخذ الله الميثاق، فقال: ألست بربكم؟ قالوا بلى، فإن من خلقه الله شقيا إنما قال: بلى، إقراراً من غير تصديق[9].

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ﴾أي: هكذا نختم على قلب من أردنا شقاوته، وقيل: معناه: كما طبعنا

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/10.

(2) في (ك): (كفر).

(3) والقول الثاني هو قول الطبري. انظر القولين في: تفسير الطبري 6/11، والهداية 4/2471.

(4) في (ك): (أهلكهم).

5) ففاعل (يَهْدِ) عند المصنف هو قوله تعالى (أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ)، فيكون المعنى كما أوضحه المؤلف، وقيل الفاعل: لفظ الجلالة، فالمعنى: أولم يبيّن الله لهؤلاء أنه لو شاء لأصابهم بذنوبهم، وفيه أقوال أخرى. انظر: تفسير الطبري 6/11، ومعاني القرآن للزجاج 2/361، والتفسير الكبير 14/152، والبحر المحيط 4/351.

(6) انظر: تفسير الطبري 6/12.

(7) انظر: تأويل مشكل القرآن ص 248-250، والهداية 4/2461،2460، والبرهان 3/19-21، والإتقان 2/189-191.

(8) سقطت من (ك).

(9) انظر القولين في: تفسير الهداية 4/475،2474، والتفسير الكبير 14/153، والجامع لأحكام القرآن 7/227.

على قلوب المتقدمين كذلك نطبع على قلوب قومك المكذبين[1].

﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٍ﴾[الآية:102] أي: من وفاء بعهد الله الذي نطقوا به يوم قالوا: بلى شهدنا، ولا وفوا بما عهد إليهم الرسل عليهم السلام[2].

﴿ وَإِن وَجَدۡنَآ ﴾ أي: وما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين، مثل قوله: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾[3] أي: ما كل نفس إلا عليها حافظ، ومثله كثير[4].

[قوله][5] ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ [بِـَٔايَٰتِنَآ][6]﴾ [الآية:103] الآيات، أي: حججنا، وهي المعجزات [التسع][7] المذكورة في سبحان[8].

﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ۝٩٦﴾ أي: دليل واضح مبين صدقه[9] ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ أي: كفروا[10].

وموسى هو موسى بن عمران بن ناهت[11] بن لاوي بن يعقوب[12]، وأخوه هارون ولد قبله بثلاث سنين، ومات قبله بثلاث سنين، فعمر كل واحد منهما مائة وسبع عشرة سنة[13].

---

(1) في (ك): (كذ نطبع على قلوب المكذبين). فالآية يراد بها جميع المكذبين، أو هي في مشركي قريش. انظر : تفسير الطبري 6/13، والتفسير الكبير 14/153، والبحر المحيط 4/354.

(2) انظر: زاد المسير ص 509، وتفسير ابن كثير 2/245.

(3) سورة الطارق، الآية (4).

(4) هذا أحد الأقوال في مثل هذا الاستعمال، وهو قول نحاة الكوفة، وفيه أقوال أخرى. انظر: الهداية 4/2476 ، والكشاف 2/131، وزاد المسير ص 1534،509، والبحر المحيط 4/355.

(5) سقطت من (ك).

(6) سقطت من (م).

(7) سقطت من (ك).

8) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ ﴾ سورة الإسراء، الآية (101). وهذه الآيات اتفق العلماء على سبع منها وهي: اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، واختلفوا في اثنتين على أقوال كثيرة. انظر: معالم التنزيل 2/719، وزاد المسير ص 833. أما تفسير الآيات في هذه الآية -التي يفسرها المؤلف- بالحجج وأن المراد بها الآيات التسع -وغيرها مثلها- فانظره في: تفسير الطبري 6/14، والمحرر الوجيز 2/435.

(9) قوله تعالى (وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ) ليس من هذه السورة، وقد ورد في ثلاث سور، أولاها: سورة هود، الآية (96)، ولم يتبين لي وجه إيراد المؤلف له هنا، وانظر تفسيره في زاد المسير ص 671، وتفسير ابن كثير 2/475.

(10) انظر: تفسير الطبري 6/14، والكشاف 2/131.

11) هكذا رسمها في النسختين إلا أنه دون إعجام في (م)، وقد أعجم التاء وحدها في (ك)، وهي في الهداية (ناهب) على خلاف بين النسخ الخطية -كما أفاده المحقق-.

(12) انظر: الهداية 4/2478، والمحرر الوجيز 2/435.

(13) انظر: الكشف والبيان 4/286، والهداية 4/2478.

وفرعون اسمه الوليد بن مصعب، ع·م··ر أكثر من أربعمائة سنة[1].

﴿حقيق علي··﴾[الآية:105] بتشديد الياء، أي: واجب علي··، وبتخفيفها: معناه: أنا[2] حقيق حريص على قول الحق، وحقيق، وخليق[3]، وقمين، وحري، وجدير، بمعنى واحد[4].

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: اتركهم يمضون إلى الشام، وكانوا تحت ذمة فرعون، يؤدون إليه الجزية[5]، وكانت معجزة موسى أن يلقي عصاه فتصير[6] ثعباناً، ويدخل يده في جيبه، ثم ينزعها، فإذا هي بيضاء بياضاً حسنا·، وكان أسمر اللون[7].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾[الآية:109]أي: الأشراف والرؤساء من قوم فرعون[8].

﴿أرجئه·﴾[الآية:111] أي: أخ··ر·ه، وترك الهمز فيه لغة أسد وتميم[9]، وم·ثل·ه: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾[10] و﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾[11]، ومعنى ﴿أرجئه﴾ [هنا][12]: احبسه حتى ترسل إلى مدائن ملكك[13] ﴿[حَٰشِرِينَ][14]﴾ يحشرون لك السحرة، ويجمعونهم لمعارضته[15].

---

1) وقيل في اسمه: ريان بن الوليد. انظر: الهداية 4/2479، وتهذيب الأسماء واللغات 2/49؛ وقال ابن عاشور:«وأهل القصص ومن تلقف كلامهم من المفسرين سموه ريان بن الوليد، وهذا من أوهامهم». التحرير والتنوير 1/474.

(2) في (ك): (إما).

(3) في (ك): (خليق) دون واو.

4) قرأ نافع وحده (حقيق عليّ) وقرأ الباقون (حَقِيقٌ عَلَىٰٓ)، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/255،254، والمحرر الوجيز 2/435، وتفسير ابن كثير 2/245، والقاموس المحيط (ق م ن) ص 1225، والنشر 2/203.

(5) انظر: الهداية 4/2480، ومعالم التنزيل 2/134، والبحر المحيط 4/357.

(6) في (ك): (تصير).

(7) انظر: تفسير الطبري 617، والجامع لأحكام القرآن 7/228.

(8) انظر: تفسير الطبري 6/17، ومعاني القرآن للزجاج 2/364.

9) في (ك): (لغة تميم وأسد). وقد قرأها -بهمزة ساكنة- ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وشعبة في رواية (من طريق طيبة النشر) وقرأها الباقون بغير همز. على اختلاف بينهم في حركة الهاء. وتوجيه الهمز وتركه كما أوضحه المؤلف. انظر: الهداية 4/2484،2483، وتحبير التيسير ص 115،114، والنشر 1/245،244.

(10) سورة التوبة، الآية (106).

11) سورة الأحزاب، الآية (51). وقد قرأ في الموضعين اللذين ذكرهما المؤلف -موضع التوبة وموضع الأحزاب- بالهمز: ابنُ كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وشعبة، وقرأ الباقون بحذف الهمز. انظر: تحبير التيسير ص121.

(12) سقطت من (ك).

(13) انظر: تفسير الطبري 6/19،18، والمحرر الوجيز 2/438.

(14) سقطت من (م).

(15) في (ك): (ويجمعونهم هنا لمعارضته). وانظر: الهداية 4/2488، وتفسير ابن كثير 2/246.

فأرسل إلى الإسكندرية والف٠ر٠م٠ا[1]، فجاءه سبعون ألف ساحر[2]، وقالوا[3]: (إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾) أي: تعطينا أجرة إن غلبنا موسى؟[4] قال فرعون: نعم، أعطيكم، وتكونون من المقربين عندي، فلما خرجوا للمعارضة ألقوا حبالهم وعصيهم، وسحروا أعين الناس، فخيل لهم أنها حيات[5] (وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ)[الآية: 116] أي: أخافوهم[6]، والرهب: الخوف، بتحريك الهاء وإسكانها[7]، وقيل: معناه: استرهبهم الناس، أي: استعظموا أمرهم[8].

فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا٠، وأكلت جميع حبالهم وعصيهم، ثم عادت عصا كما كانت، فعلموا حينئذ أنه أمر من الله تعالى، فآمن السحرة كلهم.

(فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ)[الآية: 118] أي: ظهر وبطل سحرهم[9].

(وَٱنقَلَبُوا۟) أي: انقلب فرعون وقومه أذلاء مقهورين[10].

فقال فرعون للسحرة: آمنتم بموسى قبل أن آمركم أنا بالإيمان به؟[11] (إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ)[الآية: 123] أي: كيد تواصيتم عليه أنتم وموسى لتخربوا بلادي[12] (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾) عاقبة مخالفتكم لي إذا عاقبتكم[13].

ثم إنه قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمنى، والرجل اليسرى،

---

(1) أما الإسكندرية فمعروفة، وأما الفرما -تقصر وتمد- فهي مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بينها وبينه ثلاثة أكيال، كان لها ميناء عامر، وهي مندثرة الآن، وتعرف آثارها اليوم بتل الفرما، قالوا: وكان الإسكندر والفرما أخوين، فبنى كل منهما مدينة منهما فسميت باسمه. والله أعلم. انظر: معجم البلدان 3/430، 429، والمواعظ والاعتبار 1/212، 211، والقاموس الجغرافي 1/92، 91.

2) اختلف في المدائن التي أرسل فرعون إليها لطلب السحرة، وما ذكره المؤلف هو مما قيل فيها، ولا حاجة إلى العلم بمثل ذلك، ومثله ما يليه من ذكر عدد السحرة. انظر: تفسير الطبري 6/20، والجامع لأحكام القرآن 7/229.

(3) في (م): (قالوا) دون واو. وفي عددهم خلاف كثير بين سبعين ساحراً وبين تسعمائة ألف ساحر. انظر: الهداية 4/2489، والبحر المحيط 4/360.

(4) انظر: تفسير الطبري 6/19.

(5) انظر: تفسير الطبري /21، وزاد المسير ص 511.

(6) انظر: تفسير الطبري 6/21، ومعاني القرآن للزجاج 2/366.

(7) انظر: القاموس المحيط (ر هـ ب) ص 92.

(8) انظر: الهداية 4/2491.

(9) انظر: معالم التنزيل 2/137، والمحرر الوجيز 2/440.

(10) انظر: الكشاف 2/136.

(11) انظر: تفسير الطبري 6/24.

(12) انظر: تفسير الطبري 6/24، والتفسير الكبير 14/169.

(13) انظر: زاد المسير ص 512، وتفسير ابن كثير 2/248.

وصلبهم[1]، وهو أول من فعل هذه العقوبات، قاله ابن عباس[2]، وقال: كانوا أول النهار كفاراً سحرة، وآخره مؤمنين شهداء[3].

ولما هددهم فرعون بالقتل ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝١٢٥﴾[4] أي: راجعون يوم القيامة فيجازينا[5].

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ ﴾[الآية:126]أي: وما تنكر من أحوالنا إلا إيماننا[6]، ثم سألوا الله تعالى أن يفرغ عليهم الصبر حتى يتوفاهم على الإيمان، فأجاب الله دعاءهم[7].

ثم إن قوم فرعون قالوا له: أتترك موسى وبني إسرائيل ليفسدوا أرض مصر ﴿وَيَذَرَكَ ﴾[الآية:127] -أي: يترك عبادتك- وعبادة آلهتك؟ وكان القبط يعبدون البقر وتماثيلها، ويعتقدون فرعون الرب الأعلى[8]، وقرأ ابن عباس (وإلاهي··تك) أي: ربوبيتك[9].

وأوعد فرعون قومه أن يقتل رجال بني إسرائيل ويستر·ق·· نساءهم، وكان مع

(1) أو اليد اليسرى والرجل اليمنى. انظر: معالم التنزيل 2/137، والجامع لأحكام القرآن 7/231.

2) رواه الطبري في تفسيره 6/24 من طريق ابن وكيع، قال: حدثنا أبو داود الحفري وحبويه الرازي، عن عقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وابن وكيع كان صدوقاً إلا أنه ابتلي وراقه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه -وقد مضى-، وأبو داود الحفري عمر بن سعد ثقة عابد انظر: تقريب التهذيب 4938)، وحبويه هو إبراهيم بن المختار صدوق ضعيف الحفظ. انظر: تقريب التهذيب (247)، ويعقوب القمي هو ن عبد الله بن سعد، وهو وجعفر صدوقان يَهِمَان. انظر: تقريب التهذيب (968،7876). وقد عزاه السيوطي في لدر المنثور 3/200 إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وهو عند ابن أبي حاتم في تفسيره 5/1537 موقوفاً على سعيد بن جبير، ولم أطلع على سند ابن المنذر.

3) رواه عبد الرزاق في تفسيره 1/234 من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه وقد مضى بيان ضعف هذا لطريق ص(54)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره 5/1537، ورواه الطبري في تفسيره 6/25 من طريق لسدي عن ابن عباس، وقد ولد السدي سنة 61هـ، وتوفي ابن عباس سنة 67 أو 68هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 3/359، و5/264. وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور 2/198 -من غير من ذُكر- إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(4) في (م): (لمنقلبون).

(5) انظر: تفسير الطبري 6/25.

(6) انظر: الكشاف 2/136، والمحرر الوجيز 2/441.

(7) انظر: تفسير الطبري 6/25، والجامع لأحكام القرآن 7/231.

(8) انظر: تفسير الطبري 6/25، والجامع لأحكام القرآن 7/232.

9) كذا حكيت القراءة في النسختين -مضبوطة-، ويؤيد أنه كذلك تفسير المؤلف لها، غير أني لم أجد هذه لقراءة لا عن ابن عباس ولا غيره، بل المستفيض عند أئمة التفسير والقراءات الشواذ أن ابن عباس يقرأ وإلاهتك) على معنى: وعبادتك، أو على أن المراد الشمس. انظر: تفسير الطبري 6/26، ومختصرٌ في شواذ لقراءات ص45، والمحتسب 1/368، وشواذ القراءة للكرماني (مخطوط مرقم الصفحات) 89، والبحر المحيط 4/367، والدر المصون 5/424.

موسى[1] ستمائة ألف[2]، فأمرهم موسى بالاعتماد على الله، والصبر لأحكام الله، وانتظار الفرج، فإن الأرض لله والعاقبة لمن اتقى الله.

فقال بنو إسرائيل: ﴿أُوذِينَا﴾[الآية:129] أي: آذانا فرعون بقتل أبنائنا من قبل أن ترسل إلينا، ومن بعد إرسالك أيضاً يؤذينا[3].

قال ابن عباس: هذا قالوه حين تراءى الجمعان، ولحقهم فرعون عند البحر، فقالوا: كيف نصنع؟ هذا فرعون وراءنا، والبحر أمامنا، قال موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾[4]، فأغرق الله فرعون وقومه، وورّث بني إسرائيل أرض مصر.

وكان فرعون وقومه قد ابتلاهم الله بأشياء قبل الغرق، فما تذكروا ولا انتهوا[5]، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾[الآية:130] أي: بسنين مجدبة، غالية الأسعار، قليلة الماء[6].

وكانوا إذا أصابتهم نعمة قالوا: هذا الذي نستحقه، وإذا أصابتهم محنة قالوا: هذا بشؤم موسى وقومه[7]، فيتطيرون، أي: يتشاءمون، وأصله: التفاؤل حتى ينظر الإنسان ما يطير يقع له[8] من خير أو شر[9].

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[الآية:131] أي: الشؤم الذي يلحقهم إنما هو من عند الله عقوبة لهم، وقيل: معناه: الشؤم مدخر لهم عند الله إلى يوم القيامة فيظهر لهم[10].

(1) في (ك): (وكانوا مع موسى).
(2) انظر: تفسير الطبري 6/28، والمحرر الوجيز 2/441.
(3) انظر: تفسير الطبري 6/29، والكشاف 2/138.
4) رواه الطبري في تفسيره 6/29 بسنده عن سفيان عن أبي سعد، عن عكرمة عن ابن عباس، وأبو سعد هو سعيد بن المرزبان البقال، ضعيف مدلس كما سبق ص (25).
(5) في (ك): (ولا انتبهوا).
(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/368، والجامع لأحكام القرآن 7/234،233.
(7) انظر: معالم التنزيل 2/139.
(8) في (ك): (ما يقع له).
9) العبارة غير واضحة المقصود، ولعل فيها تصحيفاً في كلمة (التفاؤل)، ولم يتبين لي وجهها، غير أنه ترجح لدي أن مراد المؤلف هو ما قاله ابن عطية:«وهو مأخوذ من زجر الطير، فسمى ما عند الله من القدر للإنسان طائراً لما كان الإنسان يعتقد أن كل ما يصيبه إنما هو بحسب ما يراه في الطائر». المحرر الوجيز 2/443، وانظر: معجم مقاييس اللغة (ط ي ر) 3/436، والتفسير الكبير 14/176، والبحر المحيط 4/370.
(10) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/369، وزاد المسير ص 514.

﴿ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ ﴾[الآية:132]أي: ما من شيء تأتي به[1] إلا وهو سحر[2]، وأصل ﴿مَهۡمَا ﴾(ما ما)، ثم أبدلت الألف الأولى هاء للسكت[3].

﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾[الآية:133]زيادة النيل، حتى كاد أن يغرقهم، فسألوا موسى أن يدعو الله، فيكشف عنهم ذلك ويؤمنوا، فدعا موسى، فكشف الله الماء، وزرعوا، ونبت زرعهم، ولم[4] يؤمنوا، فأرسل الله على زرعهم جراداً عظيما٠، كان يأكل المسامير، فقالوا: إن كشفت[5] عنا هذا آمنا، فكشف عنهم، وطابت زروعهم، وحصدوا ودرسوا وخزنوا، ولم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم القٰم٠٠ل -وهو السوس- فأتلف كثيراً مما خزنوه، فقالوا: إن كشفت عنا هذا آمنا، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم ضفادع، حتى كان الرجل يجلس فيها إلى عنقه، ولا تدع إناء إلا وقعت فيه، فأفسدت معايشهم، فقالوا: اكشف عنا ونؤمن، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فسلط الله عليهم الدم، فصاروا لا يتناولون طعاما ولا شراباً إلا صار دما٠، حتى كان القبطي يجلس مع الإسرائيلي على مائدة، فيصير ما يتناوله القبطي في يده دما٠، ثم ابتلوا بالطاعون، حتى مات منهم في يوم واحد سبعون ألفاً من قوم فرعون[6]، فأمسوا لا يتدافنون، وكان بين كل بلية من هذه البلايا وبين الأخرى ثمانية أيام، فهي الآيات المفصلات[7].

وقالت عائشة: ﴿ٱلطُّوفَانَ ﴾ هنا الموت[8]، وقال ابن زيد: القمل: البراغيث[9]،

---

(1) في النسختين (تأت به)، ولا جازم هنا حتى يحذف حرف العلة.
(2) انظر: تفسير ابن كثير 2/250.
(3) وقيل: هي بسيطة غير مركبة. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/369، ومغني اللبيب 1/362.
(4) في (ك): (لم) دون واو.
(5) في (ك): (كشف).
(6) في (ك) بعد كلمة (فرعون) كلمة لم أستطع قراءتها.
7) جاءت روايات كثيرة بنحو السياق الذي ساقه المؤلف، وفي بعضها اختلاف، على أن المراد بالطاعون في السياق: الرجز في الآية التالية ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ ...﴾، وسيذكره المؤلف.
انظر في تفسير الآيات المفصلات: تفسير الطبري 6/31-41، والهداية 4/2511-2519، ومعالم التنزيل 2/140-142.
(8) رواه الطبري في تفسيره 6/32 . وقد حكم عليه الألباني بالوضع في ضعيف الجامع الصغير (3660) ص536.
(9) رواه الطبري في تفسيره 6/34 بسنده عن ابن زيد قال:«زعم بعض الناس في القمل أنها البراغيث».

وقال أبو عبيدة[1]: [هو][2] القراد[3]، سلط على أجسادهم قمل حتى صار عليها كالجدري[4].

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾[الآية:134][أي: العذاب][5]، وهو الطاعون[6]، قال القبط ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ وأقسم عليه ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: بما أعطاك من النبوة والوحي[7]﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ[8] وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ إلى الشام، فكشف الله عنهم الرجز، فلم يؤمنوا حتى أغرقهم الله في اليم، وهو نهر النيل، وقيل: بحر القلزم[9].

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ ﴾[الآية:137] أي: بني إسرائيل الذين كانت القبط يستضعفونهم.

﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾ وهي مصر، وهي الأرض التي بارك الله فيها[10]، قاله الليث بن سعد[11]، وسميت مصر لاجتماع الخيرات فيها، من م·ص·ر·ت الشاة: إذا حلبت جميع ما في ضرعها من اللبن[12].

وروى ابن عمر أن نيل مصر سيد الأنهار، إذا أراد [الله][13] جل ذكره أن يجريه أمر كل نهر بين

---

(1) هو معمر بن المثنى، التيمي ولاء، البصري، النحوي، صاحب كتاب «مجاز القرآن»، وكتاب «غريب لحديث»، غلب عليه علم الغريب ومعرفة أيام العرب، ولد سنة 110هـ.، وتوفي سنة 209 أو 210هـ. وقد بلغ المائة أو شارفها. انظر: معجم الأدباء 5/509، وسير أعلام النبلاء 9/445.

(2) سقطت من (ك).

(3) انظر: مجاز القرآن ص41.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/239.

(5) سقطت من (ك).

(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/370، والمحرر الوجيز 2/445.

(7) وقيل غير ذلك. انظر: معالم التنزيل 2/143، والمحرر الوجيز 2،/445، وزاد المسير ص519.

(8) في (ك): (بك).

(9) انظر: الجامع لأحكام القرآن 13/257، والتحرير والتنوير 8/260،259. وأما بحر القلزم فهو البحر الأحمر.

(10) في (ك): (وهي الأرض الله التي بارك الله فيها).

(11) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، من الموالي، أبو الحارث، شيخ الديار المصرية، توفي سنة 175هـ. انظر: سير علام النبلاء 8/136، وغاية النهاية 2/34. وقول الليث أورده السيوطي في الدر المنثور 3/211 عن الليث بن سعد وعزاه إلى أبي شيخ. وأما هذا القول الذي أورده المؤلف فهو أحد الأقوال في المراد بمشارق الأرض ومغاربها، وسيورد فيما بعد ً آخر: أن شارق الأرض الشام، ومغاربها مصر، وأهمل أشهر الأقوال -ولعله أرجحها-: أنها مشارق الشام ومغاربها، أو أن المراد جملة لأرض. انظر: تفسير الطبري 6/44،43، والمحرر الوجيز 2/446، وزاد المسير ص 515، والتفسير الكبير 14/181، وتفسير ابن كثير 2/252.

(12) انظر: الهداية 4/2523،2522.

(13) سقطت من (م).

المشرق والمغرب أن يمده، فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره[1].

وأما أصل النيل فإنه يجري من تحت سدرة المنتهى، يخرج من الجنة، رواه البخاري[2] في الصحيح[3].

قال ابن عمر: كانت البساتين في زمن فرعون على حافتي النيل متصلة، من أسوان إلى رشيد[4]، وهي الجنات في قوله تعالى: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥﴾[5] أي: أنهار، وهي سبعة خ·ل·ج[6]، كانت تجري دائمة من نهر النيل: خليج الفيوم، وخليج الم·ن·ه·ى، وخليج السردوس، وخليج ب·لب·يس[7]، وخليج دمياط، وخليج الإسكندرية، وخليج

1) هذا الكلام منسوب في النسختين كلتيهما إلى ابن عمر تبعاً لمكي في الهداية 4/2523، والصواب أنه عبد الله ن عمرو بن العاص، وقد رواه النحاس في معاني القرآن 5/81، وانظر: الجامع لأحكام القرآن 13/97، وتفسير ابن ثير 4/152، وقد رواه النحاس عن محمد بن سلمة الأسواني عن محمد بن سنجر عن عبد الله بن صالح عن ابن هيعة عن واهب بن عبد الله المعافري عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وشيخ النحاس محمد بن سلمة الأسواني م يتبين لي، وابن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه. انظر: تقريب التهذيب (3587)، وفيه نكارة متن، فإن الواقع لا يشهد له.

(2) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم، البخاري، أبو عبد الله، ولد سنة 194هـ صاحب الصحيح، جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث، توفي سنة 256هـ. انظر: فيه ترجمة البخاري للذهبي، وتقريب التهذيب (5764) ص824.

(3) روى البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج (3887) 7/252-254، حديثَ المعراج ، وفيه: «ثم رفعت إلي سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»، والله أعلم بكيفية ذلك. انظر: فتح الباري 7/268.

4) أما أسْوان فهي مدينة في جنوب مصر، على شرقي ضفاف النيل، وما زالت تعرف بهذا الاسم اليوم، وفي محافظة أسوان السد العالي. انظر: معجم البلدان 1/156.

وأما رشيد فهي بليدة على سلحل البحر، وتقع على مصب أحد فروع النيل، قرب الإسكندرية. انظر: معجم البلدان 2/403.

(5) سورة الدخان، الآية (25).

(6) الخليج: النُهَير يقتطع من النهر الكبير إلى جهة ينتفع به، ويجمع على خُلُج، وخُلجان. انظر: المعجم الوسيط (خ ل ج) ص 248.

(7) كل من اطلعت عليه ممن روى هذا الأثر لم يذكروا هذا الخليج بهذا الاسم، وإنما ذكروا مكانه خليج منف.

سخا[1]، وكان بها ألف منبر، يجلس عليها الملوك، وهي المقام الكريم[2].

وقيل: ﴿مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ الشام، ﴿وَمَغَٰرِبَهَا﴾ مصر[3].

﴿وَدَمَّرۡنَا﴾ أي: أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ﴾ من أثاث وعدد ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ۝١٣٧﴾ أي: يبنون من القصور وغيرها[4].

والضم في راء ﴿يَعۡرِشُونَ﴾ والكسر لغتان[5].

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾[الآية:138] أي: قطعوه وطلعوا، فمروا بقوم من لخم[6]، وقيل: هم أهل وادي كنعان[7]، فوجدوهم يعبدون أصناما على تماثيل البقر، فسألوا موسى أن يصنع لهم أصناما يعبدونها - منهم- فقال موسى: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ۝١٣٨﴾ أحكام الله[8].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[الآية:139] الذين يعبدون الأصنام ﴿مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ﴾ أي: هالك خاسر، لا ينفعهم شيئا[9].

﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾[الآية:140] أي: أطلب لكم أن تعبدوا غير الله، وقد

---

(1) كل هذه الخلجان تقع في دلتا النيل، ويظهر في بعضها تسميتها بأسماء مدن تصب فيها كخليج الفيوم، دمياط، والإسكندرية، وهذه ثلاث مدن مشهورة بهذه الأسماء اليوم، وأما المنهى فاسم فم نهر من النيل يصب في الفيوم، والظاهر أنه غير خليج الفيوم السالف ذكره، وقد ذكر المؤرخون أن الذي حفرهما -أعني خليج الفيوم وخليج المنهى- يوسف عليه السلام، وأما السردوس فقد ذكر المؤرخون أن الذي حفره هامان، وكان كلما كلمه أهل قرية أن يجره تجاههم أخذ عليهم مالاً واتجه به نحوهم، يوهمهم أنه يمدهم به، قالوا: فلا يعرف خليج من خلجان النيل أكثر تعرجاً منه، وأما بلبيس فمدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ (قرابة 57 كيلاً، وقد مضى ذكر الفرسخ ص(34))، وأما سخا فهي مدينة بأسفل مصر، وإليها النسبة بالسخاوي. انظر: معجم البلدان 1/377، و3/38، 27، و4/334، والمواعظ والاعتبار 1/71.

2) هذا الأثر كسابقه أورده المؤلف عن ابن عمر تبعاً لمكي، والصواب أنه عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد أورده النحاس عقب إيراده للأثر السالف عن عبد الله بن عمرو مباشرة، ويظهر أنه عنده بالإسناد نفسه، وقد رواه السيوطي بإسناده في حسن المحاضرة 1/346 حتى التقى مع النحاس في عبد الله بن صالح. فانظر إسناد الأثر السابق.

(3) سبقت الإشارة إلى هذا القول في بداية الكلام على المراد بمشارق الأرض ومغاربها في الآية.

(4) انظر: تفسير الطبري 6/45، 44، ومعالم التنزيل 144/.

5) قرأ بالضم ابن عامر وشعبة، وقرأ الباقون بالكسر، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/263، والنشر 2/204.

(6) قبيلة قحطانية، من اليمن، ومنهم المناذرة، ملوك الحيرة في الجاهلية. انظر: الأنساب 5/132، وأطلس الحديث النبوي ص 324.

7) أرض الكنعانيين هي الشام، ونسبتهم إلى كنعان بن سام بن نوح فيما قيل، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية. انظر: معجم البلدان 4/155.

(8) انظر: تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في الهداية 4/2529-2531، والبحر المحيط 4/377، 376.

(9) انظر: التفسير الكبير 14/183، 182، والبحر المحيط 4/377.

فضلكم على أهل زمانكم بالإيمان، والنجاة من الذلة، وإهلاك أعدائكم؟[1].

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾[الآية:142] لما جاوز البحر قالوا له: ائتنا بكتاب من عند الله كما وعدتنا، فاستخلف عليهم هارون ومضى[2]، وأوحى الله إليه أن يصوم ثلاثين يوماً قبل المناجاة، فصام ثلاثين، ثم استاك، فقال الملائكة: يا موسى، إنا كنا نجد من فيك رائحة المسك، فأفسدته بالسواك، فأوحى الله إليه أن يصوم عشرة أخرى، فتمت أربعون يوماً، ثم وقف على الطور، فأسمعه الله كلامه[3].

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ تكرار[4] للتأكيد والبيان، وقيل: لبيان أن العشر كانت ليالي لا ساعات، وقيل: لبيان أنها من أجل المواعدة، وقال مجاهد[5]: الثلاثون: ذو القعدة، ثم كملت بعشر ذي الحجة[6]، فيكون تكرار ذكرها تفخيماً لأمرها، وقيل: كان قد أخبر بني إسرائيل أنه يغيب عنهم للمناجاة شهراً، ثم أمره أن يخبرهم أنه يغيب أربعين ليلة، ثم ذهب، فقعدوا عشرين يوماً، وعشرين ليلة، وقالوا: هذه أربعون، وقد أخلف موسى الوعد، فعبدوا العجل[7].

وقوله لأخيه: ﴿ٱخْلُفْنِى﴾ أي: احكم فيهم بخير بعدي[8]﴿وَأَصْلِحْ﴾ أي: اؤمرهم بطاعة الله، ولا تسلك طريق الفساد في أحكامك[9]، ويقال في الخير: خلَف، وفي الشر:

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/47، والجامع لأحكام القرآن 7/243.
(2) أورده مكي في الهداية 4/2533 عن الكلبي من قوله.
(3) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/372، والهداية 4/2536، والجامع لأحكام القرآن 7/243، وتفسير ابن كثير 2/253. والله أعلم بصحته.
(4) في (م): (تكراراً).
(5) هو مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم، المكي، أبو الحجاج، الأسود، شيخ القراء والمفسرين، أخذ عن ابن عباس القرآن والتفسير والفقه، وهو ممن أخذ عنهم ابن كثير القارئ، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، توفي سنة 102هـ أو بعدها، قيل: وهو ساجد. انظر: النشر 1/99، وغاية النهاية 2/41، وتقريب التهذيب (6523) ص921.
(6) رواه الطبري في تفسيره 6/48 بإسنادين عن مجاهد.
(7) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري 6/48، والهداية 4/2538،2537، وزاد المسير ص 516، والتفسير الكبير 14/185،184، والجامع لأحكام القرآن 7/243.
(8) انظر: تفسير الطبري 6/49.
(9) انظر: تفسير الطبري 6/49، والتفسير الكبير 14/185.

خل·ف، ساكنة اللام[1].

فلما جاء موسى للميقات الذي وعده الله خلق الله في أذنه سمعاً خارقاً للعادة، فسمع كلام الله القديم، من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا جهة[2]، فاستغرقته لذة سماع الكلام، فطلب الرؤية؛ لأنها جائزة عقلا·، لكنها ممنوعة في الدنيا، فقال الله تعالى له: (لَن تَرَىٰنِي)[الآية:143] أي: لن تنظر إلي في الدنيا[3]؛ وذلك لأن الدنيا دار الفناء، ومنـزل المحن والعناء، وإنما ينظر المؤمنون إلى الله في دار البقاء، يوم التحية واللقاء.

فأراد الله [تعالى][4] أن يظهر لموسى ما يستدل به على كونه لا يطيق النظر، فأمره أن ينظر إلى الجبل الذي هو أجلد منه وأعظم[5]، ثم خلق الله في الجبل إدراكاً[6]، فتدكدك من هيبة الله تعالى، قال السدي: حف الله حول الجبل ملائكة، وحولهم ناراً، وحول النار ملائكة، وحولهم نار[7]، ثم خلق في الجبل الإدراك، فاندك وتقطع، فيقال: إن بعضه ساخ في الأرض[8] إلى البحر الذي تحت الأرضين السبع[9].

قال وهب: لم يأت موسى النساء منذ كلمه الله تعالى[10].

ويروى أنه مكث زماناً لا يستطيع أن يسمع كلام الخلق[11]، ولا يستطيع أحد النظر

---

(1) قالها بعض أهل اللغة، وفي اطرادها خلاف. انظر: لسان العرب (خ ل ف) 4/183.

2) سبق بيان مذهب أهل السنة في صفة كلام الله تعالى ص(195)، وسبق كذلك الكلام على لفظ الجهة ص (100).

(3) انظر: معالم التنزيل 2/146، وزاد المسير ص 516،517، وتفسير ابن كثير 2/254.

(4) سقطت من (ك).

(5) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص 156،157.

6) مذهب أهل السنة أن رؤية الله تعالى تكون بالأبصار، وأما الأشاعرة فيقولون: هي إدراك، وليست بالأبصار، ومنهم من يقول غير ذلك، وذلك ليفروا من إثبات الجهة. انظر: الملل والنحل 1/99، ومجموع الفتاوى 2/204.

7) إلى هنا ينتهي أثر السدي، وقد رواه عنه الطبري في تفسيره 6/50 من طريق أسباط، وقد مضى الكلام عليه ص(56).

(8) في (ك): (ويقال ابه بعضه ساخ في الأرض).

9) أورده مكي في الهداية 4/2545 من قول الكلبي من رواية سفيان الثوري عنه، وأورد بعضه الطبري في تفسيره 6/54 من قول سفيان.

10) أورده مكي في الهداية 4/2543، ووهب مشهور بالأخذ من أخبار بني إسرائيل. انظر: سير أعلام النبلاء 4/545.

11) في (ك): (ويروى أنه مكث رفاثا لا يسمع كلام الخلق). ولم أقف على هذا القول في مظانه. ومهما يكن تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام تشريف ومنقبة، ولا يصح أن يتأتى عليه مثل هذا النقص المنسوب إليه في هذين القولين.

إلى وجهه لما علاه من النور[1].

وقال ابن عباس: مرت الملائكة بـموسى، فقالوا: يا ابن النساء الحيض، لقد سألت ربك شيئا· عظيما·[2].

فقال: (سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ) من تجاسري في سؤال الرؤية [في الدنيا][3].

ومن قرأ: (دَكّٗا) بالتنوين فهو مصدر في موضع المفعول[4]، ومعناه: مدكوكاً، ومن قرأ ﴿دكاء﴾ بالمد والهمز فمعناه: جعله أرضاً دكاء، يقال: ناقة دكاء: ليس لها سنام[5].

(وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا) أي: مغشيا· عليه[6] (فَلَمَّآ أَفَاقَ) استغفر، فقال: أنا أول المؤمنين، أي: مؤمني قومه، ويقال: معناه: أول من يؤمن بك أنك لا ترى في الدنيا[7].

فسكن الله تعالى روعه بقوله: (إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ)[الآية:144] أي: على أهل عصرك بالرسالة وسماع الكلام[8].

(فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ) يعني التوراة[9]، أنزلت عليه مكتوبة في ألواح، فيها كل شيء يحتاج إليه من أمر الدين[10].

---

(1) انظر: الهداية 4/2543، والدر المنثور 3/216.

2) رواه الطبري في تفسيره 6/56 عن ابن عباس، وفيه أبو سعد البقال سعيد بن المرزبان ضعيف مدلس كما سبق ص(25).

(3) سقطت من (ك). وانظر: تفسير الطبري 6/57، وتفسير ابن كثير 2/255.

(4) في (ك): (في معنى المفعول).

5) قرأه حمزة والكسائي وخلف (دكاء) بالمد والهمز، وقرأه الباقون(دَكّٗا) بتنوين ودون همز، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: تفسير الطبري 6/55،54، والحجة لأبي علي الفارسي 2/264، والبحر المحيط 4/383، والنشر 2/204.

(6) انظر: تفسير الطبري 6/53، وتفسير ابن كثير 2/255.

7) ورجح الطبري الأخير؛ لأنه قد سبقه من قومه -بني إسرائيل- مؤمنون كثير. انظر: تفسير الطبري 6/57،56، والجامع لأحكام القرآن 7/247.

(8) انظر: البحر المحيط 4/385، وتفسير ابن كثير 4/256.

(9) قلّ من ذكره من المفسرين، وقد استظهره ابن عاشور، وقيل: المقصود الرسالة، وقيل: المناجاة، وقيل: لاصطفاء، والقول بأن المقصود الرسالة شامل لما قاله المؤلف. انظر: تفسير الطبري 6/57، والبحر المحيط 4/385، وتفسير ابن كثير 2/256، وروح المعاني 4/54، والتحرير والتنوير 8/278.

10) هذا تفسير لقوله تعالى (وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ). انظر: المحرر الوجيز 2/452، وزاد المسير ص 517.

(مَّوۡعِظَةٗ)[الآية:45] أي: تذكيراً وتخويفاً وترغيباً[1](وَتَفۡصِيلٗا) أي: تبياناً للحلال والحرام[2] (فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ) أي: بجد وصدق وعزم على العمل بها[3](وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ) أي: يعملون بالخير المأمور بفعله فيها، ويتركوا سيئاتها من الشر المنهي عنه فيها، وقيل: معناه: يعملوا بالأفضل والأكمل مما أمر به فيها، ومثله قوله: (ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ)[4].

(سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾) أي: سأريكم منازل فرعون وقومه بمصر، قد خلت منهم وتملكونها، قال ابن جبير[5]: كشف لهم فرأوها وهم بالشام[6].

[وقال][7] قتادة: هي منازل الجبابرة بالشام[8].

وقال مجاهد والحسن: (دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ) النار[9].

(سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ)[الآية:146] أي: سأصرف قلوب المتكبرين الظالمين عن تدبر آياتي، فلا ينتفعون بسماع كتابي، ولا يؤمنون بما يعاينون من معجزات أنبيائي، ولا

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/152.
(2) انظر: تفسير الطبري 6/57، وزاد المسير ص 517.
(3) انظر: تفسير ابن كثير 2/256.
4) سورة الزمر، الآية (55). وانظر القولين اللذين حكاهما المؤلف في معنى الآية: معاني القرآن للزجاج 2/375، وزاد المسير ص 518، والجامع لأحكام القرآن 7/249.
5) هو سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد، أو أبو عبد الله، الأسدي الوالبي ولاءً، الإمام، ثقة ثبت فقيه، قتله الحجاج سنة 95هـ. انظر: طبقات خليفة ص280، وسير أعلام النبلاء 321/ 4، وتقريب التهذيب (2291) ص374.
6) رواه سعيد بن منصور في سننه (963) 5/157، وابن أبي حاتم في تفسيره 5/1566 وفي إسنادهما عمرو بن ثابت، ضعيف رمي بالرفض. انظر: تقريب التهذيب (5030)، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور 3/233 إلى ابن المنذر من غير من ذُكر.
(7) سقطت من (ك).
8) رواه الطبري في تفسيره 6/60 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وإسناده حسن كما مضى ص(2).
9) أما الرواية عن مجاهد فأخرجها الطبري في تفسيره 6/60،59 عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من طريقين: من طريق عيسى بن ميمون، ومن طريق شبل بن عباد، وكلا الطريقين صحيحان. انظر: العجاب 1/204، والتفسير الصحيح 1/55-58.
أما الرواية عن الحسن فقد أخرجها أيضاً الطبري في تفسيره 6/60 قال: حدثني المثنى قال حدثنا مسلم قال حدثنا مبارك عن الحسن. والمثنى هو ابن إبراهيم الأملي الطبري، روى الطبري عنه كثيراً...، ولم أقف على ترجمته، مسلم هو ابن إبراهيم، ثقة مأمون، كما في تقريب التهذيب (6660)، ومبارك هو ابن فضالة، صدوق يدلس يسوي، ولكنه جالس الحسن بضع عشرة سنة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 7/281، وتهذيب الكمال 27/180، وتقريب التهذيب (6506).

يتفكرون في مصنوعاتي، ولا يسلكون طريق الرشد لعدم التوفيق[1].

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾[الآية:148] أي: من بعد ذهابه للمناجاة[2]﴿عِجۡلٗا﴾ فعبدوه، وقوله ﴿ جَسَدٗا ﴾أي: جسما، والأجسام لا تصلح للعبادة؛ فإنها مخلوقة، والرب قديم[3].

[وقوله][4]﴿لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾أي: صوت البقر[5].

ثم وبخ الله تعالى من عبد جسما له صوت، فقال: أفلا يرون أن هذا العجل ﴿لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾أي: لا يأمرهم ولا ينهاهم ﴿وَلَا يَهۡدِيهِمۡ﴾أي: لا يرشدهم لطريق الخير، ولا يبين لهم مصالحهم ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾إلها، فكانوا ظالمين لأنفسهم[6].

قال ابن عباس: لما قرب موسى من قومه سمع أصواتهم، فرآهم عاكفين على عبادة العجل، فغضب لذلك، وتأسف عليهم[7]، وقال: ﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾[الآية:150]أي: ما صنعتم من الشر بعدي[8] ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡ﴾ أي: طال عليكم أمد غيبتي عنكم[9]، وهو قوله: ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾[10].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/61، والمحرر الوجيز 2/454.
(2) انظر: معالم التنزيل 2/153.
3) أولا: لفظ الجسم حادث، لم يرد في الشرع إثباته ولا نفيه، فلا ينفى بإطلاق ولا يثبت بإطلاق، ولا بد من ستصحاب أمرين: أن نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من صفات، وأن ننزهه تعالى عن الشبيه والمثيل، وإنما أنكره ن أنكره بإطلاق لتوهم أنه يستلزم المماثلة بين الله تعالى وبين خلقه، ويجب عند السؤال عن هذا اللفظ أن ستفصل فيه، فإن كان يريد به مماثلة المخلوقين في جسميتهم فهذا منفي في حق الله، وإن كان يريد أنه متصف بما وصف به نفسه من صفات الكمال فهذا مثبت، ولكن يعبر عنه بالألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، ولا يعبر عنه بلفظ الجسم الذي يحتمل أكثر من معنى. انظر: مجموع الفتاوى 17/167-191.
ثانيا: استدلال المؤلف وغيره بهذه الآية على نفي لفظ الجسم عن الله تعالى مردود من وجوه، أوصلها شيخ الإسلام إلى عشرة وجوه. انظر: مجموع الفتاوى 5/132-139.
(4) سقطت من (ك).
(5) انظر: تفسير الطبري 6/63، ومعالم التنزيل 2/153.
(6) في (ك): (اتخذوه إلها لأنفسهم وكانوا ظالمين لأنفسهم) وانظر معنى الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/63، والمحرر الوجيز 2/455، والجامع لأحكام القرآن 7/252.
7) رواه الطبري في تفسيره 6/65 عن ابن عباس بمعنى ما ساقه المؤلف، وفي سنده سعيد بن المرزبان، وهو ضعيف مدلس، وقد تقدم ص (25).
ومعنى (أَسِفًا) فيه قولان: حزينا، أو غاضبا. انظر: تفسير الطبري 6/64.
(8) انظر: الهداية 4/2566، ومعالم التنزيل 2/154.
(9) انظر: زاد المسير ص 519، وتفسير ابن كثير 2/258.
(10) سورة طه، الآية (86).

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ من شدة غيظه[1]، فتكسر بعضها[2].

﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾[3] أي: وفي كتابتها التوراة، وقيل: معناه: في المكتوب على نسختها الذي كان بأيدي بني إسرائيل قبل أن يبدلوه[4]﴿هُدًى﴾ أي: بيان للأحكام[5]﴿وَرَحْمَةٌ﴾ للخائفين[6].

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾[الآية:151]هارون غضباً عليه حين لم يمنعهم عبادة العجل[7]، قال [هارون][8]: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾[9]فإني نهيتهم فلم ينتهوا؛ فخشيت أن أمنعهم بالقهر فيتفرقوا، فتقول: فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي لك: أصلح بينهم، وإنهم استضعفوني وكادوا أن يقتلوني][10].

فعند ذلك سكن غضب موسى، وندم على إلقاء الألواح ومعاجلة أخيه، فقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ فيما فعلت ﴿وَلِأَخِي﴾ في تساهله مع بني إسرائيل، وتركه إياهم وهم يعبدون العجل[11]، فعند ذلك ندم بنو إسرائيل، ورجعوا عن عبادة العجل.

ومعنى: ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾[الآية:149]أي: ندموا، وهي كناية مشهورة عند العرب[12].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/66،65، والبحر المحيط 4/393، وتفسير ابن كثير 2/258.

(2) روي هذا عن بعض السلف، ولكنه لم يرد في القرآن ولا السنة، والله أعلم به. انظر: تفسير الطبري 6/65 ، والتفسير الكبير 15/11، والجامع لأحكام القرآن 7/255، والتحرير والتنوير 8/298.

(3) هذه الجملة هي من آية متأخرة بعد الآية التي يفسرها المؤلف، وسيعرض المؤلف لتفسيرها في موضعها.

4) انظر هذين القولين وغيرهما في: معالم التنزيل 2/155، والتفسير الكبير 15/14،13، والجامع لأحكام القرآن 7/259.

(5) انظر: تفسير الطبري 6/72.

(6) هذا تفسير لقوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾. انظر: معالم التنزيل 2/155، وزاد المسير ص 521.

(7) وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 6/68، والجامع لأحكام القرآن 7/256،255، وتفسير ابن كثير 2/258.

(8) سقطت من (ك).

(9) سورة طه، الآية (95).

10) ما بين المعقوفين ساقط من (ك)، وجاء مكانه: (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني). وانظر: زاد المسير ص 916، والتحرير والتنوير 8/298.

11) غالب المفسرين على أن استغفار موسى عليه السلام لنفسه كان بسبب ما صنع من إلقاء الألواح ومعاجلة خيه وما بدر منه، وأما استغفاره لأخيه فقيل بما قاله المؤلف، وقيل: لم يقع من هارون عليه السلام تفريط، وإنما ستغفر له موسى لما عسى أن يكون قد وقع منه من تفريط، فالاستغفار على احتمال وجود التفريط، وقيل: بل استغفر له على سالف سلف بينه وبين الله، والله تعالى أعلم. انظر: تفسير الطبري 6/70، والهداية 4/2573،2572 ، والمحرر الوجيز 2/458، والتحرير والتنوير 8/300.

(12) انظر: تفسير الطبري 6/62، ومعالم التنزيل 2/154، وأساس البلاغة 1/462.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ ﴾[الآية:152] أي: عبدوه[1]﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ ﴾ هذا إخبار من الله لموسى، أي[2]: من عبد العجل منهم ولم يتب حتى مات سيناله[3] الغضب والذلة في الدنيا، وأثر الغضب العقوبة في النار[4]، ثم أمرهم بالتوبة، والتوبة قتل نفوسهم كما تقدم[5].

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ ﴾[الآية:154] أي: سكن[6]﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ صدق الله

واختار من قومه سبعين من خيارهم[7]، فذهب بهم إلى الطور ليعتذروا عن قومهم، فسألوا موسى رؤية الله تعالى، فأخذتهم الرجفة، فماتوا، فقال موسى: يا رب ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم ﴾[الآية:155] من قبل سؤالهم الرؤية ﴿وَإِيَّٰىَ ﴾ وأهلكتني ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ أي: أتهلكنا بعبادة سفهائنا العجل ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ أي: حكمك وقضاؤك عليهم حتى عبدوا العجل، فبقضائك تضل قوما· وتهدي قوما· ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾ أي: مولانا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ﴾[8].

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[الآية:156] أي: تبنا من سؤالك الرؤية وغير ذلك[9]، قال ابن عباس: هؤلاء السبعون لم يعبدوا العجل، ولم ينهوا، فمن ذلك أخذتهم الرجفة[10].

ثم إن الله تعالى أحيا هؤلاء السبعين لموسى عليه السلام، وهو قوله [تعالى]:[11]

---

(1) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/379.
(2) في (ك): (أن).
(3) في (ك) بعد كلمة (سيناله) كلمة لم أستطع قراءتها.
4) هذا هو قول ابن جريج، ورجح الطبري أن الآية عامة في كل من اتخذ العجل، ومن الغضب والذلة قتل بعضهم بعضاً كما سيأتي من كلام المؤلف. انظر: تفسير الطبري 6/71،70، والبحر المحيط 4/395.
(5) سبق ذلك في اللوحة (14) من النسخة (م).
(6) انظر: معالم التنزيل 2/155.
(7) في (ك): (واختار موسى قومه سبعين رجلا).
(8) بنى المؤلف تفسير هذه الآية على أن سبب اختيار موسى لسبعين من قومه ليعتذروا من عبادتهم العجل، وهو أشهر الأقوال في الآية، وقيل غيره. انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/73-78، والهداية 4/2577-2582، والمحرر الوجيز 2/460،459 غير أن الأولى تفسير ﴿فِتْنَتُكَ﴾ بمعنى: ابتلاؤك ومحنتك، هذا قول أغلب المفسرين، ولكن ليس ما قاله المؤلف ببعيد، إذ لا شك أن الابتلاء والامتحان هما مما قضاه الله سبحانه.
(9) انظر: تفسير الطبري 6/78-80، وتفسير أبي السعود 3/278.
10) رواه الطبري في تفسيره 6/75 من طريقين كلاهما من رواية سعيد بن حيان عن ابن عباس، وسعيد صدوق، لكن عده ابن حجر في الطبقة السادسة، وهم الذين لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة. انظر تقريب التهذيب (1946) ص 325، وانظر أيضاً ص 82 من تقريب التهذيب.
(11) سقطت من (م).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[1].

وقيل: معناه: أتهلك[2] من بقي بسؤال هؤلاء الرؤية بسفههم؟[3].

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهي الأعمال الصالحة[4] ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [حسنة][5]، وهي المغفرة[6]، قال الله تعالى: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ فمن مات على كبيرة غير الشرك فأمره إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: لو شئت لرحمت الكل، لكن جعلتها خاصة للمؤمنين، وقيل: معناه: وسعت في الدنيا كل أحد، فهم مشتركون فيها [في الدنيا][7]، وهي في الآخرة مكتوبة للمتقين[8] الذين يتقون الشرك ثم المعاصي[9]، قال ابن عباس ومجاهد: هم أمة محمد[10] ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: زكاة أموالهم[11]، وقال ابن عباس: الزكاة هنا: الأعمال الصالحة التي تزكيهم[12].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾[الآية:157] محمداً ﷺ، سمي أمياً لأنه من أم القرى مكة، وقيل: لأنه لا يكتب، ويسمى الذي لا يكتب أمياً للشبه بأمه في كونها لا

---

(1) سورة البقرة، الآية (56).
(2) في (ك): (ليهلك).
(3) هذا قول في معنى قوله تعالى ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾، والمراد: أتهلك بقية بني إسرائيل -وهم من غير السبعين الذين طلبوا الرؤية- بسبب طلب هؤلاء السبعين للرؤية. هذا تقرير القول الذي أورده المؤلف هنا، وقد سبق ذكر قولٍ آخر. انظر: تفسير الطبري 6/77، والهداية 4/2580.
(4) وقيل: الحسنة عامة في كل ما يحسن في الدنيا من عافية وغنى وطاعة لله. انظر: تفسير الطبري 6/78، والمحرر الوجيز 2/460، والجامع لأحكام القرآن 7/261.
(5) سقطت من (ك).
(6) انظر: معالم التنزيل 2/157، والبحر المحيط 4/399.
(7) سقطت من (ك).
(8) زاد بعدها في (ك): (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي). وانظر القولين في: تفسير الطبري 6/82، 81، والتفسير الكبير 15/19.
(9) انظر: البحر المحيط 4/401، وتفسير ابن كثير 2/261.
(10) رواه الطبري في تفسيره 6/81، 80 عن ابن عباس من عدة طرق، إحداها طريق علي بن أبي طلحة، وقد سبق الكلام على قوة هذا الطريق ص (33).
وأما الرواية عن مجاهد فأوردها مكي في الهداية 4/2587، ولم أقف على إسنادها.
(11) انظر: زاد المسير ص 522، والبحر المحيط 4/401.
(12) رواه الطبري في تفسيره 6/82 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد سبق الكلام على قوة هذا الطريق ص (33).

تكتب[1].

﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ﴾ باسمه وصفاته وموضع مولده ومدفنه ﷺ، وأنه يأمر[2] بالطاعات، وينهى عن المنكرات، ويحل الطيبات، ويحرم المحرمات، ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾[3]، أي: يضع عن بني إسرائيل العهد الذي أخذ عليهم بالعمل بالتوراة؛ فإن القرآن ناسخ لما قبله[4].

﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ هي التكاليف الشاقة التي في التوراة، شبهها بالأغلال[5] ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ أي: بمحمد[6] ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي: عظموه[7] ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ أي: جاهدوا معه[8] ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ﴾ يعني: القرآن، يستضاء به[9].

قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[الآية:158] أي: بعثت إلى الخلق كافة[10].

﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ﴾[الآية:159] أي: جماعة ﴿يَهۡدُونَ﴾ أي: يدعون الناس إلى الهدى، وهم الذين آمنوا بمحمد من أهل الكتاب ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ أي: بالحق يحكمون[11].

﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ﴾[الآية:160] أي: قسمنا بني إسرائيل[12] ﴿ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ[13] أَسۡبَاطًا أُمَمٗا﴾ كل فرقة أولاد رجل من أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر رجلاً، والأسباط في ولد إسحاق كالقبائل

---

(1) والأقرب أنه سمي بذلك لأنه بقي على ما ولدته عليه أمه من عدم الكتابة. انظر: المحرر الوجيز 2/462، وزاد المسير ص522،71، والبحر المحيط 4/402.

(2) في (ك): (يأمرهم).

(3) انظر: معالم التنزيل 2/159،158، الجامع لأحكام القرآن 7/264،263، غير أن تحديد موضع مدفنه ليس صريحاً، وإنما يفهم من سياق بعض الآثار.

(4) نظر: تفسير الطبري 6/86،85، وزاد المسير ص 523.

(5) انظر: الكشاف 2/160، ومعالم التنزيل 2/159، والتفسير الكبير 15/22.

(6) انظر: تفسير الطبري 6/87.

(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/382، والجامع لأحكام القرآن 7/265

(8) انظر: تفسير الطبري 6/87، ومعالم التنزيل 2/159.

(9) انظر: المحرر الوجيز 2/464، والبحر المحيط 4/403.

(10) انظر: تفسير الطبري 6/87.

(11) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/88، والهداية 4/2592، والجامع لأحكام القرآن 7/266.

(12) انظر: تفسير الطبري 6/89، والبحر المحيط 4/405.

(13) في (م): (اثني عشر).

في ولد إسماعيل، والسِّبْط في اللغة: الغصن، فكان يعقوب شجرة، وأولاده أغصانها[1].

وذِكْرُ الحجر الذي يتفجر ماء تقدم في سورة البقرة[2].

(وَسْئَلْهُمْ)[الآية:163]أي: واسأل اليهود سؤال تقرير وإخبار بما صنعوا[3]، والقرية التي كانت بجوار البحر هي أيلة[4]، قال ابن عباس: هي مدين[5]، وقال ابن شهاب[6]: هي طبرية[7].

وكانت هذه القصة في زمن داود عليه السلام، كان السمك يأتي شارعاً كثيراً يوم السبت دون سائر الأيام، وكان الصيد يوم السبت حراماً في التوراة، فذهب جماعة فاصطادوا يوم السبت وباعوا، فأمهلوا مدة حتى كثرت أموالهم، وكان قوم يعظونهم وينهونهم، وقوم ساكتون عنهم، فقال الساكتون للواعظين: لم تعظون قوماً أشقياء؟ اتركوهم حتى يهلكهم الله بالموت أو يعاجلهم بالعذاب، فقال الواعظون: موعظتنا معذرة إلى ربكم، ليكون لنا عذر عند الله، فما نجا إلا الذين كانوا يعظون[8].

(1) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/383، والجامع لأحام القرآن 7/267، ولسان العرب (س ب ط) 153،6/154 ، القاموس المحيط (س ب ط) ص 669. غير أن المفهوم من كلامهم أنه نبات معين، أو أغصان ذلك النبات، لا أي غصن.

(2) في اللوحة (15) من النسخة (م).

(3) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/384، والكشاف 2/164.

(4) انظر: تفسير الطبري 91،6/92، وزاد المسير ص 524. وقد مضى التعريف بأيلة وأنها تسمى اليوم: العقبة . انظر ص (34).

5) رواه الطبري في تفسيره 6/92 عن ابن عباس من طريق ابن حميد عن سلمة عن محمد بن إسحاق عن داود ن حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: هي قرية بين أيلة والطور يقال له: مدين، وقد روى الطبري قبل ذلك عن ابن وكيع عن ابن إدريس عن محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: هي قرية ين مدين والطور يقال لها: أيلة، وقد روى الطبري نحو هذا الأخير عن ابن عباس من عدة طرق، إحداها طريق علي بن أبي طلحة، وقد سبق الكلام على قوة هذا الطريق ص(33). ومدين تقع على البحر الأحمر محاذية لتبوك . انظر: معجم البلدان 4/224.

6) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي، أبو بكر، الإمام، حافظ زمانه، متفق على جلالته وإتقانه وثبته، مات سنة 125هـ. انظر: الجرح والتعديل 8/71، وسير أعلام النبلاء 5/326، وتقريب التهذيب (6336) ص 896.

(7) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره 5/1597.
طبرية بحيرة ومدينة شمال فلسطين، تبعد عن البحر المتوسط 43 كيلاً، يخرج منها نهر الأردن ليصب في البحر الميت. انظر: معجم البلدان 3/248، أطلس الحديث النبوي ص 246.
والله أعلم أي هذه القرى مقصود.

(8) هذا سياق قصتهم، وفي ضمنه تفسير للآيات، غير أن العلماء -سلفاً وخلفاً- قد اختلفوا في مصير الساكتين، هل عذبوا أم نجوا؟ والراجح والله أعلم أنهم نجوا. انظر: سياق القصة في تفسير الطبري 6/91-100، والهداية 4/2603-2611، والجامع لأحكام القرآن 7/268-271، وتفسير ابن كثير 268،2/269.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾[الآية:165]أي: شديد رديء[1]، وهو المسخ قردة[2] ﴿خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ مبعدين، ومنه قولهم للكلب: اخسأ، أي: ابعد[3].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾[الآية:167] أي: واذكر إذ أعلم الله بني إسرائيل أنه يبعث عليهم محمداً وأمته يسومون من كفر منهم سوء العذاب[4].

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾[الآية:168] أي: فرقاً ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ المؤمنون قبل التبديل والنسخ ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون درجة الصالحين ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ أي: اختبرناهم ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: بالنعم والبلايا[5].

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾[الآية:169] هم اليهود والنصارى الذين كانوا في زمن النبي ﷺ[6] ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة والإنجيل[7]، يأخذون عرض الدنيا، أي: الرشوة في الأحكام، ويتمنون المغفرة من غير توبة[8]، ألم يؤخذ عليهم الميثاق بالعمل بالكتاب -أي: التوراة- ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ -قرؤوا فيه وعلموه-؟[9] ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من عرض الدنيا[10].

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾[الآية:170] أي: يتمسكون بالتوراة[11].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾[الآية:171] أي: رفعناه فوقهم[12] ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ أي:

---

(1) انظر: الهداية 4/2610، والجامع لأحكام القرآن 7/271.

(2) اختلف في المراد بالعذاب البئيس هنا، فقيل: هو المسخ قردة، وهو الوارد في الآية التي تليها ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾، وتكون الآية الثانية تأكيداً للأولى، وقيل: بل هو عذاب غيره، عذبوا به فلما لم ينتهوا مسخوا قردة، نسأل الله العافية. انظر: التفسير الكبير 15/33، وتفسير أبي السعود 3/286.

(3) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/386، والهداية 4/2611.

(4) انظر: تفسير الطبري 6/103،102، والبحر المحيط 4/412.

5) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/104، وزاد المسير ص 565، والتفسير الكبير 15/36.

(6) قيل: هم اليهود خاصة، وقيل: هم النصارى خاصة، وقيل: هو عام في كل من يصدق عليه وصف الآية، قيل: هم الذين كانوا في عهد النبي . انظر: تفسير الطبري 6/105، والجامع لأحكام القرآن 7/273، وتفسير ابن كثير 2/270، وتفسير أبي السعود 3/288.

(7) هذا راجع للأقوال السابقة في أولئك القوم من هم.

(8) انظر: الهداية 4/2617،2616، والجامع لأحكام القرآن 7/273، والبحر المحيط 4/414.

(9) انظر: معالم التنزيل 2/165، وزاد المسير ص 526.

(10) وأخص عرض الدنيا هنا الرشوةُ المذكورة في الآية. انظر: التفسير الكبير 15/37، والبحر المحيط 4/415.

(11) انظر: تفسير الطبري 6/108، والجامع لأحكام القرآن 7/275.

(12) انظر: معالم التنزيل 2/166، وزاد المسير ص526.

سحابة[1]، وذلك[2] حين أبوا أن يقبلوا التوراة، فرفع[3] على رؤوسهم جبل، وقيل لهم: إن قبلتم التوراة وإلا وقع عليكم، فسجدوا على أجناب وجوههم، وعيونهم ناظرة إلى الجبل، وقبلوا التوراة، فرفع عنهم الجبل، واتخذوا تلك السـ◌ّ◌ّجـ◌ّدة سـ◌ّنـ◌ّ◌ّة[4].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾[الآية:172]أي: من ظهر آدم، أخرج ذريته كالذر، وهو بـعرفـة[5]، ثم خاطبهم سبحانه فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فقال الجميع: [بلى][6]، أنت ربنا ﴿شَهِدْنَآ﴾ أي: شهدنا بوحدانيتك[7]، فمن وفى منهم بذلك الميثاق فله الجنة، ومن كفر فقد نقض الميثاق الأول[8].

قال أبي بن كعب: لما أخرج الله الذرية كانت الأنبياء فيهم لهم أنوار، وأخذ عليهم الميثاق أيضاً بالنبوة والرسالة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآية[9].

وكان روح عيسى معهم، وهو الذي أرسل إلى مريم فحملت به، كما قال تعالى:

---

(1) انظر: الكشاف 2/169.
(2) في (ك): (وكذلك).
(3) في (م): (فيرفع).
(4) انظر: تفسير الطبري 6/109،108، ومعالم التنزيل 2/166.
(5) انظر: تفسير الطبري 6/111،110، ومعالم التنزيل 2/167، وتفسير ابن كثير 2/273،272.
والذَّرُّ: صغار النمل. انظر: القاموس المحيط (ذ ر ر) ص 396.
(6) غير واضحة في (م)، وكأنها كررت ثلاثاً.
(7) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: شهدنا بوحدانيتك، وقيل: شهد بعضنا على بعض بهذا الإقرار، وقيل: إنه من قول الله تعالى وملائكته: شهدوا على بني آدم بالإقرار. انظر: الكشاف 2/170، وزاد المسير ص 527، والجامع لأحكام القرآن 7/279.
وقد اختلف العلماء سلفاً وخلفاً في المراد بهذا الإشهاد: أهو على ظاهره أم المراد ما فطرهم عليه الباري سبحانه من فطرة سوية على توحيده؟ انظر: تفسير ابن كثير 2/275.
(8) يريد بالميثاق الأول ما أخذ عليهم من العهد والميثاق في أصلاب آبائهم، والميثاق الثاني بعد إخراجهم من بطون أمهاتهم، فمن وفى بالميثاق الثاني نفعه وفاؤه بالميثاق الأول، ومن كفر بالميثاق الثاني لم ينفعه ميثاقه الأول، ومن مات صغيراً مات على الميثاق الأول، هذا معنى قول الضحاك. انظر: تفسير الطبري 6/112.
(9) سورة الأحزاب، الآية (7). وقد روى الأثرَ الطبري في تفسيره 6/114 بسنده عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله عنه.
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره 5/1615 عن كثير بن شهاب، عن محمد بن سعيد بن سابق، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب. وكثير بن شهاب هو القزويني، قال ابن أبي حاتم: صدوق. انظر: الجرح والتعديل 7/153، ومحمد بن سعيد بن سابق ثقة. انظر: تقريب التهذيب (5947)، والإسناد من أبي جعفر إلى أبي رضي الله عنه قد قواه ابن حجر، وصححه السيوطي، وحسنه الألباني. انظر: الإتقان 2/535، وتعليق الألباني على سنن الترمذي عند الحديث رقم (3364)، والتفسير الصحيح 1/34-37.

﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[1].

وقيل: إن قوله: ﴿شَهِدۡنَآ﴾ خبر من الله عن نفسه بالشهادة عليهم، فيكون تمام الكلام ﴿بَلَىٰ﴾على هذا[2].

﴿أَن تَقُولُواْ﴾[أي][3]: أخذنا الميثاق لئلا تقولوا يوم القيامة ما كنا إلا غافلين[4].

﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾[الآية:173]ونحن تبع لهم[5].

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾[الآية:175]قال ابن عباس [وابن جبير][6]: هو بلعام بن باعورا[7]، وكان أعطي اسم الله الأعظم من قبل موسى[8]، فنـزل موسى بالمدينة التي كان فيها، وهي مدينة الجبارين، فسألوه أن يدعو على موسى، فأبى، فلم يزالوا به حتى دعا على موسى، فسلبه الله الإيمان، ومات كافراً[9].

وقيل: كان من أصحاب موسى، فأرسله إلى بعض الملوك، فأغواه ذلك الملك حتى كفر[10].

وقيل: هو أبو عامر[11]، وقصته مشهورة في براءة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾[12].

---

(1) سورة الأنبياء، الآية (91). وانظر: الهداية 4/2629.
(2) سبق ذكر هذا القول في الحاشية عند بداية الكلام على الآية.
(3) سقطت من (ك).
(4) سبق ذكر الخلاف في مثل هذا الأسلوب في قوله تعالى ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ انظر ص(173).
(5) انظر: تفسير الطبري 6/117.
(6) سقطت من (ك).
7) رواه الطبري في تفسيره 6/119 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).
وقد ذكر مكي في الهداية 4/2634 بعض القصة التي سيذكرها المؤلف عن بلعام هذا منسوبة إلى سعيد بن جبير دون تسمية بلعام، ولم أطلع على الأثر مسنداً.
(8) كذا في النسختين، ولم يتبين لي المراد منها.
(9) وهذا القول أشهر الأقوال في الآية. انظر: تفسير الطبري 6/122، ومعالم التنزيل 2/170،169.
(10) انظر: الهداية 4/2637، والجامع لأحكام القرآن 7/280.
11) في النسختين: (ابن عامر)، واسمه عمرو أو عبد عمرو بن صيفي بن مالك، من الأوس، عرف في الجاهلية بالراهب، وكان يذكر البعث والحنيفية، فلما بعث النبي ﷺ حسده وناوأه، وشهد مع قريش وقعة أحد، ثم خرج إلى بلاد الروم، فمات بها هناك سنة 9هـ. انظر: الإصابة (ترجمة ابنه حنظلة رضي الله عنه) 2/119، والأعلام 5/79.
(12) سورة التوبة، الآية (107). وانظر: زاد المسير ص 528، والتفسير الكبير 15/45.

وقيل: هو أ٠مي٠٠ة بن أبي الصلت الثقفي[1]، كان عالما٠، وكان يخبر الناس ببعث محمد ﷺ، فلما بعث حسده وكفر به، وقال: [لا][2] أؤمن بنبي من غير ثقيف أبداً[3].

وقال عكرمة: نزلت الآية في كل من كان منافقاً من أهل الكتاب[4].

(فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا) خرج عن الإيمان والعمل بها[5] (فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ) أي: لحقه[6].

(وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا) [الآية: 176] أي: لرفعنا قدره بالآيات فلم يكفر[7]، وقيل: لرفعناه إلى الجنة[8] (وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ) أي: ركن إلى شهواته الدنية[9] (فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ) إن حم٠٠لته[10] لهث، وإن تركته لهث، وهذا ضال مع العلم ومع الجهل[11].

وقيل: إن بلعام لما أراد أن يدعو اندلق لسانه على صدره، فكان يلهث على الدوام[12].

وقيل: إن امرأته منعته نفسها، وكان يحبها، فطلبت منه أن يدعوا على موسى، ففعل فمكر الله به[13].

(وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا [لِجَهَنَّمَ][14]) [الآية:179] أي: خلقنا لجهنم لا يسمعون الحق ولا يقبلونه، فهم كالأنعام في عدم الفهم، وهم أضل من الأنعام؛ لأنهم عقلاء وضلوا مع وجود

---

(1) هو أمية بن أبي الصلت، واسمه عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي، شاعر جاهلي، كان على الكتب القديمة، كان قد حرم على نفسه عبادة الأوثان وشرب الخمر، أقبل من الشام يريد الإسلام بعد وقعة بدر، فعلم بمقتل المشركين فيها وله فيهم قرابة فلم يسلم، وأقام بالطائف حتى مات سنة 5هـ. انظر: تهذيب الأسماء واللغات 1/126، والأعلام 2/23.

(2) سقطت من (ك).

(3) انظر: الهداية 4/2635، وتفسير ابن كثير 2/276،275.

(4) ذكره مكي في الهداية 4/2635، ولم أقف على إسناده.

(5) انظر: الكشاف 2/171، والجامع لأحكام القرآن 7/282.

(6) انظر: المحرر الوجيز 2/477.

(7) في (ك): (فلم يتفكر).

(8) انظر القولين في: الهداية 4/2639، والجامع لأحكام القرآن 7/282، وتفسير ابن كثير 2/276.

(9) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/391.

(10) كذا في النسختين، وميمه مشددة في (م)، ولا إخال المؤلف يقصد الحمل على الكلب كما يحمل على البعير مثلاً، فإن ذلك لم يقل به أحد فيما اطلعت عليه، وعند ابن عطية في المحرر الوجيز 2/478 أن المعنى: أن الكلب لهث في حال حمل المشقة عليه، وتركه دون حمل عليه، والذي أطبق عليه المفسرون أن معنى الحمل هنا: الطرد والزجر. انظر: تفسير الطبري 6/127، ومعالم التنزيل 2/173، وزاد المسير ص 529، والجامع لأحكام القرآن 7/283.

(11) انظر: تفسير الطبري 6/127.

(12) انظر: تفسير الطبري 6/128.

(13) لم أقف على هذا القول، وقد قيل إنها نزلت في رجل أوتي ثلاث دعوات، فدعا لامرأته أن تكون أجمل النساء، فتكبرت، فدعا عليها أن تصير كلبة، فصارت، فدعا لها أن تعود كما كانت فعادت. انظر: معالم التنزيل 2/172.

(14) سقطت من (م).

العقول[1].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الآية:180]أي: التسميات الحسنة والصفات العلى[2] ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ لا يسمى إلا بما سمى به نفسه سبحانه[3]﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ أي: وذروا الكفار الذين يميلون عن الحق، فيصفون الله تعالى بما لا يجوز عليه من الشرك وغيره[4]، ويقال: لحد، وألحد، بمعنى: مال، ومنه: لحد القبر، لميله عن الحفر الأول، وهذا تهديد للكفار[5].

وقال ابن زيد: هو منسوخ بالقتال[6].

﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: يكسبون من الآثام.

﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ﴾[الآية:181]الآية، روي أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية يقول: «هذه لكم، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها»[7] يعني: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ﴾الآية[8].

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡ﴾[الآية:183] أي: أؤخرهم، والملاءة: القطعة من الدهر، بفتح الميم وضمها وكسرها[9]﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾أي: مكري قوي، والكيد والمكر من الله تعالى: أخذه للعبد بالبلاء، وهو مغرور بالنعماء[10].

﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾[الآية:184] تمام الكلام، ومعناه: أولا يتفكر المكذبون فيظهر لهم

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/131، 129، ومعاني القرآن للزجاج 2/392، 391.
(2) انظر: زاد المسير ص 530، والجامع لأحكام القرآن 7/286.
3) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/392، ومعالم التنزيل 2/176، 175، والجامع لأحكام القرآن 7/288، ومجموع الفتاوى 6/84، 83، والقواعد المثلى ص 13.
(4) انظر: تفسير الطبري 6/132، والجامع لأحكام القرآن 7/288.
(5) انظر: تفسير الطبري 6/132، ومعالم التنزيل 2/174.
(6) رواه الطبري في تفسيره 6/133.
(7) رواه الطبري في تفسيره 6/134 بسنده عن قتادة قال: بلغنا أن نبي الله كان يقول... والانقطاع ظاهر.
(8) وهي الآية ذات الرقم (159) من هذه السورة.
9) في النسختين: (الملاة)، بلا همز ولا واو، وما أثبته من المصادر. انظر: تفسير الطبري 6/134، والهداية 4/2653، والقاموس المحيط (م ل ى) ص 1335.
(10) هذا مظهر من مظاهر الكيد والمكر من الله تعالى، كما قال سبحانه في الآية التي قبلها: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢﴾، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الله جل وعلا يوصف بالمكر والكيد على سبيل المجازاة. انظر: تفسير ابن كثير 2/281، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين 1/335.

صدق محمد ﷺ؟[1]، ثم قال: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم[2] مِّن جِنَّةٍ﴾ أي: ما هو مجنون[3]﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾ صدق الله

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾[الآية:185] أي: يتفكروا في المصنوعات، وفيما خلق الله من كل شيء، وفي كونهم ربما قرب أجلهم، فيبادروا إلى الإيمان وصالح الأعمال قبل هجوم الآجال، فبأي حديث بعد القرآن يصدقون؟[4].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[الآية:87] متى حلولها؟ سأله العرب عن ذلك، وقيل: اليهود[5]﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ أي: علم وقتها[6]﴿عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا﴾ أي: لا يظهرها في وقتها إلا الله[7] ﴿ثَقُلَتْ﴾ أي: عظمت على أهل السماوات وأهل الأرض، وقيل: أي: ثقل علمها عليهم، فلا يعلمون وقتها، وقيل: ثقل وقوعها، فتنشق منه السماء، وتنتثر منه الكواكب، وتسير الجبال، وتبدل الأرض[8].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: كأنك ملح في سؤالك عنها حتى علمت وقتها، يقال: أحفى، أي: ألح في السؤال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾[9]، وقيل: معناه كأنك عالم بها، وقيل: حفي: بمعنى رفيق لطيف، مثل قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[10] أي: لطيفاً، فيكون تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بهم[11]﴿قُلْ

---

(1) انظر: الهداية 4/2655،2654، والمحرر الوجيز 2/483،482.
(2) في (م): (ما بصاحبكم).
(3) انظر: معالم التنزيل 2/177.
(4) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/135، وزاد المسير ص 532، وتفسير ابن كثير 2/281.
(5) انظر: تفسير الطبري 6/136،135، ومعالم التنزيل 2/177.
(6) انظر: تفسير الطبري 6/137، والكشاف 2/177.
(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/393.
(8) انظر هذه الأقوال في: الهداية 4/2662،2661، وزاد المسير ص 532.
(9) سورة محمد ، الآيتان (37،36).
(10) سورة مريم، الآية (47).
(11) انظر هذه الأقوال في: زاد المسير ص 532، والجامع لأحكام القرآن 7/294، والبحر المحيط 4/433،432.

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾أي: علم كنهها وحقيقتها، والأول أراد به علم وقتها[1].

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[الآية:188] أي: لو كنت أعلم ما يكون في المستقبل لاستكثرت في تحصيل ما ينفعني في المستقبل، ولحرزت من الشر فلم يمسني، وقيل: معناه: لو علمت النصر في القتال لمن لما قاتلت إلا إذا علمت أن النصر لي، ولو علمت سنة[2] الخصب والجدب لاستكثرت مما يصلحني[3].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[الآية:189]آدم عليه السلام ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾آدم ويستأنس بها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾أي: وطئها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾أول حملها استمرت به ولم تستثقله[4]، فلما كبر في بطنها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾أن يرزقهما ولداً صالحاً ويشكرا، فلما ولدت وكثر الناس وتناسلوا جعلوا لله شركاء، وعبدوا غيره، والضمير في ﴿جَعَلَا﴾ وإن كان ظاهره لآدم وحواء إنما المراد به شرك ذريتهما؛ يدل عليه قوله بعده: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ [شَيْـًٔا][5]﴾ يعني: الأصنام التي لا تخلق شيئا، بل هي مخلوقة، هذا كله قول الحسن وعكرمة[6].

وقيل: إن صدر الآية في مخادعة جرت من إبليس، وذلك أنه قال لحواء: إن سميت[7] ولدك عبد الحارث وإلا قتلته، فلم تطعه، فقتل الولد الأول والثاني، فولدت

---

1) هذا قول في الآية، وأكثر المفسرين على أن المراد في الموضعين: الوقت، وإنما كرر للتأكيد. انظر القولين في: تفسير الطبري 6/140، والكشاف 2/178،والمحرر الوجيز 2/485، والجامع لأحكام القرآن 7/294 ، والبحر المحيط 4/433.

(2) في (ك): (منه).

3) قوله «ولو علمت سنة الخصب والجدب...» يذكره المفسرون عل أنه قول مستقل، وكل الأقوال التي ذكرها المؤلف متقاربة. انظر: تفسير الطبري 6/141، والتفسير الكبير 15/69، والجامع لأحكام القرآن 7/295.

(4) انظر تفسير الآية من أولها إلى هنا في: معالم التنزيل 2/179، والجامع لأحكام القرآن 7/296،295.

(5) سقطت من (ك).

(6) أما الرواية عن الحسن فقد أخرجها عنه الطبري في تفسيره 6/147 من عدة طرق، وقال ابن كثير في تفسيره 2/28،«وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن»، وأما الرواية عن عكرمة فقد ذكرها مكي في الهداية 4/2678، ولم أقف عليها مسندة، وقد روى الطبري في تفسيره 6/145 عن عكرمة خلاف ذلك، والله أعلم.

(7) في النسختين: (سميتي).

ثالثاً، فسمته عبد الحارث، والحارث اسم من أسماء إبليس[1].

ومن قرأ ﴿شِرْكًا﴾[الآية:190] بالتنوين فمعناه: ً، ومن قرأ (شُرَكَآءَ) فهو جمع شريك[2].

(وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ)[الآية:193]أي: وإن دعوتم أصنامكم إلى رشاد لا يجيبوكم[3]، سواء دعاؤكم وسكوتكم؛ لأن الأصنام لا تسمع، ولا تتكلم، ولا تبطش؛ فكيف تصلح للعبادة[4].

(قُلِ)[الآية:195]يا محمد (ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ)أي: أصنامكم (ثُمَّ كِيدُونِ)[5] أي: امكروا بي واسعوا في مضرتي (فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾)أي: لا تؤخرون إن قدرتم على كيدي، واستنصروا بأصنامكم، فإن الله يتولى أمري، وينصرني (وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾)بلطفه وفضله[6].

(وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ)[الآية:197] لا ينصرونكم، ولا يمنعون أنفسهم عمن يريد إتلافهم[7].

وإن دعوتموهم لا يسمعون (وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ)[الآية:198]أي: وتحسب الأصنام ينظرون [إليك][8] (وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾)وتقديره: وترى أنهم ينظرون، وقيل: الضمير للكفار، ومعناه:

---

1) هذا القول الثاني في الآية، وهو قول مشهور، وبه قال الطبري، ويدل له حديث مرفوع، لكنه قد أعله العلماء من وجوه، وقد جاءت بموافقته آثار عن الصحابة والتابعين، كأُبيّ بن كعب وابن عباس، ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي، ويغلب على الظن أن ابن عباس قد رواه عن أُبيّ بن كعب، ورواه عن ابن عباس تلاميذه: مجاهد وسعيد ابن جبير وعكرمة، وأخذه عنهم قتادة والسدي. وكأنه متلقى من أهل الكتاب، وعلى هذا القول اعتراضات كثيرة، أهمها وأعظمها: إضافة الشرك إلى نبي من أنبياء الله تعالى، والله أعلم. انظر: تفسير الطبري 6/144-147، وتفسير الرازي 15/71،70، والجامع لأحكام القرآن 7/297، وتفسير ابن كثير 2/285-287، والبداية والنهاية 1/108، و التحرير والتنوير 8/387، والسلسلة الضعيفة 1/517،516، والقول المفيد 3/68،67.

(2) قرأ (شِرْكًا) نافع وأبو جعفر وشعبة، وقرأ الباقون (شُرَكَآءَ)، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/283، ومعالم التنزيل 2/181، والبحر المحيط 4/438، والنشر 2/205.

(3) في (م): (لا يجيبونكم).

(4) انظر: تفسير الطبري 6/149، والتفسير الكبير 15/74.

(5) كتبت في (م): (كيدوني).

(6) انظر تفسير قوله تعالى (قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾) بنحو ما فسره به المؤلف في: الجامع لأحكام القرآن 7/300، وتفسير ابن كثير 2/288.

(7) انظر: زاد المسير ص 535.

(8) سقطت من (م).

ترى الكفار ناظرين إليك، وهم لا ينتفعون بما رأوا من الآيات، فكأنهم لا يبصرون[1].

[قوله تعالى][2]: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾[الآية:199]أي: خذ نفسك بالعفو والصفح عمن ظلمك[3]﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾أي: بالمعروف[4]﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾صدق الله

قال ابن زيد: هذا منسوخ بالقتال[5].

وروي أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام عن تفسير هذه الآية، فقال:«أتيتك بمكارم الأخلاق: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»[6].

وقال[7] ابن عباس والسدي: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: [خذ][8] الفضل من أموالهم[9]، وهو الزكاة وما كان يؤخذ من الصدقة قبل الزكاة[10].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾[الآية:200] أي: وإن ينزغنك، و(□□) زائدة[11]، والنزغ الخفة، ومعناه: إن استخفك الشيطان بوسوسة[12]، فخطر لك الانتقام عند الغضب فاستجر بالله

---

1) وأكثر المفسرين يرجحون القول الأول. انظر: تفسير الطبري 6/152،151، ومعالم التنزيل 2/183، والكشاف 2/183، وتفسير ابن كثير 2/288.

(2) سقطت من (ك).

(3) في معنى قوله تعالى (خُذِ ٱلْعَفْوَ) ثلاثة أقوال: أشهرها: أن المراد بالعفو: ما تيسر من أخلاق الناس، والمقصود: اقبل من الناس في أخلاقهم وأموالهم ومعاشرتهم ما أتى عفواً بغير تكلف ولا تحرج، ولا تطلب منهم ما شق عليهم، وقيل: أمر النبي في هذه الآية بالعفو عن المشركين، وترك الغلظة عليهم، وعليه يتأتى القول بنسخ لآية كما سيورده المؤلف عن ابن زيد، وقيل: خذ الفضل من أموالهم، سواء كان المراد الزكاة أو حق غير الزكاة على خلاف-. ومراد المؤلف بهذه العبارة التي أوردها متردد بين القول الأول والقول الثاني. انظر: تفسير طبري 6/153،152، والكشاف 2/183، والمحرر الوجيز 2/491،490، والبحر المحيط 4/444، وتفسير ابن كثير 2/289،288.

(4) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/396.

(5) رواه الطبري في تفسيره 6/153.

6) رواه الطبري في تفسيره 6/154 بسندين، قال ابن كثير بعد أن ساقهما:«وهذا مرسل على كل حال، وقد روي له شواهد من وجوه أخر، وقد روي مرفوعاً عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة عن النبي أسندهما ابن مردويه» تفسير ابن كثير 2/289. وانظر: الكافي الشاف 2/183، والدر المنثور 3/281،280.

(7) في (ك): (قال) دون واو.

(8) سقطت من (ك).

9) رواه الطبري في تفسيره 6/153،152 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة (وقد مضى الكلام على قوة هذا الإسناد ص(33))، وعن السدي من طريق أسباط (وقد مضى الكلام على هذا الإسناد ص(56)).

(10) على خلاف في ذلك بين قائلي هذا القول. انظر: الهداية 4/2689،2688، والمحرر الوجيز 2/491.

(11) وزيادتها للتأكيد. انظر: زاد المسير ص 536،57.

12) تفسير النزغ بالخفة هو مذهب بعضهم كما هو ظاهر قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ص42، وأكثرهم على أن النزغ من الشيطان: نخسه وتحريكه ووسوسته لابن آدم وحمله له على الغضب. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/396، والهداية 4/2693، والكشاف 2/183، والبحر المحيط 4/445.

من كيد الشيطان؛ إنه سميع[1] لدعائك، عليم بما يصرف عنك كيد الشيطان[2].

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾[الآية:201] أي: ل ـم··ة وخاطر من الشيطان يوسوس[3] بمعصية ﴿تَذَكَّرُوا﴾ نظر الله إليهم وقدرته عليهم ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ قبح المعصية فتركوها[4].

و﴿طي·ف﴾ و﴿طَائِفٌ﴾ بمعنى واحد، و﴿طي·ف﴾ مخفف من ط·ي··ف، كمي·ت ومي··ت[5].

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾[الآية:202] أي: إخوان الشياطين ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي: يزيدونهم غيا· بموافقتهم لهم، فكلما وافق الكفار ازداد الشيطان·[6] إغواء·[7]، ثم لا ي·قص·ر الشيطان عن الإغواء، وقيل: معناه: لا ي·قص·ر الكافر ويتذكر كما تذكر المؤمن فقصر عن المعصية[8].

ويقال: مددت وأمددت، أي: زينت وأعنت[9].

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾[الآية:203] أي: إذا سألك الكفار أن تأتي بآية فلم تأت بها[10] ﴿قَالُوا

---

(1) في (م): (وإنه سميع).
(2) انظر: تفسير الطبري 6/155، وتفسير ابن كثير 2/290.
(3) في (ك): (فوسوس).
4) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/155، والكشاف 2/184، والتفسير الكبير 15/81.
(5) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (طيف)، وقرأ الباقون ﴿طَائِفٌ﴾، فقيل: هما بمعنى واحد، وقيل: بل هما مختلفان، واختلف في معناهما على هذا القول، وقيل في (طيْف): إنها مخفف طيّف، وقيل: غير ذلك. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/287، والهداية 4/2695،2694، والبحر المحيط 4/446،445، والنشر 2/206.
(6) في (ك): (الشياطين).
(7) هذا ما استظهره الرازي، وهو خلاف قول جمهور المفسرين، والمشهور أن المعنى: وإخوان الشياطين -أي: المشركون- يمدهم الشياطين في الغي، وقيل: إخوان المتقين -يعني إخوانهم من المشركين يمدهم الشياطين في الغي، وقيل: إخوان المشركين الجاهلين -يعني قرناءهم من الجن- يمدونهم في الغي، وفي الآية أقوال أخرى. انظر: تفسير الطبري 6/158،157، ومعالم التنزيل 2/185، وزاد المسير ص 537، والتفسير الكبير 15/82، والبحر المحيط 4/447،446.
(8) انظر القولين في: تفسير الطبري 6/158،157، والجامع لأحكام القرآن 7/308.
9) قرأ نافع وأبو جعفر (يُمِدونهم)، وقرأ الباقون (يَمُدُّونَهُمْ)، فحكي عن المبرد: مددت: زينت، وأمددت: أعنت برأيي وغير ذلك، وقيل: كلا القراءتين بمعنى واحد، وقيل غير ذلك. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/289،288، والهداية 4/2699،2698 وزاد المسير ص 537، والنشر 2/206.
(10) انظر: الهداية 4/2700، والتفسير الكبير 15/82.

لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) هلا اختلقتها؟[1] (قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي) أي: وما آتى بشيء من عندي[2]، ثم بين أن في القرآن كفاية في الإعجاز عن جميع الآيات، فقال: (هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ) يعني القرآن[3].

(وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ)[الآية:204] أي: أنصتوا واسمعوا وتدبروا تجدوا الشفاء والرحمة[4].

وقال ابن المسيب[5] والحسن والنخعي[6] والزهري وغيرهم: نزلت نهيا عن القراءة جهراً خلف رسول الله ﷺ في صلاة الجهر[7].

(وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ)[الآية:205] أي: كن حاضرا بقلبك، ذاكرا لربك، على وصف الخشوع والخشية[8]، واذكره[9] أيضاً بلسانك دون الجهر المفرط[10].

(بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ) الغدوة: ربع النهار الأول، والأصيل: ربعه الأخير[11]، والغدوة[12] مصدر، والآصال جمع[13].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/160،159، ومعالم التنزيل 2/186.

(2) انظر: تفسير ابن كثير 2/291.

(3) انظر: التفسير الكبير 15/83، وتفسير ابن كثير 2/291.

(4) في (م): (وتدبروا واتخذوا الشفاء والرحمة). وانظر: الهداية 4/2701، والبحر المحيط 4/448.

(5) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي، أبو محمد، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، ولد في أوائل خلافة عمر رضي الله عنه، ومات بعد التسعين. انظر : سير أعلام النبلاء 4/217، وتقريب التهذيب (2409) ص 388.

(6) هو علقمة بن قيس النخعي، مخضرم، لازم ابن مسعود رضي الله عنه، وكان من أشبه الناس به سمتاً وهدياً، وكان حسن الصوت بالقرآن، مات سنة 62هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 4/53، وغاية النهاية 1/516.

(7) رواه عنهم وعن غيرهم الطبري في تفسيره 6/161-164. وهو ما رجحه الطبري، وقيل: بل الآية على عمومها، قال ابن كثير: جاء هذا للمؤمنين أن يكونوا كالمشركين الذين تواصوا باللغو في القرآن عند سماعهم له، ويكون هذا الحكم آكد في الصلاة. انظر: التفسير الكبير 15/83-86، والجامع لأحكام القرآن 7/310،309، وتفسير ابن كثير 2/292،291.

(8) انظر: تفسير الطبري 6/165، والبحر المحيط 4/449.

(9) في (ك): (واذكر).

(10) انظر: معالم التنزيل 2/188، وتفسير ابن كثير 2/293.

(11) الغدو أول النهار، والأصيل آخره، ولم أجد توقيتهما بالربع. انظر: تفسير الطبري 6/166، ومعالم التنزيل 2/188، ولسان العرب (غ د و) 10/27،26، والتحرير والتنوير 8/413.

(12) كذا في النسختين، ولعل الصواب (الغدو).

(13) وقيل: الغدو كذلك جمع. انظر: زاد المسير ص 538، التفسير الكبير 15/88. وما ذكره المؤلف من فرض الصلاتين على شهرته إلا أنه لم يثبت فيه شيء.

وقيل: المراد بهذا الصلاتان اللتان كانوا يصلونهما بمكة قبل فرض الصلوات الخمس، صلاة أول النهار، وصلاة آخره، ثم نسخ ذلك[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[الآية: 206] أي: الملائكة الذين هم مستورون عنا، و﴿عِندَ﴾ هنا بمعنى الإكرام والتشريف، لا بمعنى الجهة، وكل ما غاب عنا فهو عند الله، بمعنى أنه تفرد برؤيته وعلمه دوننا، وهذا أصل في مواضع كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[2] أي: أغيبك عن الناس، وقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[3]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[4]، ولو غيب الله شخصاً عن أبصارنا إلى أسفل سافلين فهو عنده وإليه، تعالى الله عن الحدود والحصر علواً كبيراً[5].

---

(1) انظر: الهداية 4/2704، والمحرر الوجيز 2/494.
(2) سورة آل عمران، الآية (55).
(3) سورة السجدة، الآية (5).
(4) سورة فاطر، الآية (10).
5) غيرُ أهل السنة نفوا صفة العلو عن الله العلي العظيم، وبنوا على ذلك تأويل هذه الآية بمثل ما أولها به المؤلف وبغير ذلك، وبنوا عليه نفي الجهة، والحد، والحصر، فأما الجهة فلفظ حادث محتمل، ولا يثبت ولا ينفى إلا بعد الاستفصال في المراد به، فيثبت منه ما دل عليه الدليل، وينفى منه ما دل على نفيه الدليل، وقد مضى الكلام عليه ص (100).
أما الحد فهو كذلك لفظ مجمل، فإن أريد به أنه يحده العباد بمعنى يحيطون به علماً ووصفاً فهذا منفي، وإن أريد به ما يباين به خلقه فهذا مثبت، ونحوه لفظ الحصر: فإن أريد به أنه محصور في شيء من مخلوقاته فهذا منفي، وإن أريد به مباينته لخلقه فهذا مثبت (وإن كنت لم أقف على استخدام هذا اللفظ إلا في المعنى المنفي عن الله تعالى).
نظر: شرح العقيدة الطحاوية ص 189-194، 265، ومجموع الفتاوى 5/80،79، 105،106، 182،183، وبيان تلبيس الجهمية 3/305-308، 725 وما بعدها.
قد أول المؤولة (عِندَ) هنا بأنها للتشريف والإكرام كما قال المؤلف، وقيل غير ذلك، غير أن المؤلف أشار إلى أنها قد تكون بمعنى عندية العلم، فالملائكة غائبون عنا وعلمهم عند الله، ولم أجد من قال بهذا القول من المفسرين .
انظر: الكشاف 2/186، والتفسير الكبير 15/90، والبحر المحيط 1/519، 4/449.

سورة الأنفال

مدنية[1].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[الآية:1] أي: يسألك أصحابك يا محمد عن حكم الغنائم في القتال[2] ﴿قُلِ﴾ الأمر فيها ﴿لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3]، وسميت أنفالا؛ لأنها أحلت لهذا الأمة خاصة، والنفل: الزيادة، ومنه سميت النافلة[4]، وعلى هذا تكون الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[5]، فقسم الغنائم بينهم.

وهذه السورة نزلت في وقعة[6] بدر، وهي أول غزوة في الإسلام غزاها رسول الله ﷺ، وكان المسلمون قد افترقوا فيها ثلاث فرق: فرقة اتبعوا العدو، وفرقة أحدقوا بالنبي ﷺ فوقفوا حوله، وفرقة طافوا حول الغنائم، ثم اختلفوا فيمن يستحق الغنيمة، فنزلت الآية، فتبين[7] أن الحكم فيها لله ولرسوله، ثم بين حكمها بقوله ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[8].

وقيل: الأنفال: الزيادات على السهام، وكان ﷺ قد قال يوم بدر: «من أتى مكان كذا فله كذا» فتبادر الشباب، فنفلهم زيادة على سهامهم، فوقع في نفوس الشيوخ شيء، فنزلت الآيات، قاله ابن عباس[9].

---

(1) بالإجماع. انظر: زاد المسير ص 539، والإتقان 1/30.

2) هذا أشهر الأقوال في المراد بالأنفال، وسيأتي من كلام المؤلف قول آخر في المراد بها. انظر: تفسير الطبري 6/168-171، وزاد المسير ص 539، وتفسير ابن كثير 2/294.

3) في المراد بقوله تعالى ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ قولان لمن يقول: إن الأنفال هي الغنائم، فقيل: إن الغنائم كانت لرسول الله ، وقيل: بل المراد إن الحكم في الأنفال لله سبحانه هي ملكه يحكم فيها بما شاء، وهي لرسوله يضعها حيث أمره الله، فمن قال بالقول الأول قال: إن الآية منسوخة، ومن قال بالقول الثاني قال: هي محكمة غير منسوخة، وسيأتي ذكر النسخ من كلام المؤلف. انظر: تفسير الطبري 6/175، ومعالم التنزيل 2/193، ونواسخ القرآن ص165،164، والتفسير الكبير 15/94.

(4) انظر: الهداية 4/2709، والتفسير الكبير 15/92.

(5) سورة الأنفال، الآية (41).

(6) في (ك): (غزوة).

(7) في (ك): (فبين).

(8) هذا جزء من أثر عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقد رواه الإمام أحد في مسنده (23141) ص 1671 ، والواحدي في أسباب النزول ص 228.

9) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في النفل (2737) ص 417، وانظر: تفسير ابن كثير 2/296، وقد صححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

وقرأ ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص (يسألونك الأنفال) أي:يطلبون منك الغنائم[1].

(فَاتَّقُوا اللَّهَ) أي: لا تتنازعوا في الغنائم وتخالفوا حكم الله فيها[2](وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)أي: لا تتحاسدوا ولا تتزاحموا على الدنيا[3].

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)[الآية:2] أي: خافت وخضعت هيبة لجلاله، وحياء من نظره، وخوفاً من عقوبته[4].

(لَهُمْ دَرَجَاتٌ)[الآية:4]أي: مراتب في الجنة[5]، وقد ورد أن الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض[6]، قال الضحاك[7]: يرى الأعلى فضله على الأسفل، ولا يرى الأسفل أحداً أفضل منه[8]، والرزق الكريم نعيم الجنة[9].

(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ)[الآية:5] أي: احكم في الغنائم ونفل من شئت وإن كرهوا كما أخرجك ربك من المدينة للقتال وهم كارهون[10]، وذلك أن أبا سفيان بن حرب كان ماراً بالمدينة بقافلة من الشام فيها تجارة، فأمر النبي ﷺ أن يخرج إليهم، فخرج ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من أصحابه، فسمع أبو سفيان الخبر، فبعث رسولا إلى مكة يخبرهم بذلك، فخرج إليه أبو جهل في ألف من المشركين، فالتقى عسكر الرسول ﷺ وعسكر أبي جهل على بدر، وحاد أبو سفيان عن الطريق من أسفل، فمضى إلى مكة، وهو قوله

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/174، والبحر المحيط 4/453.

(2) انظر: معالم التنزيل 2/193، والتفسير الكبير 15/94.

(3) انظر: تفسير الطبري 6/177، والتفسير الكبير 15/94.

(4) انظر: الكشاف 2/189، والجامع لأحكام القرآن 7/321.

(5) انظر: تفسير الطبري 6/179، والمحرر الوجيز 2/501.

6) في الصحيحين أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وقد سبق تخريجه ص(156).

(7) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني، أبو محمد، أو أبو القاسم، اشتهر بالتفسير، صدوق، لم يلق ابن عباس على قول أكثر المحدثين، وقد مات بعد المائة. انظر: سير أعلام النبلاء 4/598، وغاية النهاية 1/337 ، وتقريب التهذيب (2995) ص459.

(8) عزاه السيوطي في الدر المنثور 4/308 لابن المنذر وابن أبي حاتم، وانظر: تفسير ابن كثير 2/298.

(9) انظر: تفسير الطبري 6/180.

10) اختلف في الكاف هنا على أقوال كثيرة تجاوزت خمسة عشر قولاً، وما قاله المؤلف من أشهر هذه الأقوال، وقد رجحه الطبري، وهو قول مجاهد. انظر: تفسير الطبري 6/181،180، ومعاني القرآن للزجاج 2/400،399، والمحرر الوجيز 2/502،501، والبحر المحيط 4/457،456.

تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾[1] أي: بجانب الوادي الأقرب إلى المدينة، وهم بالجانب الأقصى، وذلك في بدر ﴿والركب﴾ أي: ركب أبي سفيان ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ وكان النبي ﷺ قد وعده الله تعالى أن يغنم إحدى الطائفتين، فظن المسلمون أنها طائفة أبي سفيان، ففرحوا لكثرة الأموال فيها وقلة القتال، فلما صادفوا طائفة أبي جهل -وهي ذات الشوكة والحرب والعدد- حزنوا وجادلوا في الحق بعدما تبين، فقالوا: ما خرجنا لقتال هؤلاء، فأمر الله نبيه أن يتقدم للقتال وإن كرهوا، فتقدم، فنصره الله تعالى، وهذه السورة كلها في هذه القصة[2].

يجادلون أي: في القتال بعدما تبين لهم[3] أن الله أمرهم بالقتال[4]، كأنهم يساقون إلى الموت[5] يقيناً، والجهاد ليس الموت فيه بمتيقن، وإنما هو مظنون[6].

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾[الآية:7] أي: طائفة أبي سفيان ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ والشوكة السلاح ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ أي: ينصركم على هؤلاء المقاتلين مع كثرتهم وقلتكم؛ فيظهر لهم أنكم على الحق، ويظهر أنهم على الباطل ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧﴾ ويبطل الله كيدهم[7].

وروي أن النبي ﷺ لما نصر على القوم يوم بدر أراد المسلمون أن يتبعوا أبا سفيان، فقال العباس: إنما وعدكم الله إحدى الطائفتين، فقال النبي ﷺ: «صدقت»، فرجعوا إلى المدينة[8].

---

(1) سورة الأنفال، الآية (42).
(2) انظر: تفسير الطبري 6/184-186، والبداية والنهاية 2/271 وما بعدها.
(3) في (ك): (يجادلونك بعد ما تبين لهم).
(4) انظر: معالم التنزيل 2/195، وزاد المسير ص 541.
(5) في (ك): (الميت).
(6) انظر: الكشاف 2/193، وتفسير أبي السعود 4/6.
7) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/187،184، والمحرر الوجيز 2/504،503، والتفسير الكبير 15/104.
8) رواه الإمام أحمد في مسنده (2022) ص 179، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (3080) ص 690، قال الترمذي:«هذا حديث حسن صحيح»، وقد جود إسناده ابن كثير في تفسيره 2/300 ، وضعف إسناده الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾[الآية:9]أي: تسألونه النصر[1]، روي أن النبي ﷺ وقف يوم بدر يسأل الله ويقول: «يا رب، إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض» فما زال حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فجاء أبو بكر، فرده وقال: فكيف يا رسول الله؟ إن الله سينجز لك ما وعدك، فأوحى الله إليه ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾[2] من قرأ بكسر الدال أي: تابعين، يتبع بعضهم بعضاً في السـ..ـوق لا في الركوب، وقال ابن عباس: وراء كل ملـ.ـكـ. ملـ.ـك.[3]، وبفتح الدال: أردف الله بهم المؤمنين[4].

﴿إذ يَغشاكم النعاسُ﴾[الآية:11] أي: أخذكم النوم وغطى عقولكم عن الفكرة، ومن قرأ ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ أي يغطيكم الله بالنعاس، فيشغلكم عن الخوف من الأعداء[5]، قيل: [إن][6] هذا كان في وقعة أحد، فيكون نزوله بعد وقعة أحد، وقيل: إن المشركين سبقوا إلى الماء فنـزلوا عليه، ونزل المسلمون في الرمل على غير ماء، فباتوا في وسوسة من الشيطان خوفاً من العطش[7] والأعداء وعدم الظهور، فأرسل الله عليهم نعاساً ومطراً [وابلاً][8]، فتطهروا وشربوا وصار الرمل قويا. تثبت[9] عليه الأقدام، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان -أي: وسوسته- وربط على قلوبهم، فتشجعوا وآمنوا وثبت الله أقدامهم

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/188.
(2) رواه مسلم في صحيحه، كاب الجهاد والسير (1763) 4/434،433.
(3) رواه الطبري في تفسيره 6/189.
4) قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (مردَفين) بفتح الدال، وقرأ الباقون بكسرها، وتوجيه القراءتين كما حكاه المؤلف؛ وقول المؤلف «لا في الركوب» دفع لتوهم بعض العلماء أن معنى (مُرۡدِفِينَ) أي: مردفين غيرهم على دوابهم. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/290، والهداية 4/2743-2745، والنشر 2/207.
(5) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إذ يَغشاكم النعاسُ)، وقرأ نافع وأبو جعفر (إذ يُغشِيكم النعاسَ)، وقرأ الباقون (إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ)، وتوجيه هذه القراءات كما أوضحه المؤلف، غير أنه لم ينص على اختلاف القراء في التشديد والتخفيف في (يغشيكم)، ومعناهما واحد. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/291، والبحر المحيط 4/461، والنشر 2/207.
(6) سقطت من (ك).
(7) في (ك): (خوف العطش).
(8) سقطت من (ك).
(9) في (ك): (تتثبت).

[ونصروا][1].

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾[الآية:12] أي: ناصركم وناصر من تنصرونه[2] ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: كونوا معهم لتقوى قلوبهم[3] ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ يعني: الرؤوس، وقيل: أي: على الأعناق[4]، والبنان: الأطراف، وقيل: المفاصل[5].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ﴾[الآية:13] أي: خالفوا أمره، والمخالف كأنه في ش ق وحده، فسمي مشاقاً[6] ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾[الآية:14] أي: ذوقوا الضرب بالسيف، وهذا خطاب للكفار[7] ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: واعلموا أن للكفار ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾[8].

[قوله تعالى][9] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ أي: في القتال ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ أي: لا تهربوا منهم[10].

وهذا إذا كان الكفار ضعفي المسلمين، فإن كثروا وغلب على الظن قوتهم جاز الفرار منهم، وقد بينه في قوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ الآية[11].

وقال عطاء: هذه الآية منسوخة بتلك، فإنما يجب القتال إذا كانوا ضعفي المسلمين[12].

---

(1) سقطت من (ك).
قد روي عن ابن زيد أن هذه الآية فيما حدث يوم أحد، والصحيح ما أخره المؤلف من أنها في يوم بدر، وإن كان أصابهم النعاس أيضاً يوم أحد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ سورة آل عمران، الآية (154). انظر: تفسير الطبري 6/192-196، ومعالم التنزيل 2/201، وتفسير ابن كثير 2/303.
(2) انظر: تفسير الطبري 6/196.
(3) وفي كيفية تثبيت الملائكة للمؤمنين أقوال أخرى، والاختلاف بينها يسير. انظر: تفسير الطبري 6/196، وزاد المسير ص 543.
(4) انظر القولين في: تفسير الطبري6/197،196، ومعالم التنزيل 2/201.
(5) انظر القولين في: معاني القرآن للزجاج 2/405، والهداية 4/2757،2756.
(6) انظر: الكشاف 2/199، والمحرر الوجيز 2/509.
(7) انظر: تفسير الطبري 6/198، والجامع لأحكام القرآن 7/333.
(8) هذا أحد الوجوه في إعراب الآية. انظر: الهداية 4/2759، والبحر المحيط 4/467،466.
(9) سقطت من (ك).
(10) انظر: تفسير الطبري 6/197.
(11) سورة الأنفال، الآية (66).
(12) رواه الطبري في تفسيره 6/201.

وقال أبو سعيد الخدري والحسن: هي خاصة بيوم بدر[1]، فرض الله على المسلمين القتال مع قلتهم[2].

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ[يَوْمَئِذٍ][3]﴾ [الآية:16] أي: يوم الزحف ظهره[4]﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ أي: رجع بغضب من الله[5]، إلا أن يكون متحرفاً لقتال، أي: يولي ليحمل ثانيا، وهذا من صنعة الحرب[6]﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أي: منضافاً إلى جماعة أخرى من المسلمين يقاتل معهم[7]، وقيل: ﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾أي: موليا على وجه الغدر والمكيدة ليظفر بخصمه[8].

ثم ذكر الله تعالى للمؤمنين منته عليهم، وأنه الذي نصرهم [عليهم][9]، فقال تعالى: ﴿[فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ][10]وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾[الآية:17] أخرجهم عن محل الإعجاب، وأشهدهم فضله سبحانه[11].

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾أي: أنت رميت ظاهراً، والرامي الفاعل على الحقيقة هو الله تعالى[12]، وكان النبي ﷺ أخذ قبضة من حصى يوم بدر، ورمى بها في وجوه

---

(1) رواه الطبري في تفسيره 6/201،200 عنهما وعن غيرهما.

2) اختلف في هذه الآية، فقيل: هي خاصة بأهل بدر، وبه قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه والحسن وغيرهما، وقيل: بل هي عامة، واختلف قائلو هذا القول: أهي محكمة أم منسوخة؟ فقال عطاء: هي منسوخة، وقال جمهور من العلماء: بل هي محكمة، ثم اختلفت عبارات القائلين بإحكامها: أهي مخصّصة بآية آخر الأنفال، أم هي مقيّدة، أم هي مبيّنة؟، وجدير بالذكر أن قول عطاء: إنها منسوخة لا يريد به النسخ الاصطلاحي عند المتأخرين، بل يريد ما يشمل التقييد والبيان ونحو ذلك كما نبه عليه الشاطبي في الموافقات وغيره. انظر: تفسير الطبري 6/200-202، والمحرر الوجيز 2/510، وأحكام القرآن لابن الفرس 3/78-80، ونواسخ القرآن ص 166،165، والموافقات 3/114،113، والتحرير والتنوير 9/45،44.

(3) سقطت من (ك).

(4) انظر: المحرر الوجيز 2/510، والبحر المحيط 4/470،469.

(5) انظر: تفسير ابن كثير 2/306.

(6) انظر: تفسير الطبري 6/119، والجامع لأحكام القرآن 7/336.

(7) انظر: الكشاف 2/199، وتفسير أبي السعود 4/12.

(8) انظر: معالم التنزيل 2/203، والكشاف 2/199.

(9) سقطت من (م).

(10) سقطت من (ك).

(11) انظر: تفسير الطبري 6/202، والكشاف 2/201،200.

(12) انظر: التفسير الكبير 15/112، وتفسير أبي السعود 4/13.

(13) سقطت من (ك).

(14) سقطت من (م).

المشركين، فلم يبق [منهم][13] أحد إلا وقع في وجهه [شيء][14] فقتل أو انهزم[1].

قال أبو عبيدة: [يقال][2]: رمى الله لك، أي: نصرك[3].

وقيل: معناه: وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب، ولكن الله رمى قلوبهم بالرعب[4].

(وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) أي: يبتليهم[5](بَلَآءً حَسَنًا) أي: عاقبة حميدة في الدنيا، وجزاؤه الجنة، والبلاء هنا: القتال والشهادة[6]، ولم يقتل من المسلمين يوم بدر سوى أربعة عشر: ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار[7].

(ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ)[الآية:18] أي: فعل الله ذلكم واعلموا أن الله[8](مُوهِنُ كَيْدِ) أي: مضعف كيد الكافرين، [فيرجع][9] وبال مكرهم عليهم[10].

(إِن تَسْتَفْتِحُوا۟)[الآية:19] أي: تحتكموا فقد جاءكم الحكم[11]، هذا خطاب للكفار، وكانوا قد خرجوا بأستار الكعبة، وسألوا الله أن ينصرهم، فسألوا الحكم، فكان الحكم

---

1) روي ذلك في روايات كثيرة، منها عن ابن عباس، قال الهيثمي:«ورجاله رجال الصحيح»، ومنها عن حكيم ن حزام، وحسن إسناده الهيثمي، وهناك روايات أخرى كثيرة عن التابعين وأتباعهم. انظر: تفسير الطبري 6/204، 203، وتفسير ابن كثير 2/308، 307، ومجمع الزوائد 6/84، والكافي الشاف 2/201، 200.

(2) سقطت من (ك).

(3) مجاز القرآن ص44.

(4) انظر: الهداية 4/2766، والجامع لأحكام القرآن 7/338.

5) قال الرازي: «قال القاضي: ولولا أن المفسرين اتفقوا على حمل الابتلاء ههنا على النعمة، وإلا لكان يحتمل محنة بالتكليف فيما بعده من الجهاد»، وقد رده العلماء بقوله تعالى بعدُ (بَلَآءً حَسَنًا)، وإنما المراد: ولينعم عليهم عمة عظيمة، وهي النصر والغنيمة، وقيل: الشهادة؛ وأصل البلاء الاختبار، ثم أطلق على إصابة أحد أحداً بأمر ظهر به مقدار تأثره، ثم أصبح يطلق على كل إصابة بخير أو بشر ولو لم يكن المقصود إظهار مقدار تأثر من أصيب. انظر: تفسير الطبري 6/204، وزاد المسير ص 545، والتفسير الكبير 15/113، والبحر المحيط 4/472، والتحرير والتنوير 9/53، 52.

(6) انظر الحاشية السابقة.

(7) انظر: الهداية 4/2767، والبداية والنهاية 2/319، 318.

(8) انظر: تفسير الطبري 6/205، 204، والبحر المحيط 4/473.

(9) سقطت من (ك).

(10) انظر: معالم التنزيل 2/206، والمحرر الوجيز 2/512.

(11) انظر: تفسير الطبري 6/205، ومعاني القرآن للزجاج 2/408.

عليهم بالموت والهزيمة[1].

﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ أي: ترجعوا عن كفركم وقتالكم المسلمين ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا﴾ للقتال ﴿نَعُدْ﴾ لنصر المؤمنين ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ أي: جماعتكم وفرقتكم ﴿[شَيْئًا][2] وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ فإن المؤمنين هم الغالبون وإن قلوا[3]؛ فإن الله معهم بنصرهم[4].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[الآية:20] في الجهاد وقسم الغنائم والأنفال وغير ذلك[5] ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أي: لا تتولوا[6] عن محمد[ﷺ][7] ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ دعاءه إياكم[8].

﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ كالمنافقين الذين ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: لا يطيعون، فكأنهم ما سمعوا؛ إذ لم ينتفعوا، فكأنهم صم ولم ينطقوا بخير وإيمان، فكأنهم بكم ولم يتدبروا آيات الله، فهم لا يعقلون، فهم شر الدواب، والدواب كل ما دب من آدمي وغيره[9].

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾[الآية:23] أي: لو علم أنهم يصلحون لفهم كتابه

---

1) هذا أثر السدي عند الطبري في تفسيره 6/206 من طريق أسباط، وقد سبق الكلام على هذا الطريق ص 56). وهو عند مكي في الهداية 4/2777 بلفظ «كان المشركون إذا خرجوا من مكة إلى قتال النبي أخذوا أستار الكعبة فاستنصروا الله»، ولفظه عند الطبري «كان المشركون حين خرجوا إلى النبي من مكة أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله...»، ولعل رواية الطبري أصوب، فإن حملهم لأستار الكعبة معهم أمر عظيم يتناقله الرواة ويشتهر لو فعلوه.

(2) سقطت من (م).

(3) في (ك): (وإن أقلوا).

4) انظر تفسير قوله سبحانه ﴿وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ إلى آخر الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/207، ومعالم التنزيل 2/209، والكشاف 2/202.

(5) انظر: تفسير الطبري 6/208، والتفسير الكبير 15/115.

(6) في (ك): (لا تولوا).

(7) انظر: الكشاف 2/202، والبحر المحيط 4/474.

(8) انظر: المحرر الوجيز 2/513، وتفسير ابن كثير 2/309.

(9) انظر تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بنحو ما فسره به المؤلف في: تفسير الطبري 6/210،209، والمحرر الوجيز 2/514،413، التفسير الكبير 15/116، والجامع لأحكام القرآن 7/340. غير أن في المقصود بهؤلاء القوم -الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، وهم شر الدواب- خلافاً بين المفسرين، والذي اختاره المؤلف أنهم المنافقون، ورجح الطبري أنهم المشركون لأن سياق الآيات في سياق الخبر عنهم، وقيل: بل هم اليهود. انظر المصادر السابقة.

لأفهمهم، ولو أفهمهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ الآية؛ لأنه لم يوفقهم للقبول، ولم يلهمهم، وقيل: تقديره: ولو علم الله فيهم إيمانا· لوفقهم فآمنوا، ولكن ما علم فيهم خيراً فما وفقهم، فلو أفهمهم ما نفعهم[1].

﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾[الآية:24] إلى الإيمان والجهاد والطاعات، فإن ذلك يحيي قلوبكم وتصيرون في الآخرة إلى الحياة الدائمة[2].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أي: يحول بينه وبين مناه ومقصوده، ويحول بين قلب المؤمن وبين الكفر ويحفظه منه، وبين قلب الكافر وبين الإيمان فلا يقدر عليه، وهذا تعريف بقدرة الله تعالى وقهره، وتخويف من مكره.

وقيل: معناه يعلم سرائر الإنسان، فهو بينه وبين قلبه [بالعلم][3] والإحاطة، كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾[الآية][4].

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾[الآية:25]أي: احذروا المخالفات لئلا تحل بكم فتنة -أي: عقوبة- لا تختص بالظالمين، بل تصيب الظالم، والراضي بالظلم، ومن ترك الإنكار مع القدرة عليه[5].

ودخلت النون في ﴿تُصِيبَنَّ﴾ مع كونه خبراً لأن فيه شبه الجزاء[6]، وقيل: هو

---

1) الفرق بين القولين -فيما ظهر لي- في المراد بالخير في قوله تعالى ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أهو: صلاحيتهم نهم القرآن كما في القول الأول، أم هو الإيمان كما في القول الثاني. وقد حكى ابن الجوزي في زاد المسير ص 546 هذين القولين وغيرهما.

(2) انظر: تفسير الطبري 6/212،211، ومعالم التنزيل 2/210.

(3) سقطت من (ك).

(4) سقطت من (ك). والآية من سورة المجادلة، ورقمها (7).

القول الأول أرجح وأقرب إلى السياق وأكثر قائلا، وكلا القولين مروي عن السلف. انظر: تفسير الطبري 6/213-216، والهداية 4/2785،2784، والجامع لأحكام القرآن 7/342.

(5) انظر: الهداية 4/2790،2789، والجامع لأحكام القرآن 7/343-345، وتفسير ابن كثير 2/311.

(6) في (ك): (لأنه فيه شبه الجزاء).

(7) في النسختين (هو كهي)، والسياق يقتضي ما أثبته. : وانظر: تفسير الطبري 6/217، والهداية 4/2787،2786.

نهي[7]، فلذلك دخلت النون، كما تقول: لا أنظرنك ها هنا، أي: لا تجلس فأنظرك[1].

﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾[الآية:26]أي: تذكروا نعمة الله عليكم بعد أن كنتم بمكة قبل الهجرة قليلا· ضعفاء[2]﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ بأيديهم، والناس هنا: المشركون من أهل مكة، وقيل: فارس والروم[3]﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ أسكنكم المدينة[4]﴿وَأَيَّدَكُم﴾ قواكم[5]﴿بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾أي: الغنائم[6].

وقال قتادة: هي قلة[7] المسلمين يوم بدر وضعفهم[8].

﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[الآية:27]بالمخالفة والنفاق[9]، قيل: نزلت في رجل كتب إلى أبي سفيان يطلعه على أسرار المسلمين[10]، وقيل: نزلت في أبي لبابة، بعثه النبي ﷺ إلى بني قريظة حين حاصرهم، فأشار إلى حلقه، يفهمهم أن ً يريد قتلكم، فلا تخرجوا من حصنكم[11].

﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾أي: تعصوا الله فيما بينكم وبينه، وكل ما أمر الله به، أو نهى الله عنه، فهو أمانة الله عند العبد[12].

---

1) جمهور النحويين على أن الفعل المضارع الخبري بعد (لا) لا يجوز توكيده بالنون، ويحملون ما جاء منه ذلك على الضرورة أو الندور أو القلة، وأجازه بعضهم مطلقاً، واختلف من لم يجزه في توجيه توكيده بالنون في هذه الآية، فقال بعضهم: فيه شبه الجزاء، لأنه أمرهم باتقاء الفتنة، ورتب على ارتكابها إصابتهم بها عامة، وقيل: ل هو نهي كما بينه المؤلف. انظر: تفسير الطبري 6/217، والهداية 4/2787،2786، والكشاف 2/205،204، والبحر المحيط 4/478،477، وشرح ابن عقيل على الألفية 2/285،284.

(2) انظر: معالم التنزيل 2/212، والجامع لأحكام القرآن 7/345.

(3) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/212، وزاد المسير ص 548.

(4) انظر: تفسير الطبري 6/219، وزاد المسير ص 548.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/345.

(6) انظر: المحرر الوجيز 2/516، والبحر المحيط 4/479.

(7) تكررت كلمة (قلة) في (ك).

8) رواه عبد الرزاق في تفسيره 1/258 عن معمر عن قتادة وهو طريق صحيح، فعبد الرزاق ثقة حافظ. انظر رجمته في: سير أعلام النبلاء 9/563، وتقريب التهذيب (4092). ومعمر ثقة ثبت فاضل. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 7/5، وتقريب التهذيب (6857)، وانظر الكلام على هذا الطريق في التفسير الصحيح 1/54.

(9) انظر: تفسير الطبري 6/219، ومعالم التنزيل 2/213.

10) رواه الطبري في تفسيره 6/220 بسياق أبسط مما ساقه المؤلف، قال ابن كثير في تفسيره 2/313:«هذا حديث غريب جداً، وفي سنده وسياقه نظر».

11) رواه الطبري في تفسيره 6/220 عن الزهري وعن عبد الله بن أبي قتادة، وكلاهما مرسل. وانظر: الكافي الشاف 2/207.

(12) انظر: تفسير الطبري 6/222،221، والجامع لأحكام القرآن 7/347.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾[الآية:28] تشغلكم عن الطاعات، وتقعدكم[1] عن الجهاد، وتدعوكم إلى البخل[2].

﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[الآية:29] أي: ونجاة يفرق به بين الحق والباطل[3]، وسمي يوم بدر يوم الفرقان لذلك، وسمي القرآن[4] فرقاناً لتفريقه بين الحق والباطل بالبيان[5].

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[الآية:30] أي: واذكر[6] يا محمد إذ اجتمع المشركون بمكة، وتشاوروا في أمرك سراً، فقال قوم: نقتله، وقال قوم: نطرده، وقال قوم: نحبسه ونقيده، وكان إبليس معهم في صورة رجل لا يعرفونه[7]، فأشار عليهم أن يجمعوا من كل قبيلة رجلاً فيقتلوه؛ لتكثر القبائل على بني هاشم، فلا يقدرون على أخذ ثأره، فاستحسنوا هذا الرأي، وكانوا في دار الندوة، فتفرقوا على ذلك، وأعلم الله نبيه بمكرهم، فخرج مهاجراً إلى المدينة من يومه[8].

ومعنى ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾أي: يحبسوك ويقيدوك[9].

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾[الآية:31] أي: إذا سمعوا القرآن[10]﴿قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا﴾ هذه القصص من أهل الكتاب[11]﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ أي: لو شئنا لحفظنا هذه

---

(1) في (ك): (وتقعد).
(2) انظر: البحر المحيط 4/480، وتفسير ابن كثير 2/314،313.
(3) انظر: تفسر الطبري 6/223، والكشاف 2/208.
(4) في (ك): (الفرقان).
(5) انظر: المفردات للراغب ص 633،634، والكشاف 2/208.
(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/410.
(7) في (ك): (لا يعرفه).
(8) هذه القصة مشهورة، وقد ساقها الطبري في تفسيره عن ابن عباس وعن بعض التابعين، كما رواها الإمام أحمد في سنده عن ابن عباس، وللعلماء في الرواية عن ابن عباس مقال، وقد حسنها ابن كثير، وضعفها الألباني وغيره، وأما راويات عن التابعين فهي مراسيل. انظر: مسند الإمام أحمد (3251) ص 264، وتفسير الطبري 6/225-228، وطبعة الشيخ تفسير الطبري لأحمد شاكر 13/497، وتفسير ابن كثير 2/314-316، والبداية والنهاية 2/195، والكافي الشاف 2/209، والسلسلة الضعيفة 3/262.
(9) انظر: الكشاف 2/209، والبحر المحيط 4/481.
(10) انظر: المحرر الوجيز 2/520.
(11) انظر: معالم التنزيل 2/216، وزاد المسير ص 550.

القصص[1]، فإنها مما سطره الأولون، وأسطر جمع سطر، وجمع الجمع أساطير[2].

وقائل هذا الكلام النضر بن الحارث بن كـ·ل·د·ة، قتل يوم بدر[3].

وهو الذي قال: (إِن كَانَ هَٰذَا) يعني: القرآن (هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً) أو عذاباً غير الحجارة، وهو الذي قال: (عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا)[4] قال عطاء: نزلت فيه بضع عشرة آية[5].

(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ)[الآية:33] أي: لا يعذب الله المشركين يا محمد وأنت بين أظهرهم بمكة[6] (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾) أي: منهم من علم الله[7] أنه سيؤمن، أو يلد من يؤمن، وقيل: هو استغفارهم في الطواف بالبيت[8]، وقال قتادة: معناه: ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، لكنهم لم يستغفروا فما لهم ألا يعذبهم[9].

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/348.

(2) وقيل: جمع أسطورة، وقيل: جمع لا واحد له من لفظه. انظر: تفسير الطبري 6/229، والتحرير والتنوير 6/59،58.

3) هو النضر بن الحارث بن كَلَدَة بن عبد مناف بن قصي، أو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، أحد أعداء الله، وصاحب لواء المشركين يوم بدر، أمر النبي بضرب عنقه صبراً بالصفراء مرجعَه من غزوة بدر. انظر: جمهرة نسب قريش 2/519، وجمهرة أنساب العرب ص126، والأعلام 8/33.

كونه قائل هذا الكلام رواه الطبري في تفسيره 6/230،229 عن ابن جريج والسدي وسعيد بن جبير، وعليه ظاهرت أقوال المفسرين، ولم يذكروا غيره. انظر: المحرر الوجيز 2/520، وزاد المسير ص 550، والبحر المحيط 4/481، وتفسير ابن كثير 2/316.

(4) سورة ص، الآية (16).

5) هذا كله أثر عطاء، وقد رواه الطبري في تفسيره 6/231، وفي سنده طلحة بن عمرو، وهو ابن عثمان الحضرمي، متروك. انظر ترجمته في: تقريب التهذيب (3047).

قد روي عن غيره أن النضر هو من قال (ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ...)، فقد رواه الطبري في تفسيره 6/231،230 عن سعيد بن جبير ومجاهد والسدي، والذي في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أنه أبو جهل. رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ...)(4648) 8/391، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (2796) 6/279.

ولا مانع من أن يكون قاله أبو جهل والنضر وغيرهما. انظر: البحر المحيط 4/482، وفتح الباري 8/392.

(6) انظر: المحرر الوجيز 2/521، وزاد المسير ص 550.

(7) في (ك): (فيهم من علمه الله).

8) انظر هذا القول والذي قبله في زاد المسير ص 551، وتفسير ابن كثير 2/317، وقيل في معنى الآية: ما كان الله معذبهم وبين أظهرهم بعض المؤمنين الذين لم يهاجروا. انظر: المصدرين السابقين.

9) رواه الطبري في تفسيره 6/234 من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وإسناده حسن كما مضى ص(2). وهذا القول هو اختيار الطبري.

وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾[الآية:34] يعني عذاب الآخرة، وقيل[1]: هو ما سلط عليهم من القتل يوم بدر[2] ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يردون الناس عن البيت[3] ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ أي: ما هم أصحاب البيت[4] ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾ أي: ما أصحابه ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وقيل: معناه أولياء الله[5].

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾[الآية:35] أي: صلاة قريش[6] ﴿إِلَّا مُكَآءً﴾ أي: صفيراً، وقيل: هو أن يضع أصابعه في فمه وينفخ، وقيل: هو صفير يشبه صوت طائر معروف يسمى المُكَّاء[7]؛ والتصدية: الصفير، وقيل: التصفيق، وقيل: رفع الصوت[8]؛ وكانوا يجتمعون حول البيت فيجلسون ويلعبون ويصفرون ويصفقون ويصيحون[9].

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: السيف يوم بدر[10].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[الآية:36] في قتال المسلمين ليصدوا الناس عن الإيمان[11] ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ يتأسفون على إتلافها[12]، ثم يغلبهم المسلمون، ثم يحشرون إلى جهنم فيعذبون بها[13].

وقيل: نزلت في الذين أنفقوا أموالهم يوم أحد في قتال المسلمين ليأخذوا ثأر يوم بدر، وكانت وقعة بدر في رمضان، يوم الجمعة السابع عشر منه، في السنة الثانية من

---

(1) في (ك): (قيل) دون واو.
(2) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/219، وزاد المسير ص 551.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/219.
(4) انظر: معالم التنزيل 2/219، وتفسير ابن كثير 2/319،318.
5) فالمعنى على هذا القول: وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياء الله، إن أولياء الله إلا المتقون. ولم يذكر الطبري غير هذا القول. انظر: تفسير الطبري 6/237، والمحرر الوجيز 2/522.
(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن 7/350.
(7) انظر هذه الأقوال في معنى المكاء في: تفسير الطبري 6/238-240، والمحرر الوجيز 2/523.
(8) انظر هذه الأقوال في معنى التصدية في معاني القرآن للزجاج 2/412، والهداية 4/2817.
(9) انظر: معالم التنزيل 2/220.
(10) وقيل غير ذلك. انظر: الكشاف 2/211، وتفسير ابن كثير 2/319.
(11) انظر: تفسير الطبري 6/241.
(12) انظر: الكشاف 2/212.
13) انظر: التفسير الكبير 15/129. وقوله «فيعذبون بها» مأخوذ من القول الذي اختاره في المراد بالخبيث في لفظ الآية التالية.

الهجرة ووقعة أحد في شوال، يوم السبت الثاني عشر منه، في ثاني عام منه[1].

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[الآية:37]أي: يحشر الكفار في جهنم ليميز الله أموالهم الخبيثة الذين يعذبون بها في جهنم ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾أموال المجاهدين في سبيل الله، فيجعل الخبيث: الكفار وأموالهم ركاما· أي: مجتمعاً متراكما·[2].

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾[الآية:38]أي: يؤمنوا ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾من الكفر وقتال المسلمين وغير ذلك ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾لقتال المسلمين فقد مضت سنة الله في إهلاك الأولين منهم يوم بدر[3].

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[الآية:41]يعني: الغنيمة[4]، فيؤخذ خمسها، فيقسم على هذه الخمسة المذكورة في الآية: سهم لله وللرسول، كان للرسول في حياته، ويصرف في مصالح المسلمين بعد موته، وسهم لذوي القربى: وهم أقارب رسول الله ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وسهم لليتامى الذين لا مال لهم، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل المسافرين المحتاجين[5].

﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ فاقبلوا هذه القسمة[6]﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ أي: وآمنتم بما أنزلنا على محمد[ﷺ] يوم بدر من النصر والملائكة[7].

﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[الآية:42] أي: الناحية القريبة من المدينة[8]﴿وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ

---

1) هذا أثر قتادة، وقد رواه الطبري في تفسيره 6/242 عن بشر عن يزيد عن سعد عن قتادة، وقد مضى الكلام على هذا الإسناد ص (2). وانظر: الهداية 4/2819.

2) في المراد بالخبيث والطيب أقوال للعلماء، فقيل: الخبيث الكفار، والطيب والمؤمنون، وقيل: الخبيث أموال الكفار، والطيب أموال المؤمنين، وقيل: الخبيث أعمال الكفار، والطيب عمل المؤمنين، واختيار المؤلف هو ثاني هذه الأقوال. انظر: الهداية 4/2821،2820، ومعالم التنزيل 2/221، والمحرر الوجيز 2/526.

3) انظر: تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/244، والكشاف 2/244، والجامع لأحكام القرآن 7/351-353.

(4) في (ك): (فإن لله خمسه تقسم الغنيمة).

(5) ما ذكره المؤلف هو المشهور، وإلا ففي تفاصيل صرف هذه الأسهم خلاف يطول استقصاؤه. انظر: فسير الطبري 6/249-254، ومعاني القرآن للزجاج 2/413-416، والجامع لأحكام القرآن 8/13-17، وتفسير ابن كثير 2/323-325.

(6) انظر: تفسير الطبري 6/254، ومعاني القرآن للزجاج 2/316.

(7) انظر: الكشاف 2/216 والمحرر الوجيز 2/531.

(8) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/417، ومعالم التنزيل 2/226.

ٱلْقُصْوَىٰ) أي: البعيدة[1](وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ) قافلة أبي سفيان، وكان قد سلك طريقاً سفلى، فذهب إلى مكة[2]، والتقى المسلمون مع عسكر أبي جهل ببدر، وهو قوله (وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَـٰدِ) ولكن جمعكم من غير ميعاد[3](لِّيَهْلِكَ)من قتل ذلك اليوم على أمر بي··ن، وحجة للحق واضحة (وَيَحْيَىٰ) أي: يعيش من سلم[4] وقد بان له الحق[5].

(إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ [قَلِيلًا][6]) [الآية:43]كان النبي ﷺ رآهم في المنام قليلا· تثبيتاً من الله[7]، ولو كانوا[8] في الحقيقة قليلا· إذ كانوا مغلوبين في علم الله.

(وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ)[الآية:44]أي: يريكم إياهم رؤية ع·يان· عند القتال، فقلل الله كل طائفة في أعين الأخرى[9](لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا)علم أنه مفعول كائن لا محالة[10].

قال ابن مسعود: قلت لرجل إلى جانبي: أراهم سبعين، فقال: أراهم مائة، وكانوا ألفاً[11].

وقيل: إن أبا جهل قال لقومه: لا تقاتلوهم[12]، ولكن خذوهم بأيديكم واربطوهم بالحبال[13].

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/226، والبحر المحيط 4/491.
(2) غير واضحة في (م). وانظر: المحرر الوجيز 2/533، والتفسير الكبير 15/134.
(3) انظر: تفسير الطبري 6/257.
(4) كررت عبارة (من سلم) في (م).
(5) وقيل: ليستمر في الكفر -بعد ظهور أمركم بالحجة القاطعة- فيهلك عن بينة، ويؤمن من آمن عن بينة، الهلاك والحياة يراد بهما الكفر والإيمان، وإليه مال ابن كثير. انظر: تفسير الطبري 6/258، وتفسير ابن كثير 2/327.
(6) سقطت من (ك).
(7) انظر: الهداية 4/2834-2836، والكشاف 2/217.
(8) في (ك): (ولقد).
(9) انظر: تفسير الطبري 6/259، والتفسير الكبير 15/136.
(10) انظر: البحر المحيط 4/497،496.
11) رواه الطبري في تفسيره 6/259، والطبراني في المعجم الكبير (10296) 1/147، كلاهما من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، قال ابن حجر في المطالب العالية 17/315 عن إسناد الطبراني:«هذا الإسناد صحيح إن كان أبو عبيدة سمعه من أبيه، وقد اختلف في سماعه منه».
12) كذا في النسختين، والذي في تفسير الطبري -وغيره- «لا تقتلوهم»، ولعله الصواب. انظر الحاشية اللاحقة.
13) هذا طرف أثر للسدي رواه الطبري في تفسيره 6/260 من طريق أسباط عن السدي، وقد مضى الكلام على هذا الإسناد ص (56). غير أنه مرسل.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: سلمكم من الفشل والجزع[1].

﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟﴾[الآية: 46] أي: لا تختلفوا فتجبنوا[2] ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: نصركم، قاله قتادة ومجاهد[3].

قال ابن زيد: لم يكن نصر قط إلا بريح تضرب وجوه الأعداء[4].

وقال مجاهد وابن جريج[5]: ذهب ريح أصحاب محمد ﷺ حين خالفوا أمره يوم أحد فانهزموا[6].

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا﴾[الآية: 47] أي: ً للحق، واستعانة بنعم الله على الكفر، ورئاء ليقال: إنهم نصروا أصحابهم، وهم المشركون الذين قاتلوا يوم بدر[7].

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[الآية: 48] جاءهم إبليس ومعه جنوده، فتمثل في صورة سراقة بن مالك الكناني، ووقف معهم للقتال إلى جانب أبي جهل، ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ [مِنَ ٱلنَّاسِ][8]﴾ أنا جاركم سراقة بن مالك، وهؤلاء قومي، فلما تراءى الجمعان نظر إلى الملائكة، فنكص -أي: هرب إلى خلف[9]- ﴿وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني: الملائكة[10].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/259، وزاد المسير ص 556.
(2) انظر: معالم التنزيل 2/228، وتفسير ابن كثير 2/329.
3) أما أثر قتادة فقد رواه الطبري في تفسيره 6/ 261 بلفظ «ريح الحرب»، والذي عند مكي في الهداية 4/2839 ،الذي عند المؤلف أن مجاهداً وقتادة قالا: نصركم. ورواية الطبري عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وإسناده حسن كما مضى ص (2).
وأما أثر مجاهد فقد راوه الطبري في تفسيره 6/261 من طريق عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، ومن طريق ورقاء بن عمر اليشكري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، والأول منهما صحيح كما سبق ص(222).
(4) رواه الطبري في تفسيره 6/261.
(5) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام العلامة، شيخ الحرم، أبو خالد وأبو الوليد، القرشي الأموي مولاهم، ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل، مات سنة 150هـ أو بعدها. انظر: سير أعلام النبلاء 325/ 6، وتقريب التهذيب (4221) ص624، وطبقات المفسرين للداودي 358/ 1.
(6) رواه الطبري في تفسيره 6/261 عن ابن جريج عن مجاهد.
(7) انظر: الهداية 4/2841،2840، ومعالم التنزيل 2/229، وتفسير ابن كثير 2/329.
(8) سقطت من (م).
(9) انظر: الهداية 4/2844، والمحرر الوجيز 2/538.
(10) هذا سياق أثر ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة بتصرف، وقد رواه الطبري في تفسيره 6/264، وقد مضى الكلام على قوة طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ص (33).

﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾[الآية:49] أي: المتخلفون عن بدر لنفاقهم والذين في قلوبهم شك لما رأوا قلة المسلمين يوم بدر قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾[1]، ولم يعلموا أن المسلمين متوكلون على الله، وأن الله عزيز في انتقامه من الأعداء، حكيم، فيصلح أحوال من توكل عليه [بفضله][2].

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[الآية:50] يقبضون أرواحهم يوم بدر[3]،﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ﴾ إذا [أقبلوا][4]، ويضربون أدبارهم إذا ولوا[5]، ويقولون لهم: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٥٠﴾ يوم القيامة بما قدمتم من الكفر[6].

وجواب: ﴿وَلَوۡ﴾ محذوف، تقديره: لو رأيتهم لرأيت أمراً عظيما[7].

وقيل: هذا عند قبض روح كل كافر، ويكون الضرب المذكور في جهنم[8].

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾[الآية:52] أي: كعادتهم، وأصله من الدؤوب، وهو الدوام، مثل قوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِ﴾[9] أي: دائمين[10]، وتقدير الكلام: فعلنا بالمشركين يوم بدر كفعلنا بآل فرعون ومن قبلهم من الكفار[11]؛ وفعلنا ذلك لأن الله لا

---

1) هذا أحد الأقوال في الآية، والمشهور أنهم قوم من قريش كانوا تكلموا بالإسلام، ولم يستحكم الإسلام في لوبهم، خرجوا مع المشركين -أو أخرجهم المشركون كرهاً- فلما رأوا قلة المسلمين ارتدوا. انظر: تفسير الطبري 6/267،266، والهداية 4/2845، ومعالم التنزيل 2/231، والمحرر الوجيز 2/539، وزاد المسير ص 557.

2) سقطت من (م). وانظر معنى الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: مالم التنزيل 2/231، والبحر المحيط 4/501.

3) هذا قولٌ أن المراد يوم بدر، وسيأتي القول الآخر من كلام المؤلف. انظر ما ساقه المؤلف هنا في: معالم التنزيل 2/231، وزاد المسير ص 557.

(4) سقطت من (ك).

(5) هذا على القول بأن المراد يوم بدر. انظر: زاد المسير ص 557، وتفسير ابن كثير 2/332.

(6) انظر: تفسير الطبري 6/268،267، والبحر المحيط 4/502.

(7) انظر: الهداية 4،2847، وتفسير ابن كثير 2/332.

(8) هذا القول الثاني في المراد بالآية، وقد رجح ابن كثير أنها عامة في الكفار كافة، وليست خاصة بيوم بدر، فإنه وإن كان السياق في سورة الأنفال قد توصل إلى ذكر قبض أرواحهم بهذه الهيئة، إلا أنه عام في جميع الكفار، دلالة الآيات الأخرى التي فيها ذكر ضرب وجوههم وأدبارهم وليست في سياق قصة يوم بدر، وعلى القول بشمول الآية وأنها ليست خاصة بيوم بدر فقد اختلف في زمن الضرب هذا، فقال المؤلف: يكون يوم القيامة، ورجح ابن كثير أنه حين قبض أرواحهم. انظر: تفسير الطبري 6/267، وزاد المسير ص 557، وتفسير ابن كثير 2/332.

9) سورة إبراهيم، الآية (33). وقد كتبت في (ك): (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر دائبين) ثم خط خطاً صغيراً على كلمة (الليل) وحدها.

(10) انظر: تفسير الطبري 3/191، والمفردات للراغب ص 321.

(11) انظر: الهداية 4/2854،2853، ومعالم التنزيل 2/232.

يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعات[1]؛ كعادة آل فرعون [في][2] تغييرهم الشكر، فغيرت عنهم النعمة[3].

قال السدي: نعمة الله محمد ﷺ، لم يؤمن به أهل مكة؛ فغيره الله عنهم، ونقله إلى الأنصار بالمدينة[4].

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾[الآية:56]مثل بني قريظة، كانوا عاهدوا النبي ﷺ على الصلح، ثم نقضوا وقاتلوا يوم الخندق[5].

﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ﴾[الآية:57]أي: فإن تلق·هم[6] في الحرب، و(ما) زائدة هنا[7] ﴿فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾أي: اقتلهم لتخوف من كان مثلهم[8] ممن لم يقاتلك بعد، ومعنى شرد: اطرد[9] ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾أي: لعل الباقين يتعظون بمن قتلته منهم[10].

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾[الآية:58]أي: وإن تخف من قوم من الذين عاهدوك خيانة[11]﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ﴾أي: ارم لهم عهدهم، ومعناه: أعلمهم أنك طرحت عهدهم حتى تكونوا على سواء، أي: على عدل وتساو في الاستعداد للقتال، وقيل: معناه: انقض عهدهم كنقضهم سواء، ولا تقاتلهم وهم يظنون أنك باق على عهدهم فتكون خيانة[12].

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾[الآية:59]أي: سبقوا حكم الله[13]، وسبقوا تمام الكلام، ثم قال: ﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ۝٥٩﴾أي: لا يفوتون، ولا يمنعون أنفسهم فيعجزون الله سبحانه ، هذا على قراءة من كسر ﴿إِنَّهُمۡ﴾ ومن فتح فمعناه: لا يحسب·ن [أنهم سابقون؛ لأنهم لا

(1) انظر: زاد المسير ص 558، والجامع لأحكام القرآن 8/31.
(2) سقطت من (ك).
(3) انظر: الهداية 4/2854، والجامع لأحكام القرآن 8/31.
(4) رواه الطبري في تفسيره 6/269 من طريق أسباط عنه، وقد تقدم هذا الطريق ص (56).
(5) انظر: الهداية 4/2855، والمحرر الوجيز 2/542.
(6) في النسختين: (فإن تلقاهم).
(7) سبق مثل هذا الأسلوب ص (122).
(8) في (ك): (قبلهم).
(9) انظر: تفسير الطبري 6/270، والكشاف 2/223.
(10) انظر: معالم التنزيل 2/233، والبحر المحيط 4/504.
(11) في (ك): (وإن تخف من الذين عاهدوا خيانة). وانظر المعنى في: الهداية 4/2857، وتفسير ابن كثير 2/333.
(12) انظر القولين في: معاني القرآن للفراء 1/414، والهداية 4/2858، والبحر المحيط 4/505.
(13) انظر: معالم التنزيل 2/234، وتفسير ابن كثير 2/334.

يعجزون[1].

ومن قرأ: ﴿تحسبن﴾ بتاء الخطاب فهو خطاب للنبي ﷺ، ومن قرأ بالياء فمعناه: لا يحسبن الكفار أنهم يسبقون ويفوزون][2].

وقرأ ابن مسعود: (ولا يحسبن الذين كفروا أنهم سبقوا إنهم لا يعجزون)[3].

(وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)[الآية:60]أي: عدد وسلاح وما يتقوى به على الجهاد[4]، وفي الحديث المشهور «ألا إن القوة الرمي»[5].

(وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ) أي: اقتنائها وتربيتها[6](تُرْهِبُونَ بِهِ) أي: تخوفون بالاستعداد أعداءكم هؤلاء، وترهبون[7] أعداء آخرين من سواهم علم الله أنكم ستقاتلونهم، وأمم لا تعلمون كالروم والفرس وغيرهم[8].

وقيل: إن الجن أيضاً تهرب من الخيل[9].

(وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ [فَاجْنَحْ لَهَا][10]) [الآية:61] أي: مالوا للصلح فصالحهم[11]، وهذا منسوخ بالقتال[12].

---

1) قرأ ابن عامر بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها، وتوجيه القراءتين كما أوضحه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/307،306، والهداية 4/2862،2861، والنشر 2/208.

2) جاء مكان ما بين الحاصرتين في (ك): (أنهم سابقون لا يعجزون ومن قرأ بالياء فمعناه لا يحسبن الكفار أنهم سابقون لأنهم لا يعجزون ومن قرأ تحسبن بتاء الخطاب فهو خطاب).
وقد قرأها بالياء ابن عامر وحمزة وحفص وأبو جعفر وإدريس عن خلف بخلاف عنه، وقرأ الباقون بالتاء، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/306،305، والبحر المحيط 4/505، والنشر 2/208.

(3) انظر: معاني القرآن للفراء 1/414، والبحر المحيط 4/505.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/234، والكشاف 2/224.

(5) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة (1917) 5/57.

(6) انظر: المحرر الوجيز 2/546، وزاد المسير ص 560.

(7) في (ك): (أعدادها ولا ترهبون).

(8) ورجح ابن كثير أنهم المنافقون. انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/40، وتفسير ابن كثير 2/335.

(9) وهذا ما رجحه الطبري ومكي، وأوردا فيه أحاديث، وقد ضعف العلماء ما جاء من أحاديث في هذا الباب. انظر: تفسير الطبري 6/277، والهداية 4/2867،2866، وتفسير ابن كثير 2/335، والكافي الشاف 2/225.

(10) سقطت من (م).

(11) انظر: تفسير الطبري 6/278، ومعاني القرآن للزجاج 2/422.

12) هذا ترجيح المؤلف، وقد قال به بعض العلماء، وقد رجح الطبري أن المراد بنو قريظة، ورجح كثير من العلماء أن الآية فيما إذا كان للمسلمين مصلحة في الصلح. انظر: تفسير الطبري 6/279،278، ونواسخ القرآن ص 167،166، والجامع لأحكام القرآن 8/42،41، وتفسير ابن كثير 2/336،335.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾[الآية:62]أي: يغدروك[1] ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾أي: كافيك وناصرك الله تعالى[2]﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ﴾حقيقة[3]﴿وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾، يعني: بالأنصار[4].

﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾[الآية:63] ألف الله بين الأوس والخزرج في الإسلام، وكانوا أعداء[5]، وهو قوله: ﴿إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾[6].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك[7]﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ حسبهم الله أيضاً، وقيل: تقديره: وحسبك من اتبعك، ففيهم كفاية بإذن الله[8].

﴿حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾[الآية:65]رغبهم وحضهم على القتال[9]، ثم فرض على الواحد أن يلقى عشرة، ثم خفف وعلم أن فيهم ضعفاً، فأوجب على الواحد قتال اثنين، فنسخ الثاني الأول[10]، قاله عطاء وعكرمة والسدي والحسن[11].

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾[الآية:67]أي: ما كان ينبغي للنبي أن يفادي بالأسارى، بل كان الأصلح قتلهم في غزوة بدر؛ لأنها أول وقعة، فإذا أثخن -أي: بالغ في القتل- وأرهب الكفار وخافوا سطوة المسلمين فإما مناً بعد وإما فداء[12]، وكان النبي ﷺ قد فادى بأسارى بدر برأي أبي بكر الصديق [رضي الله عنه][13].

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعني: الفداء[14]﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ والإرادة هنا بمعنى الأمر،

---

(1) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/422، ومعالم التنزيل 2/237.
(2) انظر: المحرر الوجيز 2/548.
(3) في (ك): (خفية).
(4) انظر: تفسير الطبري 6/279، والتفسير الكبير 15/151.
(5) انظر: البحر المحيط 4/510، وتفسير ابن كثير 2/336.
(6) سورة آل عمران، الآية (103).
(7) انظر: المحرر الوجيز 2/549.
8) خلاف مشهور في المراد بالآية. انظر: تفسير الطبري 6/282،283، والكشاف2/227، والجامع لأحكام القرآن 8/44، وتفسير ابن كثير 2/337.
(9) انظر: تفسير الطبري 6/282.
(10) في (م): (فنسخ الثاني بالأول).
11) رواه عنهم الطبري في تفسيره 6/282-284. والرواية عن السدي من طريق أسباط، وقد مضى الكلام عليها ص(56).
(12) انظر: المحرر الوجيز 2/552،551، والبحر المحيط 4/514.
(13) سقطت من (ك). وقد روى هذا الخبر مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير (1763) 4/433-435.
(14) انظر: معالم التنزيل 2/239، وزاد المسير ص 562.

أي: والله يأمركم بطلب الآخرة[1].

﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾[الآية:68] أنه[2] سيحل لكم الفداء لعاقبكم بما أخذتم من المفاداة[3]، وقيل: □□□ □□□□ □□ □□□□ □□□ أنه لا يعذب من جاهد في سبيل الله يوم بدر لعاقبكم، قاله[4] الحسن وقتادة وابن جبير وابن زيد[5].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾[الآية:70] أي: الذين أسروا يوم بدر ﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا ﴾ أي: إيمانا. ﴿ يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ أي: مما أخذه المسلمون في مفاداتكم[6].

وكان العباس عم النبي ﷺ في أسارى بدر، فطلب النبي ﷺ منه الفداء، وكان معه أربعون أوقية، والأوقية أربعون مثقالا، فقال: خذوها في فدائي، فقال النبي ﷺ: «ذلك مال الله أفاءه الله علينا، ولست أحسبه لك[7]»، قال: ما لي غير هذا، فقال النبي ﷺ: «يا عم، أنت سيد قريش وتكذب؟ أين المال الذي دفنته بمكة عند أم الفضل بنت الحارث، وقلت لها كذا وكذا؟» فقال العباس: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، والله ما حضرنا [أحد][8] إلا الله، ثم فدى نفسه، ففيه وفي رفقائه نزلت هذه الآية، وأعطى الله العباس يوم خيبر في سهمه أربعين عبداً كلهم تاجر[9].

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ ﴾[الآية:71] أي: إن أسلم قوم من أسارى بدر بظواهرهم، وأرادوا أن يخونوا وينافقوا فلا تخف من خيانتهم، فقد خانوا يوم بدر، فأمكن الله منهم

---

1) هذا قول، وقيل: والله يريد لكم ثواب الآخرة، وهذا أشهر وأقرب. انظر: تفسير الطبري 6/286، ومعالم التنزيل 2/239، وزاد المسير ص 563.

(2) في (ك): (أي أنه).

(3) انظر: معالم التنزيل 2/240، وتفسير ابن كثير 2/339.

(4) في (ك): (قال).

5) رواه عنهم الطبري في تفسيره 6/290، وطريق قتادة هو الإسناد الحسن السالف ص(2) عن سعيد بن أبي عروبة.

(6) انظر: تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: الهداية 4/2886، والكشاف 2/230.

(7) في (ك): (ذلك مال ما أفاء الله علينا ولسته أحسبه لك).

(8) سقطت من (ك).

9) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر إسلام العباس (5409) 3/366، والوحدي في أسباب النزول ص 238، وقال حاكم:«صحيح على شرط مسلم»، وقال الذهبي في التلخيص: «على شرط مسلم»، وانظر: تفسير ابن كثير 2/341، 340، والكافي الشاف 2/231، 230.

المسلمين[1].

وقيل: إنها نزلت في عبد الله بن أبي سرح، أسلم ونافق وغدر[2].

(وَٱللَّهُ عَلِيمٌ) بخيانتهم وغير ذلك ([حَكِيمٌ][3]﴿٧١﴾) فيحكم لك عليهم بالنصر، ويدبر أموركم بحكمته[4].

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ)[الآية:72] يعني: المهاجرين من أهل مكة[5](وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ) المهاجرين ونصروهم، وهم الأنصار من أهل المدينة[6](أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ) المهاجرون والأنصار صاروا إخوانا٠ يوالي بعضهم بعضاً، أي: ينصره ويحبه، وقيل: عنى به الميراث، وكانوا يتوارثون بالمؤاخاة والهجرة، ثم نسخ بقوله تعالى: (وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ)أي: الأقارب أولى بالميراث[7].

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم)أي: نصرتهم، وقيل: ميراثهم[8] (حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ) من مكة، وكانت الهجرة فرضاً حتى فتح رسول الله ﷺ مكة[9]، فقال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن[10] جهاد ونية»[11].

(وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ)أي: استعان بكم الذين أسلموا ولم يهاجروا فانصروهم

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/293، والكشاف 2/231.

2) انظر: الهداية 4/2893-2895، وتفسير ابن كثير 2/341. وقد مضى ص(135) أنه قد أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه، فرضي الله عنه.

(3) سقطت من (ك).

4) انظر تفسير قوله تعالى (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) بنحو ما فسره به المؤلف في: تفسير الطبري 6/293، والبحر المحيط 4/517.

(5) انظر: معالم التنزيل 2/242، والبحر المحيط 4/517.

(6) انظر: الكشاف 2/231، والمحرر الوجيز 2/555.

(7) هذان قولان في المراد بالولاية هنا: أهي النصرة أم هي الميراث؟ ومن قال هي الميراث قال إنها منسوخة . انظر: تفسير الطبري 6/294-296، والمحرر الوجيز 2/556،555، وزاد المسير ص 564،563.

8) في (ك): (أي نصرتهم من شيء حتى يهاجروا وقيل ميراثهم). والخلاف في لفظ (الولاية) هنا هو الخلاف السابق نفسه في قوله تعالى (أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ).

(9) انظر: فتح الباري 6/48.

(10) في (ك): (لكن) دون واو.

(11) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب وجوب النفير (2825) 6/46، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج (1353) 3/481.

على أعدائهم، إلا أن يكون أعداؤهم بينكم وبينهم ميثاق فلا تقاتلوهم[1].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾[الآية:73] أي: متعاونون متناصرون[2]، فإن لم تفعلوا كذلك وتتعاونوا وتتناصروا[3]﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ﴾ أي: يظهر الكفار عليكم لتعاونهم واختلافكم[4].

وقوله: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ أي: إن لم تفعلوا التناصر[5].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾[الآية:75] أي: من بعد إيمان السابقين، قيل: هم الذين أسلموا بعد الحديبية، وكان يقال لها: الهجرة الثانية[6].

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ أي: الأقارب بعضهم أولى بميراث بعض، فيه نسخ لما كانوا يتوارثونه بالتبني والمؤاخاة، وقيل: دليل على أن الأقارب فيهم من يرث وفيهم من لا يرث[7]﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في شرع الله الذي شرعه في كتابه، وقيل: في اللوح المحفوظ[8]، [والله تعالى أعلم بالصواب][9].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/296، والمحرر الوجيز 2/556.
(2) وقيل: في الإرث. انظر: معالم التنزيل 2/242، والبحر المحيط 4/518.
(3) وهذا ما رجحه الطبري، وقيل: إلا تتركوهم يتوارثون. انظر: تفسير الطبري 6/298، والكشاف 2/232.
(4) انظر: تفسير الطبري 6/298، والكشاف 2/232.
(5) سبق قبل قليل.
(6) انظر القولين في: الكشاف 2/232، والمحرر الوجيز 2/557، وزاد المسير ص 564.
7) والجمهور على القول الأول. انظر القولين في: الهداية 4/2902، ومعالم التنزيل 2/243، وتفسير ابن كثير 2/344.
(8) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/243، وزاد المسير ص 564، والبحر المحيط 4/519.
(9) سقطت من (م).

سورة براءة

مدنية[1].

هذه السورة أشبه السور بالأنفال، وكانتا تسميان في زمن رسول الله ﷺ: القرينتان[2]؛ ولذلك لم تكتب بينهما البسملة، لأنها [إنما تكتب][3] للفصل بين السور، وهاتان كأنهما سورة واحدة، فلا حاجة إلى الفصل[4] بينهما[5].

وقيل: إنما تركت البسملة لأنها أمان ورحمة، و[براءة][6] نزلت بالسيف[7]، ولذلك[8] السنة أن يقول الإنسان عند الذبيحة: بسم الله والله أكبر، ولا يذكر الرحمة[9].

وكان النبي ﷺ قد فتح مكة سنة ثمان، وأم··ر أبا ب·كر رضي الله عنه على الحاج سنة تسع، فلما خرج الحاج نزلت آيات من سورة براءة، فأقرأها النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمره أن يلحق أبا بكر رضي الله عنهما، وأن يقرأ الآيات على عرفة ليسمعها المشركون، فيعلمون أن الرسول [ﷺ] قد تبرأ من عهود المشركين، وأنه

---

(1) بالإجماع، إلا آخر آيتين منها. انظر: زاد المسير ص 565، والإتقان 1/30.
(2) سيأتي بعد قليل توثيق هذه التسمية.
(3) سقطت من (ك).
(4) في (ك): (للفصل).
5) هذا شبيه بما روي عن عثمان رضي الله عنه في ذلك، حيث سأله ابن عباس رضي الله عنهما عن سبب ترك البسملة بين الأنفال وبراءة، فبيّن أنه لتشابه السورتين، واحتمال أن تكون براءة من الأنفال، وقد مات رسول الله ولم يبين فيها شيئاً. وفي بعض ألفاظه أنهما كانتا تدعيان القرينتين. وقد رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من جهر بها (البسملة) (786) ص 126، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة (3086) ص 691، وقد اختلف العلماء في هذا الحديث فحسنه الترمذي في سننه، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود والترمذي. وانظر: الكافي الشاف 2/233.
(6) سقطت من (ك).
7) وإيضاح هذا القول أن العرب كان من عادتهم أنهم إذا كان بينهم وبين قوم عهد، وأرادوا نقضه وكتبوا في ذلك كتاباً أنهم لا يبدؤون فيه بالبسملة، جاء القرآن على عادتهم في ذلك، ومن العلماء من يفرق بين هذين القولين أعني القول الذي ذكره المؤلف والإيضاح الذي أوردته. انظر: المحرر الوجيز 3/3، والجامع لأحكام القرآن 8/61،60، والتحرير والتنوير 10/11،10.
(8) في (ك): (وكذلك).
9) روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأضحى في المصلى، فلما قضى خطبته نزل من منبره، وأتي بكبش، فذبحه رسول الله بيده، وقال: «بسم الله والله أكبر، هذا عني وعمن لم يضح من أمتي»، رواه أبو داود في سننه، كتاب الضحايا، باب في الشاة يضحى بها عن جماعة (2810) ص 428، واللفظ له، ورواه الترمذي في سننه، كتاب الأضاحي، الباب (22) رقم الحديث (1521) ص 359، قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن يقول الرجل إذا ذبح بسم الله والله أكبر. وقد صححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود والترمذي.

سيقاتلهم، وأمر مناديا ينادي بعرفة: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[1].

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الآية:2] أي: سيروا [بها][2] أيها المشركون، فقد أمهلتكم أربعة أشهر، قال ابن عباس: من كان له عهد أمهل [أربعة أشهر ثم يقاتل، ومن لا عهد له أمهل][3] حتى تنسلخ الأشهر الحرم[4].

وقال [قتادة: كان قد بقي من عهد الحديبية أربعة أشهر[5].

وقال الكلبي[6] والطبري][7]: إنما أمهل أربعة أشهر من كان عهده أربعة فما دونها، ومن كان عهده أكثر من ذلك فهم الذين قال فيهم ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡ﴾[8].

وتقدير الكلام: هذه براءة من الله ورسوله[9].

﴿وَأَذَٰنٞ﴾[الآية:3] أي: إعلام بالتبري من المشركين[10]﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي: لا تغلبون الله ولا يعجز عنكم، واعلموا أن الله سيخزي من كفر به[11].

﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ يوم عرفة، وقيل: يوم النحر، وقيل: أيام منى كلها[12]، وسمي الحج الأكبر لأنه أكبر من العمرة، وقيل: هو حج تلك السنة، اجتمع فيه المسلمون

---

(1) انظر: الهداية 4/2919،2918.
(2) سقطت من (م).
(3) سقطت من (م).
4) رواه الطبري في تفسيره 6/302 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).
5) رواه الطبري في تفسيره 6/303 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وإسناده حسن كما مضى ص(2).
6) هو محمد بن السائب الكلبي، أبو النضر، اشتهر بالأنساب والتفسير، متهم بالكذب ورمي بالرفض، ومن العلماء من ارتضى تفسيره، ومنهم من رده، أما روايته للتفسير عن أبي صالح عن ابن عباس فهي كذب، وقدمات سنة 146هـ. انظر: تهذيب الكمال 25/246، وسير أعلام النبلاء 6/248، وتقريب التهذيب (5938) ص 847.
(7) سقطت من (ك)
8) رواه عن الكلبي عبدُ الرزاق في تفسيره 1/266، والطبري في تفسيره 6/305، ورواية عبد الرزاق عن معمر عن الكلبي، وعبد الرزاق ومعمر ثقتان كما سبق ص (257).
وهذا القول هو ما رجحه الطبري في تفسيره 6/305، وهو ما رجحه ابن كثير 2/345،344.
(9) وقيل: ﴿بَرَآءَةٞ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾. انظر: الكشاف 2/234، والبحر المحيط 5/6.
(10) انظر: تفسير الطبري 6/309، والمحرر الوجيز 2/5.
(11) انظر: الهداية 4/2921، ومعالم التنزيل 2/246.
12) ورجح الطبري وغيره أنه يوم النحر. انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري 6/309-316، وزاد المسير ص 568، والبحر المحيط 5/9.

والمشركون[1].

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: من عهدهم[2]﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بالرفع، أي: ورسوله بريء منهم، وقرئ بالنصب عطفاً على اسم الله تعالى[3].

﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾أي: آمنتم[4]﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾صدق الله

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ يعني: القتل والحرب[5].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ﴾[الآية:4]من مدة العهد[6]، وقرئت بضاد معجمة، أي: لم ينقضوا عهدكم[7]﴿وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ﴾ أي: لم يعينوا أعداءكم عليكم[8]﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡ﴾صدق الله

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾[الآية:5]أي: خرج شهر المحرم عمن ليس له عهد ومن نقض العهد فاقتلوهم، وقيل: الأشهر الحرم هي الأربعة المذكورة أولا، وأجلها من أول شوال، يوم نزلت الآيات، قاله الزهري[9]، وقيل: أول الأجل يوم نودي بها بعرفة[10].

﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾أي: احبسوهم[11].

قال السدي والضحاك: هي منسوخة بقوله تعالى ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾[12]،

---

(1) وعلى القول بأنه يوم النحر قال بعض العلماء سمي بذلك لأن فيه معظم أعمال الحج. انظر هذه الأقوال في: الكشاف 2/237، وزاد المسير ص 568، والجامع لأحكام القرآن 8/68،67.

(2) انظر: تفسير الطبري 6/318.

3) قراءة شاذة، رويت عن ابن عباس وعيسى بن عمر وزيد بن علي وابن أبي إسحاق، وتوجيه القراءتين كما أوضحه المؤلف. انظر: مختصر في شواذ القرآن ص 51، والدر المصون 6/8،7.

(4) انظر: تفسير الطبري 6/318، ومعالم التنزيل 2/249.

5) قلّ من ذكر هذا القول الذي قال به المؤلف، وقد ألمح إليه الألوسيُّ، وقال به ابن عاشور. انظر: التفسير الكبير 15/178، وروح المعاني 5/243، والتحرير والتنوير 10/19.

6) وذلك أن من نقض العهد فقد نقص من الأجل المضروب، وقيل: لم ينقصوكم من شروط العهد. انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/68، والبحر المحيط 5/11، وتفسير أبي السعود 4/42.

(7) قراءة شاذة، قرأ بها عطاء بن السائب وعكرمة وأبو زيد وابن السميفع، وتوجيهها كما بينه المؤلف. انظر: الكشاف 2/239، والبحر المحيط 5/11.

(8) في (ك): (عليكم أعداءكم). وانظر معنى الآية في: تفسير الطبري 6/318، والكشاف 2/238.

(9) في (م): (قال الزهري). وانظر قول الزهري في تفسير الطبري 6/304.

10) انظر الخلاف في المراد بالأشهر الحرم في هذه الآية في: تفسير الطبري 6/302-305، 321،320، والجامع لأحكام القرآن 8/69، وتفسير ابن كثير 2/349.

(11) انظر: معالم التنزيل 2/250، والمحرر الوجيز 3/8.

(12) سورة محمد ، الآية (47).

فلا يقتل أسير صبراً، أي: بالحبس[1].

﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾أي: ارصدوهم على كل طريق[2].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾[الآية:6]أي: بعد الأشهر الحرم[3]﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾القرآن[4]، ثم أمهله حتى يبلغ موضعه الذي يأمن فيه[5]﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾أي: ف·ع·ل بالمشركين، ذلك لأنهم ﴿لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾قدر الإيمان[6].

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾[الآية:7]أي: لا ينبغي أن تصالحوهم[7]﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾بالحديبية[8]، فما داموا على العهد فدوموا عليه[9].

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟﴾[الآية:8] أي: كيف يكون لهم[10] عهد وإن يقووا عليكم يقاتلوكم ولا يراعون فيكم العهد[11] ولا الذمة[12]، والإل الحلف بالله، والذمة العهد، وهما بمعنى واحد، وكرر تأكيداً لاختلاف اللفظ[13].

وقال ابن عباس: الإل القرابة، والذمة العهد[14].

وقال مجاهد: الإل الله، والذمة العهد[15].

---

(1) رواه الطبري في تفسيره 6/322 عن السدي والضحاك.
(2) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/430، والكشاف 2/239.
(3) وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 6/321، والمحرر الوجيز 3/9.
(4) انظر: تفسير الطبري 6/321.
(5) انظر: الهداية 4/2932، وتفسير ابن كثير 2/350.
(6) انظر: الهداية 4/2933.
(7) انظر: معالم التنزيل 2/251، والتفسير الكبير 15/183.
(8) انظر: تفسير الطبري 6/324،323، والمحرر الوجيز 3/9.
9) يفسر بذلك قوله الله تعالى ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/432، والبحر المحيط 5/14.
(10) في (ك): (لكم).
(11) في (م): (يقاتلوكم ولا يراعون فيهم العهد)، وفي (ك): (يقاتلونكم ولا يراعون فيكم العهد).
(12) انظر: معالم التنزيل 2/252، والتفسير الكبير 15/184،183.
13) اختلف في المراد بالإل على أقوال، أورد المؤلف بعضها، ورجح الطبري شمول معنى هذه اللفظة لما قيل بها؛ لدلالتها عليها في اللغة، وأما الذمة فمعناها ظاهر، والخلاف فيه يسير. انظر ما قيل في المراد بالإل والعهد في: تفسير الطبري 6/325-327، ومعاني القرآن للزجاج 2/433، وزاد المسير ص 570.
14) رواه الطبري في تفسيره 6/325 عن ابن عباس من ثلاثة طرق، إحداها طريق علي بن أبي طلحة، وقد سبق الكلام على قوتها ص (33).
15) رواه الطبري في تفسيره 6/325 من طريقين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، والطريق إلى ابن أبي نجيح قوية كما في العجاب 1/204.

(يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ)أي: يظهرون لكم الصلح بألسنتهم، وتأباه قلوبهم[1].

(ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا)[الآية:9]قيل: نقضوا العهد بأكلة من طعام جمعهم عليها أبو سفيان، فخرجوا معه يوم أحد[2].

وقال النحاس: الأولى [للمشركين][3]، وهذه لليهود، اشتروا بالتوراة عرضاً من الدنيا، فكفروا بمحمد[ﷺ]، وخالفوا أمر الله لطلب الرئاسة والمال[4].

والأقرب أن الجميع في المشركين، وإنما كرر للتأكيد.

(فَإِن تَابُواْ)[الآية:11] أي: أسلموا[5](وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ) فهم إخوانكم في الدين، فشرط إقام الصلاة وإيتاء الزكاة شرط للإيمان[6]، فمن امتنع عن خصلة من هذه الثلاث قتل، كما قال أبو بكر رضي الله عنه في قتال بني حنيفة لما منعوا الزكاة: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة[7]، قال ابن زيد: رحم الله أبا بكر، ما كان أفقهه![8].

(وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ)[الآية:12] أي: نقضوا ورجعوا إلى الحرب والكفر[9] (وَطَعَنُواْ) أي: عابوا وقدحوا في دين الإسلام[10] (فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ) أي: رؤساء الكفار[11](إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ)بفتح الهمزة: جمع يمين، أي: لا عهود لهم، وبكسر

---

(1) انظر: الهداية 4/2937، وزاد المسير ص 570.

2) نقل هذا القول عن مجاهد، وذكره المفسرون دون قول المؤلف (يوم أحد)، فإنه لم يكن بين النبي وقريش يوم أحد عهد. انظر قول مجاهد في: تفسير الطبري 6/327، والهداية 4/2938، ومعالم التنزيل 2/253.

(3) سقطت من (ك).

(4) إعراب القرآن ص 382، ويريد بالموضع الأول قوله تعالى (كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ)، ويريد بالموضع الثاني قوله تعالى (لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ).

(5) انظر: المحرر الوجيز 3/11.

(6) في (م): (كما شرط الإيمان). وانظر: الهداية 4/2939.

7) رواه البخاري في صحيحه، الزكاة، باب وجوب الزكاة (1400) 3/332، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (20) 1/163-171.

8) في (ك): (قال ابن زيد رحمه الله يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه). وانظر قول ابن زيد عند الطبري في تفسيره 6/328.

(9) انظر: تفسير الطبري 6/329، والجامع لأحكام القرآن 8/77،76. وفي تعبير المؤلف بقوله (ورجعوا إلى ... الكفر) تجوز، فإنهم قوم كفار لم يؤمنوا، ولعل مراده: رجعوا إلى خلال الكفر من مقاتلتكم ومظاهرة الكفار عليكم والطعن في دينكم ونحو ذلك.

(10) انظر: الكشاف 2/243، وزاد المسير ص 571.

(11) انظر: الكشاف 2/243، وتفسير ابن كثير 2/79.

الهمزة: [مصدر][1] آمن يؤمن إيماناً، ومعناه: لا تصديق في قلوبهم[2](لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾)أي: قاتلوهم لعلهم يؤمنون[3].

(أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ)[الآية:13] هم كفار قريش، نقضوا عهد الحديبية، فقاتلوا قوماً مؤمنين من خزاعة[4]، وقد كانوا قبل الهجرة هموا بإخراج الرسول من مكة[5](وَهُم بَدَءُوكُمْ)بالقتال يوم بدر في أول غزوة[6](أَتَخْشَوْنَهُمْ)أي: تخافون من كثرتهم وقوتهم؟[7] (فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ) فلا تخالفوا أمره وقد أمركم بالقتال[8].

(قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ)[الآية:14]أي: ينتقم منهم بسيوفكم[9](وَيُخْزِهِمْ) يذلهم ويقهرهم[10](وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) قيل: هم خزاعة الذين كان قريش قاتلوهم بعد الحديبية[11]، وهذا كله وعد من الله بالنصر، وقد صدق وعده، ونصر عبده يوم فتح مكة بعد نزول هذه الآيات في غزوات كثيرة.

(وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ)أي: يوفق للإسلام من شاء منهم[12]، وهذا ابتداء كلام عند من قرأ (وَيَتُوبُ) بالرفع، ومن نصبه جعله تابعاً للكلام المتقدم، وعطفه بالواو التي تدل

---

(1) سقطت من (م).
(2) قرأ ابن عامر (لا إيمان لهم) بكسر الهمزة على ما وجّهه المؤلف، وقيل: هو مصدر آمنته إيماناً، أي أمّنته، المراد لا تؤمنوهم. وقرأ الباقون (لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ) وتوجيهها كما بينه المؤلف. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/436، 435، والحجة لأبي علي الفارسي 2/317، 316، والهداية 4/2941، 2940، والبحر المحيط 5/17، والنشر 2/209.
(3) وقيل: لعلهم ينتهون عن نقض العهود وقتالكم ومظاهرة الكفار عليكم والطعن في دينكم. وهو قول الطبري. انظر: تفسير الطبري 6/329، ومعالم التنزيل 2/254، وزاد المسير ص 571.
(4) انظر: الهداية 4/2942، والتفسير الكبير 16/187.
(5) انظر: الكشاف 2/244، والبحر المحيط 5/18.
6) وقيل: بدؤوكم بالقتال، فنقضوا العهد وأعانوا على خزاعة حلفائكم. انظر: تفسير الطبري 6/331، ومعاني القرآن للزجاج 2/436.
(7) انظر: الهداية 4/2942، والبحر المحيط 5/18.
(8) انظر: الكشاف 2/244.
(9) انظر: تفسير الطبري 6/332، والتفسير الكبير 16/3.
(10) انظر: معالم التنزيل 2/255.
(11) في (ك): (قاتلوهم عام الحديبية). وقيل: الآية عامة. انظر: تفسير الطبري 6/332، وتفسير ابن كثير 2/353.
(12) انظر: معالم التنزيل 2/255، والكشاف 2/244.

على الاجتماع[1]﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾بمن يهتدي للإيمان ﴿حَكِيمٌ ۝١٥﴾في تدبير مصالح عباده[2].

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ﴾[الآية:16] ولا تؤمروا[3] بالقتال، بل قد أمرتم به ليظهر المؤمنون الذين لم ينافقوا في السر، ولم يتخذوا وليجة، أي: بطانة من الكفار يلتجئون إليها في الباطن.

قال الطبري: ﴿أَمۡ﴾هنا تسمى المنقطعة، ومعناها أحسبتم مثل قوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾[4]، ونظائرها كثيرة[5].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[الآية:17] أي: ما هم مستحقين للإقامة والسكن بالحرم وهم كفار[6]﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ أي: لم تقبل صدقاتهم وخدمتهم للبيت وحجهم لأنهم مشركون[7]، وقيل: إن هذه الآية رد لافتخارهم يوم بدر على المسلمين بأنهم أهل الحرم، فأخبرهم بأن أعمالهم باطلة، وأنهم لا يصلحون للحرم، وإنما يصلح له من آمن بالله وحده وآمن بالبعث ولم يخش إلا الله، فذلك هو المهتدي[8]، و﴿عَسَىٰٓ﴾ هنا للتحقيق لا للترجي[9]، وفيها إشارة إلى أن المؤمن يكون بين الخوف والرجاء لإبهام عاقبته عليه[10].

﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾[الآية:19] كان العباس يوم بدر فاخر بأنه صاحب زمزم، وشيبة

---

1) وتسمى واو المعية. انظر: النحو الوافي 4/375، والقراءة بالنصب شاذة، وقد رويت عن عيسى بن عمر وزيد بن علي والأعرج وغيرهم، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الهداية 4/2946، 2945، والجامع لأحكام القرآن 8/81.

(2) انظر تفسير قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥﴾ بنحو ما ذكره المؤلف في: تفسير الطبري 6/333.

(3) في (ك): (فلا تؤمروا).

(4) سورة السجدة، الآية (3).

(5) معناه في تفسير الطبري 6/334 دون تسميتها ودون ذكر المثال، والتسمية والمثال من الهداية 4/2948، 2947. بين (أم) المتصلة و(أم) المنقطعة فروق كثيرة، منها: ملازمة المتصلة للاستفهام، فهي نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ بخلاف المنقطعة فإنها قد تفيد الاستفهام وقد لا تفيده. انظر: مغني اللبيب ص51-57، والكليات ص 183، 182.

6) اختلف في المراد بعمارة المسجد الحرام، فقيل: عمارته بالبناء، وقيل: عمارته بدخوله والجلوس فيه وكثرة إتيانه، وهذا قول المؤلف. انظر: زاد المسير ص 572، والتفسير الكبير 16/7.

(7) انظر: معالم التنزيل 2/256، وتفسير ابن كثير 2/353.

(8) انظر: الهداية 4/2951، وزاد المسير ص 572.

(9) انظر: تفسير الطبري 6/335، وتفسير ابن كثير 2/354.

(10) انظر: الكشاف 2/247، والتفسير الكبير 16/10.

فاخر بأنه خادم الكعبة[1]، فمعناه: أجعلتم هذا مع الكفر كإيمان من آمن بالله؟[2] ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ بل المؤمنون أعظم درجة عند الله، ثم وصف ما أعد لهم من النعيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ﴾[الآية:23] الآية، [قال قتادة][3]: نزلت قبل فتح مكة[4]، نهى الله المؤمنين أن يميلوا إلى أهليهم ومواطنهم ويتركوا الهجرة[5].

ثم قال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾[الآية:24] أي: أقاربكم ﴿وَأَمْوَٰلٌ﴾ بمكة ﴿ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ -أي: اكتسبتموها- وتجارة تخافون أن[6] تكسد وتذهب مواسم بيعها ﴿وَمَسَٰكِنُ﴾ لكم بمكة تحبونها أحب إليكم، أي: إن كنتم تحبون هذه الأشياء أكثر من الإيمان والهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ يوم فتح مكة، فيظهر خسران من شغلته دنياه عن الإيمان والهجرة[7].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[الآية:25] أي: في مواقف حرب، وهذا امتنان على المؤمنين بالنصر[8]، وحنين واد معروف بين مكة والطائف[9]، كان به

1) وفي سبب نزولها أقوال كثيرة، منها ما رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، (1879) 5/24 عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله -وهو يوم الجمعة- ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز و جل ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية إلى آخرها. وانظر: الأقوال في سبب نزول الآية في: تفسير الطبري 6/337،336، وزاد المسير ص 573،572.

(2) انظر: معالم التنزيل 2/259، والتفسير الكبير 16/11.

(3) سقطت من (ك).

4) في (ك): (نزلت في فتح مكة). إلى هنا انتهى الأثر المقصود، ولم أجده عن قتادة، بل عن مجاهد، رواه عنه الطبري في تفسيره 6/339 من طريق عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهو طريق صحيح كما سبق ص (222). وانظر: الهداية 4/2949، والدر المنثور 3/403.

(5) هذا من معنى الأثر السابق. انظر عزوه قبل قليل.

(6) في (ك): (تخافوان ان).

(7) زاد في (ك): (والله أعلم). وانظر تفسير الآية بنحو مما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/339، والبحر المحيط 5/24، وتفسير أبي السعود 4/55،54.

8) في (ك): (على المسلمين بالنصر). وانظر معنى ﴿مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ وأن سياق الآية في الامتنان على المؤمنين في: المحرر الوجيز 3/19، وتفسير ابن كثير 2/357،356.

(9) يبعد عن مكة 26 كيلاً شرقاً، ويبعد عن علمي حد مكة من طريق نجد 11 كيلاً. انظر: معجم البلدان 2/190، وأطلس الحدث النبوي ص 156.

هوازن وثقيف، فغزاهم النبي ﷺ بعد فتح مكة ومعه عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وألفان من الطلقاء، وخرج معه من بمكة حتى النساء والصبيان، فأعجب المسلمين الكثرة وانهزموا مدبرين، ثم أنزل الله سكينته[1] -أي: السكون والأمن[2]- في قلوب المؤمنين بعد أن ضجروا وغلبوا (وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) -أي: بما وسعت[3]- فلما ثبتهم الله رجعوا، فهزموا المشركين، وأخذوا أموالهم، وسبوا من نسائهم وذراريهم ستة آلاف، فقسم النبي ﷺ، وأكثر لأهل مكة استئلافاً لقلوبهم، ثم إن هوازن أتوا مسلمين، واستعطفوا رسول الله ﷺ فرد عليهم سبيهم، والقصة مشهورة[4].

(وَأَنزَلَ جُنُودًا [لَّمْ تَرَوْهَا][5]) يعني: الملائكة[6] (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالسيف[7]، ثم يتوب الله على من بقي منهم فأسلم[8].

(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) [الآية: 28] أي: خبث ظاهراً وباطناً[9] (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) أي: لا يدخلوا الحرم، ولا يحجوا[10] (بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا) أي: بعد سنة تسع[11] (وَإِنْ خِفْتُمْ

(1) في (ك): (السكينة).
(2) انظر: تفسير الطبري 6/340.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/266.
4) جاءت هذه القصة في روايات كثيرة أوردها الطبري وغيره من المفسرين ومن المؤرخين، وبعضها يكمل بعضاً. انظر: تفسير الطبري 6/340-343، ومعالم التنزيل 2/261-266، والبداية والنهاية 2/718 وما بعدها.
(5) سقطت من (م).
(6) انظر: معالم التنزيل 2/266.
(7) انظر: تفسير الطبري 6/344، والجامع لأحكام القرآن 8/93.
8) يفسر بذلك قول الله تعالى (ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ). انظر: الهداية 4/2962، والمحرر الوجيز 3/20.
(9) اختلف في المراد بالنجس هنا، فقيل: هي نجاسة أبدان كالكلب والخنزير والخمر، وكأن هذا مراد المؤلف، والقائلون بهذا القول قليل، وقيل: سُمُّوا نجساً لأنهم يجنبون فلا يغتسلون، وقيل: المراد نجاسة حكم لا نجاسة عين، اختلف القائلون بهذا القول في المعنى الذي نعتوا من أجله بذلك، فقيل: نعتوا بذلك لأنا أمرنا باجتنابهم كما تجتنب النجاسات فصاروا بذلك في حكم النجاسات، وقيل: نعتوا بذلك ذماً لهم، وقيل: نعتوا بذلك لنجاسة دينهم. انظر: فسير الطبري6/345، والهداية 4/2963،2962، ومعالم التنزيل 2/267،266، والتفسير الكبير 16/21،20، وتفسير ابن كثير 2/360.
(10) اختلف في المراد بالمسجد الحرام: أهو المسجد نفسه أم الحرم بعامة؟ على قولين، واختلف في المراد بمنعهم ن قربان المسجد الحرام: أهو منعهم من دخوله -وبناء عليه فلا يحجون-، أم يجوز لهم دخوله وإنما المراد بالآية نعهم من الحج؟ وهذا الأخير هو قول أبي حنيفة، ودليله تقييد هذا النهي بقوله تعالى (بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا). انظر خلاف في هاتين المسألتين في: التفسير الكبير 16/22،21، والجامع لأحكام القرآن 8/97،96، وتفسير أبي السعود 4/57.
(11) انظر: تفسير الطبري 6/345، والتفسير الكبير 16/22.

عَيۡلَةً ﴾أي: خشيتم من انقطاع الكفار عن الحرم فاقة -لأنهم يجلبون المتاجر والأرزاق- [﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ ﴾عن أموالهم، فوسع الله الأرزاق][1] والغنائم حتى أغني المسلمين عن تجار الكفار كما وعد[2].

قوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[الآية:29] يعني: اليهود والنصارى، لم يؤمنوا بتوحيد الله لعبادتهم معه المسيح وغيره، ولم يؤمنوا باليوم الآخر لأن منهم من يقول[3]: الأجساد لا تعاد[4]﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾في الشريعة المحمدية[5]﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ﴾ أي: لا يعتقدون دين الإسلام فيتعبدون بالعبادات المحمدية[6]، فقاتلوهم ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ ﴾واشتقاق الجزية من قولهم: جزا فلان دينه، أي: قضاه[7].

[وقوله][8] ﴿عَن يَدٖ﴾أي: قهر وسطوة للمسلمين عليهم، وقيل: أي: نعمة ومنة لكم عليهم في قبول الجزية، وقيل: نقداً، لا يحيلون بها ولا يبعثون بها، بل يسلمها بيده[9]، وهو صاغر، أي: ذليل، واقف وأنت قاعد[10].

وهذه الآيات نزلت في الأمر بقتال الروم، فغزا النبي ﷺ تبوك، قاله مجاهد[11].

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾[الآية:30] أي: تبناه واتخذه كالولد، تعالى الله عن

---

(1) سقطت من (ك).

(2) انظر تفسير قوله تعالى (وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةً ...) بنحو ما فسره به المؤلف في: معالم التنزيل 2/268، 267، والكشاف 2/253.

(3) في (ك): (لأنهم من يقول).

(4) انظر: التفسير الكبير 16/24، 23، والبحر المحيط 5/30.

(5) وقيل: في شريعتهم. انظر: المحرر الوجيز 3/22، 21، والبحر المحيط 5/30.

(6) وقال الطبري: لا يطيعون الله طاعة أهل الإسلام. انظر: تفسير الطبري 6/349، ومعالم التنزيل 2/268.

(7) انظر: تفسير الطبري 6/349، والكشاف 2/254.

(8) سقطت من (ك).

9) انظر هذه الأقوال وغيرها في معنى قوله تعالى (عَن يَدٖ) في: زاد المسير ص 577، 576، والبحر المحيط 5/30.

10) اختلف في المراد بالصغار على أقوال كثيرة، وذكرت له هيئات مختلفة، وقال الطبري: معناه: وهم أذلاء مقهورون. انظر: تفسير الطبري 6/349، ومعالم التنزيل 2/268.

11) رواه الطبري في تفسيره 6/349 عن عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهو طريق صحيح كما سبق ص (222)، ورواه أيضاً من طريق ابن جريج عن مجاهد.

قولهم[1]، وعزير اسم أعجمي، [فلم ينصرف][2]، ومن نونه جعله عربيا· [مشتقاً][3] من عز··ر يعز··ر، بمعنى: عظ··م ون·ص·ر[4].

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: بغير دليل ولا كتاب نزل بهذا[5] ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ أي: يشابهون[6] ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أسلافهم[7] الماضون، فلا حجة لهم إلا اتباع آبائهم، فشابهوا عبدة الأوثان[8] ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: لعنهم وأهلكهم[9] ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ أي: كيف يقلبون ويصرفون عن الحق، ومنه: المؤتفكة: قرية لوط، أي: المنقلبة، والإفك: الكذب، لأنه مقلوب الحق[10].

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾[الآية:31] أي: علماءهم ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ أي: عبادهم[11] ﴿أَرْبَابًا﴾ أي: كالأرباب: يحرمون ويحللون ويغفرون الذنوب بغير شرع[12] ﴿وَٱلْمَسِيحَ﴾ أي: واتخذوا[13] المسيح رباً يعبدونه مع الله، وقوم يقولون: هو الله[14]، وما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بالتوحيد[15].

---

1) اختلف في المراد بالبنوة التي كان يعتقدها اليهود والنصارى في عزير والمسيح، فقال الأكثرون: هي بنوة نسل، وقال بعضهم: هي بنوة الحنو والرحمة. انظر: المحرر الوجيز 3/24، والتفسير الكبير 16/28، والجامع لأحكام القرآن 8/108.

(2) سقطت من (م).

(3) سقطت من (م).

(4) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب بالتنوين، وقرأ الباقون بلا تنوين، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الهداية 4/2970، والبحر المحيط 5/32، والنشر 2/209.

(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/443، والكشاف 2/255.

(6) انظر: تفسير الطبري 6/352، ومعاني القرآن للزجاج 2/443.

(7) في (ك): (إسلامهم).

8) في الآية ثلاثة أقوال: فقيل: هؤلاء هم النصارى شابهوا قول اليهود من قبلهم، وقيل: هؤلاء هم اليهود والنصارى، شابهوا قول عبدة الأوثان من قبلهم، وقيل: هم اليهود والنصارى الذين على عهد النبي قالوا كما قال آباؤهم. انظر: تفسير الطبري 6/352، والمحرر الوجيز 3/25، وزاد المسير ص 578، والجامع لأحكام القرآن 8/109.

(9) انظر: معالم التنزيل 2/272، وتفسير ابن كثير 2/362.

(10) انظر: تفسير الطبري 6/353، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ص 79.

(11) انظر المراد بالأحبار والرهبان في: تفسير الطبري 6/354،353، ومعالم التنزيل 2/273.

(12) انظر: الهداية 4/، ومعالم التنزيل 2/273.

(13) في (ك): (أي اتخذوا).

(14) انظر: زاد المسير ص 579، والتفسير الكبير 16/28، وتفسير أبي السعود 4/60.

15) يفسر بذلك قوله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾. انظر: التفسير الكبير 16/31، والبحر المحيط 5/33.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا﴾[الآية:32]أي: يريد علماؤهم -بكتمان[1] صفة محمد [ﷺ][2] وتبديل اسمه من كتبهم- أن يخمدوا نور[3] الإسلام والقرآن[4] ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾ أي: يمنع، ومعناه: لا يفعل[5] الله إلا إتمام دين الإسلام وظهوره[6]، فهم[7] كارهون، وكذلك فعل الله سبحانه [وتعالى][8].

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾[الآية:33] [محمداً][9] ﴿بِالْهُدَى﴾ بالقرآن [الذي][10] يهدي إلى طريق [الحق][11] ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الإسلام[12]﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: يظهر الإسلام على سائر الملل[13]، فما ملة إلا ودخل من أهلها ناس كثير في الإسلام، وملّك الله المسلمين بلاد الجبابرة كمصر والشام والعراق وغير ذلك، قال أبو هريرة: كمال ظهوره إذا نزل عيسى بن مريم، فلا يبقى إنسان إلا مسلم محمدي[14]، وقال[15] ابن عباس: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾أي: ليطلع محمداً على شرائع الدين كله بالعلم[16].

ثم وصف رؤساء الكتابيين بأنهم □□□□□□ □□□□□ □□□□□ أي: يأخذون الرشوة

---

(1) في (ك): (كتمان).
(2) سقطت من (م).
(3) في (ك): (نار).
(4) لا شك أن ما ذكره المؤلف داخل في الآية، وقد أشار إليه الرازي في التفسير الكبير 16/32، 31، ولكن المعنى أعم من ذلك، الذي قاله المفسرون هنا: يريدون بتكذيبهم أن يطفئوا نور الله تعالى وهو الإسلام أو القرآن أو نبوة النبي ، فالآية في اليهود والنصارى بعامة، وليست خاصة في أحبارهم. انظر: تفسير الطبري 6/356، وزاد المسير ص 579، والبحر المحيط 5/34.
(5) في (ك): (لا يغفل).
(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/444، والهداية 4/2974، 2973.
(7) كذا في النسختين.
(8) سقطت من (م).
(9) سقطت من (ك).
(10) سقطت من (ك).
(11) سقطت من (م).
(12) انظر تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ بنحو ما فسره به المؤلف في: تفسير الطبري 6/356، وزاد المسير ص 579، وفي المراد بالهدى أقوال أخرى.
(13) انظر: معالم التنزيل 2/275، 274، والبحر المحيط 5/34.
(14) رواه الطبري في تفسيره 6/356 وفيه رجل لم يسم، وقد روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً خبر نزول عيسى عليه السلام، وفيه:«ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام». سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال (4324) ص 644. وقد صححه الألباني في تعليقه عليه.
(15) في (م): (قال) دون واو.
(16) رواه الطبري في تفسيره 6/357 من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص (33).

على تحريف كتاب الله[1]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ [والفضة][2]﴾ أي: يجمعون الأموال، ويبخلون بها، فالآية فيهم خاصة، والتقدير على هذا: ومنهم الذين يكنزون[3]، وقيل: هو ابتداء كلام: نهى عن البخل وأمر[4] بالإنفاق مطلقاً، ثم بين الله قدر الإنفاق بوجوب الزكاة، فيكون الذين يكنزون هم الذين لا يؤدون الزكاة، قاله ابن عباس وابن عمر[5]، وهو الصحيح، وقيل: [إن][6] هذا منسوخ بوجوب الزكاة[7].

[وقوله][8] ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾[الآية:34] أي: لا ينفقون الأموال والكنوز، وقيل: الفضة، لأنها أقرب مذكور[9].

[قوله تعالى][10]: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾[الآية:36] أي: في علم الله[11]، وفي ﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ[12]، كتبه ﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ اثنا عشر[13] شهراً، ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ذو القعدة والحجة والمحرم ورجب، لها زيادة حرمة، وتضعيف في الثواب للمطيعين، وتغليظ في السيئات[14]، ويقال: إن صوم يوم

---

1) يأخذون الرشوة على تحريفهم كتاب الله وعلى حكمهم بين من يتحاكمون إليه، وقيل غير ذلك. انظر: الهداية 4/2976، وزاد المسير ص 579.
(2) سقطت من (م).
3) كذا في النسختين: (ومنهم...)، والذي في الهداية وغيره: ومعهم الذين...، وهو أظهر، فيكون المعنى: ويأكلها معهم الذين يكنزون الذهب والفضة. انظر هذا القول في: تفسير الطبري 6/357، والهداية 4/2976، والبحر المحيط 5/38.
(4) في (م): (والأمر).
5) رواه الطبري في تفسيره 6/360 من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الإسناد ص(33).
وأما أثر ابن عمر فقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز (1404) 3/342.
(6) سقطت من (ك).
(7) انظر: الهداية 4/2977، وزاد المسير ص 580.
(8) سقطت من (ك).
9) أو لأنها أعم وأشهر. وانظر القولين في: تفسير الطبري 6/362، والمحرر الوجيز 3/28، والبحر المحيط 5/39، وروح المعاني 5/280.
(10) سقطت من (ك).
(11) وقيل: في حكم الله وتقديره. انظر: الكشاف 2/260، والتفسير الكبير 16/12، والجامع لأحكام القرآن 8/122، والبحر المحيط 5/40.
12) في (ك): (أي في علم الله في كتاب الله أي اللوح المحفوظ). وانظر المراد بكتاب الله في: معالم التنزيل 2/278، والمحرر الوجيز 3/30.
(13) في (ك): (اثني عشر).
(14) انظر: زاد المسير ص 581، والتفسير الكبير 16/42.

منها يعدل صوم ثلاثين يوما· من غيرها إلا رمضان، فإن صوم يوم من رمضان يعدل [صوم][1] ثلاثين شهراً[2]، وكان القتال في الأشهر الحرم محرما· ثم نسخ[3].

[وقوله][4]: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: لا تعصوا الله في الأشهر الحرم، وخصص ذكرها لتعظيم قدرها[5].

وقيل: معناه: لا تنقلوا التحريم من شهر إلى شهر[6]، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا احتاجوا إلى القتال في المحرم قاتلوا وحرموا صفر، ثم يحرمون المحرم في العام الآتي ويحلون صفر، ويسمونها الصفرين، وربما حرموا ربيع الأول في بعض السنين، حتى اختلط الأمر[7]، فبينه الله بهذه الآية، ونهاهم عن النسيء، وهو تأخير التحريم إلى شهر غير المحرم، وأخبرهم أنه زيادة في الكفر، ومواطأة -أي: مشابهة[8]- لتحريم الله الأشهر الحرم[9].

وهذا معنى قول النبي ﷺ «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»[10]، ومعنى قوله ﷺ «ولا صفر»[11]، وأخبر الله أن [هذا][12] هو الدين القيم،

---

(1) سقطت من (ك)

2) أورد الغزالي في إحياء علوم الدين 1/237 حديثاً بلفظ قريب من لفظ المؤلف، قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار 1/187:« لم أجده هكذا، وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس «من صام يوماً من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما»»، وهذا الحديث الذي أشار إليه رواه الطبراني في معجمه الصغير (963) 2/164 ، وقد قال عنه الألباني: «موضوع». السلسة الضعيفة (413) 1/598.

(3) على قول جمهور العلماء. انظر: نواسخ القرآن ص 81، والجامع لأحكام القرآن 3/43.

(4) سقطت من (ك).

(5) انظر: تفسير الطبري 6/366،365، والكشاف 2/261.

(6) انظر: الهداية 4/2985، وزاد المسير ص 581.

(7) انظر: المحرر الوجيز 3/30،29، ومعالم التنزيل 2/279.

(8) في (ك): (زيادة في الكفر ليواطنوا عدة ما حرم الله مواطاة أي مشابهة).

(9) انظر معنى قوله تعالى (لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ) في: تفسير الطبري 6/372،371.

(10) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ (4662) 8/412 ، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة (1679) 4/319.وانظر دلالة الحديث على مراد المؤلف في: شرح النووي على صحيح مسلم 4/320، وفتح الباري 8/412.

11) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب لا صفر(5717) 10/211، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام (2220) 5/377. وفي المرد بصفر أقوال لأهل العلم منها ما ذكره المؤلف، وأكثر العلماء على أنه داء في البطن. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 5/379، وفتح الباري 10/211.

(12) سقطت من (ك).

أي: المستقيم: تحريم ما حرم الله من غير تغيير[1].

وقيل: (فَلَا تَظْلِمُوا[2] فِيهِنَّ) أي: في الأشهر كلها[3].

والأول أظهر؛ لأن العرب أكثر ما يستعملون الهاء والنون فيما دون العشرة، ثم يستعملون الهاء والألف[4].

(وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) أي: اجتمعوا وتعاونوا ليكف بعضكم بعضاً عن التكاسل والضعف، كما أنهم يجتمعون لقتالكم[5] ([وَاعْلَمُوا] [6] أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾) فقدموا التقوى تنصروا على الأعداء[7].

(إِنَّمَا النَّسِيءُ)[الآية:37] تأخير التحريم وتغييره، فهو فعيل بمعنى مفعول، ومن شدد ياءه فللتخفيف، والن··س·اء· في اللغة: التأخير[8].

(يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي: يصيروا[9] ضالين على القراءة بفتح الياء وكسر الضاد، ومن قرأ (يُضَلُّ) على ما لم يسم فاعله فمعناه: يضل الله الكفار به[10]، ومن قرأ ﴿ي·ض·ل﴾ بضم الياء وكسر الضاد فمعناه: يضل الكفار بعضهم بعضاً[11].

والذي سن لهم هذا النسيء أبو ثمامة بن عوف، وقيل: حذيفة بن عبد·

---

(1) انظر: زاد المسير ص 581، والتفسير الكبير 16/43.
(2) في (ك): (لا تظلموا).
(3) انظر: معالم التنزيل 2/278، والمحرر الوجيز 3/31.
(4) انظر: تفسير الطبري 6/367، وزاد المسير ص 581، والبحر المحيط 5/41.
(5) في (ك): (يجتمعون أمثالكم). وانظر: المحرر الوجيز 3/31، والتفسير الكبير 16/44.
(6) سقطت من (م).
(7) انظر: تفسير الطبري 6/368، والكشاف 2/261.
8) قرأ أبو جعفر وورش من طريق عنه (النسيُّ) بالتشديد وحذف الهمز، وقرأ الباقون (النَّسِيءُ)، وقراءة التشديد لغة في النسيء للتخفيف، وهما بمعنى، ومعناهما كما بينه المؤلف. انظر القراءتين وتوجيههما وبيان معنى النسيء في: الحجة لأبي علي الفارسي 2/324،323، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ص 804، والهداية 4/2988،2987، والمحرر الوجيز 3/32، ولسان العرب (ن س أ) 14/116، والنشر 1/314.
(9) كذا في النسختين، ولا موجب لحذف النون.
(10) في (ك): (به الكفار).
11) قرأ يعقوب (يُضِل)، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (يُضَلُّ)، وقرأ الباقون (يَضِلُّ)، وتوجيه هذه القراءات الثلاث كما أوضحه المؤلف. انظر: الحجة لابن خالويه ص 97،98، والهداية 4/2988-2990، والبحر المحيط 5/42، والنشر 2/210.

الكناني[1].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الآية:38]أي: اخرجوا إلى غزوة تبوك[2]، وهي بعد غزوة حنين والطائف[3]﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ أي: تثاقلتم وأحببتم المقام بأرضكم، لأنها كانت في وقت الحر وطيب الثمار[4]﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾أي: بدلاً من الآخرة[5]، فما الدنيا في جنب [الآخرة][6] إلا قليل[7].

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾[الآية:39]أي: إن لم تنفروا مع الرسول [ﷺ] أصابكم عذاب، واستبدل الله لرسوله [ ][8] غيركم ينصرونه، ولا تضرون الله شيئاً، [ولا تضرون الرسول ﷺ][9].

قال ابن عباس: استنفر النبي ﷺ حياً من [أحياء][10] العرب، فتثاقلوا، فأمسك الله عنهم القطر، فذلك هو العذاب[11].

وهذه الآية فيها تحريض عظيم[12]، حيث توعد من لم ينفر، وأوجب الخروج على المخفف[13] والمثقل، ومثلها ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا﴾ الآية[14]، وذلك كله لشدة الحاجة بالمسلمين في ذلك الوقت، والجهاد يجب على قدر

---

1) ويقال: إن أول من نسأ هو حذيفة بن عبدٍ الكناني، ثم توارث إحلال النسيء من بعده نسله حتى جاء منهم أبو مامة جنادة بن عوف، وعليه قام الإسلام. والخلاف في ذلك ليس وراءه طائل. انظر: الهداية 4/2990، والمحرر الوجيز 3/29، والجامع لأحكام القرآن 8/127.

(2) انظر: تفسير الطبري 6/372، وزاد المسير ص 583.

(3) وقد كان خروجهم في رجب من السنة التاسعة من الهجرة. انظر: البداية والنهاية 3/6،5.

(4) انظر: الهداية 4/2995، والكشاف 2/263،262.

(5) انظر: الكشاف 2/263، والبحر المحيط 5/44.

(6) سقطت من (ك).

(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/448، والمحرر الوجيز 3/34.

(8) تكررت في (ك).

(9) سقطت من (م). وليس في النسختين ذكر الصلاة والسلام على رسول الله .
وانظر معنى الآية بنحو ما أورده المؤلف في: تفسير الطبري 6/373، والجامع لأحكم القرآن 8/130،129.

(10) سقطت من (م).

11) رواه الطبري في تفسيره 6/373، وقد رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد،باب نسخ نفير العامة بالخاصة (2506) ص 380 مختصراً، قال الألباني في تعليق عليه: ضعيف.

(12) في (ك): (وفي الآية تحريض عظيم).

(13) في (م): (للمخفف).

(14) سورة التوبة، الآية (120).

الكفاية[1]، وقال ابن عباس وغيره: هذا كله منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾[2]، والأظهر أن ذلك ليس بنسخ، وإنما هو لاختلاف الأحوال[3].

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾[الآية:40] أي: [إن][4] لم تنصروا محمداً فإن الله كافيه، كما نصره يوم خرج من مكة مهاجراً ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ كان معه أبو بكر الصديق، ولم يخرجه الذين كفروا بالفعل، وإنما عزموا على أن يؤذوه، فأمره الله بالخروج، فكأنهم أخرجوه ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ الرسول [ﷺ] والصديق، اختفيا حين تبعهم المشركون في غار ثور ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ الرسول [ﷺ] ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ الصديق ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ وذلك حين عاينوا[5] المشركين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أي: يحفظنا ويكفينا ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ على الرسول [ﷺ] فسكن قلبه لما ثبته بكفاية الله، وأيده يوم بدر بالملائكة، وجعل كلمة الكفر سفلى مقهورة، وأهلها في [سفل][6] جهنم ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ أي: الكلمة التي أمر الله بها -وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله [ﷺ]- ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ أهلها ظاهرون غالبون، ولهم الدرجات العلى في الجنة[7].

لأبي بكر فضائل في هذه الآية كثيرة[8] تقر بها أعين[9] أهل السنة، وترغم أنوف

(1) انظر: الهداية 4/2997، والجامع لأحكام القرآن 8/130.

2) سورة التوبة، الآية (122). وقد رواه عن ابن عباس أبو داود في سننه، كتاب الجهاد،باب نسخ نفير العامة بالخاصة (2505) ص 380، وقد حسنه الألباني في تعليقه عليه. وقد روي مثله عن عكرمة والحسن وزيد بن أسلم. انظر: تفسير الطبري 6/374،373، وتفسير ابن كثير 2/372.

(3) وقيل: بل ذلك واجب على من استنفر. انظر: تفسير الطبري 6/374، والهداية 4/2997، والجامع لأحكام القرآن 8/130.

(4) سقطت من (ك).

(5) في (ك): (عاينا).

(6) سقطت من (ك).

(7) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/374-376، والهداية 4/2998-3003، وزاد المسير ص584،583 والجامع لأحكام القرآن 8/131-136. غير أن في تفسير المؤلف لقوله تعالى ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أن المراد بذلك ما كان يوم بدر غرابة، وأكثر المفسرين على أنه حين كانا في الغار، وعليه يدل السياق.

(8) في (ك): (لأبي بكر فضائل كثيرة في هذه الآية).

(9) في (ك):(عين).

الروافض[1].

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[الآية:41] شباباً وكهولا٠، فارغين ومشتغلين، مشاة وركبانا٠، من لا عيال له ومن له عيال[2].

وهذا[3] كله تحريض؛ وذلك أن المنافقين تخلفت منهم جماعة، وادعوا أن لهم أعذاراً، وكذبوا، وجاءت طائفة منهم يستأذنون في التخلف، فأذن لهم رسول الله ﷺ[4].

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾[الآية:42] أي: غنيمة[5] على مسافة قريبة[6] ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ أي: سهلا٠ هينا٠[7] ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ أي: الغاية التي يطلبونها، وهي تبوك، وقيل: ﴿ٱلشُّقَّةُ﴾ أي: المشقة[8] ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ إنهم عاجزون[9]، و﴿يُهْلِكُونَ[10] أَنفُسَهُمْ﴾ بالنفاق والكذب، فيصيرون إلى الهلاك والخلود في النار[11].

ثم أعلم الله رسوله [ﷺ] أنهم كاذبون، وأنه لو لم يأذن لهم لظهر له الصادق من الكاذب[12]، وفي الكلام شبهة عتاب؛ فلذلك بدأ بذكر العفو، تشريفاً لقدره، وتطييباً لقلبه

---

(1) في (ك): (الرافضة).
(2) انظر: زاد المسير ص 585، وتفسير ابن كثير 2/373.
(3) في (ك): (هذا) دون واو.
4) الآيات قبل هذه الآية في المؤمنين، ثم انتقل الحديث إلى المنافقين من قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾، وكلام المؤلف ليس على الآية السالفة، بل على هذا الموضع الذي انتقل فيه من حال المؤمنين إلى حال المنافقين. انظر : الهداية 4/3010،3009، والمحرر الوجيز 3/38،37، والتحرير والتنوير 10/105،103.
(5) في (م): (أي غبتم).
(6) انظر: تفسير الطبري 6/379، ومعالم التنزيل 2/287.
(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/449، ومعالم التنزيل 2/287.
(8) انظر القولين في: الهداية 4/3010، وزاد المسير ص 585.
(9) هذا تفسير لقوله تعالى ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾. وانظر نحو ما قاله المؤلف في: الهداية 4/3010.
(10) في (ك): (يهلكون) دون واو.
(11) انظر: تفسير الطبري 6/380، والجامع لأحكام القرآن 8/140.
(12) في (ك): (الكاذب من الصادق).

ﷺ[1]، فقال [تعالى][2]: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[الآية:43]صدق الله

ثم أخبره أن المؤمنين لا يستأذنون في التخلف عن هذا الخير العظيم، إنما يستأذن المنافقون الذين ارتابت قلوبهم[3]، أي: شكت في البعث[4] فاضطربت، والريب في اللغة أصله: القلق والانزعاج[5]، وقوله: ﴿فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۝٥٤﴾[6] أي: مقلق للقلب[7]، فلا يسكن إلى اعتقاد الحق[8]﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥﴾ لا يثبت لهم اعتقاد[9].

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾[الآية:46]أي: في الجهاد[10]﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾أي: لأزالوا الأعذار التي أعدوها[11]﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي: ما أراد[12] أن يخرجوا معك[13]﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي: كسلهم وفند عزمهم[14]﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟﴾ أي: قال لهم أصحابهم[15]﴿ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾مع الصبيان والمعذورين[16].

قال الحسن وعكرمة: نسخ هذا[17] بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن

---

(1) قيل هو استفتاح كلام، كما تقول أعزك الله، حصل كذا وكذا، ولم يجانب النبي في فعله الصواب لأنه كان مخيراً فيهم، وقيل: بل هو عتاب، ولكنه في غاية اللطف، وقال بعض العلماء: إنما فعل خلاف الأولى، وفي هذه الآية من مظاهر إكرام النبي وتوقيره ثلاثة ملامح: أولها: تقديم العفو على العتاب، وثانيها: العتاب بصيغة الاستفهام عن علة إذنه لهم، إشارة إلى أنه لم يأذن لهم إلا لعلة ومصلحة، وثالثها: بيان الحكمة من ترك الإذن لهم، وهو أنه لو لم يأذن لهم لتبين له الصادقون من الكاذبين. انظر: تفسير الطبري 6/380، والهداية 4/3013، 3012، وزاد المسير ص 586، 585، والجامع لأحكام القرآن 8/141، 140، وتفسير ابن كثير 2/375، 374، والتحرير والتنوير 10/107، 106.

(2) سقطت من (ك).

(3) انظر: تفسير الطبري 6/381، والبحر المحيط 5/49.

(4) انظر: الهداية 4/3015.

(5) ذكره الزمخشري في الكشاف 1/43، وأبو حيان في البحر المحيط 1/155.

(6) سورة سبأ، الآية (54).

(7) في (م): (مقلق القلب).

(8) انظر: روح المعاني 13/24.

(9) انظر: الهداية 4/3015، والكشاف 2/266.

(10) انظر: تفسير الطبري 6/382.

(11) انظر: التفسير الكبير 16/63، والجامع لأحكام القرآن 8/142.

(12) في (م): (ما أرادوا).

(13) أي: كره سبحانه أن يخرجوا معك قدَراً. انظر: تفسير ابن كثير 2/375.

(14) انظر: الهداية 4/3016، والكشاف 2/267.

(15) وقيل: بل المراد أنهم ألهموا ذلك خذلاناً. انظر: معالم التنزيل 2/288، وزاد المسير ص 586.

(16) انظر: تفسير الطبري 6/382، والبحر المحيط 5/50.

(17) في (ك): (نسخ هذا).

﴿لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ﴾[1] فأبيح لهم الإذن[2]، ولا يبعد أن يكون هذا الإذن في حق من يستأذن في الانصراف وقت تشديد الحاجة ثم يعود، والله أعلم[3].

ثم أخبر الله المؤمنين أن المنافقين لو خرجوا معهم إلى تبوك ما زادوهم إلا خبالا: أي فساداً وتفنيداً عن القتال[4]﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾أي: لأسرعوا ما بين صفوفكم يطلبون فتنة، والإيضاع: الإسراع في السير[5]، قال أبو إسحاق[6]: معناه: ولأسرعوا في فساد يخل بأموركم وينقضها[7].

[قوله][8] ﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ أي: يطلبون لكم فتنة بينكم، وقيل: الفتنة هنا: الشرك[9]﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ﴾ أي: في أصحابكم من يقبل منهم فتثور فتنة[10]، قاله قتادة[11]، وقال مجاهد والحسن وابن زيد: معناه: فيكم جواسيس يسمعون أخباركم وينقلونها إليهم[12].

﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ [مِن قَبۡلُ]﴾[13] [الآية:48]أي: لقد طلبوا أن يردوكم عن دينكم من

---

(1) سورة النور، الآية (62).
2) رواه الطبري في تفسيره 6/382 عن عكرمة والحسن. وقد روى أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب الإذن في القفول بعد النهي (2771) ص 423 نحوه عن عكرمة عن ابن عباس. وقد حسنه الألباني في تعليقه عليه.
(3) سبق خلاف العلماء في الجمع بين هذه الآيات عند تفسير قوله تعالى ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.
(4) انظر: معالم التنزيل 2/289، وزاد المسير ص 586.
(5) انظر: الهداية 4/3019، والمحرر الوجيز 3/41.
(6) في النسختين: (ابن إسحاق)، والتصويب من الهداية 4/3019، ولم أجد لابن إسحاق قولا في هذه الآية، المقصود أبو إسحاق الزجاج، وهو: إبراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج، منسوباً إلى صناعة الزجاج، لزم المبرد، ثم أدب الوزير القاسم بن عبيد الله، ثم صار نديم المعتضد، من كتبه: معاني القرآن، توفي سنة 311 هـ، وقيل غير ذلك. انظر: الأنساب 3/141، وبغية الوعاة 1/411، وسير أعلام النبلاء 14/360.
(7) معاني القرآن للزجاج 2/451.
(8) سقطت من (م).
(9) انظر القولين في: تفسير الطبري 6/384،383، ومعالم التنزيل 2/289.
(10) في (ك): (فتنته)، وكلمة (فتثور) كأنها هكذا في (ك)، وهي غير واضحة في (م) لخلل في تصويرها، والمؤلف لم ينقل هذا القول بنصه بل أورده بمعناه.
11) رواه الطبري في تفسيره 6/384 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وإسناده حسن كما مضى ص(2).
(12) رواه عن مجاهد الطبري في تفسيره 6/384 من طريقين: أحدهما طريق عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. هو طريق صحيح كما سبق ص(222).
ورواه الطبري كذلك عن ابن زيد. تفسير الطبري 6/384.
وأورده مكي في الهداية 4/3020،3019 عن الحسن، ولم أقف عليه مسنداً.
(13) سقطت من (م).

قبل، أي: من قبل تبوك[1]﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ أي: أفـ·كـ·روا في أي شيء يقلبون به الناس عن الإسلام[2]﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: نصر الله دين الإسلام، وأظهر أمره وشريعته[3].

[قوله تعالى][4]: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾[الآية:49] أي: في التخلف[5]﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾ قيل: معناه: لا تحوجني إلى مخالفتك وترك الخروج بغير إذنك، وقيل: إن بعض المنافقين قال: إن نساء الروم حسان، أخشى منهن الفتنة في ديني؛ فأذن لي في التخلف[6]، قال ابن عباس: هو الجد بن قيس[7]، قال ذلك وقصده النفاق.

﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾ أي: وقعوا، وأي فتنة أعظم من النفاق؟[8].

﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ﴾[الآية:50] أي: فتح ونصر ﴿تَسُؤۡهُمۡ﴾ أي: تحزنهم تلك الحسنة[9] ﴿وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ أي: هزيمة ﴿يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا﴾ أي: أخذنا حذرنا من قبل حلول هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ أي: إذ لم يحضروا القتال، ويفرحون بمصائب المسلمين[10].

﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَا﴾ أي: ناصرنا[11].

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/289، وزاد المسير ص 587.
(2) انظر: المحرر الوجيز 3/41، والتفسير الكبير 16/67.
(3) انظر: تفسير الطبري 6/385، والكشاف 2/268.
(4) سقطت من (ك).
(5) انظر: معالم التنزيل 2/290، والكشاف 2/268.
(6) زاد في (ك) بعدها: (ولا تفتني قيل معناه لا تحوجني إلى مخالفتك)، وهي مكررة من العبارة السابقة.
وانظر القولين في معنى ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾ في: معاني القرآن للزجاج 2/452،451، وزاد المسير ص 587.

7) في (ك): (الحر بن قيس). والجد بن قيس هو: ابن صخر الأنصاري، أبو عبد الله، كان ممن يغمص عليه نفاق، وقد قيل: إنه تاب وحسنت توبته، ومات في زمن عثمان رضي الله عنه، وهو الذي روي أن الآية نزلت يه، وهو غير الحر بن قيس بن حصن الفزاري، فهذا ابن أخي عيينة بن حصن، وهو أحد الوفد الذين قدموا على النبي ﷺ مرجعه من غزوة تبوك. انظر: الاستيعاب ص 189،128، والإصابة 1/575.

انظر أثر ابن عباس في تفسير الطبري 6/387، وهو من طريق ابن جريج عن ابن عباس، وابن جريج لم يلق ابن عباس، بل لم يثبت أنه لقي أحداً من الصحابة. انظر: تقريب التهذيب (4221) ص 624،82.
(8) انظر: معالم التنزيل 2/290، والجامع لأحكام القرآن 8/144.
(9) في (ك): (السيئة).
(10) انظر: تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/388،387، والمحرر الوجيز 3/42، والبحر المحيط 5/52.
(11) انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/145، وتفسير ابن كثير 2/376.

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ ﴾[الآية:52] أي: هل تنتظرون[1]﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى [ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ أي][2] : الخصلتين الجيدتين: إما أن ننصر، فلنا الأجر والغنيمة، وإما أن نقتل، فلنا الشهادة والجنة[3]، وحسنيين: تثنية حسنى[4] ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ ﴾ بغير واسطة، أو يسلطنا عليكم فنقتلكم بأيدينا[5].

﴿ قُلْ أَنفِقُواْ ﴾ أي: أنفقوا أموالكم في الجهاد أيها المنافقون، فإنها لا تقبل، لأنكم منافقون، وكانوا قد قالوا: نحن نساعدكم بأموالنا ونقعد[6].

ثم بين الله سبب كونهم لا يقبل منهم شيء فقال: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ ﴾[الآية:54] أي: ما منعهم القبول· إلا كفر·هم، فتكون ﴿أَن﴾ في موضع رفع، وقيل: تقديره: ما منعهم الله· القبول· إلا لأنهم كفروا[7].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[الآية:55] بخروجها من أيديهم كرها·، وباشتغالهم بها عن طاعة الله، وحزنهم على مصائب ت·صيبهم فيها ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي: تخرج أرواحهم وهم كفار[8]، وقال ابن عباس وقتادة: في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: لا تعجبك أموالهم في الدنيا، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة[9]، والأول اختيار الطبري والحسن[10].

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾[الآية: 56] أي: مسلمون مثلكم، وما هم بمسلمين، وإنما هم يفرقون من القتل، ويحلفون خوفاً من السيف[11]، والف·ر·ق: الخوف[12].

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/290، وزاد المسير ص 587.
(2) سقطت من (ك).
(3) انظر: تفسير الطبري 6/389،388، وتفسير ابن كثير 2/376.
(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/145.
(5) انظر: الهداية 4/3024، والتفسير الكبير 16/70.
(6) انظر: تفسير الطبري 6/390،389، والجامع لأحكام القرآن 8/146.
(7) انظر التقديرين في: الهداية 4/3027،3026، والبحر المحيط 5/55.
(8) انظر: معالم التنزيل 2/292،291، والكشاف 2/272.
9) رواه الطبري في تفسيره 6/391 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الإسناد ص(33)، كما رواه عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وإسناده حسن كما مضى ص(2).
10) رواه الطبري في تفسيره 6/391 عن الحسن، وهو قول الطبري، وقد وجهه بما ساقه المؤلف من بيان وجه تعذيبهم بها في الدنيا.
(11) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: معاني القرآن للزجاج 2/454، والهداية 4/3030.
(12) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 634، والجامع لأحكام القرآن 8/149.

(لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا)[الآية:57] أي: حصنا· يلتجئون إليه[1](أَوۡ مَغَـٰرَٰتٍ) في الجبال، جمع مغارة[2](أَوۡ مُدَّخَلٗا) ً يدخلون فيه[3](لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ) أي: هربوا من المسلمين[4] (وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ۝٥٧)أي: يسرعون، ومنه يقال: فرس جموح، أي: لا تدفعه ولا ترده بلجام[5].

(وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ)[الآية:58] أي: يعيب عليك، ويقول: أنت تعطي الصدقة لمن تحب[6]، واللمز: العيب، والفاعل منه: لماز ولـمزة[7]، وقرئ: ﴿يلمزك﴾ بضم الميم[8].

ثم بين الله المصارف التي أمر أن تصرف فيها الزكاة، وأن محمداً [ﷺ] لا يصرفها إلا بأمر من الله بقوله [تعالى][9]: (إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ)[الآية:60]الآية[10].

الزكاة تصرف في ثمانية أصناف كما في هذه الآية:

الأول: الفقراء، والفقير: المحتاج، مشتق من ف·ق·ر يفقر، بمعنى: كسر، فكأنه من الحاجة مكسور[11].

والثاني: المساكين، والمسكين مشتق من الاستكانة، وهي الخضوع والذل[12]، وقال بعض العلماء: الفقر والمسكنة اسمان لمعنى واحد، وقيل: الفقير: الذي لا شيء له، والمسكين: الذي له شيء يسير لا يكفيه، وقيل بالعكس[13].

---

(1) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/454، والكشاف 2/272.
(2) انظر: تفسير الطبري 6/392، والبحر المحيط 5/56.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/292، والجامع لأحكام القرآن 8/149.
(4) انظر: الهداية 4/3031، ومعالم التنزيل 2/292.
(5) في (ك): (لا يدفعه ولا يرده لجام). وانظر المعنى في: معاني القرآن للزجاج 2/455، والكشاف 2/272.
(6) انظر: تفسير الطبري 6/393، والبحر المحيط 5/57.
(7) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 747.
8) قرأ يعقوب (يلمُزك)، وقرأ الباقون (يَلۡمِزُكَ)، وهما لغتان. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/326، والنشر 2/210.
(9) سقطت من (ك).
(10) انظر: التفسير الكبير 16/80، وتفسير ابن كثير 2/378.
(11) انظر: معجم مقاييس اللغة 4/443، ومفردات ألفاظ القرآن ص 642.
(12) انظر: تفسير الطبري 6/396، ولسان العرب (س ك ن) 6/315.
13) انظر هذه الأقوال وغيرها في الفرق بين الفقير والمسكين في: تفسير الطبري 6/395-397، ومعالم التنزيل 2/294، وزاد المسير ص 589،590.

والثالث: العاملون عليها، وهم جباة الزكاة[1].

والرابع: المؤلفة قلوبهم، الذين في إيمانهم ضعف، فـيعطون[2] تطييباً لقلوبهم ليقوى[3] إيمانهم، وهو قول ابن عباس[4]، وقال الزهري: هم المسلمون من أهل الكتاب[5]، وقيل: هم قوم لهم شرف قد أسلموا، فيعطون ليسلم أتباعهم[6].

الخامس: الرقاب، فيعتق من الزكاة[7].

السادس: الغارمون، والغارم: من أصيب ماله، قاله مجاهد[8]، وقال قتادة والزهري: هو الذي لحقه دين يستغرق ماله[9].

السابع: في سبيل الله، يعطى المجاهدين[10].

الثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع، يعطى ما يكفيه في سفره[11].

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾[الآية:61] أي: صاحب أذن، ومعناه أنه يصدق كل من يحدثه، وقيل: هو من قولهم: أَذِنَ، بمعنى: سمع[12]، ومنه الحديث «ما أذن الله لشيء كأَذَنِهِ لنبي يتغنى بالقرآن»[13]، ومعناه: إن أحب صوت [بالقرآن][14]

(1) انظر: الهداية 4/3041، والكشاف 2/274.
(2) في (ك): (يعطون).
(3) في (ك): (ليتقوى).
4) رواه الطبري في تفسيره 6/399 عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وقد مر ضعف هذا الطريق ص (142).
(5) رواه الطبري في تفسيره 6/399.
(6) انظر: زاد المسير ص 590، والجامع لأحكام القرآن 8/164.
7) ورجح الطبري أن يكون ذلك في المكاتب وحده. انظر: تفسير الطبري 6/401، ومعاني القرآن للزجاج 2/456، والمحرر الوجيز 3/50.
(8) رواه عنه الطبري في تفسيره 6/401.
9) رواه الطبري في تفسيره 6/402،401 عنهما، وقد رواه عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه، وقد سبق ص(2) أنه طريق حسن.
(10) انظر: تفسير الطبري 6/402، ومعالم التنزيل 2/297.
(11) انظر: الهداية 4/3045، وزاد المسير ص 590.
12) هذان القولان اللذان حكاهما المؤلف ليسا متغايرين، بل هما قول واحد، وإنما القول الآخر إيضاح للقول لأول، وبذلك يتضح أن المؤلف لم يرد بقوله «وقيل» حكاية قول آخر في المعنى، بل أراد حكاية كلام آخر يؤيد ما ساقه أولاً. انظر: تفسير الطبري 6/405، والهداية 4/3049.
13) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن (5023) 9/87، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين (792) 2/408،407.
(14) سقطت من (ك).

[إلى الله][1] صوت نبي يرتل القرآن[2].

وهذه الآية نزلت في نبتل بن الحارث[3]، كان يمشي بالنميمة، ويقول: إن محمداً يصدق كل من يحدثه[4].

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: قل: إن كنت أذنا· فذلك خير لكم ممن يكذبكم[5].

[ثم][6] أخبر الله أن محمداً [ﷺ] إنما يصدق الله ويصدق المؤمنين، فأما المنافقون فإنما يظهر لهم التصديق بحديثهم وهو يعلم أنهم كاذبون[7]، والعرب تقول: آمنت فلانا·، وآمنت به، وآمنت له: أي صدقته[8].

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع: أي: ومحمد رحمة للمؤمنين[9]، وبالخفض: عطف على ﴿خَيْرٍ﴾ وتقديره: أذن خير· ورحمة·[10].

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾[الآية:62] إنهم مسلمون ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بالإخلاص والإيمان[11]، وتقديره: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه، فحذف أحد الكلامين لدلالة الثاني عليه[12].

﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ﴾[الآية:63] أي: يخالف، فكأنه يصير في حد آخر[13].

قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾[الآية:64] هذا إخبار من الله أن

---

(1) سقطت من (م).

2) وبيان المؤلف لمعنى الحديث تأويل، فإن الفعل (أذِن يأذن أذنا) بمعنى: استمع يستمع استماعاً. انظر: مجموع الفتاوى 6/141،140، وتعليق الشيخ علي الشبل على فتح الباري 9/87.

(3) في النسختين (نفيل بن الحارث)، والتصويب من الهداية 4/3050.

(4) هذا قول الزهري. انظر: تفسير الطبري 6/405، وأسباب النزول ص 248.

(5) انظر: تفسير الطبري 6/405، وزاد المسير ص 591.

(6) سقطت من (ك).

(7) انظر: الهداية 4/3051،3050، والتفسير الكبير 16/93.

(8) انظر: تفسير الطبري 6/406، ولبحر المحيط 5/65،64.

(9) في (ك): (بالمؤمنين).

10) قرأ حمزة وحده بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/329، والبحر المحيط 5/65، والنشر 2/210.

(11) انظر: تفسير الطبري 6/407.

(12) وقيل غير ذلك. انظر: الهداية 4/3053،3052، والكشاف 2/276، والتفسير الكبير 16/65.

(13) انظر: معالم التنزيل 2/300، والجامع لأحكام القرآن 8/179.

المنافقين يتكلمون بالقبيح، وهم يخافون أن يفضحهم الله بقرآن ينزله[1] فيهم، وأصل الحذر إعداد ما ينفي الضرر[2]،(قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟) إن الله سيظهر أسراركم[3]، روي أن سبعين من المنافقين نزل فيهم قرآن فيه ذكر أسمائهم، ثم نسخ رحمة لأبنائهم، لأنهم كانوا مسلمين[4]، ونزلت سورة براءة، فيها ذكر المنافقين بأوصافهم، من غير ذكر أسمائهم، وكانت تسمى الفاضحة[5].

(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ)[الآية:65] أي: سألتهم عن استهزائهم بالمسلمين (لَيَقُولُنَّ) إنما كنا نقول ذلك مزحاً[6].

قال قتادة: نزلت في قوم من المنافقين قالوا في غزوة تبوك: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام! هيهات، فأخبر الله رسوله بما قالوا، فأحضرهم، وسألهم، فحلفوا ما كانوا إلا يمزحون[7].

قال عمر: لقد رأيت عبد الله بن أبي بن سلول بين يدي رسول الله ﷺ، والحجارة تنكبه، [وهو يقول][8]: يا محمد، إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: (أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ)[9] أي: بعد أن آمنتم بظواهركم[10].

(إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ) يعني: من أسلم منهم وأخلص (نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ) وهم الذين

---

(1) في (ك): (منزل).
(2) انظر: المحرر الوجيز 3/54، والبحر المحيط 5/67.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/300.
4) ذكره مكي في الهداية 4/3056، والبغوي في معالم التنزيل 2/300، وقد نسبه البغوي إلى ابن عباس. ولم أقف عليه مسنداً.
(5) انظر: تفسير الطبري 6/408.
(6) انظر: الهداية 4/3057، وزاد المسير ص 593.
7) رواه الطبري في تفسيره 6/409 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وإسناده حسن كما مضى ص(2).
(8) سقطت من (ك).
9) رواه الطبري في تفسيره 6/409 بسنده عن ابن عمر، وليس عن عمر، وانظر: الهداية 4/3058، وتفسير ابن كثير 2/381، وما عند المؤلف من كونه عمر قد وافق فيه البغوي في معالم التنزيل 2/301. والله أعلم.
(10) انظر: معالم التنزيل 2/301، والكشاف 2/277.

ماتوا على النفاق[1].

ثم كذبهم الله في حلفهم: إنهم لمن المسلمين فقال: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[الآية:67] أي: متشابهون في الأفعال[2]﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي: يبخلون، فلا ينفقون في سبيل الله[3]﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أي: ذكره، وتركوا أمره ﴿فَنَسِيَهُمْ ﴾أي: تركهم فلم يوفقهم[4].

﴿هِىَ حَسْبُهُمْ ﴾[الآية:68]أي: جهنم تكفيهم وتسعهم[5].

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[الآية:69][أي: يعذب هؤلاء كما عذب الكفار الذين مضوا[6].

وقال الطبري: معناه: أن هؤلاء يستهزئون ويلعبون كالذين من قبلهم][7]، كانوا أقوى منهم وأكثر، فاستمتعوا بخلاقهم -أي: نصيبهم من الدنيا- فاستمتعم أيها المنافقون كما استمتع الكفار الذين من قبلكم بخلاقهم، وخضتم كخوضهم[8].

ثم قص الله عليهم قصص الكفار قبلهم ليخوفهم بما أصاب أولئك[9].

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ﴾مدائن لوط، ومعناه: المنقلبات[10].

ثم ذكر المؤمنين، وأنهم متوادون متناصرون، يأمرون بالمعروف فيما بينهم[11].

---

1) وقيل: المراد: لا بد من عقاب بعضكم، فإن عفي لبعضكم عن عقاب الدنيا فلا بد من عقاب آخرين. وفيها أقوال أخرى. انظر: تفسير الطبري 6/410، والبحر المحيط 5/68، وتفسير ابن كثير 2/382.

(2) انظر: الهداية 4/3060، والكشاف 2/278.

(3) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/460، ومعالم التنزيل 2/302.

4) انظر معنى قوله تعالى ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ بنحو ما ذكره المؤلف في: تفسير الطبري 6/411، ومعالم التنزيل 2/302.

5) في (ك): (تسعهم وتكفيهم). وقوله (وتسعهم) ليست من صلب معنى ﴿هِىَ حَسْبُهُمْ﴾، ولذا لم يذكرها المفسرون، وإنما أوردها المؤلف تهويلاً للعذاب. معنى الآية في: تفسير الطبري 6/412، وزاد المسير ص594 ، والتفسير الكبير 16/102.

6) وقيل: وعدكم كما وعد الذين من قبلكم. انظر: معالم التنزيل 2/302، وزاد المسير ص 594، والبحر المحيط 5/69.

(7) سقطت من (ك).

(8) هذا تلخيص لكلام الطبري في تفسيره 6/410.

(9) والمراد قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الآية.

(10) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 79.

(11) ونص الآية: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الآية.

قال أبو العالية[1]: كل ما في القرآن من الأمر بالمعروف فالمراد به الأمر بالإيمان، والمنكر الشرك[2].

أعد الله لهم جنات خلقها الله لهم قبل أن يخلقهم ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾[الآية:72] أي: [في][3] جنات إقامة ودوام، يقال: عدن الرجل، أي: أقام[4]، ومنه: المعدن، قاله ابن عباس[5].

وقال كعب[6]: عدن بالسريانية الكروم[7].

وقال عطاء: نهر في الجنة، جناته على حافتيه[8].

وقال ابن مسعود [والحسن][9] والضحاك: هي مدينة في الجنة، فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى، والناس حولهم بعد، والجنات حولها[10].

وقال الحسن: سألت أبا هريرة وعمران بن حصين عن ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ فقالا: على الخبير سقطت، سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك، [فقال][11]: «قصر في الجنة من لؤلؤ، فيه سبعون داراً من ياقوته حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة

---

1) هو المقرئ المفسر الحافظ، رفيع بن مهران الرياحي، أدرك زمن النبي ﷺ شاباً، وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، توفي سنة 93هـ. أو نحوها. انظر: سير أعلام النبلاء 4/207، وغاية النهاية 1/284.

(2) في (ك): (الشرك). وأثر أبي العالية رواه عنه الطبري في تفسيره 6/415 من طريق المثنى قال: حدثنا إسحاق، قال حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية. وهذا الإسناد قواه ابن حجر، وصححه السيوطي، وحسنه الألباني. انظر: العجاب 1/215، والإتقان 2/535، وتعليق الألباني على سنن الترمذي (3364) ص 763، والتفسير الصحيح 1/34-37.

(3) سقطت من (ك).

(4) انظر: معالم التنزيل 2/304، وزاد المسير ص 187.

(5) رواه الطبري في تفسيره 6/416 عن ابن عباس بلفظ: (جَنَّٰتُ عَدْنٍ): معدن الرجل: الذي يكون فيه.

(6) هو كعب بن ماتع الحميري، الحَبْر، أبو إسحاق، أدرك النبي ﷺ ولم يسلم إلا في خلافة عمر رضي الله عنه، ثقة، مات في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد 445/ 7، وسير أعلام النبلاء 489/ 3، وتقريب التهذيب (5684) ص812.

(7) رواه الطبري في تفسيره 6/417.

(8) رواه الطبري في تفسيره 6/418.

(9) سقطت من (ك).

(10) بين أقوالهم اختلاف، فابن مسعود رضي الله عنه يقول: بطنان الجنة -يعني: وسطها-، والحسن يقول: قصر من ذهب، وما حكاه المؤلف هو قول الضحاك. انظر الروايات عنهم في تفسير الطبري 6/418، 417.

(11) سقطت من (ك).

خضراء، في كل بيت سبعون سريراً»[1].

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضى الله عنهم أكبر من نعيم الجنة[2].

روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ «أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبدا.»[3].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾[الآية:73] أي: بالسيف[4]﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: بإقامة الحدود عليهم، قاله الحسن وقتادة[5]، وقال ابن عباس: جاهد المنافقين باللسان[6]، وقيل: بإقامة الحجج[7].

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ قال الضحاك: أي: اغلظ على المنافقين بالكلام[8]، وقيل: أي: على الجميع[9].

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾[الآية:74]نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول، وكان من كبار المنافقين، تكلم في غزوة تبوك بكلام قبيح، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز

---

1) رواه الطبري في تفسيره 6/416، وقال ابن الجوزي في الموضوعات2/46:«موضوع»، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار 2/1260:«ولا يصح»، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (6706) 14/451-454:«منكر جداً».

(2) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/461، وتفسير ابن كثير 2/384.

3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة (7518) 13/605، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2829) 6/300.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/305، والبحر المحيط 5/73.

5) رواه عنهما الطبري في تفسيره 6/420، وقد رواه عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وإسناده حسن كما مضى ص (2).

6) رواه الطبري في تفسيره 6/420 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).

(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/461، والهداية 4/3072.

(8) رواه عنه الطبري في تفسيره 6/420.

(9) انظر: الكشاف 2/281، وزاد المسير ص 595.

منها الأذل، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأحضره، وسأله، فأنكر، وحلف[1].

وقيل: نزلت في الجلاس بن سويد، تكلم بشيء قبيح، فسمعه ابن امرأته، فبلغه عنه[2].

﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ أي: عزموا على شيء لم يقدروا عليه، وهو إخراج الرسول[ﷺ] من المدينة[3]، وقيل: إن بعضهم هم بقتل النبي ﷺ[4].

﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ أي: ما أنكروا[5]، ومعناه: ما سبب إنكارهم وطغيانهم إلا الغناء وكثرة النعيم، فبطروا[6]، وكان سبب غناهم كثرة الغنائم مع الرسول [ﷺ]؛ فلذلك نسب الغناء إليه[7].

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾[الآية:75] الآية، نزلت في ثعلبة بن حاطب، كان يقول: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً أتصدق منه، فيقول النبي ﷺ: «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه»، فألح حتى دعا له، فاتخذ غنماً، فنمت كما ينمي الدود، فتنحى عن المدينة، حتى صار لا يشهد الجمعة، فقال النبي ﷺ: «يا ويح ثعلبة» ثلاث مرات، فلما نزل فرض الزكاة كتب النبي ﷺ كتاباً بها، ودفعه إلى رجل، وأمره أن يذهب فيأخذها، فأتى رجلاً من بني سليم، فأكرمه وأعطاه أكثر مما وجب عليه، وأتى ثعلبة، فطلب منه الزكاة، فمنعها، وقال: ما هذه إلا أخت الجزية، فنـزلت الآيات، فبلغه ذلك، فأتى بالزكاة، وأظهر التوبة، فلم يقبل منه؛ لأن الله أعقبه نفاقاً في قلبه إلى أن يموت وهو منافق؛

---

1) رواه الطبري في تفسيره 6/422 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، ومن طريق معمر، وقد رواه من طريق معمر أيضاً عبد الرزاق في تفسيره 1/283، وهو طريق صحيح كما سبق ص(257)، وقد مضى الكلام على رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وإنها بإسناد حسن ص(2)، إلا أن قول قتادة في سبب النزول يعد مرسلاً.

(2) رواه الطبري في تفسيره 6/421 عن عروة بن الزبير وعن ابن إسحاق، وهما مرسلان.
قال الطبري في تفسيره 6/422 ما ملخصه: أن الله سبحانه أخبرنا عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كاذبين على كلمة كلموا بها أنهم لم يقولوها، وجائز أن تكون نزلت في ابن أبيّ، وجائز أن تكون نزلت في الجلاس، ولا خبر عندنا يوجب الحجة، ويُتيقن به العلم فيمن نزلت، فنقول كما قال الله سبحانه: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾.

(3) هذا مأخوذ من أثر قتادة الذي أشار إليه المؤلف قبل قليل. انظر: تفسير الطبري 6/423.

(4) في (ك): (وقيل إن بعضهم نقل للنبي). وهذا القول مروي عن مجاهد، أخرجه الطبري في تفسيره 6/423.

(5) انظر: معالم التنزيل 2/306، والكشاف 2/282.

6) ولما كان ذلك الذي نقموه مما لا ينقم، بل يحمد عليه فإنهم لا ينقمون شيئاً. انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/190،189، وتفسير ابن كثير 2/387.

(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/462، ومعالم التنزيل 2/306.

لإخلافه الوعد الذي قال: لأصدقن[1].

(ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ)[الآية:79] أي: يعيبون على الذين يتصدقون بأموالهم تطوعاً، وذلك أن المنافقين كانوا إذا رأوا غنياً يتصدق قالوا: هذا مرائي، وإن رأوا فقيراً يتصدق قالوا: إن الله لغني عن هذا الشيء القليل، فيستهزئون بالفقراء الذين لا يجدون إلا جهدهم.

قال ابن عباس: تصدق عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية من ذهب، فقالوا: هذا مرائي، وكذلك عمر بن الخطاب، قسم ماله بينه وبين الفقراء، وذهب أبو عقيل الأنصاري، فعمل عملاً بصاعين من تمر، فذهب بصاع إلى أهله، وصاع تصدق به، فضحك المنافقون، واستقلوا صدقته[2].

ومعنى: (سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ) مثل قوله: (ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ) وقد تقدم[3].

(ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ)[الآية:80] أي: للمنافقين، كان النبي ﷺ هم أن يستغفر لهم، فأخبره[4] الله أنهم لا يؤمنون أبداً، وأن الاستغفار لا ينفعهم ولو استغفر لهم سبعين مرة[5]، ثم نزل

---

(1) خبر ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه رواه الطبري في تفسيره 6/425، ورواه غيره، من طريق علي بن زيد لألهاني عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال ابن حجر: «وهذا إسناد ضعيف بداً»، وقال القرطبي: «قلت: وثعلبة بدري أنصاري، وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان حسب ما يأتي بيانه في أول الممتحنة، فما روي عنه غير صحيح»، وقال الألباني:«»ضعيف جداً». انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/191 ، والكافي الشاف 2/283، والسلسلة الضعيفة (4081) 9/78-82.

2) ما ساقه المؤلف ليس كله من أثر ابن عباس، بل أوله فقط، وقد رواه أوله الطبري في تفسيره 6/430 من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق عطية العوفي، والذي فيه ذكر الأواقي المائة هو من رواية عطية العوفي. نظر الكلام على طريق علي بن أبي طلحة وبيان قوته ص(33)، وانظر الكلام على ضعف طريق عطية العوفي ص(142).

وذكر صدقة عمر رواها الطبري في تفسيره 6/433 عن ابن زيد.

صدقة أبي عقيل رويت من روايات متعددة، جاء في بعضها تسميته، وجاء في «رجل من الأنصار»، وجاء في بعضها «رجل». انظر: تفسير الطبري 6/430-433.

3) الآية من سورة البقرة (15)، وقد تقدم الكلام عليها من كلام المؤلف في اللوحة (7) من النسخة (م)، ومعناها عنده: يعاقبهم ويجازيهم على استهزائهم. ومذهب أهل السنة إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من ذلك في قوله (قَالُوٓاْ نَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ) وقوله (فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ)، ولما كان ذلك في مقابلة ستهزائهم وسخريتهم كان ذلك حسناً، بخلاف ما توهمه غير أهل السنة من أن الاستهزاء والسخرية لا تليق بالله تعالى. انظر: مجموع الفتاوى 7/75،74، و20/256، وتفسير ابن كثير 1/55،54، و2/390.

(4) في (ك): (فأخبرهم).

5) اختلف: أهَمّ رسول الله بالاستغفار لهم، أم شرع فيه، أم لم يهم ولم يشرع فيه؟ انظر: التفسير الكبير 16/117، وانظر معنى الآية في: تفسير الطبري 6/434، والبحر المحيط 5/78،77.

بعده في سورة المنافقين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ﴾ الآية[1]، فأخبر أن الاستغفار لا ينفعهم أصلاً[2].

﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾[الآية:81] أي: المتخلفون عن تبوك[3]﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾ أي: بقعودهم خلف النبي ﷺ، ومن قرأ ﴿خِلَٰفَ﴾ فهو من المخالفة، قيل: هو مصدر[4]، وقيل: هو مفعول من أجله[5].

وكانوا قد تعللوا بالحر، فإن تبوك غزوها في شدة الحر[6].

﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾[الآية:82]يعني: مدة الدنيا ﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾في جهنم، قاله ابن عباس[7].

وكان المخلفون نيفاً وثمانين رجلا٠[8].

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾[الآية:83] أي: ردك من تبوك سالما٠، فجاءتك طائفة منهم يستأذنونك لغزوة أخرى فامنعهم السفر معك، لأنهم قعدوا أول مرة يعني: عن تبوك[9].

﴿فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ۝٨٣﴾ أي: النساء والصبيان الذين يخلفون الرجال في البيوت،

---

(1) سورة المنافقون، الآية (8).

2) في (ك): (لا ينفعهم أبدا). وكون آية سورة المنافقون عقبت آية سورة التوبة، وأنها جاءت لحسم الاستغفار لهم بالكلية قد رواه الطبري في تفسيره 6/435،434 عن ابن عباس وعروة بن الزبير ومجاهد وقتادة والشعبي . وانظر: تفسير ابن كثير 2/390.

(3) انظر: معالم التنزيل 2/310، والكشاف 2/286.

(4) في (ك): (قيل إنه مصدر).

(5) في كلام المؤلف هنا غموض، وبيانه أن القراءة المتواترة (خِلَٰفَ) قد اختلف في معناها، فقيل: هي بمعنى:

بقعودهم خلف النبي ، أي: بعده، فانتصابها حينئذ على الظرفية، وهي مصدر من الفعل (خلف، يخلف)، وقيل: ل المعنى بقعودهم لمخالفة النبي ، وهي حينئذ مفعول لأجله، واشتقاقها ليس من الفعل (خلف)، بل من الفعل (خالف يخالف). وقد قرئ في الشاذ (خَلْفَ رسول الله)، وقد رويت عن ابن عباس وأبي حيوة وعمرو بن ميمون . انظر: تفسير الطبري 6/436،435، والبحر المحيط 5/81،80.

(6) يشير بذلك إلى قوله تعالى في الآية المفسَّرة (وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّ).

7) رواه الطبري في تفسيره 6/437 من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).

8) جاء ذلك في حديث كعب مالك رضي الله عنه في قصة توبة الله عليه وعلى صاحبيه رضي الله عنهم. وقد أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك (4418) 8/141-145، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة (2769) 6/239-247.

(9) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: الهداية 4/3087، والتفسير الكبير 16/120.

قاله ابن عباس وقتادة[1].

وقال الطبري: الخالفون: أهل الفساد، من قولهم: خ٠ل٠ف اللبن: إذا فسد، ومنه: خلوف فم الصائم[2].

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾[الآية:84]أي: من المنافقين ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾أي: لا تحضر دفنه[3].

نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول، وكان ولده مؤمنا٠، فسأل النبي ﷺ أن يعطيه شيئا٠ من ثيابه ليكفنه فيه؛ رجاء أن يخفف عنه ببركاته، فأعطاه قميصه يكفنه فيه، فأسلم بذلك القميص خلق كثير، لما أعجبهم من حسن خلق رسول الله ﷺ مع من كان يؤذيه، ثم إن النبي ﷺ هم أن يصلى عليه، فنـزلت هذه الآية، فلم يصل[4] عليه، رواه أنس بن مالك[5].

﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ ﴾[الآية: 86]أي: أهل الغنى والقوة.

﴿رَضُوا۟ ﴾[الآية:87] مع قدرتهم على الجهاد ﴿بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ أي: المتخلفين،

---

1) رواه الطبري عنهما في تفسيره 6/438، أما أثر بن عباس فهو بلفظ «الخالفون الرجال»، وهو من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33)، وأما أثر قتادة فهو بلفظ «أي: ع النساء»، وهو من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وإسناده حسن كما مضى ص(2). ووجه هذان قولان بما وجهه بهما المؤلف من أن المراد: مرضى الرجال وأهل الزمانة منهم، وكذلك النساء، لا النساء وحدهن، فإنهن لا يقال فيهن ﴿ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾. انظر: تفسير الطبري 6/438، والهداية 4/3088،3087.

2) نقله المؤلف من الهداية 4/3089، والعبارة ليست دقيقة، فإن الطبري رجح القول السابق حيث قال: «فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء... ولو وجه معنى ذلك إلى: فاقعدوا مع أهل الفساد ... كان مذهباً...». وبهذا يتبين أنه لا يرجحه، وإنما يرى احتمال اللفظ له. تفسير الطبري 6/439،438.

3) وقيل: لا تقم داعياً له على قبره. وانظر معنى الآية بنحو ما قاله المؤلف في: تفسير الطبري 6/439، وزاد المسير ص 599.

(4) في (م): (فلم يصلي).

5) أما سؤال ابنه تكفين أبيه في قميص النبي والصلاة عليه فإنه في الصحيحين، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف (1269) 3/177، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة (2400) 5/544.

أما ما روي في إسلام خلق كثير بسبب ذلك القميص فقد رواه الطبري في تفسيره 6/440 عن قتادة، وفيه أن النبي قال لما كُلِم في إعطائه القميص: «وإني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه»، وهو مرسل. انظر: الكافي الشاف 2/289.

أما ما روي من أن النبي لم يصل عليه، فهو الذي عناه المؤلف بقوله «رواه أنس بن مالك»، وقد أخرجه أبو على في مسنده (4112) 7/144، والطبري في تفسيره 6/440 كلاهما من طريق يزيد الرقاشي عن أنس. قال ابن ثير في تفسيره 2/349:«ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث يزيد الرقاشي، وهو ضعيف»، وهو مع ضعفه مخالف لما ثبت في الصحيحين من أن النبي قد صلى عليه. وقد سبق عزوه إليهما في بداية هذه الحاشية، وانظر: الجامع لأحكام القرآن 8/199.

والخوالف: جمع (خالف)، كفارس، وفوارس، وقيل: هو جمع (خالفة)، وهو الرجل الذين لا نجابة فيه[1].

(وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ)[الآية:90][أي: المعتذرون][2] (مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ) أي: أهل البادية (لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ) قال ابن عباس: هم قوم كانت لهم أعذار، فجاءوا، فقبلت أعذارهم، وقعد عن الاعتذار من كان منافقاً كاذباً في عذره[3].

وقال قتادة: (ٱلۡمُعَذِّرُونَ)[4] قوم اعتذروا ولا عذر لهم[5]، فذمهم الله تعالى[6]، والأول أظهر.

(لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ)[الآية:91] أي: الذين لا قوة [لهم][7] على السير والجهاد[8]، ولا على المرضى العاجزين بمرض، ولا على الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم في الجهاد، هؤلاء لا قتال عليهم، و(لا حرج)[9] أي: لا إثم (إِذَا نَصَحُواْ) أي: أخلصوا الإيمان من غير نفاق (مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ) أي: ما على المؤمنين المطيعين لله في ترك الجهاد لعذر (مِن سَبِيلٍ) أي: إثم[10].

(وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ)[الآية:92] أي: لتعطيهم شيئاً يركبون عليه[11]،

---

1) وعلى القول بأنه جمع خالفة يجوز أن يكون وصفاً للنساء، وعليه أكثر أهل التفسير. انظر: تفسير الطبري 6/442، ومعاني القرآن للزجاج 2/465، وزاد المسير ص 599، والجامع لأحكام القرآن 8/205، والبحر المحيط 5/85.

(2) سقطت من (م). وانظر: تفسير الطبري 6/444، ومعاني القرآن للزجاج 2/464.

3) رواه الطبري في تفسيره 6/444 مختصراً من طريق الضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس كما سبق ص(247).

(4) في (ك): (المعذورون).

(5) في (ك): (لا عذر لهم) دون واو.

(6) رواه الطبري في تفسيره 6/444.

(7) سقطت من (ك).

(8) زاد في (ك): (وهم أصحاء أقوياء).

(9) لم يرد المؤلف حكاية نص الآية، وإنما أراد حكاية لفظ نفي الحرج لبيان المراد بالحرج.

10) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها بها المؤلف في: تفسير الطبري 6/445، ومعالم التنزيل 2/315، والكشاف 2/291، وزاد المسير ص 600، والجامع لأحكام القرآن 8/208،207. غير أن الأدق في تفسير قوله تعالى (مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍ) ما عليه أكثر المفسرين: أي: من طريق بالعقوبة. وهو نفي للإثم بطريق اللزوم.

(11) انظر: المحرر الوجيز 3/71.

وهم قوم من مزينة مؤمنون[1].

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾[الآية:93]من غير عذر[2].

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[الآية:94]أي: من الغزو[3]﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ﴾لن نصدقكم، قد أخبرنا الله ببعض سرائركم[4].

﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾أي: سيرى ما تعملون من الآن فيما يستقبل، والله عز وجل إذا خلق شيئا رآه، فهو ناظر إليه وقت وجوده برؤيته القديمة، فقوله ﴿وَسَيَرَى﴾إنما تدل على حدوث المرئي بالرؤية القديمة[5].

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾[الآية:95]إذا رجعتم من سفركم إنهم كانوا معذورين[6]﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾أي: لا تقاتلوهم فلا تقاتلوهم[7]﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾أي: خبث، وتقديره: ذو خبث[8].

﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾[الآية:97]أهل البادية، وهم قوم معروفون، كانوا قريباً من المدينة، أظهروا الإسلام خوفاً من المسلمين، وأسروا الكفر، وتولوا الكفار سراً، فنزلت الآيات

---

(1) روي عن بعض التابعين، وعليه أكثر المفسرين، وفي الآية أقوال أخرى. انظر: تفسير الطبري 6/446 ، والمحرر الوجيز 3/71،70، والبحر المحيط 5/88.

(2) انظر: تفسير الطبري 6/448.

(3) في (ك): (إذا رجعتم إليهم من الغزو). وانظر المعنى في: المحرر الوجيز 3/72.

(4) انظر: تفسير الطبري /448، وتفسير ابن كثير 2/397، وروح المعاني 6/4.

5) هذا مذهب الأشاعرة ومن وافقهم، من نفي الصفات الاختيارية كالكلام والسمع والبصر، وأهل السنة على نه سبحانه يتكلم إذا شاء، وهم كذلك على أنه الله سبحانه يرى الخلق، ويسمع أصواتهم، واختلفوا في السمع الرؤية: أهما متعلقان بمشيئته وقدرته كالكلام؟ أم هما من لوازم ذاته كالعلم، والمأثور عن السلف هو القول الأول، والعلم عند الله تعالى. انظر: مجموع الفتاوى 13/72-74.

(6) انظر الهداية 3101، والتفسير الكبير 16/130.

7) هكذا في النسختين بالتكرار، وهي تفسير لقوله تعالى ﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾، ولعل صواب عبارة المؤلف(لئلا تقاتلوهم فلا تقاتلوهم).
قد تظاهرت أقوال أكثر المفسرين على أن المراد بالإعراض ترك تأنيبهم، لا رضى عنهم بل مقتاً لهم، ولم أجد يما اطلعت عليه من قال إن المراد بالإعراض عنهم ترك قتالهم. غير أن ابن عطية خالف أكثر المفسرين قال:«وقوله ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾: أمرنا بانتهارهم وعقوبتهم بالإعراض والوصم بالنفاق». انظر: تفسير الطبري 6/449، والمحرر الوجيز 3/72، والبحر المحيط 5/93، وروح المعاني 6/5.

(8) كذا في النسختين بإفراد (ذو). وأما التقدير الذي ذكره المؤلف فقد قيل به، والمعنى عليه: عملهم رجس ، قيل: بل هو وصف لهم أنفسهم أنهم رجس. انظر: معالم التنزيل 2/316، والتفسير الكبير 16/130، والجامع لأحكام القرآن 8/211، والبحر المحيط 5/94.

[فيهم][1].

والأعرابي: من سكن البادية وإن لم يكن عربي الأصل[2]، ووصفهم بالشدة في الكفر لغلظتهم وجلافتهم[3].

﴿وَأَجْدَرُ﴾أي: أقرب وأحق أن يجهلوا الشريعة لبعدهم عن مجالس العلم[4].

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾[الآية:98]أي: في سبيل الله وأداء الزكاة[5]﴿مَغْرَمًا﴾أي: يعدها غرامة ضائعة، لأنه لا يؤمن بالبعث، وإنما يصانع عن نفسه بها[6]﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي: ينتظر نائبة للمسلمين، ليظهر كفره، ويلتحق بأهل ملته[7]، والدوائر: ما تدور به الأيام من السوء[8]، و(السوء) بالضم: الاسم، وبالفتح: المصدر[9].

ثم أخبر الله تعالى أن من جملة أولئك الأعراب قوم مؤمنون[10]، يتخذون ما ينفقون قربات تقربهم من الله، ويطلبون بها صلاة[11] الرسول، أي: دعاءه لهم[12] ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾[الآية:99] أي: النفقات[13] ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ بضم الراء وإسكانها: لغتان[14]، وفي قربات -بالجمع- يجوز ضم الراء وفتحها وإسكانها[15].

---

1) سقطت من (ك). وقد أورد ابن الجوزي عن ابن عباس أنها نزلت في أسد وغطفان وأعراب من حول المدينة، وأورده الواحدي من كلام نفسه ولم يعزه إلى أحد، ولم أقف عليه مسنداً، وأورده السيوطي عن الكلبي من كلامه، وعزاه إلى أبي الشيخ. انظر: أسباب النزول ص 259، وزاد المسير ص 601، والدر المنثور 3/481.

(2) انظر: التفسير الكبير 16/131.

(3) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/465، وزاد المسير ص 601.

(4) انظر: الكشاف 2/292، والبحر المحيط 5/94.

(5) انظر: تفسير الطبري 6/451، وزاد المسير ص 601.

(6) انظر: معالم التنزيل 2/317، والكشاف 2/293.

(7) انظر: الهداية 4/3103، والجامع لأحكام القرآن 8/214.

(8) انظر: البحر المحيط 5/95.

9) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين، والباقون بفتحها، وتوجيه القراءتين كما قاله المؤلف. انظر: الهداية 4/3104،3103، والبحر المحيط 5/95، والنشر 2/210.

10) كذا في النسختين، ولا توجيه لها إلا بتقدير ضمير الشأن في (أن) فيكون تقدير كلام المؤلف: ثم أخبر الله تعالى أنه من جملة أولئك الأعراب قوم مؤمنون.

(11) في (ك): (صلوات).

(12) انظر: معالم التنزيل 2/318، وتفسير ابن كثير 2/398.

(13) وقيل: صلوات الرسول. انظر: تفسير الطبري 6/453، والبحر المحيط 5/95.

(14) روى ورش عن نافع بضم الراء، وقرأ الباقون بسكونها، وهما لغتان كما قال المؤلف. انظر: البحر المحيط 5/96، والنشر 2/162.

15) حكى هذه الأوجه الزجاج في معاني القرآن 2/465، ولم يقرأ بها أحد. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/332، والبحر المحيط 5/96.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[الآية:100] يعني: أول طائفة [أسلموا][1] مع رسول الله ﷺ، قال أكثر العلماء: الذين صلوا إلى القبلتين، وقيل: هم من أدرك بيعة الرضوان بالحديبية[2]، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ[وَقَٰتَلَ][3]﴾ الآية[4]﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ أي: المتأخرون من الصحابة، أي: الذين اتبعوا السابقين في الإيمان[5] والطاعات[6] ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أراد تقريبهم وإكرامهم[7]﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ رضوا بأحكامه، وسلموا لقضائه[8].

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾[الآية:101] أي: حول المدينة[9]﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضاً[10] ﴿مَرَدُوا۟﴾ عتوا، من قولهم: شيطان مارد، أي: عات، وقيل: معناه: دربوا على النفاق واعتادوا به، وقيل: معناه: أقاموا ولم يتوبوا، وقيل: ألحوا[11].

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ الأولى: كشف سرائرهم، قاله ابن عباس[12]، وقيل: هو أخذ نفقاتهم وهم كارهون، وإقامة الحدود عليهم[13]، والثانية: عذاب القبر[14]﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ في جهنم[15].

---

(1) سقطت من (ك).
(2) انظر بيان المراد بسبقهم، والخلاف في المراد بالسابقين في: الهداية 4/3107، 3106، وزاد المسير ص 602، وتفسير ابن كثير 2/398.
(3) سقطت من (ك).
(4) سورة الحديد، الآية (10).
(5) في (ك): (إلى الإيمان).
(6) انظر: تفسير الطبري 6/453، وزاد المسير ص 603، 602.
(7) قد مضى أن مذهب أهل السنة إثبات صفة الرضى لا تأويلها. انظر ص(95).
8) قال الطبري في تفسيره 6/456: «ومعنى الكلام: رض الله عن جميعهم... ورضي عنه السابقون الأولون من مهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، لم أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه وإيمانهم به وبنبيه عليه السلام»، وانظر: مجموع الفتاوى 11/194-198.
(9) انظر: تفسير الطبري 6/456.
(10) انظر: الكشاف 2/295، والمحرر الوجيز 3/75.
(11) كذا في النسختين، وفي تفسير الطبري والهداية لمكي: «لجّوا».
أما هذه الأقوال التي ذكرها المؤلف في المعنى فهي متقاربة، وإنما الخلاف بينها اختلاف عبارات. انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري 6/456، والهداية 4/3136، 3135، والبحر المحيط 5/97.
(12) رواه عنه الطبري في تفسيره 6/457. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 7/34: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، وهو ضعيف»، والحسين هو شيخ الطبري الذي روى عنه هذا الحديث.
(13) انظر: الكشاف 2/296، والجامع لأحكام القرآن 8/220.
(14) على قول أكثر المفسرين. انظر: المحرر الوجيز 3/76، وزاد المسير ص 603.
(15) ولا خلاف بين المفسرين في ذلك. انظر: المحرر الوجيز 3/76.

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾[الآية:102] أي: منهم منافقون، ومنهم آخرون مؤمنون[1]، تخلفوا عن الجهاد تكاسلاً، ثم اعترفوا [بذنوبهم][2] وتابوا ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو الاعتراف ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو التخلف عن الجهاد[3]﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: سوف يتوب [الله][4] عليهم[5]، مثل قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾[6]، فإنها للتحقيق لا للترجي[7].

وكان قد تخلف عن تبوك عشرة من المؤمنين، فلما رجع النبي ﷺ بادر سبعة منهم، فربطوا أنفسهم إلى سواري المسجد، وحلفوا أن لا يطلقهم إلا النبي ﷺ، وكان[8] النبي ﷺ إذا قدم من السفر بدأ بالمسجد، فصلى ركعتين، فنـزلت هذه الآية فيهم، وبقيت الثلاثة الآخرون، فأمر النبي ﷺ الناس أن يهجروهم[9]، فضاقت عليهم الأرض، [ثم تاب الله عليهم][10].

وفيهم نزل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾[11].

وقيل: الذي ربط نفسه هو أبو لبابة الأنصاري، وذنبه تخلفه عن تبوك[12]، وقيل: خيانته في رسالته حين[13] أتى بني قريظة[14].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/459،والجامع لأحكام القرآن 8/220.
(2) سقطت من (م).
(3) انظر المراد بالعمل الصالح والعمل السيء في: الهداية 4/3137، والتفسير الكبير 16/139.
(4) سقطت من (م).
(5) انظر: تفسير الطبري 6/459، والبحر المحيط 5/99.
(6) سورة البقرة، الآية (189).
7) ومن العلماء من يحملها في مثل هذا الموضع على وقوع الرجاء من المخاطبين. انظر: تفسير الطبري 1/197، ومغني اللبيب ص 317.
(8) النون ساقطة من (ك).
(9) في (م): (فأمرهم الناس أن يهجروهم)، وفي (ك): (فأمر النبي أن يهجروهم).
10) سقطت من (ك). وهذا الحديث قد رواه الطبري في تفسيره 6/460 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).
11) سورة التوبة، الآية (118). وهذا ليس من الحديث السابق، ونزول هذه الآية مشهور في الثلاثة الذين أخرت توبتهم، وقد رواه الشيخان من حديث كعب بن مالك، وقد مضى تخريجه ص (315).
(12) هذا مأخوذ من حديث ابن عباس السابق، ففيه تسمية أبي لبابة، وبيان قصتهم.
(13) في (م): (حتى).
14) وهو قول مجاهد فيما رواه ورقاء وعيسى بن ميمون وشبل عن ابن أبي نجيح عنه، وقد مضى الكلام على هذه الطرق وقوتها ص(222) وص(280). انظر أثر مجاهد في: تفسير الطبري 6/462،461.

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾[الآية:103] هذا أمر بالزكاة، قال ابن عباس: كان هؤلاء الذين اعترفوا تصدقوا بشيء، فأمر النبي ﷺ بأخذه للفقراء[1]، لتطهرهم الصدقة وتزكيهم بها[2]، وقوله ﴿بِهَا﴾ تأكيد[3]﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾أي: ادع لهم؛ إن دعاءك يسكن خوفهم، ويطمعهم في العفو[4]﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾لدعائك ﴿عَلِيمٌ ١٠٣﴾بتوبتهم[5].

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ [عَنۡ عِبَادِهِۦ][6]﴾ [الآية:104] هذا تسكين لخوفهم، وإعلام لهم أن الله تواب[7] ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: يقبلها ويجازي عليها[8]، وقيل: إن المنافقين قالوا: ما بال هؤلاء تخلفوا، ثم رضي محمد عنهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ يعني: المنافقين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ [عَنۡ عِبَادِهِۦ]﴾[9].

﴿وآخرون مرجئون﴾[الآية:106] أي: مؤخرون حتى يحكم الله فيهم[10]، ثم أنزل الله توبتهم في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾[11]، وهؤلاء [قوم][12] كانوا مؤمنين، وإنما أخرت توبتهم لأنهم لم يبادروا إلى التوبة[13].

---

1) في (م): (بأخذه الفقراء)، وفي (ك): (بأخذ للفقراء). وأثر ابن عباس رواه الطبري في تفسيره 6/463 من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).

(2) وقيل: تطهرهم أنت وتزكيهم بالصدقة. انظر: الهداية 4/3141.

(3) وهذا على القول بأن تاء ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ لخطاب النبي ، وليست تاء تأنيث. نظر: الهداية 4/3141.

(4) انظر: تفسير الطبري 6/463، والكشاف 2/297، والمحرر الوجيز 3/78.

(5) انظر مناسبة الاسمين الكريمين لمضمون الآية في: المحرر الوجيز 3/78، والبحر المحيط 5/100.

(6) سقطت من (م).

7) وقيل في مناسبة الآية غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 6/465، والتفسير الكبير 16/147،146، وتفسير ابن كثير 2/400.

8) انظر: معالم التنزيل 2/323. وقد أورد أئمة أهل السنة هنا أحاديث في أخذ الله تعالى الصدقات من عباده بيمينه، وتربيتها، ومن ذلك ما روه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب (1410) 3/35 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله :«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل» ، رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة (1014) 3/81، وانظر كلامَ الترمذي عن مثل هذا الحديث وإيمانَ أهل السنة به في سننه ص 167.

(9) ما بين المعقوفين ساقط من (م). وهذا قول ابن زيد كما في تفسير الطبري 6/466.

(10) انظر: الكشاف 2/298، والجامع لأحكام القرآن 8/230.

(11) سورة التوبة، الآية (118). وسيأتي نزول الآية فيهم في موضعها.

(12) سقطت من (ك).

(13) انظر: تفسير الطبري 6/468،467، وتفسير ابن كثير 2/402،401.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا﴾[الآية:107] أي: ومنهم[1] الذين اتخذوا [مسجداً][2]، ومن قرأ بغير واو جعله مبتدأ، وخبره ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ﴾ وقيل: خبره ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[3].

وهؤلاء كانوا اثني عشر رجلاً من المنافقين، يعتزون[4] إلى بني عوف، بنوا مسجداً بقباء ليجتمعوا مع أبي عامر، ويضارون المؤمنين المجتمعين بمسجد قباء، وليفرقوا الجماعات، وإرصاداً لأبي عامر الذي[5] كان قد حزب على المؤمنين وقاتلهم، فخذله الله[6]، وكان روميا[7]، [ثم][8] ترهب في الجاهلية، وجعل يدور على الناس، ويبشر ببعث محمد ﷺ، فبقي له أتباع وتلاميذ ورياسة، فلما بعث النبي ﷺ حمله الحسد وحب الرياسة على الكفر، فجعل يقول للناس: ليس هو هذا، وسيبعث النبي الذي كنت أذكره لكم، ثم إنه ذهب إلى مكة، وعبد الأوثان، وأتى مع المشركين[9] يوم الأحزاب، وجمع جمعاً، وقاتل، فخذله الله مع الأحزاب[10]، وكان النبي ﷺ قال له: «ألست كنت تبشر الناس بمبعثي؟[11]»، قال: لست هو، فقال النبي ﷺ: «الكاذب أماته الله طريداً وحيداً»، فهرب إلى الروم ليأتي بنجدة من عند ملك الروم، وكتب إلى المنافقين بقباء أن يبنوا مسجداً، ويعتزلوا فيه حتى يقدم، فذهب، وتنصر، ومات طريداً

---

(1) في (ك): (منهم) دون واو.
(2) سقطت من (م).
(3) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (الذين) بلا واو، وقرأ الباقون بالواو، وهي مكتوبة في أهل المدينة والشام لا واو، وفي توجيه القراءتين وجوه، منها ما ذكره المؤلف. انظر: الهداية 3150،4/3151، والبحر المحيط 101،5/102، والنشر 2/211.
(4) أي: ينتمون، ويغلب أن تطلق على الانتماء في الحرب. انظر: لسان العرب (ع ز و) 9/196
(5) في (م): (الذين).
(6) جاء هذا في روايات كثيرة عن السلف، واشتهر عند المفسرين. انظر: تفسير الطبري 6/469-473، وأسباب النزول ص 260-262، وزاد المسير 605،606، والكافي الشاف 2/299.
(7) كذا في النسختين، وهي فيهما ظاهرة الوضوح، ومضبوطة بالشكل، ولكن أبا عامر أوسي من بني عمرو ن عوف، وهو والد حنظلة بن أبي عامر الأنصاري. كما في: الإصابة 2/119. إلا أن تكون كلمة (أوسيا) تصحفت إلى (روميا).
(8) سقطت من (م).
(9) في (م): (مع المؤمنين).
(10) في (م): (الأعراب).
(11) في (ك): (ببعثي).

وحيداً، لعنه الله![1].

وهذا [يسمى][2] مسجد الشقاق[3]، ولما بنوه دعاهم رسول الله ﷺ، فحلفوا ما بنوه إلا تقرباً إلى الله تعالى، فهو قوله: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾[4].

وسألوا النبي ﷺ أن يأتيهم فيصلى فيه، فنـزل: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[5][الآية:108] أي: لا تقم فيه مصلياً[6]﴿لَّمَسْجِدٌ﴾ أي: أقسم بالله[7] ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ [مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ][8] أَحَقُّ أَن﴾ تصلي فيه[9]، وهو مسجد قباء[10]﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ أي: من أول عمارته بني لله تعالى[11]﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ من كل ما نهى الله عنه[12]، وهم المؤمنون في قباء[13]، وقال جماعة من المفسرين: معناه: يتطهروا[14] بالماء مع الاستجمار[15]، وقال جماعة من الصحابة: المسجد الذي أسس على التقوى: مسجد رسول الله ﷺ المشهور بالمدينة، والرجال المذكورون بالطهارة الصحابة رضي الله عنهم[16].

﴿شَفَا جُرُفٍ﴾[الآية:109] أي: طرف جانب الوادي[17]، والراء في ﴿جُرُفٍ﴾ تضم

---

1) قصة أبي عامر الراهب في مبدأ أمره، ثم في عداوته للنبي ومناوأته له، وقتاله مع المشركين من غزوة أحد إلى حنين، ثم لحوقه بالشام، وموته هناك، ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان 5/92 قريباً من سياق المؤلف، ولكن دون إسناد، وذكرها كذلك البغوي في معالم التنزيل 2/325 دون إسناد كذلك، والله أعلم.

(2) سقطت من (ك).

(3) والمشهور: مسجد الضرار. انظر ورود التسميتين في: تفسير الطبري 6/470.

(4) انظر: تفسير الطبري 6/470، وزاد المسير ص 606.

(5) هذا جزء من الأثر الذي سبق عزوه في بداية الآيات.

(6) انظر: معالم التنزيل 2/326، والجامع لأحكام القرآن 8/235.

(7) انظر: تفسير الطبري 6/473، ومعالم التنزيل 2/326.

(8) سقطت من (م).

(9) انظر: الهداية 4/3155.

10) هذا أحد القولين في الآية، وهو المشهور، وقيل: بل مسجد النبي ، وللقولين أدلتهما، وجمع بعض العلماء بين القولين فقال: كلاهما مراد بالآية. انظر القولين وأدلتهما في: تفسير الطبري 6/473-475، ومعالم التنزيل 2/327، وتفسير ابن كثير 2/403-405، وروح المعاني 6/20،19.

(11) انظر: الهداية 4/3155، والكشاف 2/300.

(12) انظر: الكشاف 2/300، والتفسير الكبير 16/156،155.

(13) في (ك): (بقباء).

(14) في (ك): (يتطهرون).

(15) قال مكي: «لا خلاف في هذا التفسير بين أهل التفسير». الهداية 4/3158، وانظر: تفسير الطبري 6/475-478، وتفسير ابن كثير 2/403-405.

16) روي عن عمر، وابنه عبد الله، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري. انظر: تفسير الطبري 6/473، وتفسير ابن كثير 2/405.

(17) انظر: معالم التنزيل 2/328، والمحرر الوجيز 3/84.

وتسكن، بمعنى واحد[1]، (هَارٍ) نعت للجرف[2]، ومعناه: منهدم مزلزل، من هار يهور: إذا انهدم[3] (فَٱنْهَارَ بِهِۦ) أي: انهدم ووقع[4]، قال ابن عباس: يعني: قواعده في جهنم[5]، وقال ابن جريج: انهار مسجد الشقاق بعد ثلاثة أيام، وصار الدخان يطلع من موضعه[6].

(رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ) [الآية:110] أي: شكاً وكفراً[7] (إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) أي: حتى يموتوا فتقطع قلوبهم، قاله ابن عباس ومجاهد[8]، وقيل: معناه: إلا أن تقطع قلوبهم من الندم ويتوبوا[9].

قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ [مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ][10]) [الآية:111] الآية، الأنفس والأموال ملك لله تعالى، وإنما ذكر الشراء لطفاً في الخطاب[11]، كقوله: (إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ)[12].

وفيه من الإشارات: أن يعرف الإنسان أنه لم يبق له نفس؛ فـلا يضن ببذلها[13] في الله [تعالى][14]، ولا مال؛ فـلا يبخل[15] به عن طاعة الله[16].

وفيه بشارة: أن الله اشترى -وهو عالم بالغيوب-، فلا يرد مؤمنا إن شاء الله[17].

واشترى وهو غني، وإنما اشترانا لإصلاحنا.

---

(1) وقد قرأ بسكون الراء حمزة وخلف وشعبة وابن عامر بخلف عن هشام، وقرأ الباقون بضم الراء، وهما لغتان، أو أن إسكان الراء للتخفيف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/338، والهداية 4/3160، والنشر 2/163،162.

(2) في (ك): (بمعنى واحد رفعت للجرف).

(3) انظر: تفسير الطبري 6/478، ومعالم التنزيل 2/328.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/328.

5) رواه عنه الطبري في تفسيره6/479 من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).

(6) رواه الطبري في تفسيره 6/479، وهو مرسل.

(7) انظر: زاد المسير ص 607، وتفسير ابن كثير 2/405.

8) رواه الطبري في تفسيره 6/480 عن ابن عباس رضي الله عنه، ورواه عن مجاهد، فأما أثر ابن عباس فمن طريق علي بن أبي طلحة السالف ذكره ص(33)، وأما أثر مجاهد فمن رواية شبل وورقاء وعيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقد سلف الكلام على هذه الطرق ص(222) وص(280)، وهي طرق ثابتة.

(9) انظر: معاني القرآن للزجاج 2/471، والبحر المحيط 5/105.

(10) سقطت من (م).

(11) انظر: التفسير الكبير 16/158، وتفسير ابن كثير 2/406.

(12) سورة التغابن، الآية (17). وانظر: الكشاف 30/26.

(13) في (ك): (فيضن بها ببذلها).

(14) سقطت من (م).

(15) في (ك): (فيبخل).

(16) أشار إليها القشيري في تفسيره 1/446.

17) روي عن الحسن أنه قال: «لا والله إن في الدنيا مؤمن إلا وقد أخذت بيعته». انظر: تفسير ابن أبي حاتم 6/1886، وزاد المسير ص 607، وتفسير ابن كثير 2/406.

قال ابن عباس: ثامنهم والله وأغلى لهم[1].

وروي أن عبد الله بن رواحة قال: يا رسول الله، اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا[2] به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعوا[3] منه أنفسكم وأموالكم»، فقال عبد الله: ما لنا إذا فعلنا ذلك؟ فقال: «الجنة»، فقالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل[4].

﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾[الآية:112]وما بعده مبتدأ، وخبره[5] مضمر، تقديره: لهم الجنة[6]، وقرأ ابن مسعود بنصب (التائبين) وما بعده، على أنه نعت للمؤمنين[7].

و﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ الراجعون إلى طاعة الله[8]، و﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ العابدون لله وحده[9]، و﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾ المثنون[10] عليه بأوصاف الكمال والجلال، والشاكرون[11] الله على كل حال[12]، و﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ أي: الصائمون، روي تفسيره عن رسول الله

1) المثامنة: المساومة والمقاولة على الثمن. انظر: لسان العرب (ث م ن) 2/134، والرواية عن ابن عباس ؛ردها السيوطي في الدر المنثور 3/501، وعزاها إلى الطبري، ولم أجدها فيه، وإنما روى الطبري نحوها عن الحسن وقتادة، وروى عن ابن عباس في تفسير هذه الآية:«﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ يعني: الجنة». تفسير الطبري 6/482.

(2) في (ك): (لا تشركوا).

(3) في (م): (ما تمنعوا).

(4) رواه الطبري في تفسيره 6/482 عن محمد بن كعب القرظي وغيره (كذا في الطبري)، وهذا مرسل، وانظر: الكافي الشاف 2/303.

(5) في (ك): (وخبر).

(6) وفي إعرابها وجوه أخرى. انظر: معاني القرآن للزجاج 2/471، والبحر المحيط 5/106.

7) وهي قراءة شاذة، ورويت عن أبيّ والأعمش، وقيل في توجيهها بما قاله المؤلف، وقيل: بل النصب على المدح، وليس على النعت. انظر: الكشاف 2/303، والبحر المحيط 5/107،106.

(8) انظر: تفسير الطبري 6/483، والمحرر الوجيز 3/88.

(9) انظر: الكشاف2/303، وتفسير ابن كثير 2/406.

(10) في (م): (والمثنون).

(11) في (ك): (الشاكرون) دون واو.

(12) انظر: معالم التنزيل 2/330، والمحرر الوجيز 3/89.

13) قال ابن كثير في تفسيره 2/407 -بعد ذكره لكثير ممن قال بهذا القول من السلف-:«وقد ورد في حديث مرفوع نحو هذا, وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع, حدثنا حكيم بن حزام, حدثنا سليمان، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله :«السائحون هم الصائمون»، وهذا الموقوف أصح, وقال أيضاً: حدثني يونس، عن ابن وهب، عن عمر بن الحارث، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير قال: سئل النبي عن السائحين, فقال: «هم الصائمون»، وهذا مرسل جيد، وهذا أصح الأقوال وأشهرها» يريد القول بأن السياحة هنا الصيام. وانظر: تفسير الطبري (طبعة دار المعارف) 14/503،502.

ﷺ[13]، وأصل السياحة: السير[1]، وفي الحديث:«سياحة أمتي الجلوس في المساجد»، يعني: الاعتكاف[2].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾[الآية:113] نزلت لما هم النبي ﷺ أن يستغفر لأبويه ولعمه أبي طالب كما استغفر إبراهيم لأبويه[3]، فأعلمه الله أن الاستغفار لهم لا يجوز من بعد ما تبين -بموتهم[4] على الكفر- أنهم أصحاب الجحيم، وأن إبراهيم أنما كان يستغفر لأبيه قبل أن يموت لأنه كان يعده بالإسلام، وهي الموعدة المذكورة هنا[5] ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ بموته على الكفر أن أباه ﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ قاله ابن عباس[6]، وقيل: الموعدة كانت من إبراهيم قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[7]، فاستغفر له حتى نهاه الله عن الاستغفار، فتبين له أن أباه عدو لله.

والأواه: الخاشع المتضرع، [روي تفسيره عن النبي ﷺ][8]، وأصله من التأوه، وهو قول الإنسان: آه، من حزن أو خوف أو غيره[9].

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾[الآية:115] للإيمان حتى يبين الله بالنهي ما

(1) قال بعضهم: وسمي الصائم سائحاً لأن السائح لا زاد معه. انظر: معجم مقاييس اللغة (س ي ح) 3/120، وزاد المسير ص 608، والقاموس المحيط (س ي ح) ص 225.

2) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، وأقرب ما وجدته ما رواه البغوي في شرح السنة (484) 2/371،370 عن سعد بن سعود أن عثمان بن مظعون استأذن النبي في الاختصاء... وفيه أن عثمان قال: ائذن لنا في السياحة، فقال:«إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»، فقال ائذن لنا في الترهب، فقال:«إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظاراً للصلاة»، ورواه التبريزي ي مشكاة المصابيح (724) 1/225. وقد ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (1314) 3/480.

ولم أجد تفسيره بالاعتكاف، بل أورده البغوي في باب فضل القعود في المسجد لانتظار الصلاة.

3) أما نزولها في عمه أبي طالب فقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (3884) 7/243، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (39) 1/173-175.

وأما نزولها في أبوي النبي فقد رواه الطبري في تفسيره 6/490 عن علي رضي الله عنه.

(4) في (م): (موتهم).

(5) انظر: زاد المسير ص 609، والبحر المحيط 5/108.

6) أما كون إبراهيم عليه الصلاة والسلام تبين له أن أباه من أصحاب الجحيم بموته فقد رواه الطبري في تفسيره 6/492 من طرق عن ابن عباس، وانظر: التفسير الصحيح 2/491.

أما تفسيره الموعدة بأن أباه كان يعده بالإسلام فلم أطلع عليه مسنداً، وقد أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن 8/250.

(7) سورة الممتحنة، الآية (4). وهذا القول أشهر. انظر: معالم التنزيل 2/333، والمحرر الوجيز 3/91.

(8) سقطت من (ك).

الحديث قد رواه الطبري في تفسيره 6/498 من رواية عبد الله بن شداد بن الهاد مرسلاً، وفي سنده شهر بن حوشب، صدوق كثير الإرسال والأوهام -كما في تقريب التهذيب (2846)- وقد عنعن.

(9) انظر: تفسير الطبري 6/499، والجامع لأحكام القرآن 8/252،251.

يجب عليهم تركه، وقيل: أراد بالضلال هنا: الاستغفار للمشركين، وكان جماعة قد هموا أن يستغفروا لآبائهم، فكان في هذا عذراً[1] لهم، ومعناه: إنكم لو استغفرتم لم تكونوا ضالين ولا عصاة قبل ورود النهي[2].

ثم أخبر سبحانه أنه يحيي ويميت وينصر؛ فلا تجزعوا من قتال عدوكم[3].

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[الآية:17] التوبة في اللغة: الرجوع، والنبي ﷺ خلقه الله تعالى مؤمناً مصوناً راجعاً إلى الله من يوم عقل، فهي التوبة في حقه[4]، وتاب الله على المهاجرين والأنصار، فعفا عنهم فيما سلف[5].

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي: غزوة تبوك كانت في حر شديد، وبالمسلمين فقر، وأصابهم في السفر[6] فاقة، حتى كان الرجلان يقسمان التمرة بينهما[7]، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أصابنا في غزوة تبوك عطش شديد، فدعا النبي ﷺ، فمطرنا

---

(1) كذا في النسختين، والصواب رفعها، إلا أن تكون على تقدير.

2) في (ك): (قيل ورد النهي). والقولان ليسا بمتغايرين، وإنما القول الثاني فرد من أفراد القول الأول، وهو ...صق بالسياق، والآية بعدُ عامة في كل ما يماثل الحال المذكورة، يوضح ذلك قول مجاهد فيما رواه الطبري عنه ...ي تفسيره 6/501، 500 من طرق قال:«﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ بيان ...له للمؤمنين لا يستغفروا للمشركين خاصة، وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة، فافعلوا أو ذروا». وانظر: تفسير الطبري 6/500، ومعالم التنزيل 2/335، وتفسير ابن كثير 2/410.

(3) انظر: تفسير الطبري 6/501، والتفسير الكبير 16/169.

4) اختلف في المراد بالتوبة في حق النبي على أقوال كثيرة، فقيل: تاب عليه من الإذن للمنافقين بالتخلف عن ...بوك، وقيل: تاب: أي رجع بعد تبوك إلى حالة أحسن من سابقتها، وقيل: ذكر النبي في السياق تشريفاً ...مهاجرين والأنصار بذكره في مقامهم، وقيل: تاب عليه، أي غفر له، فلم يؤاخذه بذنب -سواء وقع منه ذنب أم ...لا-، وقيل: التوبة في حق النبي هي رده من حال الغفلة إلى حال الذكر، وقيل غير ذلك، غير أني لم أقف على من قال بقول المؤلف. انظر: تفسير الطبري 6/501، ومعالم التنزيل 2/336، 335، وأحكام القرآن لابن العربي 2/595، ...المحرر الوجيز 3/92، والبحر المحيط 5/110، وتفسير البيضاوي 1/424، وروح المعاني 6/38، والتحرير والتنوير 10/219.

5) وقيل في التوبة على المهاجرين والأنصار غير ما قاله المؤلف. انظر: التفسير الكبير 16/170، والجامع لأحكام القرآن 8/253.

(6) في (م): (من السفر).

(7) انظر: تفسير الطبري 6/502، ومعالم التنزيل 2/336.

حتى اكتفينا، ولم نجد المطر جاوزت العسكر[1].

﴿من بعد ما كاد تزيغ [قلوب][2]﴾ أي: تميل قلوب فريق منهم، وهم الذين في إيمانهم ضعف، وذلك لما أصابهم من المحن[3].

ومن ذكّر ﴿يَزِيغُ﴾ فعلى تذكير كاد، ومن أنثه فعلى لفظ قلوب، وهي جماعة[4].

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة[5] ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ يقال: تاب الله عليك، أي: دعاك للتوبة، أو وفقك للتوبة، أو قبل توبتك[6]، وقيل: معنى: ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ ليثبتوا على التوبة، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[7] أي: دوموا على الإيمان[8].

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾[الآية:118] قد[9] تقدم ذكرهم[10]، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع[11] ﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ أي: تخلفوا عن تبوك، ثم تخلفوا عن التوبة[12]، وتقديره: وتاب الله على الثلاثة[13].

1) رواه ابن خزيمة في صحيحه (101) 1/52، وابن حبان في صحيحه (التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان) (1380) 3/69، والحاكم في المستدرك، كتاب الطهارة (566) 1/263، وغيرهم، وقد صححه بتخريجه له: ابن خزيمة وابن حبان، وقال الحاكم والذهبي: «على شرط الشيخين»، وقد قواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة 1/279، وقال ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق 1/76: «ورجاله كلهم مخرج لهم في الصحيح»، وقال الهيثمي في جمع الزوائد 6/195،194: «رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجال البزار ثقات»، وقد ضعفه الألباني في التعليقات الحسان الذي سلف العزو إليه. والله أعلم.

(2) سقطت من (ك).

(3) انظر: تفسير الطبري 6/501، وتفسير ابن كثير 2/411.

4) قرأ حمزة وحفص بالياء، وقرأ الباقون بالتاء، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/345، والهداية 4/3177، والبحر المحيط 5/111، والنشر 2/211.

(5) انظر: الهداية 4/3179، والجامع لأحكام القرآن 8/356.

(6) انظر: الهداية 4/3179.

(7) سورة النساء، الآية (136).

(8) انظر: الهداية 4/3178، والجامع لأحكام القرآن 8/356.

(9) في (ك): (وقد).

(10) عند تفسير قوله تعالى ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، وهي الآية (106).

11) وقد جاءت تسميتهم ونزول الآية فيهم في حديث كعب بن مالك في الصحيحين، وقد سبق تخريجه ص(315).

(12) هذان قولان مشهوران لأهل العلم، وقد جمع بينهما المؤلف، والذي قاله كعب بن مالك رضي الله عنه، صاحب القصة:« وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه». وهو حديث كعب الذي رواه الشيخان، والذي أشير إليه قبل قليل. وانظر القولين في: زاد المسير ص 611،610، والبحر المحيط 5/112، وتفسير ابن كثير 2/413.

(13) انظر: تفسير الطبري 6/503، والتفسير الكبير 16/172.

[قوله تعالى][1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ أي: مع محمد [ﷺ] وأصحابه السابقين[2]، وقرأ ابن مسعود (وكونوا من الصادقين)[3].

ثم عاتب المتخلفين عن تبوك، فقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾[الآية:120] الآية -قال ابن زيد: هي منسوخة [بقوله][4] ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾[5][الآية:122]- أي: ما كان ينبغي لهم ذلك؛ لأنهم إذا خرجوا معه ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ أي: عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي: جوع ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ مشيهم عليها ﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾ أي: يصيبون من الأعداء قتلاً أو غنيمة ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾ بذلك كله أعمال صالحة[6].

﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في سيرهم ﴿[إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ]﴾[7] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ أي: يجازيهم عن الحسنات، ويتجاوز عن السيئات، وقيل: معناه: يجازيهم في سيرهم إلى الجهاد أحسن ما كانوا يعملون من النوافل في إقامتهم في بيوتهم[8]، ويؤيده الحديث عن النبي ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم، الذي لا يفتر من[9] صيام ولا صلاة حتى يرجع إلى أهله»[10].

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾[الآية:122] أي: ما عليهم أن يخرجوا كلهم[11]،

---

(1) سقطت من (ك).
(2) انظر: معالم التنزيل 2/341، والمحرر الوجيز 3/95،94.
(3) ورويت كذلك عن ابن عباس. انظر: تفسير الطبري 6/510، والبحر المحيط 5/114.
(4) سقطت من (ك).
(5) رواه الطبري في تفسيره 6/511.
(6) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/511،510، ومعالم التنزيل 2/341، والجامع لأحكام القرآن 8/264،263.
(7) سقطت من (ك).
8) في (ك): (في بيوته). والقول الأخير هو قول الطبري. وانظر القولين في: تفسير الطبري 6/512، والتفسير الكبير 16/178.
(9) في (ك): (عن).
10) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة (1878) 5/34، ورواه مختصراً البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد (2787) 6/9.
(11) انظر: تفسير الطبري 6/512، والهداية 4/3189.

فلولا -هنا- بمعنى: لم لا نفر من كل فرقة منهم طائفة[1].

قال ابن عباس: هذه الآية في السرايا، أمروا أن لا يخرجوا كلهم، بل يخرج بعضهم، ويبقى بعضهم عند النبي ﷺ؛ ليتفقه القاعدون في الدين بمجالسة الرسول [ﷺ]، ولينذروا قومهم إذا رجعوا من الغزو، فيذكرون لهم ما سمعوا من العلم، لعلهم يزدادون خشية لله، وهو قول قتادة والضحاك[2].

وقال الحسن: ليتفقه السرايا بما يرون من فتح الله للمسلمين، وينذروا قومهم المشركين إذا رجعوا إليهم، لعلهم يحذرون بأس الله أن يحل بهم، وهذا اختيار الطبري[3].

وقيل: المراد بالن··ف·ر هنا: النفر إلى المدينة، والإقامة عند الرسول ﷺ، وقد كانت الهجرة واجبة قبل فتح مكة، فخفف الله بهذه الآية، وأمر أن يهاجر[4] من كل قبيلة طائفة·، ليتفقهوا في المدينة، ويرجعوا إلى قومهم، فيعلموهم، هذا معنى قول مجاهد[5].

---

(1) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص 401، والتفسير الكبير 16/180.

2) رواه الطبري في تفسيره 6/514 عن ابن عباس رضي الله عنه من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى كلام على قوته ص(33)، وعن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وإسناده حسن كما مضى ص(2)، ورواه عن الضحاك كذلك.

3) رواه الطبري في تفسيره 6/516 عن الحسن، وفي حكاية المؤلف لهذا القول تصرف يسير، حيث نص فيه على لفظة«السرايا»، وليس قول الحسن كذلك، ونص قوله عند الطبري «ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم»، قال الطبري بعد إيراده لهذا القول -مرجحاً له-:«وأما قوله (لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ) فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ من قال: يتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهلَ دينه وأصحابَ رسوله، على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك من مُعاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم، (لعلهم يحذرون) يقول: لعل قومهم، إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك، يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله حذرًا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرَهم، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب، وهو قول الحسن البصري الذي رويناه عنه...»، وهذا يوضح مراد الحسن، ويكون قوله هو القولَ التالي في ترتيب المؤلف.

(4) في (ك): (يهاجروا).

5) هذا القول أقرب إلى قول الحسن الذي مضى، وقول مجاهد رواه الطبري في تفسيره 6/513 من طريق عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال:« ناسٌ من أصحاب محمد ، خرجوا في البوادي، فأصابوا من الناس معروفا·، ومن الخصب ما ينتفعون به، ودَعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى، فقال الناس لهم: ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا، فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا·، وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي ، فقال الله:(فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ) يبتغون الخير (لِّيَتَفَقَّهُوا۟) وليسمعوا ما في الناس، وما أنزل الله بعدهم (وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ) الناس كلهم (إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾)». وقد مضى الكلام على هذا الطريق ص(222).

وقيل: نزلت في مضر [لما][1] دعا عليهم النبي ﷺ، فأجدبت أرضهم، فقدموا المدينة مسلمين، فغلوا الأسعار، وضيقوا الطرقات[2].

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾[الآية:123] أي: يقابلون بلادكم، فيجب على كل طائفة من المسلمين قتال الكفار الذين في جهتهم، فإن لم يكن فيهم كفاية وجب على من يليهم من المسلمين حتى تحصل الكفاية[3] ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أي: شدة وسطوة[4] ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ معكم؛ فلا تخافوا منهم[5].

وإذا أنزلت سورة فمنهم -أي: من المنافقين- من يقول: أيكم ازداد إيمانا بنزول هذه السورة؟[6] قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لأنهم آمنوا بها مع إيمانهم بما قبلها، وإن كان فيها أحكام التزموها، فازدادوا عبادة، وتجدد لهم ذكراً، وتورثهم خشية[7]، ويستبشرون بخطاب الله إياهم[8]، والذين في قلوبهم شك بالعكس من ذلك.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾[الآية:126] يعني: المنافقين، يختبرون في كل عام بالغزو والجهاد، فيظهر نفاقهم، وقيل: بالجوع والجدب[9].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ[10] سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[الآية:127] ويقول: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ فإن لم يرهم أحد من المؤمنين ﴿ٱنصَرَفُواْ﴾ لئلا يسمعوا القرآن[11]، وقيل: معناه: أن القرآن ينزل فيه أسرارهم التي فعلوها، وإذا قرئ القرآن نظر بعضهم[12] إلى بعض، وأشاروا هل

---

(1) كررت في (ك).

(2) رواه الطبري في تفسيره 6/514 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).

(3) انظر: تفسير الطبري 6/517، والجامع لأحكام القرآن 8/270.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/345، والكشاف 2/313.

(5) انظر: الكشاف 2/313، وتفسير ابن كثير 2/417.

(6) انظر: تفسير الطبري 6/518، والمحرر الوجيز 3/98.

(7) انظر: تفسير الطبري 6/519، 518، والهداية 4/3195.

(8) وقيل: يستبشرون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 6/518، ومعالم التنزيل 2/346، وزاد المسير ص 613، والتفسير الكبير 16/183.

(9) هذان القولان من أشهر ما قيل في الآية، وإلا ففيها أقوال كثيرة. انظر: الهداية 4/3197، وزاد المسير ص 613، والجامع لأحكام القرآن 8/271.

(10) في (م): (وأما ذا أنزلت).

(11) انظر: زاد المسير ص 613، والبحر المحيط 5/120.

(12) في (ك): (وإذا قرأه الرسول نظر بعضهم).

نظر إليكم أحد، فنقل عنكم، أم هذا من عند الله؟[1].

(صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم) أي: عن الهدى[2] (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾) ولا يتدبرون.

ثم ذكر الله المؤمنين منته فقال: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ) [الآية:128] وهو محمد ﷺ (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) أي: يعز عليه أن يصيبكم شيء يشق عليكم[3]، وأصل العنت: الهلاك، ثم يستعمل في المشقة[4] (حَرِيصٌ عَلَيْكُم) أي: حريص على إيمانكم، يود لو أنكم كنتم كلكم سعداء[5]، ويقف، ويبتدئ: (بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾)[6]، وهذان [اسمان][7] من أسماء الله تعالى، سمى بهما رسوله ﷺ[8].

ثم خاطب الرسول ﷺ فقال: (فَإِن تَوَلَّوْا) أي: أعرضوا[9] (فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ) أي: هو يكفيني[10]، عليه أتوكل، معتمداً على علمه وكفايته (وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾) صدق الله

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/522، والمحرر الوجيز 3/99.
(2) انظر: الهداية 4/3198، والبحر المحيط 5/120.
(3) انظر: تفسير الطبري 6/522، ومعالم التنزيل 2/347.
(4) انظر: الهداية 4/3200، ومفردات ألفاظ القرآن ص 590.
(5) انظر: الكشاف 2/314، والمحرر الوجيز 3/100.
(6) انظر: الهداية 4/3202، ومنار الهدى ص 351.
(7) سقطت من (م).
(8) في العبارة تجوز، وقد روي مثلها عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإلا فليست تسمية بل هي وصف. انظر: الكشاف 2/314، وزاد المسير ص 613، والجامع لأحكام القرآن 8/274، والبحر المحيط 5/122.
(9) انظر: البحر المحيط 5/122.
(10) انظر: تفسير الطبري 6/523.

سورة يونس عليه السلام

مكية[1].

(الٓر)[الآية:1]أنا الله [أرى][2]، قاله ابن عباس[3]، وعنه: أن معناه: أنا الله الرحمن[4]، وعنه: (الٓر) (حمٓ) (نون)[5]: حروف (الرحمن) مقطعة، وهو قول سالم بن عبد الله[6]، وابن جبير[7]، والزجاج[8]، وقال الطبري: هي تنبيه[9]، وقال عكرمة والحسن: هو قسم[10].

(تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ)أي: هذه آيات القرآن، وقيل: معناه: هذه الآيات هي معاني ما في الكتب المتقدمة[11].

ومعنى: (ٱلْحَكِيمِ ۝١)المحكم، الكثير الحكمة[12].

(أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ)[الآية:2] خبر كان هنا مقدم على اسمها، وتقديره: أكان وحينا إلى بشر عجباً؟[13]، وذلك أن العرب قالوا: الله أعظم أن يبعث بشراً رسولاً،

---

(1) وقيل: فيها آيات مدنية، واختلف في تعيينها. انظر: معالم التنزيل 2/349، وزاد المسير ص 615، والإتقان 1/29.
(2) سقطت من (ك).
(3) رواه الطبري في تفسيره 6/525.
(4) في (ك): (الرحمن الرحيم). وقد حكى هذا القول عنه (حسب ما أثبت في المتن) مكي في الهداية 5/3205، وابن الجوزي في زاد المسير ص 615، ولم أقف عليه مسنداً.
5) كتبت في (م): (الرحيم نون)، وهي في (ك) محتملة لما أثبت، ومحتملة لموافقة النسخة الأخرى، وما أثبته من مصادر التوثيق؛ وكتابة (نون) مخالفة لرسمها في القرآن (ن)، وقد كتبت في النسختين كما أثبتها، ولذا لم أضعها بين قوسين قرآنيين.
6) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عمر أو أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة، وكان يشبه بأبيه في هديه، توفي سنة 106هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 4/457، وتقريب التهذيب (2189) ص 360.
(7) رواه الطبري في تفسيره 6/525 عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسالم بن عبد الله.
(8) انظر قوله في معاني القرآن له 1/62.
9) كذا في الهداية 5/3205، والطبري رحمه الله لم يقل بهذا القول عينه، بل ذكر الأقوال المشهورة في الحروف المقطعة، من كونها أسماء للسور، وأنها دالة على حساب الجُمّل، وأنها من أسماء الله تعالى، وأنها قسم أقسم الله به، وأنها من أسماء القرآن، وأنها فواتح للسور، وأنها للتنبيه، وأنها هجاء الحروف جاءت للدلالة على أن القرآن مؤلف من هذه الحروف المعروفة، ثم رجح أن الحروف المقطعة تحوي هذه الأقوال كلها سوى القول الأخير (وهو المشهور)، وذلك لأنه لم يقل به أحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم. انظر: تفسير الطبري 1/118-128.
(10) في (ك): (هي قسم)، والأثر قد رواه الطبري في تفسيره 1/119 عن عكرمة، وأورده مكي في الهداية 5/3206 عن الحسن، ولم أقف عليه مسنداً.
(11) وقد رجح أكثر المفسرين القول الأول، وقال ابن كثير عن القول الثاني:«وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه». انظر القولين في: تفسير الطبري 6/526، والمحرر الوجيز 3/102، وتفسير ابن كثير 2/420.
(12) انظر: تفسير الطبري 6/527،526، ومعالم التنزيل 2/349، والكشاف 2/315.
(13) انظر: الكشاف 2/315، والجامع لأحكام القرآن 8/278.

ل.ـم. لا كان الرسول من الملائكة؟ فنـزلت هذه الآية[1].

وفيها بلاغة عظيمة: أخبر ببعثته، ثم بما أوجب تعجبهم، ثم ذكر الموحى إليه، ثم الموحى به -وهو[2] الإنذار-، ثم أخبر بالبشارة للمؤمنين، ثم ذكر المبش..ر به -وهو قدم صدق-، ثم ذكر جواب الكافرين عند الإنذار، كل ذلك في آية واحدة[3].

ومعنى ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أي: تـقدمة[4] صالحة، وهي الأعمال الصالحة التي يقدمونها[5]، وعن ابن عباس: هو ما تقدم لهم من السعادة في اللوح المحفوظ[6]، وقال الضحاك: معناه: ثواب حسن[7]، وقيل: شفيع صادق يتقدم وهم يتبعونه، وهو محمد ﷺ، قاله قتادة والحسن وزيد بن أسلم[8].

والقدم على أربعة أقسام: قدم الإنسان، والقدم: السابقة، والقدم: المتقدم، والقدم: الشجاع المقدام[9].

وفي الحديث «فيضع الجبار قدمه في النار»[10]، قيل: تأويله: أن القدم قوم عظام

1) رواه الطبري في تفسيره 6/527 عن ابن عباس من طريق الضحاك، وهو لم يلق ابن عباس كما سبق ص(247).

(2) في (م): (وهي).

(3) انظر: الهداية 5/3211.

(4) في (ك): (تقدم).

(5) وهو اختيار الطبري. انظر: تفسير الطبري 6/529، وتفسير ابن كثير 2/420.

6) رواه الطبري في تفسيره 6/528 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).

7) رواه الطبري في تفسيره 6/527 عن الضحاك من طريق جويبر عنه، وجويبر ضعيف جداً كما في تقريب التهذيب (994).

8) هو زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثقة عالم، مات سنة ١٣٦هـ. انظر: سير أعلام لنبلاء ٥/٣١٦، وتقريب التهذيب (٢١٢٩) ص٣٥١. والأثر قد رواه الطبري في تفسيره 6/529، 528 عن قتادة من لمريق سعيد بن أبي عروبة (وإسناده حسن كما مضى ص(2))، ورواه كذلك عن زيد بن أسلم، وفيه رواية ثالثة عن قتادة أو الحسن (كذا بالشك).

(9) انظر: الهداية 5/3212، ونزهة الأعين النواظر ص 486، 485، والقاموس المحيط (ق د م) ص 1147.

10) الحديث بمعناه، وقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (وتقول هل من مزيد) (4849) 8/756 لفظه «فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها»، ورواه في مواضع أخرى بألفاظ متقاربة. كما روه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2846-2848) 6/309-311 بألفاظ منها: «حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله»، ومنها: «حتى يضع رب العزة فيها قدمه».

الأجسام، يقدمهم الله إليها، وإضافتهم إلى الله إضافة ملك[1].

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾[الآية:3]أي: يدبر الأمور[2]، و﴿يُدَبِّرُ﴾ في موضع الحال، أي: استوى على العرش [مدبراً][3].

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ لا يشفع أحد عند الله حتى يأذن له.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾[الآية:4]منصوب على المصدر، أي: وعد الله وعداً حقاً[4] ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ يخلق الخلق من غير مثال[5]﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ للبعث[6]؛ ليجزي العاملين ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾ أي: بالعدل، لا ينقص من أجورهم شيئا·[7].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ في جهنم، والحميم: (فعيل) بمعنى (مفعول)، فمعناه محموم، وهو الشديد الحرارة[8].

﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾[الآية:5] [أي: وقدر له منازل][9]، وهي[10] ثمان وعشرون منزلة معروفة، ينزل القمر كل ليلة منزلة، ليعلم الحساب في التواريخ[11]﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي ما خلق شيئا· من ذلك عبثاً، وإنما خلق هذه الأشياء ليستدل بها على الحق،

---

(1) هذا من أقوال المؤولة كما في شرح النووي على صحيح مسلم 6/311،310، وفتح الباري 8/759،758. مذهب أهل السنة في ذلك مذهبهم في سائر الصفات: الإيمان بها كما أخبر الله ورسوله بها، من غير تأويل ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل. انظر: مجموع الفتاوى 3/92-95، و 5/50،7.
(2) انظر: تفسير الطبري 6/530، والكشاف 2/317.
(3) سقطت من (ك). وفي إعراب هذه الجملة وجوه أخرى. انظر: الهداية 5/3215، والبحر المحيط 5/128.
(4) انظر: الكشاف 2/317، والبحر المحيط 5/128.
(5) انظر: الهداية 5/3217.
(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/280.
(7) انظر: تفسير الطبري 6/531، والكشاف 2/318.
(8) انظر: تفسير الطبري 6/531، والمحرر الوجيز 3/105.
(9) سقطت من (ك).
(10) في (م): (وهو).
(11) انظر: الهداية 5/3219، والبحر المحيط 5/130.

في·عر·ف· وجود·ه وقدرت·ه، وت·شكر· نعمت·ه، وهو غني عن جميع ذلك[1]، وقد فسر ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بقوله ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: يبين الأدلة[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾[الآية:7] أي: لا يؤمنون بالبعث[3]، وقيل: إن الرجاء قد يأتي مع الجحد بمعنى الخوف، كقوله: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣﴾ أي: لا تخافون لله عظمة[4]، وقرأ قتادة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ الآية، فقال: إذا شئت رأيته صاحب دنيا، لها يفرح، ولها يحزن، ولها يرضى، ولها يسخط[5]، قال ابن زيد: هم أهل الكفر[6].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم﴾[الآية:9] أي: إلى الجنة بإيمانهم فيعرف الرجل منـزله في الجنة إلهاما·، وقيل: معناه: يزيدهم [هدى][7] وتوفيقاً لأجل تصديقهم[8].

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: من بين أيديهم، تقول بلد كذا تحت بلد كذا، أي جانبها، ومنه: ﴿قَدۡ جَعَلَ

(1) قال الطبري في تفسيره 6/532:«يقول جل ثناؤه: لم يخلق الله الشمس والقمر وما بينهما إلا بالحق، يقول الحق عالى ذكره: ذلك كله بحقٍ وحدي، بغير عون ولا شريك»، وقال أكثر المفسرين: معنى ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: أي: متلبساً الحق، فليس عبثاً، بل لإظهار قدرته وخلقه والدلالة على وحدانيته. انظر: زاد المسير ص 617، والبحر المحيط 5/130. وكلام الطبري هنا محتمل لقول الجمهور، ومحتمل لما حمله عليه أبو حيان حيث قال:«وقال ابن جرير : الحق هنا هو الله تعالى، والمعنى: ما خلق الله ذلك إلا بالله وحده لا شريك معه. انتهى، وما قاله تركيب قلق» . البحر المحيط 5/130.
والشاهد من هذا أنه حتى كلامُ المؤلف يمكن حمله على القولين معاً.

2) أشار إلى أنها جملة تفسيرية -إشارة بعيدة- أبو السعود في تفسيره 4/121، هذا إنما يتأتى على أن المراد بالآيات الكونية، وقال ابن عاشور: بل هي جملة مستأنفة. التحرير والتنوير 11/21.

(3) ولذلك فهو لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً. انظر: المحرر الوجيز 3/106، والبحر المحيط 5/131.

4) وهذا قول الطبري وغيره. انظر: تفسير الطبري 6/533، والمحرر الوجيز 3/107،106، والتفسير الكبير 17/32.

5) رواه الطبري في تفسيره 6/533 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وإسناده حسن كما مضى ص(2).

(6) رواه الطبري في تفسيره 6/534.

(7) سقطت من (ك).

(8) انظر القولين في: الهداية 5/3224،3223، والبحر المحيط 5/131.

9) سورة مريم، الآية (24). وانظر المعنى في: تفسير الطبري 6/535، والهداية 5/3225،3224، والمحرر الوجيز 3/107.

﴿ٱللَّهُمَّ﴾ -أي: تنزيها٠ لك من كل سوء يا الله[1]- ثم يطلبون فيعطون [فيقولون][2]: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ فهو آخر كل دعوة يدعون بها[3].

وقوله: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ﴾ ﴿أَنِ﴾ هنا: مخففة من الثقيلة، قاله سيبويه[4]، وأجاز المبرد[5] عملها مثل عمل المشددة[6]، ومنعه غيره[7].

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ يسلم الله عليهم، فيسمعون كلامه القديم[8]، وهو قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[9]، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾[10]؛ وتسلم عليهم الملائكة إذا دخلوا عليهم من كل باب؛ ويسلم بعضهم على بعض[11].

والتحية في اللغة: مشتقة من المحيا، وهو الوجه، فمعناه الاستقبال بوجه منبسط[12]، وقد يراد بالتحية: البقاء، ويراد بها: الملك، ويراد بها: الحيات؛ و«التحيات لله» فيها هذه المعاني الثلاث على الخلاف[13].

وقيل: معنى ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ أي: حياتهم فيها سلامتهم من الآفات[14].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾[الآية:11] أي: لو يستجيب الله للناس في

---

(1) انظر تفسير قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ بنحو ما فسره به المؤلف في: تفسير الطبري 6/535، ومعالم التنزيل 2/352.

(2) سقطت من (م).

3) هذا قول مشهور في الآية أن الآية في استدعائهم لما يريدونه في الحنة، وقيل: بل الآية عامة فدعاؤهم في الجنة مشتمل على التسبيح والتحميد. انظر: تفسير الطبري 6/535، وزاد المسير ص 617.

(4) الكتاب 3/165.

(5) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، النحوي، أبوالعباس، صاحب كتاب «الكامل»، قال الذهبي: «وكان آية في النحو»، مات سنة 286هـ. انظر: معجم الأدباء 5/479، وسير أعلام النبلاء 13/576.

(6) المقتضب 2/361.

(7) انظر: الهداية 5/3228.

(8) سبق التعليق على مثل هذه العبارة وبيان أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء. انظر ص(195).

(9) سورة الأحزاب، الآية (44).

(10) سورة يس، الآية (58).

(11) انظر: التفسير الكبير 17/38، والجامع لأحكام القرآن 8/284.

(12) وقيل: مشتقة من الحياة. انظر: الهداية 5/3226، ولسان العرب (ح ي ا) 3/429، 428.

(13) انظر هذه المعاني والخلاف فيها في: الجامع لأحكام القرآن 5/283، ولسان العرب (ح ي ا) 3/428، والقاموس المحيط (ح ي ي) ص 1278.

(14) انظر: الهداية 5/3226.

دعائهم على أنفسهم بالشر كما يستجيب لهم إذا سألوه بالخير لماتوا[1]، قيل: إن هذا الجواب لقول النضر ابن الحارث: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية[2]، وتقدير الكلام عند سيبويه: (وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ) استعجالا· مثل استعجالهم بالخير لماتوا[3]، لكنه يمهلهم، ويذر الكفار (فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾) أي: يتحيرون[4].

(دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ)[الآية:12] أي: دعانا مضطجعاً أو قاعداً أو واقفاً[5] (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ) أي: استمر على بغيه، كأنه لم يدع ولم يصبه ضر[6]، فكما زين له ذلك (كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ) أي: للكافرين[7].

(وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ)[الآية:13] أي: لأنهم لم يوفقوا، فكما أهلك الأولون (كَذَٰلِكَ نَجْزِى) هؤلاء (ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾)[8].

[قوله تعالى][9]: (ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ)[الآية:15] قال أهل مكة: يا محمد ائتنا من عند الله بقرآن غير هذا، ليس فيه ذكر البعث، ولا النهي عن عبادة آلهتنا، أو بدله أنت من عندك[10].

(قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ)[الآية:16] لأني إنما أتلوه بوحي من الله، ولا أنطق عن

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/536، ومعالم التنزيل 2/353.
(2) سورة الأنفال، الآية (32). وهذا القول حكاه بعض المفسرين. انظر: الهداية 5/3230، وزاد المسير ص 618.
(3) الكتاب 3/269.
(4) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/9، والجامع لأحكام القرآن 8/287.
(5) في (ك): (أو قائما). وانظر المعنى في: معالم التنزيل 2/354، وتفسير ابن كثير 2/424.
6) انظر تفسير قوله تعالى (مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ) بنحو ما فسره به المؤلف في: تفسير الطبري 6/538، والتفسير الكبير 17/43.
(7) انظر الجامع لأحكام القرآن 8/288، والبحر المحيط 5/134.
(8) انظر تفسيرها بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/538، والجامع لأحكام القرآن 8/288.
(9) سقطت من (م).
10) وذكر في المراد من طلبهم قول آخر، وهو أن يأتي بآية وعد مكان آية الوعيد، وعكسها، وتبديل آيات حلال بحرام، وعكسها. انظر: تفسير الطبري 6/540، ومعاني القرآن للزجاج 3/11، ومعالم التنزيل 2/355، وزاد المسير ص 619.
(11) انظر: تفسير ابن كثير 2/424.

هوى[11]﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم﴾ -بالمد- أي: ولو شاء الله ما أعلمكم به[1]﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرًا﴾ أربعين سنة[2]﴿[مِّن قَبۡلِهِۦٓ][3]﴾ أي: من قبل نزول القرآن[4]﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾ أي: لو كنت اختلقته لاختلقته في حال الشباب[5].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧﴾ أي: إن الأمر المقضي أن المجرم لا يفلح[6]، والفلاح: هو الظفر بكل محبوب، والنجاة من كل مكروه[7].

﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ﴾[الآية:18] أي: إن الله تعالى يعلم أنه ليس له شريك يستحق العبادة في السماوات ولا في الأرض[8]، سبحانه وتعاظم[9] عن شرككم.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[الآية:19] أي: على ملة الإسلام كلهم[10] ﴿فَٱخۡتَلَفُواْ﴾ بعد رفع إدريس[11]﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتقدير آجالهم[12] ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ بهلاك أهل الباطل[13].

---

1) يشير بقوله (بالمد) إلى أنها قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير -بخُلف عن البزي- (ولأدراكم). انظر: النشر 2/212. وانظر معنى قراءة الجمهور كما فسرها المؤلف في: تفسير الطبري 6/540، ومعالم التنزيل 2/355.

(2) انظر: الهداية 5/3237.

(3) سقطت من (م).

(4) انظر: معالم التنزيل 2/355.

5) يريد: لبثت فيكم عمراً من قبل نزول القرآن، وقد بلوتموني وخبرتموني، ولم تجربوا علي كذباً قط، أفأفعل هذا بعد أن كبر سني، وتقاصر أملي، واشتدت حنكتي وخوفي لربي؟. انظر: المحرر الوجيز 3/110، وانظر كذلك: معالم التنزيل 2/355، والجامع لأحكام القرآن 8/290.

(6) انظر: الهداية 5/3237.

(7) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 644، والمحرر الوجيز 3/111.

(8) انظر: معالم التنزيل 2/356، والبحر المحيط 5/138.

(9) في (ك): (تعاظم) دون واو.

(10) انظر: معالم التنزيل 2/356، وتفسير ابن كثير 2/426.

11) قول غير مشهور، وأشهر منه أنه إلى عهد نوح، وقيل: قتل ابن آدم أخاه، وقيل غير ذلك. انظر: البحر المحيط 5/139، وتفسير ابن كثير 2/426، وتفسير أبي السعود 4/ 133، وروح المعاني 6/84.

قول المؤلف: (بعد رفع إدريس) يشير إلى قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ (سورة مريم:57)، وقد اختلف في الرفع هنا: أهو بعد وفاته، أم قبل وفاته؟ وقد لقيه النبي ليلة عرج به في السماء الرابعة، وقد رجح المؤلف أن الرفع كان قبل وفاته، وذكر أثر كعب الأحبار في ذلك، وأنه قبض في السماء الرابعة، والأثر من الإسرائيليات، قال ابن كثير: «وفي بعضه نكارة». انظر: زاد المسير ص 889،888، وتفسير ابن كثير 3/133. وانظر كلام المؤلف في اللوحة (8) من الجزء الثاني من النسخة (م).

12) وقيل: أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، وقيل بهما معاً. انظر: تفسير الطبري 6/543، وزاد المسير ص 620، وتفسير ابن كثير 2/426.

(13) انظر: تفسير الطبري 6/543، والجامع لأحكام القرآن 5/292.

وقيل الناس هنا: العرب[1].

والأمة في اللغة لها معان: بمعنى الجماعة، كقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾[2]، وبمعنى الملة، كقوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[3]، وبمعنى الحين، كقوله: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ [مَّعْدُودَةٍ]﴾[4] أي: سنين معدودة، وبمعنى الإمام، كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[5] أي: إماماً[6].

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾[الآية:20] هو أعلم بالمصالح فيما طلبتم من ظهور الآيات التي اقترحتموها علي[7] ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ حكم الله بيني وبينكم[8].

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ[9] رَحْمَةً﴾[الآية:21] أي: إذا أصاب الكفار نعمة بعد شدة[10] ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ أي: استهزاء وتكذيب[11]، ويقولون: هذا من عند آلهتنا[12] ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي: أعظم من يقدر على تعجيل العذاب في غمرة النعم[13] ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ أي: الحفظة يكتبون كفركم[14].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾[الآية:22] من السير، وقرئ: ﴿ينشركم﴾ أي: يفرقكم في الأسفار[15] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أي: في السفن، وهي تذكر وتؤنث، وتطلق على الجمع والواحد[16] ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ أي: وجرت الفلك بالمسافرين بريح طيبة، وفرحوا بالريح

---

(1) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/12، والهداية 5/3239.
(2) سورة الأعراف، الآية (159).
(3) سورة البقرة، الآية (213).
(4) سقطت من (م). والآية من سورة هود، ورقمها (8).
(5) سورة النحل، الآية (120).
(6) انظر هذه المعاني للفظ الأمة في: الهداية 5/3240، ونزهة الأعين النواظر ص 144،143.
(7) انظر: الكشاف 2/325، والتفسير الكبير 17/52.
(8) انظر: تفسير الطبري 6/543، والبحر المحيط 5/139.
(9) في (م): (الإنسان).
(10) انظر: معالم التنزيل 2/357.
(11) في (ك): (إذا لهم مكر واستهزاء).
(12) انظر: الهداية 5/3242، وزاد المسير ص 620.
(13) سبق تقرير أن الله تعالى يمكر بالماكرين ص(237)، وقال الطبري هنا:«أي: أسرع مِحَالاً منكم، واستدراجاً لكم وعقوبة منكم من المكر في آيات الله». تفسير الطبري 6/544.
(14) انظر: معالم التنزيل 2/357، والجامع لأحكام القرآن 8/292.
(15) قرأها ابن عامر وأبو جعفر (ينشركم)، وقرأ الباقون (يُسَيِّرُكُمْ)، وتوجيه القراءتين كما أوضحها المؤلف.
انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/359، والبحر المحيط 5/141، والنشر 2/212.
(16) انظر: تفسير الطبري 6/545، ومعاني القرآن للزجاج 3/13، والجامع لأحكام القرآن 8/293.

﴿جَآءَتۡهَا﴾ أي: جاءت السفن·، وقيل: أي: جاءت الريح· الطيبة· ريح· أخرى عاصفة، أي: شديدة، وجاء المسافرين الموج· من كل جانب في السفينة[1]﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أي: غلب على ظنهم أن الهلاك أحاط بهم، وقيل: ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ هنا: أيقنوا[2]﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ﴾ في التوحيد، فلا يدعون في ذلك الوقت غيره، فكان المشركون إذا أصابتهم شدة مثل هذه قالوا: إن آلهتكم لا تنفع في هذا الوقت؛ أخل·صوا التوحيد وادعوا، فيخلصون، فيكشف الله عنهم، ثم يكفرون بعد ذلك[3]﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا﴾ أي: سلمتنا، وأصل النجاة: البعد عن المكروه، ومنه: الاستنجاء: إبعاد الأذى وإلقاؤه[4].

﴿إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ﴾[الآية:23] أي: يكفرون ويفسدون[5]﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ ضرره مقصور عليكم، والله يتقدس عن الضرر بكفركم[6]، و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ تمام الكلام، ثم قال: (□□□□□□□□□□□□□□□□□□)أي: هذا الذي أنتم فيه متاع، أي: منفعة ي·ت·بلغ[7] بها إلى وقت، ومن نصب ﴿مَّتَٰعَ﴾ فعلى المصدر، أي: يمتعون متاع، وقيل: الكلام متصل، ومعناه: إنما بغي بعضكم على بعض متاع، أي: منفعة فانية، فيكون ﴿بَغۡيُكُمۡ﴾ مبتدأ، و﴿مَّتَٰعَ﴾ خبره[8].

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[الآية:25] في مآلها للفناء[9]﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ[نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ][10]﴾ قال ابن عباس: أي تنبت بالماء من كل لون[11].

---

1) انظر تفسير قوله تعالى ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ بنحو ما فسره به المؤلف في: تفسير الطبري 6/544، ومعالم التنزيل 2/357، والكشاف 2/327.

(2) انظر القولين في: المحرر الوجيز 3/113، والجامع لأحكام القرآن 8/293.

(3) انظر: التفسير الكبير 17/57، والجامع لأحكام القرآن 8/294، 293.

(4) انظر: الهداية 5/3244.

(5) انظر: المحرر الوجيز 3/113، والبحر المحيط 5/143.

(6) انظر: معالم التنزيل 2/357، وتفسير ابن كثير 2/428.

(7) في (م): (يبلغ).

8) روى حفص عن عاصم (متاعُ) بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب، وتوجيه القراءتين وبيان معناهما كما أوضحه المؤلف في: الحجة لأبي علي الفارسي 2/360، والبحر المحيط 5/143، وتحبير التيسير ص 122.

(9) انظر: الكشاف 2/329، والتفسير الكبير 17/60، 59.

(10) سقطت من (م).

11) رواه الطبري في تفسيره 6/546 من طريق عطاء الخراساني، وهو لم يسمع من ابن عباس. انظر: العجاب 1/209، 208.

ووقف أصحاب نافع على ﴿فَٱخۡتَلَطَ﴾ أي: اختلط الماء بالأرض، فكان به نبات الأرض[1].

﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من الزرع، وتأكل الأنعام من المرعى[2]﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ أي: حتى إذا حصل في الأرض من النبات ما زخرفها وزينها، والزخرف في اللغة: تحسين الظاهر، ومنه: ﴿زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ﴾[3].

﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ﴾ على حصادها والانتفاع بنباتها[4]﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ أي: جائحة من عند الله بالليل والنهار[5]﴿فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾ أي: كالمحصود[6]﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ﴾ أي: لم تعمر بالنبات بالأمس[7].

﴿نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾ في فناء هذا الفاني، فينتهموا هممهم[8] إلى طلب الباقي[9].

ثم وصف الباقي الذي دعا إليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ﴾[الآية:25] أي: يأمر بالأعمال الصالحة التي هي سبب الوصول إلى الجنة[10]، وسماها: دار السلام، أي: دار الله، والسلام من أسماء الله تعالى، وقيل: أي: دار تحيتهم فيها سلام، وقيل: أي: دار السلامة[11].

﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ فيوفقه للعمل، فالدعوة عامة عدلاً وإعلاماً، والهداية خاصة

---

(1) انظر: الهداية 5/3250، ومنار الهدى ص 357.
(2) انظر: معالم التنزيل 2/358، والمحرر الوجيز 3/114.
(3) في النسختين: (زخرفاً من القول)، والآية التي أثبتها من سورة الأنعام، ورقمها (112). وانظر معنى الزخرف في: معاني القرآن للزجاج 3/15، والمحرر الوجيز 3/114.
(4) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/15، والكشاف 2/329.
(5) انظر: تفسير الطبري 6/547،546، وزاد المسير ص 621.
(6) انظر: تفسير الطبري 6/547، والكشاف 2/329، والتفسير الكبير 17/60.
(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/15، والهداية 5/3248.
(8) في (ك): (همهم).
(9) في (م): (الثاني).
(10) كذا قال بعضهم، وقال آخرون: والله يدعو إلى الجنة، والقولان متلازمان. انظر: تفسير الطبري 6/548، والجامع لأحكام القرآن 8/296
(11) انظر هذه الأقوال في: معالم التنزيل 2/358، والجامع لأحكام القرآن 8/296.

فضلا· وإنعاما·[1].

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الآية:26] قال ابن عباس: ﴿أَحۡسَنُواْ﴾ قالوا: لا إله إلا الله[2]، و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الجنة، والزيادة: النظر إلى الله تعالى، هكذا فسره رسول الله ﷺ[3]، وأبو بكر الصديق، وعلي ابن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر بن الخطاب، وابن عمرو بن العاص، وجرير، وجابر، وأبو هريرة، وأبو أمامة، وأبو سعيد، وأنس بن مالك، وحذيفة، وعدي بن حاتم، وأبو موسى، وأبو رزين العقيلي، وبلال، وصهيب، والحسن البصري، وقتادة، وكعب الأحبار[4].

وروى أبو موسى أن النبي ﷺ قال:«إن الله تعالى يبعث يوم القيامة مناديا· ينادي أهل الجنة بصوت يسمع به أولهم وآخرهم: إن الله وعدكم ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله»[5].

فمن أنكر الرؤية فقد خالف هؤلاء كلهم، ومن جسم أو شبه فقد خالف قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾[6]، والمحقق من يقول بالرؤية، وينزه عن التجسيم[7].

---

(1) انظر: المحرر الوجيز 3/115، وزاد المسير ص 622.

2) رواه الطبري في تفسيره 6/553 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).

3) روى مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (181) 1/393من حديث صهيب عن النبي قال:« إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا· أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا· أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» وفي رواية له «ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾».

4) بعض ما روي عنهم تفسير للآية، وبعضه الآخر إثبات للرؤية، وليس فيه ذكر للآية. انظر الرواية عن هؤلاء جميعاً في: تفسير الطبري 6/549-551، ورؤية الله للدارقطني ص24-164، والشريعة ص 266-290، وحادي الأرواح ص205 وما بعدها، وتفسير ابن كثير 2/429،167، وشرح العقيدة الطحاوية ص 159. وعلى كل فكان أولى بالمؤلف لو فصل تفسير النبي ﷺ عن تفسير الصحابة ومن بعدهم ولم يعطفهم عليه مباشرة.

(5) رواه الطبري في تفسيره 15/65،64(طبعة دار المعارف)، وقد ضعفه جداً الشيخ أحمد شاكر في تعليقه عليه، ويغني عنه الحديث الذي رواه مسلم، والذي سبق آنفاً.

(6) سورة الشورى، الآية (11).

7) الأشاعرة يقولون: إن الله تعالى يُرى لا في جهة، تنزيهاً له تعالى عن التجسيم، وقد سبق الكلام على إطلاق لفظ الجسم والجهة ص (223) وص(100).

﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ﴾ أي: لا يغشاها[1]﴿قَتَرٞ﴾ قال ابن عباس: هو الغبار الذي فيه سواد[2]، وكيف يغشاها كآبة بعد النظر إلى الله تعالى؟ أم كيف يصيبها ذلة بعد هذا العز العظيم؟.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[الآية:27] وهم الكفار، [لهم][3] ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾[4]، تركوا أمر الله؛ فتركهم في النار مخلدين[5]﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖ﴾ أي: مانع يحميهم[6]﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾أي: ألبست ظلاما·[7]، و﴿قِطَعٗا﴾بالتحريك: جمع قطعة [﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾] ويكون ﴿مُظۡلِمًا﴾حالاً[8]، ومن قرأ ﴿قِطْعاً﴾ بالتخفيف فالقِطْعُ: بعض الليل، كقوله ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾][9]، ويكون ﴿مُظۡلِمًا﴾نعتاً له[10].

﴿مَكَانَكُمۡ﴾[الآية:28] أي: اثبتوا مكانكم أنتم وآلهتكم، والعرب تقول في التهديد: مكانك، وانتظر[11]﴿فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: فرقنا بين الكفار والأصنام، وهو أن بعضهم يتبرأ من بعض[12]، قال مجاهد: يكون يوم القيامة ساعة فيها شدة، تنصب لهم آلهتهم، فتقول الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نبصر [ولا نعقل][13] أنكم كنتم تعبدوننا، فيقول الكفار:

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/360، والكشاف 2/331.

2) ذكره مكي في الهداية 5/3255، ولم أقف عليه مسنداً بهذا اللفظ، وقد روى الطبري في تفسيره 6/553 من رواية عطاء الخراساني عن ابن عباس قال:«سواد الوجوه». وعطاء لم يسمع من ابن عباس كما سبق ص (351).

(3) سقطت من (ك).

(4) تقدير (لهم) في إعراب ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ هو أحد الأوجه الإعرابية في الآية. انظر: الهداية 5/3255 ، والبحر المحيط 5/150،149.

(5) انظر: تفسير الطبري 6/554.

(6) انظر: زاد المسير ص 623.

(7) انظر: معالم التنزيل 2/360، والمحرر الوجيز 3/116.

(8) في النسختين (حال) غير منصوبة، ولا وجه لها كذلك.

(9) الآية من سورة هود، ورقمها (81)، وما بين المعقوفين ساقط من (ك).

10) قرأ ابن كثير ويعقوب والكساني بسكون الطاء (قِطْعًا)، وهو ما عبر عنه المؤلف بقوله «بالتخفيف»، وقرأ الباقون بفتح الطاء (قِطَعًا)، وتوجيه القراءتين كما أوضحه المؤلف غير أنه لم ينص -في قراءة الجمهور- على أن (مُظۡلِمًا) حال (مِّنَ ٱلَّيۡلِ)،وليست حالاً من (قِطَعًا). انظر القراءتين وتوجيههما في: الحجة لأبي علي الفارسي 2/361، والبحر المحيط 5/152، والنشر 2/212.

(11) انظر: تفسير الطبري 6/555، ومعاني القرآن للزجاج 3/16.

(12) انظر: معالم التنزيل 2/360، وزاد المسير ص 624،623.

(13) سقطت من (ك).

والله لإياكم كنا نعبد، فتقول الآلهة ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1] أي: شاهداً[2]﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾أي: ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين[3].

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ﴾[الآية:30] أي: في ذلك الوقت تختبر كل نفس جزاء ما أسلفت، مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾[4]، ومن قرأ ﴿تتلو﴾ بالتاء فمعناه: تقرأ كتاباً فيه ما أسلفت ، وقيل: معناه تتبع عملها فتجازى به[5]، وفي الحديث «إن كل أمة تتبع ما كانت تعبد حتى ترد النار»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية[6].

﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[الآية:30] ﴿ٱلْحَقِّ﴾ نعت لله[7]، ومعناه: رجعوا إلى الإله الحق، وذهبت آلهتهم التي كانوا يكذبون على الله بشركها[8].

ثم احتج عليهم بما كانوا يعترفون به من انفراد الله عز وجل بإعطاء الأرزاق، وتدبير[9] المخلوقات في الدنيا، فلما أقروا بذلك قال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾أن تشركوا معه سواه[10].

﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ عبادة الله حق، وعبادة غيره باطل ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾أي: فكيف تصرف عقولكم من الحق إلى الباطل[11].

ثم بين سبب انصراف عقولهم بأنه ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾[الآية:33]أي: كتب عليهم

---

(1) رواه الطبري في تفسيره 6/556.
(2) انظر: تفسير الطبري 6/556.
(3) سبق الكلام على مثل هذا الأسلوب اللغوي ص (173).
(4) سورة الطارق، الآية (9).
(5) قرأ حمزة والكسائي وخلف (تتلو)، وقرأ الباقون (تَبْلُواْ)، والمعنى على القراءتين كما بينه المؤلف. انظر : فسير الطبري 6/557، والحجة لأبي علي الفارسي 2/263، والنشر 2/212.
(6) أما حديث اتباع كل أمة ما كانت تعبد فذلك في الصحيحين، رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة) (4581) 8/315،314، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (183) 1/399. وأما تلاوة النبي لهذه الآية فقال الطبري في تفسيره 6/557:«روي بنحو ذلك خبر عن النبي من وجه وسند غير مرتضى» ، قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه عليه 15/81:«لم أجد نص الخبر في غير هذا المكان، مسنداً ولا غير مسند»، وقد أورده السيوطي في الدر المنثور 3/550 وعزاه لابن مردويه.
(7) انظر: انظر: معاني القرآن للزجاج 3/15، والهداية 5/2364.
(8) انظر: تفسير الطبري 6/558، والبحر المحيط 5/155.
(9) في (ك): (وتدبر).
(10) وقيل: أفلا تتقون عقابه مع شرككم، والقولان متقاربان. انظر: معالم التنزيل 2/361، والكشاف 2/333.
(11) انظر: زاد المسير ص 624، والتفسير الكبير 17/71.

في اللوح المحفوظ، وسبق علمه بكفرهم وشقاوتهم[1].

ثم احتج عليهم بأن آلهتهم لا تخلق شيئاً، وهم مقرون[2] بذلك، فهي غير قادرة على الإعادة، والله عز وجل قادر على ابتداء الخلق، وهم مقرون بذلك، فهو قادر على الإعادة التي ينكرونها[3]﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣٤﴾ أي: فكيف تقلب عقولكم عن تأمل الأدلة مع ظهور الحجج[4].

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ﴾[الآية:35] أي: يتكلم ببيان أمر يشكل عليكم، أو يرشد إلى صواب؟[5] ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ يبين بكلماته في كتابه طريق الحق، ويرشد ويوفق من يشاء إلى اتباع الحق[6]﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ أي: يعبد، أم الصنم الذي لا يهتدي هو في نفسه؛ لأنه لا سمع له ولا بصر ولا علم[7]﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أي: إلا أن يصرفه صارف، فيسلك به طريقاً[8]، والاستثناء هنا منقطع، أي: لكن يهدي[9].

وأصل ﴿□□□□﴾ يهتدي، ثم أدغمت التاء في الدال، ثم فتحت[10] الهاء لضرورة التشديد بعدها، إذ لا سبيل إلى الابتداء بمشدد، ومن القراء من اختلس فتحة الهاء بين الأصل والإدغام، ومنهم من قرأ بإسكانها على الأصل، وهذه الأوجه الثلاثة في ﴿نِعِمَّا﴾[11]، فإن أصلها: نعم ما، وفي ﴿يَخِصِّمُونَ ۝٤٩﴾[12]، لأن أصلها: يختصمون، وبعض

(1) انظر: تفسير الطبري 6/559، والتفسير الكبير 17/71.
(2) في (م): (يقرون).
(3) الآية المفسَّرَة هي قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.
(4) انظر: تفسير الطبري 6/559، والمحرر الوجيز 3/118.
(5) انظر: تفسير الطبري 6/560، ومعالم التنزيل 2/362.
(6) انظر: التفسير الكبير 17/73، وتفسير ابن كثير 2/432.
(7) سيأتي في كلام المؤلف تفصيل القراءات في ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ وتوجيه كل قراءة بعد قليل.
8) في معنى الآية قولان: قيل هي على ظاهرها، وقيل: أمن لا ينتقل من مكانه إلا أن ينقل. انظر: تفسير الطبري 6/560، ومعالم التنزيل 2/362.
9) قدره مكي وغيره -على قول من قال بانقطاع الاستثناء-:(لكنه يحتاج أن يهدى)، وقيل: بل الاستثناء متصل. انظر: الهداية 5/3265، والبحر المحيط 5/158،157.
(10) في (ك): (محت) غير منقوطة.
(11) سورة البقرة، الآية (271). وانظر ما فيها من قراءات في: النشر 2/178،177.
(12) سورة يس، الآية (49). وانظر ما فيها من قراءات في: النشر 2/265.

العرب يكسرون أحرف[1] المضارعة إذا كان الثاني من حروف الحلق، مثل: يهدي، ويعمل، ويحمل، ومن قرأ هنا ﴿يَهْدِي﴾ بفتح الياء وإسكان الهاء فمعناه: يهدي غيره[2].

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ أي: ما لكم تعبدون الأصنام؟، وهو تمام الكلام عند الزجاج[3]، وأبي حاتم[4]، وابن الأنباري[5]، ثم يبتدئ ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥﴾ أي: كيف تحكمون بعبادة من لا ينفع؟[6].

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾[7][الآية: 36] أي: ما يتبع أكثرهم إلا الظن، ما عندهم من دليل قاطع بعبادة الأصنام[8]﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي﴾ بدلاً من الحق، ولا يقوم مقامه[9].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾[الآية: 37] أي: ليس يقدر أحد على الإتيان بمثله، فهو معجزة محمد ﷺ[10]، ويقال: هذه الآية جواب لقولهم: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ

---

(1) في (ك): (حرف).

(2) قرأ أبو عمرو، وقالون بخلاف عنه (لا يَهَدِّي) بفتح الياء واختلاس فتح الهاء وتشديد الدال، وقرأ قالون في جه وأبو جعفر (لا يَهْدِّي) بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال، وقرأ ورش وابن كثير وابن عامر (لا يَهَدِّي) بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وقرأ شعبة (لا يِهِدِّي) بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، وقرأ حفص ويعقوب (لَّا يَهِدِّيَ) بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (لا يَهْدِي) بفتح الياء وسكون الهاء تخفيف الدال؛ وقد أجمل المؤلف توجيه هذه القراءات بعبارات وجيزة وافية بالمقصود، على أن في توجيه بعض قراءات خلافاً. انظر نسبة القراءات وتوجيهها في: الحجة لأبي علي الفارسي 2/366، 365، والجامع لأحكام القرآن 8/30، والبحر المحيط 5/157، وتحبير التيسير ص 123، 122، وإتحاف فضلاء البشر ص 313، 312، والقراءات العشر المتواترة (بحاشية المصحف الشريف) ص 213.

(3) معاني القرآن 3/20.

(4) هو: سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري، المقرئ النحوي اللغوي، تخرج به أئمة منهم المبرد، يل: صلى بالبصرة التراويح وغيرها ستين سنة، فما أخطأ يوماً ول لحن ولا أسقط حرفاً ولا وقف إلا على حرف تام، وقد مات سنة 255هـ. وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء 12/268، وغاية النهاية 1/320.
وانظر قوله في: القطع الائتناف ص 251، والمكتفى ص 308.

(5) هو: أبو بكر، محمد بن القاسم بن بشار، عرف بابن الأنباري، مقرئ نحوي، كان من أهل الصدق والدين وسعة الحفظ، ومن كتبه «الوقف والابتداء»، ولد سنة 272هـ.، ومات سنة 328هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 15/274، وغاية النهاية 2/230.
وانظر قوله في: إيضاح الوقف والابتداء 2/706.

(6) انظر: معالم التنزيل 2/362، والكشاف 2/334.

(7) في النسختين: (إن يتبع أكثرهم إلا ظنا).

(8) انظر: تفسير الطبري 6/561، والتفسير الكبير 17/75.

(9) انظر: الهداية 5/3267، وزاد المسير ص 625.

(10) انظر: تفسير الطبري 6/561، والبحر المحيط 5/158.

بَدِّلْهُ)[1].

(وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) أي: ولكن·· القرآن نزل تصديقاً للتوراة والإنجيل والكتب التي[2] نزلت قبله، فبين يديه -هنا- أي: قبله[3]، وكون هذا الكتاب مصدقاً لما قبله مع ظهوره على لسان رجل أمي لم يقرأ الكتب دليل على أنه من عند الله[4].

(وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ) أي: نزل القرآن تفصيلا· -أي: تبيينا·- لما كتب الله في اللوح المحفوظ على خلقه من الشرائع[5]، لا شك فيه أن هذا التصديق والتفصيل كلام[6] رب العالمين[7].

(أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ)[الآية:38] أم هنا منقطعة[8]، وتقديره: أيقولون: افترى محمد هذا القرآن؟ قل: فافتروا أنتم مثله، فإذا عجزوا وعلموا أنه ليس من مقدرة البشر علموا أنه من عند الله[9].

(وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم)أي: استعينوا بمن شئتم في الإتيان بمثله[10].

(بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ)[الآية:39]أي: كذبوا بالبعث ولم يعلموا أنه حق، فأنكروا ذكره في القرآن (وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ) أي: ولم يأتهم إلى الآن مآل هذا الوعيد المذكور في القرآن[11]، فإذا أتاهم يوم القيامة علموا أنه حق (كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من الأمم السابقة، فانظر كيف كان عاقبتهم، هلكوا بظلمهم.

---

(1) سورة يونس، الآية (15). وانظر هذا القول في: معاني القرآن للزجاج 3/20.
(2) في النسختين:(الذي)، وما أثبته يقتضيه السياق.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/363، وزاد المسير ص 626.
(4) انظر: التفسير الكبير 17/77،76، والبحر المحيط 5/158.
(5) انظر: تفسير الطبري 6/561، وزاد المسير ص626.
(6) في (ك): (بكلام).
(7) انظر: تفسير الطبري 6/561.
8) سبق التعريف بـ(أم) المنقطعة ص(283). وانظر كونها هي المنقطعة هنا في: البحر المحيط 5/159، ومغني اللبيب ص55.
(9) انظر: الهداية 5/3269، وتفسير أبي السعود 4/146.
(10) انظر: الهداية 5/3269، والكشاف 2/335.
11) هذا قول، وقيل: بل كذبوا بهذا القرآن ولم يفهموا تفسيره، وقيل: بل كذبوا بالقرآن وما فيه من الوعيد ولما يأتهم مآل وعيده. وهذا الأخير قريب من قول المؤلف. انظر: تفسير الطبري 6/562، ومعالم التنزيل 2/363 ، والمحرر الوجيز 3/121، وزاد المسير ص 626، وتفسير ابن كثير 2/433.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾[الآية:40]أي: علم الله أن من هؤلاء من يؤمن بالقرآن، ومنهم من علم أنه لا يؤمن به، وقيل: معناه: من يؤمن به في السر، فيعلم أنه حق، وهو مع ذلك يجحد ويعاند، لما غلب عليه من الحسد، ومنهم من يجهل كونه حقاً، فلا يصدق بقلبه[1]﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ﴾بما في سرائرهم من تصديق وتكذيب[2].

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي﴾[الآية:41]أجازى به ﴿وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡ﴾تعاقبون عليه[3]، قال ابن زيد: هذه الآية منسوخة بالقتال[4].

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾[الآية:42] أي: إلى قرآنك[5]، يستمعون بآذانهم، لكنهم لم يوفقوا للتدبر [والفهم][6]، فكأنهم صم ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾أي: [تسمع][7] القلوب الصم؟ يدل عليه قوله ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٢﴾[8].

وهذه مسلية[9] للرسول ﷺ[10].

وكذلك ذكر النظر بعده، كانوا ينظرون بأعينهم المعجزات، ولا ينظرون بقلوبهم وجه دلالتها على صدق الرسول[11]، بل من كشف لقلبه[12] علم[13] صد··ق الرسول بمجرد النظر إلى وجهه ﷺ، بل بمجرد سماع ذكره ﷺ، وقد روي أن رجلا· جاء إلى النبي ﷺ، فحين نظر إلى وجهه[14] قال: والله الذي لا إله إلا هو ما هذا وجه كذاب، ثم

(1) انظر القولين في الهداية 5/3271، والبحر المحيط 5/161.
(2) انظر: الكشاف 2/336، والتفسير الكبير 17/81.
(3) انظر معنى الآية بنحو ما ذكره المؤلف في تفسير الطبري 6/563، والجامع لأحكام القرآن 8/311.
(4) رواه الطبري في تفسيره 6/563.
(5) ومثله حديثه . انظر: المحرر الوجيز 3/122، والجامع لأحكام القرآن 8/311، وتفسير ابن كثير 2/434.
(6) سقطت من (ك).
(7) سقطت من (ك).
8) عبر بعض العلماء بنحو هذا التعبير، والمشهور أن المراد بوصفهم في الآيات بالصمم وبالعمى أنهم كالعمي الصم لشدة إعراضهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ويرون، وما قاله المؤلف قريب من هذا. انظر: الهداية 5/3273،3272، وزاد المسير ص 626.
(9) في (ك): (وهذا تسلية).
(10) انظر: البحر المحيط 5/162.
(11) انظر التعليق على تفسير الآية السابقة.
(12) سيأتي تعريف الكشف ص(461).
(13) في (ك): (عليهم).
(14) في (ك): (فحين رأى وجهه).

تقدم فأسلم[1].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾[الآية:44]أي: لا يعذبهم بغير ذنب؛ فيكون ذلك فيما يظهر لهم ظلما، فخاطبهم بما يعرفون بينهم، ولو عذبهم بغير ذنب لم يكن ظلما في الحقيقة، لأنه مالك، وليس عليه حكم، والظلم: التصرف في غير ملكك، أو[2] مخالفة حكم من يحكم عليك[3].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ حيث باعوا نعيمها الباقي بحظوظ فانية، كمن باع داراً حسنة مرتفعة [البناء][4] ليتيم تحت حجره بعود من ريحان[5].

﴿وَلَٰكِنَّ﴾ إذا كان معها واو شددت، وإن خلت عن الواو خففت، هذا هو الأفصح، قاله الفراء[6].

﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾[الآية:45]أي: كأنهم لم يمكثوا في الدنيا، وقيل: في القبور[7]﴿إِلَّا سَاعَةٗ﴾ وذلك لما يغلب عليهم من الأهوال[8]﴿يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: يعرف بعضهم بعضاً، ولكن لا يتفرغ له، وقيل: معناه: يعرفون كلهم أن الذين كذبوا قد خسروا، فيكون الكلام

1) الرجل هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه، والحديث رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب (42) (2485) ص 560، وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في قيام الليل (1334) ص 236 ، قد صححه الترمذي في سننه، والألباني في تعليقه على سنن الترمذي، وتعليقه على سنن ابن ماجه، وفي إرواء الغليل 3/239.

(2) في (م): (لو).

3) الأشاعرة على أن الله تعالى يجوز أن يعذب خلقه ولو كانوا طائعين، بناء على قولهم بجواز التكليف بما لا يطاق، وأهل السنة على خلاف ذلك، وقد سبق بيان هذه المسألة ص(94).

(4) سقطت من(م).

5) قوله (تحت حجره) هي بفتح الحاء وكسرها، أي: في حفظه وستره. انظر: القاموس المحيط (ح ج ر) ص 372، ولم يتبين لي وجه تخصيص البيع هنا بأنه (ليتيم تحت حجره)، فهل يا ترى: إذا باعه لأجنبي لم يكن مغبوناً؟ بل هو أشد غبناً.

(6) في (م): (قال الفراء). والفراء هو: يحيى بن زياد، أبو زكريا، قيل: لقب بالفراء لأنه يفري الكلام، قيل عنه: مير المؤمنين في النحو، من كتبه «معاني القرآن»، لما أملاه اجتمع عليه الخلق، قيل: فكان من جملتهم ثمانون قاضياً، توفي سنة 207هـ. انظر: الأنساب 4/352، 351، وسير أعلام النبلاء 10/118، وبغية الوعاة 2/333.

وانظر قوله في: معاني القرآن 1/465، 464.

(7) انظر القولين في: الهداية 5/3274، ومعالم التنزيل 2/364.

(8) انظر: البحر المحيط 5/162.

متصلا.[1]، وقيل: معناه: لا يتعارفون إلا قدر ساعة، ثم يشتغلون بأنفسهم، والأول أظهر[2].

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾[الآية:46]أي: لا بد من وقوع ما أوعدناهم من العقوبة: إما أن نريك بعض ذلك في الدنيا، أو نتوفاك قبل أن نعاقبهم[3]﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنعاقبهم في الآخرة[4]، فلفظة التخيير تعريف للنبي[5] ﷺ بأن الله ينتقم له[6]، كما تقول لمن تنتصر له: أتحب أن أفعل لك كذا أو كذا؟[7].

قال مجاهد: الذي أراه من عقوبتهم ما حل بهم يوم بدر[8]، ووقف رسول الله ﷺ على رؤسائهم قتلى، فقال:«قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا.»[9].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾[الآية:47]أرسل إليهم ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ يعني: جاء يوم القيامة، قاله مجاهد[10]، فمعناه: جاء رسولهم شاهداً عليهم، كقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾[11].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾[الآية:48]أي: قيام الساعة، وقيل: العذاب الموعود[12].

---

(1) يريد: متصلا بما بعده، ويوضحه سياق الآية ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾. انظر الحاشية التالية.

2) والأول هو قول ابن كثير. انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري 6/564، والهداية 5/3275، والجامع لأحكام القرآن 8/312، والبحر المحيط 5/163،162، وتفسير ابن كثير 2/434.

(3) انظر: تفسير الطبري 6/564، ومعاني القرآن للزجاج 3/23، والمحرر الوجيز 3/123.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/364.

(5) في (م): (تعريف النبي).

(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/23، والهداية 5/3275.

7) في (ك): (كذا وكذا). وعلى ما أثبتُه يكون في السياق خطأ لغوي مشهور، ولشهرته أصبح كثير من المؤلفين الكاتبين لا يتحرزون منه، وهو خطأ قديم، وممن نبه عليه ابن هشام، والخطأ في قول المؤلف (أتحب أن أفعل لك كذا أو كذا) بلفظة (أو)، والصواب: أتحب أن أفعل لك كذا أم كذا؟ والمعنى: أي الأمرين أفعل لك، ويكون الجواب التعيين: أي: تعيين أحد الأمرين المسئول عنهما، أما على الصيغة التي أوردها المؤلف فإن المعنى: أأفعل لك أحد هذين الأمرين أم لا أفعل لك أياً منهما؟ ويكون الجواب: نعم، والتقدير: نعم أحب أن تفعل لي أحدهما -دون تعيين-، أو يكون الجواب: لا، لا أحب أن تفعل لي أياً منهما، ولا يكون الجواب في هذي الحال بالتعيين، بل بنعم أو لا. انظر: معاني الحروف للرماني ص 80،70، ومغني اللبيب ص 54،53.

(8) رواه البغوي في معالم التنزيل 2/364، وأورده مكي في الهداية 5/3275.

9) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل (3976) 7/375، مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها (2873) 6/327.

(10) رواه الطبري في تفسيره 6/565.

(11) سورة النساء، الآية (41).

(12) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/365، وزاد المسير ص 627.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ أي: العذاب الذي تستعجلون ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠﴾ أي: لماذا تستعجلون العذاب وأنتم غير قادرين على دفعه؟[1]، والهاء في ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ ضمير اسم الله، وقيل: ضمير العذاب[2].

[﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم﴾[الآية:51] أي: أثم تؤمنون إذا حل بكم العذاب؟][3]، فيقال[4] لكم: أتؤمنون الآن حين لا يقبل منكم، وقد كنتم تكذبون وتستعجلون[5].

ثم يقال للكفار: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾[الآية:52] أي: عذاب الخلود والدوام في جهنم[6].

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾[الآية:53] أي: يستخبرونك ويقولون: ﴿أَحَقٌّ [هُوَ]﴾ ؟ أي][7]: أمر البعث، ﴿قُلْ﴾ نعم، أقسم بربي إنه لحق[8].

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾[الآية:54] أي: كفرت[9] ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الأموال[10] ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ حين تعاين العذاب ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي: أخفاها رؤساؤهم عن أتباعهم خوف المعرة[11]، وقال المبرد: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ أظهروها، فلاحت في أسرة وجوههم، والأسرة: أسارير الجبهة، واحدها س٘رار[12].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الآية:55] ملكاً وخلقاً، فهو قادر على إعادتهم، وقد وعد بالإعادة، ووعده حق، فاستدل على جواز البعث بالملك، ثم على وقوعه

---

(1) انظر: الهداية 5/3279.
2) في (ك): (ضمير اسم العذاب). ورجح أبو حيان رجوعه إلى العذاب، وانظر القولين في: معاني القرآن للزجاج 3/24، والبحر المحيط 5/166.
(3) سقطت من (ك).
(4) في النسختين: (فقال)، والتصويب من الهداية 5/3279.
5) في (ك): (وقد كنتم به تكذبون وتستعجلون). وانظر معنى الآية بنحو ما قاله المؤلف في: تفسير الطبري 6/566، ومعالم التنزيل 2/365.
(6) انظر: تفسير الطبري 6/566، وزاد المسير ص 628.
(7) سقطت من (م).
(8) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: الهداية 5/3281، والكشاف 2/339.
(9) انظر: تفسير الطبري 6/566، والجامع لأحكام القرآن 8/315.
(10) انظر: الكشاف 2/340.
(11) انظر: معالم التنزيل 2/366، والبحر المحيط 5/168.
(12) انظر قوله في: الهداية 5/3282، والجامع لأحكام القرآن 8/315.

بالوعد[1]، وإذا كان الكل خلقه فكيف يعبد معه شيء من خلقه؟، ويقال: إن فيه تنبيها على أن أحداً ليس له ملك يفتدي به[2].

(هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ) فيه دليل على البعث بالإحياء الأول، وتنبيه على أنه إن لم يعذب الكفار في الدنيا عذبهم في الآخرة، وأنهم[3] إليه يرجعون[4].

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)[الآية:57]أي: القرآن[5](وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ)أي: دواء لأمراض القلوب[6]، من الجهل، والشك، والغفلة، والجرأة، والأمن، والقنوط، فيتعلم الجاهل، ويتيقن الشاك، ويتذكر الغافل، ويستحيي الجريء، ويخاف الآمن، ويستبشر الخائف (وَهُدًى)أي: بيان للأحكام[7] (وَرَحْمَةٌ)لمن آمن به.

(قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ) فافرحوا واستبشروا (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾) من الأموال[8]، وقرئ: (فَلْيَفْرَحُواْ) بالخطاب والغيبة، وكذلك (يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾) أيضاً[9]، وقرأ أبي بن كعب (فافرحوا)[10].

ولفظة (فَبِذَٰلِكَ) تصلح للواحد والاثنين والجمع[11]، وقيل: أتى مفرداً على المعنى، لأن الفضل[12] والرحمة يرجعان إلى معنى واحد، ولذلك قال: (هُوَ خَيْرٌ) بلفظ المفرد[13].

---

(1) انظر: التفسير الكبير 17/91، وتفسير ابن كثير 2/436.
(2) وهذا قول الطبري في تفسيره 6/567.
(3) في (ك): (وأنه).
(4) انظر: تفسير الطبري 6/567، والبحر المحيط 5/168.
(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/25، وزاد المسير ص 628.
(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/316، وتفسير ابن كثير 2/436.
7) هذا قول الطبري في تفسيره 6/568، ولا شك أن بيان الأحكام من الهداية، ولكنها أشمل من ذلك. انظر: زاد المسير ص 628، وتفسير ابن كثير 2/436.
(8) انظر: تفسير الطبري 6/568.
9) روى رويس عن يعقوب (فلتفرحوا)، وقرأها الباقون بالياء، وقرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس عن يعقوب (مما تجمعون) بالتاء، والباقون بالياء. انظر القراءتين في الكلمتين في: البحر المحيط 5/170، والنشر 2/214.
(10) وروي عنه أيضاً (فلتفرحوا). انظر القراءتين المرويتين عنه في: الهداية 5/3285، والبحر المحيط 5/170.
(11) في (ك): (والجمع والاثنين).
(12) في (م): (التفضل).
13) انظر هذين الوجهين في استخدام (فَبِذَٰلِكَ)، وتوحيد ضمير (هُوَ خَيْرٌ) في: الجامع لأحكام القرآن 8/317،316، والدر المصون 6/224-226.

قال ابن عباس وأبو سعيد الخدري ومجاهد: الفضل: القرآن، والرحمة: أن جعلهم من أهله، يعني: الإسلام[1].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾[الآية:59]معناه: أرأيتم أيها المشركون الأرزاق التي خلقها الله تعالى للناس، فجعلتم بعضها حلالاً، وبعضها حراماً، كالبحيرة والسائبة وما ذكر في سورة المائدة والأنعام، فحكمتم برأيكم من غير شريعة: هل أذن لكم بهذه الأحكام؟[2]، وهذا توبيخ لمن عمل بما يخطر له من غير موافقة الشريعة.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾[الآية:60]أيظنون أن الله لا يعاقبهم؟[3] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ في إمهالهم وحلمه عنهم في مخالفاتهم[4]، ولكن أكثر الناس لا يشكرون على نعمة الستر[5] والإمهال ولا غيرها[6].

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾[الآية:61]هذا خطاب للرسول ﷺ، تعريفاً لغيره بأن الله عالم بالسرائر[7]، ومعناه: ما تكون يا محمد في أمر من الأحكام، فتتلو من أجله القرآن لتعلم حكمه إلا علمناه[8]، فالهاء في ﴿مِنْهُ﴾ ضمير الشأن، والشأن عند العرب: أمر مبهم مفخم[9]، وقيل: الهاء في ﴿مِنْهُ﴾ ضمير القرآن[10].

ويدل على أن المراد تعريف الناس بهذا قوله مخاطباً للناس[11] ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ

---

1) رواه الطبري في تفسيره 6/568 عن أبي سعيد الخدري وابن عباس ومجاهد، والرواية عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وقد مضى الكلام على ضعف هذه الطريق ص(142)، والرواية عن مجاهد من طريق شبل بن عباد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ قال: القرآن. وقد مضى الكلام على قوة هذه الطريق ص(222).

(2) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/571، والكشاف 2/341.

(3) انظر: معالم التنزيل 2/367، وتفسير ابن كثير 2/437.

(4) وقيل فيها غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 6/572، والمحرر الوجيز 3/127، وتفسير ابن كثير 2/437.

(5) في (ك): (لا يشكرون نعمه على الستر).

(6) انظر: تفسير الطبري 6/572، وزاد المسير ص 629.

7) فالخطاب له ، والمقصود هو وأمته. انظر: زاد المسير ص 629، والتفسير الكبير 17/98، والجامع لأحكام القرآن 8/318.

(8) انظر: الهداية 5/3288، ومعالم التنزيل 2/367، والجامع لأحكام القرآن 8/318.

9) هذا مبني على القول السابق في معنى الآية، وليس مراد المؤلف بقوله «ضمير الشأن» المصطلح عليه عند النحاة، بل المراد: ضمير الشأن المدلول عليه في الآية بقوله تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾. وانظر الحاشية الماضية.

(10) انظر: زاد المسير ص 629، والبحر المحيط 5/171.

(11) في (م): (مخاطباً للرسول).

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾أي: بالعلم والرؤية ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾أي: تأخذون القرآن ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾أي: ما يغيب عن علم الله ذرة، ولا أصغر منها، ولا أكبر إلا وهي معلومة ومكتوبة في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ[1].

[قوله تعالى][2]: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ الأولياء: جمع ولي، والولي: من أحبه الله تعالى وتولاه، فجعل في قلبه محبته وخشيته حتى توالت أفعاله على الموافقة إلى أن يموت على حالة مرضية عند الله[3].

وقد وصفهم الله تعالى في هذه الآية فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾أي: يتقون الله سراً وجهراً، قال ابن عباس: الذين يذكر الله عند رؤيتهم، لما غلب عليهم من س·ي·م الخير[4].

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:«إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء»، قيل: من هم يا رسول الله؟ لعلنا نحبهم، قال:«هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب، وجوههم نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[5].

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الآية:64]هو ما بشرهم الله به في القرآن، فيحصل لهم

---

1) انظر تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ...﴾ الآية بنحو تفسير المؤلف في: الهداية 5/3289، 3290، وزاد المسير ص 629، والجامع لأحكام القرآن 8/319، وتفسير ابن كثير 2/437. غير أن إعادة المؤلف لضمير ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ على القرآن قول غير مشهور، وأشهر منه ما قاله جمهور المفسرين من أن المراد: العمل، أي: تفيضون في عمل وتشرعون فيه. انظر المراجع السابقة.

(2) سقطت من (ك).

3) هذا موافق لمضمون قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، ولذلك قال الطبري: هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى. تفسير الطبري 6/576.

4) قوله (سيم الخير) كذا في (ك)، وفي (م): (شيم)، وفي الهداية 5/3290 «سملت»، و(م): جمع: سيمة، وجمع سيما وسيميا، بالقصر والمد، وهي العلامة يعرف بها الخير والشر. انظر: لسان العرب (س و م) 6/441، 440. وانظر أثر ابن عباس في تفسير الطبري 6/575 دون قوله «لما غلب عليهم...»، وقد رواه من حديث ابن عباس، من رواية سعيد بن جبير، وقد حسنه الألباني بشواهده. انظر: السلسلة الصحيحة (1733، 1646) 4/311، 201.

5) رواه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في الرهن (3526) ص 535، وللحديث شواهد كثيرة -في بعضها مقال- وقد ساقها ابن حجر في الكافي الشاف 2/343، وقد صححه الألباني في التعليقات الحسان (572) 2/54.

السرور به في الدنيا، قاله ابن عباس[1].

وقال أبو الدرداء: سألت رسول الله ﷺ عن البشرى في الدنيا، فقال:«هي الرؤيا الصالحة، يراها الرجل أو ترى له»[2]، وهو قول أكثر المفسرين[3].

وقال الزهري[4] وقتادة والضحاك: هي البشرى عند الموت، فيعلم أين هو [قبل أن يموت][5].

والبشرى في الآخرة: في الموقف، يبشر بالجنة[6].

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾أي: لا يخلف الله وعده[7]﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾يعني: ما وعد به الأولياء[8].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾[الآية:65]أي: تكذيبهم، وهذا تمام الكلام[9]، ثم يبتدئ ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾أي: في الدنيا والآخرة، يعز من يشاء، فهؤلاء لا يقدرون على أن يذلوا من أعزه الله؛ فلا تحزن[10]، وفيه إشارة إلى الانتقام منهم؛ فإن العزيز ينتقم ممن

---

(1) روى الطبري في تفسيره 6/581 من طريق علي بن أبي طلحة -وقد سبق الكلام على قوة روايته ص(33)- عن ابن عباس في قوله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فهو قوله لنبيه ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾، قال: هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له.

2) رواه الترمذي -وحسنه- في سننه، كتاب الرؤيا، باب ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (2273) ص515، وابن ماجه في سننه، كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم (3898) ص 642، وللحديث شواهد وطرق كثيرة أفاض فيها ابن كثير في تفسيره 2/439،438، وابن حجر في الكافي الشاف 2/343، وقد صححه الألباني بمجموع طرقه كما في السلسلة الصحيحة (1768) 4/392،391، وظلال الجنة ص214.

(3) انظر: تفسير ابن كثير 2/439.

(4) في (ك): (الأزهري).

5) سقطت من (ك). وانظر الرواية عن قتادة والزهري في تفسير عبد الرزاق 1/296، وقد رواه عنهما من طريق معمر، وقد سبق الكلام على روايته ص (257)، وانظر الرواية عن الضحاك والزهري في تفسير الطبري 6/581.

وقد رجح الطبري في تفسيره 6/582،581 أن البشرى شاملة لكل هذه الأقوال، فمن البشرى: ما بشرهم به في القرآن، ومن البشرى: الرؤيا الصالحة، ومن البشرى: بشراهم عند خروج أرواحهم.

(6) انظر: المحرر الوجيز 3/129، وزاد المسير ص 630.

(7) انظر: تفسير الطبري 6/582، وتفسير ابن كثير 2/439.

(8) انظر: المحرر الوجيز 3/129، والكشاف 2/344.

(9) انظر: معالم التنزيل 2/370، والجامع لأحكام القرآن 8/321.

(10) انظر: الهداية 5/3294، والتفسير الكبير 17/105، والبحر المحيط 5/174.

(11) انظر: تفسير الطبري 6/582.

(12) سقطت من (ك).

حاده[11]، و﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾[لقولهم][12] ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾بأحوالهم[1].

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾[الآية:66] أي: ليس لأصنامهم شركة مع الله، وإنما الكفار يظنون ويخرصون، أي: يكذبون[2].

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾[الآية:67] عن التصرفات فتستريحوا[3] ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: تبصرون فيه، وتتصرفون في مصالحكم، فهذا على النسب[4]، كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾[5].

﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾[الآية:68]أي: عن الولد وغيره[6]﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾فكيف يكون ملكه ً له؟[7] ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾أي: ما عندكم من حجة· أن لله ً[8].

﴿مَتَٰعٌ فِى[ٱلدُّنْيَا﴾[الآية:70] أي: إنما للكفار متاع في][9] دنياهم، ولهم النار في الآخرة[10].

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾[الآية:71]أي: اتل عليهم فيما يوحى إليك خبر نوح وقومه، ففي قصص الأنبياء بشارة للمؤمنين، وتخويف للكافرين[11].

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ بين أظهركم رسولا· ﴿وَتَذْكِيرِى﴾ إياكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فأردتم قتلي أو طردي ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في دفع أذيتكم ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾ أي: اعزموا على ما تشاءون من قتل وغيره، فإنكم لا تقدرون[12].

---

(1) انظر مناسبة الاسمين الكريمين لختم الآية بهما في الهداية 5/3294،3293، وتفسير ابن كثير 2/440.
(2) انظر تفسير الآية معنى الآية بنحو ما قال المؤلف في زاد المسير ص 631، والجامع لأحكام القرآن 8/323.
(3) انظر: تفسير الطبري 6/583، والكشاف 2/345.
(4) في (ك): (على السبب)، وما أثبته من (م) موافق لما في الهداية 5/3295.
(5) سورة الحاقة، الآية (21). وانظر نحو ما قاله المؤلف في الهداية 5/3295، ومعالم التنزيل 2/371.
(6) انظر: الهداية 5/3295، وزاد المسير ص 631.
(7) انظر: تفسير الطبري 6/584، والكشاف 2/345.
(8) انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/323، والبحر المحيط 5/175.
(9) سقطت من (ك).
(10) انظر: تفسير الطبري 6/584، وتفسير ابن كثير 2/440.
(11) انظر: البحر المحيط 5/177، وتفسير ابن كثير 2/440.
12) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/584، والجامع لأحكام القرآن 8/324،323، والبحر المحيط 5/177،176.

﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ منصوب على أنه مفعول معه، وقال المبرد: تقديره: وادعوا شركاءكم، فهو كقول الشاعر:

.... متقلداً سيفاً ورمحاً[1]

أي: ومعتقلا رمحاً، ومن قرأ: ﴿وشركاؤكم﴾[2] بالرفع فمعناه: وليجمع شركاؤكم أمرهم، ويكون توبيخاً لهم، كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[3].

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: لا تدعوا أمركم ملتبساً مشكلاً، بل أظهروا كيدكم، فسوف يعجزكم الله[4]، والغمة هنا: المشكلة، ومنه: غم الهلال، أي: أشكل أمره[5] ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ أي: عجلوا بفعل ما أردتم من الكيد ولا تؤخروني[6].

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾[الآية:72] [عن الإيمان][7] بعد تذكيري[8] ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ﴾ [﴿أَجْرٍ﴾ أي][9]: أجرة أتعجلها منكم، فيثقل عليكم الإيمان شحاً بأموالكم[10] [﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي][11]: ما أجري إلا على الله.

---

(1) مضى هذا البيت بشطريه ص(17)، فانظر توثيقه هناك.
أما قول المبرد فقد نقله المؤلف من الهداية 5/3297، والظاهر من كلامهما أن المبرد يرجح هذا القول، وهذا غير صحيح، فقد حكى المبرد هذا القول، ولكنه لم يرجحه، بل رجح القول الذي حكاه المؤلف أولاً: أن النصب حاصل بواو المعية. انظر: الكامل 1/544.

(2) في (م): (شركاؤكم).

(3) سورة الأنبياء، الآية (63). وقد قرأ يعقوب برفع (وشركاؤكم)، وقرأها الباقون بالنصب ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾، وتوجيه القراءتين كما أوضحه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/371،370، والبحر المحيط 5/178،177، والنشر 2/214.

(4) انظر: تفسير الطبري 6/585، ومعالم التنزيل 2/372.

(5) كذا في تفسير الطبري 6/585 وغيره وقال بعض المفسرين واللغويين: هو الغَمّ بمعنى التغطية، ومنه: غم الهلال، إذا غطي فلم يُرَ، وهذا القول أضبط وأدق. انظر: معاني القرآن للزجاج 3/28، ومعجم مقاييس اللغة (غم) 4/378،377، والجامع لأحكام القرآن 8/324.

(6) انظر: الكشاف 2/347، والتفسير الكبير 17/111.

(7) سقطت من (ك).

(8) انظر: الكشاف 2/347، وزاد المسير ص632.

(9) سقطت من (م).

(10) انظر: المحرر الوجيز 3/133، والجامع لأحكام القرآن 8/325.

(11) سقطت من (م).

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾[الآية:73]أي: يخلفون من هلك بالطوفان[1].

ثم ذكر الله تعالى الأنبياء الذين بين نوح وموسى جملة فقال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا﴾[الآية:74]مثل صالح وهود وإبراهيم وغيرهم عليهم السلام، وذكر قصة موسى فقال: ﴿[قَالَ][2] مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾[الآية:77] قيل: إنه من قول موسى، وتقديره: أتقولون للحق لما جاءكم: هذا سحر؟ ثم حذف ما قالوا، ثم قال موسى: أسحر هذا؟ على وجه التوبيخ، وقيل:﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾هو من كلام [قوم][3] فرعون، ثم قال موسى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ۝٧٧﴾[4].

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾[الآية:78]أي: لتصرفنا[5] ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾أي: الملك والطاعة[6].

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾[الآية:81]أي: الذي جئتم به [هو][7] السحر، ومن قرأ بالاستفهام فهو من موسى، توبيخ للسحرة، وتقديره: هذا الذي جئتم به أهو[8] سحر تعارضون به المعجزات؟ وقيل: هو كقولهم: زيداً م َرَرْتُ به[9].

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[الآية:82] أي: يظهر الحق بحكمه وبفعله[10]، ويوضحه بكلامه المنزّل على رسله[11].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 6/587، وزاد المسير ص 632.
(2) سقطت من (م).
(3) سقطت من (ك).
4) ورجح الطبري الأول. انظر القولين في: تفسير الطبري 6/588، والجامع لأحكام القرآن 8/327،326، والبحر المحيط 5/180.
(5) انظر: معالم التنزيل 2/373.
6) فسرها الطبري بالعظمة، وأيده ببيت لابن الرقاع، ثم ساق أقوال السلف في ذلك، وقد تواطأت على تفسير الكبرياء بالملك والسلطان والطاعة، ثم قال:«وهذه الأقوال كلها متقاربة المعاني، وذلك أن الملك سلطان، والطاعة ملك، غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت في كلام العرب، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك». تفسير الطبري 6/589.
(7) سقطت من (ك).
(8) في (ك): (هو).
(9) قرأ أبو عمرو وأبو جعفر بالاستفهام، وقرأ الباقون بالإخبار، ووجه الإخبار ظاهر، وهو كما بينه المؤلف، اختلف في وجه الاستفهام على أقوال ذكر المؤلف أرجحها وأشهرها. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/372،371، والهداية 5/3305-3307، والبحر المحيط 5/181، والنشر 1/294،293.
(10) في (ك): (وفعله).
(11) انظر: تفسير الطبري 6/591، ومعالم التنزيل 2/373، والتفسير الكبير 17/115.

(فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ)[الآية:83] أي: قليل من القبط، فأما بنو إسرائيل فكانوا كلهم مؤمنين[1]، قال ابن عباس: معناه: قليل من قوم فرعون[2]، وقيل: الهاء في (قَوْمِهِۦ) ضمير اسم موسى، ومعناه: أن القبط الذين أرسل إليهم موسى لم يؤمن منهم إلا ذريتهم، فأما الآباء فهلكوا كفاراً، قاله مجاهد[3]، واختاره الطبري[4]، وقيل: الذرية: قوم آباؤهم قبط، وأمهاتهم من بني إسرائيل[5].

(عَلَىٰ خَوْفٍ) أي: آمن[6] هؤلاء القليل وهم خائفون من فرعون ومن ملئهم -أي: من رؤساء قومهم- أن يفتنوهم عن دينهم، فيردوهم إلى الكفر، وقيل: الضمير في (وَمَلَإِيْهِمْ) لفرعون، على أنه معظم عندهم، فأخبر عنه بلفظ الجمع، ووحد لفظ (يَفْتِنَهُمْ) لأن فعل الملأ تابع لفعل فرعون[7]، واختار الطبري قول الأخفش[8] أن الضمير في(وَمَلَإِيْهِمْ) للذرية[9].

(وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ)[الآية:83] أي: متكبر جبار[10].

قال موسى: (يَٰقَوْمِ)[الآية:84] أي: قال موسى للمؤمنين الخائفين من فرعون: توكلوا على الله يدفع عنكم ما تخافون[11].

(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً)[الآية:85] أي: مفتونين، ومعناه: لا تسلطهم علينا، وقيل: معناه: لا

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/329، وتفسير ابن كثير 2/443.

2) نص كلام ابن عباس:«الذرية: القليل»، فعلى هذا القول تكون كلمة (ذُرِّيَّةٌ) بمعنى: قليل، أي: فما آمن لموسى إلا قليل من قومه، والظاهر أن المراد عنده بالقوم بنو إسرائيل لا القبط. وانظر قول ابن عباس في تفسير الطبري 6/591. وعليه فلا يكون قول ابن عباس شاهداً على القول الذي حكاه المؤلف قبل كلام ابن عباس.

3) رواه الطبري في تفسيره 6/592 عن مجاهد من عدة طرق، منها طريقا شبل وورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقد مضى الكلام على قوتهما ص(222) وص(280).

(4) تفسير الطبري 6/592.

(5) انظر: معاني القرآن للفراء 1/476، وزاد المسير ص633.

(6) في (ك): (من).

(7) انظر القولين في: الهداية 5/3310،3309، والبحر المحيط 5/183.

8) هو: سعيد بن مسعدة البلخي، ثم البصري، الأخفش الأوسط، أبو الحسن، وكان قدرياً، لزم سيبويه، ومن كتبه «معاني القرآن»، مات سنة 210هـ. أو بعدها. انظر: معجم الأدباء 3/382، وسير أعلام النبلاء 10/206.

(9) انظر قول الأخفش في معاني القرآن له 2/347، وانظر اختيار الطبري في تفسيره 6/593.

(10) انظر: معالم التنزيل 2/374، والكشاف 2/350.

(11) انظر: تفسير الطبري 6/594.

تبتلينا[1] ببلاء يشمتون به، ويعتقدون أنهم خير منا، فيفتنون، ويزدادون كفراً[2].

(تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا)[الآية:87] أي: اتخذوا واعمروا واسكنوا[3]، قال مجاهد: أمروا أن يسكنوا الإسكندرية حتى يأتيهم الأمر بالسير[4] إلى الشام[5](وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) أي: صلوا في بيوتكم، قيل: إن ذلك خوف من فرعون، وقيل: اجعلوا بيوتكم متقابلة، يقابل بعضها بعضاً، وقيل: كانوا لا يصلون إلا في البـ·يـ·ع[6]، فأباح لهم الصلاة في البيوت[7].

ثم إن موسى دعا على فرعون وقومه بإهلاك أموالهم، وقسوة القلوب، حتى يأتيهم العذاب[8].

وقوله: (لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ)[الآية:88]اللام هنا لام العاقبة[9].

قوله: (ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ) أي: أهلـ·كـ·ها، قاله ابن عباس ومجاهد[10]، وقيل: معناه: بد··لها وغي··رها، فذكر قتادة ومقاتل[11] أن دراهمهم ودنانيرهم صارت حجارة منقوشة، وجعل سـ·كـ··رهم حجارة، والحبوب أيضاً صارت حصباء كالحنطة والعدس

(1) كذا في النسختين، وتوجه على أن لا نافية، ويراد بالنفي فيها: النهي.
(2) وقيل في معناها غير ذلك. انظر: معاني القرآن للزجاج 3/30، والتفسير الكبير 17/117.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/374، والكشاف 2/351.
(4) في (ك): (بالسير).
5) رواه الطبري في تفسيره 6/597 عن مجاهد من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(280).
(6) جمع: بيعة، بكسر الباء، وهي كنيسة اليهود أو النصارى. انظر: لسان العرب (ب ي ع) 1/558.
7) القول الثالث هو القول الأول عينه، وقد يكون مراده ما قاله بعض العلماء: أمروا بالصلاة في البيوت لخوفهم من فرعون، وأمروا أن يستقبلوا الكعبة في بيوتهم. انظر هذه الأقوال وغيرها في: الهداية 5/3313،3312 ، ومعالم التنزيل 2/375،374.
(8) ونص الآية (وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾).
(9) سبق الخلاف في مثل هذه اللام أهي لام العاقبة أم هي لام التعليل. انظر ص(144).
10) في النسختين: (قال ابن عباس ومجاهد) وما أثبته يقتضيه السياق، وقد روى الطبري في تفسيره 6/60،600 هذا الأثر عن ابن عباس من طريق عطية العوفي -وقد مضى الكلام على ضعف هذا الطريق ص(142)- وعن مجاهد من طرق قوية، منها طريقا ورقاء وشبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقد سبق الكلام عليه ص(222) وص(280).
(11) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، أبو الحسن، كذبوه وهجروه ورمي بالتجسيم، مات سنة 150هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 201/ 7، وتقريب التهذيب (6916) ص968.

وغير ذلك[1].

[وقوله][2]: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾أي: اختم عليها حتى يفتتنوا على الكفر[3].

و﴿يُؤۡمِنُواْ﴾ هنا مجزوم بالدعاء[4]، كقولك: لا تفعل، وقيل: منصوب لأنه جواب الدعاء، وقيل: هو معطوف على قوله ﴿لِيُضِلُّواْ﴾[5].

﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾[الآية:89] أي: قد استجيب لكما، وهو خطاب لموسى وهارون، لأن موسى كان يدعو، وهارون يؤمن على الدعاء[6]، قال ابن جريج: كان بين دعائهما وبين ظهور الإجابة أربعون سنة[7].

﴿فَٱسۡتَقِيمَا﴾ أي: دوما على دعوة فرعون إلى الإيمان[8]﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ﴾ أي: طريق الكفار[9]، والنون في ﴿تَتَّبِعَآنِّ﴾ نون التأكيد، وهي نهي عند من شددها، ومن خفف جعله نفيا٠، وأن الله أخبرهما أنهما لا يتبعان، فهو إخبار بالعصمة[10].

﴿وَجَٰوَزۡنَا﴾[الآية:90]أي: قطعنا ﴿بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا﴾أي: ظلما٠ ﴿وَعَدۡوًا﴾أي: اعتداء من فرعون، لم يكن عند أحد منهم حق يتبعه لأجله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾أي: أحاط به ﴿قَالَ ءَامَنتُ﴾أي: صدقت بـ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ومن

---

1) رواه الطبري في تفسيره 6/600 عن قتادة من طريق معمر ومن طريق سعيد بن أبي عروبة، وقد مضى كلام على هذين الطريقين وبيان صحة الأول وحسن الثاني ص(257) وص(2)، وانظر قول مقاتل في الهداية 5/3315، وزاد المسير ص 635.

(2) سقطت من (ك).

3) في النسختين: (اختم عليها حتى يفتتنوا على الكفر اختم عليها)، وفي العبارة غرابة، من حيث تكرار فعل ختم، ومن حيث قوله «يفتتنوا»، وعبارة الطبري:«واطبع على قلوبهم حتى لا تلين ولا تنشرح بالإيمان». تفسير الطبري 6/601، وانظر: الهداية 5/3316، ومعالم التنزيل 2/376.

4) يعني: بـ(لا) التي للنهي، وفي هذه العبارة تأدب مع الله تعالى، لأن السياق سياق دعاء لله، ولذلك لم يقل المؤلف-ولا غيره-: مجزوم بالنهي. انظر مصادر التوثيق الآتية.

(5) انظر هذه التوجيهات في: الهداية 5/3317،3316، ومعالم التنزيل 2/376، والبحر المحيط 5/186.

(6) انظر: تفسير الطبري 6/603،602، والكشاف 2/353.

(7) انظر قوله في تفسير الطبري 6/604، والله أعلم كم كانت المدة.

(8) انظر: تفسير الطبري 6/603، وزاد المسير ص 636،635.

(9) وقيل: الذين يجهلون حقيقة وعدي. انظر: معالم التنزيل 2/376، والبحر المحيط 5/187.

10) روى ابن ذكوان عن ابن عامر (ولا تتْبعان) بنون خفيفة، وقرأ الباقون بتشديدها، وتوجيه القراءتين كما قاله المؤلف. انظر: الهداية 5/3318، والبحر المحيط 5/187،186، وتحبير التيسير ص 123.

كسر فعلى الابتداء ويكون ﴿ءَامَنتُ﴾ تماما· عنده[1].

قال السدي: لما قال فرعون ذلك بعث الله إليه ميكائيل، فقال له: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾[2] أي: تؤمن الإيمان حين لا يقبل منك الإيمان، وقد كنت قبل ذلك كافراً؟[3].

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾[الآية:92] أي: نلقيك ونخرجك من البحر ميتاً ليراك الناس فيعتبروا، فهو قوله: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾[4].

وقوله: ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أي: بجسدك، وقيل: بدرعك الذهب، وهو درع كان يعرف به[5]، قال ابن عباس: شك قوم في غرق فرعون[6]، فدعا موسى ربه، فنبذه البحر حتى رآه الناس ميتاً[7].

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الآية:93] أي: أسكناهم[8] ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ أي: منازل حسنة[9]، وهي ديار فرعون وقومه، قال الضحاك: يعني مصر والشام[10] ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: النعم التي في البلاد [من زرع وغيره][11]، فما زال بنو إسرائيل في أمن ونعمة وهم مؤمنون.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي: ما اختلف أحد منهم في رسالة محمد [ﷺ]، بل كان اليهود والنصارى يبشرون الناس برسالته، وكانوا يعلمون ذلك من التوراة والإنجيل، فلما

---

(1) قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الهمزة (إنه)، وقرأ الباقون بفتحها، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف . انظر: البحر المحيط 5/188، والنشر 2/216.
وانظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/604، ومعالم التنزيل 2/376.

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره 6/1983 من رواية أسباط، وقد سبق الكلام على هذا الطريق ص(56).

(3) انظر: الهداية 5/3321، وتفسير ابن كثير 2/446.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن 8/337-339، وتفسير ابن كثير 2/446.

(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/32، والمحرر الوجيز 3/142، والكشاف 2/355.

(6) في (ك):(موسى).

(7) رواه الطبري في تفسيره 6/608 من طريق عطية العوفي، وقد سبق الكلام على ضعف إسناده ص(142).

(8) انظر: معالم التنزيل 2/378، والتفسير الكبير 17/127.

(9) انظر: زاد المسير ص 637، والجامع لأحكام القرآن 8/339.

10) اختلف في البلاد الموصوفة بأنها مبوأ صدق هنا، فقيل: هي مصر، وقيل: الشام، وقيل: مصر والشام-وهو ختيار ابن كثير-. انظر هذه الأقوال في: المحرر الوجيز 3/142، والبحر المحيط 5/190،198، وتفسير ابن كثير 2/447.
وانظر قول الضحاك في: تفسير الطبري 6/608.

(11) سقطت من (ك). وانظر المعنى في: الجامع لأحكام القرآن 8/338، وتفسير ابن كثير 2/447.

جاءهم ما عرفوا من أمره كفروا به[1]، قال ابن زيد: ﴿جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾أي: كتاب الله[2].

وقوله: ﴿بَغۡيًا﴾[3] أي: اختلفوا بغياً وحسداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فيظهر لهم الحق بدخول من آمن بمحمد [ﷺ] الجنة، ودخول من كفر به النار[4].

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ﴾[الآية:94] هذا خطاب للرسول [ﷺ]، والمراد به غيره، كقوله: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[5]، معناه: من شك في تصديق محمد [ﷺ] فيما أنزل إليه ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ﴾الكتب المتقدمة[6]، وهم المؤمنون من أهل الكتاب، مثل عبد الله بن سلام وغيره[7]، وروي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية قال:«لا أشك، ولا أسأل»[8].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾بالشقاوة[9]﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦﴾ولو عاينوا كل معجزة ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧﴾ فيؤمنوا كإيمان فرعون عند الغرق، فلا يقبل؛ لأنه كإيمان الكفار في جهنم[10]، وهو قوله:

﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ﴾[الآية:98] أي: فلم لا كانت قرية من القرى آمن أهلها بعد نزول العذاب، فنفعهم إيمانهم، فمعناه: ما كان هذا، ولا نفع قوما الإيمان بعد نزول العذاب إلا قوم يونس [خاصة، فإن الله تعالى قبل إيمانهم، ورفع عنهم العذاب لما خرج يونس][11] مغضباً عليهم[12].

وقيل: الاستثناء هنا منقطع، ومعنى الكلام: فلم لا آمنت قرية قبل نزول العذاب،

---

(1) وقيل: الآية مطلقة. انظر: تفسير الطبري 6/609،608، والكشاف 2/356، وتفسير ابن كثير 2/447.
(2) رواه الطبري في تفسيره 6/609.
3) هذه اللفظة لم ترد في هذه الآية، بل وردت في سور أخرى، وأول مواضع ورودها في سورة البقرة، الآية (213).
(4) انظر: الهداية 5/3324، والمحرر الوجيز 3/142.
(5) سورة الزمر، الآية (65).
6) مراد المؤلف: من شك في تصديق محمد فيما أنزل إليه فليسأل الذين يقرءون الكتب المتقدمة، ثم آثر المؤلف أن يستخدم اللفظ القرآني فقال: فاسأل الذين...
7) وهذا قول أكثر أهل التفسير، وفي توجيه الآية أقوال أخرى. انظر: تفسير الطبري 6/610،609، ومعاني القرآن للزجاج 3/33،32، والمحرر الوجيز 3/143،142، وزاد المسير ص 637، والتفسير الكبير 17/128-130.
(8) رواه الطبري في تفسيره 6/610 عن قتادة مرسلاً.
(9) انظر: تفسير الطبري 6/611، ومعالم التنزيل 2/379.
(10) انظر: الهداية 5/3327، والمحرر الوجيز 3/143.
(11) كررت في (م).
(12) وهذا قول أكثر المفسرين. انظر: تفسير الطبري 6/612، والكشاف 2/358، والجامع لأحكام القرآن 8/341.

فنفعها الإيمان، فهو توبيخ[1]، والأول أظهر.

وكان قوم يونس بأرض الموصل، وكان يونس قد أوعدهم بالعذاب، وخرج مغضباً، فأتاهم العذاب في سحابة تتوهج ناراً، فغشيتهم كالثوب، ففر٠٠قوا[2] بين الناس وأولادهم، و[بين][3] البهائم وأولادها، وآمنوا، وضجوا، واستغاثوا أربعين ليلة، فكشف الله عنهم العذاب، ومتعهم إلى حين انقضاء آجالهم[4].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الآية:99]أي: لو شاء الله لهدى الجميع، وجعل في قلوبهم الإيمان [والحكمة][5]، و﴿جَمِيعًا﴾هنا تأكيد منصوب على الحال[6].

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: أفأنت يا محمد تقهر الناس وتجبرهم على الإسلام؛ إنما أنت منذر لا غير[7].

قال أبو الدرداء: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء: لو أنك عملت مثل عمل جميع ولد آدم ما أديت شكر نعمة واحدة أنعمت بها عليك: إني أذنت لك أن تؤمن بي، يعني: أردت لك الإيمان، ووفقتك له[8].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[الآية:100]أي: بإرادة الله ومشيئته[9]، والإيمان: معنى يجعله الله في القلب، وهو التصديق، ثم يوفق العبد للإقرار[10] به باللسان، والعمل بالطاعات[11].

---

(1) انظر: الكشاف 2/358، والبحر المحيط 5/192.
(2) في النسختين: (ففروا).
(3) سقطت من (م).
(4) انظر: تفسير الطبري 6/613، ومعالم التنزيل 379-381. والله أعلم بكيفية نزول العذاب ورفعه.
(5) سقطت من (م). وانظر تفسير الآية في: المحرر الوجيز 3/145، وتفسير ابن كثير 2/449.
(6) انظر: الهداية 5/3330، والجامع لأحكام القرآن 8/342.
(7) انظر: معالم التنزيل 2/381، وتفسير ابن كثير 2/449.
(8) ذكره في الهداية 5/3331، ولم أقف عليه مسنداً.
(9) انظر: تفسير الطبري 6/616، والبحر المحيط 5/193.
(10) في (ك): (للإمرار).
(11) أهل السنة على أن لفظ الإيمان يشمل عمل القلب واللسان والجوارح، ومن المبتدعة من يقول: هو عمل القلب فقط، أو عمل القلب وقول اللسان، وما عدا ذلك فلا يدخل في مسمى الإيمان. انظر: مجموع الفتاوى 7/391-393، وشرح العقيدة الطحاوية ص 314-315، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين 2/230-233.

﴿وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ﴾ أي: الخبث والكفر، وقيل: العذاب[1]، وقال ابن عباس: يعني: السخط[2] ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝١٠٠﴾ حجج الله[3].

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾[الآية:101] أي: قل يا محمد للذين طلبوا الآيات: انظروا ماذا في العالم من الآيات الدالات على توحيد الله[4] ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ﴾ نفي، وقيل: استفهام بمعنى التوبيخ، ومعناه: وما تنفع الآيات والإنذار قوما· علم الله أنهم لا يؤمنون؟[5].

﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[الآية:102] في إهلاك الله [الكفار][6] المتقدمين، فسيحل بهم العذاب[7]، ثم ينجي الله الرسل والمؤمنين ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا﴾ أي: كذلك جرت سنة الله في نجاة من آمن به، وسبق وعد·ه بذلك، وهو فضل من الله ونعمة، وسماه ﴿حَقًّا﴾ لطفاً في الخطاب، كتسمية الصدقة قرضاً[8].

﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ﴾[الآية:105] أي: أقم نفسك وكليتك لدين الله[9].

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ۝١٠٨﴾[10] قال ابن زيد: منسوخ بالقتال[11].

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾[الآية:109] أي: اعمل ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ على أذى المشركين ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾ فصبر ﷺ حتى حكم الله له بالنصر يوم بدر وغيره، [والله تعالى أعلم][12].

---

(1) وأكثر المفسرين على أنه العذاب. انظر القولين في: زاد المسير ص639، والتفسير الكبير 17/135.

2) رواه الطبري في تفسيره 6/616 من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).

(3) انظر: الهداية 5/3331.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/382، والبحر المحيط 5/193.

(5) انظر القولين في: الكشاف 2/360، والجامع لأحكام القرآن 8/343، والبحر المحيط 5/193.

(6) سقطت من (م).

(7) انظر: تفسير الطبري 6/617، ومعالم التنزيل 2/382.

8) الناس في هذا الباب على ثلاثة أقوال: قول المعتزلة: أن الله سبحانه يجب عليه حق للمخلوق، أوجبه عليه العقل،وجعلوا حق المخلوق على خالقه كحق المخلوق على المخلوق، وقال الأشاعرة: لا حق للمخلوق على الخالق حال، وإنما علم ما يفعله تعالى بحكم وعده وخبره، وأهل السنة قالوا: بل كتب على نفسه الرحمة وأوجب سبحانه على نفسه حقاً لعباده المؤمنين، كما حرم الظلم على نفسه، ومن ذلك هذا الموطن في هذه الآية. انظر: مجموع الفتاوى 1/156، ومنهاج السنة 6/397،396، وبدائع الفوائد ص 295، وتفسير ابن كثير 2/450.

(9) انظر: تفسير الطبري 6/618، والمحرر الوجيز 3/146.

(10) في النسختين: (وما أنت عليهم بوكيل).

(11) رواه الطبري في تفسيره 6/619.

12) سقطت من (م). وانظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 6/619، والمحرر الوجيز 3/147، وتفسير ابن كثير 2/450.

سورة هود عليه السلام

[مكية][1].

﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[الآية:1]أي: هذا كتاب أحكمت آياته[2]، أي: نزلت [محكمة][3] ، ذات حكمة وبيان وإرشاد إلى معرفة الله تعالى[4]﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾لبيان الحلال والحرام[5].

وقيل: ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾حفظت من الاختلال والتناقض، ويقال: حكمت وأحكمت بمعنى: منعت، ومنه سمي اللجام ح·ك·م·ة لمنعه الدابة عن الجماح[6].

وقال الحسن: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾بالأمر والنهي ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾بالوعد والوعيد[7].

وقيل: ﴿فُصِّلَتۡ﴾نزلت مفرقة، وقيل: فسرت وبينت[8].

﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ﴾[9] أي: من عند الله.

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[الآية:2]أي: أنزل هذا الكتاب بأن لا تعبدوا إلا الله، وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه من الشرك والمعاصي[10].

﴿إِنَّنِي لَكُم [مِّنۡهُ][11]﴾ أي: قل: إني نذير [مبين][12] للكافر، وبشير للمؤمن[13].

﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾[الآية:3] أي: يبقيكم في نعمة إلى أن تنقضي آجالكم، ولا

---

(1) سقطت من (ك). وهي مكية بالاتفاق، قيل: إلا آيات منها، واختلف في تعيينها. انظر: زاد المسير ص 641 ، والإتقان 1/29.
(2) انظر: تفسير الطبري 6/620.
(3) سقطت من (ك).
(4) قاله بعض المفسرين. انظر: الكشاف 2/363، والتفسير الكبير 17/143.
(5) وعليه أكثر أهل التفسير. انظر: تفسير الطبري 6/621، زاد المسير ص 641.
(6) انظر: الهداية 5/3344،3343، والبحر المحيط 5/201.
(7) رواه الطبري في تفسيره 6/621،620.
(8) انظر: هذين القولين في: زاد المسير ص 641، والتفسير الكبير 17/143.
(9) في (ك): (من لدن حكيم عليم)، والآية هنا:(من لدن حكيم خبير).
(10) فجملة ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ معطوفة على جملة ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، والتقدير كما ساقه المؤلف: أنزلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله وبأن استغفروا ربكم، ولكن ليس في الآية السابقة لفظ (أنزلت)، ولذا فالأدق قول من قال: صلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله وأن استغفروا ربكم، والتقديران متقاربان. انظر: تفسير الطبري 6/622، والجامع لأحكام القرآن 9/7، والبحر المحيط 5/202،201.
(11) سقطت من (م).
(12) سقطت من (م).
(13) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/38، والهداية 5/3344.

يهلك·كم كما أهلك عاداً وثمود وغيرهم[1]﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾أي: يعطي في الآخرة كل مطيع ما وعده من الفضل في الجنة[2]، والفضل الأول: الطاعة، والثاني: الجنة[3]﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾أي: تتولوا عن الإيمان[4].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾[الآية:5] (ألا) افتتاح كلام [عند][5] العرب[6]، ومعناه: أن الجاهلية كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يعلم السرائر، فكان أحدهم يثني صدره -أي: ينحني- إذا ناجى صاحبه ليستخفي من الله، ويستغشي -أي: يتغطى بثوبه- إذا وطئ زوجته، أو جلس لقضاء الحاجة[7].

وقيل: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يخفون في نفوسهم أشياء[8].

وقيل: كان أحدهم إذا مر بالنبي ﷺ يطأطئ صدره، ويلوي صدره ليستخفي من الرسول [ﷺ] حتى لا يعرفه، فالهاء في ﴿مِنْهُ﴾ للنبي ﷺ[9]، والأول أظهر.

ومعنى: ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بثيابهم[10].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[الآية: 6]أي: قد ضمن رزقها فضلا· منه[11]﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ حيث تستقر ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تموت[12]، وقال مجاهد والضحاك: هي مثل

---

(1) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/38، ومعالم التنزيل 2/385.
(2) انظر: تفسير الطبري 6/623.
(3) انظر: زاد المسير ص 642، والجامع لأحكام القرآن 9/8.
4) فهو خطاب على قول المؤلف، ويصح أن يكون للغائب، والتقدير: وإن أعرضوا فقل: إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير. انظر القولين في: تفسير الطبري 6/624، والجامع لأحكام القرآن 9/8، وتفسير ابن كثير 2/451.
(5) سقطت من (م).
(6) انظر: الهداية 5/3346، ومغني اللبيب ص 80.
(7) انظر: تفسير الطبري 6/625-627، وزاد المسير ص 642.
(8) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/38، والتفسير الكبير 17/148.
(9) انظر: تفسير الطبري 6/625،624، ومعالم التنزيل 2/386.
(10) انظر: المحرر الوجيز 3/151، والبحر المحيط 5/204.
(11) سبق التعليق على مثل هذا في آخر سورة يونس ص(382).
(12) انظر: تفسير الطبري 7/3، والجامع لأحكام القرآن 9/11،10.
(13) في (ك): (الذي).

الـتـي[13] في سورة الأنعام (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ)[1].

(كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦) يعني: اللوح المحفوظ[2].

وهذا كله رد على المشركين في ظنهم أن السرائر تخفى عن الله[3].

(وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ)[الآية:7] كان العرش قبل أن تخلق السماوات والأرض على ماء، والماء على الريح[4]، ثم خلقت المخلوقات [كلها][5] تحت ذلك الماء.

(لِيَبْلُوَكُمْ)أي: خلق المخلوقات ليختبركم، [فيُظهِر][6] (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) والله غني عن الاختبار، وإنما هو إظهار حجة[7].

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال:(أَحْسَنُ عَمَلًا)﴾ أحسن عقلا٠، وأورع عن محارم الله، وأسرع إلى طاعة الله»[8].

(وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ)أي: إذا اختبرتهم بالبعث قالوا: إن هذا الذي جئت به (إِلَّا سِحْرٌ) ومن قرأ ﴿ساحر﴾ فمعناه ما هذا الرجل إلا ساحر مبين أي: ظاهر[9].

(وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ)[الآية:8] أي: مدة من السنين، وسميت السـ٠٠نينُ[10]

---

1) سورة الأنعام، الآية (98). وقول مجاهد والضحاك هنا أن المستقر: الرحم، والمستودع: الصلب، وهو موافق لقول أكثر أهل التفسير في تفسير آية سورة الأنعام كما سبقت في موضعها. وأثر مجاهد والضحاك رواهما الطبري في تفسيره 7/4، وأثر مجاهد عنده من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عنه، وهو طريق صحيح كما مضى ص(222).

(2) انظر: معالم التنزيل 2/388، والجامع لأحكام القرآن 9/11.

(3) هذا على ما اختاره المؤلف في الآية السابقة أنها في المشركين. انظر: الهداية 5/3351.

(4) جاء هذا في أثر عن ابن عباس رواه ا أبي عاصم في السنة (584) ص 258، والطبري في تفسيره 7/7، 6، الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (3306) 2/371، وقد صححه الحاكم والذهبي في التلخيص، وقال الألباني في عليقه على كتاب السنة:«إسناده جيد موقوف، وليس له حكم المرفوع، لاحتمال أن يكون ابن عباس تلقاه عن أهل الكتاب».

(5) سقطت من (م).

(6) سقطت من (ك).

(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/40، والهداية 5/3354.

8) رواه الطبري في تفسيره 7/7، وقد حكم عليه أئمة الحديث بالوضع. انظر: المطالب العالية 12/111، والكافي الشاف 2/336، وتنزيه الشريعة 1/217،213.

(9) قرأ حمزة والكسائي وخلف (ساحر)، وقرأ الباقون (سِحْرٌ)، وانظر توجيه القراءتين كما بينه المؤلف في: الهداية 5/3354، والنشر 2/192.

(10) كذا في النسختين، وهي لغة، فتلزمها الياء، وتعرب بالحركات على النون. انظر: شرح ابن عقيل على الألفية 1/66.

أمة· لانقراض الأمم فيها[1] ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي: يقولون: ما الذي حبس العذاب؟ تكذيباً منهم[2] ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ليس بمصروف عنهم[3].

[قوله تعالى][4] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾[الآية:9] أي: الكافر، وهو من أسماء الجنس[5] ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ [أي: نعمة][6] ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ قنوط، كفار بالمنعم[7].

وإذا أصابته نعمة بعد شدة ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾ أي: ذهب الضيق[8]، وفرح عند ذلك، وافتخر على الناس، هذه صفة الكافر، فأما المؤمن ففي البلاء صبور، يرجو الثواب، وينتظر الفرج، وفي النعماء شكور، يعرف المنة، ويستعين بها على الطاعة، وهو قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[الآية:11] فلهم بالصبر مغفرة، لأن البلاء يكفر ذنوبهم، ولهم أجر كبير فيما عملوا من الصالحات[9].

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾[الآية:12] أي: لا تترك تبليغ شيء مما أنزل إليك من أجل تكذيبهم، ولا يضيق[10] صدرك بتبليغه خوفاً من قولهم: لم لا أنزل على محمد كنز من مال ينفق منه، أو جاء معه ملك من الملائكة يخبرنا بتصديقه[11].

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي: ما عليك أن تأتي بكنز أو ملك، إنما أنت منذر، والله هو الوكيل على مجازاتهم وغير ذلك[12].

والهاء في ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ﴾ ضمير التبليغ، أو التكذيب، أو الوحي[13].

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/8، والمحرر الوجيز 3/153.
(2) انظر: معالم التنزيل 2/389، والكشاف 2/367.
(3) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/40.
(4) سقطت من (ك).
(5) إما أنه أريد به الكافر، أو أريد به جنس الناس، أي: خلق هذا في سجيتهم، واستثنى منهم بعد ذلك المؤمنين، والقولان متقاربان. انظر: الهداية 5/3356، والبحر المحيط 5/207،206.
(6) سقطت من (م). وانظر المعنى في: معالم التنزيل 2/389.
(7) انظر: زاد المسير ص 644، والجامع لأحكام القرآن 9/13.
(8) انظر: تفسير الطبري 7/10.
(9) انظر: تفسير الطبري 7/10، والهداية 5/3357، والتفسير الكبير 17/154.
(10) كذا في النسختين، ويمكن توجيهها على أن (لا) للنفي، ويراد بالنفي هنا: النهي، فيكون إخباراً بمعنى الطلب.
(11) انظر: تفسير الطبري 7/10، والكشاف 2/368،267، وتفسير ابن كثير 2/455.
(12) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/41، والبحر المحيط 5/207.
(13) انظر هذه الأقوال في: الهداية 5/3358، والجامع لأحكام القرآن 9/14.

﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾[الآية:14] أي: فإن لم يستجب لكم من دعوتموه ليساعدكم[1] في معارضة القرآن فاعلموا أنه منزّل من عند الله؛ إذ ظهر عجزكم كلكم عن معارضته، فهو كله خطاب للمشركين، وقيل: هو خطاب للمؤمنين، ومعناه: إن لم يستجب لكم المشركون فيما طالبتموهم من المعارضة فقد ظهر لكم وجه الإعجاز في القرآن[2].

ومعنى ﴿أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ أي: أنزله الله [بعلمه][3] من عنده، وهو عالم به، وليس بمفترىً[4]، وإذا ظهر لكم أن القرآن من عند الله فاعلموا أنه لا إله إلا هو[5] -كما ذكر في كتابه-، فرتب التوحيد هنا على صدق الرسول [ﷺ] تقريباً لعقولهم[6]، ومن اكتفى[7] بأدلة القرآن فقد تمسك بأوضح نور وأقرب برهان، وإنما يقابل بالمعقول من جحد ما جاء به الرسول [ﷺ].

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾[الآية:15] أي: من أنكر البعث ولم يرد إلا المجازاة في الدنيا نوف إليه جزاء صدقته ومعروفه في الدنيا من غير بخس -أي: نقص-، هذا للكافرين[8].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ[فِيهَا][9]﴾ [الآية:16] [أي: ذهب][10]، فلم يجازَوا عليه في الآخرة بحسنة لشركهم[11]، والضمير في ﴿صَنَعُواْ فِيهَا﴾

---

(1) في (ك): (من دعوتموهم ليساعدكم).
(2) انظر القولين في: تفسير الطبري 7/12، والمحرر الوجيز 3/156،155.
(3) سقطت من (م).
(4) في النسختين: (وليس بمفتر)، ولم يتبين لي وجهها.
(5) في (ك): (من عند الله وأن لا إله إلا هو).
(6) انظر: التفسير الكبير 17/158، وتفسير أبي السعود 4/193،192.
(7) في (ك): (ومن النفي).
(8) هذه الآية قيل: إنها في الكفار، وهو قول المؤلف، ويشهد له السياق، وقيل: هي في المرائين، وقيل: فيهم جميعاً؛ ثم إن الآية مقيّدة ومفسّرة -على قول أكثر العلماء- بما في سورة الإسراء ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ (سورة الإسراء:18). انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/17،16، والبحر المحيط 5/210،209، وتفسير ابن كثير 2/455.
(9) سقطت من (م).
(10) سقطت من (ك).
(11) في (ك): (لحسنة ليس لهم). وانظر معنى الآية في: تفسير الطبري 7/15، والكشاف 2/370.

أي: صنعوا في الدنيا، ويكون التقدير: حبط في الآخرة ما كانوا قد صنعوا[1]، ويعني بهذا ما يفعل الكافر ويعتقد أنه عبادة تقربه إلى الله.

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[الآية:17]أي: حجة واضحة، وهو محمد ﷺ[2].

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾أي: يتبع [محمداً][3] شاهد من ربه يشهد بصدقه ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾أي: من قبل القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ أي: التوراة، تصدق محمداً أيضاً[4]؛ وقال ابن عباس: الشاهد هنا: جبريل[5]؛ وقيل: الشاهد: الإنجيل، ومن قبل الإنجيل كتاب موسى[6].

وقيل: الهاء في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ضمير القرآن، فهو من التلاوة، ومعناه: ويقرأ القرآن شاهد من محمد، وهو لسانه[7]؛ وقيل: أي: يقرأ القرآن شاهد من الله، وهو جبريل، ومن قبل القرآن كتاب موسى، كان جبريل يقرؤه، وفيه تصديق محمد[8].

وسمى التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾لأن من آمن بموسى فقد اهتدى ورحم[9].

ثم ذكر الله تعالى رسوله بلفظ الجمع تعظيما· لقدره، ولاشتراك المؤمنين معه في

---

(1) في الضمير قولان: أحدهما: أنه عائد إلى الدنيا، فيتعلق الجار والمجرور بقوله سبحانه ﴿صَنَعُوا﴾، وقيل: عائد ى الآخرة، ويتعلق الجار والمجرور بقوله سبحانه ﴿وَحَبِطَ﴾، والتقدير الذي ساقه المؤلف يشبه أن يكون على القول الثاني -وإن لم يصرح بذكر هذا القول-. انظر: الهداية 5/3363، والبحر المحيط 5/210.

(2) انظر: الكشاف 2/370، والمحرر الوجيز 3/157.

(3) سقطت من (ك).

(4) انظر: الهداية 5/3363، ومعالم التنزيل 2/392.

5) رواه الطبري في تفسيره 7/18، 17 عن ابن عباس من طريقين: أحدهما من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، وقد مضى الكلام على رجاله إلى قتادة ص(2)، وعكرمة ثقة ثبت كما في قريب التهذيب (4707)، والطريق الآخر طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وقد مضى الكلام على ضعف سناده ص(142). وعلى هذا القول يكون المعنى: ويقرأ جبريل القرآن من عند الله على محمد . انظر: تفسير الطبري 7/18.

6) قال في الهداية 5/3364:«وقيل: المعنى: ويتلوه شاهد من الله عز جل، والشاهد الإنجيل، ويتلوه القرآن التصديق»، ولم يتبين لي وجه تركيب هذا القول على سياق الآية، والظاهر أن في حكاية هذا القول خللا، قال الفراء في معاني القرآن 2/6:«وقد قيل في قوله ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: يعني الإنجيل، يتلو القرآن وإن كان أنزل قبله، يذهب إلى أنه يتلوه بالتصديق»، وانظر: زاد المسير ص 646.

(7) انظر: معالم التنزيل 2/392، والجامع لأحكام القرآن 9/18.

(8) هذا هو قول ابن عباس السالف ذكره.

(9) انظر: زاد المسير 647، وتفسير ابن كثير 2/456.

الإيمان [فقال][1]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: محمد والمؤمنون[2]﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن[3]﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ أي: من جميع الفرق من العرب واليهود والنصارى[4]﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ﴾ أي: في شك في القرآن[5].

وجواب الاستفهام في الآية محذوف للتعظيم، تقديره: أفمن كان على بينة كمن ليس كذلك[6].

﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ يعني: الأنبياء، وقيل: الحفظة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ﴾ أي: كفروا.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ﴾[7][الآية:20] أي: جزاء بما كانوا يسمعون ويبصرون ثم لم ينتفعوا بآيات الله[8]، وقيل: (ما) هنا ظرفية، وتقديره: يضاعف لهم العذاب ما داموا يستطيعون السمع والنظر، فهو مبالغة بمعنى الخلود[9]، وقيل: إن ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ وقف تام، ثم يبتدئ بالنفي، معناه: ما كانوا يستطيعون سمعاً ينتفعون به، ولا نظراً يتعظون به؛ لأن الله [قد][10] حكم بشقاوتهم، قاله ابن عباس[11].

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ﴾[الآية:22] أي: لا محالة ولا غرو أنهم في الآخرة خسروا وخابوا لما لم ينتفعوا بالمواعظ في الدنيا[12]، ومعنى (لا جرم) عند العرب: لا بد، ولا محالة، قاله

---

(1) سقطت من (ك).
(2) المحرر الوجيز 158، وزاد المسير ص 647، والبحر المحيط 5/212.
(3) وقيل: بالنبي . انظر: معالم التنزيل 2/393، والبحر المحيط 5/212.
(4) انظر: المحرر الوجيز 3/158، وتفسير ابن كثير 2/456.
(5) انظر: الكشاف 2/371.
(6) انظر: تفسير الطبري 7/20، والبحر المحيط 5/211.
(7) في (م): (بما كانوا).
(8) انظر: تفسير الطبري 7/24، والجامع لأحكام القرآن 9/20.
(9) انظر: المحرر الوجيز 3/161،160، والبحر المحيط 5/213.
(10) سقطت من (م).
11) رواه الطبري في تفسيره 7/24 من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33). وانظر: الهداية 5/3370،3369.
(12) انظر: تفسير الطبري 7/24، والتفسير الكبير 17/166.
(13) معاني القرآن 2/8.
(14) العين (ج ر م) 6/119، والكتاب 3/138.

الفراء[13]، وقال الخليل وسيبويه: معناها: بحق[14]، وقال الكسائي[1]: معناها: لا صد ولا منع عن خسرانهم[2]، وقال الزجاج: (لَا) نفي، ومعناه: لا ينفعهم إقرارهم، ثم يبتدئ (جَرَمَ) كَسَبَ لهم كفرُهم أنهم خسروا[3].

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ)[الآية:23] بتاء ذات نقطتين، من الإخبات، وهو الانقياد للطاعة على وجه الخشوع والتواضع، يقال منه: أخبت، يخبت، فهو مخبت، فمعناه: اطمأنوا وانقادوا إلى طاعة ربهم[4]، والخبث[5] بثاء منقوطة ثلاث نقط: عكس هذا، يقال منه: خبُث، يَخبُث، فهو خبيث[6].

(مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ)[الآية:24] أي: الكفار والمؤمنين (كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ) مثل للكفار[7]، إذ لم ينتفعوا بما سمعوا ورأوا من الآيات (وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ) مثل للمؤمن، سمع فعقل، ونظر فاعتبر (هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا)[8]، و(مَثَلًا) مصدر في موضع الحال[9].

قوله تعالى: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ) ثم يبتدئ (إِنِّي) أي: قال: (إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾) ومن فتح فتقديره: أرسلْ بأني [لكم][10] نذير مبين[11].

وأول من آمن بنوح الفقراء وأرباب الحرف، فتكبر الرؤساء، وقالوا: (وَمَا نَرَىٰكَ

1) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي، أبو الحسن، شيخ القراءة والعربية، لقب بالكسائي لإحرامه في كساء، أحد القراء السبعة، لزم معاذا الهراء، وكان ذا منزلة عند الرشيد، توفي سنة 189هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 9/131، وغاية النهاية 1/535.

(2) انظر قول الكسائي في: إعراب القرآن للنحاس ص420،وانظر: معاني القرآن للكسائي ص 161.

(3) معاني القرآن 3/46.

(4) انظر نحوه في: تفسير الطبري 7/26،25، والجامع لأحكام القرآن 9/22.

(5) في (ك): (وأخبث).

6) لا يريد بالعكس الذي هو الضد، وإنما يريد أن الإخبات صفة حسنة، والخبث صفة مرذولة. انظر تصريف الفعل ومعناه في القاموس المحيط (خ ب ث) ص 168.

(7) في (ك): (الكفار).

8) انظر كون المثلين للكفار والمؤمنين، وتقرير وصفهم بما وصفوا به في: الكشاف 2/373،372، وزاد المسير ص 649،648.

(9) هذا قول في إعرابه، ورجح أبو حيان أنه تمييز. انظر: الهداية 5/3374، والبحر المحيط 5/214.

(10) سقطت من (م).

11) قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف: بالفتح على أنها معمولة لفعل الإرسال، وبالكسر على أنه كلام مستأنف، أي قال لهم ذلك، وقول المؤلف:«ثم يبتدئ» لا يريد به الابتداء بعد وقف في التلاوة، فلا وقف هنا، ولكن مراده: أن الكلام هو جملة مقول القول، مستأنفة، مستقلة عن فعل الإرسال السابق. انظر: تفسير الطبري 7/27، والحجة لأبي علي الفارسي 2/385، والنشر 2/216.

﴿ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾[الآية:27]أي: السفلة دون الرؤساء[1]، ولا يقال: رجل أرذل، ولا امرأة ر·ذلى حتى يضاف أو يدخل عليه الألف واللام[2].

روي أن أول من آمن بنوح الحاكة[3] والحجامون[4]، وكل رسول أرسل فأول من يؤمن به الفقراء[5].

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ بالهمز، أي: بابتداء الرأي اتبعوك، ولو أفكروا لم يتبعوك، ومن قرأ ﴿بَادِىَ﴾ بغير همز فيجوز أن يكون [للتخفيف، ويجوز أن يكون][6] من: بدا، بمعنى ظهر، فمعناه: اتبعوك بظاهر الرأي دون إمعان ونظر، وقيل: معناه: اتبعوك بظاهر ما ترى منهم لا ببواطنهم[7].

ونصب ﴿بَادِىَ﴾ على حذف (في)، وقيل: هو نعت لمصدر محذوف، وتقديره: اتبعوك اتباعاً ظاهراً[8].

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: فضيلة بما أنتم عليه[9]، وهو خطاب منهم لنوح

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/396، والجامع لأحكام القرآن 9/23.

2) وذلك أن لأفعل التفضيل ثلاث حالات: أن يقع مضافاً، أو معرفاً بالألف واللام، أو مجرداً ويجب عندئذ أن يُتبع بحرف الجر (من)، فتقول: زيد أرذل من عمرو، وقول المؤلف «ولا امرأة رذلى» هي بضم الراء، وقد حكاها القالي في أماليه، بيد أن لفظ تفضيل المؤنث لا يطابق المفضّل إلا عند تعريفه بالألف واللام، فيقال: هي الرذلى ، ما عند إضافته فلا يطابق المفضل في تأنيثه وتذكيره، كما يتبادر إلى الذهن من كلام المؤلف، فلا يقال: هي رُذلى نساء، ولكن لفظ التفضيل يلزم حال التذكير دائماً -عند إضافته إلى ما بعده- فيقال: هي أرذل النساء، وكذلك الحال فيما إذا جرد من الألف واللام والإضافة، فيقال: هذه أرذل من تلك، ولا يقال: هذه رذلى من تلك. انظر: الأمالي لأبي علي القالي 1/152، والهداية 5/3376، وشرح ابن عقيل على الألفية 1/165-169، والنحو الوافي 3/401-416.

(3) جمع حائك، من الحياكة، وهي النسج. انظر: القاموس المحيط (ح و ك) ص 938،937.

4) روي نحوه عن مجاهد وقتادة وعكرمة. انظر: تفسير ابن أبي حاتم 8/2788، ومعالم التنزيل 2/396، والدر المنثور 5/168، وهذا تفسير بالمثال.

5) وذلك كما في قصة أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل، وذلك حين قال له يستخبره خبر النبي : ومن تبعه؟ أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، ثم قال هرقل: وهم أتباع الرسل. رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، الباب السادس (7) 1/43-45، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير (1773) 4/447-453.

(6) سقطت من (ك).

7) قرأ أبو عمرو بالهمز، والباقون بياء مفتوحة، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/386-388، والبحر المحيط 5/215، وتحبير التيسير ص 124.

(8) انظر هذين الوجهين وغيرهما في: معاني القرآن للزجاج 3/47، والهداية 5/3377، والبحر المحيط 5/216،215.

(9) انظر: تفسير الطبري 7/28، وزاد المسير ص 650.

وللمؤمنين به، أنكروا تفضله عليهم بالرسالة لما كذبوه[1].

﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾[الآية:28] أي: خفيت[2] عنكم الرحمة التي أعطانيها الله، وهي الرسالة، ومن قرأ بضم العين وتشديد الميم فمعناها: عماها الله عليكم وأخفاها، وقرأ ابن مسعود وأبي (فعماها الله عليكم)[3].

﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أي: أنجبركم على الدخول تحتها والإيمان بها؟ فمعناه: لا أقاتلكم لتؤمنوا، إنما أكلكم إلى الله[4].

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[الآية:29]أي: لست أطرد الذين صدقوا بأنهم ملاقو الله[5]، وكانوا قد قالوا له: اطرد هذه الأراذل عنك، وقيل: تقديره: ما أطردهم؛ لأنهم ملاقو ربهم، فينتقم لهم ممن يؤذيهم[6].

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي﴾[الآية:30]أي: يحميني إن أراد عقوبتي على طردهم[7].

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ﴾[الآية:31] -أي: تحتقر[8]- ﴿أَعۡيُنُكُمۡ﴾ معناه: لا أقول لكم: إن الله لا يجازيهم بخير[9] ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من الإيمان، فيجازيهم عليه[10]، وقيل: (الخير) هنا: الإيمان[11] ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ إن حكمت فيهم بقولكم وحسدكم[12].

---

1) يريد بذلك قوله تعالى على لسان قوم نوح ﴿بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾، وقد اختلف فيه: أهو خطاب لنوح، وإنما خرج مخرج الجميع أم هو خطاب له ولمن آمن به؟ انظر القولين في: تفسير الطبري 7/28، والمحرر الوجيز 3/164، والجامع لأحكام القرآن 9/25.

(2) في (ك): (خفت)، وهي غير ظاهرة في (م)، والفعل (خفي يخفى): من باب رضي. انظر: القاموس المحيط (خ ف ي) ص 1280.

3) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم بضم العين وتشديد الميم، وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم، وقد وجه المؤلف القراءتين واحتج لقراءة حمزة ومن معه بقراءة أبي وابن مسعود. انظر ذلك في: الحجة لأبي علي الفارسي 2/388-390، والهداية 5/3378، والنشر 2/216.

(4) انظر: الكشاف 2/375، والمحرر الوجيز 3/165.

(5) في (ك): (صدقوا بإيمانهم بأنهم ملاقو الله).

(6) انظر القولين في: التفسير الكبير 17/172، والجامع لأحكام القرآن 9/26.

(7) انظر: معالم التنزيل 2/397، وزاد المسير ص 650.

(8) انظر: معالم التنزيل 2/397.

(9) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/26، والبحر المحيط 5/219.

(10) انظر: تفسير الطبري 7/31، والمحرر الوجيز 3/166.

(11) انظر: تفسير الطبري7/31، وزاد المسير ص 651.

(12) انظر: معالم التنزيل 2/397، والبحر المحيط 5/219.

﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾[الآية:32]أي: بالغت في خصومتنا، فأتنا بالعذاب كما تعدنا[1].

﴿يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[الآية:34]أي: يضلكم عن الحق[2].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[الآية:35] قيل: معناه: أم يقول قومك يا محمد: إنك اختلقت القرآن؟[3] ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾أي: علي إثم ما اكتسبت[4]، تعالى الله عن قولهم.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ﴾[الآية:36]لما جاء أجل العذاب ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ﴾أحد إلا من كان قد آمن قبل هذا الوحي[5]﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾أي: لا تحزن[6]، وذلك حين قال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[7].

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الآية:37] أي: بمرأى منا[8]﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي: تعليمنا إياك[9]، يقال: إن جبريل عليه السلام علمه كيف يصنع السفينة[10]﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾أي: لا تسألني في العفو عنهم[11].

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾[الآية:38]وكان نوح يصنع السفينة ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾أي: جماعة ﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟﴾أي: استهزءوا به، وقالوا: رجعت ، وكيف تصنع في البر؟ فيقول

(1) انظر: الهداية 5/3381، والكشاف 2/376.
(2) انظر: الهداية 5/3382، والمحرر الوجيز 3/167.
3) هذه الآية قيل: هي من قول مشركي مكة للنبي يتهمونه فيها بأنه افترى هذا القرآن وهذا الخبر عن نوح وقومه، وبه قال الطبري، وقيل: بل الآية من محاورة نوح وقومه، وعليه يدل السياق. انظر: تفسير الطبري 7/33، والجامع لأحكام القرآن 9/28.
(4) انظر: معالم التنزيل 2/398، والبحر المحيط 5/220.
(5) انظر: الهداية 5/3384، والمحرر الوجيز 3/168.
(6) انظر: معالم التنزيل 2/398.
7) سورة نوح، الآية (26). وقد قال بعض المفسرين: لما آيسه الله من إيمانهم، وأعلمه أن من لم يؤمن بعد منهم فلن يؤمن، فحينذاك دعا عليهم بقوله (﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾)، فذكر في دعوته أنهم لن يلدوا إلا كُفارا، وذلك عن وحي الله له، وهو ما بينه تعالى لنا في هذه لآية، ونحو هذا مروي عن قتادة. انظر: تفسير الطبري 7/34، ومعاني القرآن للزجاج 3/50،49، والمحرر الوجيز 3/168.
(8) انظر: معالم التنزيل 2/398، وتفسير ابن كثير 2/460.
(9) في (ك): (بعلمنا إياك). وانظر المعنى في: الهداية 5/3385، وتفسير ابن كثير 2/460.
(10) حكاه في المحرر الوجيز 3/169.
(11) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/50، والكشاف 2/377.

نوح: إن تسخروا منا اليوم فإنا نسخر منكم في الآخرة، نستهزئ بكم إذا صرتم إلى النار[1].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾[الآية:39] فأتاهم الطوفان.

قال ابن عباس: قال الحواريون لعيسى عليه السلام: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها، فانطلق بهم إلى كثيب من تراب، وأخذ كفاً منه، فقال: أتدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا كعب حام بن نوح، ثم ضرب الكثيب بعصاه، وقال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه، وقد شاب، فقال له عيسى: هكذا مت؟ قال: لا، ولكن مت وأنا شاب، ولكن ظننت أن الساعة قد قامت، فمن ثم شبت، فقال: حدثنا عن سفينة نوح، قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات: طبقة للدواب والوحش، وطبقة لبني آدم، وطبقة للطير، ولما كثرت الأرواث خلق الله لهم الخنزير من ذنب الفيل يأكل الأرواث، ولما آذاهم الفأر خلق الله الهر من عيني الأسد، ثم إن نوحاً بعث الغراب يأتيه بالخبر: هل انكشفت الأرض؟ فوجد جيفة، فوقع عليها، فدعا عليه نوح بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت، وبعث الحمام، فأتاه بالخبر، فدعا له بالألفة، فلذلك يحبه الناس[2].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾[الآية:40] أي: الطوفان[3] ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ هو التنور الذي كانوا يخبزون فيه، وكان قد أوحي إليه أن علامة الطوفان أن يفور من التنور[4]، وكان في الكوفة، في زاوية مسجدها[5] اليمنى من ناحية القبلة، فمن هناك فار الماء، أي: فاض وطلع، قاله

1) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 7/35، وزاد المسير ص 652، والجامع لأحكام القرآن 9/31. وفي المراد بسخريته بهم أقوال غير ما ذكر المؤلف، فقيل: نسخر منكم بعد الغرق، وقيل: نسخر من غفلتكم. انظر مصادر التوثيق.

2) رواه الطبري في تفسيره 7/36، وفي سنده المفضل بن فضالة بن أبي أمية، روى عن علي بن زيد بن جُدعان، وكلاهما ضعيف. انظر: تقريب التهذيب (4768،6905)، وعلى فرض ثبوته على ابن عباس فقال محمود شاكر في تعليقه على تفسير الطبري 15/313:«وهذا خبر لا أشك أنه من بقية أخبار بني إسرائيل وأشباههم، لا يبلغ أن يكون شيئاً».

(3) انظر: زاد المسير ص 653.

4) ورجحه الطبري، لأنه هو الأشهر من كلام العرب، ولا يصرف لفظ عن شهرة استعماله إلا بحجة يجب التسليم لها. انظر: تفسير الطبري 7/39-41، ومعاني القرآن للزجاج 3/51.

(5) في (ك): (وكان في الكوز في زاوية بمسجدها).

علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

وقيل: إنما فاض من ناحية الهند[2].

وعن ابن عباس أن التنور هنا: وجه الأرض[3].

وقيل: هو الصبح[4]، ومعناه: إذا طلع الفجر فاحمل في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[الآية:40] [أي: من كل][5] ذكر وأنثى، والزوج في اللغة: النوع، فالذكر والأنثى زوجان، أي: نوعان، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾[6] أي: الأنواع من [الحبوب و][7] النبات والحيوان[8].

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحمل أهلك، يعني: نساءه وأولاده ومن آمن به[9]﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ معناه: أن من حق عليه القول من الله لشقاوته من أهلك مثل ولده الذي غرق وزوجته الكافرة[10]﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: واحمل من آمن، [وهو تمام الكلام][11]، ثم يبتدئ بالنفي ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾[12].

قال ابن عباس: كانوا ثمانين رجلا· وثلاثة أولاد نوح: سام، وحام، ويافث[13].

قال قتادة: أصاب حام زوجته في السفينة، فدعا عليه نوح، فتغيرت نطفته، فهو أبو

---

1) انظر: تفسير ابن أبي حاتم 6/2028، والدر المنثور 3/595، وقد عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، ولم يذكر راويه عن علي، وكذا عند ابن أبي حاتم، وعزاه إلى أبي الشيخ من رواية حبة العربي ومن رواية الشعبي. وقد روي عن علي رضي الله عنه خلاف ذلك، كما في تفسير الطبري 7/39.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/32.

3) رواه الطبري في تفسيره 7/39،38 عن ابن عباس من وجهين عن الضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس كما سبق ص(247).

(4) انظر: الهداية 5/3392، والبحر المحيط 5/223،222.

(5) سقطت من (ك).

(6) سورة يس، الآية (36).

(7) سقطت من (م).

(8) انظر: الهداية 5/3394، ولسان العرب (ز و ج) 6/108، والبحر المحيط 7/321،320،180

9) قوله «ومن آمن به» ليس تفسيراً لأهله على ما ظهر لي، بل هو تفسير للآتي من الآية ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾، إذ لم أقف على من قال إن الأهل هنا يشمل حتى من آمن به، وذلك لأن من آمن سيذكرون بعد قليل. انظر تفسير الأهل في: معالم التنزيل 2/402، وزاد المسير ص 653.

(10) خبر (أنّ) لم يذكره المؤلف، وربما كان عمداً لأنه مفهوم، وتقديره: أن من حق عليه القول فليس بناج . وانظر تفسير الآية بنحو ذلك في: تفسير الطبري 7/42، والبحر المحيط 5/223.

(11) سقطت من (ك).

(12) انظر: الهداية 5/3395.

(13) رواه بنحوه الطبري في تفسيره 7/43، وانظر: الهداية 5/3395.

السودان[1].

وروي أن الله تعالى أعقم النساء قبل الطوفان بأربعين سنة، فلم يهلك بالطوفان إلا ابن أربعين فصاعداً[2].

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾[الآية:41]أي: قال[3] نوح للمؤمنين: اركبوا في السفينة[4]﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرٖيهَا وَمُرْسَاهَا﴾ من الإرساء، وهو الثبات[5]، ويحتمل المصدر والزمان والمكان[6]، أي: بقدرة الله تجري وتقف إذا رست، وقال الضحاك وغيره: [كان][7] إذا أراد أن تجري قال: بسم الله، فتجري، وإذا أراد أن تقف قال: باسم الله، فتقف[8].

والـمُجرى بالضم: الإجراء، وبالفتح: موضع الجري[9]، ومن قرأ ﴿مَجْرٖيهَا وَمُرْسَاهَا﴾ (مجريها ومرسيها) بالياء فهو نعت لاسم الله[10].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾[الآية:45] واسمه يام[11]﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ قيل: كان في مكان انعزل

---

1) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان 5/169 عن قتادة والحكم وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي، ورواه الطبري في تفسيره 7/43، 42 عن ابن جريج، وانظر: الدر المنثور 3/601، وهذا أثر كما تراه لا يدل عليه دليل من كتاب ولا سنة، بل لم يُرو حتى عن صحابي، واثنان ممن روي عنهما هما من المشهورين بذكر أخبار بني إسرائيل، وإذا كان نوح عليه السلام قد صابر قومه في دعوته ألف سنة إلا خمسين عاماً أفلا يَحتمِل بعد ذلك هفوة من ابن له مؤمن، هذا إن سلمنا بأنها هفوة، ولكن الناس مولعون بالغرائب، وقد أحسن البغوي رحمه الله في كتابه معالم التنزيل 2/402 حيث ذكر مبدأ هذا الأثر -وفيه ذكر عدد من كان في السفينة- ولم يذكر منتهاه الذي فيه هذا الخبر بأن حاماً أصاب زوجه.

(2) عزاه السيوطي في الدر المنثور 3/600 إلى إسحاق بن بشر وابن عساكر.

(3) في (ك): (وقال).

(4) انظر: معالم التنزيل 2/403، والبحر المحيط 5/225.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/34.

6) أي يحتمل اللفظان أن يكونا مصدرين أو ظرفي زمان أو ظرفي مكان. انظر: الكشاف 2/381، والبحر المحيط 5/225.

(7) سقطت من (ك).

(8) رواه الطبري في تفسيره 7/45 عن الضحاك، وروى نحوه عن مجاهد. وانظر: الهداية 5/3397.

9) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بفتح الميم من(مَجْرٖيهَا)، وقرأ الباقون بضمها (مُجراها)، وعلى كلا القراءتين يصح فيه أن يكون مصدراً أو اسم زمان أو اسم مكان، والفرق بينهما أنه على قراءة الضم يكون من الفعل الرباعي: أجرى، يُجري، وعلى الفتح فهو من الثلاثي: جري، يَجري. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/39، 393، والهداية 5/3397، 3396، ولسان العرب (ج ر ي) 2/265، والدر المصون 6/325-327، والنشر 2/217، 216.

(10) قرئ بذلك في الشاذ، وقد رويت عن الضحاك والنخعي ومجاهد وغيرهم. انظر: البحر المحيط 5/226.

(11) انظر: تفسير الطبري 7/45، وقيل في اسمه غير ذلك كما في معالم التنزيل 2/403.

فيه خوفاً من الغرق، وقيل: هو كناية، ومعناه: كان في معزل عن الإسلام[1].

وقيل: إن نوحاً لم يعرف بكفره، ولذلك قال: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٢﴾[2].

وعن علي رضي الله عنه أنه كان يقرأ: (ونادى نوح ابنها) قال: إنما كان ابن امرأته من رجل تزوجها قبل نوح[3]، ويكون قول نوح ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ جعله كالولد لأنه ربيبه، والأول أظهر.

﴿[قَالَ][4] سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى﴾[الآية:43] أي: يمنعني من الغرق، وكان يظن أن الماء لا يبلغ الجبال[5]، فقال نوح: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ أي: لا مانع ﴿ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [قيل: معناه: إلا الذي رحم][6] المؤمنين وأنقذهم من الغرق، فتقديره: لا عاصم إلا الله الرحيم[7]﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾ أي: حجز بين نوح ويام، فغرق يام[8].

فلما انقضى أجل الطوفان أوحى الله تعالى إلى الأرض ﴿ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾[الآية:44] أي: اشربي ما عليك من الماء[9]، وإلى السماء ﴿أَقْلِعِى﴾ أي: كفي فلا تمطري[10]، قيل: خلق في السماء والأرض إدراكاً، وأوحى إليهما، وقيل: هو مجاز[11].

﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي: غ·و··ر ونقص[12]، ومنه: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾[13]، أي:

---

(1) الأكثرون على أنه كان في معزل عنه فلم يركب السفينة، بل أوى إلى الجبل، وعليه ظاهر القرآن، وقيل: كان في معزل من دين نوح عليه السلام. انظر: معاني القرآن للزجاج 3/54، والهداية 5/3398، وزاد المسير ص 655، والتفسير الكبير 17/185.

(2) حكاه في الهداية 5/3398، والجامع لأحكام القرآن 9/36.

3) حكى هذه القراءة مكي في الهداية 5/3399،3398، وعزاها السيوطي في الدر المنثور 3/603 إلى ابن الأنباري في المصاحف وأبي الشيخ.

(4) سقطت من (ك).

(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/54، وزاد المسير ص 655.

(6) سقطت من (م).

7) وقيل: لا عاصم اليوم من أمر الله، لكن من رحمه الله أنجاه، فالاستثناء منقطع، وقيل: عاصم هنا بمنى معصوم، فالمعنى: لا معصوم إلا المرحوم. انظر: تفسير الطبري 7/46،45، والجامع لأحكام القرآن 9/37، والبحر المحيط 5/228،227.

(8) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/37.

(9) انظر: معالم التنزيل 2/404، وزاد المسير ص 655.

(10) في (م): (فلا تنطري)، وفي (ك): (كفي تمطرك)، وما أثبته موافق لما في الهداية 5/3401.

11) لا شك أن الله تعالى قد أمرها، ولا شك أنها قد امتثلت، أما كيفية هذا القول فلم يقع لنا به علم من كتاب أو سنة، وعلى كل فالأصل الحقيقة عند من يقسم الكلام إلى حقيقة ومجاز. انظر: مجموع الفتاوى 20/257،256.

(12) انظر: تفسير الطبري 7/48،47، والمحرر الوجيز 3/175.

(13) سورة الرعد، الآية (8).

تنقص[1]، فهاتان الكلمتان بالضاد أخت الصاد، وأما الغيظ في سائر القرآن فهو بالظاء أخت الطاء، من الغضب[2].

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي: فرغ منه بإهلاك الكافرين[3]﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ أي: استوت السفينة على الجودي، فوقفت هناك[4]، والجودي: جبل بناحية الموصل والجزيرة[5].

﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا﴾أي: أبعد الله الظالمين بعداً[6]، قيل: هو من قول الله، وقيل: هو من قول نوح وقومه[7].

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال:«ركب نوح في السفينة في أول يوم من رجب، فصام هو وجميع من معه، وجرت السفينة ستة أشهر، فانتهى ذلك إلى المحرم، فأرست على الجودي يوم عاشوراء، فصام نوح، وأمر جميع من معه بشكر الله تعالى»[8].

وروي أن السفينة مرت بموضع البيت فطافت به أسبوعاً، وكان الماء حوله على رؤوس الجبال، وهو سالم من الماء، لأنه ماء السخط[9].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ﴾[الآية:45] لما ركب السفينة سأل الله تعالى أن ينجي ولده يام، لأنه كان وعده بنجاة أهله، وهو قوله: ﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ فاحكم لي بوفاء وعدك، فلا راد لحكمك[10].

فأوحى الله تعالى إليه ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾[الآية: 46] أي: ليس من أهلك المؤمنين الذين هم معك وعلى دينك، فإن الكافر أجنبي في المعنى، بدليل حرمانه من الميراث،

---

(1) انظر: زاد المسير ص 727.
(2) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 619.
(3) انظر: المحرر الوجيز 3/175، وتفسير ابن كثير 2/462.
(4) انظر: معالم التنزيل 2/404، والبحر المحيط 5/229.
5) انظر: معجم البلدان 2/88، وأما الجزيرة فالظاهر أنها جزيرة ابن عمر: وهي جزيرة بأرض العراق قريبة ن الموصل، يطل عليها جبل الجودي، وقد عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي، وكانت يحيط بها دجلة من ثلاث جهات، ثم عمل خندق وأجري فيه الماء، فأحاطت بها دجلة. انظر: معجم البلدان 2/57.
(6) انظر: تفسير الطبري 7/47.
(7) انظر: المحرر الوجيز 3/176، والبحر المحيط 5/229.
8) رواه الطبري في تفسيره 7/47، وقال الألباني: «موضوع». السلسلة الضعيفة (5413) 11/692،691، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري 15/335:«وهذا خبر هالك من نواحيه جميعاً».
(9) رواه الطبري في تفسيره 7/47 عن ابن جريج.
(10) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 7/49، والكشاف 2/383.

ومن قال: إن يام إنما هو ابن امرأته حمل هذا على ظاهره[1].

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ﴾ ذو عمل غير صالح، فحذف المضاف[2]، مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[3]، وقيل: الهاء ضمير السؤال، وتقديره: إن سؤالك في نجاة كافر عمل غير مرض، قاله ابن مسعود[4].

ومن قرأ ﴿عَمِلَ غَيْرَ﴾ على أنه فعل وفاعل فمعناه: إن[5] ابنك عمل عملاً غير صالح، وهو الكفر[6].

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: أنت لا تعلم أن ابنك في علم الله سعيد أو شقي[7]، وقد علم الله أنه شقي من الهالكين ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ﴾ أي: أعظك لئلا تكون[8]﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾ الذين يسألون ما لا يعلمون، وقيل: ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾ الذين يتهمون وعد الله، ويشكون في صدقه، ولم يقع نوح في هذا، وإنما وعظه ليؤدب غيره، وليزول عنه الحزن على ولده[9].

فعند ذلك استجار نوح بالله أن يوقعه في الاعتراض، وسأله أن يغفر له السؤال، فلما فرغ الطوفان أوحى الله إليه: ﴿ٱهْبِطْ﴾[الآية:48] من السفينة، أي: اخرج ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سلامة من الغرق بفضل الله ﴿وَبَرَكَٰتٍ[10] عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ يعني: بني آدم المؤمنين معه، بارك الله في ذرياتهم حتى عمر بهم الأرض ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أي: وأمم من نسل[11]

---

(1) انظر القولين في: الهداية 5/3404، وتفسر ابن كثير 2/464،463.
(2) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/55، والهداية 5/3405، والبحر المحيط 5/229.
(3) سيأتي الكلام على هذه الآية في موضعها في سورة يوسف، وهي الآية (82).
(4) انظر: الهداية 5/3405، والبحر المحيط 5/229.
(5) في (ك): (فإن).
(6) وهي قراءة الكسائي ويعقوب. انظر القراءتين وتوجيههما في: البحر المحيط 5/229، والنشر 2/217.
7) انظر: زاد المسير ص 657، وفي المراد بالآية أقوال أخرى، فقيل: قد أخبرتك يا نوح عن سؤالك سبب هلاكي ابنك الذي أهلكته فلا تسألن بعدها عما طويت علمه عنك من أسباب أفعالي، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 7/54، وزاد المسير ص 657.
(8) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/44.
9) انظر هذا القول دون التوجيه الذي وجهه به المؤلف أنه وعظ به غيره في: تفسير الطبري 7/54، والهداية 5/3406، والمحرر الوجيز 3/178.
(10) في (ك): (منا وبركات)، وهي وإن كانت من لفظ الآية إلا أن الجملة لا تحتمل إقحامها هنا.
(11) في (ك): (قبل).

هؤلاء، كفروا، فمتعهم في الدنيا، ثم يمسهم في الآخرة عذاب جهنم[1].

قال محمد بن كعب القرظي: دخل في هذا السلام والبركة كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة[2].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾[الآية:49] أي: هذه القصص والأخبار الغائبة عنك وعن قومك نوحيها إليك يا محمد لتكون دلالة على صدقك[3] ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ أي: من قبل نزول القرآن[4]، ثم نبهه على أنه سيظهر أمره، ويبارك فيمن اتبعه، ويهلك أعداءه كما فعل لنوح فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[5].

[قوله تعالى][6]: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[الآية:50] الآيات، أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، فأمرهم بالتوحيد وترك الافتراء على الله بالشرك، وأنه لا يطلب منهم أجرة على التبليغ، ونبههم على الاستدلال[7]، وحثهم على الاستغفار والتوبة من الشرك، وبشرهم أنهم إن آمنوا بنعم الله عليهم ﴿يُرْسِلِ[8] ٱلسَّمَآءَ﴾[الآية:52] أي: المطر[9] ﴿مِّدْرَارًا﴾ مشتق من در الماء واللبن يدُر ويدِر بضم الدال وكسرها، فهو دار، ومدرار للتكثير، وكذلك باب مفعال كله، [وأكثر ما يأتي من فعل رباعي، وهو هنا ثلاثي،

---

(1) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 7/55،54، وزاد المسير ص 657، والجامع لأحكام القرآن 9/45،44.

(2) رواه الطبري في تفسيره 7/55.

(3) انظر: الهداية 5/3408، وتفسير ابن كثير 2/465.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/407، والبحر المحيط 5/232.

(5) انظر: الكشاف 2/386، وزاد المسير ص 657.

(6) سقطت من (ك).

(7) الفلاسفة وأتباعهم من المتكلمين لا يعرفون خالقهم تبارك وتعالى بأدلة السمع -أعني بأخبار الرسل-، بل يثبتون الله تعالى بأصول أصّلوها، بل بطرق ابتدعوها، فجعلوا أول مسائل أصول الدين الاستدلال على الله تبارك وتعالى، يريدون بذلك الاستدلال عليه بالممكنات التي هي المخلوقات -التي هي حادثة-، قالوا: فكل ما كان حادثاً فهو ممكن الوجود، وهو مخلوق، ولا بد لممكن الوجود من واجب وجود، وهو الله تعالى، وهذا الذي أدى بهم إلى نفي صفات الله تعالى، لأنها تدل على الحدوث، وعليه فلا بد أن يكون من اتصف بها حادثاً، تعالى الله عن قولهم، وهذه الطريقة في الاستدلال على الله تعالى قد نازعهم فيها كبارهم وأساطينهم، أفندع فطرة الله التي فطر الناس عليها، ونترك ما جاء في الوحي الثابت، والخبر الصادق، والنبوة الصادقة، والرسول المؤيد بالمعجزات، ونلتفت إلى فلسفة المتفلسفة؟، وقد جعل المؤلف هنا الرسول ليس إلا ليدلهم على طريقة الاستدلال، فالله المستعان. انظر: مجموع الفتاوى 1/38-41، و16/157-162، 244-251، و18/127-130.

(8) في (م): (فيرسل).

(9) انظر: معالم التنزيل 2/407.

وحذفت الهاء من (مدرار)][1] لأن فيها معنى[2] النسب[3]، وتقديره: يرسل ماء السماء عليكم مدراراً[4].

﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ أي: مع قوتكم[5]، وقيل: عنى بالقوة: الأموال والنعم، وقيل: النسل وكثرة الأولاد، وقيل: الشدة في الأجسام، وهو الأظهر[6].

وكانوا بالأحقاف، وهي الرمال بين الشام واليمن[7]، وكانوا أهل زروع[8] وبساتين[9]، وقيل: كان النسل قد انقطع عنهم سنين، فلم تلد امرأة[10].

﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾[الآية:52] أي: بحجة ظاهرة في ترك آلهتنا، وإنما قالوا ذلك جدلاً منهم ووقاحة[11] ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ﴾ أي: ما نترك عبادة آلهتنا بمجرد قولك، وما نحن بمصدقين أن الله أرسلك بذلك[12].

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا﴾[الآية:54] أي: ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بسوء -أي: جنون- من أجل سبك للآلهة[13]، فقال هود: إني أشهد الله وأشهدكم أيضاً أني بريء من آلهتكم.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾[الآية:55] اعملوا في كيدي كلكم، ولا تؤخروني إن قدرتم[14].

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الآية: 56] في دفع ضرركم والانتقام منكم[15] ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ

---

(1) سقطت من (ك).
(2) في (م): (بمعنى).
(3) انظر: الهداية 5/3410، والمحرر الوجيز 3/180، والجامع لأحكام القرآن 9/46.
(4) انظر: تفسير الطبري 7/57.
(5) انظر: معالم التنزيل 2/407.
(6) انظر: زاد المسير ص 657، والبحر المحيط 5/233، 232.
(7) هذا قول غريب، وقد حكاه في الجامع لأحكام القرآن /46، والمشهور أنها الرمال بين عمان وحضرموت، لعلها اليوم تقع جنوب الربع الخالي. انظر: الهداية 11/6854، 6853، ومعجم البلدان 1/100، والجامع لأحكام القرآن 16/175، 174.
(8) في (ك): (زرع).
(9) قال تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣﴾ (سورة الشعراء:132-134).
(10) انظر: معالم التنزيل 2/407، والجامع لأحكام القرآن 9/46.
(11) انظر: تفسير الطبري 7/58، والبحر المحيط5/233.
(12) انظر: معالم التنزيل 2/408، والكشاف 2/387.
(13) انظر: المحرر الوجيز 3/181، والبحر المحيط 5/233.
(14) انظر: الهداية 5/3412، وزاد المسير ص 658.
(15) انظر: الكشاف 2/389.

بِنَاصِيَتِهَآ ﴾أي: ما من مخلوق حي إلا والله قادر على أخذه وإهلاكه[1]، وخص ذكر الناصية لأن العرب كانوا يجرون الأسير بناصيته، ثم كانوا يستعملون لفظ الناصية تجوزاً، والمراد به الخضوع[2]﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ أي: على منهاج قويم في تدبير خلقه وكونهم تحت قهره[3].

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾[الآية:57] أي: تُعرضوا ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم﴾ فالحجة قائمة عليكم، وسيهلككم ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ ولا يتضرر بفقدكم، ولا تقدرون على الامتناع منه بقوتكم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾﴾ أي: حافظ عالم محيط، فلا يخفى عنه[4] ولا يغلبه شيء، ولا يفوته[5].

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾[الآية:58]أي: الريح التي أهلك الله بها عاداً[6]﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا﴾والمؤمنين[7] ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾﴾قيل: عنى به عذاب الآخرة[8].

﴿وَتِلۡكَ عَادٞ﴾[الآية:59]أي: وتلك الأمة المهلكة[9]، أنكروا آيات الله، وعصوا الرسول، واتبعوا أمر رؤسائهم في الكفر[10]، والعنيد: المعاند لأمر الله[11].

﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ﴾[الآية:60] لعنهم الله أي: سخط عليهم، ويلعنهم المؤمنون

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/408، والجامع لأحكام القرآن 9/47.

(2) هذا في إحدى نسخ الهداية: أنهم إذا أرادوا إطلاق الأسير «جروا ناصيته»، وفي الأخرى «جزوا ناصيته» ، وهذا الذي عليه أكثر المفسرين: أن العرب كانوا إذا أسروا الأسير، ثم أرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته، حتى صاروا يقولون: ما ناصية فلان إلا بيدي. انظر: تفسير الطبري 7/60، والهداية 5/3412، ومعالم التنزيل 2/408، والمحرر الوجيز 3/181، والتفسير الكبير 18/12، والجامع لأحكام القرآن 9/47.

(3) انظر: تفسير الطبري 7/60، والتفسير الكبير 18/12.

(4) في (ك): (عليه شيء)، وفي حاشيتها(فلا يخفى عن علمه شيء).

(5) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 7/60، ومعالم التنزيل 2/409، والمحرر الوجيز 3/182.

(6) انظر: البحر المحيط 5/234.

(7) في (ك): (هوداً والذين آمنوا معه).

8) وقيل: بل هو ما عذبوا به من الريح العقيم، وقيل: هما معاً. انظر: تفسير الطبري 7/61، والمحرر الوجيز 3/182، وزاد المسير ص 659.

9) في (ك): (وتلك الا المهلكة). ومراد المؤلف أن اسم الإشارة أشير به إلى الأمة المهلكة -ولهذا أنث-، ثم أخبر عنهم بأنهم هم عاد، وانظر هذا المعنى في: تفسير الطبري 7/61، ومعالم التنزيل 2/409.

(10) انظر: التفسير الكبير 18/14،13، والجامع لأحكام القرآن 9/49.

(11) انظر: الهداية 5/3414.

بقية مدة الدنيا[1] (وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ) لهم لعنة أخرى (أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ) أي: جحدوا ربهم، وقيل: أي: كفروا نعمة ربهم[2] (أَلَا بُعْدًا) أي: أبعدهم الله بعداً، فهو كالدعاء عليهم[3].

وقوله: (وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ) أتت بلفظ الجمع، وإنما عصوا رسولاً واحداً، لأن من كذب رسولاً فكأنما كذب جميع الرسل، لأن الدال على صدقهم دليل واحد، وهو المعجز، وبعضهم يصدق بعضاً، ونظائره كثيرة[4].

قوله تعالى: (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا)[الآية:61] الآيات، دعا صالح قومه إلى الله تعالى، وذكرهم منة الله في خلق أبيهم آدم من الأرض، فقال: ([هُوَ][5] أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) أي: أسكنكم وها[6] وجعلكم عمارها[7].

(قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا)[الآية:62] أي: كنا نرجو أن تكون فينا سيداً رئيساً من قبل أن تقول هذا[8].

(فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾) قيل: معناه: ما تزيدونني بقولكم نعبد ما يعبد آباؤنا إلا خسارة، وما زدتموني حجة على صحة ما تعبدون[9].

ثم إنه أخرج لهم ناقة حمراء عشراء من الجبل[10].

(تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ)[الآية:65] أي: في منازلكم، وقيل: أي: في الدنيا[11] (ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ)

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير 2/466.
(2) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/409، والتفسير الكبير 18/14، والجامع لأحكام القرآن 9/49.
(3) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/59، والكشاف 2/390.
(4) انظر: الهداية 5/3414، والتفسير الكبير 18/13، وتفسير ابن كثير 2/466.
(5) سقطت من (م).
(6) في (ك): (أسكنكم فيها).
(7) انظر: معالم التنزيل 2/410، والمحرر الوجيز 3/183.
(8) انظر: الكشاف2/392، والجامع لأحكام القرآن 9/53.
9) وقيل: فما تزيدونني لو اتبعتكم إلا خسراناً لديني فأكون إذاً من الخاسرين الهالكين، وقيل: فما زدتموني إلا ضوحاً في تخسيركم يريد: نسبتكم إلى الخسران، وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 7/63، ومعالم التنزيل 2/410، وزاد المسير ص 660، والتفسير الكبير 18/16.
10) انظر: الهداية 5/3418. والعشراء من النُوق: هي التي مضى على حملها عشرة أشهر. انظر: القاموس المحيط (ع ش ر) ص 440.
(11) انظر القولين في: الكشاف 2/392، والتفسير الكبير 18/17.

كان وعدهم مجيء العذاب بعد ثلاثة أيام، فأصبحوا صفر الوجوه، وفي اليوم الثاني احمرت وجوههم حتى صارت كالدم، وفي اليوم الثالث اسودت وجوههم، ففرشوا الرماد، ووضعوا وجوههم عليه، وضجوا، واستغاثوا، فلم يقبل منهم، فبينما هم كذلك إذ صاح عليهم صائح من السماء سمعوا منه صوت كل ذي صوت، فلم يقبل منهم، فماتوا كلهم من الرجفة -فلذلك أتى ذكر الصيحة في موضع، وذكر الرجفة في موضع[1]- فأصبحوا باركين موتى[2].

﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾[الآية:66] أي: ومن خزي ذلك اليوم وذله[3]، و(يوم) لما لزمت (إذ) صارت كأنها كلمة واحدة، فبنيت على الفتح، لأنها ظرف، ومن أعرب (يوما) فعلى الأصل، وخفض (يوم) بالإضافة، ومثله في النمل: ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾[4]، وفي المعارج: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾[5].

وروي أن ثموداً كانت بيوتهم تنهدم[6] من طول أعمارهم، فنحتوا الجبال، وكان صالح يسكن منعزلا عنهم، فأخبرهم أنه[7] سيولد فيهم مولود أشقر أزرق أصهب[8]، وكان في المدينة شيخان رئيسان، فزوج أحدهما ابنه من ابنة الآخر، فولد بينهما هذا المولود، فمنعه جداه ممن يقصده، فنشأ نشأة سوء، فهو الذي عقر الناقة، فلما عقروها

---

(1) فجاء هنا ذكر الصيحة، وجاء في سورة الأعراف ذكر الرجفة، سورة الأعراف، الآية (78).
2) هذا ملخص من حديث مرفوع رواه الطبري في تفسيره 7/64-66، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير 4069) 2/618،617، وقد أشار إلى ضعفه الذهبي في التلخيص بحاشية المستدرك، وضعفه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري 15/378،377.
(3) انظر: الكشاف 2/393، ولجامع لأحكام القرآن 9/54.
(4) سورة النمل،الآية (89).
5) سورة المعارج، الآية (11). قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر بفتح الميم من (يومئذ) في موضعي هود المعارج على أنها مبنية، وقرأ الباقون بكسر الميم معربة على أنها مضاف إليها، أما موضع النمل فقرأ نافع وأبو جعفر كما في موضعي هود والمعارج، وقرأ الكسائي كما قرأ عاصم وحمزة وخلف بفتح الميم لا على البناء لكن على الظرفية، فإنهم ينونون ﴿مِّن فَزَعٍ﴾، وغيرهم لا ينوّنها، وقرأ الباقون بلا تنوين في (من فزع)، وبالكسر في ميم يومئذ). انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/403،402، والهداية 5/3420،3419، والبحر المحيط 5/241، والنشر 2/255،217، وإتحاف فضلاء البشر ص 433،432.
(6) في (ك): (كانت تنهدم بيوتهم).
(7) في (ك): (فأخبره أن).
(8) الأصهب أحمر الشعر أو أشقره. انظر: القاموس المحيط (ص هـ ب) ص 106.

توعدهم صالح بالعذاب بعد ثلاثة أيام[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾[الآية:69] الآية، جاءه إسرافيل وجبريل وميكائيل[2]﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ أي: جاءوا ليبشروه بإسحاق، وبهلاك قوم لوط[3]﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: سلموا على إبراهيم سلاما.[4]، فقال إبراهيم: ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي: سلام عليكم، فرفع ﴿سَلَٰمٌ﴾ على الحكاية[5]، ومن قرأ ﴿س.ل.م.﴾ فمعناه: نحن س.ل.م.، أي: ما بيننا وبينكم شر، بل أمن ومسالمة وسلامة[6]﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: أنتم قوم لا نعرفكم من بلادنا، قيل: لأنه كان لا يسمع السلام من أحد من بلاده، وإنما كان يسلم المؤمنون، فأنكر ذلك[7]﴿فَمَا لَبِثَ﴾ أي: ما مكث، ومعناه: ما أبطأ إبراهيم[8]﴿أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ أي: محنوذ، وهو المشوي النضيج[9].

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾[الآية:70]أي: لا يمدونها[10] لأكله أنكر ذلك[11]، وتعجب من ضيف لا يأكل، يقال: ن.كِ.ر وأ.ن.كر: بمعنى واحد[12]، قال قتادة: وإنما أنكر ذلك لأن الضيف إذا لم يأكل فإنما يكون مقصوده شراً[13]﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ﴾ أي: وجد في نفسه

---

(1) هذا جزء من الحديث الذي سبق قبل قليل.

2) هذا فيما قيل، وقد اختلف في عددهم أهم ثلاثة أم أكثر؟ والله أعلم. انظر: تفسير الطبري 7/67، ومعالم التنزيل 2/412.

(3) والأكثرون على أن البشارة هي بشارتهم له بإسحاق لقوله تعالى بعدُ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا﴾. انظر: المحرر الوجيز 3/187، وتفسير ابن كثير 2/467.

(4) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/60، والبحر المحيط 5/241.

(5) انظر: معالم التنزيل 2/412، والبحر المحيط 5/241.

6) قرأ حمزة والكسائي (سِلْمٌ)، وقرأ الباقون (سَلَٰمٌ)، وتوجيه القراءتين كما ذكر المؤلف. انظر: الهداية 5/3427، والنشر 2/218.

7) لا أدري إن كان المؤلف -وسبقه إلى ذلك مكي- قد أدرج هذه الآية هنا عمداً أم سَهوًا في ذلك، فإن قوله عالى ﴿قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من سورة الذاريات، ورقمها (25). وانظر التفسير الذي ذكره المؤلف في الهداية 5/3427.

(8) انظر: زاد المسير ص 661، والجامع لأحكام القرآن 9/56.

(9) انظر: تفسير الطبري 7/69،68، ومعالم التنزيل 2/412.

(10) في النسختين: (لا يمدوها)، بحذف النون، ولا مسوغ لحذفها فيما يظهر.

(11) انظر: تفسير الطبري 7/69.

(12) انظر: تفسير الطبري 7/70، والكشاف 2/394.

(13) رواه الطبري في تفسيره 7/70 عن قتادة من طريق معمر، وقد مضى الكلام على هذا الطريق ص(257).

﴿خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ أي: جئنا إليهم بالعذاب[1].

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾[الآية:71] أي: سارة امرأة إبراهيم، كانت واقفة من وراء الستر، وهي في خدمة الضيف، ﴿فَضَحِكَتْ﴾ تعجباً من غفلة قوم لوط وقد جاءهم العذاب، قاله قتادة[2]، وقيل: تعجبت من كونهم لا يأكلون، وقيل: تعجبت من خوف إبراهيم من الضيف، وقيل: تعجبت لما بشرت بالولد، وهذا بعيد لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقيل: ضحكت لأنها قالت لإبراهيم: أحسب أن قوم لوط يأتيهم عذاب، فخذ لوطاً إليكم، فلما صح ظنها ضحكت، وقيل: (ضحكت) بمعنى: حاضت، وهي لغة لبعض أهل الحجاز[3].

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ ولد تلده ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ أي: من أولاد إسحاق يعقوب، قاله ابن عباس[4].

ومن رفع ﴿يعقوب﴾ فعلى الابتداء[5]، ومن فتح الباء فهو مخفوض، عطفاً على (إسحاق) إلا أنه لا ينصرف، وتقديره: ومن وراء إسحاق بيعقوب، قاله الكسائي وأبو حاتم[6]، [وقيل: هو منصوب][7]، والتقدير: ومن وراء إسحاق وهبناها يعقوب، قاله سيبويه والفراء[8].

وفي هذا دليل على أن الذبيح إسماعيل؛ لأن إبراهيم بشر بإسحاق، وأخبر بأن إسحاق يعيش حتى يولد له يعقوب، فكيف يؤمر بذبحه وهو صغير؟[9].

---

(1) انظر تفسير قوله تعالى ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، وقوله ﴿أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ بنحو تفسر المؤلف في الهداية 5/3429، وزاد المسير ص662، والتفسير الكبير 18/21.

(2) رواه الطبري في تفسيره 7/71 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وقد مضى الكلام على هذا الطريق وأنه حسن ص(2).

3) انظر هذه الأقوال وغيرها في: تفسير الطبري 7/70-72، ومعالم التنزيل /413، والكشاف 2/395، وقد اختار الطبري ما قدمه المؤلف: أنها ضحكت من غفلة قوم لوط وقد دنا منهم العذاب.

(4) رواه الطبري في تفسيره 7/73.

5) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بفتح الباء، وقرأ الباقون بضمها. انظر الهداية 5/3433، والنشر 2/218.

(6) انظر قولهما في: إعراب القرآن للنحاس ص 428، والهداية 5/3434، وانظر: معاني القرآن للكسائي ص 163.

(7) سقطت من (ك).

(8) انظر قولهما في: معاني القرآن للفراء 2/22، وإعراب القرآن للنحاس ص 428.

(9) انظر: الهداية 5/3435، وزاد المعاد 1/72، وتفسير ابن كثير 2/468.

قال السدي: لما بشرت بالولد صكت وجهها، أي: لطمت تعجباً، و[قالت][1]: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾[الآية:72] [2].

وقيل[3]: كان عمرها قريباً من مائة سنة، وإبراهيم أكبر سناً منها[4].

﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[الآية:73] أي: من أمر يعلمه الله[5]، وهو قادر على كل شيء ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: إن الله قد رحمكم، ورضي عنكم، وبارك فيكم يا أهل البيت؛ فأكثر الأنبياء من أولاد[6] إسحاق، وكلهم من أولاد إبراهيم إلا من كان قبل إبراهيم[7].

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾[الآية:74] أي: لما ذهب عن إبراهيم الخوف، وعرف أنهم ملائكة، وبشروا بإسحاق، وأخبروه بهلاك قوم لوط، فأخذ يجادل الملائكة، ويقول لهم: أتهلكونهم وفيهم مؤمنون؟ قالوا: لو كان فيهم مؤمن واحد ما أهلكوا، قال: إن فيها لوطاً، قالوا: إن الله ينجينه من بينهم ثم يهلكهم[8]، فمعنى ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ يجادل رسلنا[9]، وقيل: مجادلته أنه سأل الله أن يمهل قوم لوط[10]، قال الكسائي: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ هنا بمعنى: جادلنا لأن جواب (لما) يكون بالماضي[11].

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ قيل: إنه لم يغضب قط إلا لله[12] ﴿أَوَّٰهٞ﴾ كثير

---

(1) سقطت من (ك).
(2) رواه الطبري في تفسيره 7/73 من رواية أسباط عنه، وقد مضى الكلام على روايته ص(56).
(3) في (ك): (قيل) دون واو.
(4) حكاه الطبري في تفسيره 7/72، والبغوي في معالم التنزيل 2/414.
(5) لم أقف -في مظانه- على من عبّر بمثل هذا التعبير، وإنما يقولون: من أمر قضاء الله وقدره، أو من قدرته. نظر: تفسير الطبري 7/75 والهداية 5/3437، والمحرر الوجيز 3/191، وزاد المسير ص 663، وجامع لأحكام القرآن 9/62، وروح المعاني 6/297.
(6) في (ك): (ولد).
(7) انظر: زاد المسير ص 663، والجامع لأحكام القرآن 9/63.
(8) انظر نحوه في: تفسير الطبري 7/76-78، ومعالم التنزيل 2/414.
(9) انظر: تفسير الطبري 7/77، والتفسير الكبير 8/24.
(10) انظر: الهداية 5/3438، والبحر المحيط 5/245.
(11) انظر قوله في: إعراب القرآن للنحاس ص 429، والهداية 5/3438، وانظر: معاني القرآن للكسائي ص 163.
(12) انظر: الهداية 5/3440، والمحرر الوجيز 3/192.
(13) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/65، والجامع لأحكام القرآن 9/64.

التأوه[13] (مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾) راجع إلى الله تعالى[1].

ثم قالت الملائكة: (يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ)[الآية: 76] أي: عن مجادلتك في قوم لوط[2] (إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ) بتعذيبهم[3]، ولا يرد عنهم العذاب.

ثم إن الملائكة خرجوا من عند إبراهيم، فمضوا إلى لوط، وأظهروا له أنهم أضياف، فخاف عليهم من قومه، فإنهم كانوا يأتون الذكور، وهو معنى (سِيٓءَ بِهِمۡ)[الآية: 77] أي: ساءه مجيئهم لما يعلم من فسق قومه[4] (وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا) أي: ضاقت نفسه، وأصله من القياس بالذراع، ثم استعمل مجازاً في الضيق[5] (وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾) أي: شديد[6].

قيل: وجدوه في أرض له يعمل بها، فضافوه، فمشى معهم نحو البلد، ثم قال: ما بلغكم خبر هؤلاء؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملاً، فلما مضى بهم إلى منـزله أخبرت امرأته قومه بهم[7]، وكانوا قد نهوه[8] أن يضيف الرجال، وهو قولهم: (أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾)[9]، فأتوه (يُهۡرَعُونَ)[الآية: 78] أي: يسرعون[10] (وَمِن قَبۡلُ) أي: ومن قبل مجيئهم[11] (كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ) أي: يأتون الذكور مع ما كانوا عليه من الكفر والفسق[12].

فلما راودوه عن أضيافه عرض عليهم بناته لينصرفوا عنه، فكأنه يغالطهم ليشغلهم، وعلم أنهم لا يريدون البنات، قاله عكرمة[13]، وقيل: عرض عليهم تزويج بناته[14]،

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/79.
(2) انظر: تفسير الطبري 7/79، ومعالم التنزيل 2/415.
(3) انظر: تفسير الطبري 7/79، وتفسير ابن كثير 2/469.
(4) انظر: الهداية 5/3440، والكشاف 2/397.
(5) انظر: معالم التنزيل 2/415، والمحرر الوجيز 3/193، وزاد المسير ص 664.
(6) انظر: معالم التنزيل 2/415.
7) هذا سياق أثر عن قتادة مقطوعاً، وقد رواه أيضاً موقوفاً على حذيفة، وقد أخرجهما الطبري في تفسيره 7/79،80.
(8) في (ك): (نهوا).
(9) سورة الحجر، الآية (70).
(10) انظر: الكشاف 2/397.
(11) انظر: الهداية 5/3442، والبحر المحيط 5/246.
(12) انظر: الهداية 5/3442، والبحر المحيط 5/246.
(13) أورده مكي في الهداية 5/3443، ولم أقف عليه مسنداً.
(14) انظر: معالم التنزيل 2/416، والمحرر الوجيز 3/194.

وقيل: إنما عنى النساء اللواتي عندهم، وهن بناته، لأن النبي أب لأمته، وقد قرأ ابن مسعود (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)[1].

وقوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[الآية:78] أي: أحل لكم[2]، يعني: تزويجهن بالنكاح ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ[3]﴾ أي: لا تفضحوني عند أضيافي[4] ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ أي: أما فيكم رجل عارف بالحق فينهاكم عن القبائح؟[5].

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾[الآية:79] إذ لسنا بأزواج لهن، وقيل: معناه: ما لنا بهن حاجة[6] ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ أي: إنما نريد أضيافك[7].

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾[الآية:80] أي: لو كنت أطيق ردكم بالقتال[8] ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ أي: عشيرة مانعة[9]، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، وتقديره[10]: لو قدرت أو كنت في عشيرة مؤمنين يساعدونني لقاتلتكم[11].

وروي[12] أن النبي ﷺ قال: «رحمة الله على لوط، إنه كان ليأوي إلى ركن شديد»[13] يعني: لو نظر إلى التوحيد، ولم يقف مع الأسباب، والتجأ إلى الله تعالى

---

1) انظر هذا القول وقراءة ابن مسعود في: الهداية 5/3443، والبحر المحيط 5/247،246، وقراءة ابن مسعود هي لآية سورة الأحزاب، ورقمها (6).
(2) انظر: زاد المسير ص 665.
(3) كتبت في النسختين: (تخزوني). بإثبات ياء الإضافة.
(4) انظر: تفسير الطبري 7/84، ومعالم التنزيل 2/416.
(5) انظر: المحرر الوجيز3/195، والبحر المحيط 5/247.
(6) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/416، وزاد المسير ص 665.
(7) انظر: تفسير الطبري 7/84.
(8) انظر: الكشاف 2/339، والتفسير الكبير 18/29.
(9) انظر: تفسير الطبري 7/85، والمحرر الوجيز 3/195.
(10) في (ك): (تقديره) دون واو.
(11) انظر: تفسير الطبري 7/85، والبحر المحيط 5/247.
(12) في (ك): (روي) دون واو.
(13) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (3375) 6/503، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (151) 1/338.

لكفاه، فإن كفاية الله شديدة[1].

فعند ذلك قالت الملائكة: ﴿ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾[الآية:81]وإن قومك لن يصلوا إليك، قال السدي: مد جبريل عليه السلام جناحه، ففقأ أعينهم[2]، وهو قوله: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ﴾[3]، فخرجوا عمياً كلهم.

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ أي: اخرج أنت وبناتك، ما آمن معه إلا بناته[4] ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ أي: اخرج في جزء من الليل[5] ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ إلى ناحية القرية[6] ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ بالنصب تقديره: فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تخرج بها، [وبالرفع تقديره][7]: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ فإنها تلتفت ويصيبها ما أصابهم[8].

قيل: إنها التفتت، وصاحت: واقوماه، فوقع عليها حجر فقتلها[9].

ويقال: لما أخبر لوط بعذابهم استعجل، وقال: عجلوا بهم، فقالت الملائكة: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ﴾[10].

فلما خرج لوط وبناته أخذ جبريل عليه السلام مدائنهم من تحت الأرض، فرفعها،

---

1) لا شك أن رسل الله هم أعلم بالله وأوثق به وأشد اعتصاماً بجنابه، وليس في الآية أن لوطاً لم يثق بوعد الله، وقد اختلف العلماء في تفسير كلام نبي الله لوط عليه السلام، فقيل: إنما خشي لوط عليه السلام أن يمهل الله أولئك العصاة -كما أمهلهم فيما مضى- حتى يؤذوا أضيافه، وقيل: إنما قالها عليه السلام اعتذاراً لأضيافه، فاعتصامه إنما هو بالله، ولكنه يظهر لأضيافه اهتمامه بشأنهم، وأنه لو كان له من الأمر شيء لمنعهم عنهم، وقيل: المعنى: لو كان لي بكم قوة، أو كانت لي عشيرة تعينني لنكلت بكم بنفسي وبعشيرتي، وإنما الأمر في ذلك لله، وأشبه قول بما قاله المؤلف ما روي عن وهب بن منبه مقطوعاً أنه لما قال ذلك وجدت عليه الملائكة وقالوا: إن ركنك لشديد. انظر: تفسير الطبري 7/87، والمحرر الوجيز 3/195، وشرح النووي على صحيح مسلم 1/339، والتفسير الكبير 18/29، وتفسير ابن كثير 2/470، وفتح الباري 6/504.

(2) رواه الطبري في تفسيره 7/89 من رواية أسباط عنه، وقد مضى الكلام على هذا الطريق ص(56).

(3) سورة القمر، الآية (37).

(4) وقيل: آمن به طائفة يسيرة من قومه، وظاهر اللفظ يدل على ما ذكره المؤلف. انظر: زاد المسير ص 666، والبحر المحيط 5/248.

(5) انظر: معالم التنزيل 2/417، والجمع لأحكام القرآن 9/70،69.

(6) انظر: زاد المسير ص 666، والبحر المحيط 5/249.

(7) سقطت من (م).

8) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع، والباقون بالنصب، وتوجيه القراءتين على ما ذكره المؤلف، غير أنه جوز على قراءة الرفع أن يكون المعنى: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك. انظر: البحر المحيط 5/248، وتفسير ابن كثير 2/470، والنشر 2/218.

(9) انظر: تفسير الطبري 7/88، ومعالم التنزيل 2/418.

(10) انظر: تفسير الطبري 7/88.

ثم قلبها، ثم رجمت بالحجارة، وصارت بحيرة مالحة، وكانت خمس مدائن، فقلبت، ولم يبق منها إلا زغر[1]، فإن الله أبقاها للوط عليه السلام[2].

وقوله: (مِّن سِجِّيلٍ)[الآية:82] أي: من حجر وطين، قيل: إنه فارسي نطقت به العرب، وقيل: (سِجِّيلٍ) [اسم][3] من أسماء [السماء][4] الدنيا، وقيل: السجيل: طين مشوي بالنار، وقيل: معناه: مرسلة، أسجلت: أي: أرسلت[5].

وقيل: معناه: مما كتب عليهم أن يرجموا به، فهو من السِّجِّل[6]، أي: الكتاب، قاله الزجاج[7]، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩﴾[8]، والنون واللام أختان، تبدل كل واحدة من الأخرى[9].

وقيل: هو من السِّجْل، وهو النصيب، ومعناه: حجارة قسمت من نصيبهم[10].

وقوله: (مَّنضُودٖ ۝٨٢)أي: متراكب، يتبع بعضه بعضاً[11].

(مُّسَوَّمَةً)[الآية:83]أي: معلمة لا تشبه حجارة الأرض[12]، قال الحسن: معلمة ببياض وحمرة[13]، وقيل: مختمة، وقيل: مكتوب عليها[14].

(وَمَا هِيَ) أي: وما الحجارة ببعيد من مشركي قومك يا محمد، فهو تهديد[15]، وقيل: تنبيه، ومعناه: وما مدائن لوط التي صارت بحيرة من أرض قومك ببعيد، وهي

---

(1) تقع هذه القرية في طرف البحر الميت، بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام، وهي على مشارف الشام. انظر: معجم البلدان 2/477،476.
(2) انظر: الهداية 5/3446.
(3) سقطت من (م).
(4) سقطت من (ك).
(5) انظر هذه الأقوال في: معاني القرآن للزجاج 3/71،70، ومعالم التنزيل 2/418، وزاد المسير ص 667.
(6) في (ك): (السجيل).
(7) معاني القرآن 3/70-72.
(8) سورة المطففين، الآيتان (8،9).
(9) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/72،71، والمحرر الوجيز 3/197.
(10) انظر: تفسير الطبري 7/92، ومعاني القرآن للزجاج 3/71.
(11) انظر: تفسير الطبري 7/93، ومعالم التنزيل 2/418.
(12) انظر: تفسير الطبري 7/94، والتفسير الكبير 18/32.
(13) حكاه الزجاج في معاني القرآن 3/72، ومكي في الهداية 5/3449.
(14) انظر هذين القولين في: معالم التنزيل 2/419، والجامع لأحكام القرآن 9/72.
(15) في (ك): (فهو يهديك).

في الغور بالشام معروفة[1].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾[الآية:84] أي: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً[2]، دعاهم إلى الإيمان، وذكرهم بما [هم][3] فيه من النعم ليشكروا، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ أي: سعة في الأموال[4]، وقال[5] ابن عباس: رخص في الأسعار[6]﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ۝٨٤﴾ أي: يوم القيامة الذي يحيط بالناس[7]، وكان أهل مدين قد نقصوا المكيال والميزان.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾[الآية:86] أي: الحلال الذي أباحه وأبقاه لكم خير من الظلم[8]، قال ابن عباس: رزق الله الذي آتاكم[9]، وقال قتادة: معناه: حظكم من ربكم خير لكم[10]، وقال مجاهد: معناه طاعة الله خير[11].

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾[الآية:87] من عبادة الأصنام ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ كانوا يقرضون الدراهم والدنانير ثم يجوزونها بجواز الوازنة[12]، فنهاهم عن ذلك، وقيل: معناه: أن نزن ونكتال في أموالنا كيف نشاء[13].

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧﴾ معناه: نحن نراك فينا [عاقلاً][14] رشيداً، فكيف تنهانا عن عبادة ما كان يعبد آباؤنا، وقيل: هو تعريض بالشتم، ومعناه: إنك أنت السفيه

---

(1) انظر القولين في: الهداية 5/3449، والبحر المحط 5/250.
وقد سبق تحديد مكانهم ص(202).
(2) انظر: تفسير الطري 7/97.
(3) سقطت من (ك).
(4) انظر: الكشاف 2/401، وتفسير ابن كثير 2/472.
(5) في (ك): (قال) دون واو.
(6) رواه الطبري في تفسيره 7/97.
(7) وقيل: بل هو عذاب الدنيا. انظر: تفسير الطبري 7/98، والتفسير الكبير 18/34،33.
(8) انظر: معالم التنزيل 2/419، والكشاف 2/402.
(9) رواه الطبري في تفسيره 7/99.
10) رواه الطبري في تفسيره 7/99 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وإسناده حسن كما مضى ص(2).
11) رواه الطبري في تفسيره 7/99 عن مجاهد من طرق، منها طريقا عيسى بن ميمون وشبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقد مضى الكلام على صحة هذين الطريقين ص(222).
(12) في (ك): (الوراثة). وفي عبارة المؤلف غرابة، وهي شبيهة بما في الهداية 5/3452.
(13) انظر القولين في: الهداية 5/3452، والمحرر الوجيز 3/201.
(14) سقطت من (ك).

الضال[1].

(قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ)[الآية:88]أي: حجة ورسالة صحيحة[2](وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗا)أي: حلالاً خلاف أرزاقكم التي تظلمون الناس في اكتسابها[3].

وجواب الشرط محذوف، وتقديره: إن كنت رسولاً ورزقي حلال: أتأمرونني بالعصيان، وقيل: تقديره: فكيف لا أنهاكم عن الضلال[4].

(وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ)أي: ما أريد أن أنهاكم عن شيء وأفعله أنا، ومعناه: ما نهيتكم إلا عما علمت فساده[5](إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ) أي: ما أريد إلا إصلاح أحوالكم قدر ما أستطيع[6](وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ)أي: هو الذي وفقني حتى تركت ما نهيتكم عنه[7]، عليه أعتمد، وإليه أرجع[8].

(وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ)[الآية:89] أي: لا يُكسبنكم خلافكم إياي[9] ومشاقتكم لي أن يصيبكم العذاب، فمعناه: لا تكسبوا العذاب بالمخالفة، مثلُ ما أصاب الأمم الذين خالفوا أنبياءهم[10](إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ) أي: راحم من تاب (وَدُودٞ ٩٠) أي: محب لمن أناب[11].

(قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ)[الآية:91] أي: ما نفهم[12](كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ)؛ وإنما قالوا ذلك [13](وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا) أي: ما نراك ذا رأي فنتبعك، قيل: كان

---

1) القول الأول رجحه الرازي، والقول الثاني لم يذكر الطبري ولا ابن كثير غيره. انظر: تفسير الطبري 7/101، والتفسير الكبير 18/36، وتفسير ابن كثير 2/472.
(2) انظر: الهداية 5/3453، وتفسير ابن كثير 2/473.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/420، والكشاف 2/404، والبحر المحيط 5/254.
(4) انظر القولين في تقدير جواب الشرط في: الهداية 5/3453، والبحر المحيط 5/254.
(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/73، والتفسير الكبير 18/38.
(6) انظر: الكشاف 2/405،404، والجامع لأحكام القرآن 9/78.
(7) وكذلك وفقه في إصلاحهم. انظر: تفسير الطبري 7/102، ومعاني القرآن للزجاج 3/74، والهداية 5/3454.
(8) في (ك): (ما نهيتكم عليه توكلت عليه أعتمد وإليه أنيب أرجع).
(9) في (ك): (خلافي إياي).
(10) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/74، وزاد المسير ص 669.
(11) انظر تفسير الاسمين الكريمين في: تفسير الطبري 7/103.
(12) انظر: معالم التنزيل 2/421.
(13) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/78.

مكفوف البصر، ومن العرب من يسمي الأعمى ضريرا[1]، قال أبو إسحاق: هي لغة حمير[2].

﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَ﴾أي: لولا أنا نكرمك لأجل عشيرتك وأقاربك[3] ﴿لَرَجَمۡنَٰكَ﴾أي: قتلناك بالحجارة، وقيل: أي لطردناك[4]﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ۝٩١﴾أي: مكرم معظم[5].

وقيل: معناه: لولا نخاف من عشيرتك لرجمناك[6].

قال شعيب: ﴿يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾[الآية:92] معناه: أي: عشيرتي أعظم عندكم من الله؟[7] ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾أي: اتخذتم الله[8]﴿وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّا﴾ومعناه: نبذتم أمره خلف ظهوركم، ونسيتم ذكره[9]، فدوموا على حالكم، فإني أدوم[10] على إيماني، فسوف تعلمون من يأتيه العذاب، وتعلمون من هو كاذب، وقيل: تقديره: ويخزي من هو كاذب[11].

﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ أي: انتظروا حكم الله، فإني[12] معكم أرتقب حكم الله بالانتقام منكم[13]، فأهلكهم الله بصيحة صائح من السماء.

﴿أَلَا بُعۡدٗا﴾[الآية:95]أي: ألا أبعد الله مدين، وقيل: البعد في هذه المواضع تجوز عن الهلاك، فمعناه: هلكت مدين كما هلكت ثمود[14].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ﴾[الآية:96] الآيات، أرسله الله ليسافر ببني إسرائيل من

---

(1) انظر القولين في: زاد المسير ص670، والجامع لأحكام القرآن 9/79، 78.
(2) أبو إسحاق هو الزجاج، وانظر قوله في معاني القرآن له3/74.
(3) انظر هذا القول في: معاني القرآن للزجاج 3/74، والبحر المحيط 5/256. وسيذكر القول الثاني فيما بعد.
(4) انظر القولين في المراد بالرجم في: الهداية 5/3455، والتفسير الكبير 18/41.
(5) انظر: تفسير الطبري 7/104.
(6) انظر: تفسير الطبري 7/104، والبحر المحيط 5/256.
(7) في (ك): (ومعناه أي عشيرتكم أعظم من الله). وانظر المعنى في: معالم التنزيل2/421، والجامع لأحكام القرآن 9/79.
(8) انظر: المحرر الوجيز 3/203، والبحر المحيط 5/257، 256.
(9) انظر: تفسير الطبري 7/104، والكشاف 2/408.
(10) في (ك): (أداوم).
(11) هذا تفسير لقوله تعالى ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ﴾، وانظر نحوه في: تفسير الطبري 7/106، والبحر المحيط 5/257.
(12) في (ك): (وإني).
(13) انظر: زاد المسير ص670، والتفسير الكبير 18/42.
(14) انظر القولين في: معاني القرآن للزجاج 3/76، وزاد السير ص671.

تحت ذمة فرعون، ويدعو فرعون وأهل مصر إلى الإيمان، فأما القبط أهل مصر ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَ﴾ في الكفر ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧﴾ أي: مرش·د: ومعناه: أنه لا يهدي من اتبعه إلى خير[1].

﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[الآية:98] لأن كل أمة تتبع ما كانت تعبد[2]، فيمشون خلفه حتى يدخلوا كلهم النار[3]، قال ابن عباس: الورد هنا الدخول[4]﴿وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾ أي: ساءت جهنم مورداً[5].

وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة، بعد غرقهم[6] بقيت اللعنة عليهم إلى آخر الدنيا، ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ تتبعهم اللعنة[7]﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩﴾ أي: بئس العطاء الموهوب لهم، يعني: السخط والغضب[8].

[قوله تعالى][9]: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾[الآية:100] أي: هذا الذي نتلوه عليك هو من أخبار القرى المهلكة[10]﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ﴾ بشارة للمؤمنين، وإنذاراً للكافرين.

﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ﴾ أي: من القرى ما هو عامر[11] ومنها حصيد، أي: داثر، وقيل: القائم: ما بقي له رسم ظاهر من آثار العمارة، والحصيد: ما لم يبق له رسم[12].

﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١﴾ أي: ما زادتهم آلهتهم غير خسران وهلاك[13]، ومنه ﴿تَبَّتۡ

(1) انظر: تفسير الطبري 7/108، والبحر المحيط 5/258.
(2) وذلك ثابت في الصحيحين، وقد مضى تخريجه ص(355).
(3) انظر: تفسير الطبري 7/108، وزاد المسير ص671.
4) رواه الطبري في تفسيره 7/108 من طريق الضحاك -وهو لم يلق ابن عباس كما سبق ص(247)- ومن طريق فيها رجل لم يسم.
(5) انظر: زاد المسير ص671.
(6) في (ك): (بعد عيرفيهم).
(7) انظر: الهداية 5/3459، والمحرر الوجيز 3/205.
(8) انظر: تفسير الطبري 7/109، والكشاف 2/410، والجامع لأحكام القرآن 9/81.
(9) سقطت من (ك).
(10) انظر: الكشاف 2/410، والبحر المحيط 5/259.
(11) في (ك): (ما هو قائم).
(12) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/423، والجامع لأحكام القرآن 9/81.
(13) انظر: تفسير الطبري 7/111، والبحر المحيط 5/260.

يَدَآ أَبِي لَهَبٍ)[1] (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾)[2].

ثم خوف الله من كفر بمحمد ﷺ فقال: (وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ)[الآية:102] أي: تعذيبه وسطوته[3] (إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ) أي: أخذ أهلها[4].

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً)[الآية:103] أي: موعظة[5] (لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ) ذلك يوم تجمع[6] له الناس (وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾) يشهده أهل السماوات وأهل الأرض، أي: يحضرونه[7].

(وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾) أي: ما نؤخره إلا لينقضي أجل الدنيا الذي أحصى الله عدده[8].

(يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ)[الآية:105] أي: يوم يأتي يوم القيامة لا تتكلم نفس إلا بإذن الله، فمعناه: لا يتكلم إلا من أنطقه الله، فأما الكفار فيخرسون في بعض الأحيان، وقيل: معناه: لا تتكلم بحجة تنفعها إلا بإلهام الله[9] (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾) أي: فمن الناس شقي معذب، وسعيد مقرب[10].

(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) أي: صوت شديد (وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾) صوت ضعيف، قاله ابن عباس[11]، وقيل: الزفير في الصدر، والشهيق في الحلق[12]، قال قتادة: صوت الكافر كصوت الحمار، أوله زفير، وآخره شهيق[13].

---

(1) سورة المسد، الآية (1).
(2) سورة غافر، الآية (37).
(3) انظر: تفسير الطبري 7/112.
(4) انظر: الهداية 5/3461، والجامع لأحكام القرآن 9/82.
(5) انظر: معالم التنزيل 2/423.
(6) في (ك): (مجموع).
(7) انظر: تفسير الطبري 7/112، ومعالم التنزيل 2/423.
(8) انظر: الهداية 5/3462، والكشاف 2/413،412.
(9) انظر هذين التوجيهين في: التفسير الكبير 18/49، ودفع إيهام الاضطراب ص 306.
(10) انظر: الهداية 5/3463.
11) رواه الطبري في تفسيره 7/114 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).
12) روي هذا عن أبي العالية، وروي عنه عكسه، وهو أشهر. انظر: تفسير الطبري 7/114، وإعراب القرآن للنحاس ص 433، والهداية 5/3464، ومعالم التنزيل 2/424.
13) رواه الطبري في تفسيره 7/114 من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، وقد مضى الكلام على هذا الطريق ص(257).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[الآية:107] التي تبدل مكان هذه[1]، وقيل: إنها إذا بدلت تعود نوراً تحت العرش وتدوم كذلك، فهو دوامها، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[2].

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: إلا من شاء ربك، وهم العصاة من المسلمين، فإنهم يخرجون ولا يخلدون، قاله قتادة[3]، فتكون (مَا) بمعنى: من، مثل قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝﴾[4] أي: ومن بناها[5]، وهو كثير في القرآن.

وقيل: الاستثناء من دوام السماوات والأرض، ومعناه: أنهم في النار مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله من مدة كونهم في الدنيا[6].

وقيل: معناه: إلا ما شاء ربك أن يزيدهم من الخلود على مدة السماوات والأرض[7].

وقال المازني[8]: استثنى مدة إقامتهم في البرزخ بين الموت والبعث، فإن أجسادهم كانت في الأرض[9]، وهذا قول حسن.

وهذه الأقوال كلها تصح في الاستثناء في أهل الجنة إلا القول الأول، وقيل: الاستثناء في أهل الجنة يراد به استثناء عصاة المسلمين، فإنهم دخلوا النار قبل دخولهم الجنة[10].

---

(1) انظر: المحرر الوجيز 3/208، وتفسير ابن كثير 2/476.
(2) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز 3/208، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن 9/85.
3) رواه الطبري في تفسيره 7/115 عن قتادة من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، ومن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وقد مضى الكلام على هذين الطريقين وبيان صحة الأول وحسن الثاني ص(257) وص(2).
(4) سورة الشمس، الآية (5).
(5) على أحد القولين فيها. انظر: زاد المسير ص 1555.
(6) انظر: معالم التنزيل 2/425، والمحرر الوجيز 3/208.
(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/79، ومعالم التنزيل 2/425.
(8) هو بكر بن محمد بن عدي المازني البصري، أبو عثمان، أخذ عنه المبرد وقال فيه: «لم يكن بعدسيبويه أعلم بالنحو من المازني»، توفي سنة 247هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء 12/270، وبغية الوعاة 1/463.
(9) حكاه عنه: مكي في الهداية 5/2469،2468.
10) وعلى هذا القول يكون عصاة الموحدين قد وقع عليهم الاستثناء في الآيتين، ففي الأولى استثنوا من التأبيد في النار، وفي الثانية استثنوا من الدخول ابتداء في الجنة. انظر: الهداية 5/3469، والجامع لأحكام القرآن 9/88.

(عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾) أي: مقطوع[1]، بذالين معجمتين، ومنه: الجذاذ: قطع الثمار[2]، ومنه: (فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا)[3] أي: قطعاً متكسرة[4].

(فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ)[الآية:109] أي: [في][5] شك[6](مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ) المشركون أنه باطل[7]، ما يعبدونها إلا تقليداً لآبائهم من غير حجة[8](وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ) أي: حظهم من الدنيا[9]، ونمهلهم، ثم نعذبهم في الآخرة.

ثم ذكر قصة موسى حين أوتي التوراة فاختلف الناس في تصديقه، فآمن قوم، وكذب قوم، وهذا تسلية للرسول ﷺ[10].

(وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ) بتأخير العذاب وعقوبتهم إلى الآخرة[11](لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ) بتعذيب الكافرين، فيظهر الحق[12]، وإن الكافرين لفي شك من تصديقه (مُرِيبٖ ﴿١١٠﴾) أي: مقلق مزعج[13].

قوله تعالى: (وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ)[الآية:111]أي: وإن الكل ليوفين هم[14] ربك أعمالهم، فتكون (ما) صلة، واللام معها للتوكيد، هذا على قراءة من خفف ﴿لـمـا﴾، وسواء شدد (إن) أو خففها[15]، فهي مخففة من الثقيلة، وقيل: إن من خفف[16] (إن) جعلها نفياً بمعنى

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/118، ومعالم التنزيل 2/426.
(2) انظر: معجم مقاييس اللغة (جذ) 1/409، ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية 1/524.
(3) سورة الأنبياء، الآية (58).
(4) انظر: زاد المسير ص 931.
(5) سقطت من (م).
(6) انظر: معالم التنزيل 2/426.
(7) انظر: تفسير الطبري 7/119، والجامع لأحكام القرآن 9/89، وتفسير ابن كثير 2/477.
(8) يفسر بذلك قوله تعالى (مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُ). انظر: تفسير الطبري 7/119.
(9) في المراد بنصيبهم ثلاثة أقوال: فقيل: نصيبهم من الرزق، وقيل: ما وعدوا به من خير أو شر، وقيل: نصيبهم من العذاب. انظر: زاد المسير ص 673، والبحر المحيط 5/265.
(10) انظر: التفسير الكبير 18/55، وتفسير ابن كثير 2/477.
(11) انظر: معالم التنزيل 2/427، والكشاف 2/416.
(12) انظر: تفسير الطبري 7/120.
(13) انظر: الكشاف 1/43.
(14) في (ك): (ليوفيهم).
(15) العبارة غير واضحة في (ك)، حيث جاء فيها: (من خفف لما وبنواسددان أو خففها).
(16) في (م): (وقل إن خفف).

(ما)، وقيل: إن من شدد (وَإِنَّ) وخفف ﴿لـم١٠﴾ فـ(ما) عنده بمعنى (م٠ن).

وأما من شدد (لَّمَّا) فمعناها (إلا) عند من خفف [(إنْ)][1]، وتقديره: ما كلا٠ إلا ليوفينهم، حكاه الخليل وسيبويه[2]، ويؤيده قراءة أبي وابن مسعود: (وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا) (وإن كلا٠ إلا)[3].

ومن شدد (وَإِنَّ) و(لَّمَّا) فهي (فعلى) من اللم٠٠، وهو الجمع، قال أبو عبيد[4]: أصلها التنوين، مثل: تترى، وتترا٠[5].

و[قد][6] قرأ قوم ﴿وإن٠ كلا٠ لـم١٠﴾ بتخفيفهما، [وقرأ قوم بتشديدهما][7]، وبتشديد ﴿□□﴾وتخفيف ﴿لـم١٠﴾، وبالعكس، فهي أربع روايات[8].

ومن خفف ﴿إن٠﴾ نصب (كُلًّا) بالفعل الذي بعده[9]، ويجوز الرفع على هذا، وبه قرئ في الشواذ[10]، [والله أعلم][11].

(فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ)[الآية:112]أي: اثبت على الطاعات كما أمرت[12](وَمَن تَابَ) أي: ومن أسلم معك فليستقم أيضاً[13](وَلَا تَطۡغَوۡاْ)أي: لا تتعدوا ما أمر الله به[14].

---

(1) سقطت من (ك).
(2) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/82، والهداية 5/3477.
3) المروي عنهما برفع (كل)، والشاهد هنا هو قراءتهما (إلا). انظر: الهداية 5/3475،3474، والبحر المحيط 5/266.
(4) في النسختين: (أبو عبيدة)، والتصويب من مصادر التوثيق.
(5) حيث قرئت بالتنوين وتركه. انظر: إعراب القرآن للنحاس ص435، والهداية 5/3476.
(6) سقطت من (ك).
(7) سقطت من (ك).
8) هذا إجمال بعد التفصيل، والأمر كما قال: المتواتر فيها أربع قراءات: الأولى: بتشديد ( ) و(لَّمَّا)، وبها قرأ: ابن عامر وحمزة وحفص، والثانية: بتخفيف (إن) و(لما) وبها قرأ: نافع وابن كثير، والثالثة: بتشديد (إن) وتخفيف (لما) وبها قرأ: أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف، والرابعة بتخفيف (إن) وتشديد (لما) وهي رواية: شعبة عن عاصم. نظر هذه القراءات وتوجيهها بنحو ما وجهها به المؤلف في: إعراب القرآن للنحاس ص 435،434، والهداية 5/3474-3477، والبحر المحيط 5/267، وتحبير التيسير ص 125، وفي توجيه بعض هذه القراءات خلاف.
9) وقيل: بـ(إن) المخففة من الثقيلة، وبه قال الخليل وسيبويه، وأما ما قاله المؤلف فهو قول الفراء، وقد غلطه فيه كثير من النحاة. انظر: الكتاب 2/140، وإعراب القرآن للنحاس ص 534، والبحر المحيط 5/267،266.
(10) سبقت قراءة أبي وابن مسعود وأنهما برفع (كل).
(11) سقطت من (م).
(12) انظر: الهداية 5/3477، والجامع لأحكام القرآن 9/92،91.
(13) انظر: الكشاف 2/416، وزاد المسير ص674.
(14) انظر: تفسير الطبري 7/123، والمحرر الوجيز 3/212.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[الآية:113] أي: لا ترضوا بأفعالهم، فإن الرضى ميل إليهم، وقيل: لا ترجعوا إلى ما هم عليه من الكفر[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾[الآية:114] قيل: عني به الصبح والمغرب، فالطرفان: أول النهار وآخره، وهو اختيار الطبري[2]، وقيل: الطرف الأول: النصف الأول: فيه صلاة الصبح، والطرف الثاني: النصف الآخر: فيه صلاة الظهر والعصر، فالطرفان هنا: النصفان[3].

﴿وَزُلَفًا﴾ أي: ساعات، واحدها: زُلْفَة[4]، قال الحسن: عني به: المغرب والعشاء[5]، وقرأ مجاهد: (وزُلفى) على وزن (فُعلى)، يعني به: العشاء[6].

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: التوبة والأعمال الصالحة، تمحو المعاصي[7]، وقال ابن عباس وغيره: الحسنات هي الصلوات الخمس[8].

وروي عن النبي ﷺ أنه أخذ غصنا يابساً، وهزه حتى تساقط ورقه، ثم ضحك، فقيل: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: «أضحكني أن العبد المسلم إذا توضأ وضوءه للصلاة، ثم صلى الصلوات الخمس تساقطت ذنوبه عنه كما يتساقط هذا الورق»، ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية[9].

---

(1) انظر القولين في: تفسير الطبري 7/124، 123، وزاد المسير ص 674.

(2) تفسير الطبري 7/126.

(3) وفيها أقوال أخرى، غير أن توجيه المؤلف لهذا القول جميل، ولم أقف عليه عند غيره بهذا الوضوح. انظر: المحرر الوجيز 3/212، والبحر المحيط 5/270، 269.

(4) انظر: الكشاف 2/418، والبحر المحيط 5/270.

(5) رواه الطبري في تفسيره 7/128.

(6) انظر القراءة وتفسيرها في: تفسير الطبري 7/127، والبحر المحيط 5/270.

(7) انظر: تفسير الطبري 7/129، والمحرر الوجيز 3/213، 212.

(8) رواه الطبري في تفسيره 7/129.

(9) رواه الإمام أحمد في مسنده (24108) ص 1748، والطبري في تفسيره 15/514(طبعة دار المعارف)، وفي سنادهما علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب (4768)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/29، 297: «رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير وفي إسناد أحمد علي بن زيد وهو مختلف في الاحتجاج به، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وقد حسنه لغيره محقق مسند الإمام أحمد (طبعة الرسالة) (23707) 39/111، وانظر: السلسلة الصحيحة عند الحديث (3402) 7/1194، وتعليق الشيخ أحمد شاكر على تفسير الطبري.

﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ﴾ أي: فعل الصلوات[1] ﴿لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ الله· فيها، أي: الخاشعين[2].

﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية:115] على أذى قومك[3].

﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ [الآية:116] أي: فلم لا كان من القرون المهلكين بكفرهم[4] ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ﴾ من عقل وفهم[5]، فكانوا ينهون الكفار عن كفرهم، ومعناه: ما كان فيهم من ينهى عن المنكر[6] ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ أي: من القرون[7]، وهم الذين آمنوا منهم ونهوا عن المنكر ونجوا مع الرسل ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ أي: اتبع الكفار شهواتهم التي نعموا فيها، والمترف: المنعم[8] ﴿وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ أي: مكتسبين السوء، ومعنى اجترم: اكتسب سيئة[9]، قال مجاهد: واتبعوا مللهم[10]، وتركوا الحق[11].

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾ [الآية:117] أي: بكفر[12] ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ لا يصح جعل][13] الظلم لأهل القرى هنا، لأنهم يصيرون مصلحين ظالمين، ويتناقض [المعنى][14]، وإنما يحسن المعنى أن يقال: لم يكن الله ليظلمهم بهلاك وهم مصلحون، وحينئذ ينتظم المعنى[15]، والله أعلم.

---

1) وقيل: الإشارة إلى ما أمر به من الاستقامة وعدم الركون إلى الكفار وإقام الصلاة، وقيل: الإشارة إلى القرآن. انظر: تفسير الطبري 7/131، وزاد المسير ص 676.

2) وقيل: للذاكرين أي: المتعظين، وقيل: الذين يذكرون وعد الله ووعيده. انظر: تفسير الطبري 7/131، ومعالم التنزيل 2/430.

3) وقيل: الصبر على امتثال ما أُمرت به واجتناب ما نُهيت عنه. انظر: الكشاف 2/419، والمحرر الوجيز 3/213.

(4) انظر: تفسير الطبري 7/135.

(5) انظر: تفسير الطبري 7/135، ومعاني القرآن للزجاج 3/83.

(6) انظر: الكشاف 2/421، والبحر المحيط 5/271.

(7) انظر: زاد المسير ص 676.

(8) انظر: معالم التنزيل 2/430، والجامع لأحكام القرآن 9/98.

(9) انظر: الهداية 5/3486، ومفردات ألفاظ القرآن ص 192.

10) كذا في النسختين، وفي تفسير الطبري 7/136: «ملكهم وتجبرهم»، وفي الهداية 5/3486: «مهلكهم وتجبرهم»، ولعل الأصوب ما في تفسير الطبري.

11) رواه الطبري في تفسيره 7/136 عن مجاهد من رواية عيسى بن ميمون وشبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقد مضى الكلام على صحة هذين الطريقين ص(222).

(12) هذا قول، وسيرده المؤلف بعد قليل. انظر تفسير الطبري 7/137، والمبحر المحيط 5/272.

(13) هنا سقط طويل في (م)، وهو من قوله (تركنوا) فيما سبق إلى هنا.

(14) سقطت من (م).

15) هذا رد على القول الذي حكاه المؤلف أولاً، وبيان للمعنى على ما يرجحه، وقد رجحه أيضاً الطبري ومكي. انظر: تفسير الطبري 7/137، والهداية 5/3487.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[الآية:118]أي: لو شاء لوفقهم فآمنوا كلهم[1]﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾أي: ولا يزال الناس مختلفين في الملل[2].

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[الآية:119]معناه: إلا الذين رحمهم الله فوفقهم للإيمان، فإنهم لا يخلفون في التوحيد وأصول الإيمان[3].

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾أي: للاختلاف خلق الناس، ليكونوا فريقاً في الجنة، وفريقاً في السعير[4]، وقيل: الضمير للمؤمنين، أي: وللرحمة خلق المؤمنين، قاله ابن عباس وغيره[5]، وقيل: معناه: وللاتفاق[6] على الإيمان خلق الذين رحمهم فلا يختلفون، قاله عمر بن عبد العزيز[7].

﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾أي: سبق علمه ووعده[8]﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾ وقوله: ﴿أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾أي: من الفريقين جميعاً الجن والإنس.

﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ﴾[الآية:120] أي: كل هذه الأخبار نقصها عليك من أخبار الرسل[9]﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾أي: نطيب قلبك فيطمئن رجاء للنصر والظفر[10]، و﴿وَكُلّٗا﴾ منصوب بـ﴿نَّقُصُّ﴾ و﴿مَا﴾بدل من (كل)[11].

---

(1) انظر: المحرر الوجيز 3/215 وزاد المسير ص 677.
(2) انظر: معالم التنزيل 2/431، وتفسير ابن كثير 2/481.
(3) انظر: تفسير الطبري 7/138، وزاد المسير ص677.
(4) انظر: الهداية 5/3489،3488، والجامع لأحكام القرآن 9/99.
5) رواه الطبري في تفسيره 7/141 عن ابن عباس، وفي إسناده حفص بن عمر، وهو العدني: ضعفه ابن حجر في تقريب التهذيب (1429)، ولكنه روي أيضاً عن بعض تلاميذ ابن عباس كمجاهد وعكرمة، انظر: تفسير الطبري 7/141،140، وقد روى الطبري أيضاً عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة نحو القول الأول (على ترتيب المؤلف)، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).
(6) في (م): (والاتفاق).
7) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أبو حفص، أمير المؤمنين، أشج بني أمية، خلافته سنتان ونصف، وكان من أئمة الاجتهاد، ولد سنة 63هـ، وتوفي سنة 101هـ. انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، وسير أعلام النبلاء 5/114، وتقريب التهذيب (4974) ص724. وقوله هذا حكاه مكي في الهداية 5/3489.
8) في (م): كلمة غير واضحة بين (سبق) و(علمه)، وهي في (ك): (أي استوفى علمه). وانظر المعنى في: تفسير ابن كثير 2/482.
(9) انظر: معالم التنزيل 2/431.
(10) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/100، وتفسير ابن كثير 2/482.
(11) انظر: الهداية 5/3491، والبحر المحيط 5/273.

﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ أي: في هذه القصص[1] ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أي: الخبر الصحيح[2] ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ لمن اتعظ.

﴿وَقُل﴾ [الآية:121] للكافرين: ﴿ٱعْمَلُوا۟ [عَلَىٰ]﴾[3] ما أنتم عليه من الكفر -وهذا على وجه التهديد والتوبيخ- فإنا ﴿عَٰمِلُونَ ۝١٢١﴾ بطاعة الله، ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ عاقبة ما أنتم عليه من الشرك، ف□□□[4] ﴿مُنتَظِرُونَ ۝١٢٢﴾ ما وعد الله من النصر عليكم[5].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية:123] أي: عنده علم ما غاب عن الخلق، وهو قادر على فعل ما وعد به[6] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فيحكم فيه بما يريد ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ كما أمرك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ في كفايتك والنصر على أعدائك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣﴾[7].

---

(1) انظر: البحر المحيط 5/274.
(2) انظر: زاد المسير ص677.
(3) سقطت من (م).
(4) في (ك): (إنا).
5) يفسر بذلك قوله تعالى ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۝١٢١ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٢٢﴾. انظر فسير هاتين الآيتين بنحو ما فسرهما به المؤلف في: تفسير الطبري 7/145،144، والتفسير الكبير 18/64، والجامع لأحكام القرآن 9/100.
(6) في (ك): (ما عد به).
(7) انظر تفسير هذه الآية بنحو تفسير المؤلف في: تفسير الطبري 7/145، والبحر المحيط 5/275.

سورة يوسف عليه السلام

مكية[1].

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾[الآية:2]أي: إنا أنزلنا القرآن، وقيل: أي: خبر يوسف[2].

أنزله الله بالكلام العربي لعل العرب يتدبرون ويتعظون[3]، وقيل: معناه: لعل أهل الكتاب يعلمون صحة رسالة محمد ﷺ، حيث نزلت عليه هذه القصص موافقة لما في التوراة والإنجيل[4].

وقيل: إن في سورة يوسف وفي سورة طسم القصص إشارات إلى ما سيكون من أمر النبي ﷺ، فكان خروجه من مكة كخروج يوسف من وادي كنعان[5]، وكخروج موسى من مصر إلى مدين، وكان في خروجهم محن يشبه بعضها بعضاً، ثم رجع كل واحد منهم إلى مكانه في قوة وزيادة وظفر بأعدائه، ففتح محمد [ﷺ] مكة كملك يوسف وموسى في مصر[6].

وروي أن المسلمين بمكة قالوا: يا رسول الله، قص علينا وحدثنا، فأنزل الله تعالى سورة يوسف، وأنزل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا ﴾ الآية[7].

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[الآية:3]أي: نقص عليك من القصص الصحيحة ما فيه فوائد ومواعظ[8]﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ أي: بوحينا إليك[9]﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبل نزول القرآن[10]﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾أي: غير عالم بالقصص[11].

---

(1) بالإجماع. انظر: زاد المسير ص 679، والإتقان 1/29.
(2) انظر القولين في: معاني القرآن للزجاج 3/87، والبحر المحيط 5/279.
(3) في (ك): (لعل العرب يتعظون ويعتبرون).
(4) انظر القولين في: معاني القرآن للنحاس 3/396، والهداية 5/3497،3496، والجامع لأحكام القرآن 9/102.
(5) سبق التعريف بوادي كنعان ص(217).
(6) انظر: المحرر الوجيز 3/218، والبحر المحيط 5/278، وروح المعاني 10/333.
7) سورة الزمر، الآية (23). وهذا الحديث قد رواه ابن حبان في صحيحه (6176) 9/48، والطبري في تفسيره 7/148، وقد حسنه ابن حجر في المطالب العالية 14/739،738، وصححه الألباني في تعليقه على صحيح ابن حبان.
(8) انظر: الهداية 5/3497، ومعالم التنزيل 2/433.
(9) انظر: تفسير الطبري 7/147، والبحر المحيط 5/279.
(10) انظر: زاد المسير ص680، والتفسير الكبير 18/69.
(11) انظر: معالم التنزيل 2/434، والجامع لأحكام القرآن 9/103.

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ أي: اذكر إذ قال يوسف لأبيه[1] ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ فلما قص الرؤيا فهم يعقوب أن الشمس يعقوب، والقمر زوجته[2]، والكواكب أولاده، وكان تعبير سجودهم خضوعهم له عند مجيئهم مصر كلهم، وذلك بعد الرؤيا بأربعين سنة[3]، وكانت رؤياه ليلة الجمعة وليلة القدر[4].

وقوله: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ﴾ شبهها بالعقلاء، فأتى بلفظ من يعقل، [وقيل: لأنه فهم أن تعبيرها سجود من يعقل][5].

وقيل: إن يعقوب فهم من الرؤيا أن أولاده أنبياء[6]، لأن الكواكب مما يستضاء بنورها ويهتدى[7].

ثم إن يعقوب خاف على يوسف من حسد إخوته فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾[الآية:5] أي: حيلة ومكراً ليؤذوك[8]، فإن الشيطان عدو ظاهر، يوسوس بالفساد.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾[الآية:6] أي: كما أراك ربك هذه الرؤيا كذلك يصطفيك ويختارك[9] ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ أي: أخبار الأمم، ويرزقك فهما· وعلما·، وقيل: أي: تعبير الرؤيا[10] ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ بالنبوة[11] ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ﴾ أي: جدك إسحاق وأبوه[12] إبراهيم حيث جعلهما الله أنبياء[13]، فـ﴿إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ بدل من ﴿أَبَوَيۡكَ﴾[14].

---

(1) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/88، والبحر المحيط 5/280.
(2) وقال بعض المفسرين: الشمس أمه، والقمر: أبوه. انظر: تفسير الطبري 7/149، وزاد المسير ص 680.
(3) سيأتي الخلاف في المراد بالسجود والفترة بين الرؤيا وتأويلها في موضعه آخر السورة.
(4) حكي هذا ولا دليل عليه. انظر: الهداية 5/3501، ومعالم التنزيل 2/435.
(5) سقطت من (ك). وانظر هذين القولين في: الهداية 5/3501، والبحر المحيط 5/281.
(6) (ك): (الأنبياء).
(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/92، والهداية 5/3502.
(8) انظر: معالم التنزيل 2/435.
(9) انظر: تفسير الطبري 7/150، والكشاف 2/427.
(10) انظر القولين في: معاني القرآن للزجاج 3/92، وزاد المسير ص 681.
(11) انظر: زاد المسير ص681، والجامع لأحكام القرآن 9/112.
(12) في (ك): (وأبواه).
(13) انظر: الكشاف 2/428، والجامع لأحكام القرآن 9/112، والبحر المحيط 5/282.
(14) انظر: التبيان في إعراب القرآن 2/723.

(﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ ﴾)[الآية:7] أي: مواعظ وعبر لمن يسأل عن القصص[1]، قال عكرمة: في قصتهم تسلية للنبي ﷺ فيما يلقى من قومه وأقاربه[2].

(إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ)[الآية:8] اللام للتوكيد[3](أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا) أي: هو عنده أفضل منا [كلنا][4] (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) أي: جماعة، والعصبة: ما فوق العشرة إلى أربعين، لأن بعضهم يعصب بعضاً، أي: يقويه بالمساعدة[5].

وقولهم: (وَأَخُوهُ) يعنون أخاه بنيامين، وكان شقيق٠ه[6].

(إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾) أي: خطأ ظاهر حيث يفضل يوسف وأخاه علينا ونحن أكبر وأنفع[7].

(ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا)[الآية:9][أي: اقتلوه أو ألقوه في أرض بعيدة[8]، و(أَرْضًا) مفعول ثان، وقيل: ظرف][9].

(يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) أي: يتفرغ من محبة يوسف وشغله بإكرامه[10](وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ) أي: من بعد يوسف، أو من بعد القتل[11](قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾) أي: يصلح حالكم عند أبيكم، وقيل: معناه: تتوبون من بعد قتله وتصيرون صالحين[12].

(قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ)[الآية:10] ولكن ألقوه في قعر بئر، وهذا القائل هو يهوذا، وكان كبيرهم في الرأي والعقل، لا في السن، وهو الذي قال: (فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/151، والمحرر الوجيز 3/221.
2) لم أجده عن عكرمة، بل عن ابن إسحاق، رواه الطبري في تفسيره 7/151، وانظر: الهداية 5/3505، والدر المنثور 4/7.
(3) انظر: الكشاف 2/428، البحر المحيط 5/283.
(4) سقطت من (م).
(5) انظر: زاد المسير ص681، ولسان العرب (ع ص ب) 9/233،232، والبحر المحيط 5/284،283.
(6) انظر: معالم التنزيل 2/439، وتفسير ابن كثير 2/487.
(7) انظر: تفسير الطبري 7/152.
(8) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/93، والكشاف 2/429.
(9) سقطت من (ك). وانظر هذين الوجهين في: الكشاف 2/429، والبحر المحيط 5/284.
(10) انظر: معالم التنزيل 2/439، والجامع لأحكام القرآن 9/114.
(11) انظر القولين في: الهداية 5/3507،3506، والبحر المحيط 5/284.
(12) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/439، وزاد المسير ص 682.

أَبِيٓ)[1].

وقيل: هذا القائل: روبيل، وكان أكبرهم سناً، وأمه خالة يوسف[2]، وقيل: هو شمعون[3].

و﴿ٱلْجُبِّ﴾ البئر التي لم تُبن، واشتقاقه من: جب يجب، أي: قطع[4]، قال قتادة: هي بئر معروفة ببيت المقدس[5].

(يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ) أي: يأخذه بعض المسافرين[6](إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾) أي: إن كان لا بد لكم من إبعاده عن أبيه فألقوه في الجب[7]، والغيابة: قعر البئر، لأنه غائب عن العين[8]، وقرئت بالإفراد والجمع[9].

فلما أجمعوا على الكيد بيوسف أتوا إلى يعقوب، وقالوا: (يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾) أي: في حفظه[10].

﴿أرسله معنا غداً نرتعِ﴾[الآية:12] بكسر العين: من رعي المواشي، وعلامة الجزم فيه حذف الياء، وقال مجاهد: يرعى بعضنا بعضاً[11]، أي: يحفظه، وبإسكان العين: أي: نتنزه وننبسط، من: رتع يرتع، أي: لها وتنزه، وتكون علامة الجزم فيه السكون، وقوله: ﴿ونلعب﴾ قيل: كانوا يتعادون، أي: يتسابقون، ومن قرأ (يَرْتَعْ

---

(1) سورة يوسف، الآية (80). وسيأتي هناك قوله هذا.
وأما قوله (لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ) فانظر في: معالم التنزيل 2/440، والكشاف 2/430.

(2) انظر: معالم التنزيل 2/440، والجامع لأحكام القرآن 9/114.

3) انظر: تفسير الطبري 7/153، والبحر المحيط 5/284. والخلاف في هذا مما لا فائدة تعود على المكلف بمعرفته.

(4) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/94، والهداية 5/3508.

(5) رواه عبد الرزاق في تفسيره 1/318 من طريق معمر، وقد مضى الكلام على روايته ص(257).

(6) انظر: معالم التنزيل 2/440، وزاد المسير ص 682.

(7) انظر: التفسير الكبير 18/77، وتفسير ابن كثير 2/487.

(8) انظر: الكشاف 2/430.

(9) قرأها بالجمع: نافع وأبو جعفر، وقرأها الباقون بالإفراد، وتوجيههما ظاهر. انظر: النشر 2/220.

(10) انظر: تفسير الطبري 7/155، ومعالم التنزيل 2/441.

11) رواه الطبري في تفسيره 7/157، 156 من طريق عيسى بن ميمون وورقاء وشبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقد مضى الكلام على هذه الطرق وقوتها ص (222) وص(280).

﴿وَيَلْعَبْ﴾ بالياء فالضمير ليوسف، ومن قرأ بالنون فالضمير للجميع[1].

وإنما خاف يوسف على يعقوب من الذئب لأنه كان رأى في المنام كأن ذئباً شد على يوسف ليأكله[2]، ولذلك قال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ فقالوا: كيف يأكله [الذئب][3] من بيننا ونحن جماعة؟ إنا إن أخذه الذئب من بيننا ﴿إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي: عاجزون هالكون[4].

فأرسله يعقوب معهم، وأجمعوا رأيهم على إلقائه في الجب، فأوحى الله إليه: إنك ستخلص، ويعلو أمرك حتى تنبئهم -أي: تخبرهم- بفعلهم هذا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي: تخبرهم وهم لا يعلمون أنك يوسف، وكذلك كان عندما أتوه ليشتروا الطعام من مصر، قاله ابن عباس[5].

وقيل: أوحينا إليه وهم لا يشعرون أنه قد أوحي إليه، وقيل: وهم لا يعلمون أنه ممن يوحي الله إليه[6].

وكان قد أوحي إليه مع ملك من الملائكة، وقيل: إلهاماً، وقيل: في منام[7].

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي: أظهروا الحزن على يوسف، وقالوا: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي: نتسابق عدواً على الأرجل، وقيل: أي: نترامى بالسهام[8] ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ أي: عند ثيابنا وما معنا من طعام وغيره[9] ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي:

---

(1) ففيها أربع قراءات: **الأولى**: بالياء في الكلمتين وكسر العين من (يرتع)، وهي قراءة نافع وأبي جعفر، **والثانية**: بالياء في الكلمتين وسكون العين من (يَرْتَعْ)، وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، **الثالثة**: بالنون في الكلمتين وكسر العين من (نرتع)، وهي قراءة ابن كثير، **والرابعة**: بالنون في الكلمتين وسكون العين من (نرتعْ)، وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر. انظر هذه القراءات وتوجيهها بنحو ما وجهها به المؤلف في: الحجة لأبي علي الفارسي 2/433-437، والهداية 5/3511،3510، والبحر المحيط 5/286، والنشر 2/220.

(2) ذكر هذا القول مكي في الهداية 5/3513 وغيره، وضعفه ابن عطية في المحرر الوجيز 3/224.

(3) سقطت من (م).

(4) انظر: تفسير الطبري 7/157، والكشاف 2/431.

(5) رواه الطبري في تفسيره 7/159.

(6) الفرق بين القولين أن الأول بمعنى: وهم لا يشعرون أنه قد أوحي إليك بأنك ستنبئهم بأمرهم، والثاني بمعنى: وهم لا يشعرون بأنك نبي يوحى إليه. انظر القولين في: الهداية 5/3516، والتفسير الكبير 18/80.

(7) انظر هذه الأقوال في: الهداية 5/3516، والبحر المحيط 5/288.

(8) انظر القولين في: زاد المسير ص 685، والجامع لأحكام القرآن 9/125.

(9) في (ك):(من الطعام). وانظر المراد بالمتاع في: معالم التنزيل 2/443، وتفسير ابن كثير 2/488.

بمصدق لنا[1] ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ لأنك تتهمنا في يوسف وتحبه أكثر منا.

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[الآية: 16] أي: بدم كذبوا فيه، وأوهموا أنه دم يوسف[2]، وكان دم سخلة[3] ذبحوها، ولطخوا القميص بدمها[4] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ أي: زينت لكم أنفسكم قتل يوسف[5]، قيل: إنه قال ذلك لما رأى القميص ليس فيه تمزيق، ولا لأنياب الذئب فيه أثر[6].

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فشأني صبر جميل[7]، والصبر الجميل: الذي لا شكوى فيه، روي ذلك عن النبي ﷺ[8].

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي: على احتمال هذا الذي تكذبون[9]، ومعناه: أنه سأل الله أن يعينه على الصبر، وأن يجعل العاقبة في بلواه حميدة، وكذلك كان.

قوله [تعالى][10]: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾[الآية:19] أي: قوم مسافرون[11] ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يستقي لهم الماء[12] ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾ فتعلق يوسف بالدلو، يقال: أدليت الدلو: أرسلته في البئر، ودلوته: أخرجته منها[13].

فلما رأى يوسف صاح: ﴿يا بشراي [هذا غلام][14]﴾ أي: يا سروري بهذه البشارة، ومن قرأ بغير ياء فهو غير مضاف، وقيل: نادى رجلا اسمه بشرى، قاله قتادة وابن

(1) انظر: تفسير الطبري 7/159.
(2) انظر: تفسير الطبري 7/160، والكشاف 2/434،433.
(3) السخلة: ولد الشاة أيا كان. انظر: القاموس المحيط (س خ ل) ص 1014.
(4) روي هذا عن بعض السلف، فروي عن ابن عباس ومجاهد والسدي. انظر: تفسير الطبري 7/161، 160، والله أعلم به.
(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/96، والهداية 5/3520.
(6) قول مشهور. انظره في: تفسير الطبري 7/161، ومعالم التنزيل 2/444.
(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/96، والبحر المحيط 5/290.
(8) رواه الطبري في تفسيره 7/163 وأعله ابن حجر بالإرسال. الكافي الشاف 2/434.
(9) انظر: الهداية 5/3521، والكشاف 2/434.
(10) سقطت من (ك).
(11) انظر: معالم التنزيل 2/444، والمحرر الوجيز 3/228.
(12) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/97، ومعالم التنزيل 2/445.
(13) انظر: تفسير الطبري 7/164، ومعاني القرن للزجاج 3/97.
(14) سقطت من (م).

جبير[1].

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ أي: [أخفاه الذين وجدوه، وأظهروا أنه بضاعة، أي:][2] غلاما٠ اشتروه للتجارة، وقيل: أخفاه بعضهم عن بعض لرخص ثمنه، وأظهروا أن أهل الماء أرسلوه معهم ليبيعوه لهم في مصر، وكان إخوته قد أدركوه حين أخرج من البئر، فباعوه من الذين وجدوه، وقيل: الضمير في ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ لإخوته، ومعناه: أخفاه إخوته، وكتموا كونه أخاهم، وادعوا أنه مملوكهم، ووافقهم خوفاً من القتل[3].

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ أي: باعه إخوته ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾ لحسدهم وبغضهم إياه، وقيل: أي: كانوا في الثمن زاهدين، وإنما باعوه ليبعدوه عنهم[4]، وقيل: معناه: باعه الذين وجدوه لبعض التجار، وقيل: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ هنا بمعنى: اشتروه، أي: اشتراه بعض [التجار][5] السيارة من إخوته[6] ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ أي: ظلم وحرام، وقيل: أي: قليل[7] ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ أي: قليلة[8]، قيل: كانوا لا يزنون الدراهم إلا إذا بلغت أربعين، فأما القليلة فيعدونها عدداً[9]، وذكر أنهم باعوه بنحو من عشرين درهما٠، قاله ابن عباس وابن

(1) ذكره عنهما مكي في الهداية 5/3524. وقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بغير ياء، والباقون بياء، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: البحر المحيط 5/291، والنشر 2/220.

(2) سقطت من (ك).

(3) انظر هذه الأقوال في: الهداية 5/3525-3527، وزاد المسير ص 686.

4) في (ك): (وقيل أي كانوا من الزاهدين إنما باعوه...). وقد ذكر المؤلف هنا قولين في عود الضمير المجرور من: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ﴾، فقيل: في يوسف وذلك لحسدهم وبغضهم، وقيل: في الثمن لأنهم لم يكن مقصودَهم الثمن. انظر: زاد المسير ص 687، والبحر المحيط 5/292.

(5) سقطت من (م).

6) ذكر المؤلف هنا قولين في معنى ﴿وَشَرَوْهُ﴾: أحدهما: باعوه، وفي عود الضمير خلاف ذكره المؤلف: فإما أن كون البائعون إخوتَه، وإما أن يكونوا السيارةَ، والقول الثاني في معنى ﴿وَشَرَوْهُ﴾: أي: اشتروه. انظر: الهداية 5/3527، وزاد المسير ص 687.

(7) انظر القولين في: تفسير الطبري 7/168-170، ومعاني القرآن للزجاج 3/98.

(8) انظر: الكشاف 2/435.

(9) انظر: تفسير الطبري 7/170، ومعالم التنزيل 2/445.

10) رواه عنهما الطبري في تفسيره 7/170 غير أن روايته عن ابن عباس من طريق ابن جريج، وهو لم يلق ابن عباس كما سبق ص(301).

مسعود[10]، وقيل: بأربعين درهما[1].

ثم أتوا به فباعوه في مصر، فقال[2] الذي اشتراه من مصر، وهو عزيز مصر، كان على الخزائن، ولم يكن له ولد، فأراد أن يتبنى يوسف، فقال لامرأته: (أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) أي: أحسني مقامه ونزله[3]، وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد من العمالقة[4].

(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ)[الآية:21] أي: كما خلصناه من القتل مكناه في الأرض [حتى تولى الخزائن][5]، وعلمه الله من تأويل الأحاديث كما ذكر يعقوب في تعبير الرؤيا (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) أي: معناه: والله قادر على فعل كل أمر سبق في علمه وإرادته[6] أنه سيكون، فهو فعال لما يريد، وقيل: معناه: والله قادر على أمر يوسف، يفعل فيه ما يشاء، والأول أظهر[7].

قوله: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ)[الآية:22] أي: بلغ الحلم واشتد وقوي، وقال الزجاج: بلوغ الأشد من بلوغ الحلم إلى أربعين سنة[8]، وقال ابن عباس: هو بضع وثلاثون سنة[9]، والأشد: جمع ش·د··ة، وهي القوة، كن·عمة وأ·نع·م، قاله سيبويه[10]، وقال أبو عبيدة: هو جمع لا واحد له من لفظه[11].

(ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) الحكم هنا: العقل والحكمة، [وقيل: حسن التصرف في أشغال العزيز][12]، والعلم: الفهم، وقيل: النبوة[13].

1) انظر: معالم التنزيل 2/446، وقد حكى الطبري هذه الأقوال ثم قال-بعد أن عقب باحتمال هذه الأقوال غيرها-:«وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في الجهل به دخول ضر فيه، والإيمان بظاهر التنزيل فرض، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه». تفسير الطبري 7/171.
(2) في (ك): (وقال).
(3) انظر: الكشاف 2/436، والجامع لأحكام القرآن 9/138.
(4) كذا قيل. انظر: تفسير الطبري 7/172، وانظر ما سبق من تعليق ابن عاشور على مثل ذلك ص(207).
(5) سقطت من (ك). وانظر المعنى في: الكشاف 2/436، والبحر المحيط 5/293.
(6) في (ك): (وإراداته).
(7) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/447، والتفسير الكبير 18/88.
(8) معاني القرآن 3/99.
(9) رواه الطبري في تفسيره 7/175.
(10) الكتاب 3/582، 581.
(11) مجاز القرآن ص54.
(12) سقطت من (ك). وانظر القولين في: الهداية 5/3533، ومعالم التنزيل 2/448.
(13) انظر القولين في: زاد المسير ص688، والجامع لأحكام القرآن 9/139.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: كما جازينا يوسف[1]، فهو وعد ورجاء للنبي ﷺ وللمؤمنين أن الله سيمكنهم في الأرض[2].

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾[الآية:23] أي: زوجة العزيز، أحبته، وطلبته للفاحشة، وخلت به في قصر ﴿وغلقت الأبواب وقالت هئتُ لك﴾ بالهمز: أي: هيأت لك وحسنت، فمعناه: تزينت لك، وقيل: أي: حسنت هيئتك، ومن لم يهمز فعلى التخفيف، وقيل: هي بمعنى: هلم إلى ما هو لك، وقال ابن عباس: هي بالسريانية، ومعناها طلب الجماع[3].

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي: قال يوسف: أعوذ بالله أن آتي الفاحشة[4] ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ أي: خلصني وعلمني وسخر لي خلقه، وقيل: عنى به العزيز الذي اشتراه، وسماه رباً على المجاز، أي: الذي صار بشرائه إياي كأنه مالكي[5].

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الهاء في ﴿إِنَّهُ﴾ ضمير الشأن والقصة، ونظائرها كثيرة، وتقدير الكلام[6]: إن الشأن الذي أعلمه أن من ظلم لا يفلح، ولا يفلح الظالمون: فعل وفاعل، فافهمه وما أتى مثله[7].

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾[الآية:24] الهم في اللغة: العزم على الفعل، وقد يراد به حديث

---

(1) انظر: البحر المحيط 5/293.

(2) انظر: تفسير الطبري 7/175، والمحرر الوجيز 3/232.

(3) ذكره مكي في الهداية 5/3536، وقد روى الطبري في تفسيره 7/176 عن ابن عباس من طرق أنه قال فيها: «هلم لك»، ولم يذكر أنها سريانية.
وفي هذه اللفظة القرآنية أربع قراءات: (هِيتَ) وبها قرأ نافع وأبو جعفر وابن ذكوان، و(هَيتُ) وبها قرأ ابن كثير، و(هِئتَ) وهي رواية هشام، و(هَيْتَ) وهي قراءة الباقين. انظر: الهداية 5/3535، 3534، والبحر المحيط 5/294، وتحبير التيسير ص 127، وغيث النفع ص 86.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/449.

(5) فقيل في الضمير المنصوب في ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ قولان: أحدهما أنه عائد على الله، والثاني أنه عائد على العزيز.
انظر القولين في: معالم التنزيل 2/449، والبحر المحيط 5/294، وعلى القول الثاني حمله المؤلف على المجاز، وعليه ذلك أبو حيان في البحر المحيط، ولكنه لا يسلم حتى عند من يقسم الكلام إلى حقيقة ومجاز، قال ابن جزي في التسهيل 1/412: «يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى أو للذي اشتراه؛ لأن السيد يقال له: رب»، ويوضح ذلك أن أصل الرب (أعني: مصدر: ربَّ يربُّ ربا) هو: إصلاح الشيء والقيام عليه. انظر: معجم مقاييس اللغة (رب) 2/38، وهذا المعنى موجود في عزيز مصر، فهو القائم على يوسف حقيقة لا مجازا، وإن كان لا يملكه في الحقيقة.

(6) في (ك): (وتقديره).

(7) سبق مثل هذا الأسلوب، وسبق توثيقه وبيانه ص(158).

النفس، فهمت ز·ل·يخا: أي: عزمت، وه·م·· يوسف·: أي: وسوس له الشيطان بذلك، فلم يصغ إلى وسوسته، لأن[1] الأنبياء معصومون[2].

﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ جواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف، تقديره: لولا البرهان لمال إلى وسوسة الشيطان[3].

واختلفوا في البرهان الذي رآه، فـقيل[4]: رأى جبريل فنهاه، وقال: يا يوسف، اسمك في الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء؟ لئن واقعت الخطية لأمحونك من ديوان النبوة[5]، وقيل: رأى يعقوب عاضاً على إصبعه، وقيل: رأى جبريل في صورة يعقوب، وقيل: رأى مكتوباً بين عينيها ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ الآية[6]، وقيل: رأى ذلك مكتوباً في جدار البيت، وقيل: رأى كفاً مكتوباً فيها ذلك، وقيل: رآها تغطي صنمها لئلا يراها على معصية، فتذكر الحياء من الله تعالى[7].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أريناه البرهان ﴿لِنَصْرِفَ﴾[8]، وقيل: تقدير الكلام: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[9] لهم بها ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾[10]، أي: لنعصمه عن المعاصي[11].

---

(1) في (ك): (لولا أن).

(2) انظر: دقائق التفسير 2/272، وروضة المحبين ص 319،318.
للعلماء في هذا الموطن أقوال كثيرة، انظر: تفسير الطبري 7/181-183، وزاد المسير ص 689-691، والبحر المحيط 5/295، وأضواء البيان 3/42-51.

(3) هذا على القول الذي اختاره. انظر المصادر السابقة.

(4) في (ك): (قيل).

(5) في (ك): (ديوان الأنبياء).

(6) سورة الإسراء، الآية (32).

(7) انظر هذه الأقوال وغيرها في: الهداية 5/3539-3546، وزاد المسير ص 692،691، والجامع لأحكام القرآن 9/146، وكل هذه الأقوال لا مستند لها من كتاب الله ولا سنة نبيه ، فلم يرد عن النبي في ذلك حرف واحد، ما المروي عن الصحابة والتابعين، فلا يخلو من أن يصح إسناده أو يكون واهياً، فأما الواهي فكفينا مؤونته، وأما صحيح الإسناد: فإذ علمنا أن النبي لم يرد عنه في ذلك شيء غلب على الظن غلبة تكاد تصل إلى اليقين أن من ال من ذلك شيئاً من السلف فإنما تلقاه من أهل الكتاب، ولا يقوم بخبر أهل الكتاب حجة ما لم يرد في شرعنا تصديقه، هذا لو لم يتضمن قدحاً في الأنبياء، أما وقد تضمن قدحاً فيهم فقد علمنا بطلانه، وهذه البراهين المحكية لو ظهرت لآحاد الفساق لكفوا وازدجروا، أفكان يوسف عليه السلام محتاجاً لمثل ذلك؟. انظر: تفسير الطبري 7/189، ودقائق التفسير 2/273،272، وزاد المسير ص 692، وأضواء البيان 3/51.

(8) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/102.

(9) الراء ساقطة من (ك).

(10) لم يظهر لي وجه القول الثاني إلا أن يكون مراده ما حكاه أبو حيان في البحر المحيط 5/295 فقال: «وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: همت به وهم بها كذلك، ثم قال: لولا أن رأى برهان ربه لنصرف عنه ما هم به».

(11) انظر: تفسير الطبري 7/189، وتفسير ابن كثير 2/492.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ بكسر اللام: أي: الذين أخلصوا التوحيد والعمل لله، وبفتح اللام: الذين استخلصهم الله، وجعل في قلوبهم الإخلاص[1]، فالأول: عبودية وشريعة، والثاني: توحيد وحقيقة[2].

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾[الآية:25] أي: تسابقا نحو الباب[3]، ومعناه: بادر يوسف الباب، وزليخا خلفه تطلبه، فـقدت[4] قميصه من خلفه حين أمسكته به، فوافاها زوجها وابن عمها عند الباب، فسبقت يوسف بالشكوى، وقالت لزوجها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ -أي: زناً[5]- ﴿أَن يُسْجَنَ﴾ أو يعذب، فقال: يوسف: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾[الآية: 26] فقال ابن عمها: إن كان القميص مشقوقاً من ناحية صدره فهو الذي طلبها، وامتنعت، وتعلقت به لتأتي به إلى زوجها، وإن كان قميصه مشقوقاً[6] من خلفه فهي التي طلبته، [وأمسكته][7] وهو هارب منها.

فالشاهد الذي هو من أهلها هو ابن عمها، وقيل: هو صغير في المهد، أنطقه الله بهذا تصديقاً ليوسف[8]، فلما رأى قميص يوسف مشقوقاً من خلفه ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾[الآية:28] أي: من مكر النساء، وهذا من قول العزيز، وقيل: من قول الشاهد[9].

ثم قال الشاهد ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾[الآية:29] أي: اكتم هذا الأمر واستره عن الناس، فلا تخبر به أحداً[10]، ثم قال لزليخا: استغفري[11] □□□□□□ أي: اطلبي من

---

1) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها. انظر القراءتين وتوجيههما بنحو ما ذكر المؤلف في: معاني القرآن للزجاج 3/102، والحجة لأبي علي الفارسي 2/445،444، والنشر 2/221.

2) الحقيقة والشريعة مصطلحان صوفيان، وهما من المصطلحات المنضبطة بضوابط القرآن والسنة، وقد اختلفوا في تعريفهما على أقوال تصب في أن الحقيقة هي تصريف الله وأقداره وحكمه في خلقه، وتمام التوكل عليه والاستعانة به، والشريعة هي أمر الله ونهيه، وهي شرعه. انظر: الروضة الأنيقة في بيان الشريعة والحقيقة للمؤلف ق 3،2، ومجموع الفتاوى 11/123، والمعجم الصوفي 2/589-593، 788-790.

(3) انظر: تفسير الطبري 7/189، والكشاف 2/441،440.

(4) في (ك): (وقدت).

(5) انظر: معالم التنزيل 2/455.

(6) في (ك): (مشقوقة).

(7) سقطت من (ك).

(8) انظر القولين في: تفسير الطبري 7/191-194، وتفسير ابن كثير 2/493.

(9) انظر القولين في: زاد المسير ص 693، والجامع لأحكام القرآن 9/150.

(10) انظر: تفسير الطبري 7/195، والمحرر الوجيز 3/237.

(11) في (ك): (واستغفري).

زوجك العفو[1]، إنك في هذا الفعل لمن الناس الخاطئين، ولذلك غلب المذكر في جمع الخاطئين[2].

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾[الآية:30] أي: في مدينة مصر[3]﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ أي: غلامها يوسف[4]﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: قد عشقته حتى بلغ حبه شغاف القلب، أي: صميمه وسويداءه، وقيل: الشغاف: غلاف القلب، فمعناه: حتى غطى حبه قلبها[5].

وقرئت في الشواذ بعين مهملة، مشتق من شعاف الجبال[6]، أي: أعاليها، فمعناه ذهب بعقلها وهيمها[7]، وقال الشعبي: الشغف: الحب، والشعف: الجنون[8].

﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ أي: في خطأ حيث عشقت خادمها[9].

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾[الآية:31] زليخا ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: بكلامهن فيها، وسمي مكراً لأنها كانت أسرت إليهن أمرها، فأفشين سرها[10]، وقيل: لأنها قصدت[11] بذلك أن تحضرهن وتريهن يوسف[12].

فأرسلت إلى نساء مصر، فأحضرتهن في دعوة ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ أي: أعدت وهيأت

---

1) في القائل ليوسف ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ والقائل لامرأة العزيز ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ قولان للعلماء، فقيل: هو الشاهد، وقيل: الزوج، والأول أشهر. انظر: تفسير الطبري 7/195، وزاد المسير ص 693، والجامع لأحكام القرآن 9/151،150.

وفي معنى قوله تعالى ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ قولان للعلماء، فقيل: اطلبي من زوجك العفو، وقيل: توبي من ذنبك.

انظر: الهداية 5/3548، ومعالم التنزيل 2/456، والبحر المحيط 5/298.

(2) انظر: تفسير الطبري 7/195، والكشاف 2/444.

(3) انظر: تفسير الطبري 7/195، ومعالم التنزيل 2/457.

(4) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/105، والمحرر الوجيز 3/237.

(5) انظر القولين في الجامع لأحكام القرآن 9/151، والبحر المحيط 5/299.

6) في (ك): (الحال). وشعاف جمع شَعَفة، وتجمع أيضاً على شَعَف، وشعوف، وشَعَفات، ومعناها كما ذكره المؤلف. انظر: القاموس المحيط (ش ع ف) ص 824.

7) وقد رويت عن علي رضي الله عنه وعلي بن الحسين والشعبي وعوف الأعرابي وغيرهم، وتوجيهها كما بينه المؤلف. انظر: الهداية 5/3550،3549، والبحر المحيط 5/301.

(8) انظر قوله في الهداية 5/3550(وفيه تصحيف)، والمحرر الوجيز 3/238، والبحر المحيط 5/301.

(9) انظر: الكشاف 2/445.

(10) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/105، والبحر المحيط 5/301.

(11) في (م): (لأنها تصدق).

12) لم أقف على هذا القول هكذا، فإن المكر في الآية مضاف إلى النسوة لا إلى امرأة العزيز، وعند المفسرين قول مشهور وهو قريب من هذا، وهو أن مقالة النسوة سميت مكراً لأنهن مكرن بها فقصدن أن يرين يوسف، فمكرت بهن وأرادت أن توقعهن فيما وقعت فيه. انظر: الهداية 5/3550، والبحر المحيط 5/301.

مجلساً فيه وسائد للاتكاء والجلوس[1]، وقيل: معناه أعدت لهن طعاما· وشرابا·، قاله ابن جبير والقتيبي[2].

ومن قرأ (م·ت·كا·) بإسكان التاء وترك الهمز فهو الأترج[3]، ويؤيده أنها أعطتهن السكاكين، فيدل على أن الطعام مما يقطع بالسكاكين[4].

ثم إنها أمرت يوسف أن يخرج من خلف ستر ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ﴾ أي: استعظمنه لحسنه وجماله[5]، ويقال: إنهن حضن عند ذلك[6].

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي: جعلت كل واحدة تقطع في يدها بالسكين لما استغرقها من رؤية حسنه[7]، وقال عكرمة: [﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي][8]: قطعن أكمامهن[9].

﴿وقلن حاشى لله﴾ أي: معاذ الله، و(حاشا) يراد بها الاستثناء، والتنزيه، [وهي][10] هنا للتنزيه[11]﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أي: ليس هذا بآدمي، ما هذا إلا من الملائكة، وذلك

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/199، والكشاف 2/445.

(2) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري، أبو محمد، من كتبه «أدب الكاتب»، و«غريب القرآن»، و«غريب لحديث»، و«طبقات الشعراء»، وكان علامة ذا فنون، توفي سنة 276هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 13/296، وبغية الوعاة 2/63.

أما قول سعيد بن جبير فقد رواه الطبري في تفسيره 7/199 بلفظ «قال: طعاماً وشراباً ومتكأ»، وقد أورده الطبري في معرض سياق القول الأول-على ترتيب المؤلف-، وهو أوضح دلالة عليه من دلالته على القول الثاني، يث عطف المتكأ على الطعام والشراب، فدل على مغايرته له، وإنما ذكر الطعام والشراب لدلالة إيتائهن السكاكين، فإنها لا تكون إلا لنحو ذلك.

وانظر قول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 216.

(3) وهي قراءة شاذة رويت عن ابن عباس وابن عمرو ومجاهد وغيرهم. انظرها وتوجيهها في: تفسير الطبري 7/199-201، وشواذ القراءة للكرماني (مخطوط مرقم الصفحات) 118، والبحر المحيط 5/302.

(4) يدل هذا على أنه مما يقطع بالسكين، ويحتمل أن يكون الأترج وغيره. انظر: تفسير الطبري 7/199.

(5) انظر: معالم التنزيل 2/458، والبحر المحيط 5/302.

(6) ودليل من قال ذلك أنه قال: أكبرنه بمعنى: أكبرن،وهاؤه للسكت، ومعنى أكبرن: أي: حضن، وأصله من كِبَر، لأن المرأة إذا كبرت حاضت، وذكر قائلوه له شاهداً من الشِّعر، وقد رد المحققون كالطبري وابن عطية أبي حيان هذا القول، إذ لو كانت الهاء هاء سكت لما كانت مضمومة حال الوصل، ولبقيت ساكنة، وكذا ذكروا أن البيت مصنوع مختلق. انظر: تفسير الطبري 7/203، والمحرر الوجيز 3/239، والبحر المحيط 5/303،302.

(7) انظر: الهداية 5/3553، والكشاف 2/447.

(8) سقطت من (م).

(9) حكاه في الهداية 5/3553.

(10) سقطت من (ك).

(11) انظر: تفسير الطبري 7/206، ومغني اللبيب ص 141،140.

لأنهن ما رأين آدميا مثله قط[1].

﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ﴾[الآية:32] أي: فهذا الذي لمتنني في محبته[2]، فـ(ذا) إشارة إلى يوسف[3]، وإضافته إليهن كقولك: ذلك، وذلكم.

فلما أوضحت عذرها فيه وأصابهن ما أصابها أظهرت سرها عليهن عند ذلك، فقالت: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾أي: امتنع، وسأل ربه أن يعصمه[4]، ولئن لم يوافقني على ما طلبت لأسجننه أو لأهيننه، والنون في ﴿لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا﴾نون التأكيد، إلا أن الأولى مشددة، والثانية مخففة، فشابهت التنوين، فعوض عنها ألف في الخط[5].

ولما سمع يوسف ذكر السجن ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ﴾[الآية:33] أي: يا رب حبسي في السجن أحب إلي من الزنا[6]﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾ أي: وإن لم تصرف عني مكرهن ﴿أَصۡبُ﴾ أي: أميل وأخرج إلى المعصية[7]؛ فـأكون[8]﴿مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ بحقك، التاركين لأمرك[9].

و(الس..جن) بفتح السين مصدر: سجن، يسجن، وبكسرها: اسم المكان الذين يسجن فيه[10].

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّ﴾[الآية:34] بأن عصمه، وثبته، وصرف عنه وسوسة الشيطان[11].

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾[الآية:35]أي: تغير رأيهم بعد ظهور ما دل على صدقه

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/206، ومعالم التنزيل 2/459.
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/157.
(3) انظر: زاد المسير ص 695.
(4) انظر: الكشاف 2/449، والمحرر الوجيز 3/241.
(5) انظر: معالم التنزيل 2/459، والمحرر الوجيز 3/241، والبحر المحيط5/304.
(6) انظر: تفسير الطبري 7/208.
(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/108، والكشاف 2/449.
(8) في (ك): (وأكون).
(9) انظر: الهداية 5/3557.
(10) قرأ يعقوب بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها، وتوجيه القراءتين كما أوضحه المؤلف. انظر: الهداية 5/3556، والبحر المحيط 5/306، والنشر 2/221.
(11) انظر: تفسير الطبري 7/210،209، وتفسير ابن كثير 2/494.

وبراءته من: القميص، ونطق الطفل[1].

والبداء -في اللغة-: حدوث قصد لشيء بعد إرادة ضده[2]، وفاعل (بَدَا) يضمر هنا[3]، وتقديره: ثم بدا لهم بداء[4]، وقال سيبويه: فاعله (لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾)[5] أي: إلى وقت، والحين: اسم للوقت، يطلق[6] على القليل والكثير[7].

قال السدي: كان سبب حبس يوسف أن زليخا قالت لزوجها: إن هذا الغلام فضحني من كثرة ما يخبر الناس بأني راودته، وأنا محبوسة في بيتي، لا يمكنني أن أعتذر وأكذبه عند الناس، فإما أن تأذن لي بالخروج، وإما أن تحبسه كما حبستني حتى لا يحدث أحداً بسري، فعند ذلك سجنه[8].

واتفق أن الملك سمع أن الطباخ الذي يصنع له الطعام يريد أن يضع له فيه سما٠، وتوهم في الذي يصنع له الشراب مثل ذلك، فسجنهما مع يوسف، فرأى صاحب الطعام في المنام أنه يحمل فوق رأسه خبزاً، وأن الطير تأكل من ذلك الخبز، فكان تأويله أن صل٠ب٠ه الملك، فأكلت الطير من رأسه، ورأى صاحب الشراب أنه يعصر عنباً، فكان تأويله أن الملك ظهرت عنده براءته من الخيانة، فرده إلى خدمته، ولما رأيا الرؤيا أتيا إلى يوسف، فقص كل واحد رؤياه، وسألاه أن يخبرهما بتعبيرها، وقالا: (إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾) أي: ممن يحسن التعبير، وعنده فهم وعلم، وقيل: كان يحسن إلى المحبوسين، ويؤانسهم بالحديث، ويبشرهم بالفرج وحسن العاقبة، ويعود مرضاهم ،

---

(1) هذا على القول بأن الشاهد كان طفلاً، وفيه خلاف قد سبق عند قوله تعالى (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ).

وانظر نحو ما ذكر المؤلف في: زاد المسير 696، والجامع لأحكام القرآن 9/159.

(2) في (ك): (بعد إرادة قصد لضده). وانظر المعنى في: الهداية 5/3558، ولسان العرب (ب د و) 1/348، 347.

(3) في (ك)(وفاعل بدا هنا مضمر).

(4) انظر: الكشاف 2/450، والبحر المحيط 5/306.

(5) الكتاب 3/110، وانظر: الهداية 5/3558.

(6) في (ك): (ويطلق).

(7) انظر: المحرر الوجيز 3/243، وزاد المسير ص 696.

(8) رواه الطبري في تفسيره 7/211 من طريق أسباط عن السدي، وقد مضى الكلام على هذا الطريق ص(56).

(9) في (ك): (ويبشرهم بالفرج ويوسع لهم). فعبارة (ويبشرهم بالفرج) مكررة فيها.

ويوسع لهم[9] إذا ضاق المكان[1].

فقال يوسف: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦ﴾[الآية:37] أي: لا يرزقكما الله طعاما· إلا وأخبر·كم به قبل وصوله إليكم[2].

وقيل: معناه: كل طعام رأيتموه في المنام أخبرتكم بتأويله قبل أن يحصل تأويل ما رأيتم، قاله السدي وابن إسحاق[3].

وقيل: إن الملك كان إذا أراد أن يقتل إنسانا· صنع له طعاما·، فمعناه: إن كل طعام يأتيكم أخبركم بما يراد بكم بعد أكله[4].

قال ابن مسعود وغيره: ما رأيا رؤيا، وإنما أرادا امتحان يوسف في دعواه العلم، فلما فسر لهما قالا: ما رأينا شيئا·، فقال: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ أي: لا بد من كونه[5].

ولما أراد يوسف تفسير رؤياهما بدأ بذكر نعم الله عليه فيما أعطاه من العلم والإيمان واتباع ملة آبائه عليهم السلام، ثم دعاهما إلى التوحيد، وبين لهما بطلان الشرك، ثم عبر الرؤيا.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾[الآية:38] يعني: الإيمان، جعله الله في قلوب المؤمنين بفضله[6].

---

(1) انظر القولين في المراد بالإحسان هنا في: معالم التنزيل 2/461، والجامع لأحكام القرآن 9/162.

(2) انظر: معالم التنزيل 2/462، والكشاف 2/451.

(3) ابن إسحاق هو: هو محمد بن إسحاق بن يسار، مولى قيس بن مخرمة، أبو عبد الله، الحافظ، الإخباري، ولد سنة 80هـ، ورأى أنس بن مالك، صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر، توفي سنة 150هـ. انظر: طبقات ابن سعد 321/ 7، وسير أعلام النبلاء 33/ 7، وتقريب التهذيب (5762) ص825.

والأثر قد رواه الطبري في تفسيره 7/215 عن ابن إسحاق، وكذا عن السدي من رواية أسباط (وقد سبق الكلام على هذا الطريق ص(56))، وهذا القول هو قول الطبري وابن تيمية، ومال إليه ابن كثير. انظر: تفسير الطبري 7/215، ومجموع الفتاوى 17/198، وتفسير ابن كثير 2/495.

(4) انظر: التفسير الكبير 18/109، والجامع لأحكام القرآن 9/163.

(5) رواه -مختصراً- الطبري في تفسيره 7/212 عن ابن مسعود والسدي، وانظر: الهداية 5/3562.

(6) انظر: تفسير الطبري 7/216، والبحر المحيط 5/309.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾[الآية:39] أي: يا محبوسين[1]، كقوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[2] ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾أي: هل عبادة آلهة كثيرة -لا تقدر على شيء- خير، أم عبادة الله الواحد في ملكه، القادر على كل شيء الغالب لكل أحد سواه؟[3].

﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾[الآية:40] أي: ما تعبدون يا معشر المشركين[4] إلا أصناما صنعتموها، و﴿أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾[5]، فخاطب الاثنين خطاب الجمع، يريد به سائر الكفار[6].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ أي: المستقيم، يعني: التوحيد[7]﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠﴾صحة التوحيد[8].

﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾[الآية:41] يعني: الملك الريان[9] ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾أي: فرغ منه وقدره الله[10]﴿تَسۡتَفۡتِيَانِ ۝٤١﴾تسألان، والنون فيه نون تثنيته الفعل، وليس فيه إضمار مفعول[11].

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾[الآية:42] -يعني: صاحب الشراب[12]-: اذكرني عند الملك، وعرفه أني سجنت ظلما، وقيل: معناه: اذكر له علمي وفهمي، ليظهر له فضلي فيخلصني[13]، فأنسى الشيطان يوسف أن يذكر الله، ويعتمد على الله في خلاصه، فأطال الله سجنه سبع سنين لالتجائه إلى مخلوق[14]، وروي أن جبريل نزل عليه، فعاتبه على هذا القول[15].

وقيل: تقدير الكلام: فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر سيده بقضية يوسف،

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/463، والبحر المحيط 5/309.
(2) وردت في مواضع كثيرة، أولها في سورة البقرة، الآية (39).
(3) انظر: تفسير الطبري 7/217، والكشاف 2/453.
(4) في (ك): (يا مشركين).
(5) انظر: تفسير الطبري 7/218،217، وتفسير ابن كثير 2/496.
(6) انظر: الكشاف 2/453، والبحر المحيط 5/309.
(7) انظر: معالم التنزيل 2/463، وزاد المسير ص 698.
(8) انظر: تفسير الطبري 7/218، وزاد المسير ص 698.
(9) انظر ما سبق في اسمه ص(446).
(10) انظر: معالم التنزيل 2/463، والكشاف 2/453.
(11) فليس التقدير: تستفتيانني، ثم حذفت إحدى النونين وحذفت الياء، بل النون نون المثنى وليس هناك حذف.
(12) انظر معالم التنزيل 2/464.
(13) انظر القولين في: الهداية 5/3571،3570، والمحرر الوجيز 3/247.
(14) انظر: تفسير الطبري 7/221،220، والكشاف 2/453.
(15) أورده مكي في الهداية 5/3573،3572.

فلبث يوسف [في السجن][1] سبع سنين، يدل عليه قوله: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ أي: تذكر الساقي قضية يوسف[2].

والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: من واحد إلى عشرة[3].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ﴾[الآية:43] هو الريان، رأى سبع بقرات سمان حسان، وقد أكلتهن[4] سبع بقرات عجاف -أي: هزال[5]-، ورأى سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات، فقصها على جلسائه، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي﴾ أي: أخبروني بتأويل رؤياي إن كنتم تحسنون التعبير[6]، فقالوا: هذه ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾[الآية:44] أي: أخلاط من أحلام فاسدة، وما نحن بتعبير الأحلام الفاسدة بعالمين، ومعناه: إن الأحلام لا تعبير لها، ولا صدق فيها، فإنها من وسوسة الشيطان أو حديث النفس[7].

فقال الساقي: ﴿ٱلَّذِي نَجَا﴾[الآية:45] من الفتيين، وقتل صاحبه، وسلم هو، وكان قد نسي وصية يوسف، فلما سمع رؤيا الملك، وعلم عجزهم عن تعبيرها تذكر أمر يوسف ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ أي: تذكر [من][8] بعد سنين[9]، وقرئت بعد (أَمَهٍ) بالهاء وفتح الهمزة وتخفيف الميم، وهو النسيان[10]، فقال[11]: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ أي: أخبركم بتعبير هذا المنام[12] ﴿فَأَرۡسِلُونِ ۝٤٥﴾ إلى العالم الذي في السجن[13].

---

(1) سقطت من (م).

(2) وإلى هذا القول مال ابن كثير. انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/167، وتفسير ابن كثير 2/497، وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير 12/67:«ولعل كلا الاحتمالين مراد، وهو من بديع الإيجاز».

(3) انظر القولين في: معاني القرآن للزجاج 3/112، والهداية 5/3574،3573.

(4) في (ك): (أكلتهم).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/169.

(6) انظر: تفسير أبي السعود 4/281،280، والتحرير والتنوير 12/69.

(7) وقيل: إنما نفوا عن أنفسهم علمها، ولم ينفوا أن يكون لها تأويل، وعليه يدل ظاهر الآية. انظر: التفسير الكبير 18/118، والبحر المحيط 5/311، وتفسير أبي السعود 4/281.

(8) سقطت من (ك).

(9) انظر: تفسير الطبري 7/225، ومعاني القرآن للزجاج 3/113.

(10) وهي قراءة شاذة، رويت عن ابن عباس وزيد بن علي وغيرهما، وتوجيهها كما بينه المؤلف. انظر: الهداية 5/3576، والبحر المحيط 5/313.

(11) كرر المؤلف لفظة «فقال» هنا بعد أن ابتدأ بها الكلام على الآية لطول الفصل بالاعتراض بين القول وفعله.

(12) انظر: الكشاف 2/457.

(13) انظر: معالم التنزيل 2/466.

فمضى إلى يوسف، فقال: يا أيها الصديق -أي: الكثير الصدق[1]- أفتنا في هذه الرؤيا؛ لعلي أرجع إلى الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ تأويلها، وقيل: أي: يعلمون مقدارك؛ فيخلصونك، ويكرمونك[2].

فعبر يوسف البقر بالسنين، فقال: ﴿[تَزْرَعُونَ][3] سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾[الآية:47] أي: متوالية دواما· في الخصب، وقيل: أي: على عادتكم في الزرع، والدأب: العادة، والأول من الدؤوب، وهو الدوام، والمعنيان متقاربان[4].

والبقر السمان: هي السنون الخصبة.

ثم إنه عليه السلام ظهر له من الرأي ادخار الأقوات في السنين الخصبة[5]، فقال: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ من غير دراس؛ ليكون أقوى وأبقى[6] ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لا تدرسوا إلا قليلا· تأكلونه في أوقات الخصب[7].

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ﴾[الآية:48] سنين فيها شدة وجدب ﴿يَأْكُلْنَ﴾ أي: يؤكل فيهن جميع ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾[8]، فلا يبقى منه إلا القليل[9] ﴿مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: تخزنون[10].

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ بالنيل والمطر والخصب[11] ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ العنب والسمسم وغيرهما، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم[12]، وقيل: ﴿يَعْصِرُونَ

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/466، والبحر المحيط 5/314.
(2) انظر: القولين في: المحرر الوجيز 3/250، والجامع لأحكام القرآن 9/172.
(3) سقطت من (ك).
(4) انظر القولين في: زاد المسير ص 700، والجامع لأحكام القرآن 9/173.
(5) انظر: تفسير الطبري 7/228، والمحرر الوجيز 3/250.
(6) الدراس: دوس الحنطة. انظر: القاموس المحيط (د ر س) ص 544، والمعجم الوسيط (د ر س) ص 279. وانظر معنى الآية في: معالم التنزيل 2/467، وتفسير ابن كثير 2/498.
(7) انظر: معالم التنزيل 2/467، والجامع لأحكام القرآن 9/173.
(8) انظر: تفسير الطبري 7/228، وزاد المسير ص 700.
(9) في (ك): (فلا يبقى منه إلا قليلاً أي القليل).
(10) انظر: الكشاف 2/458.
(11) انظر: الهداية 5/3579، وزاد المسير ص 700.
(12) رواه الطبري في تفسيره 7/230 عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق عطية العوفي، وقد مضى الكلام على هذين الطريقين وبيان قوة الأول وضعف الثاني ص(33) وص(142)، وعن الضحاك من طريق جويبر، وهو ضعيف كما سبق ص(342)، وعن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وقد مضى هذا الإسناد وحسنه ص(2).

﴿٤٩﴾ يحلبون الأنعام[1]، وقيل: ﴿يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾ ينجون من البلاء، والعَصَر النجاة[2].

وقيل: إن قوله: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ﴾ ليس من الرؤيا، وإنما هو كشف أخبرهم به[3].

فلما بلغ الريان تعبيره لرؤياه أعجبه ذلك، وقال[4]: ائتوني به، فلما جاءه رسول الملك ليخرجه من السجن [أراد][5] أن يظهر براءته مما اتهم به قبل خروجه[6]، فقال: ارجع إلى الملك، فاسأله ﴿مَا بَالُ﴾[الآية:50]أي: ما قصة ﴿ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾؟.

فجمعهن الملك، و﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ﴾ -أي: ماشأنكن- ﴿إِذۡ [رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾ أي: إذ][7] راودت زليخا يوسف؟ هل اطلعتن على ريبة بينهما؟ فقلن: ﴿قُلۡنَ حَٰشَ[8] لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾[9].

فلما شهدت النسوة ببراءتها من[10] الريبة أقرت زليخا، وقالت: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾صدق الله

فقوله: ﴿رَٰوَدتُّنَّ﴾ -بلفظ الجمع- لأن زليخا جمعتهن، ووافقنها على محبته، وقيل: لأنهن قلن ليوسف: ما عليك لو وافقت زليخا فيما طلبت، فكأنهن راودنه كلهن[11].

---

(1) روي هذا عن ابن عباس، وهو مثال على ما يطلق عليه لفظ (العصر) مما يدل على الخصب والسعة. انظر: تفسير الطبري 7/231،230، والبحر المحيط 5/314، وتفسير ابن كثير 2/498.

(2) في (ك): (والمعصرة النجاة). وانظر هذا القول في معنى الآية في: الهداية 5/3579، ومعالم التنزيل 2/467.

3) الكشف من كرامات أولياء الله تعالى، وهي أمر خارق للعادة، يحصل له به سمع ما لا يسمعه غيره، أو رؤية ما لا يراه غيره، أو علم ما لا يعلمه غيره: إلهاماً ووحياً، أو فراسة صادقة، وأولى خلق الله تعالى بالكرامات هم الرسل والأنبياء، وتسمى في حقهم: معجزات. انظر: مجموع الفتاوى 11/173،172. وفي عد هذا الخبر الذي أخبرهم به يوسف عليه السلام كشفاً نظرٌ؛ فإن من تأمل الرؤيا تبين له ذلك منها، فإذا كانت السنون العجاف سبعاً فقط، فإن غبها يكون خصباً ولا بد، وإلا لما كانت السنون العجاف سبعاً، بل تكون ثمانياً أو أكثر، والله أعلم.

(4) في (ك): (وقال الملك).

(5) تكررت في (ك).

(6) انظر: المحرر الوجيز 3/252، والتفسير الكبير 18/121.

(7) سقطت من (م).

(8) في (ك): (قلن حاشا).

9) هذا أحد الأقوال في الآية: وقيل: إن الخطاب للجميع، وإنما المراد واحدة منهن، وهي امرأة العزيز -وهذا قول ابن كثير-، وقيل: كل واحدة منهن راودته عن نفسها، وقيل: لأنهن راودنه على مطاوعة امرأة العزيز، وقيل غير ذلك. انظر: الهداية 5/3582،3581، وزاد المسير ص 702،701، والتفسير الكبير 18/122، وتفسير ابن كثير 2/499.

(10) في (ك): (عن).

(11) سبق توثيق هذين القولين في الحاشية قبل قليل.

ومعنى ﴿حَصْحَصَ﴾ تبين، وظهرت[1] حصة الحق من حصة الباطل، وأصله: حصص، ثم زيد، كقوله: ﴿فَكُبْكِبُواْ﴾[2].

ثم قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾[الآية:52] أي: العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في زوجته ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي: وهو غائب[3].

ثم ذكر يوسف أن عصمته من فضل الله لا من نفسه، فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِالسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[الآية:53] أي: لكن ما يفعله الله برحمته من الحماية للأولياء، والعصمة للأنبياء، يغلب ما تأمر به النفس من السوء، وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى: (من) أي: إلا من رحم الله: حماه عن موافقة نفسه[4].

[قوله تعالى][5]: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِۦٓ﴾[الآية:54] قيل: هو الوليد بن الريان[6]، قال: ائتوني بيوسف ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله من خواصي ووزرائي[7]، فأحضر، وكلمه؛ فعلم[8] حسن عقله، فقال: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾ أي: متمكن من فعل ما تريد ﴿أَمِينٌ﴾ أي: مأمون على أمورنا[9].

ثم قال له: ما من شيء إلا أحب أن تشاركني فيه إلا أهلي، ولا يأكل معي عبدي، فقال يوسف: أتأنف مني وأنا أحق أن آنف منك؟ أنا ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

---

(1) في (ك): (فظهرت).

(2) سورة الشعراء، الآية (94). وانظر معنى الكلمة وأصلها في: تفسير الطبري 7/235، والهداية 5/3583،3582، وقول المؤلف (حصص) مراده بعد فك، وإلا فهي في: حصّ، ومثلها: كبّ وكبكب. انظر المصدرين السابقين.

3) وقيل: هو من قول امرأة العزيز، والمعنى: أقررت بالمراودة ليعلم العزيز أني لم أخنه الخيانة الكبرى، وإنما راودته مراودة. ورجحه ابن تيمية وابن كثير، وهو أقرب إلى السياق، ولم يذكر الطبري غير ما ذكر المؤلف . انظر: تفسير الطبري 7/235، والجامع لأحكام القرآن 9/178، وتفسير ابن كثير 2/499.

(4) انظر القولين في: الهداية 5/3586، والتفسير الكبير 18/126.

(5) سقطت من (ك).

6) كذا في الهداية 5/3586، وقد تكررت تسميته عند المؤلف فيما سبق «الريان بن الوليد»، وسبق التعليق عليها هناك ص(446).

(7) انظر: معالم التنزيل 2/469، والجامع لأحكام القرآن 9/181.

(8) في (ك): (وعلم).

(9) انظر معنى قوله تعالى ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾ في: تفسير الطبري 7/240، والبحر المحيط 5/318.

خليل الرحمن[1].

ثم إن يوسف طلب أن يكون على الخزائن؛ لينفع الفقراء، ويرحم الضعفاء، فقال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾[الآية:55] أي: بيوت الأموال بمصر[2]﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ أي: حافظ لما وليت ﴿عَلِيمٞ ۝﴾ عالم به، وقيل: حافظ للحساب، عالم باللغات، وقيل: حافظ للأموال، عالم بوضعها في مواضعها[3].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الآية: 56] أي: وليناه أرض مصر[4]، وكان الملك قد عزل زوج زليخا، وولى يوسف مكانه، ثم مات زوج زليخا في تلك الليالي، وافتقرت زليخا، فأرادت أن تدخل على يوسف وتشكوا إليه أمرها، فقال لها أهلها: إنا نخاف عليك مما قد كان منك، فقالت: كلا؛ إنه ممن يخاف الله ويتقيه، ثم إنها وقفت ليوسف، وقالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، وجعل الملوك عبيداً بمعصيته، [فأخذها يوسف][5]، فتزوج بها، ودخل عليها فوجدها بكراً؛ لأن زوجها كان عنينا· لا يأتي النساء[6].

ومعنى ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ أي: يسكن حيث يشاء[7]، بعد السجن والضيق، ويتخذ منـزلا·[8] من أرض مصر[9]﴿حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ هو، ومن قرأ بالنون فمعناه: حيث يشاء الله[10].

1) رواه الطبري في تفسيره 7/240 عن عبد الله بن أبي الهذيل، ومثل هذا لا يعلم إلا بوحي أو يكون متلقى عن بني إسرائيل، وفيه نكارة، ذلك أن فيه -عند الطبري-: «ابن إسحاق ذبيح الله»، وهذا خلاف الراجح من أقوال أهل العلم في الذبيح، وفي لفظ آخر عند الطبري: «ابن إسماعيل ذبيح الله». وهو ليس ابن إسماعيل بالإجماع، وهو هنا في تعداد أسماء آبائه بالولادة لا بمطلق الأبوة كما هو ظاهر من السياق.

(2) انظر: معالم التنزيل 2/471، وزاد المسير ص 704.

3) في (ك): (عالم بموضعها). وانظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري 7/242،241، والهداية 5/3588، والبحر المحيط 5/318.

(4) انظر: تفسير الطبري 7/242، ومعالم التنزيل 2/472.

(5) سقطت من (ك).

6) رواه الطبري في تفسيره 7/242 عن ابن إسحاق، ولا مانع لما أراد الله، لكن هذا من أخبار بني إسرائيل في غلبة ظن تكاد تصل إلى اليقين، وقد قال ابن عطية في المحرر الوجيز 3/256 بعد سَوقه لهذا الأثر:«وروي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته، ويطول الكلام بسَوقه».

(7) انظر: معالم التنزيل 2/472، والكشاف 2/464.

(8) سقطت من (م).

(9) في (ك): (ويتخذ منزلاً منها من أرض مصر).

10) قرأ ابن كثير بالنون، وقرأ الباقون بالياء، وتوجيه القراءتين كما أوضحه المؤلف. انظر: البحر المحيط 5/318، والنشر 2/222.

﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾أي: خير من ملك في الدنيا والتمكن في الأرض[1].

[قوله تعالى][2]: ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾[الآية:58] [الآية][3]، جاء عشرة من إخوته يطلبون الميرة، وكان يوسف لا يدع أحداً يحمل من مصر طعاما· إلا حمل بعير لكل إنسان، فلما دخلوا عليه عرفهم[4]، وهم لم يعرفوه، فسألهم عن شأنهم، فقالوا: نحن أولاد رجل صديق، وكنا اثني عشر، فهلك منا واحد، وبقي أصغرنا عند أبينا، يعنون بنيامين شقيق يوسف، فقال يوسف: ائتوني بأخيكم الذي تركتموه عند أبيكم لأنظر إليه، وأزيدكم لأجله حمل بعير من الطعام[5]﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ۝٥٩﴾أي: من ينـزل الأضياف ويكرمهم بمصر[6].

﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾ أي: لا أعطيكم طعاما· في غير هذه المرة[7]﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ ۝٦٠﴾أي: لا أقر··بكم، ولا تصلون إلي[8].

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾[الآية:61]أي: سنطلبه من أبيه[9].

ثم إنهم جهزوا أحمال الطعام، فأمر يوسف غلمانه أن يضعوا بضاعتهم، أي: دراهمهم التي اشتروا بها الطعام، وهبها لهم، وجعلها في أحمالهم من حيث لا يعلمون؛ ليرغبهم في الرجوع إليه، ليأتوه بأخيه[10]، وهو قوله: ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ

---

(1) انظر: التفسير الكبير 18/131، والجامع لأحكام القرآن 9/187.
(2) سقطت من (ك).
(3) سقطت من (ك).
(4) في (ك): (فدخلوا عليه فعرفهم).
(5) انظر نحو هذا السياق عند الطبري في تفسيره 7/243 من كلام السدي.
(6) انظر: المحرر الوجيز 3/258، وزاد المسير ص 705.
7) وعلى هذا القول أكثر المفسرين، وقيل: منعهم من الكيل في الحال. انظر: زاد المسير ص 705، وتفسير ابن كثير 2/501.
8) قوله تعالى ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ ۝٦٠﴾ يحتمل أن يكون نفياً فيكون تفسيرها كما أورده المؤلف، ويحتمل أن يكون نهياً، نهاهم أن يقربوا بلاده. انظر: الكشاف 2/466، والمحرر الوجيز 3/258.
(9) انظر: معالم التنزيل 2/475.
(10) انظر: التفسير الكبير 18/134، والجامع لأحكام القرآن 9/190.
(11) انظر: معالم التنزيل 2/475، والتحرير والتنوير 12/86.
(12) سقطت من (م).

﴿يَعۡرِفُونَهَآ﴾[الآية:62]أي: يعرفون دراهمهم[11]﴿إِذَا [ٱنقَلَبُوٓاْ]﴾أي][12]: رجعوا إلى أهلهم[1].

وقيل: أراد أن يوهمهم أن الدراهم سقطت في الطعام ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٦٢﴾ أي: ليرجعوا؛ فإنهم لا يستحلون أخذ الطعام بغير ثمن، فيرجعوا ليوفوا ثمنه[2].

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾[الآية:63] أي: منعنا من الزيادة على حمل بعير لكل واحد[3]﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا﴾بنيامين؛ فإن عزيز مصر طلبه منا، ووعدنا إن مضينا به معنا أن نأخذ ما شئنا من الطعام[4]، وأكرمنا كرامة لو كان من ولد يعقوب ما أكرمنا مثلها.

﴿يكتل﴾ هو بالياء، ومن قرأ بالنون فمعناه: نكتال نحن[5]،﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٦٣﴾صدق الله

قال يعقوب: ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾[الآية:64] أي: هل تسليمي إياه لكم كتسليم يوسف، حيث أمنت مكركم[6] ﴿فالله خير حفظاً﴾ أي: حفظ الله خير من حفظكم، وقرئت ﴿حَٰفِظٗا﴾أي: خير حافظ[7]﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾ فلا يبتليني بفقد هذا الولد الآخر مع كبر سني، وحاجتي إلى ولد صغير يخدمني[8].

[قوله تعالى][9]: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِي﴾

---

(1) انظر: زاد المسير ص 706.
(2) انظر هذا القول في معنى الآية في: تفسير الطبري 7/245، ومعاني القرآن للزجاج 3/117.
3) وقيل: منع منا الكيل بعد هذه المرة، ولم يذكر ابن كثير غير هذا القول. انظر: الهداية 5/3595، وزاد المسير ص 706، وتفسير ابن كثير 2/501.
4) هذا على ما اختاره المؤلف في تفسير ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾. انظر: تفسير الطبري 7/245، على أن في تعبير المؤلف تجوزاً، ومن قال بهذا القول من المفسرين لم يقل: إنهم وعدوا أباهم أن يأخذوا ما شاءوا من كَيل إن أتوا بأخيهم من أبيهم، وإنما قالوا كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾. انظر: المصدر السابق.
5) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء، وقرأ الباقون بالنون. وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/451، والهداية 5/3595، والنشر 2/222.
(6) انظر: الكشاف 2/467، وزاد المسير ص 706.
7) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم (حَٰفِظًا)، وقرأ الباقون (حِفظا)، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 2/455، والنشر 2/222.
(8) انظر: تفسير الطبري 7/247، والكشاف 2/467.
(9) سقطت من (ك).

[الآية:65] أي: ما نطلب وقد دفع إلينا عزيز مصر الطعام والثمن؟[1]، فنرجع إليه ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نأتيهم بالطعام[2]﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ بنيامين، ونزداد لأجله حمل بعير ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ أي: سهل على عزيز مصر لحسن معاملته، وقيل: معناه: هذا الذي جئنا به طعام يسير لا يكفينا، فدعنا نرجع لنزداد[3].

قال يعقوب: ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُ﴾[الآية:66] -أي: بنيامين- ﴿مَعَكُمْ[4] حَتَّىٰ﴾ تعاهدوني وتعطوني ﴿مَوْثِقًا﴾ -أي: عهداً أوثِق به[5]-﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ -أي: من الأيمان بالله- ﴿لَتَأْتُنَّنِي﴾ ببنيامين[6] ﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ معناه: إلا أن يحيط بكم أمر لا تقدرون على دفعه، وقيل: معناه: إلا أن تهلكوا جميعاً[7]، فلما عاهدوه قال يعقوب: ﴿اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ أي: حفيظ شهيد علينا[8].

ثم وصاهم أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة، خاف عليهم من العين لحسنهم وجمالهم، وقيل: خاف أن يتوهم الناس [فيهم][9] أنهم جواسيس، فهي الحاجة التي كانت في نفسه فقضاها بوصيته إياهم أن يتفرقوا[10]، وما يغني عنهم من الله، أي: ما يقدر على دفع ما قضاه الله فيهم، وإنما أراد بالوصية تسكين ما حصل في نفسه من الخوف عليهم[11] ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾[الآية:68] أي: لذو حفظ لما علمه الله[12].

فلما[13] رجعوا إلى يوسف أمر صاحب الضيافة أن ينزل كل أخوين شقيقين في

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/247، والمحرر الوجيز 3/260.
(2) انظر: معالم التنزيل 2/477.
(3) انظر القولين في: الكشاف 2/468، وزاد المسير ص707.
(4) في (م): (لن أرسل معكم بنيامين).
(5) كذا في النسختين -دون ضبط-، فإما أن تكون كما ضبطتها، أو يكون صوابها: أثق به.
(6) انظر تفسير قوله تعالى ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ بنحو ما فسره به المؤلف في: تفسير الطبري 7/248، وزاد المسير ص 707، والتفسير الكبير 18/137.
(7) انظر القولين في: الهداية 5/3597، والتفسير الكبير 18/137.
(8) انظر: تفسير الطبري 7/248، ومعالم التنزيل 2/477.
(9) سقطت من (ك).
(10) انظر القولين في: الهداية 5/3598، والمحرر الوجيز 3/261.
(11) انظر: معالم التنزيل 2/478، والبحر المحيط 5/323.
(12) وقيل: يعمل بما علمناه، وقيل: لذو علم لتعليمنا إياه. انظر: تفسير الطبري 7/250، وزاد المسير ص708.
(13) في (ك): (ولما).

مكان، وبقي بنيامين وحده، فأخذه يوسف، وأسر إليه أنه أخوه، ووصاه أن لا يخبرهم بذلك[1]، وأن لا يبتئس، أي: لا يحزن على ما يعملون، ومعناه: لا تحزن إذا أخذناك منهم بالحيلة[2].

ثم إنه جهز أحمالهم، ووضع الكيل في حمل بنيامين، وكان الكيل من ذهب وفضة، مرصعاً بالجوهر، شبه[3] القدح، وكان الملك يشرب به، فسمي: سقاية، وكانوا يكيلون الطعام به، فسمي: صواعاً، أي: صاعاً[4].

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي: أمر يوسف منادياً ينادي خلفهم بعد خروجهم[5]: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾ أي: القافلة[6] ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ قيل: عنى يوسف بذلك سرقتهم إياه، وبيعه بثمن بخس، وأوهمهم أنهم سرقوا الصاع[7].

فقال إخوة يوسف - ﴿وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم﴾ أي: على القوم الذين لحقوهم[8]-: ﴿مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ۝٧١﴾؟ قالوا: فقدنا الصاع، وقد جعل[9] الملك لمن أتى به ﴿حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ جعالة على الإتيان به[10] ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ۝٧٢﴾ يقول رسول يوسف الذي لحقهم: أنا كفيل بحمل من طعام لمن يرد صاع الملك[11].

(1) انظر: تفسير الطبري 7/251، ومعالم التنزيل 2/479.

2) وقيل: لا تحزن على ما كانوا يفعلون بك وبي، ولم يذكر الطبري غير هذا القول. انظر: تفسير الطبري 7/252،251، والمحرر الوجيز 2/263.

(3) في (ك): (يشبه).

4) وقد اختلف في صفته على أقوال كثيرة، منها ما ذكره المؤلف، والله أعلم على أي هيئة كان. انظر الهداية 5/3602،3601، والمحرر الوجيز 3/264،263.

(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/120، والبحر المحيط 5/326.

(6) انظر: معالم التنزيل 2/480، وزاد المسير ص 709.

7) انظر هذا القول في: الهداية 5/3606، والجامع لأحكام القرآن 9/196، وقد قيل: إنكم لسارقون فيما يظهر من مركم لمن لم يطلع على حقيقة الأمر، وقيل: كان المنادي لا يعلم بحقيقة الأمر فلم يكن كاذباً في ندائه. انظر: زاد المسير ص709.

(8) انظر: البحر المحيط 5/326، وتفسير ابن كثير 2/503.

(9) في (ك): (وجعل).

(10) الجعالة -بتثليث الجيم- هي: التزام عوض معلوم على عمل معلوم أو مجهول يعسر ضبطه. انظر: المصباح المنير (ج ع ل) ص 65، ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية 1/531.
وانظر معنى الآية في: تفسير الطبري 7/255، والمحرر الوجيز 3/264.

(11) انظر: الكشاف 2/471، والمحرر الوجيز 3/264.

فقال الأسباط: ﴿تَٱللَّهِ﴾[الآية:73]أي: والله ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُم﴾أنا لم نأت لفساد ولا سرقة[1]، وذلك أن فضلهم كان قد اشتهر بمصر، وقيل: لأنهم ردوا الدراهم ثمن الطعام الذي كان في رحالهم، فظهرت أمانتهم[2].

فقال غلمان يوسف: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾أي: ما جزاء السارق عندكم في شريعتكم ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ۝٧٤﴾في دعواكم أنكم ما سرقتم؟[3].

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾[الآية:74]أي: يؤخذ عبدا، فيسترق بسرقته، وكذلك كانت شريعة يعقوب[4]، وكان في حكم الملك الريان أن من سرق شيئا غرم قيمته أو مثله، فلذلك[5] حكموا الأسباط في جزاء السرقة؛ ليسلموا بنيامين؛ فإنه كان لا يؤخذ في حكم الملك[6]، وهو قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾[الآية:76]أي: في حكمه في الجزاء[7]﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾بأخذه[8]، فيسلط الملك عليه فيأخذه[9].

ولما رجعوا إلى يوسف أمر أن تفتش أحمالهم، وبدأ بتفتيش غرائرهم[10] قبل غرارة بنيامين؛ لئلا يبدأ بها فيفهمون أنها حيلة، وقيل: إنهم لما أرادوا تفتيش غرارة بنيامين قال الغلمان[11]: ما أظن هذا سرق شيئا، وذلك بوصية يوسف، ليقوي الحيلة، ويصرف أفهامهم عن التفطن لكيده بهم، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾يعني: السقاية، والصاع: يذكر

(1) انظر: تفسير الطبري 7/257، والبحر المحيط 5/327.

(2) انظر القولين في: معاني القرآن للزجاج 3/121، ومعالم التنزيل 2/481.

(3) انظر: الهداية 5/3604، والجامع لأحكام القرآن 9/199.

(4) انظر: تفسير الطبري 7/258، وزاد المسير ص 710، والجامع لأحكام القرآن 9/199.

(5) في (ك): (فكذلك).

(6) وقيل: كان حكم الملك أن يضرب السارق ويغرم ضعفي ما سرق. انظر: الهداية 7/3605، ومعالم التنزيل 2/481.

(7) في (ك): (في الحر). وانظر المعنى في: معالم التنزيل 2/482، والجامع لأحكام القرآن 9/202.

(8) كذا في النسختين، وفي العبارة غرابة.

(9) في(ك): (فيسلط عليه الملك فيأخذه). وانظر المعنى في: زاد المسير ص 710، والمشهور أن المراد: لم يكن يأخذه في حكم الملك إلا بما شاءه الله من كيده ليوسف. انظر: تفسير الطبري 7/260، والجامع لأحكام القرآن 9/202.

(10) جمع غرارة، وفي المعجم الوسيط ص648:«وعاء من الخيش ونحوه، يوضع فيه القمح ونحوه». وانظر: لسان العرب (غ ر ر) 10/46.

(11) كذا في (ك)، وهي غير واضحة في (م)، إلا أنها محتملة لما أثبته.

ويؤنث[1].

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: كاد الله ليوسف، ومعناه: ألهمه كيداً وحيلة يأخذ بها أخاه[2]، وما كان ليأخذه في حكم الملك لولا رد الحكم إلى الأسباط ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ قال زيد بن أسلم: يعني: بالعلم[3] ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ أي: عالم أعلم منه، حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى[4]، والله أعلم وأحكم.

[قوله تعالى][5]: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ﴾[الآية:77] أخوه، [معناه: إن كان بنيامين قد سرق فقد سرق أخوه][6] شقيقه من قبل سرقة هذا[7]، فقيل: إن يوسف كان قد سرق صنما· لبعض أخواله وهو صغير، فكسره ورماه، فهذه سرقته، قاله مجاهد وابن جريج[8]، وقيل: كانت عمته قد شدت في وسطه م·ن·ط·قة[9] كانت لجده إسحاق، ثم اتهمته أنه سرقها؛ لتأخذه بسرقته، لمحبتها فيه[10].

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ﴾ أي: قال في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: أنتم أسوأ أحوالا· وأقبح أفعالا·[11] ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ من سرقة بنيامين ويوسف[12] ﴿وَلَمْ يُبْدِهَا

---

1) فالتأنيث إما على أن المراد: السقاية، أو على أن الصاع يذكر ويؤنث. انظر: تفسير الطبري 7/260، والبحر المحيط 5/328.

2) قال الطبري في تفسيره 7/260:«يقول: هكذا صنعنا ليوسف»، وقال البغوي في معالم التنزيل 2/482:«والكيد من الخلق: الحيلة، ومن الله تعالى التدبير بالحق»، وقال ابن كثير في تفسيره 2/503:«وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة»، ومعنى كلام المؤلف صحيح، وقد أورده مكي في الهداية 5/3606، والبغوي في معالم التنزيل 2/482.

(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره 7/2177.

(4) انظر: الهداية 5/3607، ومعالم التنزيل 2/482.

(5) سقطت من (ك).

(6) ما بين المعقوفين ساقط من (ك)، وهو في (م): (معناه إن كان بنيامين قد سرق أخوه)، وبعد كلمة (سرق) شارة خرجة لكلام مضاف في الحاشية، ولكنه غير ظاهر في التصوير ولعله كما أضفته: إن كان بنيامين قد سرق (فقد سرق) أخوه.

(7) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/203، وتفسير ابن كثير 2/503.

8) رواه الطبري في تفسيره 7/265 عن ابن جريج، وأما أثر مجاهد فقد ذكره مكي في الهداية 5/3607، أما الطبري فقد روى عنه -في تفسيره 7/265- القولَ الثاني (على ترتيب المؤلف)، وهو أن عمته حزمته بالمنطقة، فاتهم بسرقتها. وانظر: الدر المنثور 4/54،53.

(9) المنطقة: ما ينتطق به، أي: ما يلبس على الناطقة -الخاصرة-. انظر: القاموس المحيط (ن ط ق) ص 926، والمعجم الوسيط ص 931.

(10) انظر: تفسير الطبري 7/265، ومعالم التنزيل 2/483.

(11) في (م): (وأقبح أحوالا). وانظر المعنى في: المحرر الوجيز 3/267، وزاد المسير ص 711.

(12) انظر: الكشاف 2/473.

﴿لَهُمْ﴾أي: لم يظهر [لهم][1] هذا الكلام، فوقع في هذا الموضع ضمير الشيء قبل ذكره، وقيل: معناه: أسر[2] يوسف كلامهم هذا، فصبر عليه، وكظم غيظه، ثم قال لهم بكلام يسمعونه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾[3].

فقالوا: إن هذا صغير[4] يخدم أبانا، وينفعه في كبر سنه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا[مَكَانَهُۥٓ﴾ [الآية:78] أي][5]: موضعه؛ إنا[6] نراك من أهل الإحسان، وقيل: معناه: إنك لمحسن إن أخذت أحدنا مكانه[7].

فقال يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾[الآية:79]أي: أستجير بالله من الظلم[8]، وإنه لا يحل أن نأخذ[9] إلا من وجدنا متاعنا عنده، ولم يقل: إلا من سرق، فهي من المعاريض الجميلة[10].

﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ۝٧٩﴾إن أخذنا أحداً غيره[11].

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾[الآية:80] أي: أيسوا من أخذ بنيامين[12]﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ أي: انفردوا عن الناس يتناجون ويتشاورون سراً في أمرهم[13]﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾في العقل، وهو يهوذا، وقيل: شمعون، وقيل: كبيرهم في السن، وهو روبيل[14]:﴿أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم﴾ عهداً أن تردوا بنيامين ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ ﴿مَا﴾هنا زائدة، ومعناه: قد فرطتم في

---

(1) تكررت في (ك).
(2) في النسختين: (أسرها)، ولعل صوابها ما أثبته.
(3) انظر القولين في: الهداية 5/3610، والبحر المحيط 5/330،329.
(4) في (ك): (صغيراً).
(5) سقطت من (م).
(6) في (م): (فإنا).
(7) انظر القولين في: المحرر الوجيز 3/269، والتفسير الكبير 18/148.
(8) انظر: تفسير الطبري 7/268.
(9) في (م): (آخذ).
(10) انظر: تفسير أبي السعود 4/299.
(11) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/124، والكشاف 2/474.
(12) وفي مرجع الضمير في (مِنْهُ) قولان: أحدهما: أنه يوسف، فأيسوا منه أن يجيبهم إلى إرسال أخيهم، الثاني: بنيامين، فأيسوا منه أن يأتي معهم؛ وكلام المؤلف محتمل للقولين، وهو للثاني أقرب. انظر: تفسير الطبري 7/268، والهداية 5/3611، وزاد المسير ص 711.
(13) انظر: معالم التنزيل 2/485، والمحرر الوجيز 3/269.
(14) وظاهر الآية على أنه كبيرهم في السن. انظر هذه الأقوال في: الهداية 5/3612، والبحر المحيط 5/331.

يوسف قبل تفريطكم في بنيامين[1]﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾أي: لا أفارق أرض مصر[2]﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾في الرجوع إليه برسالة يرسلها لي[3]﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾بأخذ أخي بتيسير من عنده، وقيل: معناه: أو يحكم الله بخروجي دون أخي[4].

﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾[الآية:81]وقرئت: سُرِّقَ، على ما لم يسم فاعله مع تشديد الراء، ومعناه: اتهم بالسرقة[5].

﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾أي: ما علمنا ظاهره، وأخبرناك بما رأينا من إخراج الصاع من وعاء بنيامين ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي: ما كنا لنعلم باطن الأمر، فلا ندري: أسرق الصاع أم[6] وضع في وعائه وهو لا يعلم؟[7].

وقيل: معناه: ما شهدنا عند عزيز مصر أن السارق يؤخذ بالسرقة إلا بالعلم الذي نعلمه من شريعتنا، وما كنا عالمين بالغيب؛ فنعرف أن أخانا سرق الصاع[8].

وقيل: معناه: ما عاهدناك[9] أنا نحفظه من الغيب، وإنما التزمنا أن نحفظه مما نقدر على دفعه، فأما السرقة فلم تكن لنا في حساب[10].

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[الآية:82] أي: أهل القرية[11]، يعنون مصر[12]، واسأل أهل العير[13]، أي: القافلة[14]؛ يخبرونك بما جرى، وفي الكلام حذف، وتقديره: فجاءوا إلى

---

1) وقيل: هي مصدرية. انظر القولين في: معاني القرآن للزجاج 3/125،124، والكشاف 2/475، والبحر المحيط 5/331.
(2) انظر: معالم التنزيل 2/486.
(3) انظر: التفسير الكبير 18/150.
(4) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/486، وزاد المسير ص 712.
(5) قراءة شاذة رويت عن ابن عباس وأبي رزين والكسائي، وتوجيهها كما بينه المؤلف. انظر: الهداية 5/3615، والبحر المحيط 5/332.
(6) في (ك): (أو).
(7) انظر هذا القول في معنى الآية في: تفسير الطبري 7/272، والتفسير الكبير 18/151.
(8) انظر: التفسير الكبير 18/151، والجامع لأحكام القرآن 9/208.
(9) في(م): (وقيل معناه ما عهد عاهدناك)، وفي (ك): (وقيل معناه ما عهدناك)، ولعل الصواب ما أثبته.
(10) انظر: الهداية 5/3616، والمحرر الوجيز 3/270.
(11) انظر: تفسير الطبري 7/273، والهداية 5/3616.
(12) انظر: معالم التنزيل 2/486.
(13) في (ك): (يعنون مصر، والعير أي أهل العير).
(14) انظر: تفسير الطبري 7/273، ومعالم التنزيل 2/486.

أبيهم، فقالوا له كما قال كبيرهم، فقال أبوهم: إن ابني لم يسرق، وإنما زينت لكم أنفسكم فيه أمراً، [كما فعلتم بيوسف][1].

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[الآية:83] أي: فشأني صبر جميل من غير شكوى[2] ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني: يوسف وبنيامين وكبيرهم الذي قعد بمصر[3] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحزني عليهم[4] ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٨٣﴾ أي: الحاكم، فيقدر على ردهم إلي[5].

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾[الآية:84] أي: أعرض يعقوب عن أولاده[6] ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ كأنه نادى الحزن، فقال: يا حزني اشتد[7] ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ معناه: عميت عيناه من الحزن[8] ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ ۝٨٤﴾ أي: مكظوم، وهو المكروب المحزون الذي أسكته الحزن، فلم يقدر على الشكوى، وأصل (كظم): أمسك وسكت، وقيل: مكظوم: أي: ممتلئ من الحزن[9].

وروي أن يعقوب وجد على يوسف وجد سبعين ثكلى، وما ساء ظنه بالله قط ساعة من ليل أو نهار[10].

وقيل: إنما كان حزنه عليه خوفاً على دينه[11].

فلما ذكر يعقوب أسفه على يوسف قال أولاده: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ﴾[الآية:85] أي: والله لا تزال تذكر يوسف[12] ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: باليا· [هرماً][13] من شدة الحزن، وقيل:

---

(1) سقطت من (ك). وانظر الإشارة إلى المحذوف وتقديره في: تفسير الطبري 7/273، وزاد المسير ص713.
(2) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/125، والمحرر الوجيز 3/271.
(3) انظر: الكشاف 2/477، وتفسير ابن كثير 2/505.
(4) انظر: تفسير الطبري 7/273.
(5) انظر: التفسير الكبير 18/153.
(6) انظر: البحر المحيط 5/333.
(7) انظر: التفسير الكبير 18/156، وتفسير أبي السعود 4/301.
(8) انظر: معالم التنزيل 2/487، الكشاف 2/478.
(9) وجمع الطبري بين المعنيين، فقال: يعني أنه مملوء منه، ممسك عليه لا يبينه. انظر: تفسير الطبري 7/274، والهداية 5/3617، والتفسير الكبير 18/156.
(10) رواه الطبري في تفسيره 7/281 عن الحسن.
(11) انظر: الهداية 5/3618.
(12) انظر: الكشاف 479، وزاد المسير ص 714.
(13) سقطت من (ك).

الحرض: فساد العقل، وقيل: معناه: حطاما· متكسراً من الهم[1]، وقال أبو عبيدة: الحرض: الذي أذابه الحزن[2].

(أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾) معناه: أو تموت[3].

فقال يعقوب: (إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي)[الآية:86] أي: همي[4]، وسمي الهم ً لأنه يبث الخواطر، أي: يفرقها، فيكدر العيش بكثرتها[5]، وقيل: لأنه يتفرق عن القلب بالشكوى[6]، وقيل: لأنه ينبث[7] -أي: يظهر- وإن كتمه صاحبه[8].

وقوله (وَحُزْنِيٓ) تكرار بغير اللفظ على وجه التأكيد[9].

(وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾) أي: أعلم أنه قادر على تفريج همي، وجمع أولادي علي، فأنا أحسن ظنا· بالله منكم[10]، قال قتادة: ذكر لنا أن يعقوب عليه السلام لم ينـزل به بلاء قط إلا أتاه حسن الظن بالله من وراء البلاء[11].

(يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ)[الآية:87] أي: اطلبوا أخباره، ومعنى (تحسسوا) -بالحاء والجيم-: يطلب الخبر ليعرفه، وقيل: بالحاء: في الخير، وبالجيم: في الشر[12]، وقيل: بالحاء: طلب بنفسه، وبالجيم: طلب بغيره، ومنه الجاسوس[13]،

---

1) انظر هذه الأقوال في معنى (حَرَضًا) في: الكشف والبيان 5/248، والهداية 5/3620،3619، والجامع لأحكام القرآن 9/213،212.
(2) مجاز القرآن ص55.
(3) انظر: تفسير الطبري 7/280.
(4) انظر: تفسير الطبري 7/280.
(5) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 108، وروح المعاني 6/42.
(6) لم أقف على هذا القول، وإن كان قريباً من القول الثالث.
(7) في (ك): (وقيل إنه يبث).
(8) وهذا الذي عليه أكثر المفسرين. انظر: الهداية 5/3620، والبحر المحيط 5/334.
9) وقيل: ليس بتكرار، بل البث: الهم الشديد، وهو التفكير في الشيء المسيء، والحزن: الأسف على فائت، وقد اجتمعا ليعقوب، فهو في هم ليوسف ومصيره وما يعترضه من كرب في غربته، وهو أسِف على فراقه من قبل. انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/214، والتحرير والتنوير 12/110.
(10) انظر: المحرر الوجيز 3/274، وزاد المسير ص 714.
11) رواه الطبري في تفسيره 7/281 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وإسناده حسن كما مضى ص(2).
(12) في (ك): (وفي الجيم بالشر).
(13) انظر الأقوال الثلاثة في الفرق بين التجسس والتحسس في: معالم التنزيل 2/491، والبحر المحيط 5/334، والكليات ص 313.

ومعناه: سافروا واطلبوا[1] يوسف وبنيامين[2] ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ أي: من ترويح الله وفرجه[3].

ثم إن يعقوب كتب معهم ؑ إلى عزيز مصر يشكو إليه فقد أولاده، وكبر سنه، ويعرفه بنفسه وآبائه، ويعظه، فأخذوا الكتاب[4]، ومضوا إلى مصر ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾[الآية:88] أي: الممتنع بسلطانه، الغالب لأقرانه[5]﴿مَسَّنَا﴾ أي: أصابنا وأصاب أهلنا[6] ﴿ٱلضُّرُّ﴾ أي: الجوع والجدب[7]﴿وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ أي: كاسدة قليلة، لا تكفينا أثمانها في شراء الطعام، وأصله من: (زج) بمعنى: دفع، فكأنها لخستها تطرد فلا يشتريها أحد[8].

قيل: كانت بضاعتهم السمن والصوف ونحو ذلك[9].

﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ أي: سامحنا في بيعك الطعام ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ بذلك، ومعناه: رخص علينا، وقيل: معناه: تصدق علينا برد أخينا[10].

ثم دفعوا له كتاب يعقوب، فقرأه[11]، فعند ذلك غلبه البكاء، وعرفهم بنفسه، فقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ بعاقبة مكركم، فما علمتم ما يؤول إليه أمر يوسف وأخيه، وقيل: معناه: وأنتم صبيان[12].

قال ابن إسحاق: كان يخاطبهم من خلف ستر، فكشف الستر، فعرفوه،

---

(1) في (ك): (وطلبوا).
(2) انظر: الهداية 5/3621، والكشاف 2/480.
(3) انظر: تفسير الطبري 7/284، ومعالم التنزيل 2/491.
4) أورد مكي في الهداية 5/3622 خبر هذا الكتاب بأبسط مما ساقه المؤلف، وفي بعض ألفاظه مخالفة لظاهر القرآن، وخبر الكتاب من أصله لا يدل عليه دليل.
(5) انظر: الهداية 5/3624، والتفسير الكبير 18/160.
(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/217.
(7) انظر: معالم التنزيل 2/491، وتفسير ابن كثير 2/506.
8) أطبق المفسرون على أنها من الإزجاء، لا من الزج، والإزجاء هو الدفع، والفعل منه: أزجى يُزجي إزجاء تزجية، ولم أقف على من قال إنها من الزج، ولو كانت كذلك لكان اللفظ: مزجوجة. انظر أصل اللفظة وتفسيرها في: تفسير الطبري 7/285، ومعاني القرآن للزجاج 3/127، والهداية 5/3625، والكشاف 2/480، والبحر المحيط 5/335.
(9) حكاه في معاني القرآن للزجاج 3/127، والكشاف 2/480، والله أعلم بها.
(10) انظر القولين في معنى الآية في: الهداية 5/3627،3626، والتفسير الكبير 18/161.
(11) هذا لو صح خبر الكتاب كما مر قبل قليل.
(12) انظر هذين القولين في: الكشاف 2/481، والجامع لأحكام القرآن 9/217.

فقالوا[1]: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ﴾[2][الآية:90] بالسلامة، وكثرة النعم، وجمع الشمل[3]﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ الله في أمره ونهيه ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾ على أحكام الله فإن الله لا يضيع له أجراً.

فقال الأسباط: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾[الآية:91] أي: فضلك بالعلم والحلم وغير ذلك[4] ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾ أي: وما كنا إلا خاطئين[5]، يقال: خ·ط·ئ، ي·خط·أ، فهو خاطئ: إذا تعمد الخطيئة، وأخطأ، ي·خط·ئ، فهو مخطئ: إذا لم يقصدها[6].

﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ﴾[الآية:92] أي: لا توبيخ مني ولا لوم[7]، وقيل: لا تغيير ولا إفساد لما بيننا من حرمة الأخوة[8]، و﴿عَلَيۡكُمُ﴾ تمام الكلام، وقيل: [التمام][9] ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ وهو أحسن[10] ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ وهبهم ذنبهم، ثم دعا لهم بالمغفرة، ثم بشرهم برحمة الله.

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾[الآية:93] أي: يعود ويرجع مبصراً[11]، وكان القميص عنده من ذخائر آبائه، يقال: هو القميص الذي كساه الله

---

(1) في (ك): (وقالوا).

(2) انظر أثر ابن إسحاق في: تفسير الطبري 7/291.

(3) انظر: زاد المسير ص 717، والتفسير الكبير 18/163.

(4) انظر: الهداية 5/3629، وتفسير ابن كثير 2/507.

(5) سبق بيان معنى هذا الأسلوب والخلاف فيه ص(173).

(6) هذا الاصطلاح الذي ذكره هو المشهور، وفيه خلاف. انظر: الهداية 5/3629، البحر المحيط 5/338 ، والقاموس المحيط (خ ط أ) ص 39، والكليات ص 424.

(7) انظر: المحرر الوجيز 3/278.

8) كذا حكي هذا القول في النسختين: (لا تغيير) بالغين المعجمة، وكذا هو في الهداية 5/3629، وكذا في تفسير الطبري 16/246(ط. دار المعارف) وقد علق عليها محمود شاكر بقوله:«في المطبوعة والمخطوطة (تغيير) بالغين، والصواب ما ثبته بالعين المهملة، وهو صريح اللغة»، كما أنه كذلك ما تظاهرت عليه عبارات المفسرين. انظر : معالم التنزيل 2/494، والمحرر الوجيز 3/278، وزاد المسير ص718. وعليه يكون هذا القول هو القول الأول -عند المؤلف- نفسه.

(9) سقطت من (ك).

10) والقول الأخير هو قول الجمهور. انظر القولين في الوقف في: الهداية 5/3629، والجامع لأحكام القرآن 9/219، ومنار الهدى ص398.

(11) انظر: تفسير الطبري 7/292، وزاد المسير ص718.

لإبراهيم من الجنة حين ألقي في النار[1]، ويقال: بعث القميص إلى يعقوب لأنه علم أن شفاء المحب في وجود آثار المحبوب[2].

﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ﴾أي: جيئوني بهم كلهم مصر.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾[الآية:94] أي: خرجت القافلة من مصر[3]، وفيها الأسباط، وقميص يوسف مع يهوذا، حملت الريح رائحة القميص، فشمها يعقوب من مسيرة ثمانية أيام[4]، فقال لمن بقي عنده من ولده: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾أي: تسفهوا عقلي وتكذبوني[5].

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾[الآية:95] أي: قال الذين عند يعقوب من ولده وغيرهم[6]: والله ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾أي: خطئك القديم في ولعك بحب يوسف[7].

قال السدي: لما قال يوسف: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾قال يهوذا: أنا الذي ذهبت بالقميص الملطخ بالدم إلى يعقوب؛ فأنا أذهب بهذا القميص لأفرحه كما أحزنته[8].

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾[الآية:96] -وهو يهوذا- ألقى القميص على وجه يعقوب، فرجع بصيراً، فقال لأولاده: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾الآية.

قال سفيان[9]: لما أن جاء البشير إلى يعقوب قال له: على أي دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام، قال: الحمد لله، [الآن][10] تمت النعمة[11].

---

(1) في (ك): (حتى). وانظر نحو ما ذكره المؤلف في: الجامع لأحكام القرآن 9/220، ولكن هذا لا دليل عليه.
(2) انظر: التفسير الكبير 18/165.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/495، والبحر المحيط 5/339.
(4) اختلف في بعدهم عنه حين وجد ريح يوسف، وما ذكره المؤلف هو أشهر ما قيل فيه، والله أعلم. انظر: تفسير الطبري 7/294،293، ومعالم التنزيل 2/495.
(5) انظر: الكشاف 2/484، والجامع لأحكام القرآن 9/221.
(6) انظر: تفسير الطبري 7/297، والكشاف 2/484.
(7) في (ك): (في ولوعك بحب يوسف). وانظر التفسير في: زاد المسير ص719، والبحر المحيط 5/340.
(8) رواه الطبري في تفسيره 7/299 عن السدي من رواية أسباط، وقد مضى الكلام على هذا الطريق ص(56).
(9) هو الثوري، فقد أورد ابن الجوزي في زاد المسير ص 719 هذا الأثر من رواية يحيى بن يمان عن سفيان، وهو إنما يروي عن الثوري كما في تهذيب الكمال 32/56.
(10) سقطت من (ك).
(11) أورده مكي في الهداية 5/3633، وزاد المسير ص 719.

ثم دعا للبشير، فقال: هون الله عليك غصص الموت[1].

ثم إن الأسباط اعترفوا بذنبهم عند أبيهم، وسألوه أن يدعو الله لهم بالمغفرة، فقال ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[الآية:97] وعدهم[2] [بالاستغفار][3]، ثم بشرهم[4]، وروي أنه أخر الاستغفار لهم إلى ليلة الجمعة، وقيل: أخره إلى وقت السحر عند فراغه من ورده[5].

ثم إن يعقوب جمع أهله، وسار بهم إلى مصر، فلما وصلوا خرج يوسف للقائهم، وخرج الملك الريان، ورؤساء دولتهم، فتلقاهم يعقوب ماشيا متوكئا على يهوذا[6]، فآوى يوسف إليه أبويه، أي: ضمهما، وسلم عليهما[7] -وهما أبوه وأمه في قول ابن إسحاق واختيار الطبري[8]، وقيل: أبوه وخالته، والخالة كأنها أم في الشفقة[9]- وقال لأهل يعقوب كلهم: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ [إِن شَآءَ ٱللَّهُ][10] ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾ من الجدب والجوع وخوف ما سلف من جناياتهم عليه وغير ذلك[11].

وقوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تأدباً بذكر المشيئة[12].

وروي أن يوسف قال ليعقوب: يا أبت، ما هذا الحزن؟ أما كانت القيامة تجمعنا؟ قال: بلى، ولكن خفت أن تبدل دينك فلا نلتقي[13]، وهذا قبل أن يعلم يعقوب أن يوسف

---

(1) أورده في الهداية 5/3633، ومثل هذا لا يقال بغير دليل.
(2) في (م): (ووعدهم).
(3) سقطت من (م).
(4) يريد: بقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩٨﴾.
(5) والقول الأخير أشهر. انظر القولين في: تفسير الطبري 7/300، وزاد المسير ص719.
(6) انظر: تفسير الطبري 7/301.
(7) يحتمل أن يكون المعنى: ضمهما إليه واعتنقهما، ويحتمل أن يكون: آواهما إليه بالحماية. انظر: الكشاف 2/485، والمحرر الوجيز 3/281، والتفسير الكبير 18/168.
(8) انظر قول ابن إسحاق واختيار الطبري في: تفسير الطبري 7/302.
(9) انظر: معالم التنزيل 2/497، والبحر المحيط 5/341.
(10) سقطت من (م).
(11) انظر: التفسير الكبير 18/168.
(12) فذكر المشيئة هنا للتبرك إذ كانوا قد دخلوا مصر حينها، وقيل: لم يكونوا قد دخلوها، بل تلقاهم يوسف عليه السلام خارج مصر، ثم قال لهم ذلك حين دخولهم إياها، وقيل: الاستثناء هنا للأمن لا للدخول، وقيل ضمن الدخول معنى: أقيموا بها، أو تمكنوا منها. انظر: معالم التنزيل 2/498، وزاد المسير ص 720، والتفسير الكبير 18/168، والبحر المحيط 5/341.
(13) أورده مكي في الهداية 5/3634، 3635، وعزاه السيوطي في الدر المنثور 4/72 إلى أبي الشيخ، وهو عنده من قول الثوري.

نبي معصوم.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الآية:100] أي: على سريره الذي كان يجلس عليه[1] ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ كان السجود عندهم تحية، كالسلام لهذه الأمة، وقيل: السجود هنا: الانحناء على وجه التحية والإكرام[2]، وقال ابن إسحاق: معناه: وخروا لله على الاجتماع[3].

وقال يوسف: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ ﴾ في سجود الشمس والقمر والكواكب.

وكان بين افتراقهم واجتماعهم أربعون سنة في أكثر الروايات[4].

وقال الحسن: ثمانون سنة لم يفارق الحزن فيها قلب يعقوب، ولا فارق الدمع خديه، ولم يكن في الأرض يومئذ عبد أحب إلى الله تعالى من يعقوب، وألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، ومات بعد الاجتماع بثلاث وعشرين سنة[5].

ومات يعقوب بعد الاجتماع بسبع عشرة سنة[6]، وأوصى أن يدفن بالشام عند أبيه إسحاق، فلما مات حمله يوسف مصبراً حتى دفنه عند إسحاق، فإسحاق ويعقوب وأخوه العيص في قبر واحد، عند قبر أبيهم إبراهيم عليهم السلام[7].

وروي أن يعقوب قال يوماً: يا رب، أذهبت ولدي، وأذهبت بصري، [فارحمني][8]، فأوحى الله تعالى إليه: وعزتي لأرحمنك، ولأردن عليك بصرك، ولو كنت أمت ولدك لرددته عليك، إنما ابتليتك بهذه البلية أنك نحرت جزوراً، فوجد جارك رائحة اللحم، فلم تطعمه، فكان يعقوب كلما أصبح أمر منادياً ينادي: من كان مفطراً

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/499، والكشاف 2/485.
(2) انظر القولين في: زاد المسير ص722، والجامع لأحكام القرآن 9/225.
(3) كذا في الهداية 5/3639 منسوباً إلى ابن إسحاق، والمروي عنه في تفسير الطبري 7/303 أنه السجود المعهود، أنها تحية، وقد روي هذا القول الذي ساقه المؤلف عن ابن عباس والحسن. انظر: معالم التنزيل 2/499، والجامع لأحكام القرآن 9/225.
(4) انظر: تفسير الطبري 7/304-306، والدر المنثور 4/71.
(5) هذه الرواية عن الحسن ملفقة من عدة روايات رواها الطبري في تفسيره 7/304، وانظرها منتظمة كما صنع المؤلف في الهداية 5/3640.
(6) وقيل غير ذلك. انظر: تفسير الطبري 7/307، والمحرر الوجيز 3/282.
(7) كذا قيل، والله أعلم. انظر: تفسير الطبري 7/310، ومعالم التنزيل 2/500، والجامع لأحكام القرآن 9/229.
(8) سقطت من (ك).

فليتغد عند آل يعقوب، ومن كان صائما· فليفطر عند آل يعقوب[1].

وروي أن يعقوب وقف يستغفر لأولاده، ويوسف خلفه، وإخوته خلفه، يؤم··نون على الدعاء، فلم ينـزل عليه جبريل عليه السلام لإجابة دعوته إلا بعد عشرين سنة، فنـزل عليه، وأخبره أن الله قد عفا عنهم[2].

وقول يوسف: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ يعني: الرؤيا ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾ أي: أنعم عليّ في إخراجي ﴿مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ ومجيئكم إلى عندي ﴿مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ أي: البادية، وكان مسكنهم وادي كنعان في البادية[3]، وأموالهم الماشية[4]، ويقال: بدا الرجل -بغير همز-: أي: سكن البادية، و﴿ٱلْبَدْوِ﴾ مصدر[5].

﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: استخف وأفسد ما بيننا من حرمة الأخوة[6]﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي: ذو لطف[7]﴿لِّمَا يَشَآءُ﴾ لمن يشاء[8]﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوال خلقه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ في تدبير أمورهم.

ثم إن يوسف عليه السلام لما رأى إكمال النعمة [عليه][9]، وعلم أنه لم يبق له مطلوب من دنياه، سأل الله حسن العاقبة، والسعادة في عقباه، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾[الآية:101] أي: ملكتني شيئا· من الملك، وقيل: ﴿مِن﴾ لبيان الجنس[10]﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: يا فاطر السماوات والأرض[11]﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي﴾ في

---

(1) حكاه في الهداية 5/3643،3642، والمحرر الوجيز 3/283.

2) رواه الطبري في تفسيره 16/281 (ط. دار المعارف) من حديث أنس موقوفا، وفيه صالح المري ويزيد الرقاشي، قال ابن كثير في تفسيره:«هذا الأثر موقوف عن أنس، ويزيد الرقاشي وصالح المري ضعيفان جداً» ، وقال محمود شاكر في تعليقه على تفسير الطبري:«منكر الحديث، قاص، متروك الحديث».

(3) سبق ذكر وادي كنعان ص(217).

(4) انظر ذكر سكناهم البادية ورعيهم الماشية في: تفسير الطبري 7/307، والكشاف 2/486.

(5) انظر: تفسير الطبري 7/307، والجامع لأحكام القرآن 9/228.

(6) سبق التعليق على تفسير النزغ بالاستخفاف ص(241)، وانظر بقية المعنى في: زاد المسير ص 721 ، والتفسير الكبير 18/172.

(7) زاد في (ك): (ورحمة). وانظر المعنى في: تفسير الطبري 7/308.

(8) وقيل: هي على ظاهرها. انظر: معالم التنزيل 2/500، والبحر المحيط 5/343.

(9) سقطت من (ك).

(10) والأقرب ما قدمه المؤلف من أنها للتبعيض. انظر: الكشاف 2/487، والبحر المحيط 5/343.

(11) انظر: تفسير الطبري 7/308، ومعاني القرآن للزجاج 3/130.

الآخرة ﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ صدق الله

[قوله تعالى][1]: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾[الآية:102] أي: حديث يوسف من الأخبار المغيبة عنك يا محمد[2]، أوحينا إليك[3] ليكون دليلا˙ على صدقك؛ فإنك لم تكن ﴿لَدَيۡهِمۡ﴾ أي: عندهم حين ﴿أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾ -أي: رأيهم- على إلقاء يوسف في الجب ومكرهم به[4].

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾[الآية:103] أي: لو اجتهدت في دعوتهم إلى الإيمان[5] ﴿بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ معناه: ما يؤمن إلا من هداه الله؛ فلا تحزن على المكذبين[6].

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾[الآية:104] أي: ما تطلب منهم أجرة على التبليغ؛ فيفروا منك ً من الغرامة[7] ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ﴾ أي: ما وعظك إلا تذكير للناس، لا لحظ نفسك[8].

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٍ﴾[الآية:105] أي: علامة تدل على توحيد الله وقدرته على البعث[9]، وكل ما في السماوات والأرض من شمس˙ وقمر˙ ونجوم˙ وجبال˙ وبحار˙ ونبات˙ آيات˙ دالات˙ على الربوبية، والكافرون يمرون بأبصارهم في المصنوعات، وهم معرضون بقلوبهم عن النظر والاستدلال[10].

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾[الآية: 106] أي: وما يصدق[11] أكثر الناس بوجود الله إلا وهو مشرك يعبد معه سواه، وكل من عبد غير الله فهو مقر بأن الله هو الإله الحق، ثم يجهل، فيعتقد أن هذا الذي يعبده إله مع الله، والمؤمن من صدق بوجود الله،

---

(1) سقطت من (ك).
(2) انظر: تفسير الطبري 7/310، والمحرر الوجيز 3/284.
(3) كذا في النسختين، ولعل صوابها: أوحيناه إليك.
(4) انظر: معالم التنزيل 2/502، وزاد المسير ص721.
(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/130، ومعالم التنزيل 2/502.
(6) انظر: الهداية 5/3646، والجامع لأحكام القرآن 9/231.
(7) انظر: تفسير الطبري 7/311، والمحرر الوجيز 3/284.
(8) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/131،130، والكشاف 2/488.
(9) انظر: تفسير الطبري 7/311، وزاد المسير ص721.
(10) انظر تفسير قوله تعالى ﴿يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾ بنحو ما ذكره المؤلف في: الهداية 5/3647 ، والكشاف 2/488.
(11) في (م): (أي ما يصدق).

ووحدانيته، وتفرده بصفات الكمال، وقدرته على جميع الأفعال، وقيل: معناه: ما يؤمن أكثرهم بلسانه إلا وهو مشرك بقلبه[1].

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ﴾[الآية:107] أي: هل يأمن المشركون أن تأتيهم عقوبة عاجلة في الدنيا، تعمهم وتشملهم؟[2] والغشاء: الغطاء [العام][3]، ومنه سميت القيامة: الغاشية[4].

﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: القيامة، وهم في غفلتهم وشركهم[5].

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾[الآية:108] أي: الشريعة الحنيفية[6] ﴿سَبِيلِيٓ﴾ طريقي[7]، أدعو الناس إلى الله.

وهذا وقف عند أبي حاتم والأخفش ونافع، ثم يبتدئ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[8] أي: على حجة ظاهرة ويقين[9].

وقال غيرهم: الكلام متصل بـ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [أي: هذه سبيلي أنا وسبيل من اتبعني][10] على قول من وصل[11]، وتقديره عند من وقف: أنا على بصيرة، ومن اتبعني فهو على بصيرة[12].

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: وقل: سبحان الله، تنزيها له عن الشرك[13].

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا [يوحى إليهم][14]﴾ [الآية:109] معناه: ما أرسلنا

(1) انظر هذين القولين في تفسير الآية في: زاد المسير ص 722،721، والجامع لأحكام القرآن 9/232.
(2) انظر: تفسير الطبري 7/314، والكشاف 2/488.
(3) سقطت من (ك).
(4) انظر: الهداية 5/3650، ومفردات ألفاظ القرآن ص 607.
(5) انظر: تفسير الطبري 7/314، والبحر المحيط 5/345.
(6) انظر: معالم التنزيل 2/503، والمحرر الوجيز 3/285.
(7) انظر: التفسير الكبير 18/179.
(8) انظر هذا الوقف منسوباً إلى من ذكر المؤلف في: القطع والائتناف ص 275، والهداية 5/3649.
(9) انظر: تفسير الطبري 7/315، والمحرر الوجيز 3/285.
(10) سقطت من (ك). لم أقف على هذا التوجيه لهذا الوقف، والمشهور أن المعنى على هذا الوقف يكون: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ وليس كما ذكره المؤلف من تعلق ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ بقوله تعالى ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾. انظر الوقف والتوجيه الذي ذكرته في: الهداية 5/3649، والدر المصون 6/561، ومنار الهدى ص 400.
(11) في (ك): (ومن وصل).
(12) انظر: الهداية 5/3649، ومنار الهدى ص 400.
(13) انظر: تفسير الطبري 7/315، والتفسير الكبير 18/179.
(14) سقطت من (م).

إلى الناس ملائكة كما طلب الذين قالوا: لم لا أرسل إليه ملك، وإنما أرسلنا إلى الأمم قبلهم رجالا٠ من أهل القرى[1]، أي: ممن يسكن بين أظهركم وتعرفونه[2]، أفلا يسيرون في الأرض فينظرون ديار ثمود وقوم لوط وغيره؛ فيخافون عاقبة تكذيب الرسل[3].

(وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ)أي: الجنة خير من الدنيا التي رضوا بها بدلا٠ من الآخرة[4]، وإضافة (الدار) إلى (ٱلۡأٓخِرَةِ)إضافة الشيء إلى نفسه، كقولهم: مسجد الجامع، فهي إضافة بمعنى الوصف[5].

قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ)[الآية:110]أي: أرسلنا قبلك رسلا٠، فدعوا قومهم إلى الله حتى أيسوا من إيمان قومهم، وقيل: معناه: حتى ظنوا أن الله لا يعذب قومهم في الدنيا[6].

﴿وظنوا أنهم قد ك٠ذ٠٠بوا﴾ بتشديد الذال[7]: أي: ظن الرسل الذين آمنوا أنهم عادوا إلى تكذيبهم، لإبطاء النصر عنهم، هذا قول عائشة، وهو حسن[8].

وقيل: معناه: أيقن[9] الرسل أن الكفار قد كذ٠٠بوهم فيما أخبروهم به من مجيء العذاب، قاله قتادة والحسن[10].

وقيل: معناه: وسوس الشيطان للرسل بتكذيب ما و٠عدوا به من النصر إلا أنهم لم

(1) انظر: معالم التنزيل 2/504، والكشاف 2/489.

2) لم أقف على من استنبط هذا الاستنباط، والمفسرون على أن الله تعالى أرسل الرسل من أهل القرى لأنهم أعلم وأحلم من أهل البوادي. انظر: تفسير الطبري 7/315، والتفسير الكبير 18/180، والبحر المحيط 5/346.

(3) انظر: الهداية 5/3652،3651، والبحر المحيط 5/346.

(4) انظر: زاد المسير ص 722، وتفسير ابن كثير 2/514.

5) هذا مذهب الكوفيين، ومذهب البصريين أنه بتقدير: ولدار الحال الأخرة. انظر: إعراب القرآن للنحاس ص 457، والمحرر الوجيز 3/287، والبحر المحيط 5/346.

(6) انظر هذين القولين في: الكشاف 2/490، وزاد المسير ص722.

(7) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. انظر: النشر 2/222.

(8) أثر عائشة رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ) (4695) 8/466.

(9) في (ك): (أيس).

10) رواه الطبري في تفسيره 7/322 من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن، وفيه أنه هو قول قتادة أيضاً، وقد سبق الكلام على هذا الإسناد وأنه حسن ص(2).

يميلوا إلى وسوسته، ولم يظنوا بالله تعالى ذلك[1].

ومن قرأ بتخفيف الذال فالضمير للكفار، [ومعناه: ظن الكفار][2] أنهم قد أ·خبروا بالكذب[3].

وقيل: معناه: ظنوا أن الرسل ك·ذ·بوا لهم[4]، يقال: كذب، بمعنى: كذب له[5].

وقيل: معناه: ظنوا أن الرسل قد ك·ذب لهم، وتوهموا أن الشيطان هو الذي أخبر الرسل وكذب لهم[6].

وقرئت في الشواذ (ك·ذ·بوا) بفتح الكاف والذال مع التخفيف، ومعناه: ظن الكفار أن الرسل كاذبون.

وقيل: معناه: ظن الرسل أن الكفار كذبوا على الله بكفرهم، أي: أيقنوا بذلك، وغلب على ظنهم أن قومهم لا يؤمنون[7].

ثم بعد الإياس جاءهم النصر ﴿فننجي من نشاء﴾ بنونين، مستقبل· يراد به الماضي، ومعناه: فنجينا من شئنا، وهم المؤمنون، ومن قرأ بنون واحدة فهو فعل ماض، من النجاة، لم يسم فاعله، وسكنت ياؤه للتخفيف، وقيل: هما نونان أدغمت إحداهما [في الأخرى][8].

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ)[الآية:111] أي: في خبر الرسل وأممهم موعظة للعقلاء[9](مَا كَانَ

---

(1) هذا التوجيه لم أجد من ذكره توجيهاً للقراءة بتشديد الذال، ولا يستقيم، وإنما ذكر في توجيه قراءة التخفيف، قد رده بعض العلماء لما فيه من إضافة الشك إلى أنبياء الله. انظر: تفسير الطبري 7/321، 320، والبحر المحيط 5/347.

(2) سقطت من (ك).

(3) انظر: الهداية 5/3653، والبحر المحيط 5/347.

(4) في (ك): (ظن الكفار أن الرسل قد كذب لهم).

(5) هذا التوجيه لم يتضح لي.

(6) انظر: الهداية 5/3653، والبحر المحيط 5/347.

7) رويت هذه القراءة عن ابن عباس ومجاهد والضحاك. انظر القراءة والقولين في توجيهها في: تفسير الطبري 7/323، ومعالم التنزيل 2/506، 505، والبحر المحيط 5/348، 347.

(8) سقطت من (م).

وقد قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (فَنُجِّيَ) بنون واحدة وفتح الياء، وقرأ الباقون ( ) بنونين وجيم مخففة وسكون الياء، قرئ في الشاذ ( ) كقراءة ابن عامر ومن معه إلا أنه قد سكن ياؤها أو على إدغام إحدى النونين في الأخرى. انظر هذه القراءات وتوجيهها بنحو ما ذكره المؤلف في: معاني القرآن للزجاج 3/133، 132، والبحر المحيط 5/348، 347، والنشر 2/222.

(9) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/236، وتفسير ابن كثير 2/516.

حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ) أي: ما هو شيء افتراه محمد [ﷺ][1] (وَلَٰكِن تَصْدِيقَ [ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ][2]) أي: نزل هذا القرآن ً للتوراة والإنجيل[3]، وتفصيل ً لكل شيء[4] تحتاجون إليه في أمر دينكم من الأحكام والأخبار[5]، ونُصب (تَصْدِيقَ) (وَتَفْصِيلَ) عطف على (حَدِيثًا) تقديره: ولكن كان ً وتفصيلا.[6] (وَهُدًى) أي: بيانا. [7] ً (وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾) صدق الله

(1) انظر: تفسير الطبري 7/325، والتفسير الكبير 18/182.
(2) سقطت من (م).
(3) انظر: معالم التنزيل 2/506، والكشاف 2/491.
(4) في (ك): (وتفصيل كل شيء).
(5) انظر: تفسير الطبري 7/325، معالم لتنزيل 2/506.
(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/133، والبحر المحيط 5/349.
(7) انظر: تفسير الطبري 7/325.

سورة الرعد

مكية عند أكثر العلماء[1]، وقال الضحاك: هي مدنية إلا آية واحدة، هي ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ الآية[2].

﴿الٓمٓر﴾[الآية:1]أنا الله أعلم وأرى[3]، ويقال: [أنا][4] الأحد اللطيف الملك الرؤوف[5].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾أي: هذه آيات القرآن المنزّل على محمد [ﷺ]، وقيل: [أي][6] : هي ما أنزل في الكتب المتقدمة[7].

﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ وهو القرآن[8]، و﴿وَٱلَّذِىٓ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلْحَقُّ﴾[9] خبره، وقيل: ﴿وَٱلَّذِىٓ﴾ في موضع خفض، وتقديره: هذه آياتُ الكتبِ المتقدمة وآياتُ الكتابِ الذي أنزل إليك [من ربك][10]، ويقف هنا، ثم يبتدئ: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أي: هو الحق، وعلى القول الأول الوقف على ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾[11].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾[الآية:2] أي: بغير شيء متصل بها من تحتها فيمسكها ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أي: ترون السماوات، وقيل: ترون العمد، ومعناه: بغير تقوية وإمساك بشيء

---

1) وقيل: مدنية، وقيل: مدنية إلا آيتين: قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ والآية التي تليها، وقيل غير ذلك. انظر: الهداية 5/3659، وزاد المسير ص 724، والجامع لأحكام القرآن 9/237، والإتقان 1/36.

2) سورة الرعد، الآية (31). وهذا الأثر لم أقف عليه مروياً عن الضحاك، بل عن قتادة، وقد ذكره مكي في الهداية 5/3659، وابن عطية في المحرر الوجيز 3/290، والسيوطي في الإتقان 1/43 وقد عزاه إلى أبي الشيخ، وعن قتادة أن المكي منها قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ والآية التي تليها. انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/237.

3) روي هذا عن ابن عباس. انظر: معالم التنزيل 2/507، وزاد المسير ص 724. وقد سبق التعليق بذكر اختلاف العلماء وأشهر ما قيل في هذه الحروف المقطعة في أول سورة الأعراف.

(4) سقطت من (ك).

(5) لم أقف على هذا القول.

(6) سقطت من (ك).

7) هذان قولان في تفسير الآية، ورجح ابن كثير الأول. انظر القولين في: المحرر الوجيز 3/290، وتفسير ابن كثير 2/516.

(8) انظر تفسير الطبري 7/327.

(9) في (ك): (والقرآن).

(10) سقطت من (م).

(11) انظر القولين في: تفسير الطبري 7/327، والهداية 5/3662،3661، والبحر المحيط 5/353.

(12) سقطت من (ك).

ترونه، وإنما يمسكها [بقدرته][12] سبحانه من غير واسطة[1]، والعمد: جمع عماد، وهو ما يمسك به البناء ونحوه[2].

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لمنافعكم ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو فناء الدنيا وقيام الساعة[3] ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: يدبر أمور خلقه بحكمته[4] ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: يبين الأدلة[5] ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ أي: بالبعث.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾[الآية:3] أي: بسطها بعد أن كانت مستديرة[6] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالاً ثابتة لئلا تتحرك بكم فتميد[7]، فإنها على الماء[8] ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ وجعل في الأرض أنهاراً من الماء العذب[9] ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ [ٱثْنَيْنِ][10]﴾ أي: نوعين: حلواً وحامضاً[11]، وأبيض وأحمر، وغير ذلك[12]، والزوج في اللغة: الصنف[13] والنوع، ومنه ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾[14]، ومنه: الرجل والمرأة زوجان، لأنهما نوعان: ذكر وأنثى[15].

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾[الآية:4] [أي][16]: قطعة طيبة تصلح للنبات، وقطعة سبخة

---

(1) في مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ قولان: أحدهما: أنه السماوات، والثاني: أنه العمد، والمعنى ظاهر على القول الأول، وعلى القول الثاني يكون المعنى: بعمد لا ترونها، وقيل: أراد بالعمد القدرة، وهذا ما حكاه المؤلف، والأكثرون على القول الأول: أن الضمير يرجع إلى السماوات. انظر: معاني القرآن للزجاج 3/136، والمحرر الوجيز 3/291، والجامع لأحكام القرآن 9/238.

(2) انظر: تفسير الطبري 7/328، ومعالم التنزيل 2/508.

(3) انظر: تفسير الطبري 7/329، وزاد المسير ص 725.

(4) انظر: الكشاف 2/493،492، وزاد المسير ص 724.

(5) انظر: البحر المحيط 5/354، وتفسير ابن كثير 2/518.

(6) معنى ﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: بسطها. انظر: تفسير الطبري 7/330، ومعالم التنزيل 2/509، والظاهر من كلام المؤلف أن الأرض الآية ليست بمستديرة، وذلك لا يلزم من الآية. انظر: التفسير الكبير 19/3، والبحر المحيط 5/355.

(7) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/137، والجامع لأحكام القرآن 9/238.

(8) هذا يحتاج إلى دليل.

(9) انظر: تفسير الطبري 7/330، والبحر المحيط 5/355.

(10) سقطت من (م).

(11) في (ك): (حامضاً وحلواً).

(12) انظر: الكشاف 2/493، وزاد المسير ص 725.

(13) في (ك): (النصف).

(14) سورة يس، الآية (36).

(15) انظر ص (165).

(16) سقطت من (م).

مجاورة لها، قاله ابن عباس وغيره[1]، وقيل: معناه: أن الأرض المتجاورة المتقاربة يزرع فيها أشياء مختلفة، ويغرس فيها النوع الواحد، فيختلف طيبه وطعمه، والأرض واحدة، والماء واحد، فدل على أن لها صانعاً[2] خصص كل شيء منها بوصف سبحانه[3].

ومن رفع ﴿وَزَرْعٌ﴾[4] وما بعدها عطفه على ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ ومن خفض عطفه على ﴿أَعْنَٰبٍ﴾[5].

﴿صِنْوَانٌ﴾ الصنوان: النخلات لها أصل واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ كل نخلة بأصلها[6]، وصنوان: جمع صنو، وكسر الصاد فيه لغة أهل الحجاز، وضمها لغة تميم وقيس، ومثله: قنو، وقنوان، حكى سيبويه فيه ضم القاف[7].

﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ أي: بمياه طعمها متماثل: عذبة كلها، وقيل: هو ماء السماء، فإنه أصل جميع المياه العذبة[8]﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ أي: في المأكول، ومعناه: اختلاف الثمرات، واختلاف الطعوم في النوع الواحد، والأكل -بضم الهمزة-: المأكول، ومنه: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾[9] أي: مأكولها، وبفتح الهمزة: هو مصدر: أكل، يأكل[10].

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾[الآية:5] معناه: إن تتعجب يا محمد من تكذيبهم برسالتك فأعجب من ذلك تكذيبهم للبعث، مع علمهم أن الله هو مبدئ

1) رواه الطبري في تفسيره 7/332 عن ابن عباس من طريق عطية العوفي ومن طريق ابن جريج، وقد مضى كلام على ضعف طريق العوفي ص(142)، كما مضى أن ابن جريج لم يلق ابن عباس ص(301)، وقد رواه الطبري كذلك عن مجاهد من عدة طرق، ورواه أيضاً عن الضحاك.

(2) في النسختين: (صانع)، وهي منصوبة على أنها اسم مؤخر لـ(أنّ).

3) والطبري قد عد القولين قولاً واحداً. انظر: تفسير الطبري 7/331-333، والتفسير الكبير 19/6، والجامع لأحكام القرآن 9/240،239.

(4) في (م): (زرع) دون واو.

5) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾، وقرأ الباقون (وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٍ وغيرِ صنوانٍ)، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 3/4،3، والنشر 2/223.

(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/138، ومعالم التنزيل 2/510.

(7) الكتاب 3/576، وانظر: الكشاف 2/493، والبحر المحيط 5/351.

(8) انظر القولين في الهداية 5/3672، والبحر المحيط 5/357.

(9) سورة الرعد، الآية (35).

(10) انظر: المحرر الوجيز 3/294، والتفسير الكبير 19/8،7.

الخلق[1]، قال[2] قتادة: عجب الرحمن من تكذيبهم[3]، ومثله: ﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾ عند من ضم التاء[4]، ومعنى تعجب الله من الشيء: يبينه لنا أنه عجب، لنتعجب نحن منه[5].

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ) جحدوا توحيده وقدرته (وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْۖ) في جهنم، وقيل: هو كناية عن الخذلان ومنع التوفيق واكتساب السيئات[6].

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ)[الآية: 6] أي: يطلبون منك تعجيل العقوبة (قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ) أي: العافية والنعمة، ومعناه: يطلبون منك أن[7] تسأل الله تعجيل عقوبتهم على وجه الاستهزاء، ولا يطلبون منك أن تسأل الله لهم التوفيق والنعم[8].

(وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ) أي: العقوبات التي مثل الله الكفار بها، وشوه خلقهم، كالمسخ والخسف والرجم[9]، فلا يخافوا[10] من قبل ذلك (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ) أي: على ما هم عليه من ظلمهم لأنفسهم بالمعاصي[11] (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦) لمن مات كافراً، ويقال: هذه أرجى آية في القرآن[12].

---

1) كذا في الجامع لأحكام القرآن 9/242، وفي العبارة تجوز، فإن الآية لفظ التعجب في الآية ليس بأفعل تفضيل، ولذا فإن غالب المفسرين لم يذكروا المفاضلة في التعجب: فقال بعضهم: إن تعجب يا نبينا من تكذيبهم كفرهم وإنكارهم للبعث فعجبك في موضعه، وقيل: إن تعجب من تكذيبهم لك بعد ما صدقوك فاعجب أيضاً من نكارهم للمعاد، وقيل: إن تعجب من اتخاذهم مع الله آلهة أخرى فاعجب كذلك من تكذيبهم بالمعاد. انظر: تفسير الطبري 7/339، والتفسير الكبير 19/8.

(2) في النسختين: (قاله)، والصواب ما أثبته.

3) رواه الطبري في تفسيره 7/339 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وإسناده حسن كما مضى ص(2).

(4) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر: النشر 2/267.

(5) يثبت أهل السنة لله تعالى صفة العجَب على ما يليق بجلاله. انظر: العقيدة الواسطية مع شرحها لابن عثيمين 2/26-28.

6) القول الأول هو الراجح، ولم يذكر الطبري غيره. انظر: تفسير الطبري 7/340، والجامع لأحكام القرآن 9/242، والبحر المحيط 5/359.

(7) في (ك): (أنك).

(8) في (ك): (التوفيق والتوفيق). وانظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: معالم التنزيل 2/512، 511، والتفسير الكبير 19/10.

(9) انظر: الهداية 5/3675، وزاد المسير ص 726.

10) كذا في النسختين، ويمكن توجيهه على أن الفاء -في قوله(فلا يخافوا)- للسببية، كأنه رتب عدم خوفهم على استعجالهم العذاب.

(11) انظر: الكشاف 2/494، وتفسير ابن كثير 2/519.

(12) روي ذلك عن ابن عباس. انظر: الهداية 5/3676، والجامع لأحكام القرآن 9/243.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾[الآية:7] [أي][1]: واعظ محذر، وليس إليك تعجيل العذاب، ولا إظهار الآيات[2]﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧﴾أي: ولكل أمة داع يدعوهم إلى الله: إما رسول، وإما عالم مقتد بالرسل[3].

وقيل: معناه: أنت المنذر، والهادي هو الله، فهو الذي هدى كل قوم اهتدوا وآمنوا، قاله ابن عباس[4].

وقيل: معناه: لكل قوم قائد يقودهم إلى صلاح أو فساد[5]، والأول أظهر.

ثم أخبر الله تعالى أنه يعلم الخفيات، ويعلم ما في بطون الحوامل ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾[الآية:8] أي: ما تنقص، ومعناه: يعلم نقص الحمل وزيادته[6]، قاله قتادة والحسن[7]، وقال مجاهد: نقص الحمل: ولادته قبل تسعة أشهر، وزيادته: إكمال العدة[8]، وقال الحسن: نقصه: السقط، وزيادته: وضعه حيا[9]، وقال عكرمة وابن جبير: نقصه: حيض الحامل، فيكون نقصاً في قوة الولد وحسنه، وزيادته: مكثه بعد التسعة مقدار مدة الحيض، فيجبر النقص[10].

﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨﴾علم قدر كل شيء، وأراده، فيخلقه كما علم وأراد.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾[الآية:9]أي: يعلم ما غاب عنكم ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ما تشاهدونه بأبصاركم.

﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾[الآية:10]لأن الله يعلم السر والجهر، و﴿سَوَآءٞ﴾

---

(1) سقطت من (ك).
(2) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/140، والبحر المحيط 5/360.
(3) انظر: تفسير الطبري 7/344، والمحرر الوجيز 3/297.
4) رواه الطبري في تفسيره 7/342 عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وإسناده ضعيف كما مضى ص(142).
(5) انظر: تفسير الطبري 7/341، ومعالم التنزيل 2/512.
(6) في (ك): (زيادة الحمل ونقصه).
(7) روى الطبري في تفسيره 7/347 ثلاثة آثار، أحدها عن الحسن، ولفظه:«الغيض: ما دون التسعة أشهر» ، وفيه جويبر: ضعيف جداً كما مر ص(342). وأما الأثران الآخران فعن قتادة، ففي أحدهما فسر الغيض بالسقط، وفي الآخر فسر الغيض بما دون التسعة أشهر مطلقاً، وفسر الزيادة في الأثرين بما زاد على تسعة أشهر.
8) رواه الطبري في تفسيره 7/345 عن مجاهد أوسعيد بن جبير (كذا بالشك)، وروى عن مجاهد من طرق متعددة أن الغيض حيض الحامل، والزيادة ما زاد على تسعة أشهر.
(9) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره 7/2227.
(10) رواه عنهما الطبري في تفسيره 7/347،346.

مصدر وضع موضع الاسم، كعدل، ورِضى، فتقديره: ذو سواء، ومعناه: متساوٍ منكم[1] المخفي لكلامه والمظهر[2].

والمستخفي: بعمله[3] بالليل، والسارب: بالنهار، ومعنى السارب: الظاهر، وقيل: هو المختفي في سَرَب، أي: في موضع في بطن الأرض[4].

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾[الآية:11] أي: للإنسان ملائكة تتعاقب[5]، فتأتي ملائكة بعد صعود ملائكة قبلها عنه، وهم الحفظة على العباد من بين أيديهم ومن خلفهم ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾ أي: يحفظون أعماله، ويكتبون الحسنات والسيئات ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾أي: يحفظونه بأمر الله لهم أن يحفظوه، فحفظهم إياه من أمر الله، وقيل: التقدير: عن أمر الله، لا من عند أنفسهم[6].

وروي في الصحيح:«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار، فيجتمعون في صلاة العصر وصلاة الصبح»[7].

وقيل: ملكان بالليل، وملكان بالنهار، لكل إنسان واحد على اليمين يكتب الحسنات، وواحد [على][8] الشمال يكتب السيئات، فهم أربعة يتعاقبون، وقيل: إن كل يوم يأتيه غير الأولين، وقيل: كاتب الحسنات هو الذي يأتي غيره؛ ليكثرُ شهود الحسنات، ويقلّ شهود السيئات، وقيل: كاتب السيئات هو الذي يأتي غيره؛ لئلا يطلع على سائر السيئات[9].

وروي أن صاحب الشمال لا يكتب السيئة حتى يستأذن صاحب اليمين، فيقول له:

---

(1) في (ك): (متساو ومنكم).
(2) انظر: الهداية 5/3687،3686، والجامع لأحكام القرآن 9/247.
(3) في (ك): (يعلمه).
(4) وأكثر المفسرين على أن السارب الظاهر. انظر: معاني القرآن للزجاج 3/142،141، ومعالم التنزيل 2/514.
(5) فالضمير عائد على الإنسان، وقيل: على الله عز وجل. انظر: تفسير الطبري 7/350، ومعاني القرآن للزجاج 3/142.
(6) انظر هذا القول في تفسير الآية والخلاف الذي ذكره في معنى ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ في: التفسير الكبير 19/17،16، والبحر المحيط 5/364،363.
7) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (555) 245، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (632) 2/272.
(8) سقطت من (ك).
(9) وقفت على القول الأول، ولم أقف على بقية الأقوال، وعلى كل فالجزم بقول منها يفتقر إلى الدليل. انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/250.

لا تعجل؛ لعله يستغفر ويتوب، فإن لم يتب قال له: اكتب، أراحنا الله منه، فبئس القرين! ما أقل مراقبته لله عز وجل!، وما أقل حياءه!، وذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[1].

وقيل: معنى ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ يحرسونه من الجن والهوام والآفات بأمر الله[2].

وقيل: هذا توبيخ للجبابرة[3] في اتخاذهم الحرس، وظنهم أن الحراس يحفظونهم من أمر الله، والمعقبات الحرس[4]، والأول أظهر.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعم حتى يغيروا ما أمرهم الله به فيخالفوه، فمعناه: لا يعاقب إلا بذنب، ولو شاء لعاقب من غير ذنب[5]﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ أي: بلاء ﴿فَلَا [مَرَدَّ لَهُ﴾ ولا][6] مصرف لذلك البلاء ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ۝١١﴾ أي: من ناصر يتولى كفايتهم[7].

وقيل: إن هذه الآيات نزلت بسبب عامر بن الطفيل أمير بني عامر، قدم على رسول الله ﷺ في نفر من قومه، وأوصى رجلاً معه يسمى أربد بن قيس أن يغدر برسول الله ﷺ فيقتله، فلما قدموا جعل عامر يقول: يا محمد حاللني[8]، أي: سالمني وصالحني، ويشاغل النبي ﷺ بالكلام ليضربه أربد بن قيس، ومعه سيف مسلول تحت ثيابه، فقال له النبي ﷺ: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له»، فخرجوا وعامر يقول: والله لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً، فقال النبي ﷺ: «اللهم اكفني عامراً بما شئت»، فلما خرجوا قال عامر: يا أربد، أين ما أوصيتك به؟ فقال: يا عامر، والله ما هممت بضربه إلا

---

(1) سورة ق، الآية (18). والخبر قد رواه -مرفوعاً بأبسط من سياق المؤلف- الطبري في تفسيره 16/370 (ط. دار المعارف)، وقد وصفه ابن كثير في تفسيره 2/522 بأنه حديث غريب جداً، ووصفه محمود شاكر في تعليقه على تفسير الطبري بأنه فيه نكارة وضعف شديد.

(2) انظر: معالم التنزيل 2/515، وزاد المسير ص728.

(3) في (ك): (للجبارين).

(4) وهذا اختيار الطبري. انظر: تفسير الطبري 7/352، والكشاف 2/498.

(5) في (ك): (بغير ذنب). وقد سبق التعليق على مذهب الأشاعرة في هذه المسألة. انظر ص(94).

(6) سقطت من (م).

(7) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف (دون حمل الآية على مذهب الأشاعرة في تعذيب العباد بغير ذنب) في: تفسير الطبري 7/357،356، ومعالم التنزيل 2/518.

(8) كذا في (ك)، وفي (م): (حالني)، وفي الهداية 5/3696 (خالني).

صرت بيني وبينه، فلا أرى أحداً غيرك، أفأضربك بالسيف؟ فلما رحلوا ابتلي عامر بالطاعون، ومات في الطريق، ووصل أربد إلى قومه، فقالوا له: ما الذي دعاكم إليه محمد؟ فقال: لا شيء، فخرج بعد يومين على جمل، فوقعت عليه صاعقة، فأحرقته، وفيه نزل: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[1].

وهذا إنما يصح على قول من قال: إنها مدنية[2]، والله أعلم.

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[الآية:12] خوفاً من الصواعق، وطمعاً في المطر، وقيل: خوفاً من الغرق، وطمعاً في الغيث، وقيل: خوفاً للمسافر، وطمعاً للمقيم، وقيل: إن قوماً يخافون من المطر إفساد أموالهم، وقوماً يرجون بها إصلاح أموالهم[3].

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ أي: ويخلق السحاب المثقلة بالمطر[4].

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾[الآية:13] إن كان الرعد ملكاً فتسبيحه تسبيح مقالة، وإن كان صوتاً فمعنى التسبيح الدلالة[5].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: وتسبح الملائكة [﴿مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي][6]: من خوف هيبته وجلاله[7].

والبرق: لمع نار يلمع من خلال السحاب[8].

---

1) رواه الطبري في تفسيره 7/355 عن ابن زيد، ورواه البغوي في معالم التنزيل 2/516 عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقد مضى الكلام على هذا الطريق ص(54)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 7/42: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير... وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف».

(2) سبق في بداية السورة خلاف العلماء: أمكية هي أم مدنية؟.

3) لم أقف على القول الثاني من هذه الأقوال، وانظر بقيتها في: زاد المسير ص 728،729، والبحر المحيط 5/365.

(4) انظر: تفسير الطبري 7/359، ومعاني القرآن للزجاج 3/143.

5) تسبيح الجمادات مختلف فيه، فمن أهل السنة من قال: إنه تسبيح دلالة، والأرجح أنه تسبيح مقالة، فقد جعل الله سبيح كل شيء بحسبه كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (سورة الإسراء، الآية (44))، ولو كان تسبيح دلالة لما قال ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. انظر: رسالة في قنوت الأشياء (كلها في هذا الباب)، والروح ص72، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين 1/361، 360، وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص 98.

(6) سقطت من (م).

(7) انظر: تفسير الطبري 7/360.

(8) انظر: زاد المسير ص46.

وقال علي رضي الله عنه: البرق: مخاريق[1] من حديد بأيدي الملائكة، تضرب بها[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: البرق: ملك يتراءى[3].

وقال مجاهد: هو لمع أجنحة الملائكة[4].

والرعد: صوت ريح يخرج من اختناق السحاب، قاله ابن عباس[5].

وقال [علي][6] وغيره: الرعد ملك، وهذا الصوت تسبيحه[7].

وقيل: هو ملك أخرس[8]، وقيل: هو الملك الذي يسوق السحاب، والصاعقة تخرج من فم هذا الملك[9]، وقيل: تخرج من احتكاك السحاب نار على هيئة الحديد المحمى، فلا تأتي على شيء إلا أحرقته[10].

(وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ) أي: الكفار، ينكرون التوحيد، ويجادلون بشبه باطلة[11](وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾) أي: قادر على المكر، وهو أخذ العبد على غفلة، وقيل: معناه: شديد القوة[12].

---

1) المخراق في الأصل: ثوب يلف فيضرب به، يلعب به الصبيان. انظر: زاد المسير ص 46، والنهاية في غريب الحديث ص261، والمعجم الوسيط ص 230.

2) رواه الطبري في تفسيره 1/343، 342 (ط. دار المعارف)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه عليه:«ربيعة بن لأبيض الذي روى عن علي لم أجد له ترجمة إلا في كتاب الثقات لابن حبان قال: ربيعة بن الأبيض: يروي عن علي بن أبي طالب، روى عنه ابن أشوع».

(3) رواه الطبري في تفسيره 1/188 من رواية ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس.

(4) رواه الطبري في تفسيره 1/187.

5) رواه الطبري في تفسيره 1/341 (ط. دار المعارف)، وهذه الرواية اشتهرت نسبتها إلى ابن عباس، وفي سبتها إليه نظر، من وجهين: أولهما: أن الطبري قد رواها من طريقين، وفي كليهما مقال (انظر تعليق الشيخ أحمد ناكر على تفسير الطبري)، والثاني: أن الأثر -على فرض ثبوته- ليس فيه أن ابن عباس قال به، إنما كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن الرعد فأجابه بأنه ريح، فالقول قول أبي الجلد، وليس قول ابن عباس، أما هل قال به ابن عباس أم لا؟ فلا أظن الأثر يلزم منه أنه قد قال به.

(6) سقطت من (ك).

7) رواه الطبري في تفسيره 1/184-186 عن علي وابن عباس رضي الله عنهما، وعن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم.

(8) لم أقف عليه.

(9) انظر: الكشف والبيان 1/163، والهداية 5/3700.

(10) انظر: زاد المسير ص46.

(11) انظر: الكشاف 2/499، والتفسير الكبير 19/23، 22.

12) مذهب أهل السنة إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من المحال على ما يليق بجلاله دون تحريف أو تأويل أو تكييف أو تعطيل. انظر: تفسير الطبري 7/362، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين 1/332، 331.

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾[الآية:14] شهادة أن لا إله إلا الله، فمعناه: أنه مستحق للتوحيد والعبادة[1] ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: الأصنام التي يعبدونها من دون الله[2] ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ أي: لا تجيب الأصنام من يسألها شيئاً؛ فإنها لا تعقل، ولا تقدر على شيء[3] ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾ أي: كعطشان مد يده إلى الماء، وجعل يدعوه من قعر البئر[4] ﴿لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ ليرتفع إلى فمه [﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ أي][5]: فلا يبلغ الماء فمه أبداً [﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ أي][6]: وكذلك دعاء الكافر للصنم، يذهب باطلاً ضالاً، وهذا من أمثال العرب فيمن قصد ما لا يبلغه[7].

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[الآية:15] يسجد المؤمن طوعاً، ويسجد المنافق كرهاً خوفاً من السيف، وقيل: الساجد كرهاً: من دخل في الإسلام بالسيف في الابتداء، وقيل: الساجد طوعاً: من وجد حلاوة العبادة، والساجد كرهاً: من يكره نفسه عليها، ويصبر عليها لله، وقيل: السجود هنا: الخضوع، فالمؤمنون يخضعون طوعاً، وغيرهم يخضع من حيث الافتقار والالتجاء في أوقات الاضطرار[8].

﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ أي: وتسجد ظلالهم، قال ابن عباس: هو حين يفيء ظل أحدهم عن يمينه وشماله[9]، وسجود الظل وتسبيح الجمادات إنما هو من حيث الدلالة على الله[10].

قال أبو العالية: ما في السماء من شمس ولا قمر ولا نجم إلا ويسجد لله حين

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/363، والمحرر الوجيز 3/305.
(2) انظر: البحر المحيط 5/368.
(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/256.
(4) انظر: تفسير الطبري 7/365،364، ومعاني القرآن للزجاج 3/144.
(5) سقطت من (م).
(6) سقطت من (م).
(7) انظر: الهداية 5/3710.
(8) انظر هذه الأقوال في: معاني القرآن للزجاج 3/144، والهداية 5/3711،3710، وزاد المسير ص 731، والجامع لأحكام القرآن 9/257.
(9) رواه الطبري في تفسيره 7/367 عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وقد مر ضعف هذا الطريق ص(142).
(10) قد مضى قبل قليل الخلاف في تسبيح الجمادات، ومثله سجود الظلال ونحوها، والراجح أنه سجود بحسبها، ولا يلزم أن يكون السجود كسجود المسلمين على سبعة أعظم. انظر: رسالة في قنوت الأشياء.

يغيب، ولا ينصرف حتى يؤذن له[1].

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾[الآية: 16] كان المشركون يقرون بأن الله هو الله الإله المدبر للعالم، ثم يشركون، فمعنى الآية: سلهم: من الإله الحق؟ فإذا قالوا: هو الله، فقل: الله هو المعبود الحق ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ وهي الأصنام ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي[2]: هل يتساوى الكافر والمؤمن؟ ﴿أَمْ [هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ أي][3]: هل تتساوى ظلمات الكفر ونور الإيمان؟ هل خلقت أصنامكم شيئا· مثل الأشياء التي خلقها الله فاشتبه عليكم ما خلقه الله[4] وما خلقته أصنامكم فجعلتموهم شركاء؟ قل: [هو][5] الله خالق كل شيء، وأصنامكم لم تخلق شيئا·، وهم كانوا[6] يقرون بذلك، وإنما أنكروا البعث وجحدوا التوحيد[7].

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[الآية:17] أي: ماء المطر ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ فسالت الأودية بالماء على قدر كبرها وصغرها[8]﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ﴾ سيل الماء ﴿زَبَدًا [رَّابِيًا]﴾[9] أي: رغوة تربو، أي: تعلو فوق الماء[10]، فأذهب الله الزبد، وأبقى الماء لمنافع الناس، ففي هذا دليل على القدرة وتعريف بالنعمة.

﴿ومما توقدون عليه في النار﴾ أي: تسبكونه بالنار من ذهب وفضة[11]، يسبك ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ أي: يعمل منها حلي يلبسه الناس، أو حديد، ونحاس، ورصاص، يسبك ليعمل منه متاع، أي: آنية تستعمل[12]، ومعناه: ومن هذه الأشياء حين تسبك يخرج زبد

---

(1) رواه الطبري في تفسيره 9/122.
(2) في (م): (أم).
(3) سقطت من (م).
(4) في (ك): (ما خلق الله).
(5) سقطت من (ك).
(6) في (ك): (لم تخلق شيئاً وقيل كانوا).
(7) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 7/367، ولجامع لأحكام القرآن 9/258.
(8) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/145، وزاد المسير ص 732.
(9) سقطت من (م).
(10) انظر: معالم التنزيل 2/522.
(11) انظر: تفسير الطبري 7/369، والتفسير الكبير 19/30.
(12) انظر: معالم التنزيل 2/522.

مثله، أي: مثل زبد الماء[1]، فيذهبه الله ﴿جُفَآءً﴾ أي: غثاء، وهو ما يتفرق ويتلاشى[2]، يقال: انجفأت القدر: إذا رمت زبدها[3].

ويقال: إن هذا مثل ضربه الله تعالى، فالماء مثل القرآن، أنزله من السماء، والأودية مثل القلوب، أسكن الله فيها من الإيمان وبركات القرآن بقدر ما أراد الله لها، فالوادي المنخفض كقلب المؤمن المتواضع، إذا سمع القرآن طهر من آفاته، وتحلى بأوصاف الخير وسماته، والمواضع المرتفعة الصلبة لا ينفعها المطر، كقلب الكافر والمتكبر[4]، والزبد مثل الوساوس العارضة، والغفلات والهفوات، فإن الله يزيلها عن المؤمن بفضله، ويبقي في قلبه[5] ما ينفع من الإيمان والمعرفة، كبقاء ما خلص من الماء والذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص[6].

وقد يقال: قد يعلو أهل الباطل على أهل الحق كعلو الزبد، ثم يمحقه الله، ويقوي دولة الحق على جولة الباطل[7].

ويدل على هذا كله قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ [أي: مثل الحق][8] ومثل الباطل[9].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ هذا وقف حسن[10].

---

(1) انظر: الهداية 5/3718، والتفسير الكبير 19/30.
(2) انظر: معالم التنزيل 2/523، وزاد المسير ص 732.
3) لم أجد من ذكر (انجفأت القدرُ) من المفسرين ولا اللغويين، بل ذكروا: جفأت القدرُ، وأجفأتْ القدرُ، كلاهما المعنى الذي ذكره المؤلف، وتقول: جفأتُ القدرَ، أي: كفأتها أو أملتها، وعليه يترتب أن يكون معنى (انجفأت القدرُ) بمعنى: انكفأت. انظر: الهداية 5/3718، ومعالم التنزيل 2/523، والقاموس المحيط (ج ف أ) ص 36.
(4) في (ك): (والمواضع المرتفعة الصلبة كقلب الكافر لا ينفعها المطر كقلب الكافر والمتكبر).
(5) في (ك): (ويبقى ما في قلبه).
6) أكثر المفسرين على هذا المعنى الذي ذكره المؤلف إلا أنهم لم يصرحوا -فيما وقفت عليه- بتشبيه الوهاد بقلوب المؤمنين لتواضعها، وتشبيه النشز بقلوب الكافرين لتكبرها، وإنما قالوا: الأودية تختلف كبراً وصغراً، تحمل من الماء قدرها، وكذا القلوب تختلف، وتقبل من الحق قدرها، ثم أكثر من ذكر هذا المثل جعل المراد بشبيه الزبد هو الباطل مطلقاً، فيوم القيامة يذهب الباطل، كما يذهب الزبد من على السيل. انظر: تفسير الطبري 7/369-372، والهداية 5/3719، وزاد المسير ص 732، والجامع لأحكام القرآن 9/260.
(7) انظر: الهداية 5/3719،3718، وزاد المسير ص 732.
(8) تكررت في (ك).
(9) انظر: زاد المسير ص732.
(10) في (م): (وهذا وقف حسن). وانظر: الجامع لأحكام القرآن 9/260، ومنار الهدى ص 407.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الآية:18] أي: للذين آمنوا الجنة[1]﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ وهم الكفار ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ [جَمِيعٗا]﴾[2] ﴿لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: أشده وأصعبه، وهو مناقشة الحساب، قاله ابن عباس[3].

وفي الحديث: «من نوقش الحساب عذب»[4].

قال النخعي: ﴿سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ أن يحاسب بذنبه، ثم لا يغفر له[5].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾[الآية:19] معناه: أيكون المؤمن الذي يعلم أن القرآن حق كالكافر الذي قلبه أعمى؟ إنما يتعظ ذوو العقول[6].

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾[الآية:20] الذين عاهدهم حين قال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[7] وقيل: العهد الذي عهده إليهم على ألسنة الرسل في الكتب المنزّلة، وهو الميثاق المذكور أيضا. وقيل: العهد: ما في الكتب، والميثاق: عهد ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾[8].

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[الآية:21] قيل: يصلون الأرحام كما أمر الله بصلتها، وقيل: معناه: يؤمنون بجميع الرسل[9].

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾[الآية:22] أي: صبروا على طاعة الله وأحكامه ابتغاء مرضاته[10]﴿وَأَنفَقُواْ﴾ أدوا الزكاة، قاله ابن عباس[11]، ومن قال: إنها مكية فالمراد بها

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/373.
(2) سقطت من (م).
(3) ذكره في الهداية 5/3721، وزاد المسير ص732.
4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب من نوقش الحساب عذب (6536) 11/486، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها (2876) 6/328.
(5) رواه الطبري في تفسيره 7/373.
(6) انظر: البحر المحيط 5/371، وتفسير ابن كثير 2/528.
(7) سورة الأعراف، الآية (172).
(8) انظر هذه الأقوال في المراد بعهد الله والمراد بالميثاق في: معالم التنزيل 2/524، وزاد المسير ص 733، والتفسير الكبير 19/32،33.
9) وقيل: المراد كل ما أمر الله به في كتابه وعلى لسان نبيه . انظر هذا القول والقولين اللذين نكرهما المؤلف في: معالم التنزيل 2/524، والبحر المحيط 5/376.
(10) انظر: تفسير الطبري 7/375، معالم التنزيل 2/526، وتفسير ابن كثير 2/528
11) رواه الطبري في تفسيره 7/375 من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).

الصدقات؛ فإن الزكاة إنما فرضت بالمدينة[1].

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون إساءة من يؤذيهم بإحسانهم إليه، وقيل: يدفعون المعصية إذا هموا بها بالخشية والمراقبة[2].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ أي: الدار العقبى، ثم فسرها فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ وقيل: سميت الجنة عقبى لأنها عقيب صبرهم في الدنيا، وقيل: لأنها بدل من الدنيا ولذاتها، وقيل: الدار هنا الدنيا، فتقديره: لهم عاقبة دنياهم جنات، وقيل: الدار: جهنم، وتقديره: لهم بدل جهنم جنات إقامة[3] ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ويدخلها ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ أي: من كان مؤمنا.[4].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ٢٣﴾ يزورونهم ويقولون لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ هذا جزاؤكم بصبركم، وقيل: معناه: يقولون: إن الله سلمكم بصبركم[5].

ثم ذكر في الكفار عكس ذلك في الأعمال والجزاء.

ويقال: إن هذه الآيات من قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ إلى آخر ذكر [جزاء][6] الكفار نزلت بسبب كلام وقع بين حمزة وأبي جهل[7].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ أي: لهم ما يسوؤهم في [الدار][8] الآخرة، وهو عذاب جهنم[9].

---

1) والأرجح أن الآية عامة في النفقات، وأول ما تتجه له: النفقات الواجبة مما افترضه الله على العبد كالنفقة على الأهل والقرابة والزكاة. انظر: تفسير الطبري 7/375 وتفسير ابن كثير 2/528.

(2) انظر هذين القولين في: الهداية 5/3726، 3725، والبحر المحيط 5/377.

(3) القول الثاني والثالث والرابع متقاربة، يجمعها أن المراد بلفظة الدار: الدنيا. انظر: تفسير الطبري 7/376، والتفسير الكبير 19/35، والجامع لأحكام القرآن 9/264، والبحر المحيط 5/377.

وانظر تفسير (عَدْنٍ) بإقامة في: تفسير الطبري 7/376.

(4) انظر: تفسير الطبري 7/376، والمحرر الوجيز 3/310.

5) فقول الملائكة (سَلَٰمٌ عَلَيْكُم) إما تحية، أو خبر بسلامتهم من الآفات، وقيل: هو خبر بمعنى الدعاء لهم بسلامتهم. انظر: الهداية 5/3728، وزاد المسير ص 733، والجامع لأحكام القرآن 9/265.

(6) سقطت من (ك).

7) ذكره مكي في الهداية 5/3727، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن 9/261 كلاهما بصيغة التمريض، ولم أقف عليه مسنداً.

(8) سقطت من (ك).

(9) في (م): (ولهم عذاب جهنم). وانظر المعنى في: تفسير الطبري 7/378، والكشاف 2/507.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾[الآية: 26]أي: يضيقه على من يشاء[1]، مثل قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾[2] أي: فظن ذو النون أن الله لا يضيق عليه، ومثله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾[3]، ومنه: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾[4].

﴿وَفَرِحُواْ﴾[5] أي: فرح الكفار بالدنيا، ورضوا بها ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾ يمتعون به إلى أجل[6].

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: ويفسدون في الأرض[7]،﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾ أولئك لهم اللعنة[8].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ [مِّن رَّبِّهِۦ][9]﴾ [الآية:27]أي: لم لا[10] أعطي آية عظيمة تقهر العقول وتضطرها إلى الإيمان، كنزول ملك من السماء يراه الناس عياناً وهو يخاطبه، ونحو ذلك[11].

فأخبر الله تعالى أنه لو شاء إيمانهم لوفقهم وهداهم من غير ظهور آية، فقال: ﴿[قُلۡ][12] إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يخلق في قلبه الكفر[13]﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧﴾ أي: رجع إليه وتاب من الكفر والمعاصي[14]، والضمير في ﴿إِلَيۡهِ﴾ أي: إلى الله، وقيل: إلى الحق، وقيل: إلى محمد ﷺ[15].

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/528، وزاد المسير ص733.
(2) سورة الأنبياء، الآية (87).
(3) سورة الطلاق، الآية (7).
(4) سورة الفجر، الآية (16). وانظر تفسيرَ (القدر) بالتضييق، وأمثلة عليه في: مفردات ألفاظ القرآن ص 659.
(5) في (م): (فرحوا) دون واو.
(6) انظر: البحر المحيط 5/379.
(7) في (م): (ويصدون في الأرض).
(8) وهذا قول مكي، واستبعده أبو حيان. انظر: الهداية 5/3731، والبحر المحيط 5/379.
(9) سقطت من (م).
(10) في (ك): (لولا).
(11) تقييد الآية التي طلبوها بأنها قاهرة تضطرهم إلى الإيمان قال به قلة من المفسرين، والأكثرون على إطلاقها. انظر: تفسير الطبري 7/379، والتفسير الكبير 19/39، والبحر المحيط 5/379.
(12) سقطت من (م).
(13) انظر: مجموع الفتاوى 14/187-190.
(14) انظر: تفسير الطبري 7/379، ومعاني القرآن للزجاج 3/147.
(15) انظر هذه الأقوال في: الهداية 5/3732، والبحر المحيط 5/380.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي: تسكن خواطرهم، وتصدق، وتستأنس، فلا تضطرب بشك ولا نفرة[1]﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾أي: قلوب المؤمنين.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾[الآية:29] أي: حسنى، وقيل: أي: قرة عين[2]، وقيل: ﴿طُوبَىٰ ﴾ اسم الجنة بالحبشية[3].

وقيل اسم شجرة في الجنة، وروي عن رسول الله ﷺ: أن شجرة طوبى في الجنة مسيرة مائة سنة تنبت الحلي والحلل، وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة[4].

قال أبو أمامة: ليس في الجنة دار إلا وفيها غصن منها، ولا طائر حسن إلا وهو فيها، ولا ثمرة إلا هي فيها[5].

وقيل: ﴿طُوبَىٰ ﴾ أصلها: (طُيبى) من الطيب، على وزن فُعلى، بضم الفاء، فلذلك قلبت الياء واواً، وإنما ضم فاؤها لأنها اسم، والاسم خفيف، فاحتمل ثقل الضم، وعكسه (ضيزى)، فإن أصلها: (ضِوزى)، إلا أنها صفة، والصفة ثقيلة، فلم تحتمل ثقل الضم، فقلبت إلى (فِعلى) بكسر الفاء، وانقلبت واوها ياءً[6].

﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾أي: [حسن][7] مرجع، لأن مرجعهم إلى الجنة[8].

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾[الآية:30] أي: كما أرسلنا قبلك رسلاً كذلك أرسلناك إلى أمة[9]﴿قَدْ خَلَتْ ﴾أي: قد مضت من قبلها أمم على ما هم عليه من الكفر[10]﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾أي: القرآن، فيه قصص الأمم الذين من قبلهم فيكون دليلاً على صدقك.

---

(1) في (ك): (ولا بقوة)، وانظر التفسير في: انظر: تفسير الطبري 7/380، ومعالم التنزيل 2/529.
(2) في (ك): (قرة أعين).
(3) انظر: الهداية 5/3734، وزاد المسير ص 734.
(4) كلمتا (من وراء) غير واضحتين في التصوير في (م)، وجاء في (ك): (أسوار) مكان كلمة (سور). الحديث رواه الطبري في تفسيره 16/443 (ط. دار المعارف)، وقال الألباني: موضوع. السلسلة الضعيفة (3830)، وقد بين محمود شاكر ضعف رجال سنداه في تعليقه على تفسر الطبري.
(5) أورده مكي في الهداية 5/3736، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن 9/269.
(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/148،ومعاني القرآن للنحاس 3/494، والهداية 5/3737،3736، و
(7) سقطت من (ك).
(8) انظر: الهداية 5/3736.
(9) انظر: الكشاف 2/508، والبحر المحيط 5/381.
(10) انظر: تفسير الطبري 7/385، ومعالم التنزيل 2/531.

ففي قوله[1]:﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ فائدتان: إحداهما: دليل التصديق بقصص الماضين، والثانية: تعريف هؤلاء بـمنة الله[2] عليهم في بعث الرسول في وقت فترة وحاجة واندراس شريعة[3].

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ أي: يجحدون وحدانيته، ويقال: إنهم أنكروا الاسم، فقالوا: ما نعرف الرحمن، إنما نعرف الله[4].

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ أي: إليه مرجعي ومصيري بعد الموت[5].

ثم أخبر الله تعالى أن هؤلاء المشركين لو عاينوا آيات ظاهرة لم يؤمنوا؛ لأن الله أضلهم وكانوا قد قالوا: لا نؤمن بك[6] حتى تسير جبال تهامة حتى نزرع أماكنها، أو تقطع أرض مكة حتى تصير معتدلة تُحرث وتُزرع، أو تحيي لنا فلاناً، فهو قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾[7][الآية:31].

وجواب ﴿وَلَوْ﴾ محذوف، تقديره: ما آمنوا[8]﴿بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ فلا يؤمن إلا من هداه الله، وقال الفراء: جواب لو قبلها، وهو قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾، وتقديره: وهم يكفرون ولو نزل عليك قرآن تسير به الجبال[9].

---

(1) في (ك): (وقوله).
(2) في (ك): (منة الله).
(3) هاتان فائدتان من فوائد ذكر قصص الأمم الماضية. انظر: التسهيل 1/9.
4) القول الثاني إشارة إلى ما ورد في قصة الحديبية حين أبى المشركون أن يكتب في الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم»، وأنكروا اسم «الرحمن». والقصة قد رواها البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (2732،2731) 5/403-408، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير (1784) 4/474،473.
وانظر القولين في معنى الآية في: المحرر الوجيز 3/312، والتفسير الكبير 19/42،41.
(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/271، والبحر المحيط 5/381.
(6) في (ك): (قالوا لن نؤمن بك).
(7) روي نحوه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد والثوري. انظر: تفسير الطبري 7/387،386، وتفسير ابن كثير 2/534.
8) وقيل: التقدير: لو أن قرآناً تُسيّر به الجبال عن مقارها، أو تقطع به الأرض، أو تكلم به الموتى لكان هذا القرآن. انظر: تفسير الطبري 7/389، ومعالم التنزيل 2/533، والبحر المحيط 5/382،381.
(9) جوّز الفراء هذا القول الذي نسبه إليه المؤلف، وجوّز أيضاً أن يكون محذوفاً. انظر: معاني القرآن 2/63.

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ من إيمان الكفار؛ لأن الله لو شاء لهدى الناس جميعاً[1].

يقال: إن الكفار لما طلبوا هذه الآيات طمع المسلمون أن الله يظهر الإيمان فيؤمنوا، فأخبرهم الله أنهم لا يؤمنون[2].

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ أي: بكفرهم داهية ومصيبة تقرعهم، وقيل: سرية من السرايا تقتلهم[3] ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ [أي: تنزل القارعة][4] ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [من ديارهم][5] من منازلهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ أي: القيامة، وقيل: نصر النبي ﷺ عليهم يوم فتح مكة[6].

ففيه إخبار أنهم لا يزالون في مصائب وعقوبات حتى تذهب دولة الكفر بالكلية عن أرض الحجاز، ويملكها المؤمنون[7].

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[الآية:32] أي: أمهلتهم حتى انقضت آجالهم[8] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ [كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ أي: فكيف][9] رأيتم عقابي لهم؟ كذلك أفعل بمن كذبك [يا محمد][10].

[قوله تعالى][11]: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾[الآية:33] أي: حافظ عالم بكل عامل، قادر على مجازاته، وهو الله عز وجل[12]، وجواب الكلام محذوف، وتقديره: أعبادة[13] من يعلم ويجازي كعبادة صنم لا يعلم ولا يقدر؟[14].

---

1) والمشهور الراجح أن المعنى: أفلم يعلم ويتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً. نظر: تفسير الطبري 7/387-389، ومعالم التنزيل 2/533، وزاد المسير ص735.

(2) انظر: الهداية 5/3741.

(3) انظر: القولين في: الكشاف 2/510، والجامع لأحكام القرآن 9/273.

4) سقطت من (ك). وقيل في الآية: أو تنزل أنت يا محمد قريباً من دارهم، إشارة إلى يوم الحديبية. انظر القولين في: تفسير الطبري 7/389، والكشاف 2/510.

(5) سقطت من (م).

(6) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/534، والبحر المحيط 5/384.

(7) هذا على القول بأن المراد بوعد الله فتح مكة. انظر: التفسير الكبير 19/44.

(8) انظر: تفسير الطبري 7/392، والجامع لأحكام القرآن 9/273.

(9) سقطت من (م).

(10) سقطت من (م). ففي الآية وعيد للكافرين الذين عاندوا النبي . انظر: المحرر الوجيز 3/314.

(11) سقطت من (ك).

(12) انظر: تفسير الطبري 7/392، والكشاف 2/511.

(13) في النسختين: (بعبادة)، ولكن دون نقط للباء الأولى، ولعل صوابها ما أثبته.

(14) انظر: المحرر الوجيز 3/314، والتفسير الكبير 19/45.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أي: اعتقدوا أن الأصنام شركاء لله[1].

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: هل يقدر أحد أن يسمي الصنم: (الله)؟ ولم يتجاسر أحد قط أن يسمي مخلوقاً: (الله)، وهو قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾[2]، وإنما كانوا يختلسون أحرفاً من أسماء الله، فأخذوا اللات من اسم (الله)، ومناة من (المنان)، والعزى من (العزيز).

وفي قوله: ﴿سَمُّوهُمْ﴾ دليل ظاهر لأن الإله موصوف بالقدرة والعلم وصفات الكمال، وهم يعلمون أن الصنم لا يسمى حيا· ولا عالما· ولا قادراً، فكيف يعبد من هو كذلك؟[3].

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معناه: أتخبرون الله أن له في الأرض شركاء، وهو يعلم أنه لا شريك له؟ فكأنكم تقولون: إنكم تعلمون ما لا يعلمه الله، تعالى الله عن ذلك[4].

﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ معناه: أم بالقول الظاهر تجعلونهم آلهة، وأنتم تعلمون بقلوبكم أنها ليست بآلهة؟[5].

ثم أخبر الله أنهم لا يعتقدون أنهم أعلم من الله، ولا يعبدون الأصنام بالظواهر دون القلوب[6]، وإنما ز·ي··ن لهم مكر·هم -أي: كفرهم- فاستحسنوه، لأن الله أضلهم[7].

﴿وص·دوا﴾ بفتح الصاد: أي: أعرضوا عن سبيل الأيمان، وقيل: صدوا غيرهم

---

(1) الجامع لأحكام القرآن9/274،وتفسير ابن كثير 2/535.
(2) سورة مريم، الآية (65).
3) اختلفت عبارات المفسرين في بيان معنى قوله تعالى ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾، فقيل: سموهم آلهة، وبهذا القول يشعر كلام المؤلف في بداية كلامه على المعنى، وقيل: صفوهم بأوصافهم، ثم انظروا أوصفها يؤهلها لأن تعبد؟ وبهذا القول يشعر آخر كلامه، والقولان متقاربان، وهما أشهر ما قيل في الآية وأرجحه. انظر: تفسير الطبري 7/393 ، معالم التنزيل 2/534، وزاد المسير ص 736، والجامع لأحكام القرآن 9/274، والبحر المحيط 5/385.
(4) انظر: التفسير الكبير 19/45، وتفسير ابن كثير 2/535.
(5) انظر: تفسير الطبري 7/394، ومعالم التنزيل 2/534.
(6) في (ك): (بالظواهر من القلوب).
(7) انظر: الهداية 5/3745، والجامع لأحكام القرآن 9/275،274.

عن اتباع محمد ﷺ، وبضم الصاد: أي: صدهم الله وصرفهم[1]، ومثله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ صدق الله

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الآية:34]وهو القتل بالسيف يوم بدر، والأسر، والمصائب[3] ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أي: أشد مشقة[4]﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ يقيهم[5]، أي: يحميهم من عذاب الله[6].

[قوله تعالى][7]: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾[الآية:35] أي: صفة الجنة التي وعد المتقون[8]:﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ أي: مأكولها وثمارها على الدوام، وظلها كذلك، وليست كالدنيا في كون الثمار وغيرها لها فصول معروفة، وأوقات معلومة، كالعنب والتين في الصيف، والرمان في الخريف، ونحوه، وكذلك ظل الدنيا: في وقت دون وقت، وموضع دون موضع، والجنة لا حر فيها ولا شمس[9].

﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ أي: الجنة عاقبتهم[10].

وقيل[11]: إن هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الآيات[12]، فوصفها في هذه الآية[13].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾[الآية:36] أي: أهل التوراة والإنجيل ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾

---

1) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بضم الصاد بإسناد الفعل لما لم يُسَمّ، وقرأ غيرهم بفتح الصاد بإسناد الفعل للمعلوم. وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: تفسير الطبري 7/394، والهداية 5/3745، والبحر المحيط 5/386، والنشر 2/223.
(2) سورة غافر، الآية (37).
(3) انظر: تفسير الطبري 7/395، والمحرر الوجيز 3/315.
(4) انظر: تفسير الطبري 7/395، وزاد المسير ص 736.
(5) في (م): (وما لهم من دونه من واق يقيهم).
(6) انظر: معالم التنزيل 2/535.
(7) سقطت من (ك).
(8) انظر: معالم النزيل 2/535، والبحر المحيط 5/386.
(9) انظر: الهداية 5/3747، والتفسير الكبير 19/47، وتفسير ابن كثير 2/536.
(10) انظر: معالم التنزيل 2/535، والمحرر الوجيز 3/315.
(11) في (ك): (ويقال).
(12) مضت الآية وتفسيرها، وهي من سورة الرعد، ورقمها (18).
(13) انظر: تفسير الطبري 7/396.

لأن القرآن يصدق كتبهم، والمراد بهذا من آمن منهم[1]، وقيل: كان علماؤهم يفرحون بالقرآن، ثم حملهم الحسد على الكفر[2].

وقال قتادة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: القرآن، وهم أصحاب محمد [ﷺ]، يفرحون بالقرآن، ويؤمنون به[3].

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾أي: الكفار المتحزبين عليك، وقيل: هم اليهود والنصارى[4]﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾يكذ..ب ببعض ما فيه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا [عَرَبِيًّا][5]﴾ [الآية:37]أي: حكمة وأحكاما. مشروعة بلسان عربي ليفهموه[6].

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ أي: كانت الرسل قبلهم بشراً، لهم أزواج وأولاد، ولم يكونوا ملائكة[7]﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾أي: لا يقدر رسول أن يأتي بمعجزة إلا أن يفعلها الله له[8]، وهذا جواب لقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[9].

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾أي: لكل مخلوق وقت مؤجل، علمه الله، وكتبه في اللوح المحفوظ[10].

وقال الفراء: تقديره: لكل كتاب أجل[11].

وقال الحسن: معناه: لكل أجل من آجال المخلوقين كتاب، فيمحو الله من حضر أجله، ويثبت من لم يحضر أجله [إلى انقضاء أجله][12].

---

(1) انظر: الكشاف 2/512، والجامع لأحكام القرآن 5/276.
(2) انظر: الهداية 5/3749، 3748، والتفسير الكبير 19/48.
3) رواه الطبري في تفسيره 7/397 عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وقد مضى أنه طريق حسن ص(2).
(4) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/536، وزاد المسير ص 737.
(5) سقطت من (م).
(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/277، وتفسير ابن كثير 2/537.
(7) انظر: معالم التنزيل 2/537، والبحر المحيط 5/387.
(8) انظر نحوه في: تفسير الطبري 7/398، والهداية 5/3751، 3750.
(9) هي الآية (27) من سورة الرعد. وانظر: زاد المسير ص737، والجامع لأحكام القرآن 9/278.
(10) انظر: زاد المسير ص 737.
(11) انظر: معاني القرآن للفراء 2/65.
(12) سقطت من (ك). والأثر رواه الطبري في تفسيره 7/403، 402.

وقيل: معناه: لكل كتاب منزّل· أجل·[1].

وقيل: معناه: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[الآية:39]من أمور عباده، ويبقي[2] ما يشاء، تدبيراً منه وتصريفاً[3]، فيكون المحو· الإفناء· [والتغيير][4]، والإثبات· الإبقاء·، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ اللوح المحفوظ[5].

وقيل: المحو من كتب الحفظة، فإنهم يكتبون جميع أفعال العباد، فيمحو الله منها المباحات والطاعات التي يكون باطنها رياء ونفاقا· والمعصية التي يتوب منها، ويثبت ما سوى ذلك[6].

وقال عكرمة: عند الله كتاب آخر غير اللوح المحفوظ، يمحو منه ما يشاء، ويثبت[7].

وقيل: المحو: نسخ بعض الأحكام، والإثبات: إبقاء الحكم، ويكون ﴿أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الآيات· التي لا يجوز فيها النسخ، مثل آية التعريف والتوحيد، وأمور القيامة[8]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[9]، روي هذا عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج وجماعة [من][10] المفسرين[11].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[الآية:41]أولم ينظر المشركون إلى ديار عاد وثمود وقوم لوط، [كيف][12] أهلكناهم، ودمرنا ديارهم، وهي أطراف الأرض

---

(1) في (ك): (من أجل). والذي يظهر أن هذا هو قول الفراء، وقد حكاه المؤلف قبل قليل.
(2) في (ك): (ويثبت يبقي).
(3) في (ك): (نذيراً منه وتصريفا).
(4) سقطت من (ك).
(5) انظر: الهداية 5/3753، وزاد المسير ص737.
(6) انظر: الكشاف 2/513، والجامع لأحكام القرآن 9/282.
(7) رواه الطبري في تفسيره 7/400 عن عكرمة، كما رواه أيضاً عن عكرمة عن ابن عباس.
(8) من شروط النسخ أن يكون مما يجوز نسخه، فلا يدخل النسخ أصل التوحيد، وكذلك معرفة الله تعالى، وكذلك الأخبار. انظر: البحر المحيط للزركشي 5/217، وإرشاد الفحول ص 420.
(9) سورة آل عمران، الآية (7).
(10) سقطت من (ك).
(11) رواه الطبري في تفسيره 7/402 عمن سماهم المؤلف، وروايته عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33)، وروايته عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وإسناده حسن كما مضى ص(2).
(12) سقطت من (ك).

بالنسبة إلى أرض الحجاز، فتقديره: ألا يخافون من تدميرهم كما دمرنا الذين حولهم؟[1].

وقيل: نقص الأرض: موت قوم، وقتل قوم بالسيف، وتحريق بلاد بالفتن، وكانت مكة في الجاهلية حرماً آمناً لا يؤذيها أحد[2].

وقيل: نقص الأرض: نقص بركاتها وثمارها[3].

وقيل: الأطراف [هنا][4]: أشراف الناس ورؤساؤهم، كالعلماء والملوك، ونقصها موت أكابرها، قاله ابن عمر[5].

ومن قال: إن السورة مدنية قال: نقص الأرض: فتح البلاد لمحمد ﷺ قبل فتح مكة، فهو تهديد ووعيد لأهل مكة بنصر المسلمين عليهم يوم الفتح، وهذه الآية مثل الآية التي في الأنبياء ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ الآية[6].

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ أي: لا ناقض ولا راد لما يريد أن يفعله، وحكام الدنيا يتعقبون أحكام بعضهم بعضاً، وينقضون منها ما خالف الصواب[7].

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[الآية:42] أي: الأمم المتقدمة ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي: هو قادر على المكر بهم وإهلاكهم على غفلة، فلا يعجز عن سبب من أسباب الهلاك، وقيل: معناه: لا يضر أحداً مكر أحد إلا بإذن الله[8].

---

(1) انظر: الهداية 5/3060،3059، والجامع لأحكام القرآن 9/284.
(2) انظر: معالم التنزيل 2/539، والمحرر الوجيز 3/319.
(3) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/151، وزاد المسير ص 738.
(4) سقطت من (ك).
(5) ذكره في الهداية 5/3760 وعزاه إلى ابن عمر، ولم أقف عليه مسنداً، والمشهور أنه من قول ابن عباس، رواه عنه الطبري في تفسيره 7/408، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (3334) 2/381 كلاهما من طريق طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس، وطلحة هو الحضرمي، متروك، وقد سبق ص(260)، وكذا قال الذهبي في التلخيص بحاشية المستدرك.
(6) سورة الأنبياء، الآية (44).
وهذا قول جمهور المفسرين، واختاره الطبري والزمخشري وأبو حيان وابن كثير. انظر: تفسير الطبري 7/408 ، والكشاف 2/514، والبحر المحيط 5/389، وتفسير ابن كثير 2/539.
(7) انظر: تفسير الطبري 7/408، ومعالم التنزيل 2/540.
8) إثبات ما أثبته الله تعالى من صفات هو مذهب أهل السنة، ومن ذلك مكره سبحانه بالماكرين على ما يليق بجلاله، وما ذكره المؤلف من ذكر إهلاك المكذبين على غفلة هو من مظاهر مكره سبحانه بهم كما مر ص(237).

﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ فلا يخفى عنه مكر الماكرين ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ﴾ كلهم و من قرأ ﴿الكافر﴾[1] فهو اسم للجنس، وقيل: هو أبو جهل[2].

ومعناه: وسيعلم الكفار لمن تكون العاقبة الحسنة[3]، وقد علموا ذلك بنصر المسلمين، وظهور هذا الدين، وسيعلمون في الآخرة من تكون له الجنة.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗا﴾[الآية:43] أي: ينكرون رسالتك ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا [بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ][4]﴾ أي: شاهداً على صدقي[5]﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ أي: والذي عنده ﴿عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ يشهد بصدقي، وهو الله تعالى، فيكون ﴿وَمَنۡ﴾ في موضع خفض نعتاً لله، قالوا وقد تدخل في النعت[6]، كقولك: هذا العالم والصالح، ويؤيد هذا المعنى قراءة ابن عباس: (ومِن عندِه) بكسر الميم وخفض الدال، ومعناه: ومن عند الله نزل القرآن[7].

وقيل: معنى القراءة المشهورة: والذي عنده علم الكتب المتقدمة يشهد بصدقي، وهو كل من أسلم من علماء أهل الكتاب، مثل سلمان الفارسي، وتميم الداري، وعبد الله بن سلام، وغيرهم[8].

---

(1) في (ك): (وسيعلم الكافر من قرأ الكافر).
2) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر الإفراد، وقرأ الباقون بالجمع، وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 3/12، والهداية 5/3763،3762، والنشر 2/224.
(3) انظر: تفسير الطبري 7/409.
(4) سقطت من (م).
(5) انظر: معالم التنزيل 2/541.
(6) لم يبيّن ما الذي قد يدخل في النعت، وإنما هو الواو.
(7) قراءة ابن عباس رويت أيضاً عن علي وأبيّ وغيرهم. وهي قراءة شاذة، انظرها في: المحتسب 2/31 ، والبحر المحيط 5/391.
وانظر هذا القول في معنى القراءة المشهورة وإعرابه وتوجيهه في: الهداية 5/3765، والبحر المحيط 5/391.
(8) وإلى هذا القول مال الطبري. انظر: تفسير الطبري 7/409-412، وزاد المسير ص 739.

سورة إبراهيم عليه السلام

مكية إلا آيتين، نزلتا بالمدينة فيمن قتل ببدر من المشركين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ الآيتين[1].

﴿الر﴾[الآية:1] أقسم[2] بإلاهيتي ولطفي ورحمتي[3] إن هذا الكتاب لمنزّل من عند الله إليك ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ أي: لتبلغهم ما يكون سبب خروجهم من الكفر إلى الإيمان[4] ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بتوفيقه لهم[5].

ثم بين النور ما هو، فقال: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾ أي: إلى طريق الله[6] العزيز الحميد مالك المصنوعات.

ومن رفع اسم ﴿اللَّهِ﴾[الآية:2] فعلى الابتداء، ومن خفض وصله بما قبله[7].

﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: قبح وخزي، ويقال: ويل: واد في جهنم، فيه ألوان العذاب[8].

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾[الآية:3] أي: يختارون[9] ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: القريبة المدة[10]، و﴿الَّذِينَ﴾ نعت للكافرين[11].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[الآية:4] أي: بلغتهم[12] ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ أي:

---

1) ورقمهما (29،28). أما نزول السورة، فقال الجمهور: كلها مكية، وروي عن ابن عباس وقتادة استثناء الأيتين اللتين استثناهما المؤلف. انظر: الهداية 5/3767، وزاد المسير ص 740، والإتقان 1/43،29.

(2) في (ك): (قسم).

(3) مضى الكلام على الحروفِ المقطعة ومذهبِ المؤلف فيها أول سورة الأعراف.

(4) انظر: تفسير الطبري 7/409، والمحرر الوجيز 3/321.

(5) انظر: تفسير الطبري 7/413، والجامع لأحكام القرآن 9/288.

(6) انظر: الهداية 5/3768.

7) في قوله تعالى (الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض)، فقد قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بالرفع ي لفظ الجلالة، وقرأ الباقون بالخفض، وروى رويس عن يعقوب عند الابتداء الرفع، وعند وصل الآية بما قبلها روى الخفض، وتوجه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 3/15،14، والنشر 2/224.

(8) والقول الأول أرجح لافتقار القول الثاني إلى دليل صحيح، ولم يذكر الطبري هنا غير القول الثاني. انظر : تفسير الطبري 7/414، والمحرر الوجيز 3/322، وتفسير ابن كثير 2/541.

(9) انظر: معالم التنزيل 2/544.

(10) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 319،318.

(11) ويجوز فيه أن يكون بدلاً أو مبتدأ، أو مفعولاً لفعل مضمر. وقد أبى أبو حيان ما قاله المؤلف. انظر : الكشاف 2/517، والبحر المحيط 5/394،393.

(12) انظر: معالم التنزيل 2/545.

ليفهموا عنه، ومحمد ﷺ بعث إلى الخلق كافة، ونزل عليه القرآن بلغة قومه الذين هو منهم، وهم العرب، ثم ببركاته ﷺ فهمت الأعاجم دعوته، واتبعوا شريعته، حتى صار منهم أئمة يعلمون الناس العربية[1].

ومعنى الآية: أن الرسول إنما عليه [البلاغ، أي][2]: البيان، فأما الهداية فمن الله[3].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾[الآية:5]أي: بالمعجزات[4]﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾أي: أوحينا إليه[5]﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾بي٠٠ن لبني إسرائيل الحق ليتبعوه[6]﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾أي: ذكرهم بالأيام التي أنعم الله عليهم بها بفنون النعم، كنجاتهم من فرعون، وفلق البحر، وإنزال المن والسلوى، وغير ذلك، وقيل: معناه خوفهم بالأيام التي أهلك الله [فيها][7] عاداً وثمود وغيرهم[8].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾لمواعظ لكل صابر في البلاء، شاكر على النعماء[9].

ثم أخبر الله تعالى أن موسى وعظ قومه كما أمره الله تعالى فقال: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[الآية:6] في نجائكم من فرعون وقومه، بعد أن كانوا ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ -أي: يذيقونكم- ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ -أي: يستعملونكم في أشق الأعمال- ويستعبدونكم ﴿وَيُذَبِّحُونَ [أَبْنَاءَكُمْ]﴾[10] صدق الله

دخلت الواو هنا لبيان أن سوء العذاب غير الذبح، وأراد بسوء العذاب في غير هذا الموضع الذبح٠، ولذلك أتت ﴿يُذَبِّحُونَ﴾بغير واو[11].

---

1) لا شك أن ذلك من بركات الله تعالى التي أضفاها على نبيه ، ومن نعم الله التي أسداها إليه، حتى انتشرت دعوته وعمت، فيصح إسناد البركة إليه باعتباره موضعها .

(2) سقطت من (م).

(3) انظر: الهداية 5/3771-3773.

(4) انظر: تفسير الطبري 7/416، والجامع لأحكام القرآن 9/290.

(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/155، والكشاف 2/519.

(6) انظر: تفسير ابن كثير 2/542.

(7) سقطت من (ك).

(8) انظر القولين في: تفسير الطبري 7/417، وزاد المسير ص 741.

(9) انظر: الكشاف 2/519، والبحر المحيط 5/395.

10) سقطت من (م). وانظر تفسير الآي بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 1/308-313، وزاد المسير ص 60.

(11) في سورة البقرة، الآية (49). وانظر نحو قول المؤلف في: تفسير الطبري 7/419، والكشاف 2/520،519.

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾[الآية:7] أي: واذكروا نعمة ربكم يا بني إسرائيل إذ أعلمكم[1] وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وهذا من قول الله تعالى لموسى، ومعناه: لئن شكرتم نعمتي فآمنتم وأطعتم لأزيدنكم نعماً أخرى[2].

وقيل: لأزيدنكم توفيقاً وتيسيراً في الطاعات[3]، وقال سفيان بن عيينة[4]: ليست الزيادة من الدنيا، [الدنيا][5] أهون عند الله من أن يجعلها ثواباً لطاعته، وما أثاب بها الأنبياء وهم أشكر الخلق[6]، يعني: أن الزيادة جزاء الشكر في الجنة.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ ﴾[الآية:9] الآية، أي: ألم يبلغكم أيها المكذبون محمداً أخبار المهلكين[7]، مثل: ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ مثل قوم لوط وقوم إبراهيم وقوم فرعون وأصحاب مدين وغيرهم ﴿[لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ][8] جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم ﴾ أي: جاء كل أمة رسولها.

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ تعجباً، قاله ابن مسعود.

وقال ابن عباس: فعلوا ذلك غيظاً، مثل قوله [تعالى][9]: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ

(1) انظر: الهداية 5/3777، وتفسير ابن كثير 2/542.
(2) انظر: تفسير الطبري 7/420، والجامع لأحكام القرآن 9/292.
(3) انظر: المحرر الوجيز 3/325، وزاد المسير ص 741.
(4) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران (ميمون) الهلالي الكوفي، ثم المكي، أبو محمد، ولد بالكوفة سنة 107هـ، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، مات سنة بضع وتسعين ومائة. انظر: تاريخ بغداد 174/ 9، وسير أعلام النبلاء 454/ 8، وتقريب التهذيب (2464) ص395.
(5) سقطت من (ك).
6) أورده مكي في الهداية 5/3778 عن سفيان بن عيينة عن سفيان -وهو الثوري-، وسقط في إحدى نسخ الهداية سفيان (الثاني)، وقد رواه الطبري مختصراً عن سفيان الثوري. تفسير الطبري 7/420، وعزاه في الدر المنثور 4/133 إلى الطبري وابن أبي حاتم من كلام الثوري.
(7) وقيل: الخطاب من موسى لقومه. انظر: ورجح ابن كثير ما حكاه المؤلف. انظر: البحر المحيط 5/397، وتفسير ابن كثير 2/543.
(8) سقطت من (م).
(9) سقطت من (م).

ٱلْغَيْظِ﴾[1].

وقيل: أشاروا إلى الرسل أن اسكتوا، وقيل: أشاروا إلى أن هذا الكلام لم يدخل في قلوبنا، وقيل: معناه صفروا بأصابعهم استهزاء، وقيل: هو مجاز في الأيدي، ويراد به النعم، أي: ردوا النعم التي أنعم بها عليهم من دعوة الرسل بأفواههم، أي: بتكذيبهم، وتكون ﴿فِيٓ﴾ بمعنى الباء، وقيل: أي: ردوا نعم الرسل بتكذيبهم، وقيل: أي وضعوا أيديهم على أفواه الرسل ليسكتوهم[2].

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أي: برسالتكم[3]،﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ﴾ ﴿[مُرِيبٍ][4]﴿٩﴾﴾ م·وق·ع· للتهمة[5] في تصديق ما تدعوننا إليه[6] من التوحيد.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[الآية:10] أي: أتشكون في توحيد الله، وكل·· ما في العالم يدل على توحيده؟[7] وليس يدعوكم ليَنتفع بكم، وإنما يدعوكم لينفعكم، و﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: ﴿مِّن﴾ زائدة، وقيل: تقديره: ليطهركم من ذنوبكم[8].

﴿قَالُوٓاْ[9] إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: إنما يرسل الله الملائكة ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي: بحجة ظاهرة[10].

---

1) سورة آل عمران، الآية (119). وهذان القولان قد انقلبت نسبهما على المؤلف، فقول ابن مسعود هو أنهم فعلوا ذلك تغيظاً، وقد رواه عنه الطبري في تفسيره 7/422 من طرق، وقول ابن عباس هو أنهم فعلوا ذلك تعجباً، ِقد رواه عنه الطبري في تفسيره 7/423 من طريق عطية العوفي، وقد سبق الكلام على ضعف هذا الطريق ص(142). وانظر: الهداية 5/3780،3779.

2) القولان الثاني والثالث من هذه الأقوال -في هذه الفقرة- لم أقف عليهما في مظانهما من كتب التفسير، وانظر قية الأقوال في: الهداية 5/3781،3780، وزاد المسير ص 742، والجامع لأحكام القرآن 9/294، والبحر المحيط 5/398،397، وروح المعاني 7/184،183، إلا أنه لم يتبين لي الفرق بين القولين الرابع والخامس.

(3) انظر: زاد المسير ص742، والجامع لأحكام القرآن 9/294.

(4) سقطت من (ك).

(5) انظر: تفسير الطبري 7/424، ومعالم التنزيل 2/548.

(6) في (ك): (ما مما تدعوننا إليه).

(7) انظر: تفسير الطبري 7/424، والجامع لأحكام القرآن 9/295.

8) وقيل أيضاً: إن (مِّن) هنا للتبعيض، ويراد بالبعض: الجميع، أو أريد به ما كان من حقوق الله تعالى، أو ما كان قبل الدخول في الإسلام أما ما يستقبل فلا، وقيل: إن (مِّن) هنا بمعنى البدل، أي: يغفر لكم بدلاً من ذنوبكم.

انظر: التفسير الكبير 19/74، والجامع لأحكام القرآن 9/295، والبحر المحيط 5/399، وروح المعاني 7/186.

(9) في (م): (فقالوا).

(10) انظر: معالم التنزيل 2/548.

فقالت الرسل: ما نحن إلا بشر، ولكن الله من علينا بالرسالة، وما كان لنا أن نأتيكم بآية، أي: بمعجزة إلا ما فعله الله لنا من المعجزات[1].

(وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ)[الآية:12] أي: أي·· شيء لنا في ترك التوكل؟ ومعناه: ولم لا نتوكل على الله وقد أرشدنا إلى طريق النجاة[2]، (وَلَنَصْبِرَنَّ) على أذاكم لنا.

فقال الكفار: (لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ)[الآية:13] أي: نطردكم[3] (أَوْ لَتَعُودُنَّ) معناه: أو ترجعوا عما أنتم عليه[4]، فـ(أَوْ) بمعنى: إلا أن، وقيل: بمعنى: حتى[5].

(ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى) أي: هذا النصر على الأعداء لمن خاف مقامه بين يدي·· للحساب[6] (وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾) فـ(مَقَامِى) مصدر أضيف إلى المفعول[7]، والمصدر يضاف إلى الفاعل أو إلى المفعول[8].

(وَٱسْتَفْتَحُواْ)[الآية:15] أي: سأل الرسل ربهم أن يفتح بينهم وبين قومهم، أي: يحكم، فاستجاب لهم، وقيل: معناه: سأل الكفار· ربهم تعجيل العذاب على وجه الاستهزاء[9] (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾) أي: وهلك كل متكبر معاند للحق، وهو الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله[10].

(مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ)[الآية:16] أي: بين يديه، وأصل (وراء) كل ما توارى عنك، فيطلق

---

(1) انظر: الهداية 5/3785.

(2) في (ك): (طرق النجاة). وانظر: الكشاف 2/523، والجامع لأحكام القرآن 9/296.

(3) انظر: تفسير الطبري 7/425.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/429.

(5) ورجح أبو حيان أن تكون (أَوْ) لأحد الأمرين، بمعنى أنهم أقسموا على أنه لابد من إخراجهم أو عودهم في ملتهم، واستبعد المعنيين اللذين ذكرهما المؤلف وغيره. انظر: تفسير الطبري 7/425، والكشاف 2/521، والبحر المحيط 5/400.

(6) انظر: تفسير الطبري 7/426، ومعالم التنزيل 2/549.

7) كذا في النسختين، وفي الهداية «إلى الفاعل»، وهذا هو الظاهر، لأن المُقيم هو الله، والعبد إنما هو مُقامٌ وقعت عليه الإقامة. انظر مصادر التوثيق.

8) هذا قول أكثر المفسرين ومنهم الطبري والبغوي، وقال ابن كثير:«أي: وعيدي هذا لمن خاف مقامي بين يَدَيَّ يوم القيامة». انظر: تفسير الطبري 7/426، والهداية 5/3787، وتفسير ابن كثير 2/545.

(9) انظر: القولين في: زاد المسير ص 743، والتفسير الكبير 19/80.

(10) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/297، وتفسير ابن كثير 2/545.

على ما بين يديك وما خلفك[1]، ومثله أيضاً ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾[2].

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ أي: عصارة أهل النار[3].

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾[الآية:17] أي: يشربه ج٠ر٠عاً، قليلا٠ قليلا٠[4] ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي: لا يكاد يبلعه من صعوبته[5] ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: تأتيه آلام وأوجاع مثل آلام الموت[6] [﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: من كل مفصل في جسده، حتى تصيرَ في حنجرته ، ويذوقَ ألم الموت][7] ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: لا تخرج روحه فيستريح[8] ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [أي][9]: كلما عذب الكافر بعذاب أتاه بعده ما هو أغلظ منه وأشد[10].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[الآية:18] أي: وفيما يتلى عليكم مثل الذي كفروا بربهم[11] ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ أي: عباداتهم للأصنام التي يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، وصدقاتهم، وبرهم للأقارب، لا ينفعهم شيء من ذلك[12]، فمثالهم مثال رماد اشتدت عليه الرياح[13] ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي: في يوم ذي ريح عاصف، كقولهم: ليل نائم، وقيل: تقديره: في يوم عاصف الريح[14]، فكما لا بقاء للرماد مع الريح كذلك لا بقاء للأعمال

---

(1) هذا قول ثعلب والزجاج ومكي وغيرهم، وقيل: لفظ (وراء) من الأضداد، يطلق على الأمام والخلف. انظر : معاني القرآن للزجاج 3/157،156، والهداية 5/3790، والبحر المحيط 5/402،401.
(2) سورة الإنسان، الآية (24).
(3) انظر: زاد المسير ص 743، والجامع لأحكام القرآن 9/299.
(4) انظر: معالم التنزيل 2/551.
(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/157، والجامع لأحكام القرآن 9/299.
(6) وقيل: يأتيه ما يمات منه من كل جانب. انظر: الهداية 5/3791، ومعالم التنزيل 2/551.
(7) سقطت من (ك). وقوله«حتى تصير في حنجرته» يريد: نفسه، وهذا نحو قول ابن جريج، رواه الطبري في تفسيره 7/430.
(8) انظر: الهداية 5/3791.
(9) سقطت من (م).
(10) انظر: تفسير الطبري 7/430، والتفسير الكبير 19/82.
(11) وفي إعرابها وجوه أخرى، رجح ابن عطية منها أن يكون لفظ ﴿مَّثَلُ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ خبره، ورده أبو حيان. انظر: تفسير الطبري 7/430، ومعاني القرآن للزجاج 3/157، والمحرر الوجيز 3/331 ، والبحر المحيط 5/405.
(12) انظر: الكشاف 2/526، والبحر المحيط 5/405.
(13) في (ك): (اشتدت به أي عليه الريح أي الرياح).
(14) انظر القولين في: تفسير الطبري 7/431، والبحر المحيط 5/405.

مع الكفر.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ﴾[الآية:19] خطاب[1] للنبي ﷺ، والمراد غيره، يدل عليه الجمع بعده، ومعناه: ألم تعلموا أن الله خلق العالم كله[2]﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بقدرته[3]، فهو قادر على أن يهلككم ويخلق غيركم، وما ذلك عليه بممتنع ولا عسير.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[الآية:21] أي: ويظهر الخلق ويخرجون من قبورهم بحكم الله، فهو ماض يراد به الاستقبال[4]، مثل قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾[5] ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ أي: فيقول العوام من الكفار في النار للرؤساء منهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في الكفر ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا﴾ أي: هل تقدرون على دفع العذاب عنا؟ فيقول الرؤساء: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ قيل: معناه: لو أرشدنا الله إلى شيء نخرج به من النار لأرشدناكم إليه ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا [أَمْ صَبَرْنَا][6]﴾ أي سواء علينا أشكونا إلى الله أم سكتنا ﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ۝٢١﴾ أي: من مهرب ولا مخلص[7].

وروي عن النبي ﷺ [أنه قال][8]:«إن أهل النار يقولون: تعالوا [بنا][9] نبكي ونتضرع؛ فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بالبكاء، فيتضرعون خمس مائة عام، فلا ينفعهم، فيقولون: [تعالوا نصبر؛ فإنما أدرك أهل الجنةِ الجنةَ بالصبر، فيصبرون خمسمائة

(1) في (ك): (ذلك خطاب).
(2) انظر: الهداية 5/3794، والبحر المحيط 5/406.
3) قال مكي في الهداية 5/3794:«بالحق، أي: انفرد بذلك من غير ظهير ولا معين»، وقريب منه ما قاله الطبري في تفسيره 7/432، وهذا قريب مما قاله المؤلف؛ وقال البغوي في معالم التنزيل 2/552:«أي: لم يخلقهما باطلاً، وإنما خلقهما لأمر عظيم».
(4) انظر: الكشاف 2/527، والجامع لأحكام القرآن 9/302.
(5) سورة الأنعام، الآية (30).
(6) سقطت من (م).
(7) انظر تفسير الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 7/433،432، وزاد المسير ص 745،744، تفسير ابن كثير 2/547. وما حكاه المؤلف في تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ هو ما قاله الطبري، ولم يذكر غيره، وجمهور المفسرين على أن الآية على ظاهرها: يريدون أنهم قد أضلهم الله، وحقت عليهم كلمة العذاب فدعوا أتباعهم إلى الضلال، وهذا قول ابن كثير.
(8) سقطت من (م).
(9) سقطت من (م).

عام، فلا ينفعهم، فيقولون][1]: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ الآية»[2].

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾[الآية:22] أي: لما فرغ من الحساب[3]﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ هذه خطبة إبليس.

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إذا شفع في المؤمنين، ودخلوا الجنة يقول الكفار: من يشفع لنا إلى ربنا، فيقال: اذهبوا بنا إلى إبليس، فيأتونه، فيقولون له: أنت أضللتنا؛ فقم فاشفع لنا، فيقوم، فيثور من مجلسه أنتن ريح، فيقف على مكان مرتفع من نار، فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ »[4] أي: على لسان رسوله، و·ع·د· من أطاعه الجنة ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ أني أنفعكم ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾ ما وعدتكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي: ما كان لي عليكم من حجة تدل على صدقي، ولا ملك فقهرتكم على موافقتي ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾ اختياراً منكم ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ على موافقتي ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ أي: مغيثكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ أي: مغيثي··، وقيل: معناه: لا يقدر أحد منا أن يغيث أحداً ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ﴾ أي: أنا كافر بما كنتم تعتقدون في·· من قبل·، حيث كنتم تقولون: إني شريك لله، وقيل: معناه: إني عصيت الله من قبل أن تعصوه[5].

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾[الآية:24] وهي[6] شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله[7]، و﴿كَلِمَةٗ﴾ بدل من ﴿مَثَلٗا﴾[8].

---

(1) سقطت من (ك).

2) رواه الطبراني في المعجم الكبير 19/84 من حديث كعب بن مالك، وفيه أنس بن أبي القاسم، وقد اختلف أهل العلم في تعيينه. انظر: مجمع الزوائد 7/43، ولسان الميزان 1/469. وانظر: الجرح والتعديل 2/288، 286.

(3) انظر: معالم التنزيل 2/554، وتفسير ابن كثير 2/548.

4) إلى هنا انتهى الحديث، وقد رواه الطبري في تفسيره 16/562(ط. دار المعارف)، والطبراني في المعجم الكبير 17/320 كلاهما من حديث عقبة بن عامر، وقد ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد 10/376، والسيوطي في الدر المنثور 4/140، ومحمود شاكر في تعليقه على تفسير الطبري.

(5) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما ذكره المؤلف في: تفسير الطبري 7/434، 433، والمحرر الوجيز 3/334، 333، والتفسير الكبير 19/87-91.

(6) في (ك): (هي) دون واو.

(7) انظر: معالم التنزيل 2/555، وتفسير ابن كثير 2/549.

(8) وفي إعرابها وجوه أخرى. انظر: المحرر الوجيز 3/335، 334، والبحر المحيط 5/410.

(كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ)[وهي النخلة][1]، روي ذلك عن رسول الله ﷺ[2](أَصۡلُهَا ثَابِتٞ) في الأرض (وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾)أي: في جهة العلو مرتفعاً نحو السماء[3].

(تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا)[الآية:25] أي: تعطي ثمرها[4](كُلَّ حِينِۢ) أي: كل وقت، والحين اسم للوقت، يطلق على القليل والكثير[5]، والمراد به هنا: سنة: من وقت الجداد[6] إلى وقت الجداد، وقيل: شهران: مدة وجود الثمار على النخل، وقيل: ستة أشهر: من حين يطلع النخل إلى الجداد، وقيل: هو يوم، لأنه يتصور ج ناء الثمرة كل يوم في زمن الثمرة[7].

والإيمان ثابت في قلب المؤمن، كالنخلة، لا تزعزعه الرياح، ولا يبطله الوسواس، وفرع الإيمان العمل الصالح، فيجتني منه كل وقت حسنات.[8].

(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ)[الآية:26] وهي كلمة الكفر[9](كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) وهي الحنظلة، قبيحة الطعم والرائحة، ولا أصل لها، ولا ثمرة[10]، كما أن الكفر لا أصل له من حيث الدليل (وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ)[11]، ولا ثمرة له في الأعمال[12]؛ لعدم القبول (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾)[13].

---

(1) سقطت من (ك).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ) (4698) 8/479، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين (2811) 6/289-291، ولفظ البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ، فقال:«أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم، لا يتحات ورقها، ولا، ولا، ولا، تؤتي أكلها كل حين» ، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئا، قال رسول الله :«هي النخلة»... الحديث.

(3) انظر: تفسير الطبري 7/436، وزاد المسير ص745.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/556، والكشاف 2/532.

(5) انظر: المحرر الوجيز 3/335، والجامع لأحكام القرآن 9/308.

6) الجداد: بالدال المهملة، وبفتح الجيم وكسرها: صرام النخل (قطع ثمره). انظر: أدب الكاتب ص80، والمعجم الوسيط ص 109.

(7) انظر هذه الأقوال في: معالم التنزيل 2/556، وزاد المسير ص 746،745.

(8) انظر: زاد المسير ص 746، وتفسير ابن كثير 2/549.

(9) في (ك): (هي كلمة الكفر) دون واو. وانظر المعنى في: تفسير الطبري 7/444.

10) هذا أشهر ما قيل في تعيين الشجرة الخبيثة، وفيها أقوال أخرى. انظر: الهداية 5/3811،3810، والجامع لأحكام القرآن 9/308.

(11) سورة المؤمنون، الآية (117).

(12) في (ك): (في العمل).

13) سورة المائدة، الآية (27). وانظر تشبيه الشرك بالشجرة الخبيثة لكونه لا دليل يقوم عليه ولا عمل يتقبل من صاحبه في: زاد المسير ص 746، وتفسير ابن كثير 2/550.

ومعنى ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ يعني: اقتلعت[1]، فصارت خشبة ملقاة ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾﴾ أي: لا أصل لها[2].

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[الآية:27] أي: يحفظ قلوبهم عن الميل إلى الكفر[3]، فيثبتهم ﴿بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ أي: الصحيح، الظاهر بالأدلة القاطعة، الباقي ثوابه في الآخرة، وهو قول لا إله إلا الله، محمد رسول الله[4] ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: يثبتهم بذلك مدة حياتهم حتى يموتوا على الإيمان ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: بعد الموت، عند مساءلة منكر ونكير في القبر، وعند وقوفهم في المحشر، حين تطيش العقول، وتذهب الألباب[5] ﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾[6] ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكفار، منعهم الإيمان[7] في الدنيا، وفي القبر وفي المحشر تستغرقهم الأهوال، وتتبع كل أمة ما كانت تعبد حتى يلقى بالجميع في النار[8] ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ لا اعتراض [عليه][9].

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾[الآية:28] وهم المتكبرون من أهل مكة، أنعم الله عليهم بأن أسكنهم حرمه، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، والبلاد حولهم فيها الخوف والجوع في الجاهلية، ثم بعث إليهم محمداً ﷺ، فأكمل عليهم النعمة بذلك[10]، ولم يشكروها، وبدلوها، أي: جعلوا بدل شكرها كفراً بالله ورسوله[11] ﴿وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ

---

(1) في (ك): (أقلعت). وانظر المعنى في: معالم التنزيل 2/558.
(2) انظر: تفسير الطبري 7/445.
(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/310.
(4) انظر: الكشاف 2/533، وزاد المسير ص 746 والتفسير الكبير 19/96.
(5) أما تثبيتهم في الدنيا ففيه قولان: أحدهما: أنه في معيشتهم في حياتهم الدنيا، والثاني: أنه في القبر، وأما تثبيتهم ي الآخرة ففيه قولان كذلك: أحدهما: أنه تثبيتهم في القبر، والثاني: أنه تثبيتهم في عرصات القيامة. انظر: معالم التنزيل 2/558، والكشاف 2/533.
(6) سورة النمل، الآية (89).
(7) في (م): (منعهم للإيمان).
8) سبق تخريج حديث اتباع كل أمة ما كانت تعبد ص(355)، وانظر تفسير قوله تعالى (ويضل الله الظالمين) بنحو ما فسره به المؤلف في: تفسير الطبري 7/451، والكشاف 2/533.
(9) سقطت من (ك).
(10) انظر تفسير ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ بنحو ما ذكر المؤلف في: زاد المسير ص747، والبحر المحيط 5/413.
(11) انظر: الكشاف 2/533، والتفسير الكبير 19/97.

ﭐلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ) أي: وأسكنوا أتباعهم وعوامهم دار الهلاك؛ لأنهم اقتدوا برؤسائهم في الكفر[1]، قال ابن عباس: نزلت في المشركين يوم بدر[2].

(وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا)[الآية:30]أي: اعتقدوا لله أمثالا· في الربوبية[3]، قال ابن مسعود: الأنداد: ثلاثمائة وستون صنما·، كانت حول الكعبة يعبدونها[4].

﴿لي·ضلوا﴾ بفتح الياء: أي: يصيروا ضالين، فهي لام الصيرورة[5]، وتقديرها: فصاروا ضالين بذلك، وبضم الياء: لي·ضلوا غيرهم من الناس، وكل ما في القرآن[6] من (لِّيُضِلُّواْ) و(لِيُضِلَّ) إذا كان بعدها (عَن) ففيها الخلاف: الضم والفتح، على هذين المعنيين[7].

(قُلۡ تَمَتَّعُواْ) أي: قل للكفار: تمتعوا بالشهوات في الدنيا، وهذا أمر بمعنى

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/452، والمحرر الوجيز 3/338.

(2) رواه الطبري في تفسيره 7/454، وقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا) (4700) 8/480 بلفظ «هم كفار أهل مكة»، ولم يذكر فيه أهل بدر.

(3) في تعبير المؤلف هنا تجوز، وإلا فهم ما جعلوا له أندادا في ربوبيته، بل جعلوا له أندادا في عبادته وألوهيته. نظر: تفسير ابن كثير 2/558، ولكن لما كان هؤلاء جعلوا له الأنداد في عبادته التي أعظم أدلتهاربوبيته جعلهم كأنهم جعلوا له الأنداد في ربوبيته، هذا توجيه كلام المؤلف.

4) لم أقف على هذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه، والذي يظهر أنه وهم من المؤلف، وسبب ذلك ما اله مكي في الهداية 5/3816:«قال ابن مسعود: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا، يعني تمثالا تعبدها قريش ن دون الله، فهي الأنداد»، فقول ابن مسعود انتهى عند قوله «نصبا» وقد ذكره مكي مثالا على الأنداد التي كانوا عبدونها، وليس في كلام ابن مسعود تفسير للأنداد، إذ قد رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب هل كسر الدِّنان التي فيها خمر؟ (2478) 5/150، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير (1781) 4/470 ولفظ البخاري «دخل النبي مكة، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا·، فجعل يطعنها بعود في يده، وجعل يقول:(جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ) الآية».

(5) سبق الكلام في لام الصيرورة (لام العاقبة)، وذكر خلاف النحاة فيها ص(144).

(6) في (ك): (ليضلوا غيرهم وما في القرآن).

(7) وذلك في خمسة مواضع من كتاب الله تعالى، الأول: في يونس، وهو قوله تعالى (رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ)، فقرأها عاصم وحمزة والكسائي وخلف بالضم، وغيرهم بالفتح، والموضع الثاني هو هذا الذي في سورة إبراهيم ، الموضع الثالث في سورة الحج (لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)، والرابع في سورة لقمان (لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)، والخامس في سورة الزمر (لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ)، ففي هذه المواضع الأربعة (موضع سورة إبراهيم فما بعده) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، وقرأ الباقون بضمها. وتوجيه القراءتين كما بينه المؤلف. انظر: الهداية 5/3816،3815، والبحر المحيط 5/414، والنشر 2/224،197.

التهديد[1].

ثم وعظ المؤمنين، ثم ذكرهم بالنعم في إنزال المطر، وتسخير الفلك، أي: السفن، وخلق الأنهار العذبة، كالنيل والفرات وغيرهما، وتسخير الشمس والقمر ﴿دَآئِبَيْنِ﴾[الآية:33] أي: دائمين إلى أن تنقضي الدنيا، متعاقبين لمصالح العباد[2]، والليل للسكون والراحة، والنهار للمعاش والمصالح.

وقوله:﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[الآية:34] أي: أعطاكم ما تطلبون منه، واستجاب دعاءكم، و﴿مِّن﴾ هنا قيل: للتبعيض، لأن الإنسان لا يعطى كل ما يسأل، وقيل: معناه: وآتى كل إنسان مما يسأل الناس، فالتبعيض لأن السؤال إضافة إلى جميع الناس[3].

وقرئت في الشواذ بتنوين (كلٍ)[4]، ومعناه: وآتاكم من كل شيء وما سألتموه، فتكون (ما) نافية، قاله الضحاك[5]، وقال الحسن: (ما) بمعنى: الذي، فتكون بدلاً من (كل)[6].

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ﴾ أي: نعم الله[7]﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ أي: لا تعلمون عددها[8] لكثرتها[9]، فإن نعمه في دفع البلايا لا تحصى.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ أي: ظالم، وهو الكافر، يشكر غير المنعم،

(1) انظر: تفسير الطبري 7/456، والجامع لأحكام القرآن 9/312.
(2) انظر: المحرر الوجيز 3/339، والجامع لأحكام القرآن 9/313.
3) انظر هذه الأقوال في معنى الآية في: تفسير الطبري 7/458، وزاد المسير ص 747، والجامع لأحكام القرآن 9/313.
(4) رويت عن ابن عباس والضحاك والحسن. انظر: المحتسب 2/38، والبحر المحيط 5/416.
(5) رواه الطبري في تفسيره 7/459.
(6) رواه الطبري في تفسيره 5/458.
(7) انظر: معالم التنزيل 2/563.
(8) في (ك): (عدداً).
(9) انظر: الكشاف 2/536، والمحرر الوجيز 3/340.
(10) في (ك): (في غير محله).

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه[10](كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾)أي: كثير الكفر[1].

قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ)[الآية:35]أي: واذكروا نعمة ربكم في إجابة دعوة أبيكم إبراهيم إذ قال[2]:(رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا) أي: حرما، يأمن فيه الخائف[3](وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ)[أي: وجنبني][4] أنا وأولادي عن عبادة الأصنام، واعصمنا من ذلك[5]، والصنم في اللغة: ما كان مصوراً، وما لم يصور فهو وثن[6].

(رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ)[الآية: 36] معناه: أن الأصنام سبب إضلال كثير من الناس، فهو كقولهم: فتنه ماله، أي: كان سبب فتنته[7](فَمَن تَبِعَنِي) أي: أطاعني ووافقني على الإيمان[8] (فَإِنَّهُۥ مِنِّي) أي: من أهل ديني[9] (وَمَنْ عَصَانِي) فكفر بك فإنك أنت الغفور الرحيم، أثنى على الله بذكر الرحمة، ولم يقل: ومن عصاني فاغفر له، لكن فيه تعريض للطلب[10]، كقول عيسى عليه السلام: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾)[11]، فإنه ذكر الجواز العقلي، فمعناه: لو شئت لغفرت لهم، ولم يصرح بالدعاء[12]،

---

1) انظر تفسير قوله تعالى (إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾) بنحو ما ذكر المؤلف في: تفسير الطبري 7/459، ومعاني القرآن للزجاج 3/164، والهداية 5/322، والتفسير الكبير 19/103، والجامع لأحكام القرآن 9/313.

2) هذا تقدير حسن، نظر فيه المؤلف إلى مناسبة السياق، وأنه في معرض الامتنان عليهم بالنعم، فناسب أن قدر هذا التقدير، ولم أقف عليه عند غيره، بل قدره غالب المفسرين بقولهم: واذكر يا محمد إذ...انظر: تفسير الطبري 7/460، والمحرر الوجيز 3/340، وتفسير النسفي 1/326، وروح المعاني 7/220، والتحرير والتنوير 12/260.

(3) انظر: تفسير الطبري 7/460، والكشاف 2/536.

(4) سقطت من (م).

(5) انظر: الهداية 5/3823، والمحرر الوجيز 3/341.

6) هذا قول مجاهد، وقد رواه الطبري في تفسيره 7/ 460 من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقد مضى الكلام على صحة هذا الإسناد ص(222).

(7) انظر: معالم التنزيل 2/562، والمحرر الوجيز 3/341.

(8) في (ك): (في الإيمان). وانظر المعنى في: تفسير الطبري 7/460.

(9) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/314.

10) وقد اختلف العلماء في توجيه سؤال إبراهيم عليه السلام، فقيل: هذا لا يدل على أكثر من رد أمرهم إلى الله عالى، وليس فيه تجويز وقوع ذلك، وهذا قول ابن كثير، وقيل: أراد: ومن عصاني ثم تاب، وقيل: من عصاني بما دون الشرك، وقيل: كان ذلك قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك، وظاهر كلام الطبري أن الآية على ظاهرها كما قال المؤلف، وقد فرّق ابن القيم بين خطابي إبراهيم وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فخطاب عيسى جاء في يوم القيامة، وليس المقام بمقام استعطاف وإمكان للتوبة، وأما خطاب إبراهيم فما زال في وقت الإمهال وإمكان التوبة، ولذا ساغ التعريض بطلب المغفرة متضمناً طلب الهداية لهم. انظر: تفسير الطبري 7/461،460 ، والهداية 5/3824، ومعالم التنزيل 2/564،563، ومدارج السالكين 1/52،51، وتفسير ابن كثير 2/560.

(11) سورة المائدة، الآية (118).

(12) مضى ذلك ص(94).

وهذا يدل على أن عيسى وإبراهيم عليهما السلام كان الغالب عليهما الرجاء والنظر إلى سعة رحمة الله تعالى، ويجوز أن تكون الرحمة هنا الإمهال في الدنيا[1].

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي [بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ][2]﴾ [الآية:37] يعني: إسماعيل حين أتى به وبأمه هاجر، فتركهما في مكة، وهي واد ليس فيه زرع، فلما ولى تبعته هاجر، وقالت: ربك أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا، فلما استوى إبراهيم على ثنية كداء[3] أقبل على الوادي، ودعا بهذه الدعوات المذكورة في هذه الآية، ومضى، وكان سبب ذلك مخاصمة زوجته[4] سارة عند ولادة إسماعيل لما حصل عندها من الغيرة، ثم إن هاجر لما عطشت قامت، فصعدت، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبعاً، ثم أتت إلى إسماعيل، فوجدت زمزم عينا أنبعها الله تعالى لهما، فجعلت تجمع التراب حول الماء وتقول: زم زم، فلولا ذلك كانت عينا جارية، ثم إن قوما من جرهم نزلوا عندها، وكبر إسماعيل عليه السلام، وتزوج منهم[5].

وقوله: ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ أي: المعظم، ذو الحرمة[6]، وهو المسجد الحرام، وكان موضعه معظما معروفاً من لدن آدم عليه السلام، حتى بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام[7]، وقد تقدم ذكره في سورة البقرة[8].

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أسكنتهم عند بيتك المحرم ليعبدوك[9]﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ

(1) انظر: التفسير الكبير 19/106.
(2) سقطت من (م).
3) هي المعروفة اليوم بريع الحجون. انظر: فتح الباري 3/552، وأطلس الحديث النبوي ص 314. والثنية هي العقبة، وهي الطريق في الجبل. انظر: القاموس المحيط (ع ق ب) (ث ن ي) ص1268،116.
(4) في (ك): (مخاصمته مع زوجته).
(5) هذا ملخص القصة كما رواها البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون: النسلان في المشي (3365،3364) 6/478-482.
(6) انظر: الهداية 5/3828، والكشاف 2/537.
(7) اختلف المفسرون في توجيه دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام هنا، فقيل: كان موضعه معروفاً قديماً، ذلك على ما روي: قبل الطوفان، وقيل: هذا دعاء ثان متأخر زمناً عن الدعاء الأول، وقيل: دعا إبراهيم بما أعلمه الله أنه سيبني هنا البيت. والله أعلم بالصواب. انظر: المحرر الوجيز 3/341، والجامع لأحكام القرآن 9/316، وتفسير ابن كثير 2/560.
(8) انظر اللوحات (25-27) من النسخة (م).
(9) انظر: تفسير الطبري 7/465، والبحر المحيط 5/421.

﴿ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: اجعل قلوب الناس تشتهي الإتيان إليهم[1]، و﴿تَهۡوِيٓ﴾ بمعنى: تأتي، قال ابن عباس: معناه: اجعل القلوب تحب حج البيت، فلذلك قلوب المسلمين تشتهي الحج[2].

وقال ابن جبير: لو قال: أفئدة الناس لحج اليهود والنصارى، وازدحمت عليه فارس والروم، ولكن قال: ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[3]، و﴿مِّنَ﴾ للتبعيض[4].

وقرأ مجاهد: (تهوى إليهم) بفتح الواو، ومعناه: تشتهي[5].

﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يقال: إن الله تعالى استجاب دعوته، فجعل حول مكة أودية حسنة، تأتي إليها منها الثمرات[6]، ويقال: إن الطائف اقتلعت من أرض فلسطين إجابة لدعوته[7].

ثم أثنى إبراهيم على الله تعالى بوصف العلم، ثم حمده شكراً على أن رزقه [إسحاق من سارة بعد كبرهما، ورزقه][8] إسماعيل من هاجر، ثم سأل الله تعالى أن يجعله ممن يقيم الصلاة حتى يتوفاه، وأن يكون من ذريته من يقيم الصلاة، ثم سأل الله قبول دعائه، قيل: معناه: قبول عبادته[9]، ثم استغفر لنفسه، ولوالديه، وللمؤمنين كلهم إلى يوم القيامة.

وقوله[10]: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ۝٤١﴾[11].

---

(1) انظر: معالم التنزيل 2/565، والكشاف 2/537.

2) روى الطبري في تفسيره 7/466 أثراً قريباً منه عن ابن عباس، ولفظه: «لو كان إبراهيم قال فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم، ولكنه قال: ﴿أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾».

(3) رواه الطبري في تفسيره 7/465.

(4) انظر: المحرر الوجيز 3/342، والبحر المحيط 5/421.

(5) انظر القراءة ومعناها في: الهداية 5/3830، والبحر المحيط 5/422.

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/319.

(7) رواه الطبري في تفسيره 7/466 بسنده عن محمد بن مسلم الطائفي، ومثل هذا لا يصح أن يقال إلا بوحي، ولم يردنا ما يدل عليه من الوحيين.

(8) سقطت من (ك).

(9) هذا قول الطبري وغيره، وقيل: الآية على ظاهرها: سأل الله أن يجيب دعاءه، وهذا قول ابن كثير. انظر: تفسير الطبري 7/467، ومعالم التنزيل 2/566، وتفسير ابن كثير 2/561.

(10) في (ك): (قوله) دون واو.

(11) لم يتبين لي مقام هذه الجملة التي أوردها المؤلف.

واستغفاره[1] لأبويه كان قبل مماتهما رجاء أن يسلما، وقيل: عنى بذلك آدم وحواء[2]، [وقرئت][3]: (ولولدَيَّ) يعني: إسماعيل وإسحاق[4].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[الآية:42] هذا خطاب للرسول ﷺ، والمراد غيره، ومعناه: لا تحسبوا أيها الناس أن الله يغفل عن مجازاة الكافرين وتركهم[5]﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ ﴾أي][6]: يؤخر عقوبتهم ليوم القيامة[7]، يوم ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ أي: تبهت وتسكن من الخوف فلا تَطْرِف[8]، فيقومون ﴿مُهْطِعِينَ ﴾[الآية:43] أي: مسرعين إلى نفخة الصور، وقيل: المُهطِع: الذي يديم النظر[9].

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾أي: رافعي رؤوسهم إلى السماء، لينظروا ما يأتيهم من السماء، فلا يطرقون إلى الأرض، وأصل الإقناع: الرفع، ومنه المِقنَعة، وهي: القناع الذي[10] يُرفع على الرأس، [ومنه: القناعة: رفع النفس عن ذل الطلب[11]، حكى أبو العباس[12]: أقنع: أي: رفع رأسه][13]، وأقنع: أي: طأطأ رأسه ذلاً وخضوعاً[14]، والآية تحتمل

(1) في (ك): (استغفاره) دون واو.
(2) انظر: زاد المسير ص 749، والتفسير الكبير 19/110.
(3) سقطت من (ك).
4) قراءة شاذة، وقد رويت عن ابن مسعود وأبيّ والنخعي والزهري. انظر: المحتسب 2/40، وزاد المسير ص 749، والبحر المحيط 5/423.
5) في (ك): (وتركهم). وأما الخطاب فقد قيل بما قاله المؤلف، وقيل: الخطاب على ظاهره، والمراد تثبيته على ما كان عليه. انظر: تفسير الطبري 7/467، والمحرر الوجيز 3/344، والتفسير الكبير 19/111.
(6) سقطت من (م).
(7) انظر: الهداية 5/3833، وزاد المسير ص 749.
8) الطرف: مصدر طرَف، وهو تحريك الجفون في النظر، وهو المراد هنا، ويطلق على العين. انظر: معجم مقاييس اللغة (ط ر ف) 3/449،447. وانظر معنى الآية بنحو قول المؤلف في: معالم التنزيل 2/567، وزاد المسير ص 749.
(9) انظر القولين في: تفسير الطبري 7/468، والكشاف 2/541.
(10) في (م): (التي).
(11) انظر: الهداية 5/3836،3835، والجامع لأحكام القرآن 9/322.
(12) هو المبرد، وقد سبق التعريف به.
(13) سقطت من (ك).
14) ولكن حمل الإقناع على معنى الرفع عند المبرد إنما هو لما يعقبه من الطأطأة، قال المبرد في معنى هذه الآية:«ومن قال: هو الرافع رأسه فتأويله عندنا أنه يتطاول فينظر، ثم يطأطئ رأسه، فهو بعد يرجع إلى الإغضاء والانكسار». الكامل 2/112.

المعنيين[1].

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾أي: لا يرجع إليهم نظرهم؛ لأن أبصارهم شاخصة، وقيل: معناه: لا ينظر بعضهم إلى بعض[2].

﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣﴾ أي: قلوبهم ليس فيها شيء من الطمأنينة والأمن، فهي كالهواء[3]، قال ابن عباس: معناه: خراب[4]، كما يقال: ليس في البيت شيء، إنما هو هواء[5].

قال ابن زيد: معناه: ليس فيها عقل ولا منفعة[6].

وقال ابن جبير: معناه: أفئدتهم تمر في أجوافهم، ليس فيها مستقر من شدة الخوف يوم القيامة[7].

وقال قتادة والسدي: معناه: أن قلوبهم تخرج حتى تصير في حناجرهم، فتثبت، فلا تخرج، ولا ترجع إلى مكانها[8].

وأصل الهواء: المجوف الخالي[9].

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾[الآية:44]أي: خوفهم بيوم القيامة، فـ﴿يَوْمَ﴾مفعول، وليس بظرف[10]﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ [رَبَّنَآ][11]أَخِّرْنَآ ﴾أي: ردنا إلى الحياة الدنيا، وأخر عنا العذاب[12] نستجب لما دعوتنا، فنؤمن بك، ونتبع رسلك، فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ

---

(1) انظر: الهداية 5/3835، والمحرر الوجيز 3/344.
(2) انظر القولين في: تفسر الطبري 7/470، وزاد المسير ص 750.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/568، والمحرر الوجيز 3/344.
4) رواه الطبري في تفسيره 7/471 عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وقد مضى الكلام على ضعف هذا الطريق ص(142).
(5) قاله مجاهد. انظر: تفسير الطبري 7/471.
(6) رواه الطبري في تفسيره 7/471.
(7) رواه الطبري في تفسيره 7/471.
8) أثر قتادة رواه عبد الرزاق في تفسيره 1/343 من طريق معمر، وقد مضى الكلام على هذا الطريق ص(257). وأما أثر السدي فقد ذكره مكي في الهداية 5/3837، ولم أقف عليه مسنداً.
(9) انظر: تفسير الطبري 7/472، ومعالم التنزيل 2/568.
(10) انظر: معالم التنزيل 2/568، والكشاف 2/543، والبحر المحيط 5/424.
(11) سقطت من (م).
(12) انظر: الكشاف 2/543، والجامع لأحكام القرآن 9/323.

أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ) أي: ألم تكونوا حلفتم في الدنيا أنكم لا تبعثون؟ (مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾) قيل: معناه: كنتم تحلفون أنكم لا تبرحون، ولا تخرجون من قبوركم[1].

(وَسَكَنتُمۡ)[الآية:45] أي: أولم تكونوا سكنتم في مساكن الكفار (ٱلَّذِينَ[ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ)] أي: الذين][2] هلكوا قبلكم (وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ[فَعَلۡنَا بِهِمۡ) كيف][3] أهلكناهم، كمساكن قوم نوح وعاد وثمود (وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾) أي: أوضحنا لكم الحجج بإهلاكهم[4].

وهذا كله تهديد لمن كفر بمحمد ﷺ، ثم أخبر الله عن كفر مشركي العرب وغيرهم فقال: (وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ)[الآية: 46]أي: أشركوا بالله كشرك من تقدم[5](وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ)أي: وعند الله ما مكروا، وعنده جزاء مكرهم[6].

﴿وإن كان مكرهم ل·تزول· منه الجبال﴾ بفتح اللام: تعظيم وتهويل، ومعناه: كادت الجبال أن تزحزح عن أماكنها لعظم كفرهم، وقبح قولهم، فهو كقوله تعالى: (تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾)[7] أي: من أجل نسبتهم الولد إلى الله تعالى، ومن قرأ (لِتَزُولَ)بكسر اللام الأولى ونصب الثانية، فهو تضعيف لمكرهم، وإخبار بأنه لا ينقص من ملك الله شيئا·، وتكون (وَإِن)بمعنى (ما) النافية، فتقديره: ما كان كفرهم بالذي يزيل الجبال، بل هو أقل وأضعف، وقيل: الجبال كناية عن الإسلام والقرآن، فمعناه: ما كان كفرهم بالذي يبطل القرآن الذي هو

---

1) الذي عليه جمهور المفسرين هو ما ذكره المؤلف: أن المراد: أنهم أقسموا أنهم لا ينقلون من الدنيا إلى لآخرة، ولا يبعثون ولا يحشرون، وقد ذكره المؤلف مرتين بعبارتين مختلفتين والمؤدى واحد، وقال بعض لعلماء: (مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾) أي: من العذاب. انظر: تفسير الطبري 7/473، والمحرر الوجيز 3/345، والتفسير الكبير 19/113، والجامع لأحكام القرآن 9/323.

(2) سقطت من (م).

(3) سقطت من (م).

(4) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 7/473، والتفسير الكبير 19/113 ، والجامع لأحكام القرآن 9/324.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن 9/324، والبحر المحيط 5/425.

(6) انظر: معالم التنزيل 2/568، وزاد المسير ص751.

(7) سورة مريم، الآيتان (91،90).

ثابت لا يبطل أبداً، فهو كقوله: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾[1].

قوله: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾[الآية:47]أي: لا تحسبوا أيها الناس أن الله يخلف وعده [في][2] نصر الرسل على أعدائهم[3]، بل ينصرهم، فإنه عزيز غالب، منتقم من أعدائه في يوم تبديل الأرض وتبديل السماوات[4].

قال علي وابن عباس وأنس: تبدل الأرض بأرض بيضاء كالفضة، لم يعمل عليها خطيئة[5].

وقال الحسن: تبدل السماء أيضاً بسماء كالفضة[6].

وقال ابن مسعود: تبدل ناراً، ويكون أولياء الله في ظل تحت العرش، والذي نفس عبد الله بيده إن عرق الرجل ليسيح في الأرض تسع قامات، ثم يلجمه، وما ناله الحساب[7].

---

1) سورة الصف، الآية (8). وقد قرأ الكسائي بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، وقرأ الباقون بضم اللام الأولى ونصب الثانية. انظر القراءتين وتوجيههما بنحو ما ذكر المؤلف في: الحجة لأبي علي الفارسي 3/18، والهداية 5/3843،3842، والبحر المحيط 5/426، والنشر 2/225.

(2) سقطت من (ك).

(3) يسري في هذا الموضع الخلاف الذي تقدم قبل قليل عند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، فقيل: الخطاب للنبي ، ويراد به تثبيته، وقيل: الخطاب للنبي والمراد أمته. انظر: تفسير الطبري 7/478، والمحرر الوجيز 3/346، والتفسير الكبير 19/115.

4) في (ك): (في يوم يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات). ومراد المؤلف أن لفظة (يَوْمَ) ظرف لانتقام الله منهم، وفي إعرابها وجوه أخرى. انظر: معاني القرآن للزجاج 3/169، والكشاف 2/544.

5) رواه عنهم الطبري في تفسيره 7/481،480، وسنده عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وقد مضى الكلام على ضعف هذا الطريق ص(142).

6) كذا في الهداية 5/3845 وهو وهم، يبينه إيراد لفظ الطبري في تفسيره 7/480 حيث قال:«حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثنا الحسن بن حمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء جميعا،، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ال: أرض كأنها الفضة، زاد الحسن في حديثه عن شبابة: والسموات كذلك أيضا كأنها الفضة». فواضح من كلام الطبري أن الحسن هنا هو الحسن بن محمد شيخ الطبري، وقد زاد في حديثه عن شبابة، والقول قول مجاهد.

(7) رواه بنحوه الطبري في تفسيره 7/481،480، وانظر: الهداية 5/3845.

وفي الحديث: «إن الأرض تبدل خبزة بيضاء، يأكل المؤمن تحت قدمه»[1].

وقيل: تبديل الأرض: تسيير جبالها، وتفجير بحارها، وتبديل السماء: تكوير شمسها، وخسف قمرها[2].

وروي أن الله تعالى يزجر الخلق زجرة، فإذا هم في مواضع من تلك المبدلة، مثل ما كانوا في الأولى: ما كان على ظهرها فعلى ظهرها، وما كان في بطنها فعلى بطنها[3].

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾[الآية:48] أي: خرجوا من قبورهم، وظهروا للوقوف بين يدي الواحد القهار[4].

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[الآية:49] أي: الكافرين[5] في ذلك اليوم ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾[6]، أي: تقرن أيديهم وأرجلهم بالسلاسل، وتجعل في أعناقهم، فالأصفاد: القيود والسلاسل[7].

﴿ سَرَابِيلُهُم ﴾[الآية:50] أي: ثيابهم، جمع سربال[8]﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ هو القطران المعروف الذي يسيل من الخشب المحرق[9]، يخلق لهم شيء يشبهه، ويدهن به الكافر لتشتعل فيه النار، قاله الحسن[10]، وقال ابن عباس وعكرمة: القطران: النحاس المذاب[11].

---

1) أورده الطبري في تفسيره 7/481، ومكي في الهداية 5/3846 كلاهما عن سعيد بن جبير مقطوعاً، وليس رفوعاً، ولعل مراد المؤلف بالحديث المرفوع ما رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب يقبض الله لأرض (6520) 12/452، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (2792) 6/276. ولفظ البخاري:« ال النبي :«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة »، فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم قيامة؟ قال:«بلى»، قال: تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال النبي ، فنظر النبي إلينا، ثم ضحك حتى بدت واجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً».

(2) انظر: معالم التنزيل 2/571، وزاد المسير ص 751.

3) هذا جزء من حديث الصور، وقد مضى عزوه وذكر كلام العلماء عليه ص(125). وقول المؤلف «فعلى بطنها»، كذا هو في النسختين، والأقرب أن تكون سهواً، وأصلها (ففي بطنها).

(4) انظر: معالم التنزيل 2/571.

(5) في (م): (الكافرون).

(6) في (ك): (في ذلك اليوم يومئذ مقرنين في الأصفاد).

(7) انظر تفسير هذه الآية بنحو تفسير المؤلف في: تفسير الطبري 7/484، ومعالم التنزيل 2/570.

(8) انظر: زاد المسير ص752.

(9) انظر: لسان العرب (ق ط ر) 11/214، والمعجم الوسيط ص 744.

10) رواه مختصراً الطبري في تفسيره 7/485 بلفظ:«قطران الإبل» وفي رواية أخرى بلفظ: «يعني خضخاض هناء الإبل». وليس فيه أنه يخلق لهم يوم القيامة شيء يشبهه، ولا مانع من أن يخلق الله جل وعلا عين القطران هناك، وليس ما يشبهه.

(11) هذا التفسير ليس على هذه القراءة بل هو على قراءة رويت عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما (قطِرٍ آنٍ). نظر القراءة وضبطها وما حكاه المؤلف عن ابن عباس وعكرمة وأنه تفسير لتلك القراءة في: تفسير الطبري 7/486،485، والبحر المحيط 5/428.

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾[الآية:52]أي: هذا القرآن فيه بلاغ وبيان للناس [﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي][1]: ليخوفوا به ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وليوحدوا الله ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾ أي: ليتعظ [﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾][2] أولو العقول، ولب كل شيء خاصه وخالصه[3].

---

(1) سقطت من (م).
(2) سقطت من (م).
(3) انظر تفسير هذه الآية بنحو ما فسرها به المؤلف في: تفسير الطبري 7/487، والهداية 5/3852، 3851، والجامع لأحكام القرآن 9/330، 329.

سورة الحجر

مكية[1].

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[الآية:1]أي: هذه الآيات آيات الكتب المتقدمة آيات هذا القرآن، ومعناه: التوحيد، وذكر صفات الكمال لله، ونفي النقائص عنه سبحانه وتعالى، وذكر البعث والثواب والعقاب في جميع الكتب المنزّلة سواءً، يصدق بعضه بعضاً[2]، وسمي القرآن مبيناً لأنه يبين طريق الرشاد[3].

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ [ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ][4]﴾ [الآية:2]هذا ظاهره الترجي، ومعناه: إخبار أن الكفار يتمنون أنهم ﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾[5]، وذلك عند الموت، وقيل: عند معاينة أهوال القيامة، وقيل: عند خروج عصاة المسلمين من جهنم، وحين يسمعون النداء: من كان مسلماً فليدخل الجنة[6].

﴿ ذَرۡهُمۡ ﴾أي: اتركهم ﴿يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ في الدنيا، ﴿وَيُلۡهِهِمُ﴾طول الأمل عن العمل الصالح ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾عاقبة مكرهم، وهذا كله تهديد ووعيد[7].

﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ ﴾ أي: أهل قرية كافرين من المتقدمين[8] [﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤﴾ أي: إلا ولإهلاكهم][9] أجل، فلما حضر الأجل أهلكناهم، فكذلك كفار قومك يا

---

(1) بغير خلاف. انظر: زاد المسير ص753، والإتقان 1/29.

2) هذا قول الطبري في تفسيره 7/488، وقد مضى الكلام على هذا القول وأن أكثر المفسرين على غيره في أول تفسير سورة يونس، حيث ذكر المؤلف هناك هذا القول، وذكر القول المشهور، وهو أن المراد: تلك الآيات المنزلة عليك هي آيات القرآن.

(3) انظر: تفسير الطبري 7/488.

(4) زيادة من (ك).

(5) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/172، والتفسير الكبير 19/121.

6) روى الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (3345) 2/384 بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما يزال الله يشفع، ويدخل الجنة، ويرحم، ويشفع حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة، فذاك حين يقول:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾»، وقد صححه الحاكم والذهبي في تلخيصه، وانظر: السنة لابن أبي عاصم (843) ص392، 391.

وانظر الأقوال التي حكاها المؤلف في زمن تمنيهم في: معالم التنزيل 2/573، والبحر المحيط 5/433.

(7) انظر: تفسير الطبري 7/492، وتفسير ابن كثير 2/567، 566.

(8) انظر: تفسير الطبري 7/492.

(9) في (م): (إلا ولهلاكهم).

محمد[1].

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: ما تسبق أمة أجلها؛ فتهلكُ قبل الأجل [﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾][2] فتبقى بعد حلول الأجل[3].

﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: مشركو قومك[4]﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى [نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ أي][5]: يدعي أن الذكر نزل عليه[6]﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ صدق الله

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾[الآية:7]أي: لم لا تأتينا بالملائكة[7] نعاينهم ليصدقوك[8].

ثم رد الله عليهم فقال: ﴿ما تَنَزّلُ الملائكةُ إلا بالحق﴾[9] أي: إنما تتنزل[10] الملائكة بالوحي للرسل بإهلاك قوم[11]﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ أي: مؤخّرين ، ومعناه: لو أتتهم الملائكة وعاينوهم[12] لهلكوا من وقتهم؛ لأن الله أجرى سنته أن كل أمة طلبت آية فأجيبت إلى ما طلبت ثم كفرت عجل لها العذاب، ولذلك لم يجب الله قريشاً لما طلبوا؛ لأن مراده إمهالهم[13]، وهذا[14] معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾[15] أي: إلا تكذيب الأولين وإهلاكهم[16].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ أي: القرآن[17]﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ أي: لا يقدر أحد يزيد فيه، ولا

---

(1) انظر: التفسير الكبير 19/124، وتفسير ابن كثير 2/567.
(2) في (م): (ولا تستأخر).
(3) انظر: زاد المسير ص754، والجامع لأحكام القرآن 10/7.
(4) انظر: معالم التنزيل 2/575.
(5) ساقط من (م).
(6) انظر: الكشاف 2/549، والجامع لأحكام القرآن 10/7.
(7) في (م): (ملائكة).
(8) انظر: تفسير الطبري 7/492، والمحرر الوجيز 3/351.
(9) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب. انظر: النشر 2/226.
(10) في (ك): (تنزل).
(11) كذا في النسختين، والظاهر أن صوابها: بالوحي للرسل وبإهلاك قوم، والمعنى: أن الملائكة إنما تنزل لأحد هذين الأمرين. انظر: تفسير الطبري 7/493.
(12) في (ك): (ومعناه لو عاينوهم).
(13) انظر: تفسير الطبري 7/493، والتفسير الكبير 19/126.
(14) في (ك): (وهو).
(15) سورة الإسراء، الآية (59).
(16) انظر: الكشاف 2/647.
(17) انظر: معالم التنزيل 2/575، والجامع لأحكام القرآن 10/8.

ينقص منه[1].

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠﴾ أي: [في][2] قرون الأولين وأممهم، ومعناه: أنك أرسلت كما أرسل من قبلك[3].

﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ أي: ندخل الاستهزاء والتكذيب في قلوب كفار قومك كما خلقناه ﴿فِي قُلُوبِ [ٱلۡمُجۡرِمِينَ][4] ١٢﴾ الأولين[5].

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن[6] ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾ أي: وقد مضت عادة الأولين في التكذيب، فهم يقتدون بهم، وفي هذا تسلية للرسول عليه السلام[7]، وقيل: هو تخويف للكفار، ومعناه: قد مضت سنة الله في إهلاك المكذبين الأولين؛ فلا تأمنوا أن يحل بكم ما حل بهم[8].

ثم أخبر الله [تعالى][9] أن المشركين لا يؤمنون ولو عاينوا الملائكة، فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ [فِيهِ يَعۡرُجُونَ][10] ١٤﴾ أي: فصار الملائكة يصعدون فيه، [وهؤلاء يعاينونهم لقالوا: هذا سحر، وقيل: الضمير في (ظلوا) للكفار، أي: فصار الكفار يصعدون][11] إلى السماء ويعاينونهم[12].

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾[الآية:15] أي: غشيت وغطيت بالسحر، ومنه: السكر، لأنه غشاء على العقل، وقيل: ﴿سُكِّرَتۡ﴾ سددت من قولهم: سكّرْت الباب، أي: أغلقته[13]،

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/493.
(2) سقطت من (ك).
(3) انظر: زاد المسير ص755، والتفسير الكبير 19/128.
(4) سقطت من (م).
(5) انظر: تفسير الطبري 7/495، والتفسير الكبير 19/129.
(6) وقيل: بالرسول، وقيل: بالعذاب. انظر: زاد المسير ص 755، والبحر المحيط 5/436.
(7) كذا في النسختين.
(8) انظر القولين في: الهداية 6/3868،3867، والتفسير الكبير 19/131.
(9) سقطت من (ك).
(10) ساقط من (م).
(11) ساقط من (ك).
(12) في (ك): (ويعاينوهم). وانظر القولين في: تفسير الطبري 7/497،496، ومعاني القرآن للزجاج 3/175،174.
(13) قوله «سكرت الباب» هو بالشديد والتخفيف. انظر: تاج العروس (س ك ر) 12/67.

وقيل: ﴿سُكِّرَتْ﴾ أخذت، وقيل: حبست، وقيل: عميت، والمعنى متقارب[1]؛ والتشديد في ﴿سُكِّرَتْ﴾ للتكثير، وقرئت بالتخفيف[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾[الآية:16] وهي اثنا عشر برجاً معروفة، تقطعها الشمس في سنة، ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوماً، وهي الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي ، والدلو، والحوت[3]، والبروج في اللغة: القصور[4].

﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ أي: زينا[5] السماء بالكواكب[6].

﴿وَحَفِظْنَـٰهَا﴾[الآية:17] أي: حميناها من استماع الشياطين، وذلك لأجل مبعث محمد ﷺ، حفظت السماء بالشهب حتى لا ينزل خبر من السماء إلا مع الملك، وهو من الأدلة على صدق محمد ﷺ[7]، وهذا مذكور في الصافات وسورة الجن[8].

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ [فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ أي][9]: فإنه يرمى بشهاب ظاهر يلتهب ناراً[10].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ أي: بسطناها بعد أن خلقت مستديرة[11] ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ قيل: هو كل ما يوزن من المعادن والنبات[12].

---

(1) انظر هذه الألفاظ في تفسير الآية في: تفسير الطبري 7/497-499، وزاد المسير ص755.
2) قرأ ابن كثير بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. انظر القراءتين والتوجيه في: الحجة لأبي علي الفارسي 3/25، والنشر 2/226.
(3) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص236، وزاد المسير ص 756.
4) ومن هنا قال بعض العلماء: إن المراد بالآية: ولقد جعلنا في السماء قصوراً. انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص 236، والجامع لأحكام القرآن 10/12، 11.
(5) في (ك): (وزينا).
(6) انظر: تفسير الطبري 7/499.
(7) انظر: المحرر الوجيز 3/355، 354، والتفسير الكبير 19/135، 134.
(8) سورة الصافات، الآيات (6-10)، وسورة الجن، الآيات (8-10).
(9) ساقط من (م).
(10) انظر: الكشاف 2/552، وزاد المسير ص757.
(11) لا يلزم من مدها أنها ليست مستديرة الآن. انظر: التفسير الكبير 19/135.
12) وأكثر المفسرين على أن المعنى: من كل شيء مقدر معلوم. انظر: معاني القرآن للزجاج 3/176، والهداية 6/3874، 3873، والجامع لأحكام القرآن 10/14.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ أي: أقواتاً تعيشون بها[1].

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿وَمَن﴾ في موضع [نصب][2]، وتقديره: وجعلنا فيها من لستم ترزقونه، وهم العبيد والإماء، وقيل: الأنعام، وقيل: الطير والوحش، وقيل: كل حيوان غير الآدمي[3]، وقيل: تقديره: وجعلنا لكم فيها ما تنتفعون به من الحيوانات، ونحن نرزقه[4].

وقيل: ﴿وَمَن﴾ في موضع خفض عطفاً على المضمر [المخفوض][5] في قوله: ﴿لَكُمْ﴾ [وهو جائز عند الكوفيين، وتقديره: جعلنا لكم][6] فيها معايش ولمن[7] لستم ترزقونه أيضاً معايش، أي: أقواتاً[8].

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾[الآية:21] أي: وما من شيء من الأمطار إلا وخزائنه في السماء، وينزله الله بمقدار معلوم، في موضع يشاء، على مقدار ما يشاء[9]، ويقال: إن المطر كل سنة على مقدار واحد، لكن يكثر في أرض، ويقل في أرض[10].

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[الآية:22] أي: حوامل، تحمل السحاب، واللاقح: الحامل، والعرب تسمي الجنوب لاقحاً وحاملاً، وتسمي الشمال حائلاً وعقيماً[11].

وقيل: لاقح هنا بمعنى: ملقِّح، ومعناه: أن الريح تلقح السحاب، أي: تسوق الماء إليه، فيمتلئ، ثم يدر كما تدر اللقحة، فتمطر، قاله ابن مسعود والحسن والضحاك[12].

---

(1) في (م): (أي أقواماً يعيشون بها). وانظر المعنى في: زاد المسير ص757، والجامع لأحكام القرآن 10/15.
(2) سقطت من (م).
(3) انظر هذه الأقوال على القول بأن (مَن) في موضع نصب في: الهداية 6/3875،3874، وزاد المسير ص 757، والبحر المحيط 5/438.
(4) لم يتبين لي الفرق بين هذا القول والذي قبله.
(5) سقطت من (ك). وقد استظهر أبو حيان هذا القول. انظر: الكشاف 2/552، والبحر المحيط 5/438.
(6) ساقط من (ك).
(7) في (م): (ومن).
(8) في (م): (أقواماً).
(9) انظر: تفسير الطبري 7/503، ومعالم التنزيل 2/580.
(10) رواه الطبري في تفسيره 7/504،503 عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(11) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص 237،236، وزاد المسير ص 758.
(12) رواه عنهم الطبري في تفسيره 7/506،505.

وقال عبيد بن عمير[1]: يبعث الله الريح المنشرة، فتقم الأرض قَماً، أي: تكنسها، ثم يبعث المثيرة، فتثير السحاب، ثم يبعث المؤلفة، فتؤلف السحاب، ثم يبعث اللقوح، فتلقح الشجر[2].

و(فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ) أي: جعلناه سقيا لكم وللبهائم وغيرها، يقال: سقيته وأسقيته: بمعنى واحد، وقيل: سقيته: أعطيته ما يشربه، وأسقيته: أعطيته ما يسقيه لدابته، أو أرضه، ونحو ذلك[3].

وقال الخليل وسيبويه: سقيته: أي ناولته ماء يشربه، وأسقيته: أي جعلت له سَقياً دائماً[4]؛ وعلى هذا الخلاف [في][5] قوله تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم)[6]، فمن فتح النون فهو من (سقى)، ومن ضمها فهو من (أسقى)[7].

(وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾) أي: لا تقدرون على أن تخزنوا الماء على قدر حاجتكم، بل يأتي به الله إذا شاء، ويذهبه إذا شاء، وقيل: معناه: لا تقدرون على أن تمنعوه فتصرفوه كما تريدون، بل الله يسقي من يشاء[8].

(وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾) معناه: أن الله تعالى باق بعد فناء خلقه، فلا يبقى لأحد ملك، ويكون الملك كله لله[9]، وكذلك قوله: (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا)[10] أي: ونرث الذين

---

(1) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم، ولد في حياة النبي ﷺ، فمن العلماء من عدة صحابياً، ومنهم من عده من كبار التابعين، مجمع على ثقته. انظر: التاريخ الكبير 5/455، وسير أعلام النبلاء 4/156، وتقريب التهذيب (4416) ص651.

(2) رواه الطبري في تفسيره 7/505.
(3) انظر القولين في: المحرر الوجيز 3/357، وزاد المسير ص759،758.
(4) العين (س ق ي) 5/190، والكتاب 4/59.
(5) سقطت من (ك).
(6) سورة النحل الآية (26)، وسورة المؤمنون، الآية (21).
(7) قرأ -في موضعي سورة النحل وسورة المؤمنون- نافع وابن عامر ويعقوب وشعبة بفتح النون، وقرأ الباقون بضمها غير أبي جعفر فإنه قرأها بتاء مفتوحة. انظر: القراءتين واشتقاقهما في: الحجة لأبي علي الفارسي 3/43،42، والنشر 2/228.
(8) انظر القولين في: تفسير الطبري 7/506، والتفسير الكبير 19/141.
(9) انظر: تفسير الطبري 7/507، والجامع لأحكام القرآن 10/19.
(10) سورة مريم، الآية (40).

عليها، فلا يبقى ملك وله أتباع، ولا سيد وله عبيد، فلا مالك إلا الله[1].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي: المتقدمين من الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: المتأخرين في الزمان، وهم هذه الأمة[2].

وقال ابن عباس: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الذين ماتوا، و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ [الأحياء[3]].

وقال قتادة وعكرمة: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الذين خلقوا، و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾][4]: الذين لم يخلقوا بعد[5].

وقال الحسن: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ السعداء [المطيعين][6]، و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ الأشقياء الكافرين العاصين[7].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [أي][8]: يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة؛ إنه[9] حاكم عليهم، عالم بهم[10].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾[الآية: 26] أي: آدم عليه السلام[11] ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ﴾ أي: من طين يابس، إذا نقر كانت له صلصلة، [أي: صوت][12]، وهذا إذا لم يشو، فأما المشوي فهو الفخار[13]، ومنه قوله: ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾[14].

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن 10/19.
(2) انظر: معالم التنزيل 2/582، وزاد المسير ص 759.
3) رواه الطبري في تفسيره 7/508 من طريق عطية العوفي، وقد مضى الكلام على ضعف هذا الطريق ص(142).
(4) ساقط من (ك).
(5) رواه عنهما الطبري في تفسيره 7/507 من طرق.
(6) سقطت من (ك).
(7) رواه الطبري في تفسيره 7/509.
(8) سقطت من (م).
(9) في (ك): (أنهم).
10) انظر تفسير هذه الآية بنحو تفسير المؤلف في: الكشاف 2/554،553، والتفسير الكبير 19/142. غير أن المشهور الذي أطبق عليه المفسرون تفسير ﴿حَكِيمٌ﴾ أي: حكيم في تدبير أمور خلقه. انظر المصدرين السابقين، وانظر: تفسير الطبري 7/511.
(11) انظر: معالم التنزيل 2/584.
(12) سقطت من (ك).
(13) في (م): (كالفخار). وانظر المعنى في: تفسير الطبري 7/511، والكشاف 2/554.
(14) سورة الرحمن، الآية (14).

وقال الضحاك: الصلصال: طين صلب يخالطه رمل[1].

وقال مجاهد: ﴿صَلۡصَٰلٖ﴾ أي: منتن، من قولهم: صل اللحم: إذا تغير، وأصله : صلال[2].

وقوله: ﴿مِّنۡ حَمَإٖ﴾أي: طين منتن، وهي الحمْأة، وقيل: الحمأ: الطين الأسود[3].

والمسنون[4]: المتغير، وهو من قوله: ﴿[مِّن][5] مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾[6] أي: متغير، وقيل : ﴿مَّسۡنُونٖ﴾أي: رطب مصبوب على مثال مصور، وقيل: ﴿مَّسۡنُونٖ﴾أي: محكوك، من قولهم : سننت الحديد، أي: حككته[7].

﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ﴾أي: وخلقنا إبليس أبا الجن قبل آدم[8]﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾أي: من لهب النار، فتقديره: من نار الإلتهاب[9]، وأصل السموم: الحار الملتهب، ومنه تسمى الريح الحارة: السموم[10].

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾[الآية:28]قبل خلق آدم ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا﴾الآية.

﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ أي: صورته بشراً سوياً لا نقص فيه[11] ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ أي : وجعلت فيه روحي التي خلقتها له[12] ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾أي: فخروا له سجداً، فهو من: وقع يقع، بمعنى: سقط[13].

---

(1) رواه الطبري في تفسيره 7/512،511.

2) رواه الطبري في تفسيره 7/512 عن مجاهد من طريق عيسى بن ميمون وورقاء عن ابن أبي نجيح، وقد مضى الكلام على قوة هذين الطريقين ص (222) وص(280).

(3) هذان قول واحد، وذلك أن الطين إذا تُرك اسود وتغيرت ريحه وأنتن، وقد حكي الإجماع على هذا القول . انظر: زاد المسير ص 760، والجامع لأحكام القرآن 10/22.

(4) في (ك): (الطين الأسود مسنون والمسنون).

(5) سقطت من (م).

(6) سورة محمد ، الآية (15).

(7) انظر هذه الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري 7/512، والتفسير الكبير 19/143.

(8) انظر: تفسير الطبري 7/513.

(9) في (ك): (نار الإلهاب).

(10) انظر: الهداية 6/3890،3889، والجامع لأحكام القرآن 10/24،23.

(11) انظر: معالم التنزيل 2/585، والمحرر الوجيز 3/360.

(12) انظر: معالم التنزيل 2/585، وزاد المسير ص 767.

(13) انظر: المحرر الوجيز 3/360.

فلما خلق الله آدم سجد الملائكة كلهم ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾[1] أي: لكن إبليس لم يسجد[2].

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي: من السماوات[3] ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾ أي: مرجوم مشتوم[4].

قوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨﴾ أي: إلى النفخة الأولى في الصور[5].

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ﴾[الآية:39] أي: لأحسنن لهم المعاصي[6] ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ﴾ أي: أوسوس لهم ليضلوا.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ فلا سبيل لي عليهم.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١﴾ أي: قال الله: هذا صراط مستقيم مرجعه إليّ، وقيل: معناه: هذا الأمر راجع إليّ؛ فأهدي من أشاء، وأضل من أشاء، فلا أثر لوسوستك[7].

وقال مجاهد: هذا أمر مرجعه إليّ؛ فأجازي كلاً بما يعمل[8]، فهو تهديد مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾[9].

وقرئت في الشواذ: ﴿إن هذا صراط عَلِيٌّ﴾ بالتنوين والرفع: من العلو، فمعناه: هذا الدين صراط مرتفع عليٌّ مستقيم[10]، مثل قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[11].

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي: المؤمنين الذين هديتهم ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ [سُلۡطَٰنٌ﴾ أي][12]: سبيل في

---

(1) في (ك): (فسجد الملائكة كلهم أجمعين إلا إبليس).
(2) فالاستثناء منقطع، وعليه فإبليس ليس من الملائكة، خلافاً من قال: إنه كان من الملائكة. انظر: معاني القرآن للزجاج 3/179.
(3) وقيل: من الجنة، وقيل: من زمرة الملائكة، وقيل: من المنزلة التي كان فيها. انظر: معالم التنزيل 2/586، والتفسير الكبير 19/146، وتفسير ابن كثير 2/571.
(4) وقيل: ملعون، وقيل: طريد، وهي أقوال متقاربة. انظر: تفسير الطبري 7/515، ومعالم التنزيل 2/586.
(5) سبق نحو هذا، وسبق التعليق عليه. انظر ص(182).
(6) انظر: المحرر الوجيز 3/362.
(7) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/587، والبحر المحيط 5/441.
8) ذكره في الهداية 6/3897،3896، وقد روى الطبري في تفسيره 7/517 عن مجاهد قال:«الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه، لا يعرج على شيء».
(9) سورة الفجر، الآية (14).
10) هذه القراءة قرأ بها يعقوب من العشرة، وقراءته من القراءات الثلاث المتممة للعشر، وقد أطنب ابن الجزري رحمه الله في بيان تواتر القراءات الثلاث، وسمى من كل طبقة ممن تحقق أنه قرأ بهذه القراءات الثلاث ما يتأكد به التواترُ، ولكنها لم تكن مشهورة قبل عهد ابن الجزري (ت 833هـ)، ولذا وقعت عبارة المؤلف بوصف هذه القراءة بالشذوذ. انظر: منجد المقرئين ص25 وما بعدها، وإيضاح الدرة ص 99،98.
وانظر نسبة هذه القراءة التي ذكرها المؤلف وتوجيهها في: البحر المحيط 5/442، والنشر 2/226.
(11) سورة البقرة، الآية (42).
(12) سقطت من (م).

إفساد إيمانهم ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: لكن من اتبعك من الضالين الكافرين فإن جهنم موعدهم[1].

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾[الآية:44] أي: سبع طبقات، بعضها فوق بعض[2]، [الأولى][3]: العليا: جنهم، وهي أخفها عذاباً، يدخلها من شاء الله تعذيبه ممن مات مصراً على كبيرة من المسلمين، والثانية: لظى، فهي تتلظى على الدوام، أي: تلتهب، والثالثة: الحطمة: تحطم العظام، والرابعة: السعير، والخامسة: سقر، والسادسة: الجحيم، والسابعة: الهاوية، تهوي بساكنها [سفلاً][4]، فلا يستقر أبداً، وكل باب أشد حراً من الذي فوقه بسبعين ضعفاً، فيرمى[5] الكافر من أولها، فيهوي غرقاً في النار، وبين كل باب وبين الذي تحته مسيرة خمس مائة عام، على كل باب من أبوابها أربعة آلاف ملك من ملائكة العذاب، قد نزع الله الرحمة من قلوبهم، لو يطير الطائر من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر[6].

﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: من الكفار[7]﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي: معلوم، أي: عدد من

---

(1) في (ك): (وإن جهنم لموعدهم أجمعين).
وفي هذه الآية قولان للعلماء: الأول ما ذكره المؤلف من أن المراد بـ﴿عِبَادِى﴾ العباد الذين سبق ذكرهم ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾، فيكون المراد بهم المؤمنين دون الكافرين، ويكون قوله تعالى بعدُ ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ استثناء منقطعاً ليس من الأول، والثاني من أقوال العلماء: أن قوله تعالى ﴿عِبَادِى﴾ يشمل العباد جميعاً، ويكون الاستثناء في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ استثناء متصلا، إلا أنه يشكل عليه أن أكثر النحويين لا يجوزون أن يكون المستثنى أكثر من نصف المستثنى منه، ومعلوم أن الغاوين من العباد هم أكثر من في الأرض، وهذا مذهب البصريين من النحاة، وخالفهم الكوفيون، فأجازوا ذلك. انظر: المحرر الوجيز 3/362، والبحر المحيط 5/442، وتفسير ابن كثير 2/571.
(2) انظر: تفسير الطبري 7/518، وزاد المسير ص 761.
(3) سقطت من (م).
(4) سقطت من (ك).
(5) في (ك): (فيرقى).
(6) ما ذكره المؤلف هنا في دركات النار وتسميتها وذكر بعض أوصاف أهلها هو ملخص أثرين ذكرهما مكي في الهداية أحدهما عن عكرمة مقطوعاً، والآخر عن وهب بن منبه عن ابن عباس أو كعب، وجاء شيء من هذا أيضاً عن الأعمش وابن جريج، وهو مشهور عند المفسرين غير أنه ما لم يصح فيه شيء عن المعصوم فلا يصح الجزم به. انظر: الهداية 6/3901،3900، والمحرر الوجيز 3/363، وزاد المسير ص 762،761، والجامع لأحكام القرآن 10/29، وتفسير ابن كثير 2/572.
(7) انظر: زاد المسير ص 762.

الناس[1]، وقيل: إن لكل طائفة من الكفار (جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾)[2] من العذاب على قدر جرائمهم[3].

قوله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾) قال ابن عباس: الجنات سبع[4]: جنة الفردوس، وجنة عدن، وجنة النعيم، وجنة الخلد، وجنة المأوى، ودار السلام، ودار الخلود[5].

يقال للمؤمنين: (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾) أي: بسلامة من كل آفة وعاهة، وآمنين فيها من كل ما كانوا يخافون[6].

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ) ينزع من قلوبهم الغل والحسد وكل خلق ذميم قبل دخولهم الجنة، فيكونون في الجنة إخواناً، أي: أحباباً متوادين (عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾) لا يستدبر أحدهم صاحبه، وسرر وأسرة: جمع سرير[7].

(لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ)[الآية:48] النصب: الألم الحاصل من مرض أو تعب[8].

(نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾) أي: أخبر الناس بحلمي وسعة رحمتي (وَأَنَّ عَذَابِي) للكفار (هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾) أي: المؤلم، فمعناه: وأخبرهم بشدة عقوبتي وسطوتي، ففي هذا ترغيب وتخويف.

(وَنَبِّئْهُمْ)[الآية:51] أي: أخبرهم عن قصة أضياف إبراهيم من الملائكة[9]، وقد مضت قصتهم في سورة هود[10].

---

(1) انظر: التفسير الكبير 19/152، وروح المعاني 7/296.
(2) كذا في النسختين بالرفع، على حكاية لفظ الآية، وكان حقها ـلو كانت من لفظ المؤلف ـ النصب.
(3) لم أقف على هذا القول في مظانه من كتب التفسير.
(4) في (ك): (سبعة).
(5) ذكره في الهداية 6/3903، والجامع لأحكام القرآن 8/296، ولم أقف عليه مسنداً.
(6) انظر: زاد المسير ص 763، والجامع لأحكام القرآن 10/31.
(7) انظر تفسير الآية بنحو تفسير المؤلف في: معالم التنزيل 2/588، والتفسير الكبير 19/153.
(8) انظر: التفسير الكبير 19/153، والجامع لأحكام القرآن 10/32.
(9) انظر: معالم التنزيل 2/589، والمحرر الوجيز 3/365.
(10) انظر ص(412) وما بعدها.

﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢﴾ أي: خائفون ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخف[1].

روي أنهم بشروه بأن الله تعالى سيخرج من ذريته أكثر مما أخرج من صلب نوح[2]

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: أتبشروني على كبر سني وسن زوجتي؟[3] ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤﴾ أي: فبأي شيء تبشرونني بهذا؟ أبوحي من الله، أم بغير ذلك؟[4].

﴿قَالُواْ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾[الآية:55]أي: بالوحي الذي أوحى الله إلينا[5].

ومن قرأ ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بفتح النون فليس فيها ضمير المتكلم، ومن كسرها وشددها فأصلها [تبشرونني][6]، بنونين، ثم أدغم، ومن خففها حذف النون الثانية، وكسر نون الإعراب لمجاورتها للياء، وحذفت الياء لأنها رأس آية، مثل ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾[7] ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾[8].

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ﴾[الآية:56]أي: ومن ييأس من فضل الله إلا الكافرون[9]، و﴿يَقْنَطُ﴾ بفتح النون وكسرها: لغتان بمعنى واحد[10].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾[الآية:57] أي: شأنكم الذي أرسلتم به[11]﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨﴾ لنهلكهم ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾[الآية:59] فننجيهم ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ﴾[الآية:60] أي :

---

(1) انظر تفسير الوجل بالخوف في: تفسير الطبري 7/522.
(2) ذكره مكي في الهداية 6/3910.
(3) انظر: معالم التنزيل 2/589، والكشاف 2/558.
(4) وقيل: كان هذا منه على سبيل التعجب، وقيل: قاله قبل أن يعلم أنهم ملائكة. انظر: تفسير الطبري 7/523 ، ولجامع لأحكام القرآن 10/33، والبحر المحيط 5/446.
5) هذا على ما اختاره المؤلف في المراد بالاستفهام في قوله تعالى ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤﴾، وجمهور المفسرين على أن معنى قوله تعالى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: باليقين. انظر: تفسير الطبري 7/523، والكشاف 2/558.
(6) سقطت من (ك).
(7) تكررت هذه اللفظة في القرآن، وأول مواضع ورودها في سورة الأنبياء، الآية (25).
(8) تكررت هذه اللفظة في القرآن، وأول مواضع ورودها في سورة البقرة (40).
قد قرأ نافع لفظ (تبشرون) بكسر النون مخففة، وقرأ ابن كثير بكسرها مثقلة، وقرأ الباقون بفتحها مخففة. انظر قراءات الثلاث وتوجيهها بنحو ما وجهها به المؤلف في: الحجة لأبي علي الفارسي 3/26،27، ومشكل إعراب القرآن 1/414، والبحر المحيط 5/447، والنشر 2/226، غير أنهم ذكروا أن حذف الياء إنما هو لدلالة الكسرة عليها، وليس لأنها رأس آية، ولكن ذلك يكثر في رؤوس الآي. انظر: الإضاءة في بيان أصول القراءة ص 59،58.
(9) انظر تفسير الطبري 7/523.
(10) قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف بكسر النون، وقرأ الباقون بفتحها. وهما لغتان كما قال المؤلف . انظر: الحجة لأبي علي الفارسي 3/27، والنشر 2/227،226.
(11) انظر: تفسير الطبري 7/524، ومعاني القرآن للزجاج 3/181.

علمنا، وقيل: كتبنا، وقيل: قضينا بهلاكها[1]، والمرأة هنا مستثناة من المستثنى.

ثم إنهم مضوا إلى لوط، فلم يعرفهم، فقالوا: نحن ملائكة، جئناك بإهلاك قومك الذي ﴿كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ۝٦٣﴾ أي: يشكون في وقوعه[2]، فأخرج أهلك بالليل، ﴿وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ أي: كن وراء أهلك إذا سريت بهم، وهذا فيه تسكين لقلوبهم؛ لأنه يبقى بينهم وبين موضع العذاب[3]﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى ما نزل بالقوم فلا يطيق النظر إليه، وقيل: لئلا يشتغل بالالتفات عن السير[4]﴿وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ۝٦٥﴾ أي: اذهبوا إلى موضع يأمركم الله بالذهاب إليه[5].

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ أي: أوحينا إلى لوط بذلك الأمر، وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ۝٦٦﴾ أي: آخرهم يهلك وينقطع ويستأصل وقت الصبح[6].

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٦٧﴾ أي: أهل سدوم[7] مدينة لوط، يستبشرون بقدوم الضيف طلباً للفاحشة[8].

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ﴾[الآية:٧٠] أي: أما نهيناك أن تضيِّف أحداً فتحميه وتمنعه منا؟، وقيل: كانوا بخلاء ينهون عن الضيافة[9].

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٧١﴾ أي: كنتم تفعلون ما أمركم الله فتزوجوا النساء، واتركوا الفاحشة، وقيل: معناه: إن كنتم تريدون هذا الشأن فعليكم بالنساء[10].

---

(1) وهي أقوال متقاربة. انظرها في الهداية 3910،6/3911، والتفسير الكبير 158،19/159.
(2) انظر: زاد المسير ص 763.
(3) انظر: الكشاف 2/561، وتفسير ابن كثير 574،2/575.
(4) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/182، والكشاف 561،2/562.
(5) انظر: تفسير الطبري 7/524.
(6) انظر: المحرر الوجيز 3/368، وزاد المسير ص 763.
(7) هي إحدى قرى قوم لوط، وقد سبق ص(202) بيان موقع قراهم، وأنها مكان البحر الميت اليوم.
(8) انظر: تفسير الطبري 7/525.
9) قال بعض العلماء: كانوا نهوه عن أن يضيف أحداً فيجيره، وقال بعضهم: بل نهوه عن إجارة أحد من العالمين ولو دون ضيافة، ولم أقف على من قال إن المراد أنهم نهوه عن الضيافة لبخلهم، وإن كان الذي فعلوه بأضيافهم أفظع من البخل بمراحل. انظر: الهداية 6/3913، والكشاف 2/562.
(10) انظر القولين في الهداية 3913،6/3914، والبحر المحيط 5/449.

﴿لَعَمْرُكَ [إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ][(1)]﴾ أي: أقسم بحياتك يا محمد[(2)]: إن كفار قومك لفي سكرتهم، أي: ضلالهم الذي غشى قلوبهم كالسكر[(3)]﴿يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يترددون ويتحيرون[(4)]، حيث يسمعون قصص الماضين فلا يعتبرون، فهذا تهديد لكفار هذه الأمة في أثناء قصة لوط[(5)]، ثم ذكر بقية القصة.

وأصل ﴿لَعَمْرُكَ﴾ في القسم لعمرك قسمٌ أُقسم به، فهو مرفوع على الابتداء، والخبر محذوف، وأصل العَمر ضم العين، وإنما فُتح في القسم لكثرة الاستعمال، فاستثقلت الضمة، وهو قسم بمدة الحياة[(6)].

قال ابن عباس: ما خلق الله وما برأ وما ذرأ نفساً أكرم عليه من محمد [ﷺ]، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره[(7)].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي: فأخذ قوم لوط العذاب ﴿مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: مصبحين، يقال : أشرق القوم: إذا أتوا وقت شروق الشمس، يقال: شرقت الشمس: إذا طلعت، وأشرقت: إذا أضاءت وارتفعت[(8)].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ أي: إن في إهلاك الكافرين لآيات للمعتبرين ، والتوسم: النظر إلى الشيء، والتدبر في سماته، أي: صفاته الدالة على أسراره[(9)]، وذلك بنور يخلقه الله في قلب المؤمن، كما ورد في الحديث:«اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر

---

(1) سقطت من (م).

2) ونقل على ذلك الإجماع عدد من أهل العلم. انظر: أحكام القرآن لابن العربي 3/105، والجامع لأحكام القرآن 10/37،36.

(3) انظر: تفسير الطبري 7/526، والتحرير والتنوير 13/55.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/592، والكشاف 2/563.

(5) الأكثرون من المفسرين على أن المراد قوم لوط، وقد قيل بما قاله المؤلف. انظر: زاد المسير ص 764 ، والبحر المحيط 5/450.

(6) انظر: معاني القرآن للزجاج 3/184،183، والهداية 6/3915، والبحر المحيط 5/450،449.

(7) رواه الطبري في تفسيره 7/526.

8) وقيل: هم بمعنى واحد، والأكثرون على ما ذكره المؤلف. انظر: معاني القرآن للزجاج 3/184، وزاد المسير ص 764.

(9) انظر: تفسير الطبري 7/527، والكشاف 2/563.

بنور الله»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية[1].

وفي حديث آخر:«إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم»[2].

ومعنى الآية: إن في ذلك لموعظة لمن تدبر واعتبر.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦﴾ أي: وإن مدينة لوط المنقلبة لفي طريق باق، ينظر إليه الناس، وهي بحيرة لوط بالشام[3]، وقيل: معناه: إن الآيات لبسبيل: أي: طريق للمعرفة، باقٍ لمن يتأمل، وقيل: معناه: إن الحجارة لباقية مدخرة للمجرمين[4].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال:«إن الحجارة لموقفة في السماء منذ ألفي عام لظالمي أمتي إذا عملوا بأعمال قوم لوط»[5].

[وفي حديث آخر:«سيكون خسف وقذف من السماء، وذلك إذا عملوا بأعمال قوم لوط»][6]، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية[7].

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨﴾ أي: وما كان أصحاب الأيكة إلا ظالمين[8]، و﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾ الشجر الكثير الملتف[9]، وكان أكثر شجرهم الدوم، وهو المُقْل[10].

وقيل: كانوا قوماً من جذام، وكانوا جيران شعيب، وقيل: كانوا أخواله، فبعثه الله إليهم وإلى بني عمه أهل مدين، فلذلك إذا ذكرت قصة الأيكة لا يذكر فيها أنه أخوهم، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾[11]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ

1) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر (3127) ص 702، قال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد حسنه الهيثمي، وقواه السخاوي والسيوطي، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي، انظر: مجمع الزوائد 10/268، والمقاصد الحسنة ص 59،60، واللآلئ المصنوعة 2/278.

2) رواه الطبري في تفسيره 7/529، والطبراني في المعجم الأوسط (2935) 3/207، وقد حسنه الهيثمي والسخاوي والألباني. انظر: مجمع الزوائد 10/268، والمقاصد الحسنة ص 60، والسلسلة الصحيحة (1693) 4/267.

(3) وهي اليوم: البحر الميت، وقد مضى التعريف بها ص(202).

(4) انظر هذه الأقوال في معنى الآية في: المحرر الوجيز 3/370، وزاد المسير ص 764.

(5) ذكره مكي في الهداية 6/3919، وابن عطية في المحرر الوجيز 3/371 ولم أقف عليه مسنداً.

(6) سقطت من (م).

(7) ذكره مكي في الهداية 6/3919 ولم أقف عليه مسنداً.

(8) سبق خلاف النحاة في مثل هذا الأسلوب. انظر ص(173).

(9) انظر: المحرر الوجيز 3/371.

(10) الدوم: شجر عِظامٌ من الفصيلة النخيلية، يكثر في صعيد مصر، وفي بلاد العرب، وثمرته بحجم التفاحة، لها قشر صلب أحمر، وله نواة ضخمة ذات لب إسفنجي، والمُقل ثمرته. انظر: القاموس المحيط (م ق ل) ص 1058، والمعجم الوسيط ص 305.

(11) سورة الشعراء، الآيتان (176،177).

مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا)[1]، وعذب الله أصحاب مدين بالصيحة، وأرسل على أصحاب الأيكة حراً لا يظلهم منه شيء سبعة أيام، ثم أرسل عليهم سحابة، وهي الظلة، فاجتمعوا تحتها لتقيهم الحر، فاضطرمت عليهم ناراً، فأحرقتهم، فهو عذاب يوم الظلة، وهو قوله تعالى: (فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ)[2].

(وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾) وهو اللوح المحفوظ، أي: وإن الفريقين قوم لوط وأصحاب الأيكة لمكتوب ما فعل بهما في إمام مبين، وهو اللوح المحفوظ، وقيل: معناه: وإن الرسولين لوطاً وشعيباً عليهما السلام لعلى طريق الحق، وقيل: معناه: وإن الموضعين موضع قوم لوط وأصحاب الأيكة لعلى طريق يأتم به الناس في أسفارهم، ففي منازلهم عبرة[3].

(وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ)[الآية:80] وهم ثمود[4]، والحجر: الوادي[5]، كذبوا المرسلين: أي: كذبوا صالحاً، ومن كذب رسولاً فكأنما كذب جميع المرسلين[6].

(وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا) أي: كهوفاً (ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾) من عذاب الله، غافلين عن طاعة الله، وقيل: معناه: آمنين في الكهوف من الهدم والآفات التي تصيب الأبنية[7]، فأهلكوا بالصيحة.

(فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾) من الأموال والعدد، مثل قوله تعالى: (مَآ[8] أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾)[9] أي: ما كان الله قد أعطاهم في الدنيا ليمتعهم به، أي: ليبلغهم به

(1) تكررت في مواضع، وأولها في سورة الأعراف، الآية (85).
2) هذا دليل من قال: إن قوم شعيب أهل مدين وأصحاب الأيكة أمتان مختلفتان، وعليه قالوا: هم قوم من جذام أو ىم أخوالهم، والراجح أنهم أمة واحدة، وهو قول الطبري وابن كثير، وإنما لم يوصف بأنه أخوهم حين ذكر الأيكة بإنه نسبهم إلى ما كانوا يعبدونه، وحاشا شعيباً أن يكون أخاً لهم في عبادتهم، فقطع النسبة للمعنى الذي نسبوا إليه، فلما ذكر مدين قبيلتهم أثبت له أخوتهم، وأما العذاب فإنه قد اجتمع عليهم الصيحة والرجفة والظلة. انظر: تفسير الطبري 9/471، والهداية 6/3920،3919، وزاد المسير ص 1035، وتفسير ابن كثير 3/357-359.
(3) انظر: المحرر الوجيز 3/372، وزاد المسير ص 764.
(4) انظر: تفسير الطبري 7/531.
(5) هذا قول قتادة فيما رواه عنه الطبري في تفسيره 7/532،531.
(6) انظر: الكشاف 2/563، والجامع لأحكام القرآن 10/42.
(7) انظر القولين في: التفسير الكبير 19/163، والبحر المحيط 5/451.
(8) في (ك): (فما).
(9) سورة الشعراء، الآية (207).

إلى انقضاء آجالهم[1].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[الآية:85]أي: ما خلقنا جميع المخلوقات عبثاً، ولا نتركها مهملة، وإنما خلقناها ليستدل بها على معرفة صانعها، ثم نبعث الخلائق، ونجازي كلاً بعمله[2]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ الآية[3]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ أي: فاعف، واحتمل كلام المشركين، ولا تقابل أحداً بسوء؛ فإن القيامة موعدهم[4].

قال قتادة ومجاهد والضحاك: هذا منسوخ بالقتال[5].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾أي: الخالق[6] لجميع الخلق؛ فلا يعجز عن تعذيب من كفر بك ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٨٦﴾بفعل جميع خلقه؛ فيجازيهم بأعمالهم[7].

[قوله تعالى][8]: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾[الآية:87] أي: ولقد أنزلنا عليك سبع آيات، هي المثاني، وهي فاتحة الكتاب، روي ذلك عن رسول الله ﷺ[9]، وهو قول علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وعمر بن الخطاب، وأبي هريرة، والحسن، وقتادة[10].

وسميت مثاني لأنها تثنى وتكرر في الصلوات، وقيل: لأن الله استثناها لأمة محمد

(1) زاد في (ك): (والله أعلم). وانظر المعنى في: تفسير ابن كثير 3/361.
(2) انظر: تفسير الطبري 7/532، والجامع لأحكام القرآن 10/51،50، والبحر المحيط 5/451.
(3) سورة النجم، الآية (31).
(4) انظر: الكشاف 2/564، والتفسير الكبير 19/164،163.
5) رواه عنهم الطبري في تفسيره 7/533، وقد رواه عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة، وإسناده حسن كما مضى ص(2)، ورواه عن الضحاك من طريق جويبر، وهو ضعيف جداً كما سبق ص(342).
(6) في (م): (وإن ربك هو الخالق).
(7) انظر: الكشاف 2/564، وتفسير أبي السعود 5/88.
(8) سقطت من (ك).
(9) روى البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ 8/484 (4703،4704) حديثين، أحدهما عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، وفيه: ثم قال -يعني النبي -: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟» فذهب النبي ليخرج من المسجد، فذكرته، قال:«الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». والآخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله :«أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم».
(10) انظر الرواية عنهم جميعاً في تفسير الطبري 7/536-538.

ﷺ فلم يعطها لأحد غيرهم[1]، و(مِنَ) هنا لبيان الجنس[2].

وقيل: هي للتبعيض، ومعناه: آتيناك سبع آيات من القرآن، وهي الفاتحة، والمثاني: القرآن؛ لأن الأحكام والقصص تثنى فيه، أي: تكرر، وقوله: (وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾) أي : آتيناك القرآن كله[3].

وقيل: (وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾) الحواميم[4].

وقال ابن عباس وابن عمر ومجاهد وابن جبير وابن سيرين[5]: السبع المثاني: هي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلفوا في السابعة، فقيل: هي الأنفال وبراءة[6]، سورة واحدة، وقيل: هي يونس، وسميت هذه السور: مثاني[7] لتكرار أدلة التوحيد والقصص والأحكام فيها[8]، والقرآن العظيم عند هؤلاء: فاتحة الكتاب[9].

وقيل: السبع المثاني: الأمر، والنهي، والترغيب، والتخويف، وضرب الأمثال، وأعداد النعم[10].

(لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ)[الآية:88] أي: لا تمد نظرك لأن تستحسن ً مما متعنا به ً من الناس، ولا تتمن[11] ً من الدنيا؛ فقد أعطيناك ما هو خير من ذلك، وهو القرآن

---

(1) انظر القولين في: معالم التنزيل 2/595، والمحرر الوجيز 3/373.

(2) يريد: على هذا القول. انظر: الكشاف 2/564، والبحر المحيط 5/452.

(3) انظر: المحرر الوجيز 3/373، والبحر المحيط 5/452.

(4) انظر: الهداية 6/3926، وأحكام القرآن لابن العربي 3/113.

5) هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر، ثقة ثبت عابد كبير القدر، مات سنة 110هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 4/606، وتقريب التهذيب (5985) ص 853.

(6) في (ك): (والتوبة).

(7) في (ك): (وسميت هذه السورة المثاني).

(8) انظر الرواية عنهم -على الخلاف بينه في تعيين السابعة من الطوال- في: تفسير الطبري 7/533-535 ، وانظر: الهداية 6/3924، ومعالم التنزيل 2/595.

(9) كذا في الهداية 6/3926، ولكن هذا الحكم ليس بملزم لهم، فقد قال مجاهد: (وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ): سائر القرآن . انظر: تفسير الطبري 7/542.

10) هذا قول زياد بن أبي مريم، وقد رواه عنه الطبري في تفسيره 7/539، وذكر السابعة -التي لم يذكرها المؤلف- قال: «وآتيتك نبأ القرآن».

(11) في النسختين: (ولا تتمنى).

العظيم[1].

ففي الآية تنبيه على الاستغناء بالقرآن، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:«من حفظ القرآن، فرأى[2] أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد صغر عظيماً، وعظّم صغيراً»[3].

وفي الحديث:«ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[4]، قال سفيان بن عيينة: أي: يستغني به[5]، وقيل: معناه: يرتله، ويقرأه بتأمل وتدبر، ويحسن به صوته، من غير تمديد خارج عن الحد[6].

﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: لا تهتم لتكذيبهم مع كثرة النعم لديهم؛ فإن الآخرة خالصة للمؤمنين، لا يشاركهم في نعيمها ولذاتها أحد من الكفار[7].

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ أي: ألن جانبك للمؤمنين[8]، وهي كناية عن التواضع وحسن الخلق، وجناح الإنسان: جانبه، ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾[9] ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾[10] [أي][11]: إلى جانبك[12].

﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ۝٨٩﴾ أي: قل للمشركين: إني نذير لكم من[13] العذاب أن ينزل عليكم.

---

(1) انظر: تفسير الطبري 7/542، والمحرر الوجيز 3/374.
(2) في (ك): (فظن).
3) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 7/159:«رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن رافع، وهو متروك»، ولم أجده في المطبوع من معاجم الطبراني الثلاثة، وقد رواه ابن عدي في الكامل2/377 وأعله بحمزة بن أبي حمزة، وقال: «وكل ما يرويه أو عامته مناكير موضوعة، والبلاء منه»، وانظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف 2/218،217.
(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ (7527) 13/623.
5) في (ك): (أي لم يستغن). وتفسير سفيان رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن عند الحديث (5024) 9/86.
(6) وهذا هو الراجح. انظر: تفسير ابن كثير 2/578، وفتح الباري 9/88-90.
(7) وقيل: نهي عن الحزن على الكفار إذ كان يهمه شأنهم، ويزعجه عدم إيمانهم، ويكبر عليه إعراضهم. انظر: تفسير الطبري 7/542، وزاد المسير ص766، والبحر المحيط 5/453.
(8) في (ك): (أي ألن جناحك جانبك للمؤمنين).
(9) سورة القصص، الآية (32).
(10) سورة طه، الآية (22).
(11) سقطت من (ك).
(12) انظر نحو ما قاله المؤلف في: تفسير الطبري 7/543،542، ومعالم التنزيل 2/597.
(13) في (ك): (في).

﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ۝٩٠﴾ من قبلكم، قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى، اقتسموا كتب الله المنزّلة، يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض[1].

وقال عكرمة: هم أهل الكتاب، اقتسموا القرآن استهزاء، فقال واحد: هذه السورة لي، وقال آخر: هذه السورة لي[2].

وقال ابن زيد: هم قوم صالح، تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله[3].

وعن ابن عباس أيضاً: أنهم قوم من قريش، [اقتسموا طرق مكة، يقعدون عليها ليصدوا الناس عن رسول الله ﷺ[4].

وقال عطاء: هم قوم من قريش][5]، قسموا القول في القرآن، فقال بعضهم: شعر، وقال بعضهم: سحر، وقال بعضهم: أساطير الأولين[6].

وقيل: ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ تحالفوا وتعاهدوا على عداوة محمد ﷺ[7].

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ أي: فرقوه فرقاً، فآمنوا ببعض، وكفروا ببعض، وقيل: فرقوا القول فيه، فقال قوم: هو شعر، وقوم: هو سحر[8].

فهو من التعضية، وهي التفرقة، تقول: عضيت الشيء تعضية، أي: فرقته، قال الشاعر:

وليس دين الله بالمُعضّى[9]

[أي: المفرق][10]، والعِضَة: الفرقة، والجمع: عِضين، كسنة، وسنين[11]، ومنه :

---

(1) رواه الطبري في تفسيره 7/544، 543 عن ابن عباس من أربعة طرق.
(2) رواه الطبري في تفسيره 7/544.
(3) رواه الطبري في تفسيره 7/545.
4) ذكره مكي في الهداية 6/3930، وذكره الطبري في تفسيره 7/545 قولاً مجرداً لم ينسبه لقائل، ولم أقف عليه مسنداً.
(5) سقطت من (ك).
6) ذكره مكي في الهداية 6/3931، وهو عند الطبري في تفسيره 7/546 بسنده عن عطاء لكنه في تفسير الآية التالية، تفسيراً للفظة (عِضِينَ)، وليس في تفسير هذه الآية.
(7) انظر: الهداية 6/3930، والجامع لأحكام القرآن 10/55.
(8) انظر القولين في: تفسير الطبري 7/546، 545، وزاد المسير ص767.
(9) الرجز لرؤبة بن العجاج، انظر: معجم مقاييس اللغة (ع ض و) 4/347.
(10) سقطت من (ك).
(11) التشبيه بسنة وسنين ليس في ضبطه بل في حذف هاءه في الجمع. انظر مصادر التوثيق.

أعضاء الحيوان، لأن كل عضو فرقة[1]، هذا كله معنى قول ابن عباس[2]، وقال عطاء: العضون: المتفرقون[3].

وقال الكسائي: هو من قولهم: عضيت الرجل: إذا رميته ببهتان، فمعناه: جعلوا القرآن ... د العضين: عنده ... ة[4]، ثم حذفت الهاء، مثل: ... ن أصلها: شفهة[5].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ أي: أقسم بحقي لأسألن هؤلاء الذين فرقوا القول في القرآن، وأسأل غيرهم عما كانوا يعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي، وما من أحد يوم القيامة إلا يُسأل عن التوحيد وتصديق الرسل[6]، فمعناه: [لنسألنهم عن][7] شهادة ألا إله إلا الله، قاله ابن عمر، وابن مسعود، ومجاهد[8].

وسئل ابن عباس عن قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ وعن قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾[9]، فقال: يسأل: لم عملت؟[10]، ولا يسأل: هل عمل؟، فإن الله تعالى أعلم بعمله[11].

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[الآية:94]أي: أظهر القرآن، وبينه، وأعلنه، ولا تخفه عن أحد، وقيل: معناه: افعل ما تؤمر به[12].

---

1) هذا ما ذهب إليه ابن فارس وهو عود العِضَة إلى مادة (ع ض و)، وظاهر كلام الطبري وغيره أنه جعلها من مادة أخرى. انظر: تفسير الطبري 7/546، وإعراب القرآن للنحاس ص 476، ومعجم مقاييس اللغة (ع ض و) 4/347، والهداية 6/3932.
(2) الذي رواه الطبري في تفسيره 7/546 من طرق عنه، وفي بعضها:«فجعلوه أعضاء».
(3) رواه بمعناه الطبري في تفسيره 7/546، وهو الأثر المشار إليه سابقاً عن عطاء عند الآية السابقة.
(4) في (م): (عضه).
(5) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص 476، ومعاني القرآن للكسائي ص 176،175.
(6) انظر: تفسير الطبري 7/547، والجامع لأحكام القرآن 10/55-57.
(7) سقطت من (ك).
(8) رواه عنهم الطبري في تفسير 7/548.
(9) سورة الرحمن، الآية (39).
(10) في (ك): (يسأل عما عملت).
11) رواه الطبري في تفسيره 7/548 من طريق علي بن أبي طلحة، وقد مضى الكلام على قوة هذا الطريق ص(33).
(12) انظر القولين في: الهداية 6/3936،3935، وزاد المسير ص768.

قال الزجاج: هو مشتق من الصديع، أي: الصحيح[1].

وقال المبرد: تقديره: اصدع الباطل وفرقه، وألحقه بالحق، يقال: تصدعت الزجاجة: إذا تكسرت[2].

قال الكسائي: أصله: بما تؤمر به، ثم حذف[3].

قال ابن عباس وغيره: كان النبي ﷺ يختفي خيفة من قومه حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو ومن معه، وصلوا في المسجد الحرام[4].

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي: لا تقاتل أحداً، وهو منسوخ بالقتال، قاله ابن عباس والضحاك[5].

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ أي: كفيناك شر الذين كانوا يستهزئون بك وبالقرآن، ويشركون بالله، فأهلكناهم، وسوف[6] يعلمون عاقبة كفرهم في الآخرة[7].

وروي أن هؤلاء المستهزئين جماعة، كانوا ذوي معاندة وأذى للمسلمين، وهم الوليد ابن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد يغوث الزهري، وهو ابن خال النبي ﷺ، والأسود بن المطلب، وأبو زمعة، والحارث بن عيطلة، روي أنهم مروا على النبي ﷺ، وعنده جبريل عليه السلام، فشكى إليه شرهم، فكلما مر عليه واحد يقول جبريل: قد كفيناكه، فهلكوا كلهم في ليلة واحدة، كل واحد منهم بسبب غير الذي هلك به صاحبه، يقال: إن العاص بن وائل تساقط لحمه عن عظمه حتى هلك، والوليد بن المغيرة تردى بردائه، فتعلق به سهم، فقطع أكحله، فنـزف الدم حتى مات، والأسود بن عبد

---

1) هكذا في إحدى نسخ الهداية 6/3936، وفي النسخة الثانية: «الصبح»، وليس الصحيح، وهو كذلك في معاني القرآن للزجاج 3/186.

2) كذا في الهداية 6/3937، وهو ليس كذلك في الكامل للمبرد، بل فسره على معنى المضي في الأمر. انظر: الكامل 1/75.

(3) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص 476، ومعاني القرآن للزجاج ص176.

4) عزاه السيوطي في الدر المنثور 4/199 لأبي نعيم في الدلائل من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقد مضى الكلام على وهاء هذا الطريق ص(54). وقد رواه الطبري في تفسيره 7/549 بسنده عن عبد الله بن عبيدة.

5) رواه الطبري في تفسيره 7/550 عنهما، فرواه عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وقد مضى الكلام على ضعف هذا الطريق ص(142)، ورواه عن الضحاك من طريق جويبر، وهو ضعيف جداً كما مر ص(342).

(6) في (ك): (فسوف).

(7) انظر المعنى بنحو ما قاله المؤلف في: تفسير الطبري 7/553، 550، وزاد المسير ص768.

يغوث أصابه غصن شوك في وجهه، فسالت حدقتاه، ومنهم من قام من الليل وهو مطمئن ، فشرب من جرة فانفقعت بطنه فمات، ومنهم من لدغته حية [فمات][1]، وأراح الله المسلمين منهم[2].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧﴾ أي: تحزن لسوء قولهم وكفرهم.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: اشتغل بذكر الله وعبادته عن الحزن عليهم، فإن في ذكر الله راحة من كل هَمٍّ[3] ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝٩٨﴾ أي: المصلين[4].

وكان النبي ﷺ إذا حزبه[5] أمر قام إلى الصلاة[6].

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝٩٩﴾ أي: الموت، ومعناه: استدم عبادة ربك حتى تلقاه[7].

---

(1) سقطت من (ك).

(2) روي نحو هذا عن ابن عباس وغيره، وقد اختلفت الروايات في عدتهم وأسمائهم وطرق هلاكهم. انظر : تفسير الطبري 7/550-553، والهداية 6/3939،3938، والدر المنثور 4/199-202.

(3) انظر: تفسير الطبري 7/553، والتفسير الكبير 19/171.

(4) انظر: معالم التنزيل 2/601، والمحرر الوجيز 3/376.

(5) في (ك): (أحزنه).

6) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي من الليل (1319) ص 205، وقد حسنه الألباني في تعليقه عليه.

(7) زاد في (ك): (والله أعلم). وانظر المعنى في: تفسير الطبري 7/554، والمحرر الوجيز 3/376.

الفهارس

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأشعار.
- فهرس الكلمات الغريبة.
- فهرس المصطلحات العلمية.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- محتوى الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقم الآية	الصفحة
الأنفال	32	346
الأنفال	41	246
الأنفال	42	248
الأنفال	66	252
التوبة	5	6
التوبة	28	6
التوبة	106	208
التوبة	107	234
التوبة	118	323،325
التوبة	120	295
التوبة	122	296
يونس	15	359
يونس	22	98
يونس	24	204
يونس	59	187
يونس	98	194
هود	8	349
هود	71	130
هود	81	354
هود	107، 108	154
يوسف	80	440
يوسف	82	86،404

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
ولا صفر	293
يا رب، إن تهلك هذه العصابة	249
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار	498

فهرس الآثار

طرف الأثر	الصفحة
هؤلاء السبعون لم يعبدوا العجل	226
هذا أمر مرجعه إليّ	559
هذا خطاب للنبي ﷺ	180
هذا قالوه حين تراءى الجمعان	211
هذا كله منسوخ بقوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾	296
هذه الآية في السرايا	336
هذه الآية في أهل البدع	175
هذه الآية منسوخة بتلك	252
هم المسلمون من أهل الكتاب	305
هم اليهود والنصارى	572
هم أمة محمد	227
هم أهل الكتاب	572
هم أهل الكفر	344
هم حكام اليهود	43
هم قوم صالح، تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله	572
هم قوم كانت لهم أعذار	317
هم قوم من قريش	572
هو الجد بن قيس	301
هو الذي لحقه دين	305
هو الغبار الذي فيه سواد	353
هو بضع وثلاثون سنة	446
هو بلعام بن باعورا	234
هو حين يفيء ظل أحدهم عن يمينه وشماله	503
هو فيمن قتل نبياً	38
هو فيمن نصر نبياً	39
هو لمع أجنحة الملائكة	501

طرف الأثر	الصفحة
هو ما تقدم لهم من السعادة في اللوح المحفوظ	341
هو مسيلمة الكذاب	135
هو منسوخ بالقتال	236، 241
هي البشرى عند الموت	369
هي بئر معروفة ببيت المقدس	441
هي خاصة بيوم بدر	252
هي طبرية	229
هي قلة المسلمين يوم بدر	257
هي مدنية إلا آية واحدة	491
هي مدين	229
هي مدينة في الجنة	310
هي منازل الجبابرة بالشام	222
هي منسوخة بقوله تعالى ﴿فإماماً بعد﴾	279
هي منسوخة بقوله ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾	335
واتبعوا مللهم	433
﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾: أي: القرآن	517
وراء كل ملَك ملِكٌ	250
الورد هنا الدخول	425
يؤمر بهم إلى نهر الحياة	191
يبعث الله الريح المنشرة	554
يرعى بعضنا بعضاً	441
يرى الأعلى فضله على الأسفل	247
يسأل: لم عملت	574
يستغني به	571
يعني: السخط	381
يعني: بالعلم	471

فهرس الأشعار

البيت	الصفحة
ورأيت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً	17، 371
وليس دين الله بالمعضى	573
فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزادة	160

فهرس الكلمات الغريبة[1]

(1) وقد رتبتها حسب موادها اللغوية، وذلك حسب أول حروف موادها فثانيها فثالثها.

فهرس المصطلحات العلمية[1]

---

(1) المراد بالمصطلحات العلمية: اصطلاحات الفنون التي عرفها المؤلف، ولم أقف في الجزء الذي حققته من الكفاية مما ينطبق عليه هذا الشرط إلا ما أثبته في المتن.

فهرس الأعلام المترجم لهم[1]

(1) اقتصرت في هذا الفهرس على الأعلام الذين وردوا في النص المحقق وترجمت لهم في الحاشية، مورداً لرقم الصفحة التي ترجمت له فيها، تاركاً بقية الصفحات التي يمر فيها العلَم بعد ذلك.

العَلَم	الصفحة
الضحاك بن مزاحم الهلالي	247
الطبري (محمد بن جرير)	94
أبو العالية (رفيع بن مهران)	310
أبو عامر الراهب	234
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	81
أبو عبيد (القاسم بن سلام)	430
أبو عبيدة (معمر بن المثنى)	214
علقمة بن قيس النخعي	507
عمر بن عبد العزيز	434
الفراء (يحيى بن زياد)	362
قتادة بن دعامة السدوسي	22
القتيبي (ابن قتيبة) (عبد الله بن مسلم)	452
الكسائي (علي بن حمزة)	392
كعب بن ماتع الحميري (كعب الأحبار)	310
الكلبي (محمد بن السائب)	277
الليث بن سعد	215
المازني (بكر بن محمد)	428
مالك بن أنس	194
المبرد (محمد بن يزيد)	345
مجاهد بن جبر	218
محمد بن سيرين	570
محمد بن كعب القرظي	29
مقاتل بن سليمان	376
نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (القارئ)	38
النحاس (أحمد بن محمد)	86
وهب بن منبه	193

فهرس الأماكن والبلدان[1]

(1) اقتصرت في هذا الفهرس على المواضع التي عرّفتُ بها، أو عرّف بها المؤلف، دون المواضع التي تمر دون تعريف (كمكة والمدينة والشام ومصر ونحوها).

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر المخطوطة:

- الروضة الأنيقة في بيان الشريعة والحقيقة، عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني ، مصورة من دار الكتب المصرية.
- شواذ القراءة واختلاف المصاحف، لأبي عبد الله محمد الكرماني، منه نسخة محفوظة بالمكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية.

ثالثاً: المصادر المطبوعة:

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن عبد الغني ابن البناء، ت أنس مهرة، ط1، 1419هـ-1998م، دار الكتب العلمية.
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت محمد شريف سكر، ط1، 1407هـ-1987م، دار إحياء العلوم. (وحيثما عزوت إلى هذا الكتاب دون النص على الطبعة فهي هذه).
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت مركز الدراسات القرآنية،.1426هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- الأحاديث الطوال، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، 1404هـ-1983م، مكتبة الزهراء.
- الأحاديث المختارة، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، ت عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، 1413هـ-1993م، مكتبة النهضة الحديثة.
- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، ت علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

- أحكام القرآن، عبد المنعم بن عبد الرحيم ابن الفرس الأندلسي، ت د. طه بن علي بو سريح، ط1، 1427هـ-2006م، دار ابن حزم.
- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة.
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، ت د. عبد الملك عبد الله دهيش، ط2، 1414هـ، دار خضر.
- أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت علي فاعور، ط1، 1408هـ-1988م، دار الكتب العلمية.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ط4، 1414هـ-1994م، دار إحياء التراث العربي.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، ط1، 1425هـ-2004م، دار ابن حزم.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منارالسبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ط2، 1405هـ-1985م، المكتب الإسلامي.
- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، ت محمد باسل عيون السود، ط1، 1419هـ-1998م، دار الكتب العلمية.
- أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد الواحدي، ت أحمد صقر، ط2، 1404هـ-1984م، دار القبلة.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ت عادل مرشد، ط1، 1423هـ-2002م، دار الأعلام.
- الأسماء والصفات، محمد بن الحسين البيهقي، ت عبد الله بن محمد الحاشدي، ط1، 1413هـ-1993م، مكتبة السوادي.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، ت علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط2، 1423هـ-2002م، دار الكتب العلمية.

- الإضاءة في بيان أصول القراءة، محمد علي الضباع، ط2، 1422هـ-2002م، دار الصحابة.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، اعتنى به محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية.
- أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة، د. شوقي أبو خليل، ط1، 1423هـ-2003م، دار الفكر.
- إعراب القرآن، أحمد بن محمد النحاس، ت د. زهير غازي زاهد، ط2، 1429هـ-2008 ، عالم الكتب.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط15، 2002م، دار العلم للملايين.
- الأمالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتاب العربي.
- إنباه الرواة إلى أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1406هـ-1986م، مؤسسة الكتب الثقافية.
- الانتصاف، أحمد بن المنير الإسكندري، (مطبوع بحاشية الكشاف)، رتبه محمد عبد السلام شاهين، ط1، 1415هـ-1995م، دار الكتب العلمية.
- الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني، تعليق عبد الله عمر البارودي، ط1، 1408هـ - 1988م دار الجنان.
- أنساب الأشراف ، اسم المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.
- أنوار التنـزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، ط1، 1424هـ-2002م، دار الكتب العلمية.
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، ت محمد عبد الرحمن رمضان، 1391هـ-1971م، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- الإيضاح على متن الدرة، عثمان بن عمر الناشري الزبيدي، ت عبد الرازق بن علي موسى، ط3، 1423هـ-2003م، دار الضياء.

- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، ت عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، 1422هـ-2001م.
- البحر المحيط، بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، ت لجنة من علماء الأزهر، ط1 ، 1414هـ-1994م، دار الكتبي.
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت بشير محمد عيون، ط2، 1425هـ-2004م، مكتبة دار البيان.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد ابن رشد، ت علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، 1416هـ-1996م، دار الكتب العلمية.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، ط7، 1422هـ-2002م، دار المعرفة.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1425هـ-2004م، المكتبة العصرية.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1384هـ-1964م، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموعة رسائل علمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت مجموعة من المحققين، دار النشر : دار الهداية.
- تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، يحيى بن معين، ت د. أحمد محمد نور سيف، ط1 ، 1399هـ-1979م، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، أشرف على ترجمته: أ.د. محمود فهمي حجازي، 1993هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت د . عمر عبد السلام تدمري، ط1، 1407هـ-1987م، دار الكتاب العربي.
- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية.
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية.
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.
- تاريخ مدينة دمشق، علي بن حسن ابن عساكر، ت محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، 1415هـ-1995م، دار الفكر.
- تأويل مشكل القرآن، عد الله بن مسلم بن قتيبة، ت أحمد صقر، 1427هـ-2006م، مكتبة دار التراث.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ت علي محمد البجاوي، نشر/ عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، محمد بن محمد ابن الجزري، ط1، 1404هـ-1983م، دار الكتب العلمية.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ط1، 1420هـ-2000م، مؤسسة التاريخ العربي.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية.
- تحفة المحتاج بشرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي، دار إحياء التراث العربي.
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ت سلطان بن فهد الطبيشي، ط1، 1414هـ، دار ابن خزيمة.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ت محمد سالم هاشم، ط2 ، 1428هـ-2007م، دار الكتب العلمية.

- تصحيح أخطاء بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، عبد الله محمد الحبشي، ط2 ، 1424هـ-2003م، المجمع الثقافي - أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة.
- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، محمد ناصر الدين الألباني، بترتيب ابن بلبان الفارسي، ط1، 1424هـ-2003م، دار باوزير.
- تفسير ابن مسعود، جمع محمد أحمد عيسوي، ط1، 1405هـ-1985م، مؤسسة الملك فيصل الخيرية.
- التفسير الصحيح (الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور)، أ.د. حكمت بن بشير ياسين، ط1، 1420هـ-1999م، دار المآثر.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير ، ط1، 1407هـ-1987م، دار المعرفة.
- تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، ت أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية.
- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت مصطفى مسلم، ط1، 1410هـ-1989م ، مكتبة الرشد.
- تفسير القشيري (لطائف الإشارات)، عبد الكريم بن هوازن القشيري، ت عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ط1، 1420هـ-2000م، دار الكتب العلمية.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، ط2، 1425هـ-2004م، دار الكتب العلمية.
- تفسير غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت أحمد صقر، 1398هـ-1978م، دار الكتب العلمية.
- التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ط6، 1416هـ-1995م، مكتبة وهبة.
- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق أبي الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، ط1، 1416هـ، دار العاصمة.

- التلخيص على المستدرك (بحاشية المستدرك)، محمد بن أحمد الذهبي، ت مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1411هـ-1990م، دار الكتب العلمية.
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، علي بن محمد بن علي بن عراق الكناني، ت عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق الغماري ط1 ، 1399 هـ ، دار الكتب العلمية.
- تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، ت أيمن صالح شعبان، ط1، 1998م، دار الكتب العلمية.
- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ت محمد ناصر الدين الألباني، ط2، 1406هـ، مكتبة المعارف.
- تهذيب الأسماء واللغات، يحيى بن شرف النووي، عني بنشره: شركة العلماء، دار الكتب العلمية.
- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط1، 1404هـ -1984م، دار الفكر.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، 1413هـ-1992م، مؤسسة الرسالة.
- التيسير في التفسير، عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني، ت د. مصطفى محمد الذهبي، ط1، 1420هـ-1999م، مكتبة نزار الباز.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري،تحقيق: محمود محمد شاكر، تخريج: أحمد محمد شاكر، ط2، دار المعارف.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط3، 1420هـ-1999م، دار الكتب العلمية.(وحيثما عزوت إلى هذا الكتاب دون النص على الطبعة فهي هذه).
- جامع كرامات الأولياء، يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الكتب العربية.

- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت عبد الرزاق المهدي ، ط4، 1422هـ–2001م، دار الكتاب العربي.(وحيثما عزوت إلى هذا الكتاب دون النص على الطبعة فهي هذه).
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب.
- الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، ت عبد العلي عبد الحميد حامد، ط2، 1425هـ–2004م، مكتبة الرشد.
- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي،ط1، 1271هـ –1952م، دار إحياء التراث العربي.
- جزء فيه ترجمة البخاري، الذهبي، ت إبراهيم بن منصور الهاشمي، ط1، 1423هـ–2002م، مؤسسة الريان.
- جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ت عبد السلام محمد هارون ، ط5، دار المعارف.
- جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكار، ت محمود محمد شاكر، ط2، 1419هـ–1999م، دار اليمامة.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية.
- حاشية الشرواني على تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي (مطبوع بحاشية تحفة المحتاج)، دار إحياء التراث العربي.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، ت أحمد فريد المزيدي ، ط1، 1420هـ–1999م، دار الكتب العلمية.
- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسين بن أحمد الفارسي، ت كامل مصطفى الهنداوي، ط1، 1421هـ–2001م، دار الكتب العلمية.

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1387هـ-1968م، دار إحياء الكتب العربية.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط4، 1405 هـ دار الكتاب العربي.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، ت محمد علي النجار، عالم الكتب.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، ت د.أحمد الخراط، ط1، 1407هـ-1987م، دار القلم.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط1، 1421هـ-2000م، دار الكتب العلمية.
- الدرر الكامنة في أعيا المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر، ت محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية.
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية،جمع وتحقيق: د. محمد السيد الجليند، ط2، 1404هـ، مؤسسة علوم القرآن.
- رؤية الله، عمر بن علي الدارقطني، ت مبروك إسماعيل مبروك، مكتبة القرآن.
- الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، ت بدر بن عبد الله البدر، - ط2، 1416هـ -1995م، دار ابن الأثير.
- رسالة في قنوت الأشياء، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ط1، 1410هـ ، الإدارة العامة للطبع والترجمة - الرياض.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، ت علي عبد الباري عطية، ط1، 1415هـ-1994م، دار الكتب العلمية.
- الروح، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، 1395هـ -1975م، دار الكتب العلمية.

- الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ت محمد شكور محمود الحاج أمريراًط1، 1405هـ-1985م، دار عمار.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، 1412هـ-1992م، دار الكتب العلمية.
- روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ت عبد الكريم بن علي النملة، ط7، 1424هـ-2003م، مكتبة الرشد.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، ط1، 1423هـ-2002م ، دار ابن حزم.
- الزهد، أحمد بن محمد بن حنبل، ط1، 1408هـ-1987م، دار الريان للتراث.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ط1، 1414هـ ، دار الكتب العلمية.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، قام بنشره: محمد مصطفى زيادة.
- السنة، الضحاك بن مخلد ابن أبي عاصم، ت محمد ناصر الدين الألباني، ط3، 1413هـ-1993م، المكتب الإسلامي.
- السنة، الضحاك بن مخلد ابن أبي عاصم، ت محمد ناصر الدين الألباني، ط3، 1413هـ-1993م، المكتب الإسلامي.
- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف.
- سنن الترمذي (جامع الترمذي)، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف.
- سنن النسائي(المجتبى)، أحمد بن شعيب النسائي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1 ، مكتبة المعارف.
- سنن سعيد بن منصور، ت سعد بن عبد الله آل حميد، ط2، 1420هـ-2000م، دار الصميعي.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، ط2، 1402هـ-1982م، مؤسسة الرسالة.
- السير لأبي إسحاق الفزاري، رواية محمد بن وضاح القرطبي عن عبد الملك بن حبيب المصيصي عنه، ت د. فاروق حمادة، ط1، 1408هـ-1987م، مؤسسة الرسالة.
- سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار ، ت محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.
- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ت طه عبد الرءوف سعد ، ط1، 1411هـ، دار الجيل.
- سيرة عمر بن عبد العزيز، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، مطبوع على نفقة الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عقيل العقيلي، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، 1421هـ-2000م، المكتبة العصرية.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، ت د. أحمد سعد حمدان، 1402هـ، دار طيبة.
- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، ت شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط2، 1403هـ -1983م، المكتب الإسلامي.
- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، ت أحمد محمد شاكر، 1418هـ، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف.
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن صالح بن عثيمين، ت سعد بن فواز الصميل، ط6، 1421هـ، دار ابن الجوزي.
- شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس، ط13، 1420هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- شرح العقيدة الواسطية، من تقريرات سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، كتبها ورتبها محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، أخرجها وأعدها للطبع د. عبد المحسن القاسم، ط1 ، 1428هـ.
- شرح لمعة الاعتقاد هادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة، محمد بن صالح بن عثيمين ، ت أشرف بن عبد المقصود، ط3، 1415هـ-1995م، مكتبة دار طبرية.
- الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، ط1، 1421هـ-2000م، مؤسسة الريان.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت خالد عبد اللطيف السبع العلمي، ط1، 1424هـ-2004م، دار الكتاب العربي.
- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت د. محمد مصطفى الأعظمي 1390هـ-1970م، المكتب الإسلامي.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، مع شرحه فتح الباري، ط1، 1421هـ-2000م، دار السلام. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (مع شرحه

للنووي)، أشرف على إعداد طباعته علي عبد الحميد بلطه جي، ط1، 1414هـ-1994م ، دار الخير.

- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، ط2، 1408هـ-1988م ، المكتب الإسلامي.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة.
- طبقات الأولياء، عمر بن علي ابن الملقن، ت نور الدين شريبه، ط1، 1393هـ-1973 ، مكتبة الخانجي.
- طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية.
- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة، ت د. الحافظ عبد العليم خان، ط1، 1407هـ، عالم الكتب.
- طبقات الشافعية، جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي،ت عبد الله الجبوري، 1401هـ-1981م، دار العلوم.
- الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، دار بيروت.
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، ت د.سليمان بن صالح الخزي، ط1 ، 1417هـ-1997م، مكتبة العلوم والحكم.
- طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد الداودي، دار الكتب العلمية.
- الطبقات، خليفة بن خياط العصفري، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، ط2، 1402هـ-1982م، دار طيبة.
- ظلال الجنة في تخريج السنة (مع كتاب السنة لابن أبي عاصم)، محمد نار الدين الألباني، ط3، 1413هـ-1993م، المكتب الإسلامي.

- العجاب في بيان الأسباب، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت عبد الحكيم الأنيس، ط1، 1418هـ-1997م، دار ابن الجوزي.
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، خالد بن عثمان السبت، ط1، 1424هـ-2003م، دار ابن القيم-دار ابن عفان.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، دار الهلال.
- غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد ابن الجزري، ط3، 1402، 1982م، دار الكتب العلمية.
- غيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاسي، (مطبوع مع سراج القارئ المبتدي)، 1415هـ-1995م، دار الفكر.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط1، 1421هـ-2000م، دار السلام.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ت عبد الرحمن عميرة، ط2، 1418هـ-1997م، دار الوفاء.
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، ط4، 1422هـ-2001م، المكتبة العصرية الذهبية.
- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام.
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، ت عبد الرزاق المهدي، ط1، 1422هـ-2002م، دار إحياء التراث العربي.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (مخطوطات التجويد)، 1406هـ-1986م، مؤسسة آل البيت.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (مخطوطات التفسير وعلومه)، 1409هـ-1989م، مؤسسة آل البيت.

- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، محمد رمزي، 1953-1954م، مطبعة دار الكتب المصرية.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط7، 1424هـ-2003م، مؤسسة الرسالة.
- القراءات العشر المتواترة (بهامش القرآن الكريم)، محمد كريم راجح، ط3، 1414هـ-1994م، دار المهاجر.
- القطع والائتناف (الوقف والابتداء)، أحمد بن محمد النحاس، ت أحمد فريد المزيدي، ط1، 1423هـ-2002م، دار الكتب العلمية.
- قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، ط1، 1421هـ، دار ابن عفان.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن عثيمين، 1405 هـ، مكتبة المعارف.
- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (مطبوع بحاشية الكشاف)، رتبه محمد عبد السلام شاهين، ط1، 1415هـ-1995م، دار الكتب العلمية.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، ت تغاريد بيضون ونعيم زرزور، ط2، 1409هـ-1989م، دار الكتب العلمية.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، ت تغاريد بيضون ونعيم زرزور، ط2، 1409هـ-1989م، دار الكتب العلمية.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، ت تغاريد بيضون ونعيم زرزور، ط2، 1409هـ-1989م، دار الكتب العلمية.
- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني ، ت يحيى مختار غزاوي، ط3، 1409هـ-1988م، دار الفكر.

- الكتاب (كتاب سيبويه)، عمرو بن عثمان بن قنبر، ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ت كمال يوسف الحوت، ط1، 1409هـ، مكتبة الرشد.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، رتبه محمد عبد السلام شاهين، ط1، 1415هـ-1995م، دار الكتب العلمية.
- الكشف والبيان، أحمد بن محمد الثعلبي، ت أبي محمد بن عاشور، ط1، 1422هـ-2002م، دار إحياء التراث العربي.
- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، ت د. عدنان درويش ومحمد المصري ، ط2، 1419هـ-1998م، مؤسسة الرسالة.
- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، ت د. عدنان درويش ومحمد المصري ، ط2، 1419هـ-1998م، مؤسسة الرسالة.
- اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، 1417هـ-1996م، دار الكتب العلمية.
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، ط3، دار إحياء التراث العربي.
- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط3، 1406هـ-1986م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى.
- المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم، أ.د. أحمد بن محمد الخراط، 1426 هـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، 1407هـ، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي.

- المجموع شرح المهذب للشيرازي، يحيى بن شرف النووي، ت محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط2.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جني، ت محمد عبد القدار عطا، ط1، 1419هـ1998م، دار الكتب العلمية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، 1422هـ-2001م، دار الكتب العلمية.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، اختصره محمد بن الموصلي، دار الكتب العلمية.
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، عني بنشره ج. برجشتراسر.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت بشير محمد عيون، ط2، 1424هـ-2003م، دار البيان.
- مدارك التنـزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، ت مجدي منصور، المكتبة التوفيقية.
- مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط5، 1422هـ-2001م، مكتبة العلوم والحكم.
- المراسيل، عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، ت أحمد عصام الكاتب، ط1،1403هـ-1983م، دار الكتب العلمية.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، ت مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1411هـ-1990م، دار الكتب العلمية.
- المستطرف في كل فن مستظرف، محمد بن حمد الأبهيشي، ت د. مصطفى محمد الذهبي، 1424هـ-2000م، دار الحديث.

- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى، ت حسين سليم أسد، ط1 ، 1404هـ-1984م، دار المأمون للتراث.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل، 2004م، بيت الأفكار الدولية.
- مسند الإمام أحمد، إعداد مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة بدمشق، ط1، 1421هـ-2001م.
- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، للشيخ محمد عليان المرزوقي، مطبوع بحاشية الكشاف، ط1، 1415هـ-1995م، دار الكتب العلمية.
- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ت محمد ناصر الدين الألباني، ط3، 1405هـ-1985م، المكتب الإسلامي.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ت د. حاتم صالح الضامن، ط2 ، 1405هـ، مؤسسة الرسالة.
- المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، ط1، 1421هـ-2000م، دار الحديث.
- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، ت حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، 1403 هـ المكتب الإسلامي.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت د . سعد بن ناصر الشثري ،ط1، 1419هـ ، دار العاصمة.
- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، ت محمد عبد الله النمر وجماعة، ط5 ، 1423هـ-2002م، دار طيبة.
- معاني الحروف، علي بن عيسى الرماني، ت د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط2 ، 1407هـ-1986م، مكتبة الطالب الجامعي.
- معاني القرآن الكريم، أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس، ت محمد علي الصابوني ، ط1، 1409هـ-1988م، من مطبوعات جامعة أم القرى.
- معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي، جمع د. عيسى شحاته عيسى، 1998م، دار قباء.

- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، ت عبد الجليل شلبي، ط1، 1408هـ-1988م، عالم الكتب.
- معاني القرآن، سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، ت د. فائز فارس، ط2، 1401هـ-1981م.
- معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، ت محمد علي النجار، دار السرور.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ط1، 1411هـ - 1991م، دار الكتب العلمية.
- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ت طارق بن عوض الله بن محمد وأعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، 1415هـ، دار الحرمين.
- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، دار إحياء التراث العربي.
- المعجم الصوفي، د. محمود عبد الرازق، ط1، 1425هـ-2004م، دار ماجد عسيري.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ت حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط2، 1404 - 1983، مكتبة الزهراء.
- معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى-دار إحياء التراث العربي.
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت عبد السلام محمد هارون، ط1، 1411هـ-1991م، دار الجيل.
- المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان الفسوي، ت د. أكرم ضياء العمري، 1394هـ-1974م، مطبعة الإرشاد.

- المغازي، محمد بن عمر بن واقد الواقدي، ت محمد عبد القادر أحمد عطا، ط1، 1424 هـ -2004م، دار الكتب العلمية.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
- المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت أشرف عبد المقصود، ط1، 1415هـ -1995م، مكتبة طبرية.
- المغني، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، ت د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، ط4، 1419هـ-1999م، دار عالم الكتب.
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ت عدنان صفوان داودي، ط2، 1418هـ-1997م، دار القلم.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، ت محمد عثمان الخشت، ط1، 1405هـ -1985م، دار الكتاب العربي.
- المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، ت محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب.
- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، فالترهنتس، ترجمه: د. كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية.
- المكاييل والأوزان والنقود العربية، د. محمود الجليلي، ط1، 2005م، دار الغرب الإسلامي.
- المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل، عثمان بن سعيد الداني، ت د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط1، 1404هـ-1984م، مؤسسة الرسالة.
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ت محمد سيد كيلاني، 1404هـ، دار المعرفة.

- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، محمد بن أبي بكر الحنبلي ابن قيم الجوزية ، ت عبد الفتاح أبو غدة، ط2، 1403هـ ، مكتب المطبوعات الإسلامية.
- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد بن محمد الأشموني، علق عليه شريف أبو لعلا العدوي، ط1، 1422هـ-2002م، دار الكتب العلمية.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد ابن الجزري، ت زكريا عميرات ، ط1، 1420هـ-1999م، دار الكتب العلمية.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت د. محمد رشاد سالم، ط1، 1406هـ-1986م.
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، أشرف على إعداد طباعته علي عبد الحميد بلطه جي، ط1، 1414هـ-1994م، دار الخير.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي، ت د. محمد محمد أمين، 1993م، مركز تحقيق التراث.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، دار صادر.
- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت عبد الله دراز، دار المعرفة.
- الموضوعات، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، ت توفيق حمدان، ط1 ، 1415هـ -1995م، دار الكتب العلمية.
- ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد الذهبي، ت عادل أحمد عبد الموجود وعلي أحمد معوض، ط1، 1416هـ-1995م، دار الكتب العلمية.
- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ت سليمان بن إبراهيم اللاحم، ط1، 1412هـ- 1991، مؤسسة الرسالة.
- النحو الوافي، عباس حسن، ط5، دار المعارف.

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، ت محمد عبد الكريم كاظم الراضي ط1، 1404هـ -1984م، مؤسسة الرسالة.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد ابن الجزري، ط1،1418هـ-1998م، دار الكتب العلمية.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير، اعتنى به رائد ابن صبري، بيت الأفكار الدولية.
- نواسخ القرآن، علد الرحمن بن علي ابن الجوزي، دار الكتب العلمية.
- الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي، (مجموعة رسائل علمية)، ط1 ، 1429هـ-2008م، جامعة الشارقة.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ت أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، 1420هـ-2000م، دار إحياء التراث العربي.

محتوى الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة